٢٤٣٦

١٧٢

ط المجلد الأول من شرح على
الرسالة القشيرية . أو شرح
كتاب الدلالة على فوائد الرسالة [illegible]
لسديد الدين أبي محمد عبد المعطي بن محمود
بن عبد المعطي اللخمي . وذلك القول في هامش
كشف الظنون (٨٨٢) [illegible] الأسماء :
ورداءة . قال الإمام . قال الشيخ . وفرغ
من إملائه سنة ٦٣٨

٦٣٢

هذا المجلد كتب سنة ٨٦٢ كما
ذكر في آخره

Copyright © King Saud University

ق ٢٦٧٠ / ١
٢٠/١١/١٣٩٩هـ

أ

٨٩ ل
ش.ل شرح الرسالة القشيرية ، لعلها الدلالة على فوائد الرسالة ،
الجزء الأول ، تأليف عبد المعطى بن محمود اللخمى (كان
حيا ٦٣٨هـ) . بخط محمد بن محمد بن على الزيدى
٣٢٣٨ ز الحنفى ، ٨٦٣هـ .

٢٤١ق ٢٩س ٢٥×١٧,٥سم
نسخة حسنة ، ناقصة الأول ، خطها نسخ حسن .
١- الفلسفة الاسلامية ، أ- اللخمى ، عبد المعطى
ابن محمود (كان حيا ٦٣٨هـ) ب- الناسخ ج-
تاريخ النسخ .

Copyright © King Saud University

برجم من الوجوه ولو دفع ولو حمل بعض الشيوخ في الخمسة اقوال الكفارة في جميع الاموال ... ابن عتيق وابن عبد الملك ... وابن رشد كذلك انه جلد الحر كذلك وجلد العبد ...
... العلاج المدونة لانه كل المخالف ... فقه ... العلاج ...

حقيقة المراد تقول الامام فقد جعل الله تعالى هذه الطائفة صفوة اوليائه يعني المقربين
الموصوفين بالاحسان وهم المفضلون على بقية الامة سوى الانبياء وهم الذين يدخلون الجنة والله
اعلم بغير حساب كما جاء في الخبر وقام عكاشة بن محصن فقال انا منهم يا رسول الله فاجابه
عليه السلام انت منهم وقام اخر فقال سبقك بها عكاشة ويحتمل ان يكون سبقك بالمنزلة
بالقدر السابق وفي الخبر ايضا ادع الله ان يجعلني منهم قوله وجعل قلوبهم معادن اسراره
اي خصهم بالالهام الصحيح والفراسة الصادقة كما جرى لعمر بن الخطاب رضي الله عنه
في قوله يا سارية الجبل وغير ذلك مما نقل من احواله وشهد له به النبي صلى الله عليه وسلم
في الخبر الصحيح انه قد كان في الامم قبلكم محدثون وان يكن في امتي فعمر بن الخطاب فاسرارهم
صافية من الكدورات عامرة بحسن المناجاة مقبلة على الله تعالى في جميع الاوقات منفتحة
في الحادثات ما سبق لها من المغيبات واختصهم من بين الامة بهذه الخبرات من المكاشفات
وكمال الاستبصار في سائر المخلوقات وفي عمالهم بالخلاص من سائر الافات والمنقصات
ومن هذه صفته فهو ممن تستجاب دعوته وهم الغياث للخلق اي يرجع اليهم في نهاياتهم
ويستغيثون بقبول دعواتهم ويدفع الله تعالى عن الخلق بهم البليات ويسبغ عليهم بهم الخيرات
فانهم خاصته ومحل نظره وحبه وهم القوم لا يشقى جليسهم فكيف من احبهم ودعوا له
قوله وهم الدائرون في عموم احوالهم مع الحق بالحق اي يدورون مع العلم والحق حيث دار
بهم متبرؤون من اغراضهم وشهواتهم ومن اضافة اعمالهم اليهم بل يقولون بحقه بفضله عليهم دعونه
لهم وبهذا الاعتبار صفوا من كدورات البشرية اي حظوظ انفسهم والعمل بمقتضى شهواتهم
واغراضهم ورقاهم الى محل المشاهدة بما تجلى لهم من حقائق الاحدية اي بما ملا قلوبهم
من انفراده بالله تعالى وخروج غيره من القدرة ولو على ذرة من مثقال فانقطعوا
بقلوبهم اليه واقبلوا بكليتهم عليه واشتغلوا به عن من سواه وادامت مشاهدتهم له ولما يرد
عليهم من احكامه اذ لا مالك لهم سواه وبهذا شاهدوا مجاري احكام الربوبية اي تصرف
الحق سبحانه فيهم وفي غيرهم من العطاء والمنع والاسعاد والاضلال والتوفيق والخذلان
وكل ذلك عدل منه اذ لا ملك لغيره ولا امر له ولا ناهي تعالى عن ذلك علوا كبيرا فهم يأتون
له تعالى بما امرهم به ونهاهم عنه من التكليف ناظرون الى اجرائه عليهم من سابق قدره في
التصريف متبرؤون من اعمالهم لرؤية الفضل عليهم والاحسان شاكرون له على ما اولاهم
من النعم وحفظهم عنه من التبديل والتحريف فما اتاهم عليهم من الافعال
بفضله وما سلبهم منه من البدع والضلال فبحفظه وطوله فما استقر عندهم
حتى ... لانه لا يجب عليه حق لمخلوق وان احسانه فضل وعذابه عدل
اذ لا يسأل عما يفعل وهم يسألون قال الامام القشيري رضي الله عنه ثم اعلموا

Copyright © King Saud University

بحيث من ... من تحرم ... الجوار واختلف في ذلك من الفبلا ... [illegible]
... عن اهله او بيحه ... فوله ... [illegible] ... ذكر ... الا
... باجماع المحققين فوله وقيح وصد بدا ... هكذا احمد عليه ... الطريقة

رحمكم الله ان المحققين من هذه الطايفة انقرض اكثرهم ولم يبق في زماننا هذا من هذه الطايفة الا اثرهم
اما الخيام فانها كخيامهم • واري نساء الحي غير نسائها • حصلت الفترة في الطريقة لابل اندرست
الطريقة بالحقيقة • مضى الشيوخ الذين كان لهم اهتداء وقل الشباب الذين لهم بسيرتهم اقتداء
وسنتهم اقتداء زال الورع وطوي بساطه • واشتد الطمع وقوي رباطه • وارتحل عن القلوب
حرمة الشريعة فعدوا المبالاة بالدين اوثق الذريعة • ورفضوا التمييز بين الحلال
والحرام • ودانوا بترك الاحترام وطرح الاحتشام • واستخفوا باداء العبادات واستهانوا
بالصوم والصلوات • وركضوا في ميدان الغفلات • وركنوا الي اتباع الشهوات • وقلة
المبالاة بتعاطي المحظورات • والارتفاق بما ياخذونه من السوقة والنسوان واصحاب
السلطان ثم لم يرضوا بما تعاطوه من سوء هذه الافعال حتى اشاروا الى اعلا الحقايق والاحوال
وادعوا انهم تحرروا عن رق الاغلال • وتحققوا بحقايق الوصال • وانهم قايمون بالحق تجري عليهم
احكامه وهم محو وليس لله تعالي عليهم فيما يوثرونه او يذرونه عتب ولا لوم وانهم كوشفوا
باسرار الاحدية • واختطفوا عنهم بالكلية • وزالت عنهم احكام البشرية • وبقوا بعد فنايهم
عنهم بانوار الصمدية • القايل عنهم غيرهم اذا نطقوا والنايب عنهم سواهم فيما تصرفوا بل
صرفوا قال الشارح رضي الله عنه ما ذكره الشيخ من هذه النعوت والاخلاق
الردية انما هو في المتشبهين بهذه الطايفة غير المحققين في السلوك اما لاختلال
العلم وغلبة الجهل او لحب الدنيا ونيل المقاصد العاجلة منها واذا كان ما وصفه
بالمتشبهين بهذه الطايفة قد غلب على زمانه وبيننا وبينه ما ينا عام من السنين فكيف
بزماننا وقد توالي على القلوب الاهمال لامر الدين وقل اتباع العلم واعتقد من ينسب لهذه
الطريقة بغير تحقيق ان تقليد العلما والرجوع الى الشريعة من جملة القواطع عن الطريق
فانا لله وانا اليه راجعون ولكن لا تخلي الارض من المحققين في السلوك العاملين بالحيد
عن التحقيق والدلوك وهذا الامر لا يزداد الا قلة كما قال تعالي في كتابه المبين ثلة من
الاولين وقليل من الاخرين وقال عليه السلام لا تزال طايفة من امتي على الحق ظاهرين •
لا يضرهم من خذلهم حتى ياتي امر الله الحديث ونحن نتبع كلامه وناتي بالوعد
والانذار على الجملة يكفي لهذه الاحوال الردية فقوله اما الخيام فانها كخيامهم واري نساء
الحي غير نسائها يعني التشبه بالمرقعات والهيات في الظواهر مع خلو القلوب من الصدق
والسرائر وقوله حصلت الفترة في الطريقة لابل اندرست الطريقة بالحقيقة بسبب
ذلك بقلة الشيوخ الذين يصح بهم الاهتداء وقلة الشباب الذين حسن منهم الاقتدا
فلما قل الصنفان حصل الخلل في ذلك الزمان وهذا انما اجراه الله غالب الحال
ممن انتسب الى شريف الاحوال وصار الحق مخفيا لظهور الفساد وعدم السلوك على

المحظورات

من كتب خير الدين الزركلي

وجه الحق والسداد واذا زال الورع وطوي بساطه وهو التفتيش عن الحلال والتثبت
عند القليل والقال قوي الطمع واشتد رباطه وذلك الحب الرفعة والمال واما
ان ترحل عن القلوب حرمة الشريعة فبهذا والعياذ بالله علامة الكفر والضلال في الحال
والمآل وكيف يمكن ان تكون اقوي الذرايع في حضور رفع القربات الاعراض عن وصل
الديانات وانما اطلق الا تمام ذلك لان ملاك الدين الورع وفساده الطمع فلما غلب
على تلك الطايفة حب الدنيا حتى اخذوا الاموال والفتوحات من جهة لا ترضي من السوقة
والنسوان والظلمة من اصحاب السلطان ولم يلتفتوا الى التمييز بين حلال وحرام واقبلوا على
ما صح منها من غير احتشام اطلق عليهم تلك المبالاة بالدين وعدوا ذلك ذريعة لمقاصدهم
الخسيسة لا لسلوك الصراط المستقيم ونيل الدرجات العلية ودانوا بترك الاحترام
وطرح الاحتشام وذلك لانهم لا يحترمون لكبير ولا لشيخ ولا لعالم ولا لمن يردهم عن مفاسدهم
ومذاهبهم وعدم وانكار احترامه واحتشامهم من جملة الصدق وعدم الالتفات الى غير
وهو جهل وكيف يكون صادقا من لم يعظم من عظم الله ولم يحترم من امر باحترامه
واستخفوا باداء العبادات واستهانوا بالصوم والصلوات هذه طايفة زعمت بجهلها
ان العبادات والطاعات انما هي وسايل لحضور القلب مع الله تعالي فاذا حصل المتوسل
اغنى عن الوسيلة وقد سيل الجنيد رضي الله عنه عن هذه الطايفة فقال الذي يسرق ويزني
احسن حالا ممن يقول هذا وصدق رضي الله عنه فان من يسرق ويزني يعتقد
نقص نفسه وعصيانه لربه ويرجي له التوبة والانتقال بخلاف من اعتقد ان من
جملة ما يقربه الي ربه ترك هذه العبادات والافعال فلا يرجع عن ذلك ابدا قال
بعضهم انه قيل له عن من يقول ذلك ويزعم انه وصل فقال صدق وصل ولكن وصل الى
لم ترضى انما تعاطوه من سوء هذه الافعال حتى اشاروا الى اعلا الحقايق والاحوال وادعوا
انهم تحرروا عن رق الاغلال وتحققوا بحقايق الوصال الى اخر الكلام معناه ان هذه
المقامات الصحيحة والاحوال الشريفة والبلوغ الى مقامات التوحيد والتفريد
والاشتغال بالحق عن من سواه ونيل الخلع والكرامات التي يسبغها على من تولاه من العبيد
يستحيل ان تجري على من اخل بالعبادات الواجبات من الصوم والصلوات وحقوق
الوالدين والقربات بل انما تجري حقا على من سلم من الاخلال بشي من الواجبات
وارتكاب شي من المحرمات وتعالي في درجات المندوبات الى محبة خالق الارض
والسموات كما دلت عليه الاخبار التي نقلناها الصحيحة من الكتب المشهورات
فدل ذلك على خطايهم في السلوك وكذبهم فيما ادعوه من المقامات ونيل الدرجات
العاليات من تلك الملوك قال القشيري رضي الله عنه ولما كان الابتلا بما حرر فيه

Copyright © King Saud University

من الزمان ما يوجب بعضه من هذه القصه وكنت لا ابسط الى هذه الغايه لسان الانكار غيرةً على هذه الطريقه ان يذكر اهلها بسوء او يجد مخالف لثلبهم مساغا اذ البلوى في هذه الديار بالمخالفين لهذه الطايفة والمنكرين عليها شديد ولما كنت اؤمل من ماده هذه الفتره ان تنحسم ولعل الحق سبحانه يجود بلطفه في التنبيه لمن حاد عن السنة المثلى في تضييع اداب هذه الطريقه ولما ابى الوقت الا استصعابا واكثر اهل العصر بهذه الديار الا تماديا فيما اعتادوه واغترارا بما ارتادوه اشفقت على القلوب ان تحسب هذا الامر على هذه الجمله بنيت قواعده وعلى هذا النحو سار سلفه فعلقت هذه الرساله اليكم اكرمكم الله وذكرت فيها بعض سير شيوخ هذه الطايفه في ادابهم واخلاقهم ومعاملاتهم وعقايدهم بقلوبهم وما اشاروا اليه من مواجيدهم وكيفيه ترقيهم من بدايتهم الى نهايتهم ليكون لمريدي هذه الطريقه قوه ومنكم لي بتصحيحها شهاده ولي في نشر هذا الشكوى سلوه ومن الله الكريم فضلا ومثوبه واستعين بالله سبحانه فيما اذكره واستكفيه واستعصمه من الخطا واستغفره وهو بالفضل جدير وعلى ما يشا قدير قال الشارح رضي الله عنه هذا الفصل اعتذار الامام رضي الله عنه فيه عما تقدم من ثلب المتشبهين بظواهرهم بالمحققين وخلو قلوبهم وابدانهم عن اخلاق اهل الدين وصفات المقربين وان الذي حمله على ذلك الخوف من ان يسبق الى اهل زمانه ان الحق ما هم عليه وان اسم التصوف موضوع على ما

تخلفوا بعد من ...

التصور والاشكال مع خلو الباطن من الصدق ووجود الاختلال وكان يرجو ان يتغير الحال وينبه الله سبحانه بفضله وطوله من حاد عن الحق الى الرجوع اليه والامتثال فلما لم يحصل ذلك راى ان النصح للمسلمين واجب عليه كما قال تعالى في كتابه واخذ على العلما في الحق لتبيننه للناس ولا تكتمونه فذكر صفات القوم واعتقاداتهم على مذهب اهل الحق والسنة وذلك اعمال جوارحهم ومواجيد قلوبهم وفضايلهم وعلمهم في درجات تعريبهم وتنقلهم في درجات ذلك الى ما تشغله عنهم تفضلا عن غيرهم وهو ما ياتي ذكره ان شاء الله تعالى فهذا روح هذا الفصل فصل في اعتقاد هذه الطايفة في مسايل الاصول

قال الامام القشيري رضي الله عنه اعلموا ارشدكم الله ان شيوخ هذه الطايفه

4 الطايفه

بنوا قواعد امرهم على اصول صحيحه في التوحيد وصانوا عقايدهم عن البدع ودانوا بما وجدوا عليه السلف واهل السنه من توحيد ليس فيه تمثيل ولا تعطيل عرفوا ما هو حق القدم وتحققوا بما هو نعت الموجود عن العدم ولذلك قال سيد هذه الطريقه الجنيد رحمه الله التوحيد افراد القدم من الحدث واحكموا اصول العقايد بواضح الدلايل ولايح الشواهد كما قال ابو محمد الجريري من لم يقف على علم التوحيد بشاهد من شواهده زلت به قدم الغرور في مهواة التلف يريد بذلك ان من ركن الى التقليد ولم يتامل دلايل التوحيد سقط من سبيل النجاة

و وقع

و وقع في اسر الهلاك ومن تامل الفاظهم وتصفح كلامهم وجد في مجموع اقاويلهم ومتفرقاتها ما يستانس به بان القوم لم يقصروا في التحقيق عن شاو ولم يعرجوا في الطلب على تقصير ونحن نذكر في هذا الفصل ان شا الله جملا متفرقات كلامهم فيما يتعلق بمسايل الاصول ثم نحرر على الترتيب بعدها ما يشتمل على ما يحتاج اليه في الاعتقاد على وجه الايجاز والاختصار ان شا الله قال الشارح رضي الله عنه مقصود هذا الفصل ان الامام وفقه الله حقق ان اهل التصوف سلكوا السنه في الاعتقاد وما درج عليه الصدر الاول من افاضل العباد من الصحابه والتابعين وانهم سلكوا الصراط المستقيم فلم يميلوا الى التشبيه والتمثيل كما مال اليه اهل الضلال من القايلين بقدم العالم والتعطيل والضلال واثبتوا الحق سبحانه بدليل افعاله الداله على وجوده وكمال صفاته المنزه عن مماثلة مخلوقاته والمخالف لها مخالفةً مطلقة بواضح الاستدلال وعرفوا حقيقه القدم وهو ما لا اول لوجوده وحقيقه الحدث وهو ما لوجوده اول وهو قوله ما هو حق القدم ما هو نعت الموجود عن العدم وهو الحادث الذي كان بعد ان لم يكن وهو معنى قول الجنيد التوحيد افراد القدم من الحدث يعني بالفرق بينهما بالادله العقليه وهو اثبات الوحدانية له تعالى ذاتا وصفة وفعلا ولم يركنوا الى محض التقليد المطلق الذي لا يستند الى الادله الصحيحه بل فيهم العلما المحققون والعوام المقلدون فاستنادهم الى العلما بالادله العقليه القاطعه يسلمهم من اتباع اهل الضلال ويوصلهم الى درجات العلما المحققين بفضل الله من الملك فان العالم والمتعلم في الاجر سوا ولذلك قال الجريري من لم يقف على علم التوحيد بشاهد من شواهده زلت به قدم الغرور في مهواة من التلف يعني يتمسك باي اعتقاد كان ولم يحسن لنفسه وافتقاره في كل حين الى تعلق به في صحته وسقمه وجوعه وشبعه وايمانه وكفره وطاعته وعصيانه ويعرف انه لا قدرة له على شي من ذلك بنفسه ويبقى في الدنيا كالبهايم ياكل ليعيش ويعمل ليا كل فهو من الهالكين الغافلين عما خلق له فهذا القدر من الاستدلال يدل العبد على وجود خالقه وافتقاره اليه في كل حركه وسكنه والعلما بما زاد على هذا يعرفون من حقيقه القدم وكمال الصفات وتعلقها بمتعلقاتها وغير ذلك مما احتوى عليه علم الاصول ما يدفع الله تعالى به اهل الضلال فيدخضهم على عقبهم بغير خبر ولا امثال وقد وعد الشيخ الامام رحمه الله ان يذكر اقوالهم ليدل بذلك على انهم عالمون بمسايل الاصول ونحن نتبع ما ياتي به ان شا الله تعالى ونبين وجه تعلقه بعلم الكلام والرد على اهل البدع والضلال بفضل الله تعالى ذي الجلال والاكرام قال الامام رضي الله عنه سمعت الشيخ ابا عبد الرحمن محمد بن الحسين السلمي رحمه الله يقول سمعت عبد الله بن موسى السلامي يقول سمعت الشبلي يقول جل الواحد المعروف قبل الحد و قبل الحروف هذا صحيح من الشبلي ان القدم سبحانه لا حد لذاته ولا حروف لكلامه قال الشارح رضي الله عنه

Copyright © King Saud University

هدايته الوديع القايلين بالجسمية وحدوث كلامه سبحانه وتعالى وانه يتكلم بحرف وصوت
تعالى عن قولهم علوا كبيرا وفيه اشارة الى انه سبحانه كان وليس معه غيره من ساير مخلوقاته من
العرش وغيره وساير من يتكلم بالاصوات والحروف وانه قديم لم يزل وانما يحملها حادثة بعد ان
لم تكن قال الامام رحمه الله سمعت اباحاتم الصوفي يقول سمعت ابانصر الطوسي يقول سيل رويم
عن اول فرض افترضه الله تعالى على خلقه ما هو فقال المعرفة لقوله تعالى وما خلقت الجن والانس
الا ليعبدون قال ابن عباس رضي الله عنه ليعرفون وقال الجنيد ان اول ما يحتاج اليه من عقد
الحكمة معرفة المصنوع صانعه والمحدث كيف كان احداثه فيعرف صفة الخالق من المخلوق
وصفة القديم من المحدث ويعترف بالملك لمن استوجبه قال الشارح رضي الله عنه جمع
كلام رويم والجنيد وهما ممن يقتدى بهما في هذا الشان فانهما جمعا بين علوم الاعمال والحقايق
واتفق كلاهما على ان اول واجب معرفة الله وهذا الواجب يجب بالشرع ويعرف بالعقل
فانه لا واجب عند اهل السنة الا بالشرع ولذلك استدل بقوله تعالى وما خلقت الجن
والانس الا ليعبدون وفسر ابن عباس ليعرفون وهذا صحيح فانه سبحانه انما خلق العالم ليستدل
به عليه وانما يستدل بذلك ارباب العقول وهم الجن والانس والملايكة ولهذا قال تعالى وفي
انفسكم افلا تبصرون ولهذا قيل اعرفكم بنفسه اعرفكم بربه فمن عرف نفسه بالحدث علم ان فاعله
لابد ان يكون قديما بالوجوب افتقار الحادث الى محدث قديم ولو قدر المحدث حادثا لتسلسل
وما تسلسل لم يحصل واذا عرف ربه وان من جايز انه ان يفعل ما يشا وانه ارسل الرسل وتعبد
خلقه بجنسه يتعبد بامر من تقدمت معرفته له فاول واجب معرفة ربه ويليه عبادته
له بامره ونهيه قال الامام القشيري رضي الله عنه اخبرني محمد بن الحسين قال سمعت
محمد بن عبد الله يقول سمعت ابا الطيب المراغي يقول للعقل دلالة وللحكمة اشارة وللمعرفة
شهادة فالعقل يدل والحكمة تشير والمعرفة تشهد ان صفا العبادات لا ينال الا بصفا
التوحيد وسيل الجنيد عن التوحيد فقال افراد الموحد بتحقيق وحدانيته بكمال
احديته انه الواحد الاحد الذي لم يلد ولم يولد بنفي الاضداد والانداد والاشباه
بلا تشبيه ولا تكييف ولا تصوير ولا تمثيل ليس كمثله شي وهو السميع البصير قال
الشارح رضي الله عنه قوله للعقل دلالة اي به يستدل وللحكمة اشارة الحكمة اصابة الصواب
في القول والفعل وللمعرفة شهادة اي تحقيق يعني ان العلما والحكما والعارفين اتفقوا
على ان صفا الاعمال انما يكون بصفا التوحيد ومعناه ان سلامة من الريا والعجب والشكون
اليه والاعتماد عليه انما يكون ذلك باشتغال القلب برويه الواحد وعظمته فاذا كان كذلك وقعت
الاعمال خالصة مبراة من كل شوب وجواب الجنيد لما سيل عن التوحيد فقال افراد
الموحد بتحقيق وحدانيته الى اخر كلامه يدل على ان التوحيد هو افراد الله تعالى بالذات

والصفات والافعال فهو واحد في ذاته وواحد في صفاته لا يشبهه غيره وواحد في افعاله ولذلك
قال الاحد الذي لم يلد ولم يولد فالاحد هو الواحد الذي لا كثرة فيه فليس منه شي وليس من شي
وليس له شبيه قال الامام رضي الله عنه سمعت ابابكر محمد بن احمد بن محمد بن يحيى الصوفي قال
سمعت عبد الله بن علي التميمي الصوفي يحكي عن الحسين بن علي الدامغاني قال سيل ابو بكر الزاهرا باذي
عن المعرفة فقال المعرفة اسم ومعناه وجود تعظيم في القلب يمنعك عن التعطيل والتشبيه وقال
ابو الحسن البوشنجي التوحيد ان تعلم انه غير مشبه للذوات ولا منفي الصفات قال الشارح
رضي الله عنه قوله المعرفة اسم يعني مسمى وهو معقول لا يشبهه شي فهو معلوم الثبوت وهو يعني
نفي التعطيل ولا يشبه شيا من المخلوقات فقوله اسم اراد به مسمى معلوما والا فلا يصح ان يكون
حقيقة المعرفة اسما وانما اراد علما بمعلوم معظم ثابت لا يشبهه شي وقول البوشنجي التوحيد ان تعلم
انه غير مشبه للذوات ولا منفي الصفات اشارة الى التنزيه واثبات الصفات القديمة ردا على نفاتها
من المعتزلة او من اثبتها حادثة لانه يستحيل اتصاف القديم بالمحدث قال الامام رضي الله عنه انا الشيخ
ابو عبد الرحمن السلمي رحمه الله قال سمعت محمد بن غالب قال سمعت ابانصر احمد بن سعيد الاسفنجاني يقول
قال الحسين بن منصور الزم الكل الحدث لان القدم له فالذي بالجسم ظهوره فالعرض يلزمه والذي بالاداة
اجتماعه فقواها تمسكه والذي يولفه وقت يفرقه وقت والذي يقيمه غيره فالضرورة تمسه
والذي الوهم يظفر به فالتصوير يرتقي اليه ومن اواه محل ادركه اين ومن كان له جنس طالبه كيف انه
سبحانه لا يظله فوق ولا يقطعه تحت ولا يقابله حد ولا يزاحمه عند ولا ياخذه خلف ولا يحده
ولا يظهره قبل ولم يفته بعد ولم يجمعه كل ولم يوجده كان ولم يفقده ليس وصفه لا صفة له
وفعله لا علة له وكونه لا امد له تنزه عن احوال خلقه ليس له من خلقه مزاج ولا في فعله علاج باينهم
بقدمه كما باينوه بحدوثهم ان قلت متى فقد سبق الوقت كونه وان قلت هو فالهاء والواو خلقه
وان قلت اين فقد تقدم المكان وجوده فالحروف اياته ووجوده اثباته ومعرفته توحيده
وتوحيده تمييزه عن خلقه ما تصور في الاوهام فهو بخلافه كيف يحل به ما منه بدا او يعود اليه
ما هو انشاه لا تماقله العيون ولا تقابله الظنون قربه كرامته وبعده اهانته علوه من غير توقل
ومجيه من غير تنقل هو الاول والاخر والظاهر والباطن القريب البعيد الذي ليس كمثله شي
وهو السميع البصير قال الشارح رضي الله عنه قوله الزم الكل الحدث اي احكم
واقطع بحدث الجميع فان القدم مخصوص به تعالى لانه يستحيل ان يكون محدثا لافتقار المحدث
الى محدث ويتسلسل فلزم ان يكون قديما وكلامه بعد ذلك في تفصيل المحدثات فكل ما كان
جسما فلا بد ان يقوم به العرض لملازمته للجواهر والاجسام لا يتخلى له خلوها عنه وقوله والذي
بالاداة اجتماعه يعني الاسباب فاذا فقدت الاسباب تفرق وقوله والذي يقيمه غيره فالضرورة
تمسه اشارة الى ساير المخلوقات فانها مفتقرة الى من يقيمها ويحفظها ان الله يمسك السموات والارض

Copyright © King Saud University

نزولا وقوله والذي يظفر به معناه انه لا يتوهم الا متخيل او متصور والحق سبحانه منزه عن ذلك
وقوله ومن اواه محل ادركه اين معناه ان اين سوال عن المحل والمكان وقوله ومن كان له جنس طالبه
كيف اي تحت الجنس انواع تتميز كالحيوان اسم للحي وهو جنس وتحته الانسان وغيره وهو
انواع منصوصة وقوله انه سبحانه لا يظله فوق ولا يقله تحت كلامه الي قوله ولم يفقد ليس تنزيه له
تعالى عن صفة الاجسام من الفوق والتحت والمحاذاة وغير ذلك وقوله وصفه لا صفة له معناه
اثبات الصفات لله تعالى منزهة عن ان توصف اي لا تكيف وقوله وفعله لا علة له معناه لا يفتقل
لعرض ولا حامل وقوله وكونه لا امد له اشارة الي دوام بقايه ويلزم منه نفي الاولية لوجوده
وقوله لم من خلقه مزاج ردا على الحلولية القايلين بالحلول وقوله ولا في فعله علاج اشارة الي
الي قوله انما قولنا لشي اذا اردناه ان نقول له كن فيكون اي يفعل من غير مباشرة ولا ملامسة ولا بالة
وقوله ان قلت متى فقد سبق الوقت كونه فمتى سوال عن الوقت وهو من الحوادث والله سابق جميعها
وقوله وان قلنا اين فقد تقدم المكان وجوده معناه ان اين سوال عن مكان وهو سبحانه منزه عن
الزمان والمكان وقوله فالحروف اياته يعني والله تعالى اعلم كلامه تعالى على لسان رسول الله صلى الله
عليه وسلم المعجز الذي هو دليل على صدقه عليه السلام فالايات هي الدلايل والمعجزات وقد عجز الخلق
كلهم عن الاتيان بسورة من مثله وحد المعجزة انها فعل الله تعالى خارق للعادة جار على حسب
دعوى مدعي النبوة وفي كلامه اشارة الى ان الحروف مخلوقة لله تعالى وقوله ووجوده اثباته يعني
وجود الحق اقامة الادلة على ثبوته والعلم بوجوده وقوله ومعرفته توحيده اذ من لم يوحده
لم يعرفه وقوله لا تماثله العيون ليس معناه انها لا تراه وانما المقلة هي جرم العين التي ترا في جهة
والحق منزه عن الجهات واما في الاخرة فالسعداء يرونه بادراك يخلقه الله لهم يدركون به ما ليس
جهة كما خلق في قلوب العارفين في الدنيا العلم بانه ليس في جهة ومن كان في هذه اعمى فهو في الاخرة
اعمى وقوله علوه من غير توقل يعني ارتفاع جلاله وعظمته من غير مكان وقوله ومجيئه من غير تنقل اشارة
الى قوله ينزل ربنا كل ليلة الى سما الدنيا اي ينزل امره وفضله على خلقه وهذا اورده الامام
ليدل بذلك والله اعلم على صحة عقيدة هذا الرجل وانما الذي يجري على لسانه مما يوجب فتنة
انما كان في وقت غلبة الاحوال وعثرة الحلبة في المقال والله راجع الى الكبير المتعال **قال** الامام
رضي الله عنه سمعت اباحاتم السجستاني يقول سمعت ابا نصر الطوسي السراج يحكي عن يوسف بن
الحسين قال قام رجل بين يدي ذي النون المصري فقال اخبرني عن التوحيد ما هو فقال هو ان تعلم
ان قدرة الله تعالى في الاشيا بلا مزاج وصنعه للاشيا بلا علاج وعلة كل شي صنعه ولا علة لصنعه
وليس في السموات العلى ولا في الارضين السفلى مدبر غير الله وكلما تصور في وهمك فالله بخلاف ذلك
قال الشارح رضي الله عنه وجميع هذا الكلام دليل على انفراد الله تعالى بالافعال ومن جملتها
افعال العباد لضرورة الحكم بحدث جميع ما في العالم وانفراده بالاحداث والخلق والتدبير وكل مصنوع

فانما كان يصنعه وارادته السابقة وقوله ولا علة لصنعه تنزيه عن الاغراض والحوامل على الافعال
وانه يفعل بلا محاولة ومباشرة وقد تقدم **قال** الامام رضي الله عنه وقال الجنيد التوحيد
علمك واقرارك بان الله واحد فرد في ازليته ولا ثاني معه ولا شي يفعل فعله **قال** الشارح رضي
الله عنه وهذا منه رضي الله عنه يدل على ان النطق بالتوحيد مع صحة الاعتقاد يسمى توحيد
او العلم بالوحدانية يسمى توحيدا وارفع التوحيد غلبة حكم التوحيد على القلب حتى لا يرى الا واحدا
يسمى توحيدا ولهذا قال في موضع اخر علم التوحيد مباين لوجوده ووجوده مباين لعلمه اراد ان
علم التوحيد غير نفس التوحيد ونفس التوحيد وجود غلبة حالة التوحيد على القلب
قال الامام رضي الله عنه قال عبد الله بن خفيف الايمان تصديق القلوب بما اعلمه الحق من
الغيوب **قال** الشارح رضي الله عنه وهذا ايمان بما جاء به الرسول عن الله تعالى واخبر
به عن ذاته وصفاته وافعاله وامره ونهيه ووعده ووعيده **قال** الامام رضي الله
عنه وقال ابو العباس السياري عطاوه على نوعين كرامة واستدراج فما ابقاه عليك فهو
كرامة وما ازاله عنك فهو استدراج فقل انا مومن ان شاء الله وابو العباس السياري كان شيخ
وقته **قال** الشارح رضي الله عنه وهذا منه رضي الله عنه قول بان الافعال كلها من الله
خيرها وشرها نافعها وضارها ولهذا قال قل انا مومن ان شاء الله لان الخير والشر منه ردا على القدرية
وقوله ان شاء الله نظرا الى العاقبة لا الى الحالة التي هو فيها وقوله وعطاوه على نوعين فسر بقوله
فما ابقاه عليك فهو كرامة وما ازاله عنك فهو استدراج معناه ان خوارق العادات اذا جرت
على العبد الموفق وقد كان يخاف من الله شديد الرغبة في طاعته فتقوى بقينه وشكره لربه
على نعمه فتدل ذلك على كونه كرامة اكرمه الله بها وان عجب بنفسه ومدح نفسه على ما خص
به وجرى على يديه كان ذلك مكرا واستدراجا الى الهلاك ولو لم يجر له هذا الخارق
وبقي مع خوفه وحذره واجتهاده في طاعته كان وليا له **قال** الامام رضي الله عنه سمعت
الاستاذ ابا علي الحسين ابن علي الدقاق رحمه الله يقول عن رجل رجال ابي العباس السياري
فقال له تحفظ رجلا ما نقلتها قط في معصية الله تعالى **قال** الشارح رضي الله عنه وهذا من
ابي العباس رضي الله عنه اظهار الاعمال لمن يقتدي به لتتزايد رغبته في الاقتداء والانتفاع فانه
اعلمه باكرام الله تعالى له وحفظه لاعضائه حتى لم ينقل رجله في معصية الله قط وبهذا
كان شيخ وقته ممن يقتدي به فاظهره لمن يقتدي به ولو لم يكن ممن يقتدى به لكان
اظهار الاعمال من الاسرار الى الاعلان من غير فايدة **قال** الامام رضي الله عنه وقال ابو
بكر الواسطي من قال انا مومن بالله حقا قيل له الحقيقة تشير الى اشراف واطلاع واحاطة
فمن فقده بطل دعواه فيها يريد بذلك ما قاله اهل السنة ان المومن الحقيقي من كان محكوما له
بالجنة فمن لم يعلم ذلك من سر حكمة الله تعالى فدعواه بانه مومن حقا غير صحيح **قال** الشارح

Copyright © King Saud University

رضي الله عنه وهذا اشارة الى ما روي ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لحارثة كيف اصبحت مومنا حقا
قال له ان لكل حق حقيقة فما حقيقة ايمانك قال عزفت نفسي عن الدنيا فاستوى عندي ذهبها ومدرها
وكاني انظر الى عرش ربي بارزا والى اهل الجنة في الجنة يتنعمون والى اهل النار في النار يتعاوون فقال
لذلك يا حارث واسهرت ليلي قال عليه السلام عرفت فالزم فحقيقة الايمان كما تضمنه الخبر الصحيح
في مسلم لما سال جبريل النبي صلى الله عليه وسلم عن الايمان فقال ان تومن بالله وملايكته وكتبه
ورسله واليوم الاخر وبالقدر خيره وشره ويتضمن ذلك حقائق الدنيا واحوال الاخرى وتفصيل
ما في الجنة والنار وطي السموات وحملة العرش للعرش وجميع ما تضمنه الكتاب والسنة فمن امن بذلك
ايمانا صحيحا يقينا حتى غلب على قلبه ذلك حتى كانه يشاهده وان كان غايبا عن بصره بصيرته
ويقينه بمصيرته وهو اظهر الاطلاع والاشراف على المغيبات بما جاءت به الانبياء عن الله فهو حقيقة
الايمان فمن احسه من نفسه فهو مومن حقا ومن لم يصل الى هذا الحد وجرى ذلك على لسانه مع خلو
قلبه عن معانيه فهو اما شاك او منافق ومعنى شهود له بالجنة ان من كانت هذه حالته المستقيمة فهو
المشهود له تعالى وقته ان مات عليها ولا نقول انه ليس مومنا الا لتباس عما نبينه عنا بل المومن مومن
قطعا في وقته والكافر كافر قطعا في وقته وان جاز التغيير على كل واحد منهما والعياذ بالله من الكفر فتحرزنا
لمكن لا عن غاس من القطع بالحاصل المتيقن في نفسه قال الامام رضي الله عنه سمعت الشيخ ابا عبد الرحمن
السلمي يقول سمعت منصور بن عبد الله يقول سمعت ابا الحسن العنبري يقول سمعت سهل بن عبد الله
التستري يقول ينظر اليه المومنون بالابصار من غير احاطة ولا ادراك نهاية وقال ابو الحسين
النوري شاهد الحق القلوب فلم ير قلبا اشوق اليه من قلب محمد صلى الله عليه وسلم فاكرمه بالمعراج
تعجيلا للروية والمكالمة قال الشارح رضي الله عنه فاما ما قاله سهل فان فيه وقوع
روية الله تعالى بالابصار في الاخرة لمن منّ عليه في الدنيا بمعرفته بالبصاير وقوله من غير احاطة
ولا ادراك نهاية لان الاحاطة والنهاية انما تكون في محدود ومحصور وهذه صفات
الاجسام والحق سبحانه منزه عن ذلك وكما استحال ان يكون جسما استحال ان يتطرق اليه
الحدود والاحاطة واما قول النوري شاهد الحق القلوب فلم ير قلبا اشوق اليه من قلب محمد
صلى الله عليه وسلم فهو اشارة الى وقت المعراج وان الله سبحانه لم يزل عالما بقلب محمد صلى الله
عليه وسلم وهو الذي خلق شوقه واوصله الى الرتبة الذي صلح ان يسمع كلامه فاكرمه بالمعراج
تعجيلا لفضله عليه بسماع كلامه ورويته على الاختلاف في ذلك بين العلماء هل راى ربه ليلة
المعراج او لم يره قال الامام رضي الله عنه سمعت الامام ابا بكر محمد بن الحسن بن فورك رحمه
الله يقول سمعت محمد المحبوب خادم ابي عثمان المغربي يقول قال لي ابو عثمان المغربي يوما يا محمد
لو قال لك احد اين معبودك ايش تقول قال كنت اقول حيث لم يزل قال فان قال فاين كان في الازل
ايش تقول قلت حيث هو الان يعني انه كما كان ولا مكان فهو الان كما كان قال فارتضى مني ذلك

ونزع قميصه واعطانيه قال الشارح رضي الله عنه وهذا من حسن التعليم والتاديب لمريديه
وامتحان صحة ايمانهم لتنبني اعمالهم على اصول صحيحة وتنقطع عنهم تلويهم الاوهام والالتفات الى
الجهات وذلك لانه ساله على وجه الامتحان ليعرف ما يعتقده فقال له لو قال لك قائل اين معبودك
وسوال اين سوال عن المكان وهو تعالى منزه عنه فاجابه بقوله حيث لم يزل وقوله حيث
لم يزل يعني استغنا وفي ازله عن الحيث فان قال لك فاين كان في الازل ايش تقول فاجابه حيث
هو الان فقد اعلى نفي الحيث عنه اولا واخرا وهو السوال عن المكان ولا زمان ولا مكان
وهو الذي خلق كل زمان ومكان فاعجب الشيخ ذلك واوهب له قميصه لكون الله سدده ووفقه
وظهوره له في تثبيته قال الامام رضي الله عنه سمعت الامام ابا بكر رحمه الله يقول
سمعت ابا عثمان المغربي يقول كنت اعتقد شيا من حديث الجهة فلما قدمت بغداد زال
ذلك عن قلبي فكتبت الى مكة الى اصحابنا اني اسلمت الان اسلاما جديدا سمعت محمد بن الحسين
رحمه الله يقول سمعت ابا عثمان المغربي يقول وقد سيل عن الخلق فقال قوالب واشباح تجري
عليهم احكام القدرة قال الشارح رضي الله عنه ففي كلامه الاول ذم لمن يعتقد الجهة
وان الله سبحانه على العرش بقوله قد اسلمت اسلاما جديدا وذلك انه لما وصل الى بغداد
وسمع كلام المحققين في تنزيه الحق اعترف بالحق وكتب به الى اخوانه بمكة الذين كانوا يعتقدون
مذهبه او يتعلمونه منه تخبرهم بخطابه فيما كان عليه وانه عرف الحق واتبعه وفي كلامه
الثاني ما يدل على ان الافعال كلها لله تعالى وان افعال العباد جارية بقدرة الله وهو مذهب
اهل الحق ورد على القدرية وذلك ان قوله سيل عن الخلق اي عن افعالهم فاجاب بانهم قوالب
واشباح تجري عليهم احكام القدرة القديمة اي افعالهم مخلوقة لله اذ لا خالق غيره قال
الامام رضي الله عنه وقال الواسطي لما كانت الارواح والاجساد قامتا بالله وظهرتا به لا
بذواتها كذلك قامت الخطرات والحركات بالله تعالى لا بذواتها اذ الحركات والخطرات
فروع الاجساد والارواح صرح بهذا الكلام ان كسب العباد مخلوقة لله تعالى وكما انه لا خالق
للجواهر الا الله كذلك لا خالق للاعراض الا الله قال الشارح رضي الله هذا الكلام فيه
اشارة الى الرد على القايلين بالحلول فان الارواح والخواطر الكائنة في القلوب كلها حادثة والمعاني
التي بها يكون الادراك والفهم عن الله تعالى كلها حادثة فان من الناس من زعم ان الاسرار قديمة
والقايلون بالحلول يصرحون بقدم الارواح فقوله لما كانت الارواح والاجساد قامتا
بالله اي وجدتا بقدرة الله كذلك الخطرات والحركات وجدتا بالله فان الحركات تابعة للاجسام
وهي الاعراض والخواطر تابعة للارواح فصح كلامه بحدث الجميع قال الامام
رضي الله عنه سمعت الشيخ ابا عبد الرحمن السلمي يقول سمعت محمد بن عبد الله يقول سمعت ابا
جعفر الصيدلاني يقول سمعت ابا سعيد الخراز يقول من ظن انه يصل بغير الجهد فمتمني

ومن ظن انه بغير الجهد يصل فمتمني وقال الواسطي اقسام قسمت ونعوت اجريت كيف تستجلب بحركات او تنال بسعايات **قال** الشارح رضي الله عنه في كلام ابي سعيد الخراز اشارة الى اثبات الكسب للعبد والتبري من الحول والقوة بغير الله فمن ظن انه بغير الجهد يصل فانه عن عون الله وقوته مستغن يعني انه متعوب ولا يصل الى مطلوب ومن ظن انه بغير الجهد يصل يعني الجهد في الاوامر والمناهي فمتمني ترك ما امر الله واغتر برحمة الله وعفوه ولكن على العبد ان يجتهد فيما امره ونهاه ويتكل على عونه وفضله في جميع ما يتعاطاه واما كلام الواسطي رحمه الله ففيه اشارة الى الرد على القدرية والتفات الى السوابق فانه لا يجري على العبيد في جميع الاحوال الا ما سبق في ارادة الله وقدره ولكن يتنزل كلامه بما يخلصه من مذهب الجبر وهو ان الحركات والسعايات والطاعات قد جعلها الله اسباب النجاة ويكون الفلاح مشروطا بجريانها وسبق في ارادة الله وعلمه ان فلاح العبد وسعادته مشروطة بهذه الحركات والطاعات ولابد من جريان السبب والمسبب جميعا وتدترتبت عليها وتليق بها لا من حيث العبد بل من حيث ترتيب الرب وقدره فهذا هو اثبات الكسب والتبري من الحول والقوة والتخلي **قال** الامام رضي الله عنه وسيل الواسطي عن الكفر بالله تعالى ولله فقال الكفر والايمان والدنيا والاخرة من الله والى الله وبالله ولله من الله ابتدا وانشا والى الله مرجعا وانتهاء وبالله بقاء وفناء ولله ملكا وخلقا **قال** الشارح رضي الله عنه في هذه اشارة الى الرد على المعتزلة في خروج بعض الافعال عن قدرة الله تعالى على زعمهم تعالى الله عن ذلك كالكفر والشر والظلم على زعمهم فسيل عن الكفر والايمان هل هما من الله خلقا وانشاء اي هو خالقهما ومنشيهما والى الله يوم القيامة يطالب بهما ويسل عنهما وبالله تصريح بان العبد لا يقدر على كفر وايمان الا بعون الله ولله طاعة من المطيعين وكفر وعصيان من الكافرين فبهذا الاعتبار كانا من الله والى الله وبالله ولله **قال** الامام رضي الله عنه وقال الجنيد سيل بعض العلماء عن التوحيد فقال هو اليقين فقال السايل بين لي ما هو فقال هو معرفتك ان حركات الخلق وسكونهم فعل الله تعالى وحده لا شريك له فاذا عرفت ذلك فقد وحدته **قال** الشارح رضي الله عنه فقوله لما سيل عن التوحيد هو اليقين اي ان توقن بان الله واحد لا شبيه له ولا شريك له مطلقا لا في ذاته ولا في صفاته ولا في افعاله فلما لم يفهم السايل ذلك نزل له قليلا الى الافعال خاصة فقال له ان تعلم ان حركات الخلق وسكونهم فعل الله تعالى فكلمه على حسب فهمه خاصة وخاطبه بالافعال وسكت عن الذات والصفات **قال** الامام رضي الله عنه سمعت محمد ابن الحسين رحمه الله يقول سمعت عبد الواحد بن علي يقول سمعت القاسم بن القاسم يقول سمعت محمد بن موسى الواسطي يقول سمعت محمد بن الحسين الجوهري يقول سمعت ذا النون المصري يقول وجاءه رجل فقال ادع الله لي فقال ان كنت قد ايدت في علم الغيب بصدق التوحيد فكم من دعوة مستجابة قد سبقت لك والا فان النداء لا ينقذ الغرقى **قال** الشارح رضي الله عنه

وهذا يحتمل وجهين احدهما ان الشيخ غلب على قلبه في هذا الوقت النظر الى السوابق وكلم هذا الشخص بما غلب عليه مع معرفته بان الدعا مطلوب محثوث عليه ولا سيما ممن يظن به الخير ويرجى بركته الدعاية الوجه الثاني ان يكون هذا السايل ممن يميل الى القدر ويبني على الاسباب فاجابه الشيخ بانك ان كنت من المخصوصين في علم الله تعالى وسابق قدره بدرجة الموحدين وقبلها فكم من دعوة مستجابة لك من الانبيا والصالحين الذين يدعون لساير المومنين والمومنات فاراد ان يحضه على معرفة الحق ويحصل درجة الموحدين **قال** الامام رضي الله عنه وقال الواسطي ادعى فرعون الربوبية على الكشف وادعت المعتزلة على الستر تقول ما شئت فعلت **قال** الشارح رضي الله عنه وهذا ذم عظيم لمذهب القدرية حتى ساوى بينهم وبين فرعون في الكفر فان كل من ادعى الربوبية فهو كافر الا ان فرعون صرح بذلك فقال انا ربكم الاعلى والقدرية قالوا نفعل ما نشاء فستروا دعواهم الربوبية بافعالهم فانه لا يفعل ما يشاء الا الله ولهذا قيل القدرية مجوس هذه الامة فانهم لم يرجعوا الى دين فان الرب هو المعبود لا العباد والمالك لا المملوك **قال** الامام رضي الله عنه وقال ابو الحسن النوري التوحيد كل خاطر يشير الى الله تعالى بعد ان لا تزاحمه خواطر التشبيه **قال** الشارح رضي الله عنه وهذا صحيح فان التوحيد تارة يطلق ويطلق على علم التوحيد بالوحدانية وتارة يطلق على نطقه بالوحدانية وتارة يطلق على حاله وافراده الحق بكل ما هو فيه واضافته له وهذا هو توحيد الصوفية وربما تبروا من هذا التوحيد ومن اضافته الى نفسهم وبقي استشعارهم واضافتهم اياه لمالكه وبهذا الاعتبار قال كل خاطر يشير الى الله يعني مفردا لا يزاحمه غيره لا التشبيه ولا غيره **قال** الامام رضي الله عنه انا الشيخ ابو عبد الرحمن السلمي رحمه الله قال سمعت عبد الواحد بن بكر يقول سمعت هلال بن احمد يقول سيل ابو علي الروذباري عن التوحيد فقال التوحيد استقامة القلب باثبات مفارقة التعطيل وانكار التشبيه والتوحيد في كلمة واحدة كلما صورته الاوهام والافكار فالله سبحانه بخلافه لقوله ليس كمثله شي **قال** الشارح رضي الله عنه وقوله استقامة القلب في اثبات الرب تعالى بصفاته مفارقا للتشبيه والتعطيل فالمشبهة كفروا والمعطلة جحدوا وقوله والتوحيد في كلمة واحدة وهو نفي ما صورته الاوهام وتخيلته الافكار فالله سبحانه بخلافه **قال** الامام رضي الله عنه وقال ابو القاسم النصراباذي الجنة باقية بابقايه وذكره لك ورحمته لك ومحبته لك باقية ببقايه فشتان ما بين ما هو باق ببقايه وبين ما هو باق بابقايه فهذا الذي قاله الشيخ ابو القاسم النصراباذي غاية التحقيق فان اهل الحق قالوا صفات ذات القديم سبحانه باقية ببقايه تعالى فنبه على هذه المسئلة وبين ان الباقي باق ببقايه بخلاف ما قاله مخالفو الحق **قال** الشارح رضي الله عنه وفايدة هذه المسئلة ان العبد يرقى همته ويكون مشغولا

Copyright © King Saud University

وكذلك ... الزبيب والبيض ... الزنبق ... [illegible]
... وكذلك لا ... انه ... [illegible]
والماء الغمر هو ... [illegible]

بنيل محبة الله تعالى ودنوه له وشرف منزلته عنده دون ما خلقه فيه من ابعاده من كراماته
ونيل عواطفه ودرجاته في دنياه واخرته من نعيمه في جنته فنال الجنة وما فيها والدنيا وما فيها
ما بغي منها فانا باقي بابقائه وهو انزيد رته ومحبته وذكره له ورحمته هي صفاته القديمة
التي لم تزل تنشا انه بين من علق قلبه بصفاته وبين من علق قلبه بافعاله فاراد الشيخ رحمه
الله نقله من الوقوف على الافعال الى كمال الصفات والذات وكمال الاشتغال بهما وهكذا حكم كلامي
في الصفات وهل هي باقية لا نفسها او بقاء لا يليق بهذا الموضع **قال** الامام رضي الله عنه
ابا الشيخ ابو عبد الرحمن محمد بن الحسين قال سمعت النصراباذي يقول انت متردد بين صفات
الفعل وصفات الذات وكلاهما صفة على الحقيقة فاذا هيمك في مقام التفرقة قرنك بصفات
فعله واذا بلغك الى مقام الجمع قرنك بصفات ذاته وابو القسم النصراباذي شيخ وقته **قال**
الشارح رضي الله عنه مراده ها هنا بالصفات الاسماء العبد بالا يذكر الله تعالى باسمائه
من جلاله وكماله وقدسه وبقائه فاذا كان متعلقا بما يدركه من صفات ذاته فتعالى فهو مقرون
بصفات ذاته تعالى اي باسب مجموع القلب عليها واذا ذكر الله تعالى بكونه خالقا رازقا منعما
متفضلا قرنه بالاسما التي تدل على افعاله وهي متسعة وقد تحد قلبه بالفكر في الافعال عن الكل
في الذات والصفات فقلد لذلك ههنا اي ترك قلبك وهو ملاحظ كما انت فيه فضل الله
تعالى عليك واحسانه اليك ولكن نزل ما بين مجموع القلب مع الحق وبين مفرق البال في تفاصيل
الخلق **قال** الامام سمعت الاستاذ الامام ابا اسحق الاسفرايني رحمه الله يقول
لما قدمت من بغداد كنت ادرس في جامع نيسابور مسألة الروح واشرح القول في انها مخلوقة
وكان ابو القسم النصراباذي قاعدا متباعدا عنا يصغي الى كلامي فاجتاز بنا بعد ذلك اليوم بايام قلايل
فقال لمحمد الفرا اشهد اني اسلمت على يدي هذا الرجل واشار الي **قال** الشارح رضي الله عنه
وظاهر هذا الكلام يدل على ان النصراباذي كان يعتقد قدم الروح فلما سمع الادلة على حدثها صرح
بانه اسلم على يدي هذا الرجل ويحتمل وجها اخر وهو انه لم يكن يعتقد القدم وكان يعتقد الحدث
ولكنه لم يطلع على وجه الدليل على ذلك فلما سمعه من الامام ابي اسحاق الاسفرايني انشرح
صدره وانفسح الدليل فعبر عنه بالاسلام وهو كمال الاستسلام والانتقال من الاعتقاد الى
العلم وقد قال المحاسبي رضي الله عنه في بعض اجوبته عن الروح وكونها بالبدن تحدا والباري
منزه عن التحديد وفي هذا اشارة الى الرد على من يقول بالحلول تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا
قال الامام رضي الله عنه سمعت محمد بن الحسين السلمي رحمه يقول سمعت ابا الحسين
الفارسي يقول سمعت ابراهيم بن فاتك يقول سمعت الجنيد يقول متى يتصل من لا شبيه له
ولا نظير له بشبيه ونظير هيهات هذا ظن عجيب الا بما لطف اللطيف من حيث لا درك
ولا وهم ولا احاطة الا اشارة اليقين وتحقيق الايمان **قال** الشارح رضي الله عنه وهذا

رضي الله عنه

كلام

الكلام في اطلاق فهم الوصول الى الله تعالى فيبين معناه وان الوصول ليس بالحس والقرب المعهود وانما هو
بكمال اليقين والمعرفة بالله تعالى ودوام الذكر له وقلة الغفلات ولهذا قال الا من جلس لذا فرا الدولة
وعم الى اخر الكلام فيبين معنى الوصول عند القوم **قال** الامام رضي الله عنه وانا محمد بن الحسين
رحمه الله تعالى سمعت عبد الواحد بن بكر يقول حدثني احمد بن محمد بن علي البردعي قال انا طاهر بن اسماعيل
الرازي قال قيل ليحيى بن معاذ اخبرنا عن الله عز وجل فقال اله واحد فقيل له كيف هو فقال ملك
قادر فقيل اين هو فقال بالمرصاد فقال السايل لم اسالك عن هذا فقال ما كان غير هذا كان من صفة المخلوق
فاما صفته فما اخبرتك عنه وانا محمد بن الحسين قال سمعت ابا بكر الرازي يقول سمعت ابا علي الروذباري
يقول كلما توهمه متوهم بالجهل انه كذلك فالعقل يدل انه بخلافه **قال** الشارح رضي الله عنه هذا
السايل الذي سال ابن معاذ قد يكون ممن يعتقد الجسمية والجهة فساله على وجه الامتحان فانكر عليه
سؤاله ورده بواضح الاجوبة لما ساله عنه تعالى فاجابه بانه اله واحد ثم ساله عن الكيفية المستحيلة
عليه تعالى فاجابه بصفاته وجلاله وهو الملك القادر ثم ساله عن المكان المنزه عنه لانه تعالى
كان ولا مكان فاجابه بانه تعالى بالمرصاد لانه تعالى وصف نفسه بذلك يعني يوم القيمة فقال
ما سالتك عن هذا فاجابه بان هذه صفة من سالت عنه واما غير ذلك فهي صفة المخلوق لا الخالق
والى نحو هذا السؤال والجواب ما صدر من فرعون لموسى لما قال له وما رب العالمين فاجابه بافعاله
الداله عليه فساله عن الماهية فاجابه بالافعال التي تدل على ثبوتها ووجودها والى هذا
يرجع قول الروذباري كلما توهمه متوهم بالجهل فالله بخلافه فان المتوهم الجاهل انما يتوهم
الاجسام المعهوده ذوات الاجيال والتقديرات والحق سبحانه بخلاف ذلك **قال** الامام
القشيري رحمه الله وسال ابن شاهين الجنيد عن معنى مع فقال مع على معنيين
مع الانبيا بالنصر والكلاه قال الله سبحانه انني معكما اسمع وارى ومع العامة بالعلم والاحاطة
قال الله تعالى ما يكون من نجوى ثلاثة الا هو رابعهم فقال ابن شاهين مثلك يصلح ان يكون دالا
للامه على الله **قال** الشارح رضي الله عنه هذا تفصيل ما يدل عليه لفظ المعية من الله تعالى
بالنسبة الى الخلق قال الله تعالى وهو معكم اينما كنتم وقال ان الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون
وقال انني معكما اسمع وارى وقال ولا ادنى من ذلك ولا اكثر الا هو معهم اينما كانوا فمع الكل
بالعلم والاحاطة واختص منهم الاوليا بالحفظ والعناية يتولى نصرهم ومعونتهم على طاعته
واختص الانبيا بالنصر والكلاية فيخرج من مجموع ذلك ان المعية بمعنى المجاورة والمقارنة
والمداناة في وصفه محال لتعدد معانيها **قال** الامام رضي الله عنه وسيل ذو النون
المصري عن قوله تعالى الرحمن على العرش استوى فقال اثبت ذاته ونفى مكانه فهو موجود بذاته
والاشيا موجوده بحكمه كما شا **قال** الشارح رضي الله عنه استوى يحتمل عدة معان منها ما يجوز
نسبته الى الله تعالى ومنها ما يستحيل عليه يقال استوى بمعنى جلس واستوى بمعنى اعتدل

Copyright © King Saud University

واستوى يعني قهر واستوى يعني علي واستوى يعني قصد فالقسمان الاولان يعني الاستقرار من الاستواء
والاعتدال عن الاعوجاج محالان في حق الله تعالى فانهما من صفات الاجسام واما قصد كما قال في موضع
اخر ثم استوى الى السما اي قصد الى فعل امر فيها واستوى يعني علا وتنزه كما قاله مجاهد واستوى يعني
استولى وقهر كما قيل استوى بشر على العراق هذا مما نصح نسبته الى الله تعالى فمن العلما من يعني ان
يكون المراد بلفظ استوى على العرش ما لا يليق بجلاله الله تعالى ويمسك عن تعيين المراد بالاية فان ذلك
هو الجحود وان يعتقد العبد في الله تعالى ما لا يصح نسبته اليه والتعيين لا تدعوا اليه حاجة دينية
ومن العلما من اختار التعيين بما يجوز وصفه به لازالة اللبس في لسلوك من الجواب فاختار سفين
الثوري قصد واختار مجاهد علا وتنزه واختار جماعة من العلما قهر وملك فقوله ان ... انه
من حيث دلالة اللفظ بقوله الرحمن ونفي مكانه من حيث دلالة العقد على انه ثابت قبل جميع خلقه
والعرش وغيره قال الامام رحمه الله سيل الشبلي عن قوله تعالى الرحمن على العرش استوى فقال
الرحمن لم يزل والعرش محدث والعرش بالرحمن استوى وسيل جعفر بن نصير عن قوله الرحمن على
العرش استوى فقال استوى علمه بكل شي فليس شي اقرب اليه من شي قال الشارح رضي الله عنه فاما
الشبلي فاشار الى استحالة تعالى عن العرش بجلاله فانه قديم والعرش محدث فكما استغنى عنه قبل ان
يخلقه فهو غني عنه بعد خلقه وانما خلقه وجعله العالم ليستدلوا بعظمته على عظم خالقه واذا كان الكرسي
الذي هو بين يدي العرش وسع السموات والارض بنص القران فكيف يكون العرش الذي
هو صفة من العرش موضع الكرسي من السرير ولا يقدر قدر العرش الا الله تعالى وقوله والعرش بالرحمن
استوى يعني بقدرته وارادته وقول جعفر بن نصير لما سيل عن قوله تعالى الرحمن على العرش استوى علمه
بقدرته بكل شي يعني بكل مخلوق والعرش من جملة مخلوقاته فاشار الى الفرق بين الصانع
والمصنوع والقديم والمحدث قال الامام رضي الله عنه وقال جعفر الصادق من زعم ان
الله تعالى في شي او من شي او على شي فقد اشرك لو كان على شي لكان محمولا ولو كان في شي لكان
محصورا ولو كان من شي لكان محدثا وقال جعفر الصادق في قوله تعالى ثم دنى فتدلى من توهم
انه بنفسه دنا فقد جعل ثم مسافة انما التداني انه كلما قرب منه بعد من انواع المعارف
اذ لا دنو ولا بعد قال الشارح رضي الله عنه فقول جعفر الاول من زعم ان الله تعالى في شي او من
شي او على شي فقد اشرك الى اخر كلامه يحتمل احد معنيين احدهما انه جعل معه شي قديم
وقد قامت الادلة على وحدانيته تعالى ولهذا الاعتبار اشرك معه في القدم غيره والمعنى
الثاني اطلق الاشراك على الكفر وهو اعتقاد الحدث فان من قال ان الله سبحانه في شي فقد
جعله محدودا محصورا وهذه صفات الاجسام ومن قال من شي فقد جعله مخلوقا
مصنوعا مولودا ومن قال على شي فقد جعله محمولا وهذا كله يدل على الجسمية وهو كفر
وقوله الثاني في تاويل قوله تعالى ثم دنى فتدلى من توهم انه دنى بنفسه من الحق سبحانه كما يعهد

على العرش استوى صح

بين الناس بالحس فقد جعل ثم مسافة وبكانا وهو سبحانه منزه عن الزمان والمكان وانما دنو النبي
صلى الله عليه وسلم من ربه تعالى حمل على احد وجهين يحمل على وصوله الى مكان شريف من مخلوقاته
الذي لم يبلغه غيره من البشر ويدل عليه ما روي من مفارقة جبريل النبي صلى الله عليه
وسلم وقال وما منا الا له مقام معلوم وما ذكر من الرفرف فيكون الاشارة هاهنا بدنا اي قرب من
المكان الشريف الذي لم يبلغه غيره كما ان الناس في الجنة يزورون الله تعالى في جنة عدن وهي محل
كشف الحجاب عنهم ومحل زيارتهم فيكون الحق سبحانه شرف هذه الجنة بان جعلها زيارتهم
ولذلك دنوا النبي صلى الله عليه وسلم الى هذا المقام الذي اختصه به وبلغه اياه في ليلة الاسرا
... الوجه الثاني ما اشار اليه جعفر ابن محمد في كلامه من انه كمال اشتغال بالله تعالى
وقرب قلبه من رويته ومناجاته وذكره حتى غاب عن ساير المخلوقات فلا يحس غيره ولكمال شغله
به وهذا جاير في الدنيا والاخرة فانه كل من كمل شغله بجلال الله تعالى وجماله ورويته ومناجاته
بعد قلبه عن ذكر غيره بل ربما بعد عن ذكر نفسه واحساسه عن كونه ذاكرا فبهذا
الاعتبار يكون القرب لا بالحس تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا قال الامام القشيري رحمه
الله ورايت بخط الاستاذ ابي علي رحمه الله انه قيل لصوفي اين الله فقال اسحقك الله
تطلب مع العين اين انا اخبرنا الشيخ ابو عبد الرحمن السلمي رحمه الله قال سمعت ابا العباس
ابن الخشاب البغدادي رحمه الله يقول سمعت ابا القاسم بن موسى يقول سمعت
محمد بن احمد يقول سمعت الانصاري يقول سمعت سعيد الخراز يقول حقيقة القرب
فقد حس الاشيا من القلب وهدو الضمير الى الله تعالى قال الشارح رضي الله
عنه وهذان القولان جايزان على ما فسرنا به احد الوجهين في الدنو من انه اذا امتلا
القلب بذكر الله تعالى والشغل بمناجاته فقد العبد حس غيره من قلبه فاما دعاء الاول
على السايل بقوله اسحقك الله تطلب مع العين اين فيدل على ان المسول كان في حالة الحضور
مع الله وكان لا يرى في كل متحرك ولا ساكن الا الله فكان كل متحرك عنده وساكن انما يتحرك
ويسكن بالله فصار كالعيان عنده فلغلبة ذلك على قلبه قال اسحقك الله اي بعدك الله
تطلب مع العين اين وان سوال عن غايب ودعاوه باسحقك الله يحتمل وجهين احدهما
وهو الاحسن ان يكون دعا له بان يغيبه الله عن نفسه بكمال شغله بربه حتى ينال ما
نال عنه ومن حاله اصطلاحا يسمى المسحق والمحق فمن شغله الله بذكره عن نفسه وتغيب
بقيه يتنعم بها يسمونه سحقا ومن اصطلم بالكلية عن نفسه يسمونه محقا فالمحق
عندهم اتم من السحق فالسحق يبقى اثر والمحق ابلغ منه لذلك والوجه الثاني وهو دون هذا ان
يكون يتشوش عليه حاله بسوال عن الاين وهو المكان فلم يحتمله فدعا والاول اولى قال الامام
رحمه الله سمعت محمد بن الحسين يقول سمعت محمد بن علي الحافظ يقول سمعت ابا معاذ القزويني

Copyright © King Saud University

يقول سمعت ابا علي الدلال يقول سمعت ابا عبد الله بن خفيف يقول سمعت ابرهيم الخواص يقول
انتهيت الي رجل وقد صرعه الشيطان فجعلت اوذن في اذنه فناداني الشيطان من جوفه
دعني اقتله فانه يقول القران مخلوق وقال ابن عطا ان الله تعالي لما خلق الاحرف جعلها سرا له
فلما خلق ادم عليه السلام بث فيه ذلك السر ولم يبث ذلك السر في احد من ملايكته فجرت
الاحرف علي لسان ادم عليه السلام بفنون الجريان وفنون اللغات فجعلها الله تعالي صورا
لها صرح ابن عطا رحمه الله بان الحروف مخلوقة وقال سهل بن عبد الله ان الحروف لسان
فعل لا لسان ذات لانها فعل في مفعول قال وهذا ايضا تصريح بان الحروف مخلوقة
قال الشارح رضي الله عنه اجتمع قول الخواص وابن عطا وسهل علي التصريح بان الحروف
مخلوقة ردا علي من زعم ان الله سبحانه يتكلم بالحروف والصوت وان الحادث يستحيل ان يكون
صفة للقديم فاما قول الخواص فنادني الشيطان من جوفه دعني اقتله فانه يقول القران
مخلوق فهذا من خوارق العادات وهو كلام الجن لبني ادم بنص القران في الاسلام بعضهم
لما سمعوا قراة النبي صلي الله عليه بنخلة او بعكاظ فرجعوا الي قومهم منذرين واعظين
فدل الحادث من قول الجن علي كفر من قال هذا القول وانه يستحق القتل واما قول ابن عطا
خلق الله الحروف وجعلها سرا له معناه اسرها عن الملايكة وعلمها ادم وهذا معني قوله ثم
بثها فيه كما قال تعالي وعلم ادم الاسما كلها وهو الذي خلقها علي لسان ادم واجرا اهل الابتدا
بالاسما كلها وقوله جعلها صورا معناه قوالب نفهم منها المعاني الذي دلت عليها فادم
وكلامه كل ذلك مخلوق لله تعالي واما كلام سهل فيرجع الي هذا وهو انها ادلة افعال الا ان اللسان
عبارة عما يفهم منه فالحروف دلت علي فاعلها وحدوثها لا علي انها صفة له وقايمة بذاته
اذ ليس يرجع من الفعل للذات صفة حقيقية قايمة بالذات وانما الافعال كلها واقعة بقدرة
الله علي حسب ارادته وعلمه والحروف من جملة افعاله قال الامام القشيري رحمه الله وقال
الجنيد في جوابات مسايل الشاميين التوحيد عمل القلب والتوحيد قول القلب قال هذا
قول اهل الاصول ان الكلام هو المعني الذي قام بالقلب من معني الامر والنهي والخبر
والاستخبار وقال الجنيد في مسايل الشفوية مبين تفرد الحق بعلم الغيوب فعلم ما كان
وما يكون ان لو كان كيف كان يكون قال الشارح رضي الله عنه قول ابي القاسم
الجنيد الاول دلالة علي اثبات كلام النفس علي ما ذهب اليه اهل السنة وان الكلام لا
يختص بقول اللسان وقد قال تعالي ويقولون في انفسهم لولا يعذبنا الله بما نقول فجعل
القول في النفس واللسان جميعا وكلام النفس ليس بحروف ولا اصوات وانما الحرف والصوت
من توابع الالفاظ وفرق في هذا الكلام بين العلم وكلام النفس فان من انكر كلام النفس رده تارة
الي العلم وتارة الي الارادة وفي قوله الثاني تعلق علمه القديم بالواجب والجايز والمستحيل

بقوله بما كان شانه الي الموجود وقوله وما يكون شانه الي الجايز الوجود وكذلك ما لا يكون مما لا يصح
ان يكون فهو احد قسمي الجايز ويوخذ من هذا عموم تعلق علمه بكل معلوم سبق في علمه وجوده
علي التفصيل فان نعيم اهل الجنة وعذاب اهل النار لا يتناهي وكما يقع به اهل الحق وبحد به
اهل الضلال معلوم له علي التفصيل قال الامام رضي الله عنه وقال الحسين بن منصور من عرف
الحقيقة في التوحيد سقط عنه لم وكيف قال الشارح رضي الله عنه يعني ان حقيقة التوحيد
افراد الله تعالي ذاتا وصفة وفعلا وان من جايزاته ان له ان يفعل ما يشا وانه لا يقع خلاف
ما سبق ولا يتغير معلوم ولا يتبدل مقسوم فمن صح عنده هذا المعني سقط عن قلبه الاعتراض
علي ما هو من لوازم في الاضلال والهداية والفساد ومقتضي الحكمة ولم وكيف فانه له ان
يفعل ما يشا ولا يسال عما يفعل وهم يسالون قال الامام رحمه الله ابو علي بن الحسين قال سمعت منصور
ابن عبد الله يقول سمعت جعفر بن محمد يقول قال الجنيد اشرف المجالس واعلاها الجلوس مع الفكرة
في ميدان التوحيد قال الشارح رضي الله عنه والله اعلم الجلوس مع الله تعالي بالفكر في عظمته وجلاله
وتنزيهه ووحدانيته في قدمه وبقايه واستغنايه عن خلقه وكمال صفاته وتعلقها بمتعلقاتها
من علمه وارادته وقدرته ووجود العظمة التي يدهش والكمال الذي يحير فهذه الحالة اشرف
احوال العبد بالنسبة الي فكرته في الجنة وما احتوت عليه من الخيرات وفي النار وما احتوت عليه من
اصناف العذاب وانواع المشقات وكذلك الفكر فيما احتوت عليه الارض من المخلوقات وانواع الحيوانات
والنباتات وغير ذلك فان هذه اسباب تدل علي كمال فاعلها وخالقها فاذا وصل القلب الي معرفته
وبقي مشغولا بالنظر في كماله وجلاله كان ذلك من اشرف احواله وان كانت احوال المتفكر في الامور
الدينية كلها شريفة قال الامام رحمه الله وقال الواسطي ما احدث الله شيا اشرف من الروح
صرح بهذا الكلام ان الروح مخلوقة قال الشارح رضي الله عنه فيه رد علي القايلين بقدم الارواح
والصايرين الي حلولها في الاشباح من النصارى وغيرهم ممن يعتقد التناسخ والنجاح قال
الامام القشيري رحمه الله فدلت هذه الحكايات علي عقايد مشايخ الصوفية توافق اقاويل
اهل الحق في مسايل الاصول وقد اقتصرنا علي هذا المقدار خشية خروجنا عما اثرناه من الاختصار قال
الشارح رضي الله عنه ما ذكره الامام رحمه الله صحيح وقد نبهنا علي وجوه مقالاتهم في التوحيد واجرايها
علي مسايل الاصول والله المستعان والموفق فصل بالاسناد الامام ابو القاسم القشيري
جمال الاسلام رضي الله عنه وهذه فصول تشتمل علي بيان عقايدهم في مسايل التوحيد ذكرناها علي
وجه الترتيب قال شيوخ اهل هذه الطايفة علي ما تدل عليه متفرقات كلامهم ومجموعاتها
ومصنفاتهم في التوحيد ان الحق سبحانه موجود قديم واحد حكيم قادر عليم قاهر رحيم مريد
سميع مجيد رفيع متكلم بصير متكبر قدير حي احد باق صمد وانه عالم بعلم قادر بقدرة مريد
بارادة سميع بسمع بصير ببصر متكلم بكلام حي بحياة باق ببقاء وله يدان هما صفتان يخلق بهما

Copyright © King Saud University

جنب ... وافعلي ... بالعقر ونحو ذلك مما لم ... والتراب وافعل الصلاة ...
والاستنجا والتراب والعقالم وفي الثار ... بعوبه ... وبطل ... لازالة النجاسة

مابتا على التخصيص وله الوجه الجميل وصفات ذاته مختصة بذاته لا يقال هي هو ولا هي غيره بل
هي صفات له ازليه ونعوت سرمديه وانه احدي الذات ليست تشبه شيا من المصنوعات
ولا يشبهه شي من المخلوقات ليس بجسم ولا جوهر ولا صفاته اعراض لا يتصور في الاوهام ولا يتقدر
في العقول ولا له جهة ومكان ولا يجري عليه وقت وزمان ولا يجوز في وصفه زياده ولا نقصان
ولا تخصه هيه ولا قد ولا تقطعه نهايه وحد ولا تحله حادث ولا تحمله على الفعل باعث ولا
تجوز عليه لون ولا كون ولا ينصره مدد ولا عون ولا يخرج عن قدرته مقدور ولا ينفك عن
حكمه مفطور ولا يعزب عن علمه معلوم ولا هو على فعله كيف يصنع وما يصنع ملوم لا يقال له اين
ولا حيث ولا كيف ولا يستفتح له وجود فيقال متى كان ولا ينتهي له بقا فيقال استوفي الاجل والزمان
ولا يقال لم فعل ما فعل اذ لا علة لافعاله ولا يقال ما هو اذ لا جنس له فيتميز بامارة عن اشكاله
يرى لا عن مقاله ويرى لا على مقابلة ويصنع لا بمباشرة ومزاوله له الاسما الحسنى والصفات
العلا يفعل ما يريد ويذل لحكمه العبيد لا يجري في سلطانه الا ما يشا ولا يحصل في ملكه غير ما سبق العلما
به القضا ما علم انه يكون من الحادثات اراد ان يكون وما علم انه لا يكون مما جاز ان يكون اراد ان
لا يكون من الحادثات اكساب العباد خيرها وشرها ومبدع ما في العالم من الاعيان والاثار قلها
وكثرها ومرسل الرسل الى الامم من غير وجوب عليه ومتعبد الانام على لسان الانبيا عليهم السلام بما لا
سبيل لاحد باللوم والاعتراض اليه ومويد نبينا محمد صلى الله عليه وسلم بالمعجزات الظاهره والايات
الزاهره بما ازاح به العذر واوضح به اليقين والنكر وحافظ بيضه الاسلام بعد وفاته
صلى الله عليه وسلم بخلفايه ثم حارس الحق وناصره بما يوضحه من حجج الدين على السنة اوليايه عصم الامه
الحنيفيه عن الاجتماع على الضلاله وحسم ماده الباطل بما نصب من الدلاله وانجز ما وعد من نصرة
الدين بقوله ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون فهذه فصول تشير الى اصول المشايخ على وجه
الايجاز وبالله التوفيق قوله الشارح رضي الله عنه ما ذكره الامام رضي الله عنه من عقيده
اهل السنه فقد درج فيما تقدم نسبته الى المشايخ وزياده عن ذلك وفي بعض كلامه رضي الله
عنه ما يحتاج الى تنبيه وهو قوله باق ببقا فان للعلما فيه اختلافا وذلك ان وجوده
سبحانه لنفسه لا اول له واذا تحقق ذلك استحال ان يكون له اخر فيكون البقا على هذا عبارة
عن دوام وجوده لا يرجع الى معنى ويلزم من القول بان البقا معنى قايم المعنى بالمعنى وذلك محال
كما تقرر في غير هذا الموضع فالباري سبحانه صفاته معان قديمه علم وقدره واراده
وسمع وبصر وكلام وكذلك قوله له يدان هما صفتان فاليد تطلق على يد القدره وتطلق على
يد النعمه يقال له على يد اي نعمه وله يد وسطوه اي قدره وقال تعالى في كتابه العزيز والله فوق
ايديهم وقال لما خلقت بيدي يعني ادم والله تعالى انما خلقه بقدرته وخصه بما جبله عليه
بارادته واكرمه بسجود ملايكته فله سبحانه عليه يد القدره ويد النعمه وعلى الجمله فالذي يعتقد

ان

يعني انه اختلف في ازالة النجاسة عن ثياب المصلي ... وبدنه ام موضع صلاته هل
هي واجبة مع الذكر والقدرة وفاقا ... البغدادي ... عن ... ابن القاسم
سنة ... وشهر ابن ... المطالب ... موضع وقال ...

ان الله سبحانه منزه عن معنى الجارحه وان ذلك محال في وصفه لانه ليس بجسم وكذلك الوجه
يقال فعلته لوجهك اي لك ولامرك وحرمتك وجلالك ونسلك في هذه المواضع التي وردت
فيها هذه الالفاظ في الكتاب والسنه ما اختاره الصدر الاول من نفي ما لا يليق بجلال الله
سبحانه والامساك عن التعيين والتخصيص اذ لم يتعلق به عمل ديني وقوله في صفاته سبحانه
المعنويه لا يقال هي هو ولا هي غيره معناه ان من قال هي هو نفى الصفات واثبت ذاتا
خاصه ومن قال هي غيره فقد جعلها اغيارا وجوز مفارقتها للذات فان حد الغيرين ما يجوز
مفارقه احدهما للثاني في زمان ومكان ووجود وعدم وصفاته سبحانه قديمه قايمه
بذاته يستحيل عليها التغير والتبديل وقوله يرى لا على مقابله ردا على المعتزله في اشتراطهم
في الرويه بنيه مخصوصه وخروج اشعه تتصل بالمقابله والحق سبحانه منزه عن الجهات
والاقطار ويرى سبحانه في الاخره بادراك يخلقه الله تعالى في الابصار يدرك به ما ليس في جهه
وقوله ويرى لا عن مقابله تنزيه في الدنيا على ما ليس في جهه وقوله ويرى لا عن الحق سبحانه ... [illegible]
الحدق والاجفان والمقابله لان ذلك من صفات الاجسام وانما رويته سبحانه لساير الموجودات
صفه قديمه قايمه بذاته كعلمه المتعلق بالموجودات والجايزات والمستحيلات قال
الامام رضي الله عنه باب ذكر مشايخ هذه الطريقه وما يدل من سيرهم
واقوالهم على تعظيم الشريعه اعلموا رحمكم الله ان المسلمين بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم
لم يتسم افاضلهم في عصرهم بتسميه علم سوى صحبه الرسول صلى الله عليه وسلم اذ لا فضيله
فوقها فقيل الصحابه ولما ادرك اهل العصر الثاني سمي من صحب الصحابه التابعين
وراوا ذلك اشرف سمه ثم قيل لمن بعدهم اتباع التابعين ثم اختلف الناس وتباينت المراتب
فقيل لخواص الناس ممن لهم شده عنايه بامر الدين الزهاد والعباد ثم ظهرت البدع
وحصل التداعي بين الفرق فكل فريق ادعوا ان فيهم زهادا فانفرد خواص اهل السنه
المراعون انفاسهم مع الله تعالى الحافظون قلوبهم عن طوارق الغفله باسم التصوف واشتهر
هذا الاسم لهولا الاكابر قبل المايتين من الهجره ونحن نذكر في هذا الباب اسامي جماعه
من شيوخ هذه الطايفه من الطبقه الاولى الى وقت المتاخرين منهم ونذكر جملا من سيرهم
واقاويلهم بما يكون فيه تنبيه على اصولهم وادابهم ان شا الله تعالى فمنهم الشيخ ابو اسحق ابراهيم
ابن ادهم ابن منصور من كوره بلخ كان من ابنا الملوك فخرج يوما متصيدا واثار ثعلبا او ارنبا
وهو في طلبه فهتف به هاتف الهذا خلقت ام بهذا امرت ثم هتف به من قربوس
سرجه والله ما لهذا خلقت ولا بهذا امرت فنزل عن دابته فصادف راعيا لابيه
فاخذ جبه الراعي من صوف فلبسها واعطاه فرسه وما معه ثم انه دخل البادية ثم وصل مكة

وقال ... ابن القاسم ... مع اللد ... وللغفل ... مع العجز والنسيان ... وقال عبد ... لا خلاف ... قوله ... منه ... فيجب ... ابيضا ... ولا ... اعذر ... للاصعر ... الغول ... الغم ... لواجب ... الذكر ... لم يذكر ... مرة ... العهد ... للطهر ... الى ...

وصحب بها سفيان الثوري والفضيل ابن عياض ودخل الشام ومات بها رحمه الله وكان ياكل من عمل يده
مثل الحصاد وحفظ البساتين وغير ذلك وانه راي في البادية رجلا علمه اسم الله الاعظم فدعا به بعده
فراي الخضر عليه السلام وقال انما علمك اخي داود اسم الله الاعظم اخبرني بذلك الشيخ ابو عبد الرحمن
السلمي رحمه الله قال نا محمد بن الحسين بن الخشاب قال نا ابو محمد الحسين بن علي بن محمد المصري قال
حدثني ابو سعيد الخراز قال نا ابراهيم بن بشار قال صحبت ابراهيم ابن ادهم فقلت خبرني عن بدي
امرك فذكر هذا وكان ابراهيم بن ادهم كبير الشان في الورع يحكى عنه انه قال اطب مطعمك ولا عليك ان
لا تقوم بالليل ولا تصوم بالنهار وقيل كان عامة دعايه اللهم انقلني من ذل معصيتك الى عز طاعتك
وقيل لابراهيم بن ادهم ان اللحم قد غلا فقال ارخصوه اي لا تشتروه قال الشارح رضي الله عنه
ما سمعه من الهاتف يحتمل ان يكون صوتا من ملك او من ولي سمعه باذنيه ويحتمل ان يكون
خاطرا وقع في قلبه والاول اظهر واما ما سمعه من قربوس سرجه واكد باليمين انه ما لهذا خلق
ولا به امر وهذا سماع صوت من قربوس السرج فهو مما لا شك فيه فيجوز ان يكون ملكا ويجوز ان
يخلق الله من السرج صوتا يسمعه يعظه به والاصوات لا يشترط في قيامها الحياة على مذهب
اهل الحق فقد سبح الحصا في كف النبي صلى الله عليه وسلم والصحابة وقد سمعوا حنين الجذع الذي
كان النبي صلى الله عليه وسلم يخطب اليه حين انتقل الى المنبر عليه السلام واكله من عمل يده وورعه
وحراسته الكرم مشهوره وهو اصل في حله واستر لحاله وكونه لقي رجلا يسمى داود علمه اسم الله
الاعظم فاسما الله تعالى كلها عظيمة فقال بعض الناس اسم الله الاعظم ما دعوته به في حال تعظيمك له
وانقطاع قلبك اليه وافرادك اياه بالهمة فما دعوت به في هذه الحالة استجيب لك باي اسم دعوت
فاذا كان الامر على هذا الوجه فيكون علمه الحالة التي اجرى الله العادة بالاستجابة لمن دعاه
وهو عليها وقائم بقوله تعالى امن يجيب المضطر اذا دعاه وقيل هو اسم مخصوص يعلمه الله
من يشاء من خواصه ممن لا يدعو به الا في الموضع الذي يصلح وقد حكي ان رجلا صالحا صحب
ذا النون المصري مدة من الزمان وخدمه سنين ثم قال له يا ابا الفيض انت تعلم صلاحيتي
لما اسالك عنه وامانتي عليه احب ان تعلمني اسم الله الاعظم فانه بلغني انك تعرفه قال فسكت عنه
ذو النون مدة واوهمه انه يعلمه ثم اخذ ذو النون يوما طبقا فجعل فيه فارة حية واكب عليه
غطا وشده في مئزر وقال لهذا الرجل تعرف صاحبنا الذي بالجيزة بالمكان الفلاني ووصفه
له حتى عرفه ثم قال له تتوصل اليه هذه الامانة قال فاخذ الرجل الطبق ومضى ليوصله الى ذلك
الرجل فوجد الطبق خفيفا فتعجب مما فيه وحسن عنه حله والنظر الى ما فيه فلما رفع الغطا
نفرت الفارة فهربت قال فازداد غيظا وقال يسخر بي ويجعلني فارة هدية فقال العلماء رايت علم
ساي نفسي وراي حالتي التي انا عليها فقال لي امسكين ايتمنتك على فارة فلم تود الامانة فكيف

يمتنك

ايمانك على اسم الله الاعظم اذهب فلست تصلح له وهذا يدل لمن تعلق به على انه اسم معين يخص
الله به من يشاء من اوليائه وكذلك قال له الخضر انما علمك اخي داود وهذا يدل على ان الخضر عليه
السلام موجود الى زمن ابراهيم وغيره وبعده بالنقل الصحيح عن الاوليا الى زمننا
ردا على من يزعم انه مات ويتمسك بالخبر المروي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال لا يبقى
راس مائة سنة وعلى وجه الارض نفس منفوسة ممن هي عليها الان وهذا عام يحتمل
التخصيص واذا ثبت النقل الصحيح عن الاوليا في كل زمان انه حي اعتمد عليه والعام يجوز
تخصيصه ولا مناقضة بين الخبر والنقل بحياته وقوله اطب مطعمك ولا عليك ان لا تقوم
بالليل ولا تصوم بالنهار يحرض على الاشتغال بالاولى والاسوى على النفس والانفع في القلوب
والابدان فان طيب المطعم كالزيت الصافي في القلوب واذا صلحت القلوب تبعتها الابدان
ولم ياس رضي الله عنه بترك الصوم والصلاة وانما اراه يستكثر من هذين ويهمل طلب الحلال
فاسس بالانفع له والله اعلم وقوله ارخصوه يريد بالزهد فيه فاذا قلت الرغبة في الحكم
خف على القلب امر غلائه ورخصه بقلة الرغبة فيه قال الامام القشيري رضي الله عنه
انا محمد بن الحسين رحمه الله قال سمعت منصور بن عبد الله يقول سمعت محمد بن حامد يقول احمد بن
خضرويه يقول قال ابراهيم ابن ادهم لرجل في الطواف اعلم انك لا تنال درجة الصالحين حتى تجوز ست
عقبات اولها تغلق باب النعمة وتفتح باب الشدة والثاني تغلق باب العز وتفتح باب الذل والثالث
تغلق باب الراحة وتفتح باب الجهد والرابع تغلق باب النوم وتفتح باب السهر والخامس تغلق
باب الغنى وتفتح باب الفقر والسادس تغلق باب الامل وتفتح باب الاستعداد للموت قال
الشارح رضي الله عنه وهذا صحيح فان درجة الصالحين هي درجة الولاية الخاصة والحفظ
من الله تعالى في ساير الاعضا واستجابة الدعا كما تضمنه الحديث الصحيح قوله عليه السلام ما تقرب
المتقربون بمثل اداء ما افترضته عليهم ولا يزال عبدي يتقرب الي بالنوافل حتى احبه فاذا
احببته كنت له سمعا وبصرا ويدا ومويدا ان دعاني اجبته الحديث باختلاف طرقه
وهذا الامر لا ينال الا بارتكاب المشقات والاعراض عن الراحات والمشقات السهر والجوع
والفقر والتعب والشدة والذل وما يجري مجراه واضداد هذه الامور من الراحة والغنى
والشبع والنوم والعز والرخا فهذه الراحات التي تغلق ابوابها وما تقدم ذكره هي التي تفتح
ابوابها وبالتحقيق فانها ابواب الخيرات واضدادها هي ابواب الغفلات والقاطعات ومعنى
فتح ابوابها تعرضه لها ولا ينفر منها اذا ابتلي بها فانها اسباب الخيرات والموصلة الى اعلا
الدرجات اذا صحت فيها النيات قال الامام رضي الله عنه وكان ابراهيم ابن ادهم يحفظ كرما
فمر به جندي فقال اعطنا من هذا العنب فقال ما امرني به صاحبه فاخذ يضربه بسوطه فطاطا
راسه وقال اضرب راسا طالما عصى الله تعالى فاعجز الرجل ومضى قال الشارح رضي الله عنه

وهذا يدل على حسن اعتبار حاله وكمال صبره على اذيته وذلك انه كان ايام ولايته وامارته ربما

يعلو فرسا من مداليس حالفه في مفاصله فلما ضربه هذا الجندي تذكر ما كان فيه ورجي ان يكون قصاصا

فقال في نفسه لنفسه اضرب راسا طالما عصى الله وصبره على اذاه لعجز عن الانتصار لنفسه

والا لو امكنه الهروب منه لم يصبر على ضربه لانه ظالم له **قال** الامام رحمه الله وقال سهل

ابن ابراهيم صحبت ابراهيم ابن ادهم فمرضت فانفق على نفقته فاشتهيت شهوة فباع حماره

وانفق علي فلما تماثلت قلت يا ابراهيم ابن ادهم اين الحمار فقال بعناه فقلت فعلى ماذا اركب فقال يا اخي

على عنقي فحملني ثلاث منازل **قال** الشارح رضي الله عنه وهذا منه رضي الله عنه دليل على ما

تقدمت وصيته به في الستة المذكورة من تقديم التعب على الراحة والذل على العز والفقر

على الغني **قال** الامام ومنهم ابو الفيض ذو النون المصري واسمه ثوبان بن ابراهيم وقيل

الفيض بن ابراهيم وابوه كان نوبيا توفي سنة خمس واربعين ومايتين فايق هذا الشان

واوحد وقته علما وورعا وحالا وادبا سعوا به الى المتوكل فاستحضره من مصر فلما دخل

وعظه فبكى المتوكل ورده مكرما وكان المتوكل اذا ذكر بين يديه اهل الورع يبكي ويقول

اذا ذكر اهل الورع فحي هلا بذي النون وكان رجلا نحيفا تعلوه حمرة ليس بابيض اللحية

قال الشارح رضي الله عنه وهذا منه رضي الله عنه يدل على قيامه بالحق والنصح لمن

تخشى شانه ولا يبالي بقتل المخالفة لا يسعى به اليه وسببه الى ما لا يصلح واحضره لما قاله

فلم يمنعه ذلك من نصحه ووعظه وكذلك عرف المتوكل فضله في الدين وقال اذا ذكر اهل

الورع فحي هلا بذي النون اي فاسرع بذكره فانه افضلهم **قال** الامام القشيري رضي

الله رضي الله عنه سمعت احمد ابن محمد يقول سمعت سعيد ابن عثمان يقول سمعت ذا النون

يقول مدار الكلام على اربع حب الجليل وبغض القليل واتباع التنزيل وخوف التحويل **قال**

الشارح رضي الله عنه وقوله مدار الكلام يعني كلما تكلم فيه اهل التحقيق لا يخلوا من هذه

الاوجه اما ان يتكلموا في معرفة الله تعالى وكماله وجلاله وعظمته او في تصغير الدنيا

وهوانها والاعراض عنها وما جاءت به الشرايع من الاعمال وبيان شروطها وفضايلها

وكمالها والنظر فيما سبق وخوف التغيير والتبديل بعد الاستقامة فما داعي العبد

ربه واحكامه وطاعته وعرف دنياه وثبتت استقامته وحذر على نفسه من الخاتمة

وهي السابقة فقد استقامت احواله وبقي هاهنا الالهام في الشيطان ونزغاته

وعداوته وهو داخل فيما جاءت به الشرايع **قال** الامام رضي الله عنه سمعت محمد

ابن الحسين يقول سمعت احمد بن جعفر يقول سمعت احمد بن علي بن سهل يقول سمعت

سعيد بن عثمان يقول سمعت ذا النون المصري يقول من علامات المحب لله عز وجل

متابعة حبيبه صلى الله عليه وسلم في اخلاقه وافعاله واوامره وسننه **قال** الشارح

رضي

رضي الله عنه وهذا ماخوذ من قوله تعالى قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله فشرط

سبحانه حصول محبته للعبد باتباع سنة نبيه صلى الله عليه وسلم ولا يتبع سنته على التحقيق

الا من اتبعه مطلقا في ساير ما امر به وفعله من الواجبات والمندوبات وان تفاوت في

الدرجات وكذلك اخلاقه الشريفة وخصاله الحميدة من حلمه وعفوه عمن اذاه وزهده

وتوكله وغير ذلك من مقامات لا يرى درجاته **قال** الامام رحمه الله وسيل ذو النون عن السفلة

فقال من لا يعرف الطريق الى الله عز وجل ولا يتعرفه **قال** الشارح رضي الله عنه وهذا صحيح

فان اهل التوفيق والسداد رجلان عالم ومتعلم على سبيل النجاة ومن عداهما همج رعاع

لهواه ومشغوف بحب دنياه **قال** الامام رحمه سمعت ابا عبد الرحمن السلمي يقول سمعت

ابا بكر محمد بن عبد الله بن شاذان يقول سمعت يوسف بن الحسين يقول حضرت مجلس ذي النون

يوما وجاءه سالم المغربي فقال يا ابا الفيض ما كان سبب توبتك قال عجب لا تطيقه فقال بمعبودك

الا ما اخبرتني فقال ذو النون اردت الخروج من مصر الى بعض القرى فنمت في الطريق في بعض

الصحاري ففتحت عيني فاذا انا بقنبرة عميا سقطت من وكرها على الارض فانشقت الارض

فخرج منها سكرجتان احداهما ذهب والاخرى فضة وفي احداهما سمسم وفي الاخرى ماء فجعلت

تاكل من هذا وتشرب من هذا فقلت حسبي قد تبت ولزمت الباب الى ان قبلني **قال** الشارح

رضي الله عنه وهذا يحتمل امرين احدهما ان يكون رويا راى فيها القنبرة والسكرجتين

فنبهه الله تعالى ان هذه الدابة العميا العاجزة برزقها احسن رزق يسوقه اليها يدل

على ذلك قوله فنمت ويحتمل ان يكون نام واستيقظ وراها بعينه ويكون خرق عادة من الله

بهذه القنبرة ليقوي يقينه بها على هذا الوجه يدل عليه قوله ففتحت عيني وهذا يدل

على اليقظة وكلاهما جايز لا اشكال فيه **قال** الامام رحمه الله سمعت محمد بن الحسين

يقول سمعت علي بن عمر الحافظ يقول سمعت ابن الرشيقي يقول سمعت ابا دجانة يقول سمعت ذا النون

يقول لا تسكن الحكمة معدة ملئت طعاما **قال** الشارح رضي الله عنه وهذا يحتمل امرين احدهما

ان توالي عليه الشبع يدل على قوة شهواته وكثرة نهمته في الاكل ومحبته للشبع والحكمة

اصابة الصواب في القول والفعل والباطن والظاهر فاين من هو مشغول بالشهوات والتفرغ

لهذه الخيرات وكذلك قيل اذا امتلات البطنة خرست الحكمة والوجه الثاني ان ذلك في وقت

الامتلا بالطعام فيكون شغله بما هو فيه بضاد التفكر في الحكمة من وقته هذا ويكون حد الامتلا

ما زاد عما ندب به الشرع بقوله عليه السلام حسب ابن ادم اكلات يقمن صلبه يعني جمع اكلة وهي

اللقمة فان كان ولا بد فثلث لطعامه وثلث لشرابه وثلث لنفسه فاذا امتلا العبد من الطعام

وكان لما زاده ضاق النفس وحصل التشاغل للتنفس واعرض عن الحكمة **قال** الامام رضي الله

عنه وسيل ذو النون عن التوبة فقال توبة العوام من الذنوب وتوبة الخواص من الغفلة

بدالعذر ... تحتملني قوله دار الجلهت العذر
بالتعقيب يريد ان العفو ولو كان لمغيب الكبير الذي يصيب المكلف عن كثير
ما لعقدر او تكون مذهب العدو ونه فلان وقيت وما زالت الطرف ... ايبا

قال الشارح رضي الله عنه وذلك ان حقيقة التوبة هي الرجوع الى الله تعالى فان كانت عن ذنب
فكانت واجبة وهي اول الدرجات ولهذا جعلها توبة العوام وان كانت عن نقص اما مكروه او ترك
مندوب او اشتغال بمفضول عن افضل او بغفلة عن يقظة وذكر فهذه كلها توبة من دون لهما وهي توبة
الخواص ومن كمال توبتهم رجوعهم الى الله تعالى عن سكونهم لتوبتهم ورويتهم الفضل له في ساير اعمالهم
قال الامام رحمه الله ومنهم ابو علي الفضيل ابن عياض خراساني من ناحية مرو وقيل انه ولد بسمرقند
ونشا بابي ورد مات بمكة في الحرم سنة سبع وثمانين ومائة سمعت محمد بن الحسين يقول انا
ابو بكر محمد بن جعفر قال انا الحسين بن عبد الله العسكري قال نا ابن اخي ابي زرعة قال نا محمد بن اسحق
ابن راهويه قال نا ابو عمار عن الفضل ابن موسى قال كان الفضيل شاطرا يقطع الطريق بين ابيورد
وسرخس وكان سبب توبته انه عشق جارية فبينما هو يرتقي الجدران اليها سمع تاليا يتلوا
الم يان للذين امنوا ان تخشع قلوبهم لذكر الله فقال يا رب قد آن فرجع فاواه الليل الى خربة
فاذا فيها رفقة فقال بعضهم نرتحل وقال قوم حتى نصبح فان فضيلا على الطريق يقطع علينا فتاب
الفضيل وامنهم وجاور الحرم قال الشارح رضي الله عنه هذه الحكاية بما يعرض حتى بان
ما نعى عليه مما لو ترك كان احسن وقد استخير الله تعالى في ان ساول من هذه الرسالة بما ذلك كلما
نصادفه في باب من الابواب ونبين فيه وجه الصواب ان شا الله تعالى فنقوله هاهنا ذكر الجارية
وارتقاء الجدران يستغني عنه بان يقال كان في ايام صبوته وجهالته سمع تاليا يتلوا الم يان للذين
امنوا الاية فتاب فان التصريح بذكر النقايص يوهم سماعها وان تاب عنها اذا بلغته ومن هذا الوجه
منع الشرع من الغيبة وانما التفت الامام الى فايدة الحكاية واعرض عن لفظها والله الموفق قال
رحمه الله قال الفضيل ابن عياض اذا احب الله عبدا اكثر غمه واذا ابغض عبدا وسع عليه دنياه
قال الشارح رضي الله عنه وهذا فيه نظر فان غمه بما فاته من الدنيا وما ضيق عليه فيها ليس محمودا
على الاطلاق بل يخشى على من ابتلي به التسخط بالمقدور واحسن احواله التي يرجى له فيها الثواب
غمه على تاخر ما لا بد له منه مما يستعين به على طاعة ربه ويزيل عنه تشويشه ليوقع طاعته على اكمل
وجه واما الوجه البين الواضح فغمه على تقصيره في امر دينه وعدم نهضته في طاعاته لربه وقلة
ذكره له في ساير حركاته فهذا الغم محمود كله فانه للدين واما قوله واذا ابغض الله عبدا وسع عليه
دنياه فهذا ايضا فيه تفصيل فان من وسع عليه دنياه وشغلته المحبة لها وتصرفه في تحصيلها
وحفظها حتى شغله ذلك عن امر اخرته فهذه علامة البغض والابعاد واما من وسع عليه دنياه
وزهده فيها وصرفها في جهة البر والطاعات فهذه علامة المحبة له وتيسير ابواب الخيرات
فكلامه رضي الله عنه مخصوص ببعض الجهات لا على الاطلاق قال الامام رحمه الله وقال ابن المبارك
اذا مات الفضيل ارتفع الحزن قال الشارح رضي الله عنه هذا يدل على ان الفضيل كان في زمانه
اظهر الحزن بين ... قال ارتفع يعني هذا الحزن البالغ وقد كان الحسن البصري شديد

الحزن حتى كانه حديث عهد بمصيبة من كل وقت وحكي ان الحسن قال لاصحابه سيروا الى العلا
بن زياد ... العلا بن زياد وكان من الحزن ... حتى سئل عن الحزن وكانت اخته تشد ... القطن
ليضع جنبه عليه فلما دخل عليه الحسن قال له كيف انت يا علا فاجابه واحزناه على الحزن فقال
الحسن لاصحابه قوموا انا الى هذا انتهى استقلال الحزن فاستقل الحسن حزن نفسه واصحابه
بالنسبة لحزن العلا واستقل العلا حزن نفسه لما يعلمه من درجات الحزن فيحمل كلام ابن
المبارك على ما ذكرناه من انه في زمانه كان اكثر الناس حزنا قال الامام رضي الله عنه وقال
الفضيل بن عياض لو ان الدنيا بحذافيرها عرضت علي لا احاسب بها لكنت اتقذرها كما يتقذر احدكم
الجيفة اذا مر بها ان تصيب ثوبه قال الشارح رضي الله عنه وهذا يدل على كمال حاله مع مولاه
وانسه به وتلذذه في خلوته بمناجاته وكمال استغراقه به وشريف حالاته حتى صار ذلك قرة
عينه فهو يكره كل ما يشغله عنه او يشوش عليه فمن هذه حاله لو عرضت عليه الجنة
بما فيها لكان ما يعرض به الدعنه منها فكيف بالدنيا وكراهة مولاه لها وتزهيد عباده فيها وهذا
موجود فيما بيننا من ابغض شخصا شق عليه رويته وسماع حديثه بل ذكر اسمه من غيره فالله تعالى
يمن بتمام معرفته والتلذذ بمناجاته ونيل جميل الاحوال الشريفة في قربه ودرجاته بمحمد واله قال
الامام رحمه الله وقال الفضيل لو حلفت اني مراء احب الي من ان احلف اني لست بمراء قال
الشارح رضي الله عنه وهذا صحيح فان الرياء درجات باختلاف مراتب العاملين وذلك ان حقيقة
الرياء هو التفات القلب في الطاعات الى ثواب غير الله وجزائه على الاعمال فمن الناس من يعمل عملا
ويدخل عمله عليه فهذا غاية في الفساد ومن الناس من يدخل عمله لله ويعرض له في اثنائه
ما يتغير بسببه فيبطل عمله ومن الناس من ينفي خاطره من الريا ويبقى مسرورا فرحا باطلاع الناس
عليه في عمله ولا ينفيه فهذا مختلف فيه ومن الناس من سكن لعمله وان كان صحيحا فانه يستحسنه
ويعجب به وينسى منة ربه ومن الناس من يلتفت في وقت عبادته لربه لحسن عمله وان راه منة
من ربه عليه وسلم من عجبه وبهذا الاعتبار قيل ريا العارفين افضل من اخلاص المريدين فاخلاص
المريدين سلامتهم من اول رتب الريا المحرم ويكونوا مخلصين والتفات العارف الى عمله والنظر
لحسنه في حال عبادته التفات الى غير الله نعبر بهذه الحالة عن ريا العارفين وبينه وبين الريا
الاول درجات فيحمل كلام الفضيل على انه لو حلف انه مراء لعدم سلامته من هذه المراتب
كلها لصدق ولو قيل له احلف انك لست بمراء ما جسر وان كان من المخلصين خوفا من
الاخلال بهذه الدرجات العالية والله اعلم قال الامام رحمه الله وقال الفضيل ترك العمل
لاجل الناس ريا والعمل لاجل الناس هو الشرك قال الشارح رضي الله عنه قوله ترك العمل لاجل
الناس ريا فيه تفصيل وذلك ان من ترك العمل لاجل الناس خوفا من وقوعه في الرياء يكون
مرائيا وان كان تاركا العمل خوفا له بل حقه ان ينفي ذلك الخاطر ويدخل واما من ترك العمل

[illegible]

يثني عليه بالاخلاص فهو مراي وكذلك قد يرائي بالترك كما يرائي بالفعل من سكت عن الغيبة والكذب
والامور التي ينزل بفعلها في الدين لئلا تنزل درجته عندهم فقد رائى بالترك ايضا واما قوله
والعمل لاجل الناس هو الشرك فيحمل على انه اراد بعمله وجه الله وحمده الخلق فهذا هو الشرك
لكونه اشرك في نيته وان كان ذلك رياء سواء انفرد باعث الريا او انضم اليه فحصل انا الكل رياء
الا ان الترك والفعل لاجل الناس خاصة فهو رياء لا شرك فيه وانما يكون الشرك اذا عمل العمل
يبتغي باحدهما الله والثاني نيل ما عند المخلوقين من حمد او مال او ما جرى مجراه قال الامام رحمه
الله وقال ابو علي الرازي صحبت الفضيل ثلاثين سنة ما رايته ضاحكا ولا متبسما الا يوم مات
ابنه علي فقلت له في ذلك فقال ان الله احب امرا فاحببت ذلك قال الشارح رضي الله عنه وهذا بعد
كمال حزنه وغلبة حاله عليه في سائر اوقاته وانما تكلف البشر والسرور ليعرف ذلك مخالفة للعادة
فان الناس يحزنون عند هذه الوقائع دينا الموت لهما والحزن سبحانه يختبر اولياءه ليمتحنهم
وينظر كيف يعملون وعلم ان الله تعالى يحب منه هذه الحالة التي ظهرت منه فانها دليل الرضى
بقضائه تعالى فاظهرها موافقة لمولاه واستقبالا بالرضى لما قدره وقضاه وكذلك قال ان الله احب امرا
فاحببت ذلك قال الامام رضي الله عنه وقال الفضيل اني لاعصي الله فاعرف ذلك في خلق حماري
قال الشارح رضي الله عنه وهذا من جملة الحفظ للاولياء اذا قصروا في احوالهم فيما بينهم وبين ربهم
ادبهم ونبههم على ما وقع منهم ليرجعوا اليه بسرعة بان يعكس عليهم اسباب دنياهم وتارة
اسباب اخرتهم من تغيير قلوبهم وعدم نشاطهم وفقدان لذتهم في عباداتهم فاذا رجعوا اليه بالتذلل
والسؤال من عليهم بشريف النوال ومن ذلك ما حكي عن بعضهم انه كان سائرا الى الجمعة فانقطع شسع
نعله فجلس ليصلحه فقال له شاب يا عم هات نعلك لاصلحها فقال اتدري لم ذلك قال لا قال لاني لم
انقطع شسع نعلي فقال له يقول الشيخ فقال له لاني ما اغتسلت للجمعة فقال له يا عم هنا موضع
تدخل تغتسل فدخل فاغتسل فلما احس انه غسل الجمعة نبه بقطع شسع نعله وهو ابدا لئلا
تمشي مستقبلا على انصل رجوه عبادتك فلما اهملت اهملت وهذا جلت ربيبة لانه لم يسامح كما يسامح
لغيره وربما كانت الغفلات للمقربين هذه درجة رحمة لما يعقبها من الجد والتشمير وان كانت الغفلة
لا تؤذنهم في حق غيره والله المعين قال الامام رضي الله عنه ومنهم ابو محفوظ معروف ابن
فيروز الكرخي كان من المشايخ الكبار مجاب الدعوة يستشفى بقبره يقول البغداديون قبر معروف
ترياق مجرب وهو من موالي علي ابن موسى الرضا رضي الله عنه مات سنة مائتين وقيل احدى
ومائتين وكان استاذ السري السقطي وقد قال له يوما اذا كانت لك الى الله حاجة فاقسم عليه
بي قال الشارح رضي الله عنه وهذا شائع اذا سلم من رؤية النفس وصحت فيه النية
في كمال حسن ظن المريد به لكمال اقتدائه به وترقيه في درجات الخير بسببه فانه اذا
كانت له حاجة واقسم على ربه بشيخه تقضيت له لعلمه صحة سلوك شيخه في طريقه ورجع

١٠

درجته

[illegible]

درجته عند ربه واذا استشعر ذلك في نفسه سارع في الاقتداء به في سلوكه وانتفعا جميعا فصار
هذا الكلام معروف للسري من باب التنبيه على الخير بل من افضلها ومن هذا القبيل ذكر الشيخ
لتلميذه كراماته وخوارق عاداته واسرار معاملته بينه وبين ربه في قلبه ولولا ذلك لما
نقل الينا من احوالهم شيء وانما يظهرون ما لمثل هذه الفوائد والله المسدد قال الامام
رحمه الله سمعت الاستاذ ابا علي الدقاق رحمه الله يقول كان معروف الكرخي ابواه نصرانيين
فسلموا معروفا الى مؤدبهم وهو صبي فكان المؤدب يقول له قل ثالث ثلاثة فيقول معروف بل هو
واحد فضربه المعلم ضربا مبرحا فهرب معروف وكان ابواه يقولان ليته يرجع الينا على اي دين
يشاء فنوافقه ثم انه اسلم على يدي علي ابن موسى الرضا ثم رجع الى منزله ودق الباب فقيل من بالباب
فقال معروف فقالوا على اي دين فقال على الدين الحنيفي فاسلم ابواه قال الشارح رضي الله عنه
وهذا من جملة حفظ الله تعالى للاولياء ان يكره لهم الشر من صغرهم ويحبب لهم الخيرات
لتسهل عليهم عند البلوغ ووقت التكليفات ولذلك امرنا ان نامر الصبيان بالصلاة لسبع
ونضربهم عليها لعشر والحق سبحانه يقوي قلب من اراده بالخير ويكره له الشر في صغره ولذلك
كان المعلم يضربه ان ينطق بكلمة الكفر فلم يفعل فلما اغلظ عليه فر الى مواليه ولما بلغ اسلم على يدي
علي ابن موسى الرضا وكان من بركة اسلامه وحسن سلوكه تاثير ذلك في ابويه حتى لم يجمع الدين
بينهما الاعلى احسن الاحوال وهذا شانه تعالى مع كل من فر اليه من سخطه ان يرده اليه مكرما
فينتفع به من فر منه ومن ذلك ما جرى لموسى صلوات الله على نبينا وعليه لما فر من فرعون
كلمه ربه ورده اليه رسولا ولما خرج نبينا صلى الله عليه وسلم من مكة مهاجرا مكنه ربه ورده
اليها فاتحا وما لكا فالحمد لله على جميع جميل صنعه مع انبيائه واوليائه قال الامام رضي
الله عنه سمعت محمد بن الحسين يقول سمعت ابا بكر الرازي يقول سمعت ابا بكر الرازي يقول
سمعت ابا بكر الحربي يقول سمعت سريا السقطي يقول رايت معروفا الكرخي في النوم كانه تحت
العرش فيقول الله عز وجل للملائكة من هذا فيقولون انت اعلم يا ربنا فيقول هذا معروف
الكرخي سكر من حبي فلا يفيق الا بلقائي قال الشارح رضي الله عنه وهذه الرؤيا تنبيه
للسري السقطي على الجد والسلوك والتخلق باخلاق شيخه من كمال محبته لمولاه وجميل حالته
في تقواه حتى باهى به سبحانه ملائكته بقوله من هذا وامرا علم الجمع فهمهم عليه قبل الجواب
ويعرفهم ما هو عليه من حسن الاستقامة والصواب مع ما ابتلاه من اختلاف الهوى والشهوات
وتسليط عدوه عليه بالوسوسة وصنوف الحيل والتلبيسات ومع ذلك سكر من حب
مولاه حتى لم يلتفت لسواه فان الملائكة صلوات الله عليهم لم يبتلوا بما ابتلي به الانسان لانتفاء
عداوة النفس والشيطان فلله الحمد على حفظه وعونه في كل حين وزمان قال الامام رضي الله
عنه وقال معروف قال لي بعض اصحاب داود الطائي اياك ان تترك العمل فان ذلك الذي

[illegible]

بنفسه رضي ... فتنبه عن غيره قوله ... بجميع المشكوك فيه

بقربك الي رضى مولاك نقلت وماذلك العمل نقال دوام طاعة ربك وخدمته وحرمة المسلمين
والنصيحة لهم **قال** الشارح رضي الله عنه وفي هذه الحكاية رد على من غلط وزعم انه اذا وصل
الي دوام الحضور والذكر وله المناجاة مع مولاه استغني عن الاعمال فقوله ابالان تترك
العمل اشارة الي التحذير من هذا المذهب الخسيس وتفسيره العمل بالدوام على الطاعة
بالقلب والجوارح وحرمة المسلمين معرفته منزلتهم في الدين والشفقة عليهم بلزوم سنة مساعدتهم
في مقاصدهم الصحيحة وحمل ما يطرا من اذاهم وتقصيرهم في حقه ندله على العمل الذي يصلح له دنياه
واخرته وامره بالملازمة له ونهاه عن تضييعه واعلمه ان الملازمة عليه هي التي تقربه الى الله
فكيف يزعم من كان يتركه انه قريب من الله وهو بعيد لانه ترك ما يقرب اليه **قال** الامام رحمه
الله سمعت محمد بن الحسين يقول سمعت محمد بن عبد الله الرازي يقول سمعت علي بن محمد الدلال
يقول سمعت محمد الحسني يقول سمعت ابي يقول رايت معروفا الكرخي في النوم بعد
موته فقلت له ما فعل الله بك فقال غفر لي فقلت بزهدك وورعك فقال لا بقبولي
موعظة ابن السماك ولزومي الفقر ومحبتي للفقراء وموعظة ابن السماك قال معروف كنت
مارا بالكوفة فوقفت على رجل يقال له ابن السماك وهو يعظ الناس فقال في كلامه من اعرض
عن الله بكليته اعرض الله عنه جملة ومن اقبل على الله بقلبه اقبل الله برحمته عليه واقبل بوجوه
جميع الخلق اليه ومن كان مرة ومرة فالله يرحمه وقتا ما فوقع كلامه على قلبي واقبلت
على الله تعالى وتركت جميع ما كنت عليه الا خدمة مولاي علي بن موسى الرضى وذكرت
هذا الكلام لمولاي فقال يكفيك بهذا موعظة ان اتعظت اخبرني بهذه الحكاية
محمد بن الحسين قال عبد الرحيم بن علي الحافظ ببغداد يقول سمعت محمد ابن عمر بن الفضل
يقول سمعت علي بن عيسى يقول سمعت سريا السقطي يقول سمعت معروفا يقول ذلك **قال**
الشارح رضي الله عنه روح هذه الموعظة ان من اقبل على الله بقلبه اقبل الله عليه واقبل
بوجوه الخلق اليه ومن اعرض عليه جملة اي اشتغل بدنياه في طاعته بالكلية اعرض الله
عنه ومعني اعراض الله عنه قطع رحمته عنه وتوفيقه له ومن كان وقتا ووقتا فالله يرحمه
على حسب اقباله فحملته هذه الموعظة على ان اعرض عن كل شيء يشتغل واقبل على الله بالكلية
الا خدمة شيخه علي بن موسى الرضى وهي من جملة الطاعات وقوله في اول الحكاية بزهدك وورعك
قال لا اي لم يكن ذلك اول التنبيه الموعظة ثم لزوم الفقر اوجب الفقر اونال الزهد والورع
ومنا ما دل هذا الخبر **قال** الامام رحمه الله وقيل لمعروف في مرض موته اوص فقال اذا مت
فتصدقوا بقميصي فاني اريد ان اخرج من الدنيا عريانا كما دخلتها عريانا **قال** الشارح رضي الله
عنه فقوله فتصدقوا بقميصي هذه وصية بجميع ما علا لانه لم يكن للرجل وارث سوى بيت
المال ومصرف بيت المال الفقراء ولاسيما اذا تعين الصرف لهم جاز ذلك واما كونه لم يلتفت الى زيد

يكفن

قوله ... وغير ... النزبير ... الواحد ... اذا احسل ...
... قوله بمخلف ... احدهما وبجزيه قوله ...

يكفن نفسه لما يعلم من اخوانه ومحبيه والراغبين في تجهيزه على احسن وجه وربما دخل لهم بذلك
مس ومقصوده الاصل الذي صرح به يخرج من الدنيا ولم يتعلق قلبه بشيء كما انه دخل اليها
ولا علاقة شيا احب ان يخرج منها ولا علاقة شيا **قال** الامام رضي الله عنه ومر معروف بسقاء
وهو يقول يرحم الله من شرب فتقدم فشرب فقيل له الم تكن صايما فقال بلى ولكني رجوت
دعاءه **قال** الشارح رضي الله عنه وهذا صحيح ولكنه لا يجري على مذهب مالك بن انس رحمه
الله لان العبد اذا دخل بنفسه في نافلة صوم او صلاة او غير ذلك من الاعمال المحضة حرم عليه
قطعه وابطاله واما الشافعي والمحاسبي رضي الله عنهما وهو ظاهر قول معروف فانهم
يجوزون قطع النوافل بعد الدخول فيما ما عدا الحج والعمرة فانه لا بد من التمادي وان
فسدتا الا ان اهل الحزم والورع من اهل بلاد المذاهب لا يقطعون هذه الاعمال الا ما هو ادلى
منها وقد راى معروف ان دعاء هذا الشيخ له اذا شرب افضل من استمراره على الصوم لما راى
عليه من علامات الصلاح ورجاء من استجابة دعائه ومن هذا القبيل ما روي ان بعض المشايخ
زاره قوم من الصالحين وكان عنده خادم يخدمه حسن السمت والهيبة فلما قدم لهم الطعام
اخبره الخادم انه يأكل معهم لما رجوا في اكله معهم وكان الشاب صايما فسلوا الشيخ ذلك
فامره بالاكل فابى فقال له كل ولك اجر شهر فابى فقال له كل ولك اجر سنة فابى فقال الشيخ
الشيخ دعوه فقد سقط من عين الله فهذا ابدل من قول شيخه له كل على جواز الاكل والفطر وانه
يصح لكسب الاجر الزايد على الصوم ولذلك قال له شهر وسنة لا للتحديد بل الكثرة الاجر
لمرافقتهم وموافقة شيخه فلما ابى فقال دعوه فانه قد سقط من عين ابيه اي لكونه ترك
تقليد من يجب عليه تقليده في الافضلية وعمل برايه وهو ممن يجب عليه التقليد ومعنى
سقط من عين الله من حفظ الله فانه لم يمر تكب محرما وانما فاته افضل الاجر **قال** الامام رضي الله
عنه ومنهم ابو الحسن سري بن المغلس السقطي خال الجنيد واستاذه وكان تلميذ
معروف الكرخي كان اوحد زمانه في الورع والاحوال السنية وعلوم التوحيد سمعت
محمد بن الحسين رحمه الله يقول سمعت عبد الله بن علي الطوسي يقول سمعت ابا عمرو بن علوان
يقول سمعت ابا العباس بن مسروق يقول بلغني ان السري السقطي كان يكون في السوق
وهو من اصحاب معروف الكرخي فجاءه معروف يوما ومعه صبي يتيم فقال اكس هذا
اليتيم قال سري فكسوته ففرح به معروف وقال بغض الله اليك الدنيا واراحك مما انت
فيه فقمت من الحانوت وليس شيء ابغض الي من الدنيا وكل ما انا فيه من بركات معروف **قال**
الشارح رضي الله عنه ففي هذه الحكاية تحريض على دخال المسرة على المشايخ بفعل ما يسرون
اليه وحفظ قلوبهم مع الله تعالي فان الحق سبحانه يغار على قلوبهم ان تشتغل بغيره فكل من حفظها
وازال التشويش عنها فهو سارع فيما يرضي الله تعالى وتحبه واذا وجد الشيخ راحة ودخلت ...

تمويه فيه علم نصحه وتنوقف على المذنب فراره سنه وحرف [illegible]
البيان قوله وان نزل زعاد الصلاة تبيّن الوقت كالغسل فلا غرق النفخ ومثله
زعاد الصلاة حيث الوقت الكارز ناسيا والعامد ابدا كما للزنذي على الغداية

على قلبه مس بفعل بعض الناس ودعاء له باجتهاد ورجوع الى الله باضطرار وهذه الحالة هي
الموعود فيها بالاجابة لقوله تعالى امن يجيب المضطر اذا دعاه ويكشف السوء ويجعلكم خلفاء
الارض جاد احاننا الله بفضله بذلك **قال** الامام رضي الله عنه سمعنا الشيخ ابا عبد الرحمن
السلمي رحمه الله يقول سمعت ابا بكر الرازي يقول سمعت ابا عمر الانماطي يقول سمعت الجنيد
يقول ما رايت اعبد من السري اتت عليه ثمان وتسعون سنة ما رئي مضطجعا الا في علة
الموت **قال** الشارح رضي الله عنه في هذه الحكاية الدليل على كمال مجاهدته واستقباله القبلة
من بدايته ودوامه على ذلك الى اخر عمره فلم يره الجنيد الا قائما او جالسا ولم يره مضطجعا
الا في علة الموت ليعجز عن ذلك وهذا عظيم في الصبر والملازمة على الادب والاقبال على الله
بالقلب والجوارح الى الجهة المامور بالتوجه اليها **قال** الامام رضي الله عنه ويحكى عن السري انه
قال التصوف اسم لثلاث معان وهو الذي لا يطفئ نور معرفته نور ورعه ولا يتكلم بباطن علم
ينقضه عليه ظاهر الكتاب ولا تحمله الكرامات على هتك استار محارم الله ومات
السري سنة سبع وخمسين ومائتين **قال** الشارح رضي الله عنه وقوله التصوف اسم لثلاث
معان اي من اجتمعت فيه هذه المعاني فهو المسمى بالصوفي احدها ان لا يطفئ نور معرفته نور ورعه
ومعرفته هو انه لا يجري على العبد في دنياه من طاعته ومعصيته الا ما سبق له عند مولاه
وان سبقت بها الاقدار وارادة الواحد الاله لا يتبدل ولا يتغير واذا عرف هذا في النفس
اخذ الشيطان العدو لمن اراد الله خذلانه ان يحمله وعبادته ومعاصيه وغير ذلك ما يعمله لا
يفيده شيئا لانه لا يجري عليه الا ما سبق فيترك العمل ويركن الى الخذلان والكسل فهذا هو
الذي اطفى نور معرفته نور ورعه لان الورع الانكفاف عن محارم الله وعن الكسل عن القيام بواجبات
الله ومن سدده الله ونور بصيرته علم ان الذي سبق له لا يدرى ما هو والذي يعلم ما هو ربه
وقد امره بما يصلحه ونهاه عما يفسده فكان توفيقه قيامه بامره واجتنابه ما نهى عنه وهذا
هو الموضع الراجب وعلمه بما سبق لا يمنعه من ذلك لانه لا يدري ما سبق له على التعيين وانما
متعلق علمه لا يجري عليه الا ما سبق عليه على جهة الجملة فالمحقق هو من لا يطفئ نور معرفته نور ورعه
ولذلك اذا وقعت تلمح الخواطر واستحسنها وصدقت في بعض الاوقات فلا يعتمد عليها حتى
يزنها بالشريعة وينظر قولها هل هو من الجائزات او الممنوعات وهذا هو المراد بقوله لا يتكلم
بباطن علم ينقضه عليه ظاهر الكتاب وايضا فلا تحمله الكرامات وجريان خوارق العادات
على ان يعتقد انه ممن لا يؤاخذ بالزلات ولا ارتكاب بعض المحرمات فانه لا يامن مكر الله فلا يامن
مكر الله الا القوم الخاسرون فهذه الثلاثة هي التي اذا كملت للعبد بها وحسن حاله بها عبر عنه
بالصوفي لان التصوف على الصحيح مشتق من الصفاء من الكدر والسلامة من حظوظ النفس **قال** الامام رضي الله عنه
سمعت الاستاذ ابا علي الدقاق رحمه الله يحكي عن الجنيد انه قال سالني السري يوما عن المحبة

الورع
اذا

فقلت

فقلت قال قوم هي الموافقة وقال قوم الايثار وقال قوم كذا وكذا فاخذ السري جلدة ذراعه ومدها
فلم تمتد ثم قال وعزته لو قلت ان هذه الجلدة يبست على هذا العظم من محبته لصدقت ثم غشي عليه
فدار وجهه كانه قمر مشرق وكان السري به ادمة **قال** الشارح رضي الله عنه وهذا
وفقك الله بالغ في تعليم التلامذة اكتساب الاحوال والمقامات بانواع المجاهدات ولا يقنعون
بمجرد الاقوال والركون الى الراحات فسال السري تلميذه وهو الجنيد عن المحبة ليسطر ما عنده
واخذ يعد له اقوال الناس فيها فلما سمع السري قوله اراد ان يعرفه المحبة بالاحوال والاعمال
وذلك ان من قويت محبته في شيء جد في تحصيله وازال ذلك نومه واطال سهره وهمومه وغمومه
وقلل له الطعمة والشربة فيبس جلده على عظمه من توالي ذلك عليه فمد السري يده الى جلدة
ذراعه وجذبها فلم ترتفع عن العظم ثم اقسم بعزة الله انه لو حلف انما يبست من محبته لصدق وغلب
عليه الحال فدار وجهه كانه قمر مشرق وكان رضي الله عنه اسمر اللون وهو قوله وكانت
به ادمة فالتادب بالحال اكمل منه بالمقال وفي هذا جواز اظهار الصفات المحمودة والاحوال
التي هي سر بينهم وبين الله تعالى والنطق بها للتلامذة ليكمل اقتداؤهم بهم بالحال والمقال **قال** الامام
رضي الله عنه ويحكى عن السري انه قال منذ ثلاثين سنة انا في الاستغفار عن قولي الحمد لله مرة
قيل وكيف ذلك قال وقع ببغداد حريق فاستقبلني واحد فقال لي نجا حانوتك فقلت الحمد لله
فمنذ ثلاثين سنة انا نادم على ما قلت حيث اردت لنفسي خيرا مما للمسلمين اخبرني به عبد الله بن يوسف
قال سمعت ابا بكر الرازي يقول سمعت ابا بكر الحربي يقول سمعت السري يقول ذلك **قال**
الشارح رضي الله عنه وهذا وفقك الله جرى منه في ابتداء امره في الوقت الذي كان بالسوق يبيع
ويشتري قبل ان يتوب معروف بالصبي الذي تقدم ذكره ودعا له بان يرحمه ما هو فيه وقوله وانا
استغفر الله من قولي الحمد لله فالحمد طاعة من جملة الطاعات وسلامته وكانه من النعم التي يحمد الله عليها
وانما كان استغفاره لكونه لم يسبق لقلبه الغم على المسلمين الذين اصابهم الحريق ولقلبه سوالهم
واجب لنفسه ما شغله عن الغم عليهم وكان حقه ان يغتم للمسلمين لما فاته هذا المقام فكان انه كمن
استغفر الله من غفلته ودوامه على الطاعة والاستغفار ثلاثين سنة كان في رفعته وعلو درجته
قال الامام رضي الله عنه ويحكى عن السري انه قال انا انظر في انفي في اليوم كذا وكذا مرة مخافة
ان يكون قد اسود خوفا من الله ان يسود صورتي لما اتعاطاه **قال** الشارح رضي الله عنه وهذا
عظيم في الخوف من الله تعالى وكمال التعظيم له بالاجلال ورؤيته التقصير في عبادته والاخلاص رضي الله
عنه منزه عن ان يكون في معارض تخاف تسويد وجهه من اجلها وانما ذلك لكمال معرفته لاجلال ربه
وعظمته وكونه لا ياتي بعبادته على ما يليق بجلال ربه وعظمته وكونه لا ياتي بعبادته على ما يليق بجلال ربه
وعظمته وما يداخلها في بعض الاوقات من ميله لشهوته وطروق سهوه وغفلته عنه وهو في تنا
عبادته فيخاف من ذلك الحلول ما ذكر به لكمال مراقبته والعبد لا يرى من وجهه سوى انفه فهو يكرر

هذا اصابه لا يجب عليه النفخ وشوا المشهور وقيل ينفخ والخلاف في عدم النفخ اذا نسي فيهما واليه اشار بقوله او فيهما ودل الحديث كالتراب ويجب غسله ان لا [illegible]

مطلب
تحذير للعبد عن [illegible]

ثم ان [illegible] بين الثوب والجسد ابن الحاجب والبعد كالثوب في النفخ على النفخ وقال في البيان لا يطهر بل يغسل الموضع الجسد وجب غسل الجسد

Copyright © King Saud University

النظر الي نفسه في كل وقت خوفا من تسويد وجهه لقلة ادبه واخلاله بواجب حق ربه فالله تعالي
يمن علينا بما من عليهم ويحيي قلوبنا كما احيي قلوبهم بمنه وكرمه **قال** الامام رضي الله عنه سمعت
محمد بن الحسين رحمه الله يقول سمعت محمد بن الحسن الخشاب يقول سمعت جعفر بن محمد بن نصير
يقول سمعت الجنيد يقول سمعت السري يقول اعرف طريقا مختصرا قصدا الي الجنة فقلت له ما هو
فقال لا تسأل من احد شيئا ولا تأخذ من احد شيئا ولا يكن معك شي تعطي احدا **قال** الشارح رضي الله
عنه فقوله طريقا قصدا الي الجنة معناه عندي والله اعلم ان العبد يكتسب مقدار العزوبه والحاجه
من غير فضول من وجه طيب فيستغني بذلك عن السوال فلا يكون معه فضله يتعلق بها حق لاحد
من المحاجين فهذا طريق سهل قصدا الي الجنة وسمعت بعض الناس يتاول علي غير ما اشرت اليه
ويقول لا تسأل غير الله ولا تقبل من غير الله فان اعطيت شيئا فاعطه لله وهذا لا يساعد عليه ملول لفظ
الشيخ من وجهين احدهما ان هذا مقام شريف وهو شغل بالله تعالي والنظر اليه عن الجنة وغيرها الي جعل
الطريق القصد اليها والثاني انه ان سال الله فقد سال احدا واخذ من احد ودفع لاحد فان الله تعالي
هو الاحد الواحد الفرد الصمد وصلي الله علي سيدنا محمد واله وسلم **قال** الامام رضي الله عنه سمعت عبد الله
ابن يوسف الاصبهاني رحمه الله يقول سمعت ابا نصر السراج الطوسي يقول سمعت جعفر بن محمد بن نصير
يقول سمعت الجنيد بن محمد يقول سمعت السري يقول اشتهي ان اموت ببلد غير بغداد فقيل له ولم
ذلك قال اخاف ان لا يقبلني قبري فافتضح **قال** الشارح رضي الله عنه وهذا احتمال الله من باب
تهمته لنفسه وسوء ظنه بها وهو يشبه ما تقدم من نظره في انفه كل يوم مرات خوفا من التسويد
لما كان عنده نفسه بهذه المثابه وهو مستور الحال فيما بينه وبين الناس راي فضل الله عليه في ستر
حاله في الدنيا فاراد ان يستره عن الناس في الاخره ومحبته لستر حاله محمود فلذلك اعتناه وليس
مقصوده بقاء المنزلة في قلوبهم وما يعتقدونه فيه من الخير والصلاح ومحبة ذلك منهم وكراهه
زوال تدينه عندهم فان هذه قواعد الرياء وحاشى من ذلك وانما هو محبه لستر الله عليه في
الدنيا والاخره وهذا القدر محمود لا نقص فيه ويحتمل ان يكون مقصوده حفظ قلوب العامه
من ان يسوظنهم بالصالحين علي الجمله فلا ينتفعون بهم ولا يقتدون باثارهم فانهم اذا راوا المشتهر
بالخير والصلاح لم يقبله قبره ورفضته الارض دلهم ذلك علي خبث باطنه وسوء سريرته فيسو
ظنهم بامثاله فاشفق عليهم من ان يقع في قلوبهم مثل هذا والاول اولي واحسن وهو محبة ستر
الله عليه في الدنيا والاخره **قال** الامام رحمه الله سمعت عبد الله ابن يوسف الاصبهاني يقول سمعت
ابا الحسن بن عبد الله القرطي الطرسوسي يقول سمعت الجنيد يقول سمعت السري يقول اللهم
مهما عذبتني بشي فلا تعذبني بذل الحجاب **قال** الشارح رضي الله عنه وهذا يدل علي كمال معرفته
بربه ودوام انسه به وتلذذه بمناجاته في ليله ونهاره ومراقبته له في سائر حركته وسكونه حتي صار
المحجب عنه اشق عليه من كل حجاب وقطعه عن لذته اعظم من قطعه عن لذاذ الاخره والدنيا

والله

والمه بذلك اشد الالم فان الله تعالي يعذب في الدنيا بانواع من العذاب وقد يمنع الشخص لذائذه في الدنيا
والاخره وناله لذلك فسال الله تعالي ان يسبق في علمه ان يعذبه علي بعض اجرامه فلا يعذبه
بحجبه عنه فان ذلك يذله ويهينه اعظم من كل اهانه وذل **قال** الامام القشيري رضي الله
عنه وسمعت عبد الله بن يوسف الاصبهاني يقول سمعت ابا بكر الرازي يقول سمعت الجريري يقول
سمعت الجنيد يقول دخلت يوما علي السري السقطي وهو يبكي فقلت وما يبكيك فقال جاءتني البارحه
الصبية فقالت يا ابه هذه ليلة حاره وهذا الكوز اعلقه هاهنا ثم انه حملتني عيناي فنمت
فرايت جاريه من احسن الخلق قد نزلت من السما فقلت لمن انت فقالت لمن لا يشرب الما المبرد
في الكيزان وتناولت الكوز فضربت به الارض قال الجنيد فرايت الخزف المكسور لم يرفعه
ولم يمسه حتي عفي عليه التراب **قال** الشارح رضي الله عنه وهذا تنبيه المسري رضي الله عنه علي
الاعراض عن الشهوات العاجله فان ذلك يفرغ قلبه ويحسن ادبه مع مولاه ويتفرغ في صلاته
وذكره لاحسن نجواه وعلي ذلك يكون حسن ثوابه من ربه وعقابه وراي ذلك في المنام
راي حزاعمل في صوره حورا وتناولت الكوز فكسرته تحقيقا لحثه علي الاعراض عن الشهوات
لينال الحظه منها فانه سالها لمن انت ولم يكن ذلك الا لكونها المحبسه واحب ان يكون بذلك
يقونها وفعلها علي ترك الشهوات العاجلة ومن جملتها شرب الما المبرد **قال** الامام رضي الله
عنه ومنهم ابو نصر بشر بن الحارث الحافي اصله من مرو وسكن بغداد ومات بها وهو ابن اخت علي
ابن خشرم مات سنه سبع وعشرين ومايتين وكان كبير الشان وكان سبب توبته انه اصاب
في الطريق كاغده مكتوب فيها اسم الله عز وجل وطيتها الاقدام فاخذها واشترى بدرهم كان معه
غاليه فطيب بها الكاغده وجعلها في شق حائط فراي في النوم فيما يري النائم كان قائلا يقول
له يا بشر طيبت اسمي لاطيبن اسمك في الدنيا والاخره **قال** الشارح رضي الله عنه وهذا يدل
علي ان اجلال الله تعالي وتعظيمه وتعظيم كل ما يدل علي اسمايه وصفاته من افضل الطاعات واجبها
لخالق الارض والسموات فان الكاغده انما فيها حروف داله علي اسم الله فاجل الكاغده التي تضمنت
الحروف الداله علي اسم ولم يهن علي قلبه تركها بل اسرع ب الاجل فطهرها وطيبها وحفظها
في موضع تسلم فيه من الاهانه فلما فعل ذلك اجلالا لله ولما دل علي اسمه تعالي اراه تلك الروية
المنام انه يقال له طيبت اسمي لاطيبن اسمك في الدنيا والاخره فلذلك اشتهر بشر الحافي وكم من
متنعل لا يلتفت اليه ولكن من اجل الله اجله ولهذا كان الاجلال والتعظيم لله تعالي اصل القيام
بواجباته والبعد عن مناهيه والخوف من وعيده والرجا لموعوده ولو لم يعظم الحق سبحانه في قلوب
السعدا والموفقين لما عظم عندهم امره ولا نهيه ولسهل عليهم مخالفته ولم يعظم عندهم وعده
ولا وعيده كما نشاهد من كثير من الجاهلين الغافلين عما خلقوا له من المنهمكين في الشهوات
والمعتكفين علي اللذات **قال** الامام رضي الله عنه سمعت الاستاذ ابا علي الدقاق رحمه الله يقول

Copyright © King Saud University

في العربية الآن غسل الوجه وجعل ... عن ظ ... اذ ... وقيل
ما بين العذار ... متقن الخد ... ولا ... الا ... فوقه
... كنشعل بغسل اللحية ...

من بشر بعض الناس فقالوا هذا الرجل لا ينام الليل كله ولا يفطر الا في كل ثلاثة مرة فبكى فقيل له
في ذلك فقال اني لا اذكر اني سهرت ليلة كاملة ولا صمت يوما لم افطر من ليلته ولكن الله سبحانه
يلقي في القلوب اكثر مما يفعله العبد لطفا منه سبحانه وكرما ثم ذكر ابتدا امره كيف كان على ما
ذكرناه قال الشارح رضي الله عنه فبكاؤه رضي الله عنه من قول الناس هذا لا ينام الليل ولا يفطر
الا في ثلاثة ايام شكر الرتبة في كونه ستر امره واظهر جميله ورجا ان يفعل به ذلك في اخرته ولما قال
قال ما قاله من انه لم يكن ظن فيه ادبا للنفس وتحقيقا للبراءة مما قالوه خوفا من غرور نفسه وسكونها
الى مدحهم بما ليس فيه وهذا بكاء الفرح والسرور بصنع الله بالعبد فان يبكي حزنا وخوفا وان يبكي
سرورا وفرحا قال بفضل الله وبرحمته فبذلك فليفرحوا قال الامام رحمة الله عنه سمعت الشيخ
ابا عبد الرحمن السلمي يقول سمعت محمد بن عبد الله الرازي يقول سمعت عبد الرحمن ابن ابي حاتم يقول اللغوي ان
بشر ابن حارث الحافي قال رايت النبي صلى الله عليه وسلم في المنام فقال لي يا بشر تدري بم رفعك الله
من بين اقرانك قلت لا يا رسول الله قال باتباعك لسنتي وخدمتك للصالحين ونصيحتك لاخوانك
ومحبتك لاصحابي واهل بيتي هو الذي بلغك منازل الابرار قال الشارح رضي الله عنه وهذا يدل
على ان الغالب على زمان بشر الاخلال بما ذكر في اهل الدين عن العوام فلذلك عرف في النوم بما رفعه
الله من اقرانه يعني من الصالحين اما الاخلال لم بكل ما ذكر او ببعضه فان اتباع السنة من جملته يشمل
القيام بالواجبات والمندوبات والبعد عن المحرمات والمكروهات وان تراخى ذلك في الدرجات وكذلك
خدمة الصالحين اكرام لمن اختصه الله وشرفه وذلك اجلال له لان اجلال العبد من اجلال الله والنصيحة
انما للاخوان تابعة لكمال المحبة لهم واما محبته لاصحاب النبي صلى الله عليه وسلم واهل بيته فلمحبة
النبي صلى الله عليه وسلم فانه على حسب محبته له يحب من احبه صلى الله عليه وسلم وبهذا الاعتبار
كانت محبة الله تعالى لمن احب رسوله فانه احب من احبه الله فحقيق لمن اتصف بهذا الاخلاق
ان يجله الله ويشرفه ويرفعه على اقرانه قال الامام رحمه الله تعالى عليه سمعت محمد بن الحسين رحمه الله
يقول سمعت محمد بن عبد الله الرازي يقول سمعت بلال الخواص يقول كنت في تيه بني اسرائيل فاذا رجل
يماشيني فتعجبت ثم الهمت انه الخضر عليه السلام فقلت له بحق الحق من انت فقال اخوك الخضر فقلت
اريد ان اسالك فقال سل فقلت ما تقول في الشافعي رحمه الله قال هو من الاوتاد فقلت ما تقول في
احمد بن حنبل قال رجل صديق قلت ما تقول في بشر ابن الحارث فقال لم يخلف بعده مثله فقلت له باي
وسيلة رايتك فقال ببركة لامك قال الشارح رضي الله عنه تواترت الاخبار سلفا وخلفا
بحياة الخضر عليه السلام لما نقل عن عمر بن عبد العزيز وابراهيم ابن ادهم وبلال الخواص وابي زكريا المغيلي
ومن عاصرناه في زماننا مما لا اشك في صدقه من اسمعيل الاشبيلي وابي موسى الفقيه خير وابي عبد الله
المالكي وسيدهم الاسكندراني والشيخ ابي العباس المرسي والخادمي والشيخ ابو بكر ... واخت الفقيه
ابي الحسن المقدسي رحمه الله عليها وغيرها ولا يمكن لو قصدنا تتبعهم من الكتب وغيرها لاكثرنا واملر سواله

عن

١٩

... فيغسل الوجه ... وكل ... ان ... على ...
... خلف الوجه ... يتوهم ... بتخليل شعر

عن الشافعي رحمه الله وجوابه انه من الاوتاد فصحيح فان الاوتاد الذين يحفظ بهم الدين والشافعي
منهم رحمه الله وهو كان مع علمه من السياح الزاهدين الكبار وسواله عن احمد بن حنبل رحمه الله
وجوابه انه صديق دليل على صدق يقينه ما قاساه في الله من الضرب والهوان ولم ينطق بكلمة واحدة
يتخلص بها مما هو فيه حفظا للدين الله ولعباد الله لئلا يعتقد في كلام الله الا بليته وتقديمه وسواله
عن بشر بن الحارث وقوله لم يخلف بعده مثله يعني بعد موته في زمانه الذي هو فيه خاصة وقوله
باي وسيلة رايتك فقال ببر امك فيه تحريض على من سمع هذه الحكاية على بر الوالدين فانها
توصل الى كل خير في الدنيا والاخرة وقد قرنه الله ببره فقال تعالى ان اشكر لي ولوالديك قال الامام
رضي الله عنه سمعت الاستاذ ابا علي الدقاق رحمه الله يقول اتى بشر بن الحارث باب المعافى ابن
عمران فدق عليهم الباب فقيل من فقال بشر الحافي فقالت بنية من داخل الدار لو اشتريت نعلا
بدانقين لذهب عنك اسم الحافي اخبرني بهذه الحكاية محمد بن عبد الله الشيرازي قال سمعت عبد العزيز
ابن الفضل قال حدثني محمد بن سعيد قال حدثني محمد بن عبد الله قال سمعت عبد الله المغازلي
يقول سمعت بشر الحافي يذكر هذه الحكاية وسمعت محمد بن الحسين يقول سمعت ابا الحسن الحاجي
يقول سمعت المحاملي يقول سمعت الحسن المسوحي يقول سمعت بشر بن الحارث يحكي هذه الحكاية
قال الشارح رضي الله عنه وهذا يدل على ان بشرا وجد في نفسه من هذه الحكاية وجدا كثيرا
حتى كثر ذكره لها فنقلت عنه من طرق وذلك ان الله نبهه على ستر حاله على لسان من خبره وهو
انه لو اشترى نعلا بدانقين لزال عنه اسم هذه الشهرة وفي هذه الحكاية تنبيه على ان الانسان
اذا قدر على ستر حاله وترك شهرته كان ذلك اولى به لان بشرا اتخذها عبرة وفائدة ولذلك نقلها
للناس عنه قال الامام رحمه الله وسمعت محمد بن الحسين يقول سمعت ابا الفضل العطار يقول
سمعت احمد بن علي الدمشقي يقول قال لي ابو عبد الله بن الجلاء رايت ذا النون وكانت له العبارة
ورايت سهلا وكانت له الاشارة ورايت بشر بن الحارث وكان له الورع فقيل له فالى من كنت
تميل فقال بشر بن الحارث استاذنا قال الشارح رضي الله عنه وذلك ان الورع والكف
عن ترك الواجبات وارتكاب المحرمات والاعراض عن المكروهات وان دق شبهها بالمحرمات
وتعاطي المندوبات وان تفاوتت الدرجات ففي هذه السلامة من الشرور والاشتغال
بمعالي الامور والاقتداء بمن هذه حاله اولى لان الاقتداء بالاحوال ابلغ من الاقتداء بالاقوال واما
حسن العبارة في بيان الدرجات التي كان لذي النون والاشارة الى اعلى المقامات الذي كان لسهل
فانما ينتفع به ارباب الاحوال ولهذا قال اقتدوا بالخمسة من شيوخنا وذكرهم وعلل ذلك بانهم جمعوا بين
العلم والحقيقة يعني اعمال العلم وغلبة الاحوال قال الامام رحمه الله وقيل انه اشتهى الباقلا
سنين فلم ياكله فرئي في المنام بعد وفاته فقيل له ما فعل الله بك فقال غفر لي وقال كل يا من لم ياكل واشرب
يا من لم يشرب اخبرنا الشيخ ابو عبد الرحمن السلمي رحمه الله قال انا عبد الله بن عثمان بن يحيى قال

Copyright © King Saud University

يجب غسلها وان لم يتيقنه فلا يجب غسله قوله كتعب بعض [illegible]
خلق كعبه منعقبه بالعضو فاشاعه فانه يجب عليه غسل الخف

حدثنا ابو عمرو بن السماك قال ثنا محمد بن العباس قال ثنا ابو بكر بن ابي معاوية قال سمعت
ابا بكر بن عفان يقول سمعت بشر بن الحارث يقول اني لاشتهي الشوي منذ اربعين سنة ما صفا
لي ثمنه وقيل لبشر باي شي تاكل الخبز فقال اذكر العافية واجعلها اداما انا به محمد بن الحسين
رحمه الله انا عبد الله بن عثمان انا ابو عمرو بن السماك ثنا عمرو بن سعد ثنا ابن ابي الدنيا
قال قال رجل لبشر الحكاية وقال بشر لا احتمل الحلال السرف قال الشارح رضي الله عنه هذه الحكاية
في البقلا والادام وفي الشوا حركه في سلك واحد وهي تدل على كمال ورعه وذلك ان مخالفة الشهوة
اصل في صحة الورع فان من وافق شهواته لم يكمل ورعه لان الورع الكف عما يشتهي مما فيه ضرر
ونقص في دين وانا قلا هي القول لم يعط نفسه شهوتها في هذا الشي اليسير واما قوله في
الشوا ما صفا لي ثمنه يحتمل امرين احدهما انه ما صفا له حل ما يشتريه به لقلة الحلال
في زمانه ويحتمل انه وجد الحلال ورأى صرفه في جهات ابر واولى من اكل هذه الشهوة فما
تخلص له صرفه فيها حتى يكون ورأى اخراجه في غيره ويحتمل وجها اخر يتخرج على ما قدم انه ما
صفا له اكله حتى يكون اكله بغير شهوة نفسه مثل ان ياتيه به اخ يسر باكله له او يتكلفه
متكلف ويدعوه اليه او ما يجري مجراه من جهات البر فيرجع هذا الى مخالفة نفسه كما ذكرناه
في اكل البقل واما قوله اذكر العافية واجعلها اداما فهو ايضا صحيح من باب ترك الشهوة
وكثرة الجوع والاكل عند الفاقة قال كان في عافية ولم ياكل الا عند الحاجة لم يحتج اداما للخبز
لشهيه بشدة رغبته فيه ولذلك قال بعضهم من كانت قناعته سمينة طابت له كل مرقة واما
قوله لا احتمل الحلال السرف فهو لعزة وجوده فان من اخذ الحلال من جهة كان لم يبال في اي
جهة صرفه اسرافا كان او غير اسراف ومن عرف عزة الطلب للشي لم يهن عليه التفريط
فيه واخرجه فيما يحب قال الامام رحمه الله عليه وهذه الحكاية وفقك الله جارية
على ما تقرر في الشريعة ان الميت اذا قبر في قبره واتاه الملكان وسالاه واجابهما بالحق
الذي كان يعتقده في الدنيا يفتح له باب الجنة ويقال له هذا ما اعد الله لك ويري النار
ويقال له انظر ما صرف الله عنك وتسرح روحه في جنته ما دام في حفرته وكذلك
ارواح الشهدا في قناديل معلقة بالعرش تعلق في ثمار الجنة فقوله بشر عفوا واباح لي
نصف الجنة ان روح الصالح تتنعم في الجنة وهو في البرزخ فاذا كان في القيامة دخلها بجسمه
وروحه وقوله نصف الجنة يعني نصف جنته هو يعني نصف نعيمه اي بروحه ويكمل النعمة
ببدنه مع روحه في الاخرة ان شا الله ولو اخذ نصف الجنة كلها فان درجات الانبيا
والاوليا وقوله لو سجدت لي على الجمر ما اديت الشكر لما جعلت لك في قلوب عبادي وذلك
ان الله تعالى اظهر جميله واحسن ظن الخلق به حتى احبوه واقتدوا به فكثر خيره واجره
بكثرة من اقتدى به فنعمة الستر واظهار الجميل ومحبة المومنين له وسرعة اقتدائهم باثره

نعمة

نعمة عظيمة له لا يفي بها عمل العبد فاراد الله سبحانه ان يعرف العبد ان اعماله جميعها
ولو كثرت وشق عملها عليه لا تفي ببعض نعم الله عليه فكيف بنعمة كلها قال الامام
رحمه الله عليه وقال بشر لا يجد حلاوة الاخرة رجل يحب ان يعرفه الناس قال الشارح
رضي الله عنه ومحبة ان يعرفه الناس دليل على محبة الشهرة عندهم وان يعرفوا دينه وكماله
في علمه وعمله وهذه فاعل الريا ومحبة المنزلة في قلوب الناس بالدين بخلاف من شهره الله
بغير اختيار منه بالعلم واحتياج الناس اليه وتعيينه في ذلك فان هذا ليس من محبته وانما
الله تعالى فعل به ذلك اظهارا لما وضع له في قلوب الخلق من المحبة كما جا في الخبر الصحيح اذا احب الله
عبدا نادى يا جبريل اني احب فلانا فاحبه فيحبه اهل السما ويوضع له القبول في
الارض ويعضد هذا الحديث قوله تعالى ان الذين امنوا وعملوا الصالحات سيجعل لهم
الرحمن ودا اي محبة في القلوب ويكون امتنان الله تعالى لهم ومعرفة الناس بهم ليقتدوا
باثارهم فيكثر اجورهم كما نعى على من سال ذلك منه في قوله تعالى واجعلنا للمتقين اماما اي
ائمة يقتدى بهم ويقتص اثارهم ويعمل بما قالوه بعد موتهم وهذه شهرة محمودة وان كانت
بقصد العبد ومحبته لكن لامر ربه لا لهواه وعاجل شهوته قال الامام رحمه الله عليه
ومنهم ابو عبد الله الحارث بن اسد المحاسبي عديم النظير في زمانه علما وورعا ومعاملة وحالة
بصري الاصل مات ببغداد سنة ثلاث واربعين ومايتين قيل انه ورث من ابيه سبعين
الف درهم فلم ياخذ منها شيا لان اباه كان يقول بالقدر فراى في الورع انه لا ياخذ من ميراثه وقال
صحت الرواية عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال لا يتوارث اهل ملتين شتى سمعت محمد بن
الحسين رحمه الله يقول سمعت الحسين بن يحيى يقول سمعت جعفر بن محمد بن نصير يقول سمعت ابي
مسروق يقول مات الحارث بن اسد المحاسبي وهو محتاج الى درهم وخلف ابوه ضياعا وعقارا
فلم ياخذ منه شيا قال الشارح رضي الله عنه هذا يدل على انه كان متوقفا في القول الى الكفر
بالمال فلو صح عنده ان القدرية كفار لوجب عليه قبول ميراث ابيه ولم يكن تركه ورعا مندوبا اليه
والذي يؤتى به في المناقب ورفع الدرجات ورع المندوب قال الامام رضي الله عنه
سمعت الاستاذ ابا علي الدقاق رحمه الله يقول كان المحاسبي الحارث اذا مد يده الى طعام فيه شبهة
تحرك على اصبعه عرق فكان يمتنع منه قال الشارح رضي الله عنه وهذا ايضا يدل على كمال
ورعه وانه احترز في الامارات الظاهرة الشرعية من ترك الشبهات فحفظه الله تعالى بالامارات
بخرق العادات فان ضربان العرق على اصبعه امارة غير معروفة في العادة فجريانها له خرق عادة
دلته بها على ان الطعام شيا ينبغي تركه وذلك انه قد يمد يده في بعض الاوقات الى طعام
يجد الا بخارقة للعادة فيبحث عن ذلك الطعام ولا يبعد عنه فيجد فيه ما حظر الشرع
على تركه وفيه الفضل ثم يمد يده الى غيره من الطعام فلا يجري الامارة فاذا كان عليه رجوعها

قوله حمد الله الحمد بالمصدر زيادة في المدح وهو منصوب على انه مفعول مطلق مبين للنوع بوصفه بفعل بعينه الحمد بمعنى الانشاد والمصدر [illegible] لم يقصد به العلاج [illegible] يقصد به العلاج فالثاني يقصد به العلاج يكون كمصدر الاسم لا يفعل وفعال لا مفعل والذي يقصد به العلاج

مع البحث عن الطعام الذي جرت به حصلت له من ذلك علبت ظن في عادة الله معه فيتكلف و[illegible] هذا المعنى ان لا يتاذى به احد وانما هو يعرفه في نفسه ولقد حكي ان الجنيد رضي الله عنه مر به المحاسبي يوما فراى في وجهه اثر الجوع فقال يا عم تدخل تتناول شيئا فقال الله نعم فقدم اليه طعاما حمل من عرس فاخذ لقمة والقاها في الدهليز ومضى وستاتي الحكاية في اخر هذا الباب وهذا يدل على انه قد يمد يده ولا ينفر ان الحرق ويتناول الطعام ولا يقدر على ابتلاعه فيكون له لما زيان ماله عند مد اليد وامارة عند الابتلاع وربما كان ذلك لقوة الشبهة في احد المحلين فاذا كانت قوية صانه الله تعالى عن مد اليد واذا كانت خفيفة صانه عن الابتلاع بعد مد اليد قال الامام رحمة الله عليه وقال ابو عبد الله ابن خفيف اقتدوا بخمسة من شيوخنا والباقون سلموا لهم حالهم الحارث بن اسد المحاسبي والجنيد بن ابراهيم وابو محمد رويم وابو العباس بن عطا وعمرو بن عثمان المكي لانهم جمعوا بين العلم والحقايق قال الشارح رضي الله عنه وهذا يدل على انهم هم المشهورون في زمانه خاصة لانهم جمعوا بين العلم والحقيقة ومقصوده بالعلم علم الشريعة ومقصوده بالحقيقة غلبة حال التوحيد على القلب وغلبة الاحوال والمقامات على القلب فكل من كان عنده العلم والاحوال لا يحجب الناس من حاله وانما يكلمهم على قدر ما تقتضيه احوالهم من العلم ويكون الاولى بهم منه ما يدلهم عليه وغيرها ولا من المذكورين ممن غلب عليه فانما يكلم الناس بما غلب عليه فلا يصلح ان يقتدى به وبيانه من غلب عليه احال الجوع وفتح له منه وكان الغالب عليه في سلامة قلبه ونشاط بدنه ذلك فانما يكلم الناس بمقامه وحاله وليس كل احد من السالكين يصلح له ذلك وقد يكون بعض الناس فتح له من باب التبدل ولباس الخلق وخدمة الفقرا ابر يطريقا فتح فيه شواهد الطريق فاي كلمه من المريدين دله على حاله والطريق الذي فتح له منه فلا ينتفع به كل الناس كذلك قد يكون نقص السالكين خرج عن الاسباب دفعة وترك التكسب وملاه الله بعونه وقوى يقينه ونال درجة المتوكلين فيامر كل مريد اراد التوكل ان يبعد عن الاسباب ويتركها بالكلية وان فعل ذلك هذا الماسور اخل بواجباته وعصى ربه في تضييع نفسه واهله وعلى الجملة فالشيخ المقتدى به ينبغي ان يكون طبيبا عارفا بسائر الادوية والامراض واسباب الصحة فيداوي كل عليل بالدوا اللايق بمرضه ويحفظ عليه صحته بعد ذلك بالاسباب الحافظة لصحته خوفا من رجوعه الى سوء عادته ولذلك قال هذا القايل اقتدوا بهؤلا الخمسة بانهم بهذه المثابة التي ذكرناها والباقون سلموا لهم احوالهم فانهم مغلوبون ينطق كل منهم عن حال نفسه وما من عليه ربه في خاصته فلا يصلح ان يكون طبيبا لغيره ومثاله لو تعلم الطبيب في الناس من مرض واحد وامراضهم مختلفة قال الامام رحمه الله سمعت ابا عبد الرحمن السلمي رحمه الله يقول سمعت عبد الله بن علي الطوسي يقول سمعت جعفر الخلدي يقول سمعت ابا عثمان البلدي

ينبغي له

يقول

[illegible] الغايبة [illegible] والحجارات الحسنة قوله [illegible] يقول [illegible] والرابعة [illegible] على [illegible] والنعم [illegible] والمنة [illegible] عليك [illegible]

يقول بان الحارث المحاسبي من صحح باطنه بالمراقبة والاخلاص زين الله ظاهره بالمجاهدة واتباع السنة قال الشارح رضي الله عنه وهذا صحيح فان من راقب حركاته بقلبه وجوارحه ووزنها بميزان العلم حتى يكون بها سنة او بدعة وعلم هل اراد الله بها خالصة او فيها شوب ودام على ذلك تحلى به ظاهره فلا تراه ابدا الا موزون الحركات مستقيما على الخيرات قد زين ظاهره بالمجاهدة في اتباع السنة وايقاع حركاته على وفق العلم والخلاص من البدعة فلا تراه الا في سر ينفعه او خير يعمل فيه قال الامام رحمه الله عليه ويحكى عن الجنيد رحمه الله عليه انه قال مر بي يوما الحارث المحاسبي فرايت فيه اثر الجوع فقلت يا عم تدخل الدار وتتناول شيئا فقال نعم فدخلت الدار وطلبت شيئا اقدمه اليه وكان في البيت شي طعام حمل من عرس قوم فقدمته اليه فاكل لقمة وادارها في فيه مرات ثم انه قام والقاها في الدهليز ومر فلما رايته بعد ذلك بايام قلت له في ذلك فقال اني كنت جايعا واردت ان اسرك باكلي واحفظ قلبك ولكن بيني وبين الله سبحانه علامة ان لا يسوغني طعاما فيه شبهة فلم يمكني ابتلاعه فمن اين كان ذلك الطعام فقلت انه حمل من دار قريب لي من العرس ثم قلت تدخل اليوم فقال نعم فقدمت اليه كسرا كانت لنا فاكل وقال اذا قدمت الى فقير شيئا فقدم اليه مثل هذا قال الشارح رضي الله عنه وفي هذه الحكاية ما يدل على فضيلته رضي الله عنه من وجوه عدة غير حفظه من الطعام وذلك انه لا ياكل الا عند الجوع ولا يجيب من يدعوه عند الجوع الا لادخال المسرة عليه وحفظ قلبه اذ كان مستحقا لحفظ القلب من التغير اذا لم يجب واما قوله لما قدم اليه الكسر اذا قدمت الى فقير شيئا فقدم اليه مثل هذا يعني ما تعرف وجه حله وما تعاطيته انت بنفسك فان طعام العرس تختلف احوال ارباب العرس ومقاصدهم ونياتهم في عمله لله او لغيره وفيه انواع من الاطعمة مختلفة قد لا يصفو اكثرها وتطرق الشبهة اليه اكثر فيها ان تحفظ طريق الفقرا اذا دعاهم الى طعام ان يقدم اليهم ما تحتاجوا الى الامتناع منه فيؤدي ذلك الى حصول التشويش بينه وبينهم وهولا يشعر قال الامام رضي الله عنه ومنهم ابو سليمان داود ابن نصير الطائي وكان كبير الشان انا اخبرنا الشيخ ابو عبد الرحمن السلمي رحمه الله انا ابو عمرو بن مطر قال سا محمد بن المسيب قال ثنا ابن جبير قال قال يوسف ورث داود الطائي عشرين دينارا فاكلها في عشرين سنة قال الشارح رضي الله عنه وهذا لا يدل على حرصه وشحه على المال بل انما امسكها لكونها حلالا اذ اخرجها غلب على ظنه انه لا يجد مثلها بقينا منه ولم يتعين عليه اخراجها لوجود غيرها وتيسيب بل حكي ان حجاما حجمه فاعطاه دينارا وهذا يدل على كرم نفسه وعدم قدر الدنيا في قلبه وانما امسك العشرين دينارا لوجه دلت عليه الشريعة ولم يكن اخراجها عنه اولى من مسكها هذا هو الظن به وامثاله وبهذا الاعتبار امسك جماعة من اهل الورع قوتهم من القمح الذي لا يجد به الانسان الى عام ويهملون ما عداه من الادم وغيره

Copyright © King Saud University

الذي لا تدعو حاجة الي حفظه ولو تعين عليهم اخراج هذا القوت لمن وجب الاخراج اليه لاخرجوه
ولم يمسكوه وكذلك لو بدا لهم الي اخراجه في بعض الحوايج لاخرجوه وكان اخراجه افضل شرعا من امساكه
لاخرجوه وتوكلوا على الله في الاتيان بمثله في وقت حاجتهم وهذا هو شانهم لمن تفقد احوالهم وعدم
الحرص عليه وانما هم مع الدليل حيث ما دار دار وان الله تعالى يجعلنا منهم ويمن علينا من احوالهم
قال الامام رضي الله عنه سمعت الاستاذ ابا علي الدقاق رحمه الله يقول كان سبب زهد داود انه
كان يمر ببغداد يوما فنحاه المطرفون بين يدي حميد الطوسي فالتفت داود الطاى فراى حميدا
فقال داود اف لدنيا سبقك بها حميد ولزم البيت واخذ في الجهد والعبادة قال الشارح
رضي الله عنه وهذا يدل على شرف همه داود وتنبيهه حتى فرق بين شرف الدنيا وشرف الاخرة
وذلك والله اعلم ان شرفه في الدنيا اكثر من شرف حميد المذكور فلما نحاه المطرفون يعني الذين يوسعون
الطريق بين يدي الولاة فنحوا داود عن الطريق واسندوه الي جانب فالتفت فراي حميدا
قد ارتفع في الدنيا حتى صار اميرا يطرق بين يديه فلم ترض همته بهذه المنزلة وراي ان شرف الاخرة
اكثر فلزم بيته واجتهد في العبادة حتى ساد وهذا قريب مما حكي عن عمر بن عبد العزيز قال كانت
لي نفس تواقه الي المنازل الرفيعة في الدنيا فلما نالت ارفع المنازل وهي الخلافة رات ان ارفع
الاخرة اكمل فاشتغلت بها وان كان المثل لا يطابق من كل وجه وانما هو لرفع الهمه وخياركم
في الجاهلية خياركم في الاسلام اذا فقهوا قال الامام وسمعت ببغداد بعض الفقرا يقول ان
سبب زهده انه سمع نايحة تنوح وتقول باي خديك تبدي البلا واي عينيك اذا سالا
قال الشارح رضي الله عنه وهذه اليقظة سببها الاعتبار بالاموات وان حال العبد في الدنيا
وان تعالى في الجمال مصيره الي ما ذكر في الحال فاعتبر في نفسه بغيره وخشي معاجلة الموت
وهو على غفلة فجد في الخير واجتهد في العبادة حتى نفذ وساد قال الامام رحمه الله عليه وقيل
كان سبب زهده انه كان يجالس ابا حنيفة رضي الله عنه فقال له ابو حنيفة يوما يا ابا سليمان
اما الاداة فقد احكمناها فقال له داود فاي شي بقي فقال العمل به قال داود فنازعتني نفسي
الي العزلة فقلت لنفسي حتى تجالسهم ولا تتكلم في مسالة قال فجالستهم سنة لا اتكلم
في مسالة وكانت المسالة تمر بي وانا الى الكلام فيها اشد نزاعا من العطشان الي الما ولا اتكلم
به ثم صار امره الى ما صار قال الشارح رضي الله عنه وهذا ايضا يدل على شرف همته
وقوة عزيمته في مجاهدة نفسه وذلك لانه كان من العلما فان ابا حنيفة رحمه الله لا يقول
له اما الاداة فقد احكمناها الا وهو عنده كامل في العلم بالاحكام ومعرفة الحلال والحرام
فقال له داود رضي الله عنه فاي شي بقي علينا فقال العمل بما علمنا فلما عزم على العزلة
ليتفرغ للعمل اتهم نفسه في تلك صدقها وصبرها على ما ادعته وعزمت عليه فقال لها حتى تجالسهم
يعني ابا حنيفة واصحابه ولا تتكلم فجاهد نفسه بترك الكلام الذي هو غالب على الفقها في البحث

في المجالس حتى قال فلما جالستهم سنة لا اتكلم بكلمة وتمر بي المسالة وانا اشتهي الي الكلام فيها من العطشان
الى الما البارد ولا اتكلم علم ان مجاهدته لنفسه غالبة لهواه ومحبته الى الكلام فجد خلا بنفسه
واجتهد قال الامام رحمه الله وقيل حج جنيد الحجام داود الطاي فاعطاه دينارا فقيل له هذا
اسراف فقال لا عبادة لمن لا مروة له قال الشارح رضي الله عنه وهذا مما نبهنا عليه
اولا وهو ان نفاسة العشرين دينارا في عشرين سنة لم يكن شحا على المال ولا حرصا وانما يفعل ذلك
لوجه ديني اقتضاه وقوله لا عبادة يعني كاملة فان الغالب من الشحيح الاخلال بمروته وكمال
الدين بكمال المروة قال الامام رضي الله عنه وكان يقول في الليل الهي همك عطل علي الهموم
وحال بيني وبين الرقاد قال الامام رضي الله عنه سمعت محمد بن عبد الله الصوفي رضي الله عنه
يقول ثنا احمد بن يوسف ثنا سعيد بن عمرو ثنا علي ابن حرب الموصلي حدثني اسماعيل بن زياد الطائي
قال قالت داية داود الطاى اما تشتهي الخبز فقال بين مضغ الخبز وشرب الفتيت قراة خمسين اية
قال الشارح رضي الله عنه وهذا ايضا دليل على كمال محاسبته لنفسه وشفقته على ضياع
اوقاته في غير مقصوده من ذكر وتلاوة كتاب ربه وكان لا ياكل الخبز فقالت له جاريته اما
تشتهي الخبز لما رات انه لا ياكله فاخبرها ان تركه له ليس لقلة رغبته فيه وانما ما بين شرب الفتيت
ومضغ الخبز من شغل الفم بغير المقصود الذي هو فيه فقال انه حسب ما بينهما فوجد اكل
الخبز يفوته قراة خمسين اية ولا يفوته ذلك في شرب الفتيت قال الامام رضي الله عنه ولما توفي راه بعض
الصالحين في المنام وهو يعدو فقال له ما لك فقال الساعة تخلصت من السجن فاستيقظ الرجل
فارتفع الصياح مات داود الطائي وقال له رجل اوصني فقال عسكر الموتى ينتظرونك قال الشارح
رضي الله عنه في الرويا دليل على كمال زهده في الدنيا وانها كانت سجنه كما جاء في الخبر الدنيا سجن
المومن ولذلك راه في النوم يعدو واي يجري مستعجلا فقال له في ذلك فقال الساعة تخلصت
من السجن واما وصيته لمن طلب منه الوصية بقوله عسكر الموتى ينتظرونك ففيه تنبيه
له على مراعاة الموت والعمل له فان جميع من مات منتظرون لمن بقي فاذا كملوا رحلوا مرة واحدة
الي الاخرة ففيه تنبيه وقيامه من قبره قال الامام رضي الله عنه ودخل بعضهم عليه فراي
جرة ماء قد انبسطت عليها الشمس فقال له الا تحولها فقال حين وضعتها لم تكن شمس وانا استحي
ان يراني الله تعالى امشي لما فيه حظ نفسي قال الشارح رضي الله عنه وهذا مما تقدم من
كمال اشتغاله وعمارة اوقاته بالطاعات حتى لا يصرف حركاته في شي من الجايزات مراعاة للرجحان
وذلك ان الما اذا انبسطت عليه الشمس سخن وتغير طعمه عما كان عليه فاشار عليه هذا الداخل
عنده ان تحول الجرة من الشمس الي الظل فقال حين وضعتها لم تكن شمس وهذا يدل على انه لا ولد
وضعها في موضع لا ضرر فيه فان بعض العلما كره الطهر بالما المشمس وعلله بعضهم بانه
في الابدان برصا على راي الاطبا فاخبره اني لم اتعمد هذا ولا نجري شي فيفعل الله

Copyright © King Saud University

الوجه الثاني وهو الذي صرح به اخر كلامه ان نفلي لها انما هو لوجود راحة الما البارد واما الكو
ان يراني الله انعل نعلا لبس لوجهه ومن هذا القبيل ما حكي ان بعضهم شرب دوائمسهلا فتاخره
مقصوده فقيل له لو تنبت لعلك الخ فقال هذه مشيه لا اعلم لها وجها قال الامام رضي
الله عنه ودخل بعضهم عليه فجعل ينظر اليه فقال اما علمت انهم كانوا يكرهون فضول النظر كما
يكرهون فضول الكلام اخبرنا عبد الله بن يوسف الاصبهاني انا ابو اسحاق ابراهيم بن محمد بن يحيى
المزكي قال انا قاسم بن احمد قال سمعت ميمون الغزال قال قال ابو الربيع الواسطي قلت لداود
الطاي اوصني فقال صم عن الدنيا واجعل فطرك الموت وفر من الناس كفرارك من السبع قال
الشارح رضي الله عنه في الحكاية الاولى دليل على كمال النصح لرائيه ووعظه بما ينتفع به في اخرته وهو
ترك الفضول من كل شي من الطعام والمنام والكلام والنظر وغيره وجميعه داخل في قوله عليه السلام
من حسن اسلام المرء تركه ما لا يعنيه وما لا يعنيه هو ما لا تدعو اليه حاجة دينية او معيشية على
الدين فلما كرر اليه النظر نبهه على ان هذه الزيادة من النظر فضول وهم يكرهون الفضول مطلقا يعني اهل
الخير وفي وصيته صم عن الدنيا امر بالزهد فيها والامساك عن نعيمها الا ما لا بد للعبد منه في
اقامة بنيته فاذا وصلت الى الاخرة ودار الله جزا عملك فتنعم كيف شيت فانه يوم عيدك
وكمال نعيمك ثم نبهه رضي الله عنه على ان هذا القدر لا يتم له الا بالخلوة والبعد من الناس فبعده
من الناس سبب سلامته وخلوته بربه سبب سعادته قال الامام رضي الله عنه ومنهم ابو
علي شقيق بن ابراهيم البلخي من مشايخ خراسان له لسان في التوكل وكان استاذ حاتم الاصم قيل كان
سبب توبته انه كان من ابنا اغنيا خرج للتجارة الى ارض الترك وهو حدث فدخل بيت الاصنام
فراي خادما للاصنام فيه قد حلق راسه ولحيته ولبس ثيابا ارجوانيه فقال شقيق للخادم
ان لك صانعا حيا عالما قادرا فاعبده ولا تعبد هذه الاصنام التي لا تضر ولا تنفع فقال ان كان
كما تقول فهو قادر على ان يرزقك ببلدك فلم تعنيت الى هاهنا للتجارة فانتبه شقيق واخذ في
طريق الزهد وقيل كان سبب زهده انه راي مملوكا يلعب ويمرح في زمان قحط كان الناس
مهتمين فقال له شقيق ما هذا النشاط الذي فيك اما ترى ما فيه الناس من الحزن والقحط
فقال ذلك المملوك وما علي من ذلك ولمولاي قرية خالصة يدخل اليه منها ما نحتاج نحن اليه
فانتبه شقيق وقال ان كان لمولاه قرية ومولاه مخلوق فقير ثم انه ليس يهتم لرزقه
فكيف ينبغي ان يهتم المسلم لرزقه ومولاه غني قال الشارح رضي الله عنه في هاتين
الحكايتين تنبيه من الله تعالى لشقيق على ترك الكد والكدح في طلب الدنيا والرجوع الى
القناعة بالميسور واعتماد قلبه عليه في الاتيان به لله وقت الحاجة وهذا لا يدل على ان
التوكل ترك الكسب وانما التوكل اعتماد القلب على الله تعالى في الاتيان بالمحتاج اليه سوا
تسبب العبد فيه او لم يتسبب ففي الحكاية الاولى انه راى من يشتغل بغير الله ويعظمه من خادم

الاصنام

الاصنام فلما احسنت نيته في وعظه ليرجع الى الاسلام ويدع خدمة الاصنام اجرى الله تعالى
على لسان هذا الخادم كلاما جاري به شقيقا فنقله من الكدح والطلب الى الاعراض عن السبب
والاشتغال بما يجب وفي الحكاية الثانية اعتبار بالمملوك الذي هو منبسط ومنشرح في
وقت غلا الاسعار وشدة حال الناس فهو على ما هو فيه من الانتشار فساله عن سبب انبساطه فقال
لسيدي قرية يدخل الينا منها ما نحتاج فاستحيى من العبد يهتم برزقه وقد ضمنه له مالك
السموات والارض فاشتغل بقلبه الى فضل ربه عز وجل وكرمه قال الامام رضي الله عنه سمعت
الشيخ ابا عبد الرحمن السلمي رحمه الله يقول سمعت ابا الحسين بن احمد العطار البلخي يقول سمعت احمد
ابن محمد البخاري يقول قال حاتم الاصم يقول كان شقيق بن ابراهيم موسرا وكان يتفتى ويعاشر
الفتيان وكان علي بن موسى بن عيسى بن ماهان امير بلخ وكان يحب كلاب الصيد ففقد كلبا
من كلابه فسعى برجل انه عنده وكان الرجل في جوار شقيق فطلب الرجل فهرب فدخل دار شقيق
مستجيرا فمضى شقيق الى الامير وقال خلوا سبيله فان الكلب عندي ارده اليكم الى ثلاثة ايام
فخلوا سبيله وانصرف شقيق مهتما لما صنع فلما كان اليوم الثالث كان رجل من اصدقا شقيق
غايبا من بلخ رجع فوجد في الطريق كلبا عليه قلادة فاخذه وقال اهديه الى شقيق فانه يشتغل
بالتفتي فحمله اليه فنظر شقيق فاذا هو كلب الامير فسر به وحمله الى الامير فتخلص من الضمان
فرزقه الله تعالى الانتباه وتاب مما كان فيه وسلك طريق الزهد قال الشارح رضي الله
عنه وهذه الحكاية تدل على انه من ذوي المروات وكمال الهمة وتحمل اعبا الامور واثرها وانه
وان كانت جاهليته وصبوته ففي ذلك دليل على انه اذا رجع الى طريق الله تعالى وفي هذه
الاخلاق نال منها الغايات والبركات وذلك ان شقيقا كان ذو كان يتفتى باموال وجاهه
وما يمكنه والفتى اسم لمن لا يدخر ممكنا عن قاصده فلما ضاع كلب الامير واتهم به بعض
جيرانه دخل على شقيق مستجيرا فحملته مروته والوفا لمن دخل عليه ان قال اجي الكلب بعد ثلاثة للامير ضامنا
ايام فلما علم الله صدق نيته لقي بعض اصحابه الكلب في الصحرا سائبا وفي عنقه قلادة تدل على
انه معلم فقال في نفسه يصلح هذا الكلب لشقيق يتفتى به فانه من الفتيان فلما راه شقيق سر
بذلك وحمله الى الامير فلما راى شقيق لطف الله به وحسن صنيعه معه في تخلصه من
وعد الامير انتبه وقال في نفسه اذا كان لطفه بي وانا في حالة الغفلة والجفا فكيف اذا رجعت
اليه بصدق والعبادة والوفا هذا معناه والله اعلم قال الامام رضي الله عنه وقال حاتم
الاصم كنا مع شقيق في مصاف نحارب الترك في يوم لا ترى الا رؤوس تندر ورماح تنقصف
وسيوف تنقطع فقال لي شقيق كيف ترى نفسك يا حاتم في هذا اليوم مثل كنت في هذه الليلة
التي زفت اليك امراتك فقلت لا والله قال لكني والله ارى نفسي في هذا اليوم مثل ما كنت تلك
الليلة ثم نام بين الصفين ودرقته تحت راسه حتى سمعت غطيطه قال الشارح رضي الله

عنه وهذا رحمه الله دليل على كمال اليقين بان العبد لا يصيبه الا ما قدر عليه في ساير الاحوال المخوفه
وغيرها ومقصود شقيق بهذا ان يعرف تلميذه قوه اليقين بالحال دون المقال وذلك
ان هذا اليوم كان يوما شديدا في الحرب من كثرة القتل وتلاف العدد فلما انفصل
الناس رجع كل طايفه الي مكانها قال شقيق لتلميذه كيف قلبك في هذا الوقت من الحرب من
كثرة العدو وسكونه هل انت كالحاله التي رايت عليك فيها امراتك في مسرتك وطمانينه قلبك
وسكونه فاجابه حاتم لا فقال له شقيق انا كذلك فدله علي ذلك بالمقال واراد ان يحققه بالحال
ووضع درقته تحت راسه وامتد ونام حتى سمع غطيطه ولا ينام في هذا الحال الامر هو شديد
الطمانينه وهو لا يدل على انه مغرور بنفسه وكيف يرقد في هذه الحاله فانه مع جمله المسلمين
وبعضهم يحرس بعضا ولو تحرك العدو اذن في حركه وتزاحف الناس لاستيقظ والله الموفق
قال الامام رضي الله عنه وقال شقيق اذا اردت ان تعرف الرجل فانظر الي ما وعده الله ووعده
الناس بايهما يكون قلبه اوثق قال الشارح رضي الله عنه وهذا ميزان صحيح يمتحن الانسان
نفسه في الوعد والامر والنهي وغير ذلك ومنها وعد بعض الكفار من اليهود والنصارى
بعض الناس بمال في وقت معين زاحمته في ذلك الوقت عباده وعد الله فيها جزيل الثواب
كصلاه الجمعه وغيرها فليمتحن قلبه لاي جهه هو منصرف هل الي العباده رجا وعد الله
ولا يلتفت لما وعد به من المال ولتلك الجهه الخسيسة مع جواز الخلف في الوعد المقال
وكذلك لو امره طبيب من هذا القبيل بان لا يقرب بعض الاطعمه لانه يضره ضررا عاجلا
وامره الله تعالى بان لا يقرب بعض الاطعمه التي تضر عاجلا واجلا وجد نفسه مايلا
الي البعد والحذر مما نهاه الله عنه الطبيب وان كان عدو الله غاشا للمسلمين وقد لا يصيبه
ما حذره عنه ان لم يكن يعتد وزا ولا يجد قلبه كذلك فربما نهاه الله عنه بل يجد شهوته غالبة
لما نهي عنه وحذره ضعيفا وكذلك في المامورات ما امره به الله وامره به بعض المخلوقين اذا
تزاحما على وقت واحد ايهما يوثر القيام به فاذا اراد العبد ان يمتحن ايمانه ويقينه ويعرف
قوته من ضعفه فليزن نفسه ويختبرها في هذه المواضع فانه يعرف نقصه او كماله فان
راي نقصا فليجتهد في التدارك قبل الممات فانها اسوا الامارات على ضعف الايمان واكبر
العلامات علي وجود الخسران والله الموفق وهو المستعان قال الامام رضي الله
عنه وقال شقيق تعرف تقوى الرجل في ثلاثه اشيا في اخذه ومنعه وكلامه قال الشارح
رضي الله عنه وهذا صحيح وهو قريب من الاول الا ان الاول امتحان الايمان الذي في القلوب
وهذا امتحان صحة الاعمال المبراة من النقص والذنوب فيعرف دين الرجل في اقواله
واخذه وتركه فان كان لا يقول الا صدقا وان فعل فلا يفعل الا واجبا او مندوبا او جايزا
ولا يترك الا محرما او مكروها او ما يجوز له تركه فانه قد يعصي بالترك لنقص الواجبات كما يعصي

بالفعل

بالفعل ببعض المحرمات فالاول امتحان الايمان والثاني امتحان الاديان في اعمال القلوب
والابدان قال الامام رضي الله عنه ومنهم ابو يزيد طيفور بن عيسى البسطامي وكان
جده مجوسيا اسلم وكانوا ثلاثه اخوه ادم وطيفور وعلي وكلهم كانوا زهادا عبادا وابو يزيد
كان اجلهم حالا قيل مات سنه احدى وستين ومايتين وقيل اربع وثلاثين ومايتين سمعت
محمد بن الحسين رحمه الله يقول سمعت ابا الحسين الفارسي يقول سمعت الحسين بن علي يقول
سيل ابو يزيد باي شي وجدت هذه المعرفه فقال ببطن جايع وبدن عار قال الشارح
رضي الله عنه وما ذكره رضي الله عنه من الجوع والعري ليس من وسايل المعارف وانما مراده
انه اشتغل بالله تعالى ومعرفته وعبادته حتى بالاكل ولم يلتفت للقواطع العاديه التي تقطع
الناس من طعامهم ولباسهم وشهواتهم وكان كلامه خرج تنسلها وادبا لبعض المريدين
ممن شغله امر بدنه من بطنه ولباسه فلما ساله عما نال اجابه بالاعراض والاشتغال عن حاله
فان الله يبتليه ببعض ما انا المجتهد بن والله اعلم قال الامام رضي الله عنه سمعت محمد بن
الحسين رحمه الله يقول سمعت منصور بن عبد الله يقول سمعت عيسى البسطامي يقول سمعت
ابي يقول سمعت ابا يزيد يقول عملت في المجاهده ثلاثين سنه فما وجدت شيا اشد علي
من العلم ومتابعته ولولا اختلاف العلما لتعبت واختلاف العلما رحمه الا في تجريد التوحيد
وقيل لم يخرج ابو يزيد من الدنيا حتى استظهر القران قال الشارح رضي الله عنه قوله
ما رايت اشد من العلم ومتابعته وهذا يدل علي الشريعه الشريعه علمها وذلك ان
الشريعه علم وعمل ولا يتم للعبد ذلك الا بمخالفه هواه واجتهاده في تقواه وفي هذا من التفقه
ما لا يخفى ولا سيما العلوم المتعلقه بالقلب من الريا والعجب والكبر والحسد وغير ذلك من الاخلاق
المذمومه والورع والزهد والاخلاص والصدق والتوكل والرضا وغير ذلك من الاخلاق
المحموده ومعرفته ذلك والتخلق به مشق جدا وقوله ولولا اختلاف العلما لتعبت يعني
انه يقلده بسوغ له الامرين فيجد راحه الوسع ولذلك قال لولا اختلاف العلما
في بعض المسايل وكان الحكم واحدا لشق علي القيام به وتخفف عنه فبهذا الاعتبار كان
اختلاف العلما رحمه الا في تجريد التوحيد وذلك ان المقصود من مسايل التوحيد
القطع والحق فيها واحد والفروع المطلوب فيها الظن فمن غلب على ظنه بعض العلما
فهو حكم الله عليه وقوله انه لم يخرج حتى استظهر القران يعني مع كمال هذا الشغل بنفسه
وكثرة مجاهدته في رياضة اخلاقه واصلاح ظاهره وباطنه لم يهمل حفظ القران جميعه
وهذا يدل على كمال اجتهاده لانه كان يجزيه ان يحفظ ما يصلي به لا غير قال الامام رحمه الله
اخبرنا ابو الرجا السجستاني ابا ابو نصر السراج قال سمعت طيفور البسطامي يقول سمعت
المعروف بعمي البسطامي يقول سمعت طيفور البسطامي يقول سمعت ابي يقول قال ابو يزيد

Copyright © King Saud University

فمر بنا حتى ننظر الى هذا الرجل الذي قد شهر نفسه بالولاية وكان رجلا مقصودا مشهورا
بالزهد فمضينا فلما خرج من بيته ودخل المسجد رمى ببصاقه تجاه القبلة فانصرف ابو يزيد
ولم يسلم عليه وقال هذا غير مامون على ادب من اداب رسول الله صلى الله عليه وسلم فكيف يكون
مامونا على ما يدعيه وبهذا الاسناد قال ابو يزيد لقد هممت ان اسال الله تعالى ان يكفيني
مونه الاكل ومونه النسا ثم قلت كيف يجوز لي ان اسال الله هذا ولم يسله رسول الله صلى الله
عليه وسلم اياه فلم اساله ثم ان الله سبحانه كفاني مونة النسا حتى لا ابالي استقبلتني امراه
او حايط **قال** الشارح رضي الله عنه وهذا يدل على اتباعه لسنة النبي صلى الله عليه وسلم
ومراعاه ذلك في الناس ومعرفته قدرهم به وذلك انه لما سمع بفضل هذا الرجل المعروف
بالزهد المشهور به اتى لينتفع به ويتبرك بحاله بسببه ويسمع من اقواله ويرى احواله
فلما كان اول رويته له انه راه بصق تجاه القبله دل على انه غير متثبت ولا مراع لافعاله فغلب
على ظنه انه اذا لم يحفظ في هذا الشي القريب لم يحفظ فيما عداه من اقواله وافعاله فلا يحصل له
به انتفاع وخشي ان يطلع منه على ما سوى ذلك فتركه وذهب وهكذا ينبغي ان يعتبر الناس
علماء منهم الشريعه واذا لم يكن هو المحفوظ من الزلل كما جاء في الخبر الصحيح ما تقرب المتقربون
الي بمثل اداء ما افترضت عليهم الحديث ومما يدل على ان متابعة السنه حال ابي يزيد في نفسه
توقفه عن دعائه ربه ان يكفيه مونه الاكل والنسا فبحث في السنة فلم يجد النبي صلى الله عليه
وسلم سال ذلك فتوقف عنه ادبا مع ربه وسنه نبيه صلى الله عليه وسلم فكان من ثمرة هذا
التوقف ما حكاه عن نفسه انه لا يبالي لقيته امراه او جدار **قال** الامام رحمه الله عليه
سمعت الشيخ ابا عبد الرحمن السلمي رحمه الله يقول سمعت الحسن بن علي يقول سمعت البسطامي
يقول سمعت ابي يقول سالت ابا يزيد عن ابتدايه وزهده فقال ليس للزهد منزله فقلت
لماذا قال لاني كنت ثلاثه ايام في الزهد فلما كان في اليوم الرابع خرجت منه اليوم الاول
زهدت في الدنيا وما فيها واليوم الثاني زهدت في الاخره وما فيها والثالث زهدت فيما
سوى الله تعالى فلما كان اليوم الرابع لم يبق لي سوى الله فهمت فسمعت هاتفا يقول يا ابا يزيد
لا تقوى معنا فقلت هذا الذي اريد فسمعت قايلا يقول وجدت وجدت **قال** الشارح
رضي الله عنه فساله السايل عن ابتدايه لو كر زهده فاخبره ان الزهد ليس منزله واحده
حتى يجيبه عنه جوابا واحدا بل الزهد على درجات الاولى الزهد في الدنيا باسرها وهي على
اقسام الزهد في الطعام واللباس والمنام وفضول الكلام والراحه وغير ذلك من الاقسام
والناس في هذا مختلفون وكل منهم يسمى زاهدا او هو الذي زهد الله فيه الخلق ويعرفه الناس
من الزهد واما الزهد في الاخره فيا تي يوم فليس يعرفه كل الخلق فان الله رغب فيها وفي العمل لاجلها
ونيل نعيمها وفضل الجنه وما فيها من طعامها وشرابها وحورعينها كل ذلك في الترغيب

للعمل لها والزهد فيها باعتبار اخر ليس لحقارتها كالزهد في الدنيا التي لا تزن عند الله جناح
بعوضه وانما عوض عنها العارفون شغلا بمولاهم والتفرغ لمناجاته في ساير احوالهم فعبر
بالاعراض عنها شغلا بما هو اشرف منها بالزهد فيها وما فوقه فلما كان في اليوم الثالث زهدت
فيما سوى الله فربما سبق لبعض الناس انه اذا زهد في الدنيا والاخره لم يبق له شي اخر يزهد فيه
وهو غفلته عن نفسه فانه في اليوم الثالث زهد في نفسه وبذلها اجتهادا لربه حتى الغى
حظوظها مطلقا فلما نام وعلم الله منه كمال جهده واجتهاده هتف به الهاتف بان لا تقوى
معنا على هذه الحاله التي انت عليها من الشغل بنا فقال له الحق سبحانه هذا الذي اريد
ان اكون معكم عاجزا فقيرا الى فضلكم وعونكم فنودي في سره وجدت وجدت **قال**
الامام رضي الله عنه وقيل لابي يزيد ما اشد ما لقيت في سبيل الله تعالى فقال لا يمكن وصفه
فقيل له ما اهون ما لقيت نفسك منك فقال اما هذا فنعم دعوتها الى شي من الطاعات فلم تجبني
فمنعتها الماء سنه **قال** الشارح رضي الله عنه اعظم ما لقيته في سلوكه الى ربه لان السبيل
هو الطريق الموصل الى الله في ساير الطاعات حتى اجمل الجواب بقوله شديد لا اطيقه
فلما سيل عن ايسر ما لقيت منك نفسك فقال هذا نعم دعاها الى عباده فتكاسلت
فمنعها الماء سنه فاذا كان هذا هو الايسر فما ظنك بالشديد **قال** الامام رضي الله عنه
وقال ابو يزيد منذ ثلاثين سنه اصلي واعتقادي في نفسي عند كل صلاه اصليها كاني مجوسي
اريد ان اقطع زناري **قال** الشارح رضي الله عنه وهو قد نص في موضع اخر فقال
ثلاثين سنه حذاء نفسي وخمس سنين مراة قلبي وسنة انظر فيما بينهما فاذا في وسطي زنار
ظاهر فعملت في قطعه خمس سنين ثم نظرت فاذا في وسطي زنار باطن فعملت في قطعه فلما
قطعه راى الخلق كلهم موتى ونفسه منهم اي لا يقدرون له على نفع ولا على ضر فاشهدوا عنه
عنده الموتى تخفيفا فكبر عليهم تكبيرات وذلك ان الحداد سانه ان يحمي الحديد ويطرقه
ليصفيه ويخرج وسخه فقال كنت اعدل جوارحي وخواطري بالخوف والرجا
هذه المدة حتى اعتدلت على الشريعه واستقامت فرايت في نفسي التفاتا الى الخلق
ليعرفوا ما انا عليه من الطاعه الخالصه فتشبهه بعلامه الشرك وهو الزنار الظاهر
وهو التفاته في عمله الى غير الله فعمل في قطعه فلما تخلص منه اعجب بنفسه وتقواه وكياسته
وحسن تفقده لاعماله وحمد نفسه على ذلك ونسي منه ربه فلما ادركه راه زنارا باطنا
وهو انه جعل لنفسه اثرا في طاعته فلما من الله عليه برويه فضله عليه وانه هو الخلق
جميعهم لا يقدرون لانفسهم ولا لغيرهم على دفع شر ولا جلب خير كبر عليهم اربع تكبيرات
ذكر الله وحده واضاف العظمه والاقتدار له لا لغيره فقوله كاني في صلاتي مجوسي يعني
المده التي كان يعمل فيها في قطع الزنار الظاهر والله اعلم **قال** الامام رضي الله عنه سمعت

Copyright © King Saud University

بجميع ... والهيبة الجلالية من الموضع ... لو مصدر ... اهله ...
عن العجز ... اعتقد ... من التقصير الواجب ... القلب ...
والمتقوع ... التجلي ... الخضوع ... الصواب ...

محمد بن الحسين رحمه الله يقول سمعت عبد الله بن علي يقول سمعت موسى بن عيسى يقول قال لي ابو
يزيد لو نظرتم الى رجل اعطي من الكرامات حتى يرتفع في الهوى فلا تغتروا به حتى تنظروا كيف
تجدونه عند الامر والنهي وحفظ الحدود واداء الشريعة **قال** الشارح رضي الله عنه
وهذا صحيح فان الكرامة ما كان عونا للعبد على ما يقربه لمولاه ويقوي يقينه ويكسبه محبته
ورضاه فاذا جرى الخارق للعادة على يد العبد ولم تشهد الشريعة بالاستقامة دل على
انه مخدوع ممكور به غير مستقيم في سلوكه وانما يعرف توفيق العبد بحسن استقامته
على ما يرضي مولاه ووقوفه عند حدوده التي حدها لا يتعدى من واجباته ومناهيه **قال**
الامام رحمه الله عليه وحكى عمي البسطامي عن ابيه قال ذهب ابو يزيد ليلة الى الرباط ليذكر
الله سبحانه على سور الرباط فبقي الى الصباح لم يذكر فقلت له في ذلك فقال تذكرت كلمة جرت على لساني
في حال صباي فاحتشمت ان اذكره سبحانه **قال** الشارح رضي الله عنه وهذا يدل على كمال
تعظيمه لمولاه واستحيائه منه في جميع ما يتعاطاه وذلك ان الرباط على السور انما يكون لذكر اللسان
غالبا ليعرف انه محروس ممن يقصده من الاعداء فمضى ابو يزيد ليلة لينال فضل الحراسة في الذكر
بلسانه غالبا ولهذا قال صاحبه لم يذكر يعني بلسانه واما ذكر قلبه فلا اطلاع له عليه ولولا
ذكره لربه بقلبه لما كان استحياؤه منه فلما سأله عن سكوته بلسانه قال له اذكرني الله تعالى
في هذا الوقت كلمة كنت قلتها لا ترضيه فاستحييت منه ان اذكره بلسان عصيته به هذا
الذي اسكتني ومن هذا القبيل ما حكي ان بعضهم صلى خارج المسجد فقيل له لم تركت الصلاة
في المسجد فقال خطر ببالي اما تستحي ان تدخل بيته وقد عصيته ومن هذا القبيل قول بعضهم انه
سنين عدة ما رفع رأسه الى السماء حياء من الله وربما اعترض بعض هذه الاحوال من لا يفقهها
ممن لم يعرفها ويقول كيف ترى خيرا فاضلا فتتركه وكيف ترك الدخول الى المسجد وصلى خارجه
وهو افضل وكيف لم يرفع رأسه الى السماء والله منزه عن الجهات فالجواب السهل انا
نستحي ممن نراه اطرق رأسه لعلمه بروايته مطلقا وان لم يعلم جهته ولو صح حياؤك
من احد من الناس لقل اقدامك عليه واستحييت مما سبق منك والله الموفق **قال** الامام
رضي الله عنه ومنهم ابو محمد سهل بن عبد الله التستري احد ائمة القوم لم يكن له في
وقته نظير في المعاملات والورع وكان صاحب كرامات لقي ذا النون المصري بمكة سنة
خروجه الى الحج توفي فيما قيل سنة ثلاث وثمانين ومائتين وقيل ثلاث وسبعين وقال سهل
ابن عبد الله كنت ابن ثلاث سنين وكنت اقوم الليل انظر صلاة خالي محمد بن سوار وكان
يقوم بالليل فربما كان يقول يا سهل اذهب ثم فقد شغلت قلبي سمعت محمد بن الحسين رحمه
الله يقول سمعت ابا الفتح يوسف بن عمر الزاهد يقول سمعت عبد الله ابن عبد الحميد
يقول سمعت عبيد الله بن لؤلؤ يقول سمعت عمر بن واصل البصري يحكي عن سهل بن عبد الله

قال

قال قال لي خالي يوما الا تذكر الله الذي خلقك فقلت كيف اذكره قال قل بقلبك عند تقلبك
في ثيابك ثلاث مرات من غير ان تحرك به لسانك الله معي الله ناظر الي الله شاهدي فقلت
ذلك ليالي ثم اعلمته فقال قل في كل ليلة سبع مرات فقلت ذلك ثم اعلمته فقال قل في
كل ليلة احدى عشرة مرة فقلت ذلك فوقع في قلبي حلاوة فلما كان بعد سنة قال لي خالي
احفظ ما علمتك ودم عليه الى ان تدخل القبر فانه ينفعك في الدنيا والآخرة فلم ازل على ذلك
سنين فوجدت لها حلاوة في سري ثم قال لي خالي يوما يا سهل من كان الله تعالى معه وهو ناظر
اليه وشاهده لا يعصيه اياك والمعصية فكنت اخلو ابعثوني الى الكتاب فقلت اني اخشى
ان يتفرق علي همي ولكن شارطوا المعلم اني اذهب اليه ساعة فاتعلم ثم ارجع فمضيت الى الكتاب
فحفظت القرآن وانا ابن ست سنين او سبع سنين وكنت اصوم الدهر وقوتي خبز الشعير
الى ان بلغت اثنتي عشرة سنة فوقعت لي مسألة وانا ابن ثلاث عشرة سنة فسألتهم ان يبعثوا
بي الى البصرة اسأل عنها فجئت البصرة وسألت علماءها فلم يشف عني احد شيئا فخرجت الى عبادان
الى رجل يعرف بابي حبيب حمزة بن عبد الله العباداني فسألته عنها فاجابني واقمت عنده انتفع
بكلامه واتأدب بآدابه ثم رجعت الى تستر فجعلت قوتي اقتصارا على ان يشترى لي بدرهم
من الشعير الفرق فيطحن ويخبز لي فافطر عند السحر كل ليلة على اوقية واحدة بحتا بغير
ملح ولا ادم فكان يكفيني ذلك الدرهم سنة ثم عزمت على ان اطوي ثلاث ليال ثم افطر
ليلة ثم خمسا ثم سبعا ثم خمسا وعشرين ليلة فكنت عليه عشرين سنة ثم خرجت اسيح
في الارض سنين ثم رجعت الى تستر وكنت اقوم الليل كله **قال** الشارح رضي الله
عنه ففي هذه الحكاية تعليم وتدريج للمريد كيف يتعلم المراقبة واولها ذكر الله تعالى
باللسان مكررا مع حضور القلب فاذا اتقنه امره ان يذكر بقلبه خاصة فلهذا قال له قل بقلبك
من غير ان تحرك به لسانك بل عند حركتك وسكونك وتقلبك في ثيابك تقول الله معي وناظر
الي والله شاهدي فامره ان يقول ذلك في كل ليلة ثلاث مرات ثم خمسا ثم سبعا ثم احدى عشرة
مرة فهذا التدريج تسهيل لانتقال العبد من شيء الى ما هو اولى منه وكونه نقله في عدد
الافراد فيه سر وهو ان الله سبحانه فرد يحب الفرد ولذلك جاء التسبيح في اثر الصلاة
ثلاثا وثلاثين ثلاثا وثلاثين وهي افراد فلما دام على ذلك مدة نبهه على فائدته وهو ان
من استشعر ان الله معه وناظر اليه وشاهده لا يعصيه باخلال واجب او ارتكاب
محرم وقوله دم على ما علمتك الى القبر فانه ينفعك في الدنيا والآخرة فيه اشارة لقوله عليه
السلام لجبريل لما سأله عن الاحسان ان تعبد الله كأنك تراه وهذا اول الخير ومن مراقبة
الله عند الافعال فلما دام على ذلك وجد في نفسه لذة تحمله على ملازمة ذلك فوقعت
له صلت والظاهر انها من احوال القلوب والمعاملات فيما بين العبد وبين ربه ولم يجد

Copyright © King Saud University

البصري من نجيبه عنها فنا فراى عبادان فوجد من اجابه وخدمه وانتفع على يديه وهذا
يدل على انه بدل على انه لا يقلد في كل فن الا من يعرفه وياخذه من ادلته الخاصه به واما قناعته
باليسير وخبز الشعير واكله اليسير حتى تعود الجوع وهان عليه امره وخف عليه الوصال
وحينئذ شاح هكذا ينبغي ان لا يتعرض الانسان للسياحه ودخول البراري بلا زاد حتى يعوده
الله تعالى الصبر والقناعه باليسير والقوه على الجوع ودوام الفعل به حتى تصير راحته
في دوام ذكره ومناجاته فيشتغل بذلك عن اكله وشربه لوجود راحته فيه ويمن الله تعالى
عليه بالقوه فيه كما قال صلى الله عليه وسلم لصحابه رضي الله عنهم لما نهاهم عن الوصال رحمه
بهم وشفقه عليهم قالوا له انك تواصل يا رسول الله قال اني لست كهيئتكم ان لي طعاما يطعمني
وساق يسقيني هذا هو مذهب اهل السنه ان الشبع امر يخلقه الله عند الاكل
وكذلك الري يخلقه عند الشرب ويجوز ان يخلقهما الله تعالى بغير هذا السبب كما خلقهما خلقه
وحفظه القران وهو صغير من جمله حفظ الله تعالى له ولطفه به وهذا جميعه يدل على انه
مراد مخصوص بالعون من الله تعالى من صغره الى كبره قال الامام رضي الله عنه سمعت
محمد بن الحسين يقول سمعت ابا العباس البغدادي يقول سمعت ابراهيم بن فراس يقول سمعت
نصر بن احمد يقول قال سهل بن عبد الله كل فعل يفعله العبد بغير اقتدا طاعه كان او معصيه
فهو عيش النفس وكل فعل يفعله بالاقتدا فهو عذاب للنفس قال الشارح رضي الله
عنه وهذا صحيح لان الاقتدا مخالفه الهوى وخلافه عمل بالهوى وقد مدح الله تعالى
الناهي نفسه عن الهوى وقوله طاعه كان او معصيه يريد ان الهوى يكون في الطاعه
والمعصيه جميعا فمن رايه بطاعته فقد اتبع هواه ومن استحسن رايه في الفروع
والاصول بغير الاقتدا بالكتاب والسنه والسلف المهتدين فقد عمل بهواه
ولم يرد ان الاقتدا في المعاصي لا هوى فيه وانما مراده ما بيناه من ان الهوى
يكون في الطاعه والمعصيه جميعا اللهم الا ان يريد بالمعصيه تركها فان تركها قد
يكون فيه الهوى كما يكون في فعلها اذا تركها رياء وان تركها خشيه لله تعالى كان فعلا
محمودا قال الامام رحمه الله عليه ومنهم ابو سليمان عبد الرحمن بن عطيه الداراني وداران
قريه من قرى دمشق مات سنه خمس عشره ومايتين سمعت محمد بن الحسين يقول
سمعت عبد الله بن محمد الرازي يقول سمعت اسحق بن ابراهيم بن ابي حسان يقول سمعت
احمد بن ابي الحواري يقول سمعت ابا سليمان يقول من احسن في نهاره كوفي في ليله ومن
احسن في ليله كوفي في نهاره ومن صدق في ترك شهوه ذهب الله بها من قلبه والله تعالى
اكرم من ان يعذب قلبا بشهوه تركت له وبهذا الاسناد قال اذا سكنت الدنيا القلب
ترحلت منه الاخره قال الشارح رضي الله عنه قوله من احسن في نهاره كفي في

ليله

ليله وذلك لان الاحسان كما تقدم في الخبر الصحيح من حديث جبريل مع النبي صلى الله عليه وسلم
ان تعبد الله كانك تراه فان لم تكن تراه فانه يراك ومن كان في نهاره مراقبا لحركاته وسكونه
لموقع ذلك على حسب مطالب ربه وهو مستشعر لنظر ربه اليه في سائر تقلبه بقيت في
قلبه ملكه الخشيه والمراقبه فيحفظه الله تعالى بها في الليل
وكذلك اذا كان قائما في ليله تاليا لكتاب ربه تاركا للذه نومه لوجهه وطلب قربه ولذه في
مناجاته بقيت اثار بركته في ليله على نهاره فيكفيه الله شر نفسه وشيطانه وغير ذلك من اعدائه
ومفسدات اعماله في ليله ونهاره واما قوله اذا سكنت الدنيا القلب ترحلت منه الاخره
يعني اذا كان اشتغاله بدنياه وعاجل شهواته في موافقه نفسه وهواه غلب ذلك على اخراه
وعلى الاعتبار بها ترحلت الاخره عن قلبه اي لم يتفكر في اعمالها ولا اشتغل لاخرته قال الامام
رضي الله عنه سمعت الشيخ ابا عبد الرحمن محمد بن الحسين السلمي رحمه الله يقول سمعت الحسين بن يحيى
يقول سمعت جعفر بن محمد بن نصير يقول سمعت الجنيد يقول قال ابو سليمان الداراني ربما يقع
في قلبي النكته من نكت القوم اياما فلا اقبل منه الا بشاهدين عدلين الكتاب والسنه قال
الشارح رضي الله عنه قوله يقع في قلبي نكته يعني الكلمه من الحكمه فلا اقنع باستحسانها برايي
اجعل لها دليلا من الكتاب والسنه وقد يكتفي باحد الدليلين وهو الكتاب اذا كان عالما بمعانيه
وادلته الا انه اراد بالسنه والله اعلم ان يكون درج عليه الصدر الاول وقالوا به فانه قد
يكون في الكتاب ما نسخ او ما خصص او مجمل فسر او ما يجري مجراه فعمل الامه باحدهما
فكان لا يقنع الا بدليلين ان يكون ورد في الكتاب ودرج عليه عمل التابعين والله اعلم قال
الامام رضي الله عنه وقال ابو سليمان افضل الاعمال خلاف هوى النفس قال الشارح
رضي الله عنه وهذا بظاهره يدل على ان افضل الاعمال ما خالفت فيه هوى نفسك وقد يكون
مراده ان افضل الاعمال ما ليس للنفس فيه هوى فان العمل الذي ينشيه عامله على الصدق
والاخلاص افضل الاعمال وما خلط فيه الهوى ثم نفي عنه وخولفت فيه النفس لا يساوي ما
ذكرناه في الفضل والله اعلم قال الامام رحمه الله عليه وقال لكل شي علم وعلم الخذلان
ترك البكا وقال لكل شي صدا وصدا نور القلب شبع البطن قال الشارح رضي الله عنه
فاما قوله لكل شي علم وعلامه الخذلان ترك البكا وهذا انما يكون مع الذنوب والتقصير
فاذا كان الانسان مطلخا بالمعاصي من الاخلال بالواجبات وارتكاب المحرمات ولم يبك ولم
يتب ولم يرجع الى الله تعالى فهي علامه الخذلان وقد لا يكون عاصيا ولكن عازما على سلوك
طريق الافضل والاولى لا يجد من نفسه نهضه الى قيام الليل وصيام النهار ودوام الذكر
والاعتبار فعلامه خذلانه ايضا في ذلك طريقه ترك البكا والتضرع والدليل على الاول
والثاني قوله تعالى فلولا اذ جاءهم باسنا تضرعوا وكل على حسب درجته فالكسل والفتور راس

Copyright © King Saud University

وبؤس وغفله عن دوام الذكر ومراقبه الله بؤس ولا يوجد لهذه الامراض انفع من البكا والتضرع
فان ما كان بيد القوي القاهر لا ينال الا بذلك **قال** الامام رحمه الله عليه وبالبكا ما شغلك
عن الله تعالى من اهل ومال وولد فهو عليك مشوم **قال** الشارح رضي الله عنه وهذا صحيح
فان الله تعالى قال انما اموالكم واولادكم فتنه وقال تعالى ان من ازواجكم واولادكم عدوا لكم
فاحذروهم وانما ذلك لاشتغال الانسان بهم عن اخرته والسعي في ليله ونهاره في مآربهم
واغراضهم فيضيع ما لا بد له من الاشتغال بامر اخرته فبهذا الاعتبار كان مشوما **قال** الامام
مطلب
رحمه الله عليه وقال ابو سليمان كنت ليله بارده في المحراب فاقلقني البرد فخبات احد يدي
من البرد وبقيت الاخرى ممدوده فغلبتني عيني فهتف بي هاتف يا ابا سليمان قد وضعنا
في هذه ما اصابها ولو كانت الاخرى لوضعنا فيها فاليت على نفسي ان لا ادعو الا ويداي خارجتان
حرا كان او بردا **قال** الشارح رضي الله عنه وهذا تنبيه على ان العبد ينبغي له اذا دعا ان يتفرغ
بكليته بقلبه وجوارحه واقباله على ما امر به الا قبالا اليه وبسط اليدين في الدعا في الاخبار الصحيحه
موجود ثابت ويمسح بها وجهه وكان مالك رحمه الله فيما نقل عنه انه رفع يديه وبطونها الى
الارض وظهورها الى السما حين عزم الامام على الناس في الدعا للاستسقا وقال انه ليعجبني هكذا
وهذا يحتمل ان يكون مخصوصا بالدعا في هذا الوقت فانه قد فرق بين دعا الرغبه والرهبه
وجعل دعا الرغبه ببسط اليدين والرهبه كما وصفناه والذي يناسب من اخر عنه الغيث
الرهبه والخوف ان يكون ذلك بذنوبه ودعا الرغبه يناسب ان يكون في اثر العبادات والفراغ
من الطاعات وقد كان يرفع العبد يديه ويبسطها غير مفترقتين ولا يخالف امامه **قال** الامام
رحمه الله عليه وقال ابو سليمان نمت عن وردي فاذا انا بحورا تقول لي تنام وانا اربى لك
في الخدور منذ خمسمايه عام **قال** الشارح رضي الله عنه وهذا مما تقدمت الاشاره اليه
من ان الله تعالى يعظ عبده ويؤدبه في ليله ونهاره وفي يقظته ومنامه فلما نام هذا عن
ورده مثل له ملك الرويا باذن الله تعالى بهذه الحورا الجميله وقالت له انا اربى لك في الخدور
منذ خمسمايه عام تنام وهو ان الله تعالى عند ذلك الجزا قبل ان تعمل فكيف يمكنك ان تنام فكان
ذلك سبب ذهاب النوم عنه والخمسمايه يمكن ان يكون ولخلقه لها سبحانه وانشايها
وتربيتها زياده جمالها وحسنها وكما لها وذلك بتوفيق الله تعالى له في اعماله كلما ازداد عمله
زاد اجره وكمل جزاوه ومن هذا القبيل ذكر ان بعضهم راى في منامه حورا وعلى وجهها نور عظيم
فسالها عن ذلك النور فقالت له تذكر ليله كيت وكيت ولما بكيت اخذت دمعه من بكايك
فمسحت بها وجهي فمنه هذا النور وانما هي اعمالكم ترد عليكم والله يضاعف لمن يشاء ويتفضل بالا
عمل على من يشا كيف واصل العمل من فضله **قال** الامام رحمه الله عليه انا عبد الله بن يوسف
الاصبهاني انا ابو عمر والجوكشني قال انا محمد بن اسماعيل قال انا احمد بن ابي الحوارى قال دخلت
الجوزني

٦٠
على ابي سليمان يوما وهو يبكي فقلت له ما يبكيك فقال يا احمد ولم لا ابكي اذا جن الليل ونامت العيون
وخلا كل حبيب بحبيبه افترش اهل المحبه اقدامهم وجرت دموعهم على خدودهم وتقطرت
في محاريبهم اشرف الجليل سبحانه فنادى يا جبريل بعيني من تلذذ بكلامي واستراح الى ذكري
واني لمطلع عليهم في خلواتهم اسمع انينهم وارى بكاهم فلم لا تنادي فيهم يا جبريل ما هذا البكا هل رايتم
حبيبا يعذب احبابه ام كيف يجمل بي ان اخذ قوما تملقوني فبي حلفت اذا وردوا علي القيامه
لاكشفن لهم عن وجهي الكريم حتى ينظروا الي وانظر اليهم **قال** الشارح رضي الله عنه والبكا
يكون على وجوه بكا الخوف وبكا الفرح بالنعمه وبكا الشكر للقبول وبكا المحبه والشوق للوصول
فدخل على شيخه وهو يبكي فساله عن بكايه فاخبره ان بكا اهل المحبه اذا جنهم الليل تملقا والمودة
قالبين لكتابه متلذذين بمناجاته بالكينونه متضرعين ما شرف عليهم الجليل جل جلاله اي اسبغ
عليهم من نعمه وزادهم قلوبهم حضورا وشوقا اليه وتقطعا بين يديه والا فالحق سبحانه لا يغيب
عنه شي وانما اشرافه عليهم برحمته وقيل زياده كراماته ويباهي بهم ملايكته وقال لجبريل يا جبريل
الا تنادي فيهم ليستمعوا كلام الملك بالبشرى من الله تعالى فيزدادوا سرورا وفرحا وامنا
بقوله هل رايتم حبيبا يعذب احبابه واقسم تجلاله اذا كان يوم القيامه كشف عنهم الحجب التي
تحجبهم عن رويته في الدنيا حتى يروه بابصارهم فان الخلق هم المحجوبون والحق سبحانه يستحيل
ان يحجب لتنزيهه عن الجسم والجهه والمقدار تعالى عن ذلك علوا كبيرا **قال** الامام رحمه
الله ومنهم ابو عبد الرحمن حاتم بن عنوان وقيل حاتم بن يوسف الاصم من اكابر مشايخ خراسان
وكان تلميذ شقيق واستاذ احمد بن خضرويه قيل لم يكن اصم وانما تصامم مره فسمي به سمعت
الاستاذ ابا علي الدقاق رحمه الله يقول جات امراه فسالت حاتما عن مساله فاتفق انه خرج منها
في تلك الحاله صوت فخجلت فقال حاتم ارفعي صوتك فارى من نفسه انه اصم فسرت المراه بذلك
وظنت انه لم يسمع الصوت فغلب عليه اسم الاصم **قال** الشارح رضي الله عنه من جمله الشفقه
على خلق الله ودفع ما يولمهم عنهم وهي من علامه الولايات وذلك ان المراه الشديده الحيا
تستحي ان تتكلم بلسانها بين الرجال الا من ضروره فكيف اذا خرج منها ريح فتكاد ان تموت لاجلها
من الخجل والحيا فلما جات هذه المراه تسال حاتما عن مسله دعتها اليها حاجه فخرج منها ريح في تلك
الحال فكادت تموت من الخجل والحيا فادرك حاتم منها ذلك فاوهمها انه اصم لم يسمع ما خرج
منها وان ذلك لثقل في سمعه وانما فعله تصامما رحمه لها فسمي الاصم لذلك ولم يكن عنده صمم على
التحقيق وتحدث بذلك لمن يقتدي به من اصحابه يسلك مسلكه في الشفقه على الخلق
الامام رضي الله عنه انا الشيخ ابو عبد الرحمن السلمي رحمه الله قال سمعت ابا علي سعيد بن احمد يقول
سمعت ابي يقول سمعت محمد بن عبد الله يقول سمعت خالي محمد بن الليث يقول سمعت حامد
اللفاف يقول سمعت حاتما الاصم يقول ما من صباح الا والشيطان يقول لي ما تاكل وما تلبس

Copyright © King Saud University

وابن يسكن فاقول اكل الموت والبس الكفن واسكن القبر وباسناده قيل له الا تشتهي فقال اشتهي
عافيه يوم الى الليل فقيل له الست الايام كلها عافيه فقال ان عافيه يومي ان لا اعصي الله فيه
قال الشارح رضي الله عنه في كلامه الاول اشاره الى قصر الامل وان الشيطان انما يوسوس
للانسان ويعد لمنى الامال لاستشعاره طول الحياه فاذا استشعر ذلك وسوسه بما ياكل وما
يلبس واين يسكن وطول المده التي عد لها امله فاذا وسوس الشيطان من خفر الله اجابه بهذا
الجواب وهو ذكر الموت والقبر وفي الحكايه الثانيه لما قيل له الا تشتهي فقال عافيه يوم الى الليل
فقيل له الست في عافيه فقال انما العافيه ان لا تعصي الله فاجابه بالعافيه التي لا مرض بعدها
وهي السلامه من العقاب واسبابه في الدنيا والاخره قال الامام رضي الله عنه وحكي عن حاتم
الاصم انه قال كنت في بعض الغزوات فاخذني تركي فاضجعني للذبح فلم يشتغل به قلبي بل كنت انظر
ماذا يحكم الله تعالى فبينا هو يطلب السكين من خفه اصابه سهم غرب فقتله وطرحه عني فقمت
قال الشارح رضي الله عنه ففي هذه الحكايه دليل على كمال التثبت وقوة اليقين بانه لا يجري
على العبد الا ما سبقت به المقادير وفيها تعليم ذلك والترقي في درجاته وذلك ان حاتما حكى
عن نفسه انه كان في بعض الغزوات فاخذه تركي واضجعه للذبح وجلس على صدره وهو يخرج
السكين من خفه ومع هذه الحاله الشديده وانتظار الموت من الاعداء فحاتم الاصم لم يكن
مشتغلا بذلك يعني بالم الذبح وانما كان قلبه مشغولا بمناجاة الله والنظر لما تجريه المقادير
وهو يقول يا رب قضيت على ان يذبحني هذا الكافر على الراس والعين يعني انه راض بما قضي عليه
فبينا انا معه كذلك اتاه سهم غرب يعني طائشا فالقاه عني فقمت وفي بعض الروايات فقمت
فاخذت السكين من خفه فذبحته بها فيها هاو لا تنكرن قلوبكم مع الله لتروا منه ما لم تروه من
الآبا والامهات قال الامام رحمه الله عليه سمعت عبد الله بن يوسف الاصبهاني يقول سمعت
ابا نصر ابن منصور بن محمد بن ابراهيم الفقيه يقول سمعت ابا جعفر بن محمد بن نصير يقول
روي عن حاتم انه قال من دخل في مذهبنا هذا فليجعل في نفسه اربع خصال من الموت موتا
ابيض وهو الجوع وموتا اسود وهو احتمال الاذى من الخلق وموتا احمر وهو العمل في مخالفه
الهوى وموتا اخضر وهو طرح الرقاع بعضها على بعض قال الشارح رضي الله عنه وانما سمى هذه
الخصال الموت لانها من المشقه وظهر لمناسبتها الالوان وجه وهو ان الجوع يذهب الدم
فيذهب بماء الوجه ولكنه يحيي القلب ويصفيه للذكر سماه ابيض واما الاسود فهو احتمال
الاذى من الخلق وذلك لما يلحق الانسان من الغم وعدم الانتصار للنفس فسماه اسود لهذا
الاعتبار واما الاحمر وهو من مخالفه الهوى ودفع النفس بعدها من اغراضها وقطعها
عن شهواتها فاستعار لهذا الذبح لون الدم وهي الحمره واما الرابع وهو الاخضر فطرح الرقاع
بعضها على بعض وذلك شعار الصالحين لان لباسهم الاخضر في الجنه والله اعلم فان العبد اذا كان

في الدنيا لا غرض له في اللباس الا ما يستر عورته فان تقطع مما عليه موضع التقطع رقعه من الارض
وغسلها بالماء وستر بها عورته فجزا اهل التقلل في اللباس ما وعد الله به السابقين اول الناس
كما قال تعالى بما صبروا جنة وحريرا وقال في اخر الايه عاليهم ثياب سندس خضر واستبرق
والله اعلم بما اراد قال الامام رضي الله عنه ومنهم ابو زكريا يحيى بن معاذ الرازي الواعظ
نسيج وحده في وقته له لسان في الرجاء خصوصا وكلام في المعرفه خرج الى بلخ واقام بها مده
ورجع الى نيسابور ومات بها سنه ثمان وخمسين ومائتين سمعت محمد بن الحسين يقول سمعت
عبد الله بن محمد بن احمد بن حمدان العكبري يقول سمعت احمد بن السري يقول سمعت احمد
ابن عيسى يقول سمعت يحيى يقول كيف يكون زاهدا من لا ورع له تورع عما ليس لك ثم ازهد فيما لك
وبهذا الاسناد الجوع للتوابين تجربه وجوع الزاهدين سياسه وجوع الصديقين تكرمه
قال الشارح رضي الله عنه فقوله كيف يكون زاهدا من لم يكن ورعا وذلك ان الورع انما هو في
الشبهات والمكروهات فاذا لم ينه عن نفس الرجل الاعراض عن ذلك فكيف يعرض عن الحلال الصرف
الذي لا شي فيه ولهذا قال فتورع عما ليس لك ثم ازهد فيما لك اي تورع عما ليس لك ازهد
فيما لك اخذه شرعا وقوله في الحكايه الثانيه مدح الجوع وان اهل كل مقام ينتفعون
به وذلك ان التقلل من الطعام والشراب تخفف الابدان وتقلل المنام وينهض القلب
وتحييه بسرعه الفهم للاحكام وخواطر الالهام فالمريد يجوع ليجرب نفسه هل يصبر عن
الطعام فانه يحتاج لمخالفه العاده والزاهد قد قلت رغبته في الدنيا في الطعام وغيره انما جوعه
سياسه لنفسه في بعض الاوقات دون بعض لصلاح حاله فيما هو فيه لا لتعود الجوع
والصبر عن الطعام [illegible] معوضه عنه برهبها فاما جوع الصديقين بالله تعالى يشغلهم
بذكره ومناجاته و[illegible] والتلذذ بما هم فيه من قربه فيشتغلهم بهذه الكرامه عن الطعام
فجوعهم بسبب هذا [illegible] تبعا وتشريفا بين الانام قال الامام رضي الله عنه قال
يحيى الفوت اشد من الموت لان الفوت انقطاع عن الحق والموت انقطاع عن الخلق
قال الشارح رضي الله عنه وهذا امر كلي جار في سائر المطالب وذلك ان الموت امر معلوم
والعبد ينتظره ويتهيأ لوقوعه وما كان كذلك خف عند نزوله واما ما تعلق القلب
ورجا حصوله واجتهد في تحصيله ثم فاته فانه عليه شديد [illegible] ان فاتت عظيما
ويفوت بفواته خير كثير فالالم عليه اشد ولا اعظم من الله سبحانه [illegible] الخيرات بيده فمن
افرغ جهده في دنياه واشتغل بجميل تقواه ودام ذكره لمولاه ورجا نيل قربه منه ومناه
ففاته ذلك بسبب من الاسباب او حجب عنه بحجاب فالمه اشد الالام وبلاؤه اشد البلا
ولذلك قال بعضهم اللهم ان عذبتني بشي فلا تعذبني بذل الحجاب قال الامام رضي الله عنه
قال يحيى الزهد ثلاثة اشيا القله والخلوه والجوع قال الشارح رضي الله عنه

وفي اول كلامه رضي الله عنه ما يدل على غلبة السوابق على قلبه وهي الخواتم وذلك انه في حال النزع
مشغولا بالله تعالى وذكره كال الشغل واستشعاره فراق الدنيا وانقطاع العمل فلما سأله سائل
عن مسالة اراد ان يوديه بلطف وقال يا ولدي باب لي اليوم اذقه خمسا وتسعين سنة يعني
عبادته لربه واشتغاله به رجاء قربه والبعد من سخطه وحجبه هو ذا يفتح لي الان لا ادري الى
جنة او الى نار فاني لي والجواب في مثل هذه الحال ولعمر الله الناس اذا لقنوا الميت
ذكر الله لا يلحوا عليه بالتكرار فانه قد يكون في شغل تام بالخير فيشوشون عليه حاله مع ربه
وانما الاحسن ان يقال الكلمة بعد كلمة لاحتمال غفلته واما اخر الحكاية وهو ان كثرة الدين الذي كان
عليه فالظاهر من حاله انما كان يتدين للانفاق على الفقراء واهل الخير وجهه البر وكان ارباب الديون
يعلمون حاله وانه اذا تنح عليه يقضاه وكانوا واثقين بوجوده وحياته فلما حضر واعتد
موته ورآهم ذكر دينهم وان نفوسهم كانت تطيب بسبب حياته فناجى ربه قال يا رب انت
تعلم ان الرهون وثايق لارباب الاموال تطيب نفوسهم بوجود رهنهم وانا ساخذ الرهن
فاقض عني الدين يعني نفسه فعلم الله صدقه فاستجاب دعاه وبسر محبا الخير كان ذا ثروة وعلم
حاله فقضى عنه ويحتمل ان يأتي الله بولي او ملك او جني في صورة ادمي فيقضي عنه الدين وذلك
جائز **قال** الامام رضي الله عنه وقال احمد بن حضرويه لا نوم اثقل من الغفلة ولا رق املك من الشهوة
ولولا ثقل الغفلة لما ظفرت بك الشهوة **قال** الشارح رضي الله عنه وهذا الكلام صحيح
وذلك ان النوم غايته ان يقطع عن اسباب دنيوية وربما قطع عن بعض الاسباب
الاخروية والغفلة عن الله تعالى والدار الاخرة اعظم من كل نوم واثقل والنائم حسا اذا نبه
انتبه سريعا والنائم غفلة عن الخير وقلة الرغبة فيه ينبه مرار ولا يستيقظ وكذلك
لا رق املك من الشهوة لان من ملكه هواه عمي عن عمل اخراه ولذلك قال صلى الله عليه وسلم
تعس عبد الدينار وعبد الدرهم وعبد القطيفة وعبد الخميصة وجعله عبد لهذه
الاشيا لامتلا قلبه بمحبتها واستغراقه في تحصيلها وحفظها وهذا هو معنا الاستعباد
والاستسخار وقوله لولا ثقل الغفلة لما ظفرت بك الشهوة وهو صحيح لان العبد
لو كان متيقظا عند خطور خواطره ودواعي نفسه لا فعاله وفرق بين المذموم منها والمحمود
لسلم من شهواته واشتغل بقربه وطاعته **قال** الامام رضي الله عنه ومنهم ابو الحسن
احمد بن ابي الحواري من اهل دمشق صحب ابا سليمان الداراني وغيره مات سنة ثلاثين
ومايتين وكان الجنيد رحمه الله يقول احمد بن ابي الحواري ريحانة الشام سمعت الشيخ
ابا عبد الرحمن السلمي يقول سمعت ابا احمد الحافظ يقول سمعت سعيد بن عبد العزيز يقول
سمعت احمد بن ابي الحواري يقول من نظر الى الدنيا نظر ارادة وحب لها اخرج الله نور اليقين
والزهد من قلبه وبهذا الاسناد يقول من عمل بلا اتباع سنة فباطل عمله وبهذا الاسناد

قال احمد افضل البكا بكا العبد على ما فاته من اوقاته على غير موافقة وقال احمد ما ابتلى الله عبدا
بشي اشد من الغفلة والقسوة **قال** الشارح رضي الله عنه قوله من نظر الى الدنيا نظر ارادة
وحب للدنيا اخرج الله نور اليقين والزهد من قلبه يعني في حالة نظره وذلك ان يقين العبد
بحقارة الدنيا ونقصها عند خالقها ومعرفته بطلب الزهد فيها مضادة لارادتها وحبها
ومتى احبها العبد لاستحسانها عنده ورغب في تحصيلها غفل عن حقارتها عند
ربه وترهيبه فيها وهذا معنى خروجهما من قلبه لان الله سبحانه يعاقبه بهذه الارادة
والمحبة على ان لا يهتدي الى الزهد ولا اليقين ابدا وقوله من عمل بلا اتباع سنة فباطل عمله
يعني اخل بشروط العمل واركانه التي هي شرط صحته فيكون العمل باطلا من اصله ويحتمل
ان يكون اراد بطلان ثواب فضايله وكماله فان من عمله واتى بشروط صحته واخل
بفضايله التي سنها الشرع فقد بطل عليه ثواب هذه الزيادة ان المشروع خاصة من صحة
عمله واما قوله افضل البكا بكا العبد على ما فاته من اوقاته على غير موافقة فلانها اقسام متنوعة وهي
اقسام وان كان كله فاضلا اذا كان لله فقد يبكي العبد على وقوعه في المعاصي لاخلاله بالواجبات
وارتكاب المحرمات وقد يبكي على غلبة نفسه اياه على التوبة عنها بعد الوقوع وقد يبكي على ارتكاب
المكروهات او الكسل عن المندوبات وقد يبكي على تقصيره عن رفع الطاعات ونيل المقامات
العاليات في قلبه وجوارحه في عموم الساعات وقد يبكي على طروق الغفلات في كثير من الاوقات
وقد يبكي على عدم التلذذ بالمناجاة والحضور بقلبه في الدعوات وما ذكره من قوله على ما فاته
من اوقاته على غير الموافقات يجري على كل قسم من هذه الاقسام المذكورة على حسب الدرجات
والمقامات وقوله ما ابتلى الله تعالى عبدا بشي اشد من الغفلة والقسوة صحيح فان القسوة
تمنع من حصول التنبيهات وسماع واعظ الله تعالى في قلب كل مسلم على ما ورد في الاخبار
الواضحات وانما يقسو القلب بتوالي المخالفات والتلذذ بالشهوات ومن ذلك تكون الغفلات
وتناسى النفس بذلك فيقسو القلب ويصلب عن سماع المواعظ والمذكرات وهذا البلا
هو الذي يفوت خيرات الاخرة ويثمر في القلب سائر الحسرات والندامات بخلاف
بلايا الدنيا فانها لا تخلو من اجور وان كانت فيها مشقات فبهذا الاعتبار كانت القسوة
والغفلة اعظم البليات **قال** الامام رحمه الله عليه ومنهم ابو حفص عمر بن سلم
الحداد من قرية يقال كوزداباذ على باب مدينة نيسابور على طريق بخارى احد الايمة
والسادة مات سنة نيف وستين ومايتين قال ابو حفص المعاصي بريد الكفر كما ان
الحمى بريد الموت **قال** الشارح رضي الله عنه وكلامه رضي الله عنه فيه تحريض على
ترك المعاصي والبعد عنها والاشتغال بالطاعات ودوام الذكر لله تعالى فان العبد
اذا اشتغل بذلك لا تجد داعيه ذنوب بقيته وعاش قلبه من موت الغفلة وادا ثوابه

الفقير محمد ... الوضو

Copyright © King Saud University

ادا بغفلة احدكم بالعلة الدائمة وهو جنب ابن القاسم لا الذي فيه بل ابسل اوغسل عنه اذا لم يعلم دخوله فيه وكذا العلماء كثيرا قوله وسور شارب خمر اذ كل يده فيه لا وكذلك يحرم سور شارب خمر

عليه المعاصي ودام عليها تعلق قلبه بها عسرت عليه المفارقه وثقل سماعه للمواعظ والزواجر لقسوه قلبه وصار انيسا للشيطان وموافقا له ومن حزبه فاذا جاءت خروج الروح اشتد كيد الشيطان لعنه الله على خروج روح الانسان على غير الايمان والعياذ بالله عز وجل واذا كان العبد في حال صحته وغفلته والشيطان بلغت به فكيف اذا توالت اوجاعه وكثرت همومه واشتغل عقله الحارس لهواه بما هو فيه وخشي عليه موافقة الشيطان فيما يدعوه اليه من الكفر بالرحمن والعياذ بالله المنان فبهذا الاعتبار كانت المعاصي تزيد الكفر اي رسله ومقدماته كما ان توالي الامراض والحمى كانت تزيد الموته قال الامام رضي الله عنه وقال ابو حفص اذا رايت المريد يحب السماع فاعلم ان فيه بقيه من البطاله قال الشارح رضي الله عنه وهذا صحيح فان العبد لو كان شغله بالله تعالى ودوام ذكره وترتيب وراده وعماره اوقاته رزقه الله تعالى فيه من اللذه والحضور والانس بمناجاته ما يستغني به عن المحركات فان الغالب من السماع اذا اخذ على وجهه وسلم من الافات والمنكرات تحريك القلوب لتنشط للطاعات ومتى احتاج العبد في عماره اوقاته وشغله بربه الى المحركات فيه بقيه من البطاله قال الامام رضي الله عنه حسن ادب الظاهر عنوان حسن ادب الباطن قال الشارح رضي الله عنه وذلك ان النبي صلى الله عليه وسلم قال في البدن مضغه او بضعة اذا صلحت صلح ساير الجسد واذا فسدت فسد ساير الجسد الا وهي القلب فاذا انعمر القلب بالمراقبه لله تعالى ولاحكامه بالنظر الى تعاليه قلبه وجوارحه وتادب بادب الله الذي ادبه به على لسان رسوله صلى الله عليه وسلم تبعت الجوارح القلب لان القلب اول علم وهو محل النيات والعزوم وبتبع الاعمال بالصحه والفساد على حسب ما يكون في القلب على الحق المعلوم قال الامام رضي الله عنه وقال الفتوة اذا الانصاف وترك مطالبه الانصاف قال الشارح رضي الله عنه وهذا صحيح فان المعنى هو الذي يبذل لكل ممكن بسهوله من نفس ومال او جاه ولا يرى له على ذلك حقا لحسن خلقه وكمال فتوته وسخايه بالخيرات ومن هذه صفته لا يخطر ببا له ان يطلب من احد ان ينصفه فان طلبه الانتصاف ممن اذاه او ظلمه دليل على المواخذه تحققه ورويه الحق لنفسه وهذا ليس من كمال الفتوه قال الامام رضي الله عنه سمعت محمد بن الحسين رحمه الله يقول سمعت ابا الحسن بن محمد بن موسى يقول سمعت ابا على الثقفي يقول كان ابو حفص يقول من لم يزن افعاله واحواله في كل وقت بالكتاب والسنة ولم يتهم خواطره فلا تعده في ديوان الرجال قال الشارح رضي الله عنه صحيح فان من لم يكن بهذه الصفه فقد اعتريه اه في وقته وامن خدعه نفسه وغدره ومن امن عداوه من امر الله بعداوته وبني على انه لا يضره كيد من كاده فقد امن المكر فانه لا يامن مكر

ابو

ومما ... فيه ... من ... وقبل حضوره بالكرامة وقبل سوره عمل الى الكلاب قوله ومما يتوقف في نجاسة يقع ... لا يكره ولا يتوقف الى النجس من الحيوانات ... بعضهم الاحتراز عنه مزيته ... احترز من المضطر قبل ... لا يكره ...

الله الا القوم الخاسرون واذا انتبت العبد عند اوايل انحاله ووزنها بميزان الشريعه سوا كانت بقلبه او جوارحه وميز بين رديها وجيدها بعلمه وقبل ما ينبغي قبوله ونفى ما ينبغي نفيه فهذه علامه سلامته وارتفعه درجته ولا كذلك فلا يعد من لم يكن هذه صفته من الرجال كما قال تعالى رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه وعهد الله الوفا بما الزم العبد القيام به واوفوا بعهد الله اذا عاهدتم الم اعهد اليكم يا بني ادم ان لا تعبدوا الشيطان الايه قال الامام رضي الله عنه ومنهم ابو تراب عسكر بن حصين النخشبي صحب حاتما الاصم وابا حاتم العطار البصري مات سنة خمس واربعين وماتين قيل مات بالباديه نهسته السباع وقال ابن الجلا صحبت ستمايه شيخ ما لقيت فيهم مثل اربعه اولهم ابو تراب النخشبي قال ابو تراب الفقير قوته ما وجد ولباسه ما ستر ومسكنه حيث نزل قال الشارح رضي الله عنه وهذا دليل على ان الفقرا انما ينال من متاع الدنيا حاجته استقراره في موضع يكنه ويستر حاله وقوت يقيم صلبه ولباس يستر عورته من اي نوع كان من غير تفصيل الا بالنظر الى الصحه والمرض والسفر والحضر والاجتماع مع الناس والعدم منهم فان ذلك يختلف حاله فتخصيصه فالذي يناله في صحته من الطعام قد لا يوافقه في حال مرضه ولا يستقيم دينه معه والذي يلبسه اذا كان منفردا بعيدا من الناس قد لا يحسن به اذا كان معهم في الجمع والاعياد والشهود وستر الحال وغير ذلك على ما تقتضيه الادله الشرعيه باختلاف الاحوال قال الامام رضي الله عنه وقال ابو تراب اذا صدق العبد في العمل وجد حلاوته قبل ان يعمله فاذا اخلص فيه وجد حلاوته وقت مباشره الفعل قال الشارح رضي الله عنه الصدق هو الجد في اصابه الحق فان كان في اللسان فهو الاخبار عن الشي على ما هو عليه وان كان في القلب فقوه العزم وشده الحمل على الاتباع من غير فتور ولا اخلال وان كان في الجوارح فكمال النشاط مع نفي الكسل والملال ومتى كان متصفا بالصدق وجد لله صدقه وسرور في قلبه قبل ان يدخل في العمل فاذا دخل فيه مع هذا الجد والاخلاص تنعم به في اثنا عمله وانبعث الشكر من قلبه عليه لربه وهو وجود اللذه والتنعم بها والفرح بما من به عليه فقل بفضل الله وبرحمته فبذلك فليفرحوا ففرحهم بفضل مولاهم عليهم لا بانفسهم وجميل تقواهم قال الامام رضي الله عنه سمعت الشيخ ابا عبد الرحمن السلمي يقول سمعت جدي اسمعيل ابن نجيد يقول كان ابو تراب اذا راى من اصحابه ما يكره زاد في اجتهاده وجدد توبته ويقول بشومي دفعوا الى ما دفعوا اليه لان الله عز وجل يقول ان الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بانفسهم قال الشارح رضي الله عنه وهذا يدل على كمال اقتدا اصحابه به في ساير اعماله فادا راى منهم تنزه عما يشير به عليهم نسب التقصير الى

احتراز عن العذر والعدن قوله كما ... هو راجع الى قوله لا لغيره لا احتراز لانجاسته ... وحكى ... هيئته ... عليه ... كتبه قوله ... بين ... ولكن ... انما قال ... رائحه ... حتى ... والحنزير ... الطاهر ... اخلاط بنجسه

Copyright © King Saud University

ما يتعجب ... بقوله ... [illegible]
لسرع نفس ... وبقوله ... من الحلا ... ولانه لا يغير ... بفعله وكم
بنقيض ... اذا تغير فانه يجب ترك جميعهم حتى يزول التغيير قوله ...

نفسه وقال لنفسه لو علم الله تعالى من قلبي ما اشرب به عليهم لسهله عليهم فنبّه أنوار استدل
بقوله تعالى ان الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بانفسهم فجعل تغير نفسه تغيير الجميع
من يقتدي به ويحتمل ان يكون هذا من باب تهمة النفس وادبا لاصحابه فاذا سمعوا
منه نسبة النقص لنفسه مع انه افضلهم حركهم ذلك الى الجد والاجتهاد وقال
الاستعداد قال الامام رضي الله عنه قال وسمعته يقول لاصحابه من لبس منكم مرقعة
فقد سال ومن قعد في خانقاه او مسجد فقد سال ومن قرا القران من مصحف
او كيما يسمع الناس فقد سال قال الشارح رضي الله عنه وهذا منه رضي الله عنه تعليما
لاصحابه في حال التوكل والاعراض عن الاسباب وخوفا عليهم من ان يتعرضوا بهذه الافعال
للشهرة بالصلاح فيتبركوا ويوصلوا الخلق وفي كلامه فايدة فان تعدد اسباب الريا
واعراضهم عن الاسباب قصدا للتوكل فان من سيرة حاله في العبادة بحيث لا يلبس مرقعة
ولا يديم الانقطاع في المساجد ولا يكثر القراءة بين الناس ولا في المصحف ولا جهرا فقد
احترز من الريا والتعرض للخلق بان يصلوه ويبروه فيسلم من الريا ويتم التوكل واخبرهم بيروه
ان السوال والطلب للدنيا يكون بالحال والمقال فانهم وان لم يسالوا بالمقال فهذه الاسباب
سوال بالحال قال الامام رضي الله عنه قال وسمعته يقول كان ابو تراب يقول بيني وبين الله
عهدان لا امد يدي الى حرام الا قصرت يدي عنه ونظر ابو تراب يوما الى صوفي من تلامذته
مد يده الى قشر بطيخ وقد طوي ثلاثة ايام فقال له ابو تراب تمد يدك الى قشر
البطيخ انت لا يصلح لك التصوف والزم السوق قال الشارح رضي الله عنه وقوله
عن الطعام الذي فيه شبهة او حرام كرامة من الله تعالى وحفظا كما جرى للمحاسبي وغيره
واما ما ادب به تلميذه من انه مد يده الى قشر بطيخ بعد ان واصل ثلاثة ايام فزجره
وقال لا يصلح لك التصوف الزم السوق فهو من باب الامر بالصبر وقال المجاهدة
ورفع الهمة عن تناول ما لا يصلح لمثله من الزهاد وذلك ان من وصل الى ان يصبر ثلاثة
ايام بلياليها مشتغلا بالخير ومتفرغا له لا يليق به خسة الهمة وتناول ما تلقيه الناس
ولا ياكلونه ومن هذا ما روي ان بعضهم جعت في الحرم عشرة ايام ثم خرجت فرايت
سلجمة مطروحة في الطريق متغيرة فرفعتها لاكلها فوجدت في سري جعت لنا هكذا
وكيف يكون حظك سلجمة متغيرة قال فرميت بها ورجعت الى الحرم فبينا انا جالس
اذا الاعجمي قد وضع بين يدي قمطرا وقال هذه لك فقلت ما السبب فقال الاعلام انا كنا
في البحر فهاجت علينا الريح فنذرنا ان سلمنا الله ... ان ادفع هذا لاول
من وقع بصري عليه من المجاورين فقال له افتحها ففتحها واذا فيه كعك سميذ وسكر وكعاب
ولوز قال فقبضت من هذا قبضة ومن هذا قبضة ثم قلت ارفع الباقي الى صبيانك فهو هدية

منى

... بقدرة ... والعقيدة ... ذلك ... [illegible]
بالعكس قوله ان رفع بمنزلته وان وضع فيما يتكلم فيه فلان ... يجب
ترك ... ينتفعوا ... بتعجب قوله وان زال تغير ... لا يكثر ...

منى الهم وهكذا يكون رفع الهمة والله اعلم انما رد ابو تراب لتلميذه وشكر بعد الجوع
الشديد لا يرضى منه من المستقذرات التي تعافها النفوس وفي هذه الحكاية زيادة من
انها بعد انجاته من وجه طيب اخذ مثل ما يزيل جوعه في وقته وزهد في الفاضل ثقة بالله
انه يأتيه في وقت اخر بما يحتاج اليه قال الامام رضي الله عنه سمعت ابا محمد الحسن يقول سمعت
ابا العباس البغدادي يقول سمعت ابا عبد الله ابن الفارسي يقول سمعت ابا الحسن الرازي
يقول سمعت يوسف ابن الحسين يقول سمعت ابا تراب النخشبي يقول ما تمنت نفسي
على قط الا مرة واحدة تمنت علي خبزا وبيضا وانا في سفري فعدلت عن الطريق الى قرية
فوثب رجل وتعلق بي وقال هذا كان مع اللصوص فبطحوني وضربوني سبعين خشبة فوقف علينا
رجل فصح وقال هذا ابو تراب النخشبي فخلوني واعتذروا الي وادخلني الرجل منزله وقدم
لي خبزا وبيضا فقلت كلها بعد سبعين جلدة قال الشارح رضي الله عنه وهذا اعظم في الرياضة
حتى اعرضت نفسه عن الشهوات بالكلية حتى لم يتمنها فضلا عن اكلها فلما كان في بعض اسفاره
خطر له ذلك فعدل عن الطريق الى بعض القرى لياكل ذلك عنده وهذا هو القاعدة على اهل الادب
لا نزاله وتيسر عندهم فلما عدل عن الطريق لذلك ادبه الله في كونه فسخ عزمه في ترك تمني الشهوات
نفسه وقيل كان مع اللصوص واتى به الى البلد فضرب لذلك سبعين خشبة وهو صابر
لقضاء الله تعالى فعرفه بعض الحاضرين فصرخ باعلى صوته هذا ابو تراب النخشبي
وكان اسمه معروفا بالصلاح عند الامير وغيره فخلي سبيله واعتذر اليه وحمله الرجل
الذي عرفه الى منزله واضافه وقدم اليه خبزا وبيضا ولم يمكنه مخالفته في ترك اكل البيض
لانه ضيف وهو الذي تيسر للمضيف باكله جبرا للقلبه وقال في نفسه لنفسه كل ما
اشتهيت وتمنيت بعد سبعين خشبة فتفطن لكونه ادب لنقض عزمه واكله الثاني
لا يكون شهوة بل هو طاعة وكذا الاكل من اكل شيئا طيبا بنية صالحة وان كان مشتهيا
طبعا فلا يضره الاكل بل ينتفع به قال الامام رضي الله عنه وحكي ابن الجلاء قال دخل مكة
طيب النفس فقلت ابن اكلت ايها الاستاذ فقال اكلة بالبصرة واكلة بالنباج واكلة هاهنا
قال الشارح رضي الله عنه وهذا يدل على احد امرين اما كمال الصبر واعتياد الجوع الامام الكبير
حتى قطع الصحراء باكلة واحدة اكلها في الطريق خامسة الاكلة الاولى بالبصرة والثانية بمكة
فاكل في الطريق كله واحدة بالنباج والامر الثاني طي الارض فقطع الصحرا في الامد القليل
وكان اكله تبعا للرياسة وكلاهما جار قال الامام رحمه الله عليه ومنهم ابو محمد عبد الله بن خبيق
... صحب يوسف بن اسباط كوفي الاصل لكنه سكن انطاكية سمعت محمد بن الحسين
رحمه الله يقول سمعت ابا الفرج الورثاني يقول سمعت ابا الازهر المياقارقيني يقول سمعت فتح
ابن شخرف يقول حدثني عبد الله ابن خبيق اول ما لقيته فقال يا خراساني انما هي اربع لا غير عينك

ولا يتحقق ... الطلب ... عند ... يعني اذا انتقل العلا يتعين ثم زال اذا ... على ... الى ... على القول ... يمنها ... لان الحكم ... وهو ... بونس ... على ... النظر ... بالعلم ... وقبل ... ابي ... فولها ... وجعل ... القاصد ... اذا ... [illegible]

Copyright © King Saud University

تذكره انه يبين وجه النجاسة اي ينبغي مذهبا وقال المازري كا حي تركي بقوله
ودرسه الملاعى الخارجية كحكمه لا ياجي فيه مع وجد لمقتضى بحكم النجاسة

ولسانك وقلبك وهواك فانظر عينك لا تنظر بها الي الاحل وانظر لسانك لا تقل به شيا يعلم
الله تعالى خلافه من قلبك وانظر قلبك لا يكون فيه غل ولا حقد على احد من المسلمين وانظر هواك
لا تهوي به شيا من الشر فاذا لم تكن فيك هذه الاربع من الخصال فاجعل الرماد على راسك
فقد شقيت قال الشارح رضي الله عنه وهذه الاربع هي اصول الجهات كبيره وهي الغالبه
على ابن ادم لان العين سابقه الي المنظورات المستحسنات ومن القلب بسببها تنبعث الشهوات
الى المشتهيات وكذلك اللسان هو الغالب على الانسان ويقع به في كثير من الخطايات من
الكذب والغيبه والنميمه والسب وغير ذلك من الافات والقلب اذا لم يثمر بالخير من
معرفه الله تعالى ومعرفه احكامه والخوف منه والرجاء تعذرت عليه الطاعات واختلت
عليه العبادات واما هواه فهو ميله الي المشتهيات من المطعومات والملبوسات والمنكوحات
وغير ذلك من المعلقات فقد اندرج تحت هذه الكلمات انواع من الجهات فان لم يكن
الانسان حافظا لها ومتقيا ما يدخل عليه من اجلها فليضع على راسه التراب فانه من
الاشقيا الا ان يتوب عليه مولاه وينقله الي ما خص به عباده الصالحين من الاوليا
قال رضي الله عنه وقال ابن رشيد لا تغتم الا من شي يضرك غدا ولا تفرح الا بشي يسرك
غدا وقال ابو خبيق وحشة العباد عن الحق وحش منهم القلوب ولو انهم انسوا بربهم
لاستانس بهم كل احد قال الشارح رضي الله عنه في كلامه الاول تزهيد في الدنيا وان الغم
على ما فات منها ليس بمحمود وانما الغم المحمود على ما فات من اعماله البر الذي ينفع الانسان
بها في الاخره وفي كلامه الثاني اشاره الي ارتباط خير الدنيا والاخره بالاشتغال بالله ومناجاته
وطلب قربه لان هذا المعنى تحصيل له به خير الدنيا والاخره ويدل عليه الخبر الصحيح وهو
قوله عليه السلام ما تقرب المتقربون الي بمثل اداء ما افترضت عليهم ولا يزال العبد
يتقرب الي بالنوافل حتى احبه وفي الخبر واذا احبه الله عبدا نادى يا جبريل اني احب فلانا
فاحبه جبريل وتحبه ملايكه السما ويوضع له القبول في الارض واذا ابغض الله عبدا
الحديث وقوله ما كانت الوحشة بين العبد والخلق الا لقلة انسه بالله واستيحاشه
منه ولو انس بالله لاستانس به كل شي بل يحكى ان الذياب كانت تستانس مع الغنم
في زمان عمر بن عبد العزيز فلما مات وثبت الذياب على الغنم فهذا اعظم من الاول لان بركته
في غيره من الحيوانات فالف الله تعالى بين الاضداد والاعداء من البهايم فيما جرت به
العادات قال الامام رضي الله عنه وقال انفع الخوف ما حجزك عن المعاصي واطال منك
الحزن على ما فات والزمك الفكر في بقيه عمرك وانفع الرجا ما سهل عليك العمل قال
الشارح رضي الله عنه وهذا صحيح فان الخوف والرجا على درجات فمن لم يكن عنده من الخوف
ما يحجزه عن المحرمات ومن الرجا ما يحمله على القيام بالواجبات فخوفه ضعيف جدا لم تحصل الخوف

المطلوب ومن قوي خوفه حتى وقع في القنوط والاياس من رحمه الله فقد تعدى الحد
المحبوب منه المرغوب وكذلك من تعدى رجاوه حتى وقع في الامن من مكر الله والادلال
على الله فقد صار رجاوه من جمله الذنوب واعدل الخوف والرجاء انفعه ما حمل على عماله
الاوقات وندم العبد على ما فات وعزم على عماله الاوقات المستقبلات قال الامام
رحمه الله عليه وقال طول الاستماع الي الباطل يطفي نور حلاوة الطاعه من القلب
قال الشارح رضي الله عنه وهذا صحيح فان للطاعه لذة وتجد الانسان حلاوتها
الا بالدوام عليها والحضور فيها وحسن المناجاه والتذلل واستشعار نظر الحق وحسن
العباده في مناجاته واستماع الباطل والدوام عليه يفسد ما ذكرناه واذا افسده اطفا
نوره وازال حلاوته قال الامام رحمه الله عليه ومنهم ابو عبد الله احمد بن عاصم الانطاكي من
اقران بشر بن الحارث والسري والحارث المحاسبي كان سليمان الداراني يسميه جاسوس
القلوب لحده فراسته وقال احمد بن عاصم اذا طلبت صلاح قلبك فاستعن عليه بحفظ لسانك
وقال احمد ابن عاصم الانطاكي قال الله تعالى انما اموالكم واولادكم فتنه ونحن نستزيد من الفتن قال
الشارح رضي الله عنه ويدل على اثبات الفراسه قوله عليه السلام المومن ينظر بنور الله
تعالى ان في ذلك لايات للمتوسمين قيل المتوسم المتفرس فمن كانت الفراسه وصفه سمي جاسوس
القلوب وقد يكون النور ينظر به المومن الفراسه وقد يكون نور العلم تزين به العالم
احوال الخلق في تصرفهم ويستدل بما يظهر على السنتهم على ما في قلوبهم وقد يكون الهاما ومنحا
من الله تعالى من غير استدلال وقوله اذا طلبت صلاح قلبك فاستعن عليه بحفظ لسانك
وكذلك ساير جوارحك من العين والاذن واللمس فان كل جارحه من هذه الجوارح توصل الي
القلب ما تدركه فان كانت تدرك الشرور والخيرات وصلت اليه المختلفات وان ادركت
الشرور خاصه اوصلتها اليه المعتقدات واذا حفظ الانسان جوارحه ووزنها بميزان
الشريعه وجرت على موافقه الحق وصل منها الي القلب الخيرات والبركات وكل ما صلح القلب
حسنت منه النيات وسلمت قصوده من الافات وكلما كان كذلك اصلحت اعماله من المفسدات
وعادت بركه عمله على قلبه بانوار الطاعات وبهذا الاعتبار قال بعضهم سمع لساني من قلبي
ثلاثين سنه وصار قلبي سمع من لساني بعد ذلك ثلاثين سنه وذلك انه لا يقول قولا بلسانه
حتى يتثبت وتصح نيته فينطق بالحق الذي يعرفه فاذا تعود لسانه الحق والنطق به هذه المدة
مع اختلاف انواعه واختلاف حالاته ما رجحها وجرت اقواله مع غيره على وجه الحكمه
في نيته ويبنى ربه على وجه الحق وادامة الحرمه بقلبه فقلبه ينتفع بما جرى به الحق على لسانه
وعادت بركه قلبه على لسانه ثم عادت بركه لسانه على قلبه حتى صار وليا لربه محفوظا بفضله
واذنه مخصوصا بولايته وحزبه وقوله قال الله تعالى انما اموالكم فتنه ونحن نستزيد من الفتنه

Copyright © King Saud University

ولهذا لكون المذهب دفيق جدي كهذا فمو المنخنزير والكلب فقوله لمن تبث
احتراز امعلا اذ تنتعت بلا نطا عنى بكل ... فاله .. الموانه ... فهو
دكه الكهدري ... كل جسم غير حي ولا منفصل عن حي ولعله

وهذا اورده في دم المشغولين بالدنيا والاركنا دمن ابو الهادواولا دها ود لك بعد ذم الله تعالى
لذلك واعلامهم ان نبه الفتنه فما سمع العبد ذم ربه للدنيا وهو يعمل بهواه الذي يحبه واعماه
عن نصح ربه له ونهيه عن هواه **قال** الامام رضي الله عنه ومنهما ابو السري منصور بن عمار
من اهل مرو من قريه يقال لها د ندانقان وقيل انه من بو سنج اقام بالبصره كان من الواعظين
الاكابر قال منصور بن عمار من جزع من مصايب الدنيا تحولت مصيبته في دينه **قال** الشارح
رضي الله عنه هذا صحيح فان مصايب الدنيا هي الالام والاسقام وتلاف المال والولد وما يجري
مجراه فاذا ابتلي الانسان بذلك وجزع وسخط تحولت مصيبته في دينه وان صبر على ما ابتلي
به او شكر على حسنت منزلته وارتفعت درجته عند ربه ومن ترك تغيير المنكر ادا شاهده
جزعا من ذمه تحولت مصيبته في دينه وكذلك اذا اغتيب عنده وخشي من الم من رد
عليه ونهاه الم قلبه ومقاطعته تحولت مصيبته في دينه وغير ذلك من هذا القبيل مما يكون
في الدنيا انجزع الانسان من تحمله لربه او ترك القيام به خوفا من خلقه رجعت مصيبته
في دينه **قال** الامام رضي الله عنه وقال منصور بن عمار احسن لباس العبد التواضع والانكسار
واحسن لباس العارفين التقوى قال الله تعالى ولباس التقوى ذلك خير **قال** الشارح رضي الله
عنه واللايق بالعبد في حال عبادته وقلقه لله وانكساره وخضوعه لمولاه فان ذلك اقرب
لنيل مطلوبه ومناه وحفظه من التعرض لما يخشاه قال الله تعالى انهم كانوا يسارعون في الخيرات
ويدعوننا رغبا ورهبا وكانوا لنا خاشعين واما العارفون الذين غلبت على قلوبهم احوالهم وهم
دوام نظرهم لمولاهم وما سبق لهم عنده مما يجري عليهم في دنياهم فانهم بما سبق لهم مشغولون
ولما يجري عليهم وعلى غيرهم من ذلك يتصفحون فاحسن الناس من غلب على قلبه التوحيد
وانفراد ربه بالافعال ان يتسربل بتقواه في كل حال في اعماله قلبه وجوارحه من غير اخلال
ولذلك قيل انما العارف من لا يطفي نور معرفته نور ورعه فمعرفته انفراد ربه بالافعال
وورعه ملازمته لامتثال امره واجتناب نهيه في كل حال **قال** الامام رضي الله عنه
وقيل ان سبب توبته انه وجد في الطريق رقعه فيها مكتوب بسم الله الرحمن الرحيم
فرفعها فلم يجد لها موضعا فاكلها فراي في المنام كان قايلا قال له فتح عليك باب الحكمه باحترامك
لتلك الرقعه **قال** الشارح رضي الله عنه هذا فيه تنبيه على دوام احترام كل ما ينسب الى
الله تعالى مما اضافه الى نفسه من المخلوقات كالمساجد والصالحين وما دل على اسمايه
وصفاته من الحروف وكذلك سايرنعمه اذا وجدت مطروحه في الطرقات من الاطعمه وغيرها
فانه نبه في الرويا على ان سبب جريان الحكمه في قلبه ولسانه احترام هذه الرقعه لما تضمنته
من الحروف الداله على اسمايه تعالى **قال** الامام رضي الله عنه سمعت الشيخ ابا عبد الرحمن السلمي
رحمه الله يقول سمعت ابا بكر الرازي يقول سمعت ابا العباس القاسم يقول سمعت ابا الحسن

او ... دليل الحيوان ... المسكر ... نجس ... كل ... العنب
... خلاف لا لبابه ... ولا جمهور العلماء
... معرفه والقربه وتغذيه وذلك لا ... عنه

الشعراني يقول رايت منصور بن عمار في المنام فقلت ما فعل الله بك فقال قال لي انت منصور
ابن عمار فقلت بلي يا رب قال انت الذي كنت تزهد الناس في الدنيا وترغب فيها قلت قد كان
ذلك يا رب ولكني ما اتخذت مجلسا الا بدات بالثنا عليك وثنيت بالصلاه على نبيك صلى الله عليه
وسلم وثلثت بالنصيحه لعبادك فقال صدق ضعوا له كرسيا يمجدني في سمايي بين ملايكتي
كما مجدني في ارضي بين عبادي **قال** الشارح رضي الله عنه وفي هذا تنبيه على ان الاولي
بمن يزهد الناس في الحلال ان يكون ولو زاهد فيه ليكون انتفاعهم بحاله ومقاله
جميعا ولو زهدهم وحثهم عليه ورغبهم في التخلق به ببيان دلايله وثمراته واحوال الزاهدين لكان
فاعلا خيرا وداعيا اليه ولذلك ساله مولاه عن حاله وهو اعلم في الرويا سوالا يسيرا وانقلب
الى اهله مسرورا وذلك انه لم يرتكب اثما وانما اخل بكمال فضيله فلما اعترف لربه
بفعله وهو اعلم ذكر افضل ما كان يجري منه في وعظه وهو ثناوه على ربه بكمال صفته
وصلاته على رسوله ونبيه الذي شرفه واجتباه وثلث بوعظه عباده ونصح خلقه
ومعه الافعال من شرف تعاله وطاعاته امره بجزا اعماله بان يمجده بين ملايكته في اخرته
كما كان يمجده في الدنيا بين عباده وهذه بشري في الرويا ان الله تعالى يلقيه بخير ويجازيه بعمله
افضل الجزا عنه **قال** الامام رضي الله عنه ومنهم ابو صالح حمدون بن احمد بن عماره
القصار نيسابوري منه انتشر مذهب الملامتيه بنيسابور صحب سلما الباروسي
وابا تراب النخشبي مات سنة احدي وسبعين ومايتين سيل حمدون متي يجوز للرجل ان
يتكلم على الناس فقال اذا تعين عليه اداء فرض من فرايض الله في علمه او خاف هلاك
انسان في بدعه يرجوا ان ينجيه الله تعالى منها **قال** الشارح رضي الله عنه وهذا الكلام
يحتاج الى بسط وذلك ان قوله متي يجوز للرجل ان يتكلم على الناس ظاهره انه متي يجوز له
ان يعظهم وينبههم ويجلس للناس ويتصدا للشاذ بن البه يحسن نصحه وتنبيهه وهذا
لا يحصر ان يجب عليه ذلك بل متي وجد في نفسه العلم بذلك وسلم في حال وعظه وتنبيهه
من دخول الافات عليه من الكبر والعجب والريا وغيره ندب الى ذلك وكان من افضل
عباداته كما جاء في فضل من دل الناس ويدعو الى الله ولكن بعد حصول الشروط التي ذكرناها
ومعرفته الى نفسه وعرفها الناس منه واما اذا راي من هو في بدعة وضلالة وسال عن
ذلك او تعين عليه نصيحه لاختصاصه ومعرفته بحاله فهذا مما يجب عليه وكذلك لو قدرنا
شعور الجهه التي هو بها عمن يقوم مقامه واحتاج الناس الى من ينبههم ويذكرهم واراه هلكوا
بارتكاب معاصيهم ودوام غفلتهم ربما تعين عليه ذلك ووجب وذلك لاختلاف الناس هل
يجب على العالم ان ينهي نفسه خاصة بالعلم ويجب على العامة ان يقلدوه فيما يحتاجون
اليه من امر دينهم او يجب عليه هو انهم ان يذكرهم وينصحهم لوجوب الامر بالمعروف والنهي عن

الملك والنصح لله والقيام بامر الله كما قال تعالى واذ اخذ الله ميثاق الذين اوتوا الكتاب لتبيننه
للناس ولا تكتمونه فلذلك قلنا ربما **قال** الامام رضي الله عنه وقال من ظن ان نفسه خير من نفس
فرعون فقد اظهر الكبر **قال** الشارح رضي الله عنه وهذا فيه نظر وذلك ان نفس المومن خير
من نفس الكافر على القطع في الحال الذي هما فيه فان هذا مومن بالله ولي له كما قال الله تعالى الله ولي
الذين امنوا والكافر كافر بالله عدو له كما قال تعالى فان الله عدو للكافرين واما في المال فان المومن
ما دام في الدنيا هو والكافر لا يدري المومن بما يختم له وقد يختم للكافر فقد يختم للكافر بالايمان والاسلام
وقد يختم للمومن والعياذ بالله بالكفر والردة فاذا كان المومن في هذه الحالة من الغرر فيما
غاب عنه من خاتمته وخاتمة الكافر فحكمه بان نفسه خير من نفس الكافر مطلقا
خطا وان كان فرعون الذي ادعى الربوبية زيادة على الكفر ومات وهو كافر غريقا في
البحر واخبر الله تعالى عنه انه لم ينتفع باسلامه وقت الموت بقوله الان وقد عصيت
من قبل وكنت من المفسدين فالعبد ايضا وان تيقن بما ختم لفرعون فهو في غرر من نفسه
وجهل بما ذا يختم له وان كان يحسن ظنه بربه ان يختم له بخواتم الصالحين وانه يميته
على ما من عليه به ولكنه لا يقطع بانه خير ممن مات على الكفر جملة تحاشيه امين الا والله
المستعان **قال** الامام رضي الله عنه وقال بعضهم ان للسلطان فراسة في الاشرار
ما خرج خوف السلطان من قلبي **قال** الشارح رضي الله عنه وهذا يجري على ما ذكره
من مذهب الملامتية وان منه انتشر وذلك ان الملامتية يسترون صلاحهم واحوالهم
من الدين باموز ظاهره يبدونها للعوام وليست بمعاص وانما يتشبهون بالعوام لستر
احوالهم في الصلاح وربما سموه التخريب من ان الانسان اذا احسن ظن غيره به اظهر اقواله
وافعالا تشكك من حسن ظنه به وهذا الطريق فيها غرر وضرر ديني ودنيوي كان
السلف رضوان الله عليهم من الصحابة والتابعين لم يتخلقوا بهذه الاخلاق بل يقصدوا
اظهار الدين مع الصدق والاخلاص ليقتدى بهم وتقتفى اثارهم ومن هذا المذهب الله
اعلم ما حكي ان بعضهم دخل حماما ولبس قماش رجل ووقف بظاهر الحمام فمسك ونسب
للصوصية لتسقط منزلته في الدين وهذا اخطا ولم يسلك مسلك الملامتية ليستر احوالهم
بالمباح وغاية التقدير له وحسن الظن ان يكون قماش بعض اصحابه واذن له في لباسه
وفعل ذلك لمقصوده وفي هذا اساءة الظن بالمسلمين والصالحين ونسبتهم الى ما يزري بهم في
الدين ولنرجع الحكاية فنقول هذا الشيخ حمدون من علمت ان للسلطان فراسة في الاشرار
ما خرج خوفه من قلبي وفراسة السلطان في الاشرار بعض اهل الفسق والسرقة وشرب
الخمور انا نعلم علامات يعرفها السلطان وخادمه يتولى ذلك فاظهر بهذا الكلام انه عد
نفسه من الاشرار الذ[...]رف حوالهم السلطان فيكون في هذا ستر لحاله وانه من هذا القبيل

قد خاف ما تخانه اربابه ويكون باطنه بخلاف ذلك **و**قال الامام رضي الله عنه وقال اذا رايت
سكرانا فتمايل لئلا تبغي عليه فتبتلى بمثل ذلك **قال** الشارح رضي الله عنه فاما البغي
والكبر على العصاه فمذموم شرعا واما معرفة ما هم عليه ونقصهم في الدين فواضح لا يخفى
وما يلزم من معرفته نقصه ان يتكبر عليه فان الكبر لا يليق الا بالله تعالى بل حق
المومن ان يرحمه ويدعوا له ويشكر الله على عصمته مما ابتلاه ويبقى قوله فتمايل ان
اراد به تشبه به في سكره فليس بواضح وان اراد ان تمايل على نفسك وخف عليها
من التغيير ومعرفة العقدر والنقص ليلا يقع في الكبر فحسن **قال** الامام رضي الله عنه
وقال عبد الله ابن مبارك قلت لابي صالح اوصني قال اسا استطعت ان لا تغضب لشي من الدنيا
فافعل **قال** الشارح رضي الله عنه وهذا فيه نظر تنبيه على حسن الخلق واحتمال الاذى من
الخلق والعفو عن ازلات اليك من غيرك والاذية لك وذلك ان الغضب انما يكون اذا
انتقص من عرض الانسان وماله او ما يجري مجراه فاذا زهد العبد في الدنيا وتخلق بالحلم والصفح
وعدم المكافاة والمجازاة سلم من الوقوع في الجنايات لان العبد اذا غضب تعدى الحدود
وزاد على ما يجب له من الحق المحدود ومعرفته بضرر الغضب تجنبه في الدنيا وفي
اليوم الموعود ولذلك قال رجل للنبي صلى الله عليه وسلم يا رسول الله اوصني فقال لا تغضب
فاستزاده وهو يقول لا تغضب لا تغضب كل ما استزاد ذلك تحذيرا من افات الغضب فان
الغضب كما قيل غول العقل يا كله فاذا ذهب العقل عدا لتثبت فوقع العبد في الخطا
والزلل وفاته حسن العمل **قال** الامام رضي الله عنه ومات صديق له وهو عند راسه فلما
مات اطفى حمدون السراج فقالوا له في مثل هذا الوقت يزاد الدهن في السراج فقال الى
هذا الوقت كان الدهن له ومن هذا الوقت صار الدهن للورثة **قال** الشارح رضي الله
عنه وهذا فيه نظر وذلك ان حق الورثة انما يكون بعد القيام بحقوق الميت كلها التي
لا تزرى بحاله ولا تدل على نقصه واهانته في دنياه ولذلك كان الكفن والحنوط انما
يوخذ على حسب مرتبة العبد وجاهه في الدنيا من راس المال ولا يقال فرغ حقه
من ماله بنفس موته حتى يكفن في اي شي كان ويترك بغير حرمته في كفنه وتجهيزه
الى قبره فاذا تقرر ذلك قلنا السراج من حقوق الانسان في دنياه وانتفاعه به واقامه
حرمته ولا سيما اذا كانت هذه عادته في بيته مع اهله فاذا مات وقلنا فرغ حقه وطفي
السراج وبقي الامر للورثة ان شاوا ابقوه او لا كان فيه اهمال الحقه وازدرا لحرمته
والظاهر ان حقه فيه ويحتمل ان يختصر الكفن بهذه المزية بخلاف بقية امواله التي لا حق
له فيها ففي المسالة هذا النظر والله اعلم **قال** الامام رحمة الله عليه وقال حمدون من
نظر في سير السلف عرف تقصيره وتخلفه عن درجات الرجال **قال** الشارح رضي الله عنه وهذا

Copyright © King Saud University

قوله ... وعن ذلك الجنس قوله ... انكم بنقيق عن حال الكفيل ... تغير عن حالته جالعذيب انه نجس ... فلا ربما المتغير عن حال ... وقال ...

صحيح فان الصحابة رضي الله عنهم بذلوا اموالهم وانفسهم في سبيل الله وباعوا انفسهم لله وصدقوا الله
فيما عاهدوا عليه الله كما قال تعالى رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر
والتابعون بعدهم بعد استقرار الاسلام واشتهاره في ساير الاقطار دواجهده وانفسهم في العلوم
والاعمال وانتشر عنهم من العلم والاحكام وشهده الجهد في العمل والاعراض عن الحطام ما
لا يخفى على من له استقامة وتتبع اثارهم بالاهتمام فاذا وزن العبد نفسه باحوالهم لم يجد عنده
عشر عشير منالهم وسال الله تعالى ان يلحقه باذيالهم ومن عليه ببركة محبته لهم
وتعظيمهم واحترامهم قال الامام رضي الله عنه وقال لا تنفس على احد بما تحب ان يكون مستورا
منك قال الشارح رضي الله عنه وهذا صحيح مطرد في اعمال الدين والدنيا والخبر ان الكلاف
فان الناس في ذلك مختلفون فمنهم من لا يظهر شيئا من احواله الصالحة المقصود له صحيح في
نفسه فيتقلد حاله ويكشف ما هو عليه مستور عن غيره ولم له واذا كان هذا بالصلاح
فكيف بغيره من الاحوال القباح فيجعل الانسان نفسه اصلا (نكما) ذكرنا ان يفتش من احواله
فلا يفسده ان علمه من حال غيره فان الناس في ذلك متفاوتون واذا كان ذلك انقصا فاما
اظهار صفات الكمال فانه يختص ببعض الصالحين وينفرد به الاحاد والناس في ذلك
مختلفون وعلى الجملة فالسلامة ترك الفضول فيما يفعل او يقول والله المستعان قال
الامام رضي الله عنه ومنهم ابو القاسم الجنيد بن محمد بن سيد هذه الطايفة وامامهم
اصله نهاوند ومنشاوه ومولده العراق وابوه كان يبيع الزجاج فلذلك يقال له القواريري
وكان فقيها على مذهب ابي ثور صحب السري والحارث المحاسبي ومحمد بن علي القصاب مات سنة
سبع وتسعين ومايتين سمعت محمد ابن الحسين رحمه الله يقول سمعت محمد بن الحسين البغدادي
يقول سمعت الفرغاني يقول سمعت الجنيد يقول وقد سيل عن العارف قال من نطق عن سرك
وانت ساكت قال الشارح رضي الله عنه والعارف عندهم عبارة عمن توالى عليه الاذكار لحلاوته
ودوام الحضور والادب معه في ساير حركاته وسكناته وغلب ذلك على قلبه حتى قلبت غفلاته
وعلت حالاته وصار يعبد ربه كانه يراه ومن وصل الى هذه الاحوال توالت عليه الكرامات
وخصه الله سبحانه بالفراسة الصادقة وانواع المكاشفات فلذلك قال من نطق عن سرك
وانت صامت وقد قال عليه السلام الارواح جنود مجندة فما تعارف ائتلف وكثيرا ما
يسلم الاولياء بعضهم على بعض في اول القيام فيرد عليه باسمه ويسله عن من عرفه باسمه يجيبه
الذي عرفك به قال الامام رحمة الله عليه سمعت الشيخ ابا عبد الرحمن السلمي يقول سمعت محمد
ابن عبد الله الرازي يقول سمعت ابا محمد الجريري يقول سمعت الجنيد يقول ما اخذنا التصوف
عن القيل والقال لكن عن الجوع وترك الدنيا وقطع المالوفات والمستحسنات قال الشارح
رضي الله عنه والتصوف عبارة عن التخلق باشرف الاخلاق من الورع والزهد والتوكل والرضى

والدني ...

قوله ... والعبد ... وقرار ... والبلغ والصل ... والشهوات ... المصنوع ... الحروف وقد حكى بعضهم ...

والتسليم والمحبة والانس وغير ذلك من الاخلاق المحموده المطلوبة والبعد من الاخلاق الذميمة
من الرياء والكبر والعجب والحسد والمداهنة وسوء الظن والادلال والسكون الى الاعمال وغير ذلك
من رذائل النفس والخلاف واذا كان هذا هو التصوف فلا ينبغي تحصيله بقال فلان وقال فلان لا
يعرفه الاحوال والمقامات من احوال الرجال بل لا بد من الجد والتشمير والبعد عن الشهوات والراحات
وقطع المالوفات والجد في تحصيل الخيرات والتبري من الحول والقوة في ذلك واضافته الى خالق الارض
والسموات فهذه اسباب حصول هذا المقام من التصوف وكذلك سيل عنه مرة اخرى فقال يعودك
بحث تلك الدرجة كذا وكذا سنة اشتاق الى الانفراد بحاله وشغله بكمال نيل مقصوده وحصول
مراده واذا كان كذلك احتاج الى فراغ القلب من المشغلات والبطن من المشتهيات والملذوذات
قال الامام رحمه الله سمعت محمد بن الحسين رحمه الله يقول سمعت ابا بكر الرازي يقول سمعت
الجريري يقول سمعت الجنيد يقول لرجل ذكر المعرفة وقال اهل المعرفة بالله يصلون الى ترك
الحركات من باب البر والتقرب الى الله عز وجل فقال الجنيد ان هذا قول قوم تكلموا باسقاط
الاعمال وهو عندي عظيمة والذي يسرق ويزني احسن حالا من الذي يقول هذا ان
العارفين بالله اخذوا الاعمال عن الله تعالى واليه رجعوا فيها ولو بقيت الف عام لم انقص من اعمال
البر ذرة الا ان يحال بي دونها قال الشارح رضي الله عنه وهذا صحيح فان من قال بما تركوا الطاعات
من الصوم والصلاة والذكر والمناجاة وغير ذلك من انواع المقامات الا التوكل الى الله تعالى
فاذا وصلت اليه استغنى عنها فهذا معنى قوله ان هذا قول قوم تكلموا باسقاط الاعمال وهو عندي
عظيمة والذي يسرق ويزني احسن حالا منه وهو صحيح لان من يسرق ويزني يعرف نفسه
وعصيانه ويرجو التنقل عما هو فيه والتوبة الى ربه ومن يدعي بترك الاعمال يعتقد انه في ارفع
المقامات واحسن الاحوال فلا يرجع عن هذا المشرب ابدا وهو قول الجنيد رضي الله عنه ان
العارفين اخذوا الاعمال عن الله امتثالا لامره واليه رجعوا فيها اي هو الذي يعقبهم
عليها ويقويهم ويجزيهم بها واخبر عن نفسه انه لو بقي في الدنيا ما ابقاه الله لم يترك من اوراده
شيا الا ان يعجز عن ذلك فيكون معذورا فبين حظا هذه الطايفة بقوله وفعله جميعا رضي الله
عنه قال الامام رحمه الله عليه وقال الجنيد ان امكنك ان لا تكون الة بيتك الا خزفا
فافعل قال الشارح رضي الله عنه في هذا تحريض على التقلل من الدنيا والاجتزاء باليسير منها
وهو الفخار دون النحاس وغيره فان ذلك يدل على طول الامل ورجا الانتفاع بالالة فيما ياتي
من الزمان والصوفي ابن وقته ومونته بين عينيه فينبغي ان يجتزي من الدنيا بما تيسر
من القوت واللباس وغير ذلك مما تيسر من الالات قال الامام رحمه الله وقال الجنيد
الطرق كلها مسدوده على الخلق الا من اقتفى اثر الرسول صلى الله عليه وسلم قال الشارح
رضي الله عنه وهذا صحيح فان الطرق المراد منها ما يوصل الى الله ولا يوصل الى الله الا بطاعته

Copyright © King Saud University

واتباع مرضاته ولا يعرف ذلك الا من قول رسوله وفعاله فكل من لم يسلك من الطرق ما بينه الرسول عليه السلام وسلكه لربه فهو بعيد من قربه وليس معدودا من حزبه الا ان حزب الله هم المفلحون

قال الامام رضي الله عنه سمعت ابا عمرو الانماطي يقول سمعت الجنيد يقول لو اقبل صادق على الله الف الف سنة ثم اعرض عنه لحظة كان ما فاته اكثر مما ناله قال الشارح رضي الله عنه وهذا صحيح لان الصادق في سلوكه الى ربه كل يوم يترقى في درج قربه فيكمل معارفه بربه وجلاله وعظمته فهو في كل درجة مرتقب لما هو اعلى منها وانما يطيق حمل الاعلى بما تقدم له من الاسباب المقوية له بفضل ربه واذا كان كذلك وهو في كل يوم في ازدياد دوما حصل له من المعارف سبب وتعرية لحمل ما يفتح الله به عليه مما لم ينله فاذا اعرض عما هو فيه من السلوك ونيل الخيرات فقد فاته في حال اعراضه ما هو افضل من جميع ما ناله فان ما ناله وسيلة لحمل ما لم ينله وبهذا الاعتبار كان التدرج في السلوك رحمة من الله بالسالكين في ساير المقامات فانهم اذا نالوا منها شيا كان زيادة عونا لهم على حمل ما بعده وتمثل ذلك بان العبد يعلم انه لا ضار ولا نافع ولا معطي ولا مانع لسائر ما به وغيره الا الله وعوايد اجاد به والتفاته الى الاسباب تشغله وانصف فاذا قوي في سلوكه يقينه وثبت المهمات والنوازل والولمات حتى ايس من ربه المعونات حصل له من ايسر بانفراد ربه بالافعال طرف من طرقته كاينة اخرى اطمن من الاولى التفت فيها الى الاسباب وتسبب في خلاصه منها باحث الاخوان والاصحاب فلم يحدهم يغنوا عنه شيا فرجع الى ربه بالافتقار وساله وتضرع اليه في الانتصار فاتته المعونة من ربه في الحال ولم يجد شيا مما كان يخافه في المال فقد تزايد يقينه وحمل هذه الكاينة العظيمة بما تقدم له من الالطاف وكذلك يترقى في الدرجات حتى يتم ما ناله سفيان الثوري رضي الله عنه لو لم يمطر السما ولم تنبت الارض ووقع في نفسي اهتمام الرزق لظننت اني كافر وذلك لكمال اعراضه عن الاسباب وحصول ما يحتاج اليه من رب الارباب لا غير قال الامام رضي الله عنه وقال الجنيد من لم يحفظ القران ولم يكتب الحديث لا يقتدى به في هذا الامر لان علمنا هذا مقيد بالكتاب والسنة قال الشارح رضي الله عنه وقوله من لم يحفظ القران ولم يكتب الحديث لا يقتدى به لم يرد انه يحفظ القران بلسانه تلاوة ولم يكتب الحديث نقلا وانما يريد ما فهم من احكامها من الحلال والحرام وكان فقيها في الاحكام وعرف النص والظاهر والعام والخاص والمطلق والمقيد والناسخ والمنسوخ ومحل الاجتماع والخلاف هذا هو الذي يقتدى به وقال عليه السلام رب حامل فقه الى من هو افقه منه فالاول فقيه في النقل والثاني افقه منه في النقل والحكم وهو اشارة الى ان العلم بطريق المهتدين والسالكين يرجع الى هذه الاصول الكتاب والسنة والاجماع وهو قوله علمنا هذا مقيد بالكتاب والسنة اي يستدل عليه قال الامام رضي الله عنه سمعت محمد بن الحسين يقول سمعت ابا نصر الاصبهاني يقول سمعت ابا علي الروذباري يقول

عن الجنيد مذهبنا هذا مقيد بالاصول الكتاب والسنة قال الشارح رضي الله عنه في الاول قال علمنا هذا يعني يدل على صحته العلم وها هنا مذهبنا يدل على صحة السلوك ثم يستغنوا في علمهم وذي علمهم عن الكتاب والسنة بحال وفيه رد على من يعتمد في سلوكه على ما يقع في قلبه من الخواطر ويزعم انها من السعادة فلا يحكم بما لفها ويستغني عن وزنها بالكتاب والسنة وهذا هو الضلال المبين نعم لا ينكر حفظ الله تعالى للاولياء في خواطر قلوبهم وعزومها واعمال جوارحهم ومن علامة حفظه لهم ان يكون ما يقع لهم موافقا لما جاءت به الانبياء عن الله عز وجل مشهودا له بالصحة قال الامام رضي الله عنه وقال الجنيد علمنا هذا مشتبك بحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم حدثنا ابن الحسين رحمه الله قال سمعت ابا الحسين بن فارس يقول سمعت ابا الحسين علي بن ابراهيم الحداد يقول حضرت مجلس ابي العباس ابن شريح تكلم في الفروع والاصول بكلام حسن عجبت منه فلما راى اعجابي به قال اتدري من اين هذا انك يقول القاضي فقال هذا ببركة مجالسة ابي القسم الجنيد قال الشارح رضي الله عنه وهذا صحيح فان جودة الكلام من العلوم انما يكون لحال التثبت واستحاك ما يطرق القلب فاذا صح بالنطق السند بعبر اللسان عنه واذا كان العبد مخلصا في اعمال قلبه وجوارحه في اسباب دنياه واخرته فلا يوقع منها شيا حتى يتثبت فيه ويعرف وجه صحته من فساده وتخلصه لربه ودام على هذه الاحوال مدة جرت علومه واحواله محكمة متقنة مبراة من الافات لعلمه بالمفسدات والمنقصات فاذا تكلم من هذه صفته في علم من العلوم المتعلقة بالقلوب والجوارح كان كلامه بعيدا عن الخطا سالما من الافات مشيرا الى اعلى المقامات وهم القوم لا يشقى بهم جليسهم بل يسعد ويسعى درجة ويرتفع ان شا الله تعالى قال الامام رحمه الله عليه وقيل للجنيد من اين استفدت هذا العلم فقال من جلوسي بين يدي الله ثلاثين سنة تحت تلك الدرجة واوما الى درجة في داره سمعت الاستاذ ابا علي الدقاق رحمه الله يحكي ذلك قال الشارح رضي الله عنه وهذا قد تقدم الكلام عليه ونبهنا انه ليس لقعوده تحت تلك الدرجة خاصة وانما هو لملازمته لاوراده واشتغاله باصلاح قلبه وجوارحه وجميع حاله مع مولاه واعراضه عن كل ما يشغله عن ذلك ويأباه قال الامام رضي الله عنه وسمعته يقول روي في يده سبحة فقيل له انت مع شرفك تاخذ بيدك السبحة فقال طريق به وصلت الى ربي لا افارقه قال الشارح رضي الله عنه وهذا يدل على ملازمته لاوراده وعدد ذكره وتسبيحه حتى لا يخل بشي منها وهو يدل على كمال اجتهاده وملازمته لما عزم عليه لمولاه ولهذا قيل للعصم وراوه يعقد التسبيح بيده انك تعد التسبيح على الله فقال انا اعد له لا عليه وهذا من كما له لانه قال صلى الله عليه وسلم من قال لا اله الا الله مائة مرة ومن سبح ثلاثا وثلاثين وكبر ثلاثا وثلاثين وحمد ثلاثا وثلاثين عند نومه وفي اخر صلاته وفي رواية عشر مرات فمن تكرر ذلك لامر الله فهو يعد له لا عليه

Copyright © King Saud University

[illegible] في زيادة علم المصطفى بسبب [illegible] الله ورسوله [illegible]
ولم يترك اللهم خلافه وذكر [illegible] بعد الثلث [illegible] ابن بطال [illegible]
كان حج الله [illegible] وان [illegible] الحلوة [illegible] عن [illegible]
[illegible] العبادة [illegible] اختيره [illegible]

وهذا امر التبري من الاعمال والقاعها له بحكم الامتثال والاستعانة به في كل حال قال الامام رضي الله
عنه وسمعت الاستاذ ابا علي رحمه الله يقول كان الجنيد يدخل كل يوم حانوته ويسبل الستر ويصلي
اربعمائة ركعة ثم يعود الى بيته وقال ابو بكر العطوي كنت عند الجنيد حين مات فختم القران العطوي
ثم ابتدأ من البقرة وقرأ سبعين آية ثم مات قال الشارح رضي الله عنه وهاتان الحكايتان تدلان
على كمال اجتهاده وملازمته لاوراده الى حين وفاته وفي الحكاية الاخرى اشارة الى ستر اعماله وملازمته
الاسباب لتكون بينه وبين من لا يعرفه اكبر حجاب وذلك انه اذا رؤي في دكانه فهو زكي
متشبه بالمتسببين المكتسبين ويسبل الستر يوهم بعض الناس لنظر ابنه في اصلاح
اسباب دكانه ويشتغل بالوفاء باوراده واسباب عبوديته من ربه واسعاده وكونه يصلي
ما يصليه بتسليمه يدل على انه يخفف القراءة بالنهار ويكثر الركوع والسجود وهذا هو الاحسن الركوع
في اعمال النهار واكمل في ستر حاله لمن يطرقه من الناس في بعض اشتغاله فيسرع الى جوابه
لحقه صلاته بخلاف صلاة الليل التي هو فيها بعيد عن المشغلات فارغ القلب لكمال المناجاة
وطول القيام وكثرة القراءة فيها دأب العمال وكذلك طول السجود بين يدي ذي الجلال وقد وصفت
عائشة رضي الله عنها صلاة رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت كان يصلي اربعا فلا تسأل عن حسنهن
وطولهن وفي حديث ابن عباس صلى الله عليه وسلم ركعتين ثم ركعتين ثم ركعتين ثم
ركعتين ثم ركعتين الحديث ففي رواية عشرا واوتر بواحدة وفي رواية اثني عشر واوتر بواحدة
اذا خشي الصبح وهذا يدل على طول القيام قال الامام رحمه الله عليه ومنهم ابو عثمان سعيد
ابن اسماعيل الحيري المقيم بنيسابور وكان من الري صحب شاه الكرماني ويحيى بن معاذ ثم ورد
نيسابور مع شاه الكرماني على ابي حفص الحداد واقام عنده وتخرج به وزوجه
ابو حفص ابنته مات سنة ثمان وتسعين ومايتين وعاش بعد ابي حفص نيفا وثلاثين
سنة سمعت محمد بن الحسين رحمه الله يقول سمعت ابا عمرو بن حمدان يقول سمعت ابا عثمان يقول
لا يكمل الرجل حتى يستوي في قلبه اربعة اشياء المنع والعطاء والعز والذل قال الشارح
رضي الله عنه وهذا في اسباب الدنيا لا في اسباب الاخرة ومتى ما كان المنع نقصانا في الخير
والعطا خلاصا من الشر فلا ينبغي ان يستوي عنده بالنظر لمنفعته في الاخرة وعليه ان يبكي
ويتضرع ويستغيث ويتنصل واما بالنظر الى ربه فيستويان من حيث ان له ان يفعل ما يشاء
من الخير والشر ولا ينسب في ذلك الى ظلم ولا جور تعالى عن ذلك علوا كبيرا واما العز والذل
فالعز بالله والذل له محمودان والعز بالدنيا والذل لاهلها طمعا فيها مذمومان فهما يستويان
من وجه ولا يستويان من وجه قال الامام رضي الله عنه سمعت محمد بن الحسين رحمه الله
يقول سمعت عبد الرحمن بن عبد الله يقول سمعت بعض اصحاب ابي عثمان يقول سمعت ابا حفص يقول
وانا شاب فطردني مرة وقال لا تجلس عندي فقمت ولم اول له ظهري وانصرفت الى وراي ووجهي

الى وجهه حتى غبت عنه وجعلت في نفسي ان احفر على بابه حفيرا لا اخرج منها الا بامره
فلما راى ذلك مني ادناني وجعلني من خواص اصحابه وكان يقال الا في الدنيا الا ثلاثة لا رابع لهم ابو عثمان
بنيسابور والجنيد ببغداد وابو عبد الله بن الجلا بالشام قال الشارح رضي الله عنه
فاما قوله في الحكاية عن نفسه لما طرده ابو حفص فيها دليل على قوة رغبته في الخير قوله
واحتمال ما يلقى من الاذية في ذلك وهي وصية المريدين الراغبين في السلوك والمتقربين
بالمشايخ وذلك انهم لا يطردون شخصا الا اذا اساء ادبه وقد يطردونه امتحانا ليعرفوا
شدة رغبته فلما طرده هذا الشيخ تادب معه فلم يوله ظهره وتاخر عنه ووجهه
نحو وجهه حتى غاب عنه ثم ذكر في نفسه فلم يجد من ينتفع به سواه فحفر حفيرا على باب دار
الشيخ وصار يلازمها فيقضي ما لا بد منه من الضرورة ويعود فيجلس فيها فلما عرف ذلك
الشيخ من صبره وشدة رغبته في الخير قربه وادناه وانتفع به وفي هذه الحكاية تنبيه
من وجه اخر وهو ان المريد اذا ابعده سبحانه بسبب زلة زلها فلا بد هو مع شهواته
وليرجع الى الله بالتوبة ويلزم الباب بالتوبة والبكا والندم ليغفر له ما تقدم ويمن عليه بما
من سعد بقربه وسلم واما قولهم كان يقال فهذا من كلام غير الشيخ وهو من كلام الامام
القشيري رضي الله عنه في الدنيا ثلاثة لا رابع لهم فهذا لا يصح على التعميم فان اولياء الله كثير
افضل من ذكر في الصحابة والتابعين وانما يحسن كلامه بالنظر الى ازمانهم خاصة في نظر القائل
وقد يكون في الدنيا من لا يعرفه هذا القائل ممن افضل من هؤلاء المشهورين قال الامام رضي الله
عنه وقال ابو عثمان منذ اربعين سنة ما اقامني الله تعالى في حال فكرهته ولا نقلني الى غيره
فسخطته قال الشارح رضي الله عنه وهذا يدل على نيله مقام الرضا وبلوغه درجة من الوقت
الذي ذكره فان حقيقة الرضا انما يكون بالواقع فاي مقام اقامه الله فيه رضي به ولم يكرهه واذا
كان في خير فنقله الى غيره وان كان دون منه رضي به ولم يسخطه وهذا مشروط بان يكون
المنقول اليه ليس مما يسخطه الرب من المحرمات والبدع والكفر وغير ذلك من انواع الضلالات
فان الرضا بذلك لا يصح فان الله تعالى قال ولا يرضى لعباده الكفر وانما يرضى العبد بما يرضى الله
وانما الذي يلزمه ان يعرف الخير والشر من الله لا غير ويتصرف في ذلك على حسب الامر والنهي
عند وقوعه فان كان مما يرضى الله به رضي وان كان مما يسخطه سخط وتالم وبكى وتضرع ودعا
قال الامام رضي الله عنه سمعت الشيخ ابا عبد الرحمن السلمي يقول سمعت عبد الله بن محمد
الشعراني يقول سمعت ابا عثمان يقول ذلك ولما تغير على ابي عثمان الحال مزق ابنه ابو بكر
قميصا على نفسه ففتح ابو عثمان عينه وقال خلاف السنة يا بني في الظاهر علامة رياء
في الباطن قال الشارح رضي الله عنه وهذا صحيح فان اظهار المنكر غير مراقبة لله تعالى
واتباع امر عند نزول المصايب سيق الى قلبه ذم الناس له ان لم يظهر الجزع والحزن

Copyright © King Saud University

يموت من يعز عليه هذا معنى لو ما كونه اظهر الحزن والالم ليلا يتهم بترك الحنو على الوالدين
والمحبة لهم فلما كان عند النزع وغشي عليه من ق ولده قميصه لفقد انه توفي فلما فتح عينيه
بعد اقامته من الغشية راى ثوبه منقطعا فقال له يا ولدي ما هذه السنة عند الموت المعروفة
من الصالحين بل السنة الصبر والتحمل والرحمة على الوالدين ما فعلت هذا الا ريا فاشتد تظاهر
المخالف للعلم على فساد باطنه قال الامام رضي الله عنه سمعت محمد بن الحسين يقول سمعت
محمد بن احمد الملامتي يقول سمعت ابا الحسن الوراق يقول سمعت ابا عثمان يقول الصحبة مع الله
بحسن الادب ودوام الهيبة والمراقبة والصحبة مع الرسول صلى الله عليه وسلم باتباع
سنته ولزوم ظاهر العلم والصحبة مع اوليا الله تعالى بالاحترام والخدمة والصحبة مع الاهل
بحسن الخلق والصحبة مع الاخوان بدوام البشر ما لم يكن اثما والصحبة مع الجهال بالدعا لهم
والرحمة عليهم قال الشارح رضي الله عنه اطلاق الصحبة هاهنا مع الله تعالى مشروع
جايز وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم في دعايه انت الصاحب في السفر وانت
الخليفة في الاهل ومراده هاهنا بالصحبة يعني دوام معاملة الله تعالى كانه قال اذا اردت ان
تدوم المعاملة بينك وبين الله وعبر عنها بالصحبة فالزم الادب معه بدوام المراقبة
والاحترام وهو المعبر عنه بالهيبة والاجلال واذا كانت معاملتك مع النبي صلى الله عليه وسلم
فالزم سنته وفضايله واقتد به في جميع احواله والزم هذا هو المعبر عنه بظاهر المعبر
العلم لان ظاهر العلم عبارة عما تعلق بالجوارح وهو ظاهر البدن وباطنه ما تعلق باعمال القلوب
ومراعاة خواطره وعزومه والتمييز بين الحق منها والباطل والا فالشريعة كلها ظاهرة
مستندة الى الكتاب والسنة والاجماع وليس فيها باطن يختص به بعض الناس عن بعض
وانما فيها فاضل ومفضول سوا تعلق بقلب او جارحة والصحبة مع الصالحين من الاوليا
الولاية الخاصة بخدمتهم والاحترام لهم والتعظيم لان الله تعالى خصهم بما لم يخص به غيرهم من اكرامه
والصحبة مع الاهل يعني اهل الانسان زوجته وولده واقاربه بحسن الخلق وبما دينهم
عما ينفعهم في دينهم وحمل ما يبيد واسهم لجهلهم وقلة علمهم والصحبة مع الاخوان بدوام
البشر وهو حسن الملاقاة وقت الاجتماع والسوال عن الحال وادخال المسرة عليهم ما لم
يجر ذلك الى اثم او يكون مما يجب هجرتهم ومقاطعتهم فيكون البشر لهم اثما وانما كانوا اسليين
مستحقين لاسم الاخوة العامة كما قال تعالى انما المومنون اخوة ويكون بينهم من المعاصي
ما يوجب هجرهم فيمتنع لذلك البشر لهم وحسن المباسطة معهم والصحبة مع الجهال ويريد
بالجهال عصاة المومنين المخلطين ممن لا يرجع بموعظة ولم يبق الا الدعا لهم والانكار عليهم
لما يجب الانكار به والرحمة لهم لما ابتلوا به وصرفوا اليه من مخالفة الله عز وجل قال الامام
رضي الله سمعت عبد الله بن يوسف الاصبهاني رحمه الله يقول سمعت ابا عمرو بن نجيد يقول سمعت

ابا عثمان يقول من امر السنة على نفسه قولا وفعلا نطق بالحكمة ومن امر الهوى على نفسه قولا
وفعلا نطق بالبدعة قال الله تعالى وان تطيعوه تهتدوا قال الشارح رضي الله عنه وهذا صحيح
فان لسانه عبارة عن جملة الشريعة ممن يتصف بما حوت الشرع في كل ورد وصدر في اعمال
قلبه وجوارحه وفي احواله كلها محكمه سوا كانت بلسانه او بجوارحه ولذلك قال نطق بالحكمة
ومن عمل بهوى نفسه في ساير تصرفاته جرى على لسانه ما هو في قلبه من التخليط والهوى
فينطق تارة بالكفر وتارة بالبدعة وتارة بالمعصية لعدم ضبطه لقلبه وجوارحه قال
الامام رحمه الله عليه ومنهم ابو الحسن احمد بن محمد النوري بغدادي المولد والمنشا بغوي
الاصل صحب السري وابن ابي الحواري وكان من اقران الجنيد رحمه الله مات سنة خمس وتسعين
ومايتين وكان كبير الشان حسن المعاملة واللسان قال النوري رحمه الله التصوف ترك كل حظ
للنفس قال الشارح رضي الله عنه وهذا يدل على ما وصفه به من حسن المعاملة واللسان فان
معاملته لمولاه هي انما تكمل بالاحتراز عن حظوظ نفسه ومنابعته لهواه وهذه الكلمة التي تلفظ
بها جمعت كل حظ يزاحم كل مقام من الحظوظ المحرمة والمكروهة والمباحة والمسعلة والسكون
الى المقامات العالية والتنعم بالذكر والمناجاة لبقا احساسه لنفسه والصوفي من صفا
في معاملته من كل حظ فاني بكلية واحدة شملت كل ما يشغل ويفر وينقص ويوقف معه في كل
مقام ومن ان الصوفي من يخلص من كل شوب مما ذكرناه فهذا معنى حسنه في المعاملة واللسان قال
الامام رضي الله عنه وقال النوري اعز الاشيا في زماننا شيان عالم يعمل بعلمه وعارف ينطق عن
حقيقته قال الشارح رضي الله عنه وهذا صحيح وان كان في زمانه فكيف في زماننا
فان العالم عبارة عن المحيط بالاحكام واجبها ومندوبها فاضلها ومفضولها والنادر من
الناس هو الذي يعمل بكل ما علم ويتقي في عمله كل ما يخشاه من مفسد ومنقص لعمله بدله
والعارف عندهم من كانت معرفته بمولاه وساير صفاته وما هو عليه من كماله وجلاله
والنظر في كمال افعاله ومتعلقات صفاته وسابق ما سبق في علمه وارادته وصح دلك
في الجاري على مخلوقاته وغلب ذلك على قلبه حتى صار مشغولا به عما سواه ومن هذه صفته
فالغالب عليه عجز لسانه عما ادركه والنادر من الخلق من ايده مولاه وقواه بما ترد عليه ونزلا
حتى نطق عن الحقايق التي غلبت على قلبه وصار كانه مشاهد لها واشار اليها اشارة يفهم عنه
مراده لمن اراده ولهذا قال ينطق عن حقيقته واكثر الناس ينطق عما سمع وفهم من الكتب واقوال
الناس والنادر من اجتهد ووجد وعبر عما حصل له وتخلق به قال الامام رضي الله عنه
سمعت ابا عبد الله الصوفي رحمه الله يقول سمعت احمد بن محمد البردعي يقول سمعت المرتعش
يقول سمعت النوري يقول من رايته يدعي مع الله تعالى حالة تخرجه من حد العلم الشرعي
فلا تقربن منه قال الشارح رضي الله عنه وهذا صحيح فان العلم انما هو شرعي وبدعي

Copyright © King Saud University

كان لم تشهد لا تعاله القلبيه والبدنيه ومنها اقواله بالصحه الشرعيه فهو مبتدع عليهم
فيما يقول ويفعل والمبتدع لا يفلحوا ولا يوصلوا ولا يصلي عليهم فانهم يهدمون
الدنيا هدما ولا لاحد منهم رضي الله عنه ولوجا وابغوا ابت مسعريه وحرسته على الاحوال
نادرة او خارقة للعاده فلا يلتفت اليها فان ذلك من جمله المكر بهم ويمكرون ويمكر الله والله
خير الماكرين قال الامام رضي الله عنه سمعت الشيخ ابا عبد الرحمن السلمي يقول سمعت ابا العباس
البغدادي يقول سمعت الفرغاني سمعت الجنيد يقول منذ مات النوري لم يخبر عن حقيقه
الصدق احد قال الشارح رضي الله عنه وهذا مما ذكرناه اولا كان الحقيقه عند
المحققين كما قال حارثه لما ساله النبي صلى الله عليه وسلم عن حاله كيف اصبحت قال اصبحت العوم
مومنا فقال له عليه السلام ان لكل حق حقيقه فما حقيقه ايمانك فقال عزفت نفسي
عن الدنيا فاخبره بحالة الايمان الغالبه على قلبه وقال عرفت عن الدنيا وكاني انظر الى عرش
ربي بارزا فاخبر بحاله الايمان الغالبه على قلبه وقال عزفت عن الدنيا وكاني انظر الى
عرش ربي بارزا فاخبر عن حقيقه حاله فكان النوري رضي الله عنه لا يتكلم الا فيما
ذاقه ووصلت اليه منازله من الاحوال فلذلك قال الجنيد لما مات النوري لم يخبر عن
حقيقه الصدق احد معنى لم يخبر عما وجده ونالته من اصدقه احد فيما رآه والجنيد
ايضا كان من اهل هذا الشان وانما كان النوري رضي الله عنه عند الجنيد بالغا في
الصدق وحقيقته ولم ينف ذلك عن كل الناس من اهل زمانه وانما ذكر فضيلته
في ذلك واستبانه عن غيره قال الامام رضي الله عنه وقال ابو احمد المغازلي ما رايت
اعبد من النوري قيل ولا الجنيد قال ولا الجنيد وقال النوري كانت المرقعات
غطاء على الدر فصارت اليوم مزابل على جيف قال الشارح رضي الله عنه لفظ العباده
تشتمل على اعمال القلوب واعمال الابدان وكما لا اعمال القلوب مع الصدق والاخلاص
ودوام الاستغراق في الذكر والشغل بالمذكور عن غيره حتى عن ذكر الذاكر له
لنفسه اكمال شغله واذا كان النوري ارفع الناس في هذه الاحوال فهو اعبد الناس
وقوله ولا الجنيد قال ولا الجنيد صحيح فان الجنيد اقر بذلك للنوري كما تقدم وقوله
كانت المرقعات غطاء على الدر فصارت اليوم مزابل على جيف وذلك ان المرقع انما كانت
من اثار التقلل وقلة الرغبه في الدنيا والاجتزاء بما تيسر فاذا كان على احدهم ثوب
واحد تخرق فيه شيء اخذ رقعة حيث ما تيسرت له وطهرها بالماء واصلح بها موضع
الخرق وكانت القلوب صافيه وزاهده مشتغله بالله وبذكره غير ملتفته الى الدنيا الخرق
ولا المدح الخلق ولا لذمهم وهذا معنى الدر فان الدر شيء رفيع محفوظ مصان لرفعته
وعلا قدره ولا ارفع مما ذكرناه واما اليوم فصارت المرقعات تشبها بمن تقدم

بهم يأخذون الثياب الصافي الرفيع ويقطعونه قطعا ويرقعونه تزيينا في المرقعات
ففيه اضدا الحالة الاولى من التقطيع والتشبه بالصالحين من غير تحقيق والقلوب
فارغه من الزهد والاعراض عن الدنيا وطلب الرفعه عند الناس بزي الصالحين
وقله المراقبه لله تعالى ومن كان بهذه الصفه التي ذكرناها اخبر انهم مزابل على جيف
بل انتن واخس قال الامام رضي الله عنه وقيل كان يخرج كل يوم من داره ويحمل
الخبز معه ثم يتصدق به في الطريق ويدخل مسجدا يصلي فيه الى قريب من الظهر ثم يفتح
باب حانوته وهو صائم فكان اهله يتوهمون انه ياكل في السوق واهل السوق
يتوهمون انه ياكل في بيته بقي على هذا في ابتدائه عشرين سنه قال الشارح
رضي الله عنه وهذا امر بالغ في المجاهده وستر الاحوال حتى عن اهل بيته الذين
يعرفون من احواله في الدين ما يعرفون لانهم اخص الناس بمعرفه احواله فما امكنه
ستره عنهم من اعماله ستره فكان ياخذ غداه من داره يوهمهم انه يتغدى في دكانه
فيتصدق به في الطريق وكان لا يحب ان يكون في دكانه طول نهاره ولم يحب ان يطلع
اهله على صلاته بالنهار فكان يدخل الى بعض المساجد فيصلي فيه الى قريب الزوال
فاذا صلى الظهر مضى الى دكانه وفتحها وتبع بما يهمه الله تعالى بهذه الوقت اليسير
فلم يستهر بترك الاسباب لينسب الى التوكل وستر ذلك بالدكان ولم يطلع اهله بترك في م
على صومه وصلاته بالنهار وربما فعل ذلك في ليله كما حكي عن بعضهم انه كان يدخل مع
اهله في الفراش فاذا استغرقوا في النوم تركهم وقام وحكي عن بعضهم انه كان يضطجع
على فراشه مع اهله ويتفكر فيبكي ولا يشعر اهله بحاله هذه احوال العباد من الاخيار
في فضيله عمل السر وكمال الاخلاص لله تعالى والبعد عن ملاحظه المخلوقين رضي الله
عنهم اجمعين ونفعنا بهم قال الامام رضي الله عنه وسمعت ابا عبد الله احمد بن يحيى
الجلا يقول ذكر الاصل امام بالرمله ودمشق من اكابر مشايخ الشام صحب ابا تراب
وذا النون المصري وابا عبيد البسري واباه يحيى الجلا سمعت محمد بن الحسين رحمه الله يقول
سمعت محمد بن عبد العزيز الطبري يقول سمعت ابا عمرو الدمشقي يقول سمعت ابن الجلا يقول
قلت لابي وامي احب ان تهباني لله عز وجل فقالا قد وهبناك لله عز وجل فغبت عنهما مده فلما
رجعت كانت ليله مطيرة فدققت الباب فقال ابي من ذا فقلت ولدك احمد فقال كان لنا
ولد فوهبناه لله تعالى ونحن من العرب لا نسترجع ما وهبنا ولم يفتح الباب قال الشارح
رضي الله عنه وهذا يدل على كمال الوفا لله تعالى بما عزم عليه حتى في ولده الذي هو احب
الاشيا اليه عاده وما يلزم من تركه لله تعالى بما عزم عليه حتى في ولده الذي هو احب
الاشيا اليه عاده وما يلزم من تركه لله تعالى ان يفتح له الباب ويراه ويكلمه وانما خشي على نفسه

Copyright © King Saud University

من تعلق قلبه بما تركه لربه فانه ما فارقه او لاحتى اعرض عن محبته وكال شهوته يخشى ان يرجع
فيما تركه فادا كان هدا في الولد العبد الاكيد فكيف بغيره من الشهوات من المال والمشتهيات
وغير ذلك من الحظ العاجل البعيد **قال** الامام رحمه الله عليه وقال ابن الجلا من استوى
عنده المدح والذم فهو زاهد ومن حافظ على الفرايض في اول مواقيتها فهو عابد ومن راى الافعال
كلها من الله تعالى فهو موحد **قال** الشارح رضي الله عنه هذا كلام بالغ جيد وذلك ان الزهد
يكون اولا في المال ثم في الطعام والشراب ثم في اللباس ثم في الاستيناس بالناس ولا يزهد في الحمد
ولا يبالي بالذم الا من كمل زهده في الجاه والرياسه وهي اعلا رتب اهل الدنيا ولذلك اخر ما يخرج
من رووس الصديقين حب الرياسه واما العابد فهو عندهم من همته متعلقه باتقان
الاعمال وطلب الجزا عليها فمن لم يتقن فرايضه ويعتني بها مع وجوبها عليه وتاكيد طلبها
فهو فيما عداها من النوافل اقل اتقانا فالتوكل لذلك ومن حافظ على الفرايض فهو عابد لانه يبلا
بالاهم فالاهم ويشهد لهذا قول النبي صلى الله عليه وسلم حاكيا عن ربه عز وجل ما تقرب المتقربون
الي بمثل اداما افترضت عليهم ولا يزال العبد يتقرب الي بالنوافل الحديث واما من راي الافعال
كلها من الله تعالى سوا كانت من افعال قلبه او جوارحه من اعمال دنياه واخرته وراي نفسه
محلا لجريان ما قدره فد رته وراي فضل ربه عليه في سابر احواله من سكونه وحركته فهو لا
يري الا واحدا فيشهد الاعتبار كان موحدا **قال** الامام رضي الله عنه ولما مات ابن الجلا نظروا
اليه وهو يضحك فقال الطبيب انه حي ثم نظر الى محسته فقال انه ميت ثم كشف عن وجهه
فقال لا ادري اهو ميت ام حي وكان في داخل جلده عرق على شكل الله **قال** الشارح رضي
الله عنه وانما يظهر على الجوارح ما امتلات به القلوب فان العبد اذا كان دايم الذكر لمولاه
قليل الغفله عنه في سابر تقلبه ومثواه شديد الحضور معه عند خروج روحه
وراي ملايكه ربه تبشره بما اعد له مولاه انشرح صدره لذلك وفرح وظهر ذلك على وجهه
من تبسمه وحسن بشرته وتهلله وهذا هو الجاري في المنامات يرى الانسان في نفسه رويا
فيتكلم بما راي وهو نايم ينطق بذلك لسانه وتتحرك اعضاوه في القبض والبسط اذا راي من يناوله
فهو رضي عنه كان دايم الحضور مع ربه وراي امارات التوفيق عند خروج روحه فتبسم
عند خروج روحه وبقي جلده كذلك فلذلك تحير الطبيب في امره وهذا من امارات
البشرى والدلاله على سعادته وما رئي من جلده في ايام حياته على شكل الكتابه لله
في بعض عروقه فذلك دليل على انه عبد الله حالص في عبوديته والله اعلم **قال** الامام
رضي الله عنه وقال ابن الجلا رحمه كنت امشي مع استاذي فرايت حدثا جميلا فقلت يا استاذ
تري يعذب الله هذه الصوره فقال او نظرت سترى غبه قال فنسيت القران بعد
بعشرين سنه **قال** الشارح رضي الله عنه وهذه الحكايه فيها تحذير عن النظر الى

المستحسنات

المستحسنات فان ذلك يوثر في القلوب اثارا عظيمه ولو بعد حين وذلك انه لما كان
يمشي مع شيخه في بعض حوايجه لقي هذا الشاب فوقع بصره عليه مجاة فلما استحسنه
كرر نظره فيه متعجبا من كمال صورته وحسن هيئته حتى حمله ذلك على سوال شيخه هل
يعذب الله هذه الصوره بالنار ففهم الشيخ منه انه لم يكف نظره عند اول النظر
وانه دام نظره له واستحسنه فقال له انظر يعني هذا النظر المذموم لتجدن عقوبته
ولو بعد حين فيحس هذا الطالب لنفسه واعتبر احواله بالنسبه لنفسها ومشيخه
فوجد نفسه قد نسي القران بعد حفظه من الذم في الاخبار من كثير هذا وان حمل ان
يراد بالنسيان الترك للعمل بما في القران فيكون ذلك من جمله المعاصي والظاهر انه لم يرد به
وانما اراد ان الله انساه حفظ القران وان كان عاملا باحكامه وفاتته فضيله حفظه
قال الامام رضي الله عنه ومنهم ابو محمد رويم بن احمد بغدادي من اجل المشايخ مات سنه ثلاث
وثلاث مايه وكان يفتي فقيها على مذهب داود وقال رويم من حكم الحكيم ان يوسع على اخوانه
في الاحكام ويضيق على نفسه فيها فان التوسعه عليهم اتباع العلم والتضييق على نفسه من حكم الورع
قال الشارح رضي الله عنه وهذا صحيح فان النبي صلى الله عليه وسلم قال يسروا ولا تعسروا
وسكنوا ولا تنفروا وعليكم بالحنيفيه السمحه وذلك ان يترقى الانسان في الجبران وينتقل
من الواجبات الى المندوبات ثم يترقى في الدرجات وكذلك يترك المحرمات ثم المكروهات ثم الشبهات
ثم ابوابا من الحلال مخافه الوقوع في شي من المشكلات فاما من توكل في نفسه وعليت همته
وسهلت عليه الطاعات وتلذذ علابستها في عموم الاوقات فليلتزم ارفع الدرجات
وليشتغل باشرف المقامات وبهذا الاعتبار ضيق على نفسه في الورع وملازمه ارفع
الدرجات ووسع على غيره في البعد من المحرم والقيام بالواجبات **قال** الامام رضي الله
عنه سمعت الشيخ ابا عبد الرحمن السلمي رحمه الله يقول سمعت عبد الواحد بن بكر يقول
سمعت ابا عبد الله بن خفيف يقول سالت رويما فقلت اوصني فقال ما هذا الامر الا
ببذل الروح فان امكنك الدخول فيه مع هذا والا فلا تشتغل بترهات الصوفيه
قال الشارح رضي الله عنه فقوله ببذل الروح يعني افراغ الجهد في الطاعات
والاعراض عن الشهوات بالكليه وطلب الراحات والا فلا تدخل في هذا الامر فانك
ان دخلت فيه بغير ما وصفناه وقنعت بالاقوال وحفظ حكايات الرجال والتشبه
في ظاهر الاحوال مع خلو باطنه عما اشرنا اليه فما لك في ذلك الا دون نيل والترهات
تزيد بها الخرافات والاشتغال وكثره الكلام دون الاعمال ولم ينسب ذلك الى الصوفيه
بل ينسب الى من بعد صفته **قال** الامام رضي الله عنه وقال رويم تعرد لك مع كل طبقه من الناس
اسلم من تعرد لك مع الصوفيه فان كل الخلق قعدوا على الرسوم وقعدت هذه الطايفه على

ليتدرب

خبيئه

الحقايق وطالب الخلق كلهم بظواهر الشرع وطالب هاولا انفسهم بحقايق الورع وملازمة الصدق فمن نعد معهم وحالهم في شي مما يتحققون به نزع الله نور الايمان من قلبه قال الشارح رضي الله عنه وهذا صحيح فان من سلك طريق الزهد والورع وطلب الفضايل والتفرغ للخيرات واظهر ذلك من نفسه ولم يكن متخلقا به ولا متكلفا في تحصيله فلا يخلو من احد امرين اما ان يكون مرايا يظهر زي الصالحين لطلب دنيا فانيه من جاه او مال او يكون كاذبا او مدعيا الدرجه لم ينلها وكلاهما خطا وبعيدا من الله تعالى فان المرايي عاص بريايه والمتشبع بما لم ينل مدع كذاب وقد قال صلى الله عليه وسلم المتشبع بما لم ينل كلابس ثوبي زور ويدمه عليه السلام وقوله فان كل الخلق اراد الاكل فان هذه الطايفه من الخلق والرسوم السمحه ما اوجبه الشرع وندبهم اليه من الاعمال بظاهر البدن والورع هو البعد من كل مشكل والحقايق كما فسرناه في غير موضع غلبه الاحوال على القلب ومشاهدة القرب في كل عمل كما قال عليه السلام تعبد الله كانك تراه واهل الحقايق هم الطالبون لكمال هذا المقام ومن اكتفى بظاهر العلم فلا بد ان هو المكتفي بالرسوم والقانع بها قال الامام رضي الله عنه وقال رويم اجتزت ببغداد وقت الهاجره ببعض السكك وانا عطشان فاستسقيت من دار ففتحت صبية بابها ومعها كوز فلما راتني قالت صوفي يفطر بالنهار فما افطرت بعد ذلك قط قال الشارح رضي الله عنه وهذا يدل على كمال الاعتبار للكبار والصغار من الخلق ويدل ايضا على ان الصبيه كانت من بيت من بيوت اهل العلم والفضل حتى عرفت احوال الصوفيه وانهم المجتهدون في الاعمال الحريصون في تحصيلها في كل حال فلما سمعت مستسقي يطلب الما ادركت انه لاغتنام الثواب فلما رات عليه زي الصوفيه قالت صوفي يشرب بالنهار على وجه الاستعجاب والاستنكار فاثر كلامها في قلب رويم فكانت له موعظه انكف بسبب ذلك عن الفطر الى وقت الانصراف من الدنيا والذهاب قال الامام رضي الله عنه وقال رويم اذا رزقك الله المقال والفعال فاخذ منك المقال وابقى عليك الفعال فانها نعمه واذا اخذ منك الفعال وابقى عليك المقال فانها مصيبه واذا اخذ منك كليهما فهي نقمه قال الشارح رضي الله وهذا صحيح فان العبد لا غنى له عن العلم والعمل جميعا فاذا حصل العلم وعمل به في نفسه وعلمه غيره كثرت منفعته وارتفعت درجته وقد تكرم الحق عليه بالمقال والفعال فاذا اخذ الله منه المقال وابقى عليه الفعال دل ذلك على كمال انتفاعه بالعلم وانه تعلم وعلم مده ثم انقطع الى الله تعالى في اخر عمره وهذا شان الناس واذا اخذ منه العمل وابقى عليه القول فان صح نفعه في القول فقد نقص لما فاته من عمل المندوب وكلاهما مصيبه فيما فاته من الاجر وان اخذهما جميعا فقد انقطع عمله المندوب وتعليمه الناس فهذا بليه وعقوبه له قال الامام

كتم

رضي الله عنه ومنهم ابو عبد الله محمد بن الفضل ساكن سمرقند بلخي الاصل اخرج منها فدخل سمرقند ومات بها صحب احمد بن خضرويه وغيره وكان ابو عثمان الحيري يميل اليه جدا مات سنه تسع عشر وثلاثمايه سمعت الشيخ ابا عبد الرحمن السلمي رحمه الله يقول سمعت محمد بن احمد الفرا يقول سمعت ابا بكر ابن عثمان يقول كتب ابو عثمان الى محمد بن الفضل يساله ما علامه الشقاوه فقال ثلاثه اشيا يرزق العلم ويحرم العمل ويرزق العمل ويحرم الاخلاص ويرزق صحبه الصالحين ولا يحترم لهم وكان ابو عثمان الحيري يقول محمد بن الفضل سمسار الرجال قال الشارح رضي الله عنه وهذا صحيح فان من رزق العلم ولم يعمل به لا يخلو اما ان يكون لم يعمل بواجبه ومندوبه او مندوبه خاصه فان عمل بواجبه فقد نجا وكان ما علمه حجه عليه في تقصيره عن الخيرات بعد معرفته بها واذا لم يعمل به بادر في الطاعات المندوبات ولم يوفق للاخلاص فيها صارت محرمات وخسر في الحياه وبعد الممات واذا من الله عليه بخلطه الصالحين ولم يعرف قدرهم ودرجتهم عند الله ولم يحترمهم وعاملهم باسوا المعاملات فقد فاتته الخيرات وحلت به البليات والله المسلم من جميع الافات وقوله سمسار الرجال اي يعرف منازلهم ورتبهم في الدين كما يعرف سمسار السلع اقدارها ومعرفه اثمانها وذلك لكمال علمه ومعرفته بمراتب الدين واحوال المقربين قال الامام رضي الله عنه سمعت محمد بن الحسين يقول سمعت عبد الله الرازي يقول سمعت محمد بن الفضل يقول الراحه في السجن من اماني النفوس قال الشارح رضي الله عنه وهذا صحيح فان السجن عباره عن من حبس عن نيل اغراضه ولم يتخلص مع نيل نقاصده وما ربه والنبي صلى الله عليه وسلم يقول الدنيا سجن المومن وجنه الكافر وانما كانت سجنه لانه فيها مسوول عن حركات قلبه وجوارحه مامور بطاعات ربه اوامره ومنهي عن مخالفه ربه واذا كان كذلك فهو محبوس عن كثير من شهواته محمول مكلف بالقيام بما يرضيه ماموراته وان كان اسيح له من ذلك امر ففي يسير من حالته ومن كانت هذه صفته وطلب الراحه مع هذه التكليفات بعد العادات الاتي عليه ربه وعمله بمعرفته ويلذ له طاعاته فتصير راحته باعتبار اخر لا من جهة نيل شهواته وبهذا الاعتبار كانت قرة عين سيد العرب والعجم في الصلاه وقول عايشه رضي الله عنها كان رسول الله صلى الله عليه وسلم من اكثر الناس مع نسايه فاذا حضرت الصلاه فكانه لم يعرفنا ولم نعرفه قال الامام رضي الله عنه سمعت محمد بن الحسين يقول سمعت ابا بكر الرازي يقول سمعت محمد بن الفضل يقول ذهاب الاسلام من اربعه لا يعملون بما يعلمون ويعلمون بما لا يعلمون ولا يتعلمون ما لا يعلمون ويمنعون الناس من التعلم قال الشارح رضي الله عنه وروح هذه الحكايه وتفصيله ان ذهاب الدين يكون من اهمال العلم والعمل جميعا والعلم اكد ذلك فانه يكون به صحه العمل فقوله لا يعملون بما يعلمون فهذا تحصيل العلم وترك العمل ويعلمون بما لا يعلمون تضييع لهما جميعا فان العمل اذا كان على غير وفق العلم فليس بعمل صحيح فقد ضيعهما جميعا ولا يتعلمون ما لا يعلمون تضييع

Copyright © King Saud University

واد اماع

لعم ولهذا مادح العلم بقدر العمل الصحيح وقوله ويمنعون الناس من التعلم بالغ في الشر وهو سد باب العلم بالكليه ومنعهم الناس من التعلم يكون بوجهين احدهما انهم يشغلون العلما بخدمتهم والاشتغال بمظالمهم فلا يتفرغون للتعليم الثاني انهم يكثرون مظالم العباد ويزاحمونهم في ارزاقهم التي لابد منها فيصيرا كثر اشتغالهم في تحصيل اموالهم فلا يتفرغون لطلب العلم وهذا قد غلب على زماننا غلبه كليه فانا لله وانا اليه راجعون قال الامام رضي الله عنه وبهذا الاسناد قال العجب ممن يقطع المفاوز فيصل الى بيته فيرى اثار النبوه كيف لا يقطع نفسه وهواه ليصل الى قلبه فيرى اثار ربه عز وجل قال الشارح رضي الله عنه ومعنى هذا الكلام ان الاعمال القلبيه انجع واسرع في التقرب الى الله تعالى ونيل ما عنده من الكرامات وافاضل الدرجات فضلا عن الحسنات فاذا هان على العبد مفارقه الاهل والولد وانفاق المال واتعاب الجسد وطول السفر ومقاساة شدة الضرر حتى يصل الى بيته ليرى اثار الانبيا وينال رحمه المولا وفعل الطاعات المنذ وبات فمجاهدته نفسه بترك الشهوات وتحمل مشقة العبادات لتزول عن قلبه الغفلات فيلازم الذكر والدعوات ومراقبته والشغل به عن ساير المخلوقات اخف عليه كلفه واقرب لنيل ساير المطلوبات والاطلاع على عجايب قلبه وساير المخلوقات وكمال معرفته بمولاه وما هو عليه من الصفات المتعلقه بساير المتعلقات وبهذا الاعتبار يتعجب ممن يترك العمل اليسير لنيل الامر العظيم مع ان العبد يتحمل في امر دنياه ونيل المشقات فيها وفي نيل مقاصده منها اعظم مما ذكرناه في اعمال الاخره ولم يامره رحمه الله بان يترك الحج الواجب مع شرفه في العبادات وانما حضه على ما يمكنه نيله بالمجاهدات والاعراض عن الشهوات وهو مقيم في اهله على احسن الحالات قال الامام رضي الله عنه اذا رايت المريد يسترزق من الدنيا فذلك من علامات ادباره قال الشارح رضي الله عنه وهذا صحيح فان الرزق من الدنيا لا يخلو من وجهين اما ان يكون بكسب وتعب واما ان يكون بمراقبه او هبة بلا طلب واذا كان سالكا مشغولا باخراه لم يشتغل بالكدح والطلب في دنياه واذا كان من الزاهدين المعرضين عن الدنيا واتته بغير كسب صرفها في جهات الخير من غير عوض عنها ولا سبب قال الامام رضي الله عنه وسيل عن الزهد فقال النظر الى الدنيا بعين النقص والاعراض عنها تعززا وتظرفا قال الشارح رضي الله عنه وهذا صحيح فان الاعراض عن الدنيا تعززا وتظرفا وزهدا في الحلال فان كان الاعراض عن الدنيا خوفا من ضررها فهو الورع وان كان لقله الرغبه فيها وتزاهد النفس عنها لصغر قدرها فهو الزهد وهذا زهد اكثر المريدين واما زهد العارفين الذين عرفوا الله تعالى وجماله وكماله وكثر ذكرهم له ومناجاته ودام ذلك لهم حتى لم يهن على نفوسهم ان يشتغلوا بغيره وكرهوا كل ما يشغلهم عنه فزهدهم في من هذا الوجه خوفا من ان يشغلهم عما هم فيه من ذكر قلوبهم لربهم وقربها منه بل زاد بعضهم ولم

يلتفت

يلتفت الى الاخره التي هي جزا الاعمال الصالحه فوقت شغله بربه بل كل شغل بعضهم به وبرويه جماله وكماله عن ذكر انفسهم ولهذا قال بعضهم في حد الزهد انه الاعراض عما يشغل عن الله مطلقا قال الامام رضي الله عنه ومنهم ابو بكر احمد بن نصر الزقاق الكبير من اقران الجنيد من اكابر مصر سمعت محمد بن الحسين رحمه الله يقول سمعت الحسين بن احمد يقول سمعت الكتاني يقول لما مات الزقاق حجه انقطعت حجه الفقراي دخولهم مصر قال الشارح رضي الله عنه هذا فيه تنبيه على كماله وكثرة معارفه وانتفاع المريدين برويته فضلا عن صحبته فكان اهل الاقطار من الشام والعراق والحجاز اذا اتوا الى مصر مع انها كثيره الارزاق والرخا في الاسعار ولا يتهمون بان مجيهم اليها لكثره الارزاق اذا زعموا انهم انما قصدوا هذا الرجل الكبير لاهليته لذلك ووجود الانتفاع به فلما مات قال الكتاني انقطعت حجة الفقرا في دخولهم مصر اي لعدم من يقصدونه فيتهمون بان مجيهم للدنيا وشهواتها وذلك لانفراد الزقاق بحاله ونفعه في زمانه قال الامام رحمه الله وقال الزقاق من لم يصحبه التقى في فقره اكل الحرام المحض قال الشارح رضي الله عنه وذلك ان فقرا الزهاد والصالحين ليس اضطرارا حتى يلزم ليس لهم الاخذ لمحض الفقر من اي جهه كان وانما كان فقرهم من الدنيا اختيارا وزهدا واعراضا عن الحلال ولا يليق بهم ان ياخذوا ما لابد لهم منه الا من اصفى ما يمكنهم واذا لم يكن عندهم تقوى ولا حذر فيما ياخذونه اكلوا الحرام المحض كما يجري على السنه بعضهم ان الفقير حر لا يكدره شي وهذا وجه وذلك لشده اعراضه عن الدنيا وقله رغبته فيها واعراضه عن جاهها ومالها فلا يكدره شي من اختلاف احوالها ولا من اخراجها بخلاف ما ظنه من حمل اقوالهم على انه ياخذ المال من اي جهه كان ولا يبالي لانه فقير وربما يقول بعضهم لو كانت الدنيا دما عبيطا كان قوت المومن منها حلالا وهذا صحيح لو كانت ونعوذ بالله ان تكون بل لا تزال الشريعه قايمه والحلال والحرام معروفا الى يوم القيامه موفا بقوله تعالى انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون وبقوله صلى الله عليه وسلم لا تزال طايفه من امتي على الحق ظاهرين الحديث قال الامام رضي الله سمعت الشيخ ابا عبد الرحمن السلمي رحمه الله يقول سمعت محمد ابن عبد الله بن عبد العزيز يقول سمعت الزقاق يقول تهت في تيه بني اسرائيل مقدار خمسه عشر يوما فلما وقعت على الطريق استقبلني انسان جندي فسقاني شربه من ما فعادت قسوتها على قلبي ثلاثين سنه قال الشارح رضي الله عنه وهذا يدل على كمال مجاهدته ومراقبته لاحواله في قلبه وجوارحه وذلك انه لما تاه هذه المده فاتى مشقه شديده من العطش فلما وقع على الطريق لقي بعض الاجناد والغالب على الاجناد عدم التحفظ في الاموال واخذها من كل جهه فلما سقاه الشربه وشربها وجد في قلبه قسوه لقله صبره عن شربها من هذا الشخص مع عزمه ولا يحمانه لا يبيتنا ولماهدا سبيله فكلما ذكر ذلك تالم بسبب ذلك ودام تالمه في هذه

Copyright © King Saud University

المده التي ذكرها وتحتمل وجها اخر وهر بابه الكرامات كما كان المحاسبي وبشر ابن الحارث تنك
صربان العرق وعدم انسياغ الطعام وذلك من حفظ الله لهم عن الطعام والشراب الذي لا
يرضاه ويكون ذلك كرامه لهم فلما شربه هذا الرجل ولم تحفظ منه عادت قسوته على قلبه
المده التي ذكرناها فيكون في ذلك زجر له وتنبيه على كمال التثبت والانكفاف حتى يتبين له
حكم ما عزم عليه والله اعلم قال الامام رحمه الله ومنهم ابو عبد الله عمرو بن عثمان المكي
لقي ابا عبد الله النباجي وصحب ابا سعيد الخراز وغيره شيخ القوم وامام الطايفه في الاصول
والطريقه مات ببغداد سنه احدى وتسعين ومايتين سمعت محمد بن الحسين رحمه الله يقول
سمعت محمد بن عبد الله بن شاذان يقول سمعت ابا بكر بن احمد يقول سمعت عمرو ابن عثمان يقول
كلما توهمه قلبك او سنح في مجاري فكرك او خطر في معارضات قلبك من حسن او بها او انس او ضيا
او جمال او شبح او نور او شخص او خيال فالله تعالى بعيد من ذلك الا تسمع الى قوله تعالى ليس كمثله
شي وهو السميع البصير وقال لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا احد قال الشارح رضي الله عنه
قوله ما خطر في قلبك اي تخيلته بوهمك او تدبرته بفكرك فهو على كله محال في حق الله سبحانه
اذا الفكر والخيال والوهم انما يتعلق بمن له مثل او شبيه او نظير والله سبحانه وتعالى منزه عن الانوار
كلما سوا كانت محسوسه او معنويه لان جميع ذلك شكل وبستحيل ان يحل في شي اذ لو كان فيه
لكان محصورا محدودا ويستحيل ان يحل فيه ولو كان كذلك لكان محلا وجرما وتعالى الله عن ذلك
علوا كبيرا وقوله ليس كمثله شي عام في كل شي والشي هو الموجود وما ليس بشي نفي محض وكذلك
قوله قل هو الله احد الى قوله كفوا احد يعني لا عديل له ولا نظير له في ذاته ولا صفاته ولا في
افعاله اذ لا فعل لغيره مما خطر بباله العبد مما ذكرناه فهو محال كما قال الله سبحانه فانه الخالق
القديم وما عداه المخلوق المحدث من جميع العالم فهو تنبيه منه رضي الله عنه على تنزيه الحق
سبحانه وتعليم العبد طريق توحيده والافراد له سبحانه في الذات والصفات والافعال
وهو الكبير المتعال قال الامام رضي الله عنه وبهذا الاسناد قال العلم قايد والخوف سايق
والنفس حرون بين ذلك جموح خداعه رواغه فاحذرها وراعها بسياسه العلم
وسقها بتهديد الخوف يتم لك ما تريد قال الشارح رضي الله عنه فقوله رضي الله عنه
العلم قايد يعني به العلم بالله وجلاله ومعرفة احكامه من حلاله وحرامه ووعده ووعيده
هذا العلم اذا حصل في النفس تحركت النفس الى الاعمال رجا القرب ونيل الجزا من الكبير
المتعال وبهذا الاعتبار كان قايدا اي يقود النفس الى فعل الخيرات والخوف من العذاب
والقصور والنقص عن مراتب الاحباب او البعد والحجاب سايق اي متى حرنت النفس
وكسلت عن القيام بما عرفت خوفها بما ذكرناه وساقها بذلك فهي حرون جموح والحرن
هو الوقوف عن المشي والجموح هو الهرب من جهة الى جهة عن الطريق المستقيم وصراط الشان

النفس

النفس اذا جهلت الانتقال اما ان تهرب [illegible] بل تقف عن السير فاذا اراد العبد سيرها
شوقها بما ذكرناه وخوفها بما بيناه ورفق بها في السير حتى تعود ذا خير وملكه فتسير اليه
بسهوله بعون ربها ولا تحتاج الى كمال [illegible] والسابق كما قال عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه
ما اصبح لي هوى الا في مواقع تدر الله و[illegible] الخيلات ولا يرده عنها ما جات به الا نكد ارض
المشقات قال الامام رضي الله عنه وقال لا تقع على الوجد عباره لانه سر الله عند
المومنين قال الشارح رضي الله عنه وذلك ان كثيرا من المحسوسات يعسر على العبد
التعبير عنها بل يعسر على الخلق الكل التعبير عنها وان كانت محسوسه لهم موجوده
فيما بينهم وذلك لو قيل للقايل ما الفرق بين رايحة الزبد ورايحة المسك وطولب ببيان تميزها
عن هذا العسر عليه وهو يدرك الفرق قطعا من نفسه ولو قيل له ما الفرق بين حلاوة السكر
وحلاوة العسل لكان كذلك او حموضه الليمون وحموضه النارج لعسر عليه ذلك واذا عجزت
العبارات عن تمييز هذه المحسوسات فعجزها عن موارد القلوب وما يفتح به الحق وتخلقه
فيها من الغيرة من المحبه والشوق والفرح والطيش والانس وغير ذلك من احوال القلوب اولى
واولى وانما يشير من من الله تعالى عليه بها بالاشارات ويقربها بالامثال من الامور المعلومات
ولذلك قال لا تقع عليه عباره فانه سر الله يعني يخص به من يشا من عباده وليس هو من المعتاد
ليمكن الشخص ان يحدث به غيره فيعبر به عنه عما عنده والله الموفق قال الامام رضي
الله عنه ومنهم سمنون بن حمزه وكنيته ابو الحسن ويقال ابو القاسم صحب السري
وابا احمد القلانسي ومحمد بن علي القصاب و[illegible] قيل انه انشد وليس لي في سواك حظ فكيفما شيت فاخبرني
فاخذه الاسر من ساعته فكان يدور على المكاتب ويقول للصبيان
ادعوا لعمكم الكذاب وقيل بل انشد هذه الابيات فقال بعض اصحابه لبعض سمعنا البارحه
وكنت بالوستاق صوت استاذنا الحبيب يدعو الله ويتضرع اليه ويسال الشفا فقال
اخر وانا ايضا كنت سمعت هذا البارحه كنت بالموضع الفلاني فقال ثالث ورابع مثل
هذا فاخبر سمنون وكان قد امتحن بعلة الاسر وكان يصبر ولا يجزع فلما سمعهم يقولون
هذا ولم يكن هو قد دعا ولا نطق بشي منه علم ان المقصود منه اظهار الجزع تادبا
بالعبوديه وستر الحاله فاخذ يطوف على المكاتب ويقول ادعوا لعمكم الكذاب قال
الشارح رضي الله عنه وهذا سمنون من المشهورين بالمحبه والهيمان فيها فلذلك جرى على
لسانه هذا القول وذلك ان افعال المحب كلها عند المحب محبوبه موافقه فلما كان هو
مقصوده خاصه ومحبوبه جرى على لسانه وليس لي في سواك حظ فكيفما شيت فاخبرني
والاول محض العبوديه والثاني فيه شي من دعوى بانه يصبر تحت الاختبار فقيل انه
سبب ما ابتلي به من الاسر فلما ابتلي به واختبر شق عليه ذلك فصار يدور على المكاتب ويقول

Copyright © King Saud University

ادعوا لعلمكم الكذاب في دعواه وقبل شهيد ذ ورانه على المكاتب غير هذا وهو اكمل منزلة ولب
واحد من الافات واشد مناسبة لحاله وذلك انه ابتلي بهذا المرض من الله سبحانه وكان يصبر
ولا يظهر لاحد ويسكت عن الدعا فيه رضى منه باختيار الله تعالى له فبينا هو في هذا الحال الشريف
وهو يقاسي من الالم ما يقاسيه ويستره من الخلق ويخفيه اذ راى بعض اصحابه في الشام
في بعض نواحي المكان الذي للشيخ فيه انه راى الشيخ وهو يدعو الله تعالى ان يخلصه مما هو فيه
ثم راى رجلا اخر من اصحابه ذلك وهو يدعو ويتضرع ثم راه ثالث ورابع فلما بلغه ذلك غلب على
ظنه ان مراد الحق منه اظهار ما هو فيه والتضرع والبكا والعجز عن حمل ما ابتلي به والافتقار
الى الله فيه فصار يدور على المكاتب ويسال الصبيان لكونهم لم يذنبوا وهم مشتغلون بتعليم
كتاب الله تعالى رجا الاستجابة بدعائهم ويكون هو في اثنا ذلك داع لانهم اذا دعوا قال امين
وهذا من حاله رضي الله عنه يدل على حاله ومراقبته لافعال ربه وتنبيه له في قلبه وعلى لسان
غيره فيفعل ذلك امتثالا لما نبه عليه قال الامام رضي الله عنه سمعت محمد بن الحسين
رحمه الله يقول سمعت ابا العباس محمد بن الحسن البغدادي يقول سمعت جعفر الخلدي
يقول قال لي ابو احمد المغازلي كان ببغداد رجل فرق على الفقرا اربعين الف درهم فقال لي
سمنون يا ابا احمد الا ترى ما انفق هذا وما قد عمله ونحن ما نجد شيا فامض بنا الى
موضع نصلي فيه بكل درهم انفقه ركعة فمضينا الى المداين فصلينا اربعين الف صلاة وكان
سمنون ظريف الخلق كثير كلامه في المحبة وكان كبير الشان مات قبل الجنيد كما قيل قال
الشارح رضي الله عنه وهذا يدل على كمال منافسته في الخير وكثرة اجتهاده فيه والاقتدا
في ذلك بالنبي صلى الله عليه وسلم وذلك ان بعض الصحابة من الفقرا سالوا النبي صلى الله عليه وسلم
فقالوا سبقنا اهل الدثور بالاجور فدلهم على الدعا والذكر والباقيات الصالحات وهو الامر
المتيسر على الفقرا وهو الذي يمكنهم فعله فكذا له سمنون صدقه هذا الرجل بجميع هذه
الدراهم فرغب ان ينال من الاجر مثلها فعل امثل ما امر به النبي صلى الله عليه وسلم الفقراء
فمضى هو وصاحبه فصلوا مكان كل درهم ركعة فهذه هي المنافسة والمسارعة في الخيرات
واما كونه ظريفا في الخلق فمعناه ان الغالب على احواله البسط وهو الغالب على اهل
المحبة فانكل انا بالذي فيه ينضح قال الامام رضي الله عنه ومنهم ابو عبيدة البسري من
كبار المشايخ صحب ابا تراب النخشبي سمعت محمد بن الحسين رحمه الله يقول سمعت عبد الله
ابن علي يقول سمعت الرقي يقول سمعت ابن الجلا يقول لقيت ستماية شيخ فما رايت مثل
اربعة ذو النون المصري وابي وابو تراب النخشبي وابو عبيد البسري سمعت الشيخ يزيد بن يحيى الجلا
ابا عبد الرحمن السلمي رحمه الله يقول سمعت احمد بن محمد الثغري يقول سمعت محمد بن معمر
يقول سمعت ابا زرعة الجنبي يقول كان ابو عبيد البسري يوما على جرجر يدرس فجا له

بينه وبين الحج ثلاثة ايام اذ اتاه رجلان فقالا يا ابا عبيد تنشط الى الحج فقال لا ثم التفت الي
وقال شيخك على هذا اقدر منهما يعني نفسه قال الشارح رضي الله عنه وهذا من باب اظهار
الكرامات لمن يقتدي به لتقوى نفسه لو تورعها ممن يثق بخبره وليكمل حسن ظنه بشيخه
فيسرع امتثاله لما يامره به وفيه اشارة الى ان خوارق العادات لا تختص بمن يقطع الاسباب
بل يجريها الله تعالى على العبد وان كان متسببا واذ كان تسببه للامر وكان معتمدا بقلبه
على ربه في كل حال فكان ابو عبيد هذا على جرجر يعني الة يدرس بها قمحه الذي زرعه لقوته فاتاه
هذان الرجلان من الاوليا وبين بلده وبين مكة شي كثير وسفر طويل ولم يبق لوقت الوقفة
الا ثلاثة ايام فسلما على شيخه وقالا له هل تنشط معنا الى الحج فتثبت وراى ان ما هو فيه اولى من
سفره معهما فلما مضيا قال لتلميذه شيخك اقدر على هذا منهما وهذا هو طي الارض واظهره
لتلميذه لما ذكرناه من الفوايد والله المسدد قال الامام رضي الله عنه ومنهم ابو الفوارس
شاه بن شجاع الكرماني كان من اولاد الملوك صحب ابا تراب النخشبي وابا عبيد البسري
واوليك الطبقة وكان احد الفتيان كبير الشان مات قبل الثلاث ماية وقال شاه علامة
التقوى الورع وعلامة الورع الوقوف عند الشبهات وكان يقول لاصحابه اجتنبوا
الكذب والخيانة والغيبة ثم اصنعوا بعد ما لكم قال الشارح رضي الله عنه فاما قوله علامة
التقوى الورع فان الورع هو تجنب ما يخشى وكذلك التقوى فاذا كان الشخص متجنبا
لتضييع الواجبات ومجانبا لارتكاب المحرمات كان متقيا ورعا التقوى الواجب والورع الواجب
ولا يمكنه ان يتورع حتى يتوقف فاذا توقف وتثبت تبين له المشكل من غيره فحينيذ
يتورع الورع المندوب واما وصيته لاصحابه اجتنبوا الكذب والغيبة والخيانة والكذب
والغيبة من افات اللسان وهما اغلب شي على الانسان ومن قدر على تجنب الاقوى فهو على
تجنب الاضعف اقوى واما قوله الخيانة فيدخل تحتها سائر المعاصي من الاخلال بالواجبات
وارتكاب المحرمات فان الخيانة ضد الامانة وقد قال تعالى انا عرضنا الامانة على السموات
والارض والجبال فابين ان يحملنها واشفقن منها وحملها الانسان الاية وهي التكاليف
فمتى قام بها الامر به واوقعها في الفعل والترك على مقتضى امره ونهيه كان امينا
قايما بما ايتمن به وان لم يكن كذلك كان خاينا قال الله تعالى يا ايها الذين امنوا لا تخونوا الله والرسول
وتخونوا اماناتكم الاية قال الامام رضي الله عنه سمعت الشيخ ابا عبد الرحمن السلمي رحمه الله يقول
حدثني ابن نجيد يقول قال شاه الكرماني من غض بصره عن المحارم وامسك نفسه عن الشهوات
وعمر باطنه بدوام المراقبة وظاهره باتباع السنة وعود نفسه اكل الحلال لم تخطئ له فراسة قال
الشارح رضي الله عنه ويشهد لصحة ما قال الخبر الصحيح ما تقرب المتقربون الي بمثل
اداء ما افترضت عليهم ولا يزال العبد يتقرب الي بالنوافل حتى احبه الحديث ومعنى كنت سمعه

Copyright © King Saud University

وتصح وبده ورجله انه يحفظ في يده ورجله وقلبه فلا يفعل شيا من ذلك على وجه الخطا فهو فوائد
الالهام والفراسه من جمله الفوايد القلوب الصادقه من الغيوب قال الامام رضي الله عنه
ومنهم يوسف بن الحسين شيخ الري والجبال في وقته وكان نسيج وحده في اسقاط
التصنع وكان عالما اديبا صحب ذا النون المصري وابا تراب ورافق ابا سعيد الخراز مات سنه
اربع وثلاث مايه قال يوسف بن الحسين لان القي الله تعالى بجميع المعاصي احب الي من ان القاه بذره
من التصنع قال الشارح رضي الله عنه ومراده والله اعلم التصنع التحلي بالطاعات والتزين
بها عندهم فيكون مرايا واما مطلق التصنع والتجمل لمقاصد صحيحه كالاعيا دوالجمع ومحافل
المسلمين والتعظيم للعلم والحرمه وحديث النبي صلى الله عليه وسلم وقد روي ان مالك بن انس
رضي الله عنه كان اذا اتاه الناس يقتبسون منه العلم يخرج اليهم الخادم ويقول يقول لكم الشيخ
ما الذي تريدون المسايل ام حديث النبي صلى الله عليه وسلم فان ارادوا المسايل اذن لهم وهو
على حالته التي هو عليها وان كانوا ارادوا حديث النبي صلى الله عليه وسلم قام فتوضا ولبس ثيابا جديدا
وساجه ونصبت له منصبه فجلس عليها ويبخر بالعود الى ان ينقضي حديث النبي صلى الله عليه وسلم
وهذا التجمل من اشرف الطاعات فلم يكره التجمل على الاطلاق قال الامام رضي الله عنه وقال ابو
يوسف ابن الحسين اذا رايت المريد يشتغل بالرخص فاعلم انه لا يجي منه شي ابدا قال الشارح لما
رضي الله عنه وذلك ان المريد عندهم عباره عن اراد الله تعالى ويفرغ لنيل محبته وقربه واسباغ
فضله عليه وكرامته هذا لا يكون الا بكمال الجد في اتباع العلم والعمل وطلب معالي الامور واذا كان كسلانا
ان فاته شي من المندوبات قال لم يفتني واجب وان ركب شيا من المكروهات المناهي او لا
الشبهات قال لم ارتكب محرما وركن الى الراحات والبطالات فلا يجي منه شي فيما رامه من اعالي
الدرجات هذا مراده والله اعلم لا ان من تعاطى الرخص التي هي منسوبات كالقصر
والفطر في السفر واكل الميته وازاله الغصه بالخمر وغير ذلك فيما اباحه الشرع عند
الضرورات فان ذلك لا ينقصه ولا يصده عما هو فيه من نيل اعالي الدرجات قال الامام
رضي الله عنه وكتب الى الجنيد لا اذاقك الله طعم نفسك فانك ان ذقتها لم تذق بعدها خيرا
ابدا قال الشارح رضي الله عنه والنفس في اصطلاح اهل هذا الشان عباره عن الشهوات
الذميمه وهذا الطعم وجود لذة الرياسه والتعظيم من الخلق له على الطاعه واستراحه
نفسه لذلك واستحسانها له وان العبد اذا انحني حشوه من حب الرياسه وعلو المنزله
ونفوذ الكلمه ولا سيما في الدين الذي يذل لاهله ويخضع لهم الملوك والسلاطين فادركت
النفس لهذه اللذه وتمكنت فيها اعماها عن نظر كل خير وصدها عن كل فضيله ولهذا دعا له
الجنيد ان الله لا يبتليه بذلك واخبره انه ان ابتلي بذلك عسر عليه الانتقال عنه وكان ذلك
حجابا له عن كل خير الا ان يتداركه الله برحمته قال الامام رضي الله عنه وقال يوسف ابن الحسين

رايت

اذا رايت الصوفيه في صحبه الاحداث ومعاشره الاضداد ورفق النسوان قال
الشارح رضي الله عنه وهذا يدل على كمال تثبته ومعرفته بالافات الداخله على اهل هذا
الشان وذلك ان الغالب عليهم البعد من الازواج والاموال فاذا بعد من الازواج وهو شاب
وخالط الاحداث خشي عليه شوم اللحظات فضلا عما يليها من الافات واذا كان ضعيف
التوكل وقليل الصبر على الجوع الى ان ييسر الله عليه رزقه من احسن الوجوه خالط الاضداد
السالكين غير طريقه وقبل من النسوان الجاهلين بحقيقه الامور الذين يدعون على اوهام
ويظنون به ما ليس هو متحققا فيه ويرفقونه على ما يتوهمونه فيه من الاحوال لكي يهبه
الاوجه سببا في الاخلال وتشويش البال والبعد من اهل الحلال قال الامام رضي الله عنه
ومنهم ابو عبد الله محمد بن علي الترمذي من كبار الشيوخ وله تصانيف في علوم القوم صحب ابا تراب
النخشبي واحمد بن خضرويه وابن الجلا وغيرهم سيل محمد ابن علي عن صفه الخلق فقال ضعف ظاهر
ودعوى عريضه وقال محمد بن علي ما صنفت حرفا عن تدبير ولا ليتسبب الي شي منه ولكن كان اذا ليتسبب الى
اشتد علي وقتي اتسلى به قال الشارح رضي الله عنه فقوله ضعف ظاهر يعني عدم اسند علي
قدرتهم على نيل شي مما يصلحهم لا في دينهم ولا دنياهم ولا يدفعون عنهم ما يوذيهم ومع ذلك
يدعون وينسبون لانفسهم ما هو من فضل الله عليهم ولهذا قال ضعف ظاهر ودعوى عريضه
يعني العريضه العظيمه فان من ادعى لنفسه ما لا ملك له فيه بالكليه كان اعظم الدعوى واشدها
خطا وله الدر فانا ما صنعت حرفا عن تدبير ولا نسب الي منه شيا يعني من كسبه وتكرمه
وانما كان اذا طرت عليه الاحوال الغالبه جرت على لسانه الحكم فاشتغل بتعليقها يتسلى بها
ويتفرق مما لا يطيق حمله من الاحوال والله اعلم كما حكي عن النوري انه دخل عليه ذات يوم
وهو ينتف شعر حواجبه ويجد به فسيل عن ذلك فقال الحقيقه غالبه علي ولا قدره لي
على حملها فانا اشتغل بذلك ليخف ما بي وارجع الى احساسي هذا معنى كلامه ومن هذه
صفته فيه بقا بالا دراك حاله واشتغاله بما يفرق جمعه ولو كان مضطلعا لقوه بغرق
حاله لما شعر بشي من ذلك قال الامام رضي الله عنه ومنهم ابو بكر محمد بن عمر الوراق
الترمذي اقام ببلخ وصحب احمد بن خضرويه وغيره وله تصانيف في الرياضات سمعت محمد بن
الحسين رحمه الله يقول سمعت محمد بن محمد البلخي يقول سمعت ابا بكر الوراق يقول من ارضى
الجوارح بالشهوات غرس في قلبه شجر الندامات قال الشارح رضي الله عنه ان عزمه
الاول في طريقه التي يسلكها لطلب مرضات ربه وتفرغه لنيل قربه انما هو بالاعراض
عن شهوات نفسه فاذا غلبته نفسه يوما ما ووافقها في نيل شهواتها فكلما تذكر ذلك
وانه خالف ما عزم عليه لمولاه ثار من قلبه الندم على ذلك هذا في الحياه واما يوم
القيمه اذا راى جزا الاعمال ودرجات المجتهدين في الطاعات مع خلوه عن ذلك واشتغاله

بالشهوات توالت على قلبه الظلمات والحسرات **قال** الامام رضي الله عنه سمعت الشيخ ابا عبد
الرحمن السلمي يقول سمعت ابا بكر البلخي يقول سمعت ابا بكر الوراق يقول لو قيل للطمع من ابوك
قال الشك في المقدور ولو قيل ما حرفتك قال اكتساب الذل ولو قيل ما غايتك قال الحرمان
قال الشارح رضي الله عنه وهذا ونقل الله حرم لمن طمع لما في ايدي الناس وذلك انه
لو تيقن ان رزقه المضمون له من الله تعالى لا بد ان ياتيه في وقته المقدر لقل طمعه لما في
ايدي الناس وذلك انه لو تيقن ان رزقه المضمون من الله تعالى لا بد ان ياتيه في وقته المقدر
لقل طمعه لما في ايدي الناس ولما شك في ذلك قوي طمعه وان كان هكذا ليس من ارباب
الاعتقاد والعباد لله تعالى وانما غلبه عليه سوء الاعتقاد ولهذا لو قيل للطمع من ابوك
قال الشك في المقدور اي عنه تولد وحدث كما تحدث الولد عن ابيه ولو قيل للطمع ما حرفتك
قال اكتساب الذل كما ان الحرفة هي التي يكتسب الانسان منها قوته ويلازمها كذلك فمن قوي
طمعه لا يزال متذللا لابناء الدنيا ويصير ذلك دابه وشانه ولو قيل للطمع ما غايتك قال علي
الحرمان وهذا هو الصحيح لانه متى كان اصله شكا في المقدور وحرفته دوام الذل لا يفلح
التذلل له كان قمنا ان لا ينيله الله ما طمع فيه لانه لم يتوسل اليه بطريقة الموصلة اليه
قال الامام رضي الله عنه وكان ابو بكر الوراق يمنع اصحابه عن الاسفار والسياحات
ويقول مفتاح كل بركة الصبر في موضع ارادتك الى ان تصح لك الارادة فقد ظهر عليك اوايل
البركة **قال** الشارح رضي الله عنه وهذا صحيح فان تضعيف النفس والتقليل الاغنياء والتجرد
والدوام على الطاعات اذا عزم على ذلك يعني على سلوك طريق الارادة وعمارة الاوقات
وتقوية النفس فانما يستعين على ذلك بقطع المشغلات والتفرغ لعمارة الاوقات وتقوية
النفس فانما يستعين على ذلك بقطع المشغلات والتفرغ لعمارة الاوقات فاذا احد سافر
ويسيح على زعمه وهو ضعيف عرض نفسه لكثير من الافات وتشتت نيته وتفرق همه الذي
هو مطالب بجمعه وان يكون همه للخير هما واحدا فاذا صبر في اول امره مع ترتيب الاوراد
والبعد عن المخالطة ولا سيما بمحل نشوه وبين اهله ومعارفه فانه لا ينال ذلك الا باعظم
الجهاد فاذا اقوى على نفسه هنالك امن نفسه عليه اجمع في غير ذلك من البلاد **قال**
الامام رضي الله عنه ومنهم ابو سعيد احمد بن عيسى الخراز من اهل بغداد صحب ذا النون
المصري والنباجي وابا عبيد البسري وبشرا وغيرهم مات سنة سبع وسبعين
ومايتين قال ابو سعيد الخراز كل باطن يخالفه ظاهر فهو باطل **قال** الشارح رضي الله عنه
مراده ليس باطن الانسان وظاهره فان باطن الشخص قد يكون فيه الخير والاخلاص والصدق
ما لا يظهر على ظاهره وانما مراده بالظاهر ظاهر العلم لان كل من وقع في قلبه شيء او وقع عليه
شيء في قلبه لا تشهد لصحته الشريعة فهو باطل وابطالها هنا اخذ الحق **قال** الامام رضي الله

عنه

يقول

عنه سمعت محمد بن الحسين يقول سمعت ابا عبد الله الرازي يقول سمعت ابا العباس الصياد
يقول سمعت ابا سعيد الخراز يقول رايت ابليس في النوم وهو يمر عني ناحيه فقلت تعال
فقال ايش اعمل بكم انتم طرحتم عن نفوسكم ما اخادع به الناس قلت وما هو قال الدنيا فلما ولى
عني التفت الي وقال غير ان لي فيكم لطيفة قلت وما هي قال صحبة الاحداث **قال**
الشارح رضي الله عنه وفي هذه الحكاية اشارة الى ان جميع ما يتوسل به الشيطان الى هلاك
نفس الانسان شهواته المتعلقة بالدنيا فكل من زهد في الدنيا واعرض عنها ما لا كانت
او جاها ضعفت خواطر الشيطان عنده وقل قبوله لها فقال لهذا رايت الشيطان في منامي
يمشي مني ناحية اي بعيدا فقلت له ما لك تمشي بعيدا استنكارا لعادته مع بني ادم فقال
وما اعمل بكم يعني الزهاد فانكم تركتم عن انفسكم ما اخادع به الناس وهي الدنيا ثم قال التفت
الي ثم قال الا ان لي فيكم لطيفة يعني امرا خفيا عليكم لونه يضركم وهو صحبة الاحداث
يعني من شوم اللحظات واستحسان الحركات والراحات وقد ظهرت هذه الفتنة
في بعض الازمنة حتى صاروا ياخذون الشاب الجميل الحسن الصورة في السماعات ويامرونه
بحل شمعه حتى يكمل حاله فيضا الشمع ويأخذهم الاحوال على رويته صورته ويسمونه الشاهد
وليت شعري ما ذا يسمونه شاهدا هل على الشقا او على السعادة فان زعموا ان نفوسهم
مع كمال هذه الصورة لا تتحرك للمستحسنات فيكون هذا من باب الامتحانات للنفس فيه
تكرار النفس للصورة الجميلة والتعرض لغرر تعلق القلب بها ما فيه وقد تقدمت الحكاية
عن بعض المشايخ لما نظر تلميذه الذي كان يمشي معه الى صورة جميلة وقال الشيخ هل
يعذب الله تعالى هذه الصورة بالنار فقال له الشيخ او نظرت اليه يعني بشهوة لتجد
غبها ولو بعد حين فقال الشاب الناظر نسيت القران بعد عشرين سنة فهذه البدعة
التي لم يكن في الصدر الاول ممن يقول بالسماع فيجعله محركا للقلوب الى كمال الجد في الاعمال
من المحبة وسرعة الانتفاع هذا الوسيلة من تحريم النظرات وتعلق القلب بالمشتهيات
المحرمات ومن هذا القبيل المذموم خلطة النسوان الاجانب في الخلوات وامتحان
النفس هل تتحرك مع الشهوات وهذه كلها من باب الضلالات التي امر الشارع
بابعادها وجعلها من جملة المحرمات فانا لله وانا اليه راجعون كيف لبس اللعين حتى
اوهم انها من جملة الديانات **قال** الامام رضي الله عنه وقال ابو سعيد الخراز صحبت
الصوفية ما صحبت فما وقع بيني وبينهم خلاف قالوا لم قال لاني كنت معهم على نفسي
قال الشارح رضي الله عنه هذا يدل على كمال عقله وان الذين خالطهم لم يطلع عليهم
من شيء يضره في دينه ولا ينكره عليهم ولا لوم مع ذلك لا ينكر وخالف وانما ان يترك خلافه
لما اختصر به من مخالفة غرضه وترك موافقته في مراده فكان يحمل على نفسه ولا يواخذ احدا بما

بدا امنه في حقه وكذلك ما خالفهم تدل لذلك منه على مدح الصوفية وانه خالطهم مدة فاطلع
منهم على ما اوجب المخالفة والانكار دينا وعلى معرفته بعقد نفسه وشدة مجاهدته في حملها
بالحقيقة من الاذى من بعضهم عالم الحرم عليه دينا **قال** الامام رضي الله عنه ومنهم ابو عبد الله
محمد بن اسماعيل المغربي استاذ ابراهيم بن شيبان وتلميذ علي بن رزين عاش مائة
وعشرين سنة ومات سنة تسع وتسعين ومايتين كان عجيب الشان لم ياكل مما وصلت
اليه ايدي بني ادم سنين كثيرة كان يتناول من اصول الحشيش اشيا تعود اكلها وقال ابو
عبد الله المغربي افضل الاعمال عمارة الاوقات بالموافقات وقال اعظم الناس ذلا فقير داهن
غنيا او تواضع له واعظم الخلق عزا غني تذلل للفقراء وحفظ حرمتهم **قال** الشارح رضي الله
عنه قوله افضل الاعمال عمارة الاوقات بالموافقات انما عني به ان تكون اعمال قلبه
وجوارحه واقعة على افضل ما يرضي من المندوبات في اتباع سيد المرسلين في الحركات
والسكنات ولم يرد موافقة الاخوان فيما يحصل به البسط والانشراح في المحادثات ودخول
المواجات على القلوب بذلك في كثير من الاوقات هذا وان صحت فيه النيات وكان طاعة
فالافضل ما ذكرناه من الموافقات وقوله اعظم الناس ذلا فقير داهن غنيا او تذلل اليه وعكسه
اعظم الناس عزا غني تذلل للفقرا وحفظ حرمتهم وذلك ان من تذلل لمن لا يصلح التذلل اليه
لطمع فيما لا قدرة له على تحصيله فقد اذل نفسه لغير فايدة تحققه وهو اعظم الذل والغني
اذا تذلل للفقرا وعرف حرمتهم فانما يفعل ذلك لله ولطلب ثوابه فقد تعزز بتذلله
لمن يحبه ونال منه بركة فعاله وهو الله تعالى فقد اتى الخير من بابه وقصده من وجهه
قال الامام رحمه الله عليه ومنهم ابو العباس احمد بن محمد بن مسروق من اهل
طوس سكن بغداد وصحب الحارث المحاسبي وسري السقطي توفي ببغداد سنة تسع
وتسعين ومايتين قال ابن مسروق من راقب الله في خطرات قلبه عصمه في حركات
جوارحه وقال تعظيم حرمات المؤمنين من تعظيم حرمات الله تعالى وبه يصل العبد الى محل
حقيقة التقوى **قال** الشارح رضي الله عنه وهذا صحيح لان خواطر القلوب
هي بذور ساير الافعال لان افعال القلوب سابقة لافعال الجوارح والخواطر هي
الدواعي في القلب لساير الافعال القلبية والبدنية فمن تثبت وراقب الله قبل افعال
قلبه بعد خطور الخواطر ولم يدع قلبه يعزم على الفعل حتى يعلم حكمه ايرضي الله فيقول
ذلك ام يسخطه سلم من افعال قلبه وجوارحه وبهذا يعصمه من الزلل في حركات جوارحه
وقوله تعظيم حرمات المؤمنين من تعظيم حرمات الله تعالى وذلك ان الله تعالى حرم
المؤمن دمه وعرضه وماله وجعل له حرمة فمن اتقاها وقام بها لله فانما فعل ذلك لامتثال
امر الله تعالى وخوفا منه وقد حكي ان ابن عمر رضي الله عنه او ابن عباس قال للكعبة

سنان

بالموافقات

رحمه

51

ما اشرفك واجلك واعظم حرمتك عند الله والمؤمن اشد حرمة منك واذا دام العبد على
احترام المؤمنين لله وذلك من القيام بحرمة الله واجلاله واذا دام على اجلال الله وتعظيمه
في ساير ما امره من واجبه وحرامه وصل الى محل حقيقة التقوى اي الى الحالة التي تسمى
حقيقة عند القوم وقد بينا ان لكل شي له حق وحقيقة والحقيقة غلبة حال الحق على
المختص **قال** الشيخ رحمه الله عليه وقال شجرة المعرفة تسقى بما الفكر وشجرة الغفلة
تسقى بما الجهل وشجرة التوبة تسقى بما الندامة وشجرة المحبة تسقى بما الاتفاق والموافقة
قال الشارح رضي الله عنه وهذا صحيح لان العبد اذا عرف الله تعالى بانه الخالق الواحد الذي
لا رب سواه كما ذكرنا فان غفل عن هذا واشتغل بالاسباب لم تتجدد معرفته ولا تتوالى على
قلبه واذا تفكر في تفاصيل افعاله تعالى وتعلق بقدرته وارادته وعلمه بالمعلومات واشتغل
عن ساير المخلوقات وانفراده بالافعال وخروج غيره من القدرة على ايجاد ذرة من مثقال
فتعهد الفكر تسقي معرفته وتشرح صدره وتسع نظره في المخلوقات ويظهر بركاته من قلبه
على لسانه وتسعيه كما ان الشجرة اذا سقيت بالما حسنت فروعها واخضر ورقها وطاب
ثمرها وانتفع بها جانيها وكذلك شجرة التوبة تسقى بما الندامة وذلك ان العبد اذا كان
مخالفا لمولاه معرضا عن القيام بما اوجبه عليه ومرتكبا لما نهاه ثم من عليه بالتوبة وتارك
ذلك وندم على ما مضى منه وعزم ان لا يعود الى مثل ما وقع فيه فهذه هي التوبة فكلما تفكر
العبد في حالته ولعله كان ملابسا للمعصية ومولاه يراه وكان يستحي من احد من المخلوقين
ولا يستحي من مولاه ويفرح بتيسير المعصية وهي سبب هلاكه في دنياه واخراه فكلما
تفكر في هذه الامور تجدد منه الندم وقوي منه العزم على الهرب من مثل ما كان فيه فتقدم
وقوي جده في الاعمال وقوي اعراضه عما يكرهه ربه والاهمال وهذا معنى تسقى شجرة
التوبة بالندامة واما شجرة المحبة وهي محبة العبد لله ومحبة الله له فان الجريان على السنة
وعلى موافقة العلم مما يرضي الله واذا رضي الله تعالى عن العبد احبه واذا احبه والى عليه نعمه
وكلما توالت على العبد النعم قويت محبة النعم وقد قال تعالى قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم
فاخبر تعالى ان من اتبع رسوله في امره ونهيه محبة لله تعالى ورجا قربه احبه الله فالموافقة
على هذا والجريان على موافقة العلم والسنة وهو الاتفاق تسقى شجرة المحبة ومعنى الاتفاق
اتفق مراد العبد ومطلوب الرب تعالى وتقدس واما قوله رضي الله عنه وشجرة الغفلة
تسقى بما الجهل فليس المراد بالجهل اعتقاد الشي على خلاف ما هو به وانما مراده من جهل مقدار
ما ناله من الله من الخيرات اذا قابله والذي اعوان ولم يعرف مقدار ذلك حتى حمله معرفته
على محبته وتعلق القلب به لم يغفل عنه وكلما توالت منه الغفلة عنه بعدت عن قلبه
فوايده وكلما قل حسه لفوايد قربه وذكره سهل عليه امر الغفلة عنه فعلى هذا انما كانت

الذكر

Copyright © King Saud University

[illegible] والعشال وصلى الله على سيدنا محمد [illegible] الرسل وعلى آله [illegible] وصحبه افضل الصلوات وسلاما
دائمين [illegible] الكبير المتعال [illegible] بعض [illegible] والله [illegible]
من [illegible] الغافلين [illegible] منتصرا [illegible] من المبتدعين [illegible] الخ

الغفلة عن الفوايد سببها الجهل بالفوايد في الدنيا والاخرة فمن جهل قدر العظيم لم يطلبه
اذا كان محمودا ومن جهل ضرره لم يهرب منه وان كان قريبا لغفلة عنه **قال**
الامام رضي الله عنه وقال متى طمعت في المعرفة ولم تحكم قبلها مدارج الارادة فانت
في جهل ومتى طلبت الارادة قبل تصحيح مقام التوبة فانت في غفلة عما تطلب **قال** الشارح
رضي الله عنه وهذا صحيح فان العارف عندهم من توالى ذكره لمعروفه وقلت غفلته عنه
واستمر نظره اليه بقلبه في ساير تصرفاته وجميع حركاته حتى قال بعضهم ما رايت شيا حتى
رايت الله قبله لشدة يقظته وكثرة ذكره لربه وقلة غفلته عنه فاي حادث حدث كان
ذكره سابقا للحوادث فيراها به وقال غيره ما رايت شيا حتى رايت الله معه فيكون
الحادث يذكره الله فعند حدوثه يذكرا بفاعله ومتى طلب العبد ان يصل الى هذه
الحالة وهو في الغفلات وقلبه مشغول بالشهوات وموقوف مع العادات وشديد
الالتفات الى اعمال المستحسنات فهو في غلط وهذا معنى قوله ولم تحكم مدارج السلوك
فمدارج السلوك اوله التوبة عن المحرمات ثم عن المكروهات وهو الورع عن الشهوات ثم عن
السكون الى الاسباب المعتادات وهو التوكل ثم الرضى بما يجريه الحق من المولمات ثم الجهد له تعالى
وافراغ الجهد في الموافقات وحينيذ يصل العبد الى هذه الحالات الشريفة وكذلك المدارج
التي تذكرها بعضها مرتب على بعض والارادة عندهم افراغ الجهد في اعمال الصالحات والاعراض
عن الراحات والشهوات المعتادة من الحلال المعدودات وهو معنى قوله ومتى طلبت
الارادة قبل احكام مقام التوبة فانت في غفلة والتوبة عن المحرمات والمكروهات هذه التوبة
مقدمة على افراغ الجهد في الطاعات وهي الارادة لانهم قالوا الارادة بدو طريق السالكين
الى الله وانما تسلك طريق الله بالاعمال الصالحة ثم قالوا المريد من لا ارادة له يعني لا ينصرف بهواه
وانما ينصرف بامر مولاه **قال** الامام رضي الله عنه ومنهم ابو الحسن علي ابن سهل
الاصبهاني من اقران الجنيد قصد عمرو بن عثمان المكي في دين ركبه فقضاه عنه
وهو ثلاثون الف درهم لقي ابا تراب النخشبي والبقظة سمعت محمد بن الحسين رحمه الله
يقول سمعت ابا بكر محمد بن عبد الله الطبري يقول سمعت علي ابن سهل يقول المبادرة الى الطاعات
من علامة التوفيق والتقاعد عن المخالفات من علامات حسن الرعاية ومراعاة الاسرار
من علامة التوفيق (التيقظ) واظهار الدعاوى من رعونات البشرية ومن لم تصح مبادي ارادته
لا يسلم في منتهى عواقبه **قال** الشارح رضي الله عنه وهذا الحكم مما يشهد للاوليا به
قوله من اخلص لله اربعين صباحا ظهرت ينابيع الحكمة في قلبه على لسانه وذلك ان من تنفيت
عند عزيمة حتى عرف المحمود منها والمذموم وجرت نيته وعزمه على الحق ووجه الصواب
كذلك يتثبت قبل افعال جوارحه حتى تقع افعاله على وجهها المطلوب وسلمت مما يخل

بشروطه

[illegible] المنقول وكذلك [illegible] القلوب الكاشفة [illegible]
الجليع [illegible] الحقيقة [illegible] عبد الله محمد [illegible] المنهل له [illegible] الى ذلك [illegible]
من [illegible] جعله [illegible] العلم [illegible]
العلة [illegible] التعلق [illegible] الخ
[illegible]

بشروط صحتها وشروط كمالها وقعت افعاله محكمة وكذلك اذا لم ينطق لسانه الا بما احكمه
قلبه وعرف صحته وقعت الفاظه محكمة فاذا كانت افعال قلبه ولسانه وجوارحه محكمة
فهو الحكيم ولا سيما اذا استمر عليها مدة عظيمة فلم يبق عليه في ذلك كلفة ولا مشقة فقوله
المبادرة الى الطاعات من علامة توفيق الله له صحيح فانه انما بادر بمعونة ولطفه به وخلق
الخوف والرجاء وهذا معنى التوفيق لان حقيقة التوفيق خلق قدرة الطاعة للعبد المقارنة
لفعل ربه وكذلك التقاعد عن المعاصي من اراد بنفسه ومراعاته لخواطر قلبه ومعرفته بمحمودها
ومذمومها ولولم يراعها ويعرفها لما حذرها ولو لم يكن متيقظا لافعاله كلها ومعرفته بمبادئها
والاصل التي يكون عنه ويتفقه لذلك لما اشتغل بمراعاة اسراره لانه لما تيقظ لاعماله
بحث عن اصولها فوجدها خواطر القلوب وعلم ان التثبت عندها وقبل العزم حتى يخلص
له النية في الفعل اصل كل خير هذه مراعاة الاسرار اي اعمال القلوب ومن اراد بعمله الله
او غيره وهل قصده خالص او مشوب وهل يشوبه مبطل ومنقص وقوله واظهار الدعاوى
من رعونات البشرية صحيح فان من علم انه جميع ما هو فيه من الطاعات والبركات والتبسط
للمسعات واتفاق الاعمال الصالحات والعون عليها كل ذلك من فضل ربه عز اخمته نفسه
واضافته اليها لجريانه على يديها كان ذلك من رعونته مع قلة حيلته ومعرفته بعجزه
وعدم تاثير قدرته وهذا غاية الرعونة واما قوله من لم تصح مبادي ارادته لا يسلم في منتهى
عواقبه وذلك ان البنا الصحيح انما يكون على بنا بعد العلم والسنة وكمال الصدق فانه مطالب
بصحة العلم والعمل في سلوكه فلا بد من صبره وصدقه وهو جده واذا دخل في امره هذا مع
الاخلال بهذه القواعد والاصول فلا يظهر على جوارحه ولسانه شي من البركات ولا يستقيم
له شي من الطاعات وهذا هو المراد بقوله من لم تصح له مبادي ارادته لم يسلم في انتها ارادته
وقالوا من لم تكن له في بدايته قومة لم تكن له في نهايته جلسة واراد ان من لم يكن له اجتهاد
في بدايته مع قوة شبيبته وصحته في بدنه على ما يرومه من الخيرات وتعمير قلبه بالمراقبة
والمعرفة وجميل الخيرات فاذا كبر سنه عجز في بدنه وكان قلبه خاليا من معرفة مولاه
ومراقبته كان جلوسه غفلة وذكره سهوا لعدم الحوامل له على الخيرات وضعفه في قوته
هذا عن المجاهدات ولهذا قال بعضهم في الصيف ضيعت اللبن **قال** الامام رضي الله عنه
ومنهم ابو محمد احمد بن محمد بن الحسين الجريري من كبار اصحاب الجنيد صحب سهل ابن عبد الله
اقعد بعد الجنيد في مكانه وكان عالما بعلوم هذه الطايفة كبير الحال مات سنة
احدى عشر وثلاثماية سمعت ابا عبد الله الشيرازي يقول سمعت احمد بن عطا الروذباري
يقول مات الجريري سنة الهبير فجزت به بعد سنة فاذا هو مستند جالس وركبته الى صدره
وهو يشير الى الله باصبعه **قال** الشارح رضي الله عنه وهذا يدل على انه رضي عنه مشغول

قوله رحمه الله رضي الله عنه الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله الحمد المدح لله بكل كمال ...

بالله تعالى في وقته اشتغال الناس بانفسهم لشدة ما نظرهم من المصائب الدنيويه فيشتغلون
بها في الغالب وسراعتها عن ادبانهم ولما وقع هذا الامر العظيم الذي هلك فيه الناس فعلم
انه لا نجاة منه الا بربه فاقبل عليه بكليته وجلس مكانه مستقبل القبلة معرضا عن غيره
فمات وهو كذلك مشيرا اليه وقوله باصبعه ليس مشيرا الى الجهة بل الى الوحدانيه قال
الامام رضي الله عنه سمعت محمد بن الحسين رحمه الله يقول سمعت ابا الحسن الفارسي يقول سمعت
ابا محمد الجريري يقول من استولت عليه النفس صار اسيرا في حكم الشهوات محصورا في سجن
الهوى وحرم الله على قلبه الفوايد فلا يستلذ بكلام الحق ولا يستحليه وان كثر ترداده على
لسانه لقوله تعالى سأصرف عن آياتي الذين يتكبرون في الارض بغير الحق قال الشارح رضي
الله عنه وقوله من استولت عليه النفس قد ذكرناه غير مرة ان النفس في اصطلاح هذه الطائفه
تطلق على اتباع الهوى والاخلاق المذمومه فاذا ظهر من بعضهم غضب وانفة او كبر او حسد
او ما يجري مجراه من هذه الاخلاق قالوا هذه نفس واذا استولت على العبد هذه الاخلاق المذمومه
حتى استحسنها من نفسه وقوي عجبه بها وشغفه بما يجري على يديه منها اعماه ذلك واصمه
عن النظر في غيره وهو معنى كونه صار اسيرا اي لا يتفرغ للطاعه ولا يتفرغ بما ينفعه ويضره
عند ربه في الميقات واذا كان كذلك لم يجد لذة لما يتلوه من كتاب ربه او يذكره بلسانه وقلبه
لامتلاء قلبه بالشهوات وعدم تفرغه للتفهم لما يجري على لسانه من العجايب والايات ولذلك
صرف عن ايات ربه وما اشتمل عليه كتابه من المواعظ والتنبيهات كما قال تعالى انك لا تسمع
الموتى فشبههم تعالى بالاموات لعدم انتفاعهم بما تضمنه الكتاب العزيز من المواعظ والتحذيرات
قال الامام رضي الله عنه وقال الجريري رؤية الاصول باستعمال الفروع وتصحيح الفروع
بمعارضة الاصول ولا سبيل الى مقام مشاهدة الاصول الا بتعظيم ما عظم الله من الوسايط
والفروع قال الشارح رضي الله عنه والاصول هي الكتاب والسنه والاجماع فكلما اراد الانسان
ان يعمل عملا من صلاته وصومه وسكونه وكلامه فلا بد ان يلتفت لاصوله ويعرف حكمه منها
في حله وحرمته فبهذا الاعتبار تكون الفروع مذكره للاصول من جهة احتياجها اليها فلا بد من
ذكرها فيكون الفرع مذكرا للاصل وكذلك لا يصح له فرع حتى يعرضه على الاصل فيشهد بصحته
فنبه بهذا الكلام على افتقار كل واحد منهما لصاحبه الا ان الفرع مذكر للاصل لضرورة الرد
اليه والاصل شاهد للفرع بالصحه لضرورة شهادته له ولا سبيل الى مشاهدة الاصول
الا بتعظيم ما عظم الله من الوسايط والفروع وذلك ان الاصول هي كتاب الله تعالى المتواتر
ونص سنته المتواترة والاجماع الذي يشهد له بالصحه والوسايط بين العبد وربه وهو
رسوله عليه السلام وصحابته انما نقلوا عنه ما جاء عن ربه والعلماء بعدهم الوارثون له
دينه والوسايط بينه وبين عباده فان الله سبحانه شرف الوسايط واجلهم وعظمهم فلا سبيل الى ان

٥٢

يعظم العبد الاصول وهي احكام الله تعالى حتى يعظم الناقلين لها والمبلغين الى عباده فان من لم يعظم
ما عظم الله لم يكمل تعظيمه لله وبهذا الاعتبار كانت طاعة الله طاعة رسوله قال الله تعالى واطيعوا
الله واطيعوا الرسول واولي الامر منكم وهذا جميعه دليل على معرفة هذا الرجل بكمال الشريعه
اصولها وفروعها وعظمتها في قلبه وتعظيم من عرفها واحاط بها امتثالا لامر ربه قال الامام رضي
الله عنه ومنهم ابو العباس احمد بن محمد بن سهل بن عطا الادمي من كبار مشايخ الصوفيه
وعلمايهم كان الخراز يعظم شانه وهو من اقران الجنيد وصحب ابراهيم المارستاني مات سنة
تسع وثلاثماية سمعت محمد بن الحسين يقول سمعت ابا سعيد القرشي يقول سمعت ابن عطا يقول
من الزم نفسه اداب الشريعه نور الله قلبه بنور المعرفه ولا مقام اشرف من مقام متابعة
الحبيب في اوامره وافعاله واخلاقه قال الشارح رضي الله عنه والسر فيه ان المحبه
من الله سبحانه للعبد انما ترجع الى اراده الخير لهم وخلق ذلك لهم والنبي صلى الله عليه وسلم
هو حبيب الله بل اشرف المحبوبين ولذلك خصه بهذا الاسم فهو تعالى يسلك به افضل ما عنده
من الطاعات ويخصه بافضل النعم والبركات وهو صلى الله عليه وسلم عارف بافضل ما يحبه
مولاه وما يقرب اليه ويرضاه فهو يسلك بنفسه افضل الطاعات في سائر حركاته وسكونه
بمعرفته بذلك من ربه وربه تعالى يعينه على ذلك ويخلقه له ويمده بالطافه فمن اتبع
النبي صلى الله عليه وسلم فيما كان عليه من افعال قلبه وجوارحه من فرض ربه وسنته وفضايله
فلا مقام افضل من مقامه لانه اقتدى بافضل الخلق عند ربه واعلمهم بما هو افضل القرب
عنده بهذا الاعتبار قال ولا مقام افضل من مقام متابعة الحبيب وهو ايضا يلزم ذلك نفسه
الزاما ويحملها عليه كرها او اختيارا حتى تألف الخيرات ويرزقها الله تعالى المحبه لجميع
الطاعات فيتنبه بنور قلبه بمعرفته بفضايل الطاعات وشرفها عند ربه خالق الارض والسموات
فيصير محمولا فيها مشتاقا اليها كالمحبة فيتخلق بافضل الاخلاق وينال ما وعده به الخالق
الرازق من الاقتداء بسيد العرب والعجم من غير مشقه تلحقه في ذلك ولا الم قال الامام
رضي الله عنه وقال ابن عطا اعظم الغفله غفلة العبد عن ربه عز وجل وغفلته عن اوامره وغفلته
عن اداب معاملته قال الشارح رضي الله عنه وهذا صحيح فان الغفله تعظم بحسب المغفول
عنه فمن غفل عن الله تعالى حتى لم يخطر بباله نظره اليه واطلاعه على سائر حركاته وسكناته
وعلمه به في سائر نفس فانه كان ذلك اشد الغفله لكونه غفل عن الاصل الاعظم في عبادته
لان من لم يعرف المعبود ولم يراقبه فاته الخوف والرجا وتعذرت عليه طاعته والغفله
التي تلي ذلك الغفله عن اوامره ونواهيه الواجبة والمحرمه فان الغفله عن هذه الامور
توجب له الاخلال بالواجبات وارتكاب المحرمات ويكون ذلك سبب العقوبات في النار
والعياذ بالله خالق الارض والسموات وانما كانت هذه الغفله دون الغفله عن الله فان

Copyright King Saud University

الاستمرار على الغفلة عن الله تؤدي الى الكفر والجحود ونية والعياذ بالله الخلود والغفلة عن الطاعات الواجبة وارتكاب المحرمات توجب العقاب وسوء المآب ويرجع ان شاء الله صاحبها الى الجنة بفضل الرحيم التواب والغفلة الثالثة دون هذه الغفلة فانها غفلة عن كمال الاداب والفضايل في انواع الطاعات وحسن العبادات وكمال المناجاة لخالق الارض والسموات وحسن الاعتذار عن الزلات والتألم لضياع الاوقات في البطالات والغفلة عن هذه الخيرات انما يفوت اعالي الدرجات واعالي المقامات ولا دواء لا شد الغفلة الغفلة عن الله وتركه بالتدريج الى ما ذكرناه **قال** الامام رضي الله عنه سمعت ابا عبد الله الشيرازي رحمه الله يقول سمعت عبد الرحمن بن احمد الصوفي يقول سمعت احمد بن عطا يقول كلما سيلت عنه فاطلبه في مفازة العلم فان لم تجده ففي ميدان الحكمة فان لم تجده فزنه بالتوحيد فان لم تجده في هذه المواضع الثلاثة فاضرب به وجه الشيطان **قال** الشارح رضي الله عنه وهذا صحيح فان العبد اذا اخطر بقلبه شي مما سيل عنه مما يتعلق بالله تعالى او بصفاته او باحكامه طلب صحته في مفازة العلم وشبهها بالمفازة لاتساع العلم المأخوذ من الكتاب والسنة وكثرة ادلته التي تستند اليها الاحكام لان المفازة هي الصحرا المتسعة فان وجدت في ذلك دليلا على صحته فهو المقصود وان لم تجد فاطلبه في ميدان الحكمة ويعني بميدان الحكمة ما قاله العلما المحققون العالمون بما عجز عنه وسماه ميدانا لانه معترك النظر ومجاري العبرات وجدت في اقوالهم ما يشهد له بصحة ما وقع لك فنعم وان لم تجد فزنه بالتوحيد هل يليق نسبته الى الله تعالى صفة او فعلا ولا يليق فان لم يليق فاضرب به وجه الشيطان فانه خاطر مذموم وان اعجبك واستحسنته وهذا منه رضي الله عنه يدل على كمال علمه بمعرفة طرق الاحكام وتمييز الحلال من الحرام والخروج عما يلقيه الشيطان من الوسواس في قلوب العوام لتزل بهم الاقدام ويستحسنوا الذي ما وقع في نفوسهم غير مستند لادلة ولا اعلام **قال** الامام رضي الله عنه ومنهم ابو اسحق ابراهيم بن احمد الخواص من اقران الجنيد والنوري وله في التوكل والرياضات حظ كبير مات بالري سنة احدى وتسعين ومايتين كان مبطونا وكان كلما قام توضا وعاد الى المسجد وصلى ركعتين فدخل مرة الماء فمات رحمه الله سمعت محمد بن الحسين رحمه الله يقول سمعت ابا بكر الرازي يقول سمعت الخواص يقول ليس العلم بكثرة الرواية انما العلم من اتبع العلم واستعمله واقتدى بالسنن وان كان قليل العلم **قال** الشارح رضي الله عنه قوله ليس العلم بكثرة الرواية صحيح فان كثرة الرواية يرجع الى نقل الحديث من طرق وكذلك قراءة القرآن بالروايات وانما الفقه العلم والفقيه من عمل بعلمه لانه اذا عرف ربه واحكامه ووعده ووعيده ونفسه وشيطانه ودنياه وعرف انه لا خلاص له الا بطاعة الله تعالى والدليل على صحة طاعته علمه

واستحسنته

اعلام

بصحتها

بصحتها وبهذا يكون نجاته من ربه وخلاصه من نار الله والا كان علمه حجة عليه **قال** الامام رضي الله عنه سمعت محمد بن الحسين رحمه الله يقول سمعت احمد بن علي بن جعفر يقول سمعت الازدي يقول سمعت الخواص يقول دوا القلب خمسة اشيا قراءة بالتدبر وخلا البطن والقيام بالليل والتضرع عند السحر ومجالسة الصالحين **قال** الشارح رضي الله عنه نعم هذه الخمسة كلها منظافرة على الخير يعين بعضها على تحصيله واسها خلا البطن من الطعام فانه يلزم عنه قلة المنام وسرعة الفهم والبكا وحب التضرع وهذه الحالة هي التي وعد تعالى عليها بالاجابة بقوله تعالى فلولا اذ جاءهم باسنا تضرعوا والحسن بادعا الانسان به ودكر وسال كتاب الله تعالى فان فيه كل محبوب لله تعالى طل فيه كل محبوب لله تعالى من الذكر والدعا ومرغوب فيه **قال** الامام رضي الله عنه ومنهم ابو محمد عبد الله بن محمد الخراز من اهل الري جاور بمكة صحب ابا حفص وابا عمران الكبير وكان المتور عين مات قبل العشرين وثلاث مائة سمعت الشيخ ابا عبد الرحمن السلمي يقول سمعت ابا نصر الطوسي يقول سمعت الدقي يقول دخلت على عبد الله الخراز ولي اربعة ايام لم اكل فقال الجوع احدكم اربعة ايام ويصيح ينادي عليه الجوع ثم قال اليس يكون لو كان كل نفس منفوسة تلتفت فيما تومله من الله تعالى ترى يكون ذلك كبيرا **قال** الشارح رضي الله عنه وهذا فيه تقوية لقلوب المريدين وحملهم على الجهاد دنياهم فيه لينالوا ما وعدهم ربهم رب العالمين وفيه مكاشفته بما عليه التلميذ ولا سيما قوله اربعة ايام فان اثار الجوع قد تظهر على الجايع واما كونه جاع ثلاثة ايام او اربعة لا تعرف ذلك الا بالهام صحيح فلما دخل عليه وراي عليه اثار الانكسار من الجوع وراي نفسه قد دلت به اراد ان يقوي نفسه ويعينه فعرفه ما يرجوه من الله تعالى على مجاهدته له وان نفسه لو تلفت لما ترجوه من فضل ربها لكان تلفها يسيرا في جنب ما تومل ولم يامره بحل ما لا يطيقه وانما قوى نفسه حتى لا تختل حالة ويرجع عن طريقته فان الرفق بالنفس في السير اولى واحرى على السنة وتركها بلا اجتهاد مع هواها علامة الخذلان **قال** الامام رضي الله عنه قال عبد الله الخراز الجوع طعام الزاهدين والذكر طعام العارفين **قال** الشارح رضي الله عنه وهذا صحيح فان الطعام اسم لما يعاش به والزاهد انما يستعين على فراغه للخيرات بزهده في المشغلات فكلما قوي زهده تفرغ لعمله وحيي به قلبه واما العارف فانه بعيد عن المشغلات معرض عن الدنيا بل عن غيرها من جزا الاعمال الصالحات وانما يعيش بدوام ذكره لمعرفته بقلبه وانسه به وتلذذه بقربه **قال** الامام رضي الله عنه ومنهم ابو الحسن بنان بن محمد الحمال واسطي الاصل اقام بمصر ومات بها سنة عشرين وثلاثمائة كبير الشان صاحب الكرامات وسيل بنان عن اجل احوال الصوفية فقال الثقة بالمضمون والقيام بالاوامر ومراعاة السر والتخلي من الكونين **قال** الشارح رضي الله عنه وهذا صحيح فان العبد لا يكمل حاله الا اذا اجتمعت فيه هذه الاسباب تثقته بالمضمون تريحه من المشغلات وتمنع قلبه من كثرة الالتفات الى الاسباب

وقيام

Copyright © King Saud University

ب انه انعطف بتلاته ... ان الاكل ... الثلاثه ... الواجب ... [illegible]

بلبني عن ضمايرهم ونشرهم في الماكول يظهر ما في سويدا اسرارهم فانلهم الله اني يوتكون

قال الشارح رضي الله عنه وهده الحكايه والكلمات التي تضمنتها المراد بها دم قوم

تشبهوا باهل طريق الحق ولبسوا منهم فذكر صفاتهم ليتقوا وسعد منهم فقال جعلوا اسو

اداتهم اخلاقنا وذلك ان الاخلاص هو الاعراض عن المخلوقين وافراد الله تعالى بالقول

والفعل فغلطوها ولا واعرضوا عن العلما والصالحين وسلوا الادب معهم زعما منهم بانهم

مخلصون لا يلتفتون لغير الله والانبساط هو حسن العشره في الطعام والكلام فلما شرهت

نفوسهم ولا في الاكل تعللوا بالانبساط وان ذلك منهم انبساطا وحسن عشره وانما هو شره

ورغبة نفس واذا دنا الانسان في نقص وفتور يسمي هده الحاله تصبرا وتجلدا لما جريه

الله عليه من القضا وهو قله رغبه في الخير ودناه همه فسموا بهده الافعال عن طريق الحق

وسلكوا طريقا توصلهم الي الخير من ضيقه وعسر النفور منه اليه ومن كان كذلك لا يجد

الانسان بصحبته زياده ولا نشاطا وهو المعبر عنه بالجبوه اي لا يتمرا في مشاهدتهم

ولا عادة تذكروا في محاضرتهم لقله الاقتدا بهم واستسخ الصلاح عليه بل يتضرر من مشاهدتهم

ورويه احوالهم فانهم ان نطقوا فبالغضب وان خاطبوا فبالكبر وهذا من ابار رويه النفس

واعتقاد عظمتها وظهور هذا منهم يدل على خبث بواطنهم فان تكلموا فبالعنف وان وعظوا

اعرضوا بالكراهه والانفه وقوله فانلهم الله اني يوتكون ذم لسائر ما يصيرون اليه

وانه مبعدهم عن الله تعالي ومقصيهم عنه قال الامام رضي الله عنه سمعت الاستاد

ابا علي الدقاق رحمه الله يقول سمعت بعض الفقرا يقول انا اسيدكانيا يقول اجتاز الواسطي

يوم جمعه بباب حانوتي قاصدا الي الجامع فانقطع شسع نعله فقلت ايها الشيخ

اتادن لي ان اصلح نعلك فقال اصلحه فاصلحت شسعه فقال لي تدري لم انقطع شسع

نعلي فقلت حتي يقول فقال لاني ما اغتسلت للجمعه فقلت يا سيدي ها هنا حمام

تدخله فقال نعم فادخلته الحمام فاغتسل قال الشارح رضي الله عنه وهو ابدل

على كمال مراقبته ومحسبته لانه تعالى به ونادبه له ولذلك ادرك تقصيره عن

الخير لما قصر به فان تعويقه عن البكور الي الجمعه تقصيره عن الفضل فتفطن لسببه

فوجد نفسه قد اخلت بغسل الجمعه فكانه لما قصر قصر به ولكنه ادبه وجبره بكونه

اغتسل ومشى الي الجمعه مغتسلا مبادرا فضيلتان وقد قال عمر بن الخطاب رضي الله

عنه لرجل تاخر عن البكور وهو على المنبر اي ساعة هده فاجابه الرجل بانه ما زاد

على ان توضا وجا فقال له والوضو ايضا يعني فوت نفسك فضيلتين فضيله البكور للجمعه

وفضيله الغسل فلم يزل الصالحون يسبه بعضهم بعضا على الفضايل لترتفع درجاتهم عند ربهم

ومن غفل منهم ولم يجد من يوديه يدكره ادبه مولاه ومن هدا القبيل والله اعلم ما جرى

للواسطي

ولا العمري العجز والتوحيد ... [illegible]

للواسطي رضي الله عنه قال الامام رضي الله عنه ومنهم ابو الحسن ابن الصايغ

واسمه علي بن احمد بن سهل الدينوري اقام بمصر ومات بها من كبار المشايخ قال ابو عثمان

المغربي ما رايت من المشايخ انور من ابي يعقوب النهرجوري ولا اكثر هيبة من ابي الحسن

ابن الصايغ مات سنه ثلاثين وثلاثمايه سيل ابن الصايغ عن الاستدلال بالشاهد على الغايب

فقال كيف يستدل بصفات من له مثل على من لا مثل له ولا نظير قال الشارح رضي الله عنه

وقوله في جواب من ساله عن الاستدلال على من لا مثل له ولا نظير ومن استدل بالشاهد

على الغايب لم يقصد ما اراده الشيخ للمشابهه بين الشاهد والغايب وانما لما كان العلم

جايزا لا يحدث الا بسبب علم ان الله محدثه كان كل فعل في الشاهد لابد له من فاعل فلما كان

الفعل في الشاهد جايزا لا يصح انه يكون ويصح ان لا يكون فاذا كان وجد دل ذلك على محدثه

وكذلك العالم لما نظروا في العالم وهو انه جايز يصح ان يكون ويصح ان لا يكون فلما وجد

وتحقق كونه دل ذلك على محدثه وهو الله تعالى فهذا معنى قولهم الاستدلال بالشاهد على

الغايب اي بان طرد الدليل شاهدا وغايبا وهو ان الفعل لابد له من فاعل وقد يحتمل كلامه

ان يكون ردا على من يثبت الجهه والجسميه ويلحق الصفات بالصفات فيكون كلام الشيخ

بين انه الفرق بين القديم والمحدث وبين الصانع والمصنوع فهذا له وجه قال الامام

رضي الله عنه وسيل عن صفة المريد فقال ما قال الله عز وجل حتى اذا ضاقت عليهم الارض

بما رحبت وضاقت عليهم انفسهم الايه قال الشارح رضي الله عنه وذلك ان المريد الراغب

في طاعه الله الهارب من مخالفته هو التايب فكلما تفكر في سابق ذنوبه وكثره تفريطه

في واجبه فضلا عن ندبه توالت عليه الهموم والاحزان وكلما راى كسل نفسه وقله رغبتها

في الخير لم يستقر به مكان وعلم ان لا ملجا من الله الا اليه فبكى وتضرع واعرض عن كل مشغل

لقلبه وبدنه وانقلع قال الامام رضي الله عنه وقال الاحوال كالبروق فاذا انبتت فهو

حديث النفس وملاوسه الطبع قال الشارح رضي الله عنه وهذا صحيح على راي

من يفرق بين الاحوال والمقامات وتشبيه الاحوال بالبروق فان البرق يلمع للبصر

ثم ينقلع بخلاف وابل المقامات فانها ثابته تسمي احوالا لسرعة تغيرها واذا تمكن الانسان

فيها وثبتت له وتوالت عليه سميت مقاما فهذا المعين يحدث نفس واما على القول

بان الاحوال لا تصح ان تدوم وذلك كالفرح والطيش والانزعاج والابتهاج التي تطرق

القلوب ولا تثبت ولا يسمونها الا احوالا فهذا سبيله فيكون قوله اذا انبتت كانت حديث

نفس معناه انه خرج عن الحال وبقي يحدث نفسه بما كان فهذا معنى قوله اذا انبتت ذكرا

لا حالا قال الامام رضي الله عنه ومنهم ابو اسحق ابراهيم ابن داود الرقي من كبار

مشايخ الشام من اقران الجنيد وابن الجلا وقد عمر وعاش الي سنه ست وعشرين وثلاثمايه

جاري على البدعة [illegible] الى [illegible] معرفة [illegible] حي اسه [illegible] عليه الصلاة [illegible]
[illegible] الاشعري اهل السنة رضي الله عنه [illegible] الايمان [illegible]
[illegible] الثلاثة وهذا القول [illegible] ومعرفة [illegible] الثلاثة [illegible] الفضل [illegible]
[illegible] التوفيق

وقال ابراهيم الرقي المعرفة اثبات الحق خارجا عن كل موهوم **قال** الشارح رضي الله عنه وهذا
صحيح فان وصف العبد بالمعرفة ان يعرف الحق على ما هو عليه والحق سبحانه منزه عن كل موهوم
من المحدثات او معلوم فانه سبحانه وتعالى منزه عن مشابهة خلقه على الاطلاق فمن
عرفه سبحانه بانفراده في ذاته وصفاته وافعاله عن مشابهة خلقه فهو العارف ومن توهم شيا
من مكان او زمان او هية او صفة فلم يعرفه تعالى ولم يسمى عارفا **قال** الامام رحمه الله عليه
وقال القدرة ظاهرة والاعين مفتوحة ولكن انوار البصاير قد ضعفت **قال** الشارح رضي
الله عنه وهذا صحيح وارد بظهور القدرة المقدور وهو تجدد الحوادث في الليل والنهار وساير
الحيوانات من بني ادم والدواب والاطيار وساير النبات من الزرع والاشجار كل ذلك كاين بعد ان
لم يكن للابصار ولكن بصاير العقول والاستدلال بالصنعة على الصانع والمخلوق على الخالق
ضعيفة وضعف البصاير يكون لاحد امرين اما الكمال شغل يد نيا مع صحتها لو نظرت واما التراكم
المخالفات من المعاصي فعميت عن ذلك باثارها وطمست ونعوذ بالله من هذا القسم الاخير فانه من
علامات اهل السعير **قال** الامام رضي الله عنه وقال اضعف الخلق من ضعف عن رد شهواته
واقوى الخلق من قوي على ردها **قال** الشارح رضي الله عنه وهذا صحيح باعتبار ما ورد ذلك
ان ضعف الناس من عجز عن مصلحة نفسه والنظر لها مع قدرته وتمكنه واذا كان العبد متمكنا
من رد الشهوات التي تودي به فلم يصرف ذلك عن نفسه وهي احب الاشيا اليه كان عجزا الناس
واظهر ضعفهم واما كونه اقوى الناس اذا رد شهواته فمن حيث انه طبع على الميل الى اللذيذ
والنفرة عن كل كريه واذا كان الامر كذلك وكانت الاهوية ملذوذة للنفوس فمخالفته طبعها
وردها عن هواها من اشق الامور واصعبها فمن قواه الله تعالى على ذلك واعانه بعونه حتى نهى
النفس عن الهوى فهو اقوى الناس وانظرهم لنفسه واشفقهم عليها **قال** الامام رضي الله
عنه وقال من علامة محبة الله تعالى ايثار طاعته ومتابعة نبيه صلى الله عليه وسلم **قال**
الشارح رضي الله عنه وهذا صحيح فان المحبة تثمر الموافقة فمن ادعى انه يحب محبوبا ولم يوافقه
ويسرع الى محابه ومطالبه كان كاذبا في محبته فمن علامة محبة الله تعالى جريان العبد على ما نطق به
كتابه العزيز وسنة نبيه وفي ذلك متابعة رسول الله صلى الله عليه وسلم في قوله وفعله
قال الامام رضي الله عنه ومنهم ممشاد الدينوري من كبار مشايخهم مات سنة تسع
وتسعين ومايتين قال ممشاد الدينوري ادب المريد في التزام حرمات المشايخ وخدمة الاخوان
والخروج عن الاسباب وحفظ اداب الشرع على نفسه **قال** الشارح رضي الله عنه
والذي ذكره رضي الله عنه يجمع ادب المريد مع الله ومع خلقه فقوله التزام حرمات المشايخ
وخدمة المشايخ وخدمة الاخوان ادب مع الخلق وهو امتثال لامر الله لانه امر بذلك
واما الخروج عن الاسباب وتعلق القلب بالمسبب والتزام اداب الشريعة فهو الادب مع الله

ادب ن

خاصه

قوله زيد على كل [illegible] الى [illegible] ذكره [illegible]
[illegible] عند الله نقل [illegible] الجزء [illegible]
[illegible] التوحيد [illegible]
[illegible] التطبيق [illegible]
[illegible] المحققين [illegible]

خاصه فقد جمع كلامه الادب مع الله ومع خلقه ولا يكمل ذلك الا بكمال العلم والعمل به
قال الامام رضي الله عنه وقال ممشاد ما دخلت قط على احد من شيوخي الا وانا خال
من جميع مالي انتظر بركات ما يرد علي من رويته وكلامه **قال** الشارح رضي الله عنه وهذا
صحيح فان العبد اذا احسن ظنه بشخص وقصده لينال من علمه او ادبه او بركة دعايه
فلا بد ان يذهب لهيبة الاختبار والامتحان وليعرف ما عنده فانه اذا مضى بهذه النية شر
نية فصد عن الاول فانه نوى اولا ان ينتفع وينال من بركته وهذه النية اختبار لحاله
هل عنده بركة ام لا وهذا ضد الاول ولهذا قال من دخل على شيخ فخطر يعني برويته نفسه
وما عنده انقطع عن بركات تجريه الله على لسانه او ما يطلع عليه من حاله ومن علم الله
حسن نيته وصحة قصده للانتفاع اجرى على لسان المقصود جزا نيته واطلعه على
لسانه ما ينتفع به **قال** الامام رضي الله عنه ومنهم خير النساج صحب ابا حمزة
البغدادي ولقي السري وكان من اقران النوري الا انه عمر طويلا وعاش فيما قيل مايه
وعشرين سنه وتاب في مجلسه الشبلي والخواص وكان استاذ الجماعة وصل كان اسمه
محمد بن اسماعيل من سامرا وانما سمي خير النساج لانه خرج الى الحج فاخذه رجل على باب
الكوفة وقال انت عبدي واسمك خير وكان اسود فلم يخالفه فاستعمله الرجل في نسج
الخز فكان يقول يا خير فيقول لبيك ثم قال له الرجل بعد سنين غلطت لا انت عبدي
ولا اسمك خير فمضى وقال لا اغير اسما سماني به رجل مسلم **قال** الشارح رضي الله عنه
وهذه الحكاية قد يعترض عليها بعض الناس يقول كيف يجوز له ان يترك نفسه في الرق
ويطرا عليه ما يطرا على المماليك من البيع والزواج والتسخير والموت لا يبدل نفسه فالجواب
عن هذا ان العبد اذا دخل بلدة لا يعرف فيها ولا يعلم احد من الناس وذكر انه عبد
ولم يجد المدعى عليه من يشهد له بالحرية فما بقي له الا الرضى بالذل واسوا التسليم الى ان يفرج
الله ولا سيما اذا كان اسود اللون يشبه المماليك وكان فقيرا عادم المال فتجتمع
هذه الاسباب وان تنفوا ان يكون المدعي لملكه رجلا صالحا لا يتهم في دعواه بنا كذا لامر
وقد يكون المدعي ذهب له مملوك يشبه هذا خيرا المذكور ويكون دعواه حقا وانما غلط
في شبهه له فبقي هذا الرجل وهو محمد بن اسماعيل المذكور بيد هذا الرجل مدة وهو ينادبه
باسم غلامه الذي ضاع له وهو خير وعلمه نسج الخز ثم تبين له بعد ذلك اما باطلاع على
غلامه وخبر عنه انه في موضع اخر فرجع نفسه عنه وقال له ما انت غلامي وكان المسمى
بخير فمضى ولم يغير اسما سماه الله به على لسان رجل من المسلمين ثم انتهى هذا الوجه
اولى من ان يقدر ان الرجل الذي اخذه اخذه ظلما وعدوانا **قال** الامام رضي الله عنه وقال
الخوف سوط يقوم به النفس عن تعودت سو الادب **قال** الشارح رضي الله عنه

ن
تغيرت

Copyright © King Saud University

٦١

والخوف درجات وسو الادب درجات وكل مقام شريف يناي العبد الحسن ادبه فيه والى
بسي بلا يتخلص من سو ادبه الا بالخوف والمخوفات انواع قد يخاف العبد وقد يخاف
الحجاب وقد يخاف الادب على سو الادب وكلامه امر جلي فان قوله الخوف سوط الله يقوم
به انفسا تعودت سو الادب يعني معه ومع من امر بحسن الادب معه قال الامام رضي الله
عنه سمعت الشيخ ابا عبد الرحمن السلمي رحمه الله يقول سمعت ابا الحسن القزويني يقول سمعت ابا
الحسين المالكي يقول سالت من حضر موت خير النساج عن امره فقال لما حضرت صلاة المغرب غشي
عليه ثم فتح عينيه واومى الى ناحية باب البيت وقال قف عافاك الله فانما انت عبد مامور وانا
عبد مامور وما امرت به لا يفوتك وما امرت به لا يفوتني ودعا بما فتوضا للصلاة
ثم تمدد وغمض عينيه وتشهد فرؤي في المنام فقيل له ما فعل الله بك فقال لا تسالني عن هذا
ولكن استرحت من دنياكم الوضرة قال الشارح رضي الله عنه وهذا من جملة الكرامات
التي يكرم الله تعالى بها انبياءه واولياءه اما الانبيا فيخيرون قبل الموت في ان يقبضهم الله
او يوخرهم ولا يجري على السنتهم الا ما هو سابق لهم عنه وانما يكون التخيير من جملة اكرامه
لهم وبيان منزلتهم عنده واوليا ايضا يعرفهم بوقت موتهم ليتاهبوا للقدوم عليه
فاذا حضر وقت الموت ايقظهم قبله ليستعدوا للقاية من ذلك ما حكي ان شابا دخل عند
بعض المشايخ وعنده جماعة فسلم عليهم وقال لهم هل عندكم من موضع نظيف يموت الانسان فيه
فاشاروا الى موضع فمضى اليه وتمدد الى القبلة فاتوه فوجدوه وقد توفي الى رحمة الله
ومن ذلك ما حكي ان امراة صاحت لحال غلبها في مجلس بعض المشايخ فانكر ذلك
وقال ان كنت صادقة موتي فخطت خطوات فقالت قد مت فسقطت ميتة كل ذلك
لاعلام الله تعالى بالخواطر الصادقة لوقت موتهم فيتهيئون له قبل ذلك ويتنبهون
ومن ذلك ما جرى لخير هذا وذلك انه حضر عند صلاة المغرب وهو من المكلفين فان
عقله حاضر واطلعه الله على تقدم ملك الموت واطلق الله على لسانه قف عافاك
الله حتى تودي ما علي من الصلاة فانما علي يفوتني وما تريده انت لا يفوتك من قبض روحي
ولا يمكن تاخير ملك الملك عن الوقت الذي اذن له في قبض روحه فان الله تعالى قال فاذا
جا اجلهم لا يستاخرون ساعة ولا يستقدمون وانما يكرم الله تعالى بروية ملك الموت
قبل خروجه الروح حتى يجري على لسانه ما فيه بيان فضيلة عند ربه ورفعه درجته واغتنام
طاعته قال الامام رضي الله عنه ومنهم ابو حمزة الخراساني نيسابوري من محلة
ملقاباد من اقران الجنيد والخراز وابي تراب النخشبي وكان ورعا دينا قال ابو حمزة من استشعر
ذكر الموت حبب اليه كل باق وبغض اليه كل فان قال الشارح رضي الله عنه وهذا صحيح
فان المستشعر من الشيء هو الذي لا يلاصق البدن ويلازمه والدثار هو الذي يكون

Copyright © King Saud University

٦٢

خوفه فمن لازم قلبه ذكر الموت وتوالى عليه توالبا حتى صار كالملازم له الذي لا يفارق
نفعه في وجهين زهده لقلة ما يحتاج منها وسرعة المفارقة لها ورغبته في عمل
الاخرى خوفا من ان يقطعه الموت عن ذلك فقصر الامل يحمل على تحصيل العمل وتحسينه
والاعراض عن سبيل الدنيا وتحقيره قال الامام رضي الله عنه وقال العارف يداتع
عيشه يوما بيوم وياخذ عيشه يوما بيوم قال الشارح رضي الله عنه وهذا في
الطراز الاول الا انه اختلف باختلاف المتعلق النظر فالاول كان نحوه واعراضه
خوفا من القاطع عن عمله والعارف شغله مولاه لما امتلا قلبه من محبته وانسه وجميل
بلواه ونلذذه بمناجاته في ساير تقلبه ومثواه فهو يدافع عيشه الذي يقوم به ضرورة
حياته يوما بيوم ويشتغل بما يحبه في دنياه عند ربه يوما بيوم اعني ليشتغل في الدنيا بعبادة
وكمال قربه منه في الاخرة والتنعم بحروسه ونور انسه وشتان بين العيشين واليومين قال
الامام رضي الله عنه وقال له رجل اوصني فقال هي زادك للسفر الذي بين يديك قال
الشارح رضي الله عنه وقال ان الزاد هو الوسيلة في الوصول الى المقصود والا قطع بالمسافر
عن الطريق فزاد العبد في الوصول الى ربه والتنعم بانسه وقربه في الدنيا والاخرة انما
هو ملازمة طاعته ودوام ذكره له وقلة غفلته وقد قال الله تعالى وتزودوا فان خير
الزاد التقوى قال الامام رضي الله عنه سمعت محمد بن الحسين يقول سمعت ابا الطيب
العكي يقول سمعت ابا الحسين البصري يقول سمعت ابا حمزة الخراساني يقول كنت قد بقيت
محرما في عبا اسافر في كل سنة الف فرسخ تطلع الشمس علي وتغرب كلما حللت احرمت
توفي سنة تسعين ومايتين قال الشارح رضي الله عنه وهذا يوذن بان كونه محرما
على الدوام فيه زيادة فضيلة عند ارباب هذه المذاهب والافضل عندنا ان يحرم بالحج الميقات
لا قبله وفي اشهر الحج حتى يجمع بين ميقاتي الزمان والمكان وعلى ما ذكره اولا فاذا احل من حجه
وطوافه وسعيه جدد احرامه بمكة ومضى الى بلاد هذا السفر الطويل من الفرائض والاقام
محرما الى ان يرجع الى زمان الحج على احرامه فيقف ويفعل المناسك كلها ويتحلل ثم يحرم
مرة اخرى فكان مقصوده دوام سعيه وقلة تنعمه بلباسه وتنظفه من اوساخ
بدنه وقمله وازالة شعره وما يمتنع منه المحرم قال الامام رضي الله عنه ومنهم
ابو بكر دلف ابن جحدر الشبلي بغدادي المولد والمنشا واصله من اشروسنة صحب الجنيد
ومن في عصره وكان شيخ وقته حالا وظرفا وعلما مالكي المذهب عاش سبعا وثمانين
سنة ومات سنة اربع وثلاثين وثلاثمائة وقبره ببغداد ولما تاب الشبلي في مجلس
خير النساج اتى دماوند وقال كنت والي بلدكم فاجعلوني في حل وجاهد في بدايته
فوق الحد قال الشارح رضي الله عنه وهذا من كمال الصدق وعدم الالتفات لحظ النفس

الوجود بادراكنا وجود [illegible] عينه [illegible] ولعين الوجود صفة زائدة على [illegible]
[illegible] ان الذات [illegible] مذهب الشيخ الاشعري [illegible]
زائدة على الذات [illegible] الله [illegible]
[illegible] الوجود [illegible] قلت القديم الممتنع سبقه على الوجود [illegible] صفة موجودة كالقدرة [illegible]

والتذلل في استحلال الخصوم لان الغالب على الولاة عدم جريان احوالهم على مقتضى العلم فلما تاب
الشبلي نظر في احواله وما يجب عليه ان ينفصل منه في دنياه من حقوق الخلق والخالق فينفصل بالتوبة
من حقوق الخالق وبقي عليه حقوق المخلوقين فعلم انه لا يعلموا في زمن ولايته من ظلم رعيته فاتى
البلده التي كان واليا عليها وجمع الناس وقال كنت واليا عليكم فاجعلوني في حل هذا اعظم
في التذلل لمن كان حاكما عليه امرائه ولكنه فعل ذلك طاعة لله وطمعا في الخلاص بين يديه
من مطالبه خلقه قال الامام رضي الله عنه سمعت الاستاذ ابا علي الدقاق رحمه الله يقول بلغني انه
اكتحل بكذا وكذا من الملح ليعتاد السهر ولا ياخذه النوم قال الشارح رضي الله عنه وهذا فيه
نظر وهو ان اعتياده للسهر قد يمكن ان يناله بقلة الغذا وقلة شرب الما ولا يحتاج ان يعطي
الملح في عينيه حتى يولمه فيشتغل بالمه ويبعد عليه النوم وانما يدل هذا منه على كمال
جهده في الخير خاصه ويعرض على السبب الذي حصله به لاحتمال عرض عينيه قال الامام
رضي الله عنه ولو لم يكن من تعظيمه للشرع الا ما حكاه بكران الدينوري في اخر عمره لكان كبيرا
سمعت الشيخ ابا عبد الرحمن السلمي يقول سمعت ابا العباس البغدادي يقول كان الشبلي
رحمه الله يقول في اخر ايامه وكم من موضع لو مت فيه لكنت به نكالا في العشيره
قال الشارح رضي الله عنه وهذا يدل بانه لم يرد بالموضع موضع سكنه بجسمه وانما يريد
الاحوال التي نقله الله تعالى عنها بعد ان لابسها من المقامات المذمومة في الشريعة والاحوال
الناقصه عند الله وفي كلامه هذا شكر لله تعالى على نقله من المواطن التي لا يرضاها الى ما هو
احسن عنه ولذلك قال وكم من موضع لو مت فيه يعني حالة ردية لكنت به نكالا في العشيره
في الدنيا والاخرة قال الامام رضي الله عنه وكان الشبلي اذا دخل شهر رمضان يجد في الطاعات
ويقول هذا شهر عظمه ربي فانا اولى من يعظمه سمعت الاستاذ ابا علي يحكي ذلك قال
الشارح رضي الله عنه وهذا امر يشترك فيه سائر المسلمين فان فضيلة شهر رمضان معلومه
عند كل مسلم بالنظر لصيامه وقيامه وليلة القدر التي هي فيه وانما يحمل كلامه على انه كان يظهر
فيه من الاجتهاد وكمال الاشتغال بالخير والتحفظ ما لا يفعله غيره من الناس وصرح بذلك ليقتدي
به اصحابه وطلبته قال الامام رضي الله عنه ومنهم ابو محمد عبد الله بن محمد المرتعش نيسابوري
من محلة الحيره وقيل سلفا بانه صحب ابا حفص وابا عثمان ولقي الجنيد وكان كبير الشان
وكان يقيم في مسجد الشونيزيه مات ببغداد سنة ثمان وعشرين وثلاثمائة قال المرتعش الاراده
حبس النفس عن مراداتها والاقبال على اوامر الله تعالى والرضى بموارد القضا عليه قال الشارح
رضي الله عنه وهذا صحيح في لزوم العبد بالصبر عليه او عنه فلانه اشتمل صبر عن المنهيات
وهو حبس النفس عن هواها وصبر على المامورات وهو الاقبال على اوامر الله تعالى وهو
يشمل الموجوبات والمندوبات وان تعالت في الدرجات وصبر على ما ينزل به من الله سبحانه

وكذلك [illegible] لا تفضلها [illegible] وكان [illegible] ولا [illegible] وانه [illegible]
[illegible] والصفات والجعل [illegible] موجود [illegible]

يخالف هواه وهو المعبر عنه بالرضى بموارد القضا سوا كان لوارده حلوا او مرا فما قيل فيشمل
كلامه هذا الصبر على ترك المنهيات وهو يشمل المحرمات والمكروهات والصبر على فعل المامورات
وهو يشمل الواجبات والمندوبات وان تعالت في الدرجات والصبر على ما ينزل بالعبد
من قضا الله تعالى خالف هواه او وافق هذا هو جميع الصبر المحمود ويسمى الصبر حبسا قال
الله تعالى واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي قال اهل التفسير احبس نفسك
قال الامام رضي الله عنه قيل له ان فلانا يمشي على الما فقال عندي ان من مكنه الله تعالى
من مخالفة هواه فهو اعظم من المشي على الهوا قال الشارح رضي الله عنه وهذا صحيح فان المشي
على الما والهوا من خوارق العادات وخوارق العادات لا تعد كرامه الا اذا قارنتها الاستقامة
ومن مكنه الله من نفسه وقهر له هواه حتى لم يخل بشي من فعل ما امره به او نهاه فهذا هو
المستقيم فاذا كانت الاستقامة هي الدليل على صحة الولاية وخوارق العادات التي يكرم
الله بها اولياءه لا تكون الا مع الاستقامة فعلى هذا فالاستقامة هي الاصل والدليل على صحة
الكرامات فلما قيل له رضي الله عنه ان فلانا يمشي على الما فقال لو مشى في الهوا من وهبه الله
الاستقامة فقد وهب له ما هو افضل من المشي في الهوا وقد قيل للنبي صلى الله عليه وسلم
ان عيسى بن مريم مشى على الما فقال لو ازداد يقينا لمشى في الهوا فجعل الشيخ رضي الله عنه
الاستقامة افضل من اعلى الكرامات قال الامام رضي الله عنه ومنهم ابو علي احمد بن محمد
الروذباري بغدادي اقام بمصر ومات بها سنة اثنين وعشرين وثلاثمائة صحب الجنيد
والنوري وابن الجلا والطبقة اظرف المشايخ واعلمهم بالطريقة سمعت الشيخ ابا عبد الرحمن
السلمي رحمه الله يقول سمعت ابا القاسم الدمشقي يقول سئل ابو علي الروذباري عمن يسمع
الملاهي ويقول هي لي حلال لاني قد وصلت الى درجة لا يؤثر في اختلاف الاحوال فقال نعم
قد وصل ولكن الى سقر قال الشارح رضي الله عنه وهذا القول تصريح باستحلال المحرمات
في الزمر والاوتار وغيرها من الملاهي ويقول انما حرمها الشرع على من يحمله على تعاطي المنكرات
وشرب الخمر والتلذذ بالمشتهيات من المنكوحات فاذا سلم العبد من ذلك لا يضره تعاطيها
وهذا جهل لان الله تعالى قد حرم هذه الاسبا من الملهيات عليه والمشغلات عن طاعته
فان ادت الى شي اخر من المحرم كانت معاصي ثانية زائدة عليها وان سلم العبد من ادائها الى شي اخر
كانت في نفسها محرمات قال الله تعالى ذم اللهو واللعب فقال انما الحياة الدنيا لعب ولهو وزينة
وقال في اخر الاية وشبهه بالزرع كيف يصير مصفرا ثم يصير حطاما وفي الاخرة عذاب
شديد ولذلك لما قيل له ان ارباب هذه المذاهب وصلوا الى احوال لا يضرهم سماع هذه الملاهي
اي لا تحملهم على غيرها قال وصلوا ولكن الى سقر وسقر في جهنم قال الامام رضي الله عنه وسئل
عن التصوف فقال هذا مذهب كله جد فلا تخلطوه بشي من الهزل قال الشارح رضي الله عنه

Copyright © King Saud University

تعلى بنفسه وقضاء الفيل بالنصر نعيما ختم به نقل ... [illegible]
والعجب الجاهل ... [illegible]
... [illegible] ... ارتياء استعمال موجبات اللهو

يعني ان اربابه والمتخلفين به ادرعوا احدهم رعايه امكانهم في طلب الافضل عندهم فلم يخلطوه
بشي من الهزل يعني اللعب والبطاله كان ابصرقوما يرعمون انهم من اهل هذا الشان وعندهم
طرف من اللهو واللعب كما يشتغل به من يقول بالسماع مع الزمر والغناء مع المغنيين
الاوس بلا رسون شربه الخمور ويحلون الغنا شغلهم ويحضرون له في كل محل ولا يصلون
ويزعمون انهم في صلاه مع مخالطه هذه المنكر ان يعلمون كلامه توبيخا لهم وتعيبا لهم
عن احوالهم **قال** الامام رضي الله عنه سمعت محمد بن الحسين يقول سمعت منصور ابن عبد
الله يقول سمعت ابا علي الروذباري يقول من الاغترار ان تسي فيحسن اليك فتترك
الانابه والتوبه توهما انك تسامح في الهفوات وترى ان ذلك من بسط الحق لك وقال كان
كان استادي في التصوف الجنيد وفي الفقه ابو العباس بن شريح وفي الادب ثعلب
وفي الحديث ابراهيم الحربي **قال** الشارح رضي الله عنه قوله من علامات الاغترار
ان تسي فيحسن اليك وهذا صحيح فان العبد يستحق على اساته العذاب فاذا لم يواخذه
الحق على الفور اغتر بذلك وظن انه ممن يعفي عنه فكيف اذا احسن اليه فالاحسان بعد
المعصيه اشد في حصول الاغترار والغره بالله فاذا تنبه العبد وعلم انه انما يعاجل
بالعقوبه من يخاف الفوات وعلم قوله تعالى انما نملي لهم ليزدادوا اثما وسمع قوله تعالى
فلما نسوا ما ذكروا به فتحنا عليهم ابواب كل شي وقوله تعالى سنستدرجهم من حيث لا يعلمون
واملي لهم ان كيدي متين فاذا رتع العبد في معصيه واراد خذلانه لم يعاجله بالعقوبه
واسبغ عليه نعم الدنيا ليغفل عن التوبه فيدوم اصراره فيزداد اثما واذا اراد به خيرا
وفقه للتوبه على الفور ولا يغفره وقوعه بعد ذلك في اثم اذا تكررت منه التوبه مع
كل ذنب ولذلك قال عليه السلام خياركم كل مفتن تواب اي اذا افتتن تاب
ولم يوخر والتواب الرجاع الى طاعه الله تعالى **قال** الامام رضي الله عنه ومنهم
ابو محمد عبد الله بن منازل شيخ الملامتيه وواحد وقته صحب حمدون القصار وكان
عالما كتب الحديث الكثير مات بنيسابور سنه تسع وعشرين وثلاثمايه
سمعت محمد بن الحسين رحمه الله يقول سمعت عبد الله المعلم يقول سمعت عبد الله بن منازل
يقول لم يضيع احد فريضه من الفرايض الا ابتلاه الله تعالى بتضييع السنن ولم يبل احد
بتضييع السنن الا يوشك ان يبتلي بالبدع **قال** الشارح رضي الله عنه قوله لم يضيع احد
فريضه الا امتحن بتضييع السنن وهذا صحيح فان الطلب لها موكد والزجر عن تضييعها
شديد متوعد عليه بالنار فاذا ضيع العبد ما هو راس ماله فهو لما عداه من النوافل
اضيع ولذلك كتب عمر بن الخطاب رضي الله الى عماله ان اهم اموركم الصلوه فمن حفظها وحافظ
عليها حفظ دينه ومن ضيعها فهو لما سواها اضيع وذلك ان قواعد الدين وواجباته الصوم

انك ان

الغرر

على ان

... [illegible] ... بجلاء الحيات ... [illegible]
... [illegible] ... يحتاج اليه ... [illegible]
... [illegible] ... فلتعنى تجوزها فاجلوعن ... العاقل ... الموت والنعيم

والصلوه والزكاه والحج والجهاد ففي الصوم مشقه ترك الطعام والشراب وفي الزكاه اخراج
المال المحبوب وفي الحج اتعاب البدن وانفاق المال ومفارقه الاهل والوطن وفي الجهاد
التعرض بالنفس فضلا عما عداها وليس في الصلوه من الكلف ما ذكرناه فانه يتوضا ويدخل
فيها ويصليها وهو في مكانه بين اهله مستقر ولا غرامه عليه بها في مال ولا كبير مشقه
في بدن فتاكيد الله تعالى بها وطلبه لها اكد ما بها تلو الايمان فمن فرط فيها خف تعاله
فاكد طلبه فهو فيها كثرت كلفته وعظمت مشقته اولى واولى فمن ضيع الخفيف
فهو المشديد اضيع ومن اهمل الاكيد فهو بالخفيف اضيع وقوله ومن ابتلي بتضييع السنن
وقع في البدع لان البدعه ضد السنه **قال** الامام رضي الله عنه سمعت الشيخ ابا عبد
الرحمن السلمي يقول سمعت ابا احمد بن عيسى يقول سمعت عبد الله بن منازل يقول افضل اوقاتك
وقت تسلم فيه من هواجس نفسك ووقت يسلم الناس فيه من سوء ظنك **قال** الشارح
رضي الله عنه وهذا صحيح فان العبد لا يسلم من هواجس نفسه وخواطر سوء الظن بغيره
الا اذا كان مشغولا باصلاح نفسه مهموما بامره فلم يبق فيه فراغ لقبول خواطر سوء
الظن بغيره ولا لموافقه هواجس النفس وهو دعاوها الى الرخص والشهوات فان
ذلك مضاد لما هو فيه من الجد والتشمير لنيل اعالي الدرجات والمقامات وهذه
الاوقات التي يكون مشغولا فيها بنفسه ونيل افضل الطاعات هي افضل الاوقات والوقت
عند القوم قد يطلق على الزمان وقد يطلق على حاله في الوقت وانما يوصف بالفضيله عمله
وكسبه الذي هو فيه لا ظرفه من الزمان وهو تعالى بالمراد لانه لا يتعلق بها التكاليف
وانما الفضل والنقص راجع الى افعال العباد واحوالهم **قال** الامام رضي الله عنه ومنهم
ابو علي محمد بن عبد الوهاب الثقفي امام الوقت صاحب ابا جعفر وحمدون القصار ورده
طهر التصوف بنيسابور مات سنه ثمان وعشرين وثلاثمايه سمعت محمد بن الحسين يقول
سمعت منصور بن عبد الله يقول سمعت ابا علي الثقفي يقول لو ان رجلا جمع العلوم كلها
وصحب طوايف الناس لا يبلغ مبلغ الرجال الا بالرياضه من شيخ او امام او مودب ناصح
ومن لم ياخذ ادبه من استاذ يريه عيوب اعماله ورعونه نفسه لا يجوز الاقتدا به في
تصحيح المعاملات **قال** الشارح رضي الله عنه وهذا هو المراد باطلاقهم من لم يكن له شيخ
كان الشيطان شيخه وبقوله اقتدا الخمسه من شيوخنا والبقيه سلموا لهم احوالهم
وذكر المحاسبي والجنيد وابن عطا ورويم وعمرو بن عثمان المكي لانهم جمعوا بين العلوم
والاحوال وذلك ان من اقتدى بنفسه بما يزعم انه موصله الى ربه ويقبله ذرحمه
قربه بغير دليل عالم بالاحكام من الحلال والحرام المتعلقه باعمال الجوارح والعقود فليس
في شي لان الناس رجلان عالم ومتعلم هما على سبيل النجاه وهمج رعاع اتباع كل ناعق

Copyright © King Saud University

[illegible] والفتح والرضا بين فقطع التفريق لسان الحبيب واعتمد جميع اموره عليه [illegible]
ولا يتوكل الا عليه لان من توكل عليه كفاه كل شي صحيحه فاذا علم ومن يتوكل على الله فهو حسبه [illegible]
صلى الله عليه وسلم لو توكلتم على الله حق توكله لرزقكم كما ترزق الطير تغدوا خماصا وتروح بطانا

يميلون مع كل ريح لم يستضيوا بنور العلم ولم يلجوا الى ركن وثيق والعالم اذا لم يعمل بعلمه لم
يعرف آفات عمله وكيفية الخلاف منها منازله بنفسه واستعماله لعلمه ولو علم العلوم
كلها وآفات الاعمال نقلا ونقلها من غيره لم يكن ممن تخلص لله الا من نعمة وعرف وجوه
ما الحيلة وجهاد صرفه نهذه الا لتحصيل الاعمال الي هذه اما بالا تقيا والي من بيان امره
ونظر في احواله فان النفس كثيرة التلبيس عظيمة الخداع توهم العبد انه صادق وهو
كاذب وانه موفي بعزمه وهو ناكث وانه زاهد وهو راغب وانه معتمد على الله تعالى
متوكل وهو ساكن الى الاسباب وجريانها على وفق هواه وانما يعرف ذلك من نفسه
بتنبيه غيره والمنبه اما شيخ القالية قيادة او فقيه يستفتيه في ساير اموره
ولا يكتم عنه شيا او صاحب ناصح ينبهه على ما يظهر له من نقص ولا يجامله فيما يقضي
ومن لم يتادب في نفسه ويجاهد هواه على هو القواعد والاسباب التي ذكرناها حتى يعرف
اسباب الفساد والفرق بين الجريان على الصدق والفساد فلا يصلح ان يكون طبيبا
يداوي غيره من العباد وهذا هو الذي جمع بين العلم والحقيقة والعلوم والاحوال ولذلك
ذكر القايل الخمسة بعد فراغه منهم وانما فرق سلوا لهم احوالهم الي دعوتهم وما من الله عليهم
به من الطرق الخاصة بهم ولا تقلدوهم قال الامام رضي الله عنه وقال ابو علي رحمه الله
ياتي على هذه الامة زمان لا تطيب المعيشة فيه لمومن الا بعد استناده الى منافق قال
الشارح رضي الله عنه وهذا صحيح فان المنافق عبارة عمن يخالف ظاهره باطنه ومن يكون
هذه صفته يخالط الظلمة والصالحين واهل الحق والضلال واذا غلب الفساد على بعض
الازمنة واستهين اهل الحق والصلاح فلا يطيب لهم عيش ولا معيشة ولا يسلمون من
اذيه الا اذا استند والبعض ممن يحبهم ويكون له جاه وسطوة ويكون قد اجتمع مع الدهان
التشبه بالظالمين في السطوة ومحبة الصالحين فيسلم لهذا الصالح معيشته في دنياه ويسلم
من اهانته خوفا من اذيه من يستند اليه وسطوته وكذلك قيل تعامل الناس في اول
الامر بالدين فلما ضعف الدين تعاملوا بالمروة فلما قلت المروة تعاملوا بالرغبة وقلت
الرغبة في الخير تعاملوا بالرهبة فاما المعاملة بالدين فان دينهم يحجزهم عن الظلم فان
ضعف دينهم لم يرض من له مروة بتعاطي الظلم عادة حفظا للمروة فان ضعفت المروة
تعاملوا بالرغبة فيما ينال بعضهم بعضهم من حسن الثنا عليه في معاملته وان قلت الرغبة
في ذلك تعاملوا بالخوف من الاذية وهذا هو اخر السرور وربما كان زمانك فتنقطع الا ان تجلبه
فانك من شي استهين وطلد ومن لا نفعه حلقة شره اتقي وقضيت حاجته فان
استقصد الى ظالم كان ذلك اسرع لنيل ماربه ومقاصده فانا لله وانا اليه راجعون قال
الامام رضي الله عنه وقال ذاك من اشتغال الدنيا اذا اقبلت وان من حسراتها اذا ادبرت

والعاقل

[illegible] نقل يعني مثلي الذات والصفات ولا بعد الصحو نقل واحد لا يمكن غيره لانه لا ينفهم الا الجمع والجمع دون نقلي
[illegible] ولا يعرف [illegible] من جنس [illegible] بل هو نقل ذات موصوفا بالصفات في نعت الكمال
والهو [illegible] القرب [illegible] عين [illegible] فلا [illegible] من الصفات ليس بموجودات [illegible]

والعاقل من لا يركن الى شي الا اذا اقبل كان شغلا واذا ادبر كان حسرة قال الشارح
رضي الله عنه وهذا صحيح فان الدنيا كلها اشتغلت على العبد كثر شغله بها وحفظه لها وتنميته
سواكانت الدنيا مالا او جاها فان ارباب الاموال مشغولون باموالهم وحفظها عن الضياع
واستكثارها زيادة في كمال الاستمتاع وكذلك ارباب الجاه مشغولون بحفظ حرمتهم ويتوقون
من نقص درجتهم فالدنيا اذا اقبلت اثرت هذه الثمرات واذا ادبرت وذهبت بعد تعلق
القلب بها وكمال المحبة لها واستمتاعه بانواعها ورث القلب كمال الحسرات والم الفراق
وقوله رضي الله عنه اي كلمة استنقاص وذم وكيف من شي اذا اقبل اورث هذه الاشتغال
المذمومات واذا ادبر اورث القلب كمال الحسرات فهذا منه رضي الله عنه تحقير للدنيا
واستنقاص لاهلها المشتغلين بها لا يبتغون اخرى ويريدون دنيا واخرى قال الامام رضي الله
عنه ومنهم ابو الخير الاقطع مغربي سكن تينات وله كرامات وفراسة حادة كان كبير
الشان مات سنة نيف واربعين وثلاثمايه قال ابو الخير ما بلغ احد الى حالة شريفة الا بملازمة
الموافقة ومعانقة الادب واداء الفرايض وصحبة الصالحين قال الشارح رضي الله
عنه تقدم غير مرة ان افضل ما تقرب المتقربون به الى الله تعالى اداء الفرايض ولا
تكون الفرايض الا على موافقة العلم لصحة العمل فرض واما الادب وصحبة الصالحين
فمن الفضايل لكنه كمال لا يكمل الانسان في خير حتى يتاتي بفرضه ونفله جميعا وهو صحيح
فان الخير بعضه وهو قوله صلى الله عليه وسلم ما تقرب المتقربون الي بمثل اداء ما
افترضت عليهم ولا يزال العبد يتقرب الي بالنوافل حتى احبه الحديث قال الامام رضي
الله عنه ومنهم ابو بكر محمد بن علي الكتاني بغدادي الاصل صحب الجنيد والخراز
والنوري جاور بمكة الى ان مات سنة اثنين وثلاثمايه سمعت الشيخ ابا عبد الرحمن السلمي
يقول سمعت ابا بكر الرازي يقول نظر الكتاني الى شيخ ابيض الراس واللحية يسال فقال هذا
رجل اضاع حق الله في صغره فضيعه الله في كبره قال الشارح رضي الله عنه معناه
لو تعود في صغره القناعة باليسير من الدنيا والتعرف على حد الكفاية والاعراض عن الفضول
وتخلق بالورع والزهد والتوكل لم يحوجه الله تعالى في اخر عمره الى السوال من الناس في هذه
الحالة التي هو عليها والله يعرفه وما وعده ربه من حسن حالته ولو سال من هذه صفته
لم يسال على هذه الصفة ونقصه بعض الناس وعرض بالحاجة واما التصدي لحل الناس
والسوال على الطرقات فانه دليل على قلة العلم وعدم الصبر والقناعة والاحتراز بقدر الكفاية
ولا سيما من جعل الطلب شغله وعادته في ليله ونهاره ولو حصلت له الكفاية ولا سيما
من جعل الطلب شغله وعادته في ليله ونهاره ولو حصلت له الكفاية لما ترك الطلب فان هذا
فيه تعرض للتحريم لانه ربما اخذ وهو مستغن ودفع له لاجل فقره فلا يحل له ما اخذ قال

Copyright © King Saud University

دار ... [illegible]

قوله فيلزم منه ... الاول نعيه ذلك الوجود لكنه تعدما سلبية ... ان الجهة الاولى هي الوجود ...
ان الوجود ... عين الوجود ... لا تقع في ذات الشي حقيقة ... ان الوجود ... الا
الوجود ... الغير ... في ملك الخارج والعيان ... الذات الموجود ... فالم الكل ...

قال الامام رضي الله عنه قال الكتاني الشهوة زمام الشيطان من اخذ بزمامه كان عبده
الشارح رضي الله عنه مراده ان الشيطان يجر بني ادم بشهواتهم الى ان يقعوا في
المعاصي فيكونوا من اصحاب السعير فقوله من اخذ الشيطان بزمامه اي من تمكن الشيطان
منه لتقيده محبته لشهواته وان لم تكن محرمة جره بذلك الى الوقوع في المحرم
قال الامام رضي الله عنه ومنهم ابو يعقوب اسحق بن محمد النهرجوري صحب
عمرا المكي وابا يعقوب السوسي والجنيد وغيرهم مات بمكة مجاورا سنة ثلاثين وثلاثمائة
سمعت محمد بن الحسين رحمه الله يقول سمعت ابا الحسين احمد بن علي يقول سمعت النهرجوري
يقول الدنيا بحر والاخرة ساحل والمركب التقوى والناس سفر قال الشارح رضي
الله عنه وهذا من باب الاعتبار وذلك ان الناس في الدنيا ليسوا مقيمين فانها ليست
دار استيطان وهم فيها مسافرون عبرا باختلاف الليل والنهار الى اخر الاعمار فاشبهت
البحار والاخرة دار الاستيطان فمن سافر اليها بحسن استعداد وكمال زاد
وصل الطريق الموصلة الى محل استقراره سلم وغنم ومن فرط فيما ذكرناه غرق وهلك
وتوالى عليه الالم في السلوك وبعد الوصول لان الاخرة دار الجزا قال الامام رضي الله
عنه سمعت محمد بن الحسين رحمه الله يقول سمعت ابا بكر الرازي يقول سمعت
النهرجوري يقول رايت رجلا في الطواف يقول اعوذ بك منك فقلت ما هذا
الدعا فقال نظرت يوما الى شخص فاستحسنته واذا لطمة وقعت على بصري فسالت
عيني وسمعت هاتفا يقول لطمة بلحظة ولو زدت لزدنا قال الشارح رضي الله عنه
وهذا من جملة الكرامات وسرعة المواخذة في الدنيا على بعض الزلات فان من عجلت له عقوبة
على عمله الدنيا على بعض الزلات فان من عجلت له عقوبة على عمله في الدنيا حتى سلم من عذاب الاخرة
فقد اكرم فانه ليس بين عذاب الدنيا وعذاب الاخرة نسبة وهذا الشيخ اخبر عن
حاله مع مولاه وان نفسه غلبته في نظره باستحسان فوقعت لطمة على عينه فسالت
واعلمه الله بالهاتف ان ما وقع مجازاة لفعله بقوله لطمة بنظرة ولو زدت لزدناك
فخذ حذرك منا ولهذا كان يقول اعوذ بك منك وفي اللفظ بشاعة وقد ورد في بعض الاخبار
ان الاستعاذة انما كانت من الشيطان الرجيم فلما سمع هذا السامع هذا الدعا انكره فاحتاج
الى ان يعرفه بسببه ولو قال اعوذ برضاك من سخطك وبعفوك من عقوبتك لكان الكلام ظاهرا — سخطك
قال الامام رضي الله عنه وسمعت محمد بن الحسين رحمه الله يقول سمعت احمد بن علي يقول
سمعت النهرجوري يقول افضل الاحوال ما قارن العلم قال الشارح رضي الله عنه يعني
مقارنة العلم ان يشهد له العلم بالصحة والكمال فان الاعمال منها واجبات ومندوبات والمندوبات
فيها فاضل وافضل والعلم يدل على جميع ذلك وافضل الاعمال ما وقع على اعلى درجات الكمال

ونبرا منه

قوله ... فيقعوا ... ولا ينقطع ... فيقعوا الغوا ...
... الصفات ... بهذا الوجود ... سلبية ... امرا ...
... الفعل ... الغاية ... خبرا ... والمحال
... الى الذات ... الوجدانية

ونبرا منه فاعله ورآه منه فاعله فضلا عليه من ذي الجلال والافضال قال الامام
رضي الله عنه ومنهم ابو الحسن علي بن محمد المزين من اهل بغداد من اصحاب سهل بن عبد
الله التستري والجنيد والطبقة مات بمكة مجاورا سنة ثمان وعشرين وثلاثمائة وكان
ورعا كبيرا سمعت الشيخ ابا عبد الرحمن السلمي رحمه الله يقول سمعت ابا بكر الرازي يقول
سمعت المزين يقول الذنب بعد الذنب عقوبة الذنب والحسنة بعد الحسنة ثواب الحسنة
قال الشارح رضي الله عنه وهذا صحيح فان العبد اذا وقع في ذنب ثم تاب منه توبة
بدلك ان الله تعالى اجرى عليه ما محى ذنبه وهي التوبة فاذا لم يتب ووقع في ذنب اخر
تبينا من ذلك انه تزايد اثما الى اثمه وانه لم يحفظ من الثاني كما لم يحفظ من الاول فيحتمل ان يكون
اجراه الله تعالى عقوبة جزا لذنبه المتقدم وان كان الله سبحانه انما يعاقب في الدنيا
باظلام القلب والقفل والطبع في الباطن وفي الظاهر بالهلاك بالغرق والريح والصيحة
وما يجري مجراه فيكون هذا الذنب الثاني عقوبة بمعنى انه لم ينبه للتوبة وتوالت عليه
الغفلة وهي من جملة العقوبات وكذلك اذا فعل العبد حسنة علمنا انه محفوظ لله تعالى
ووقع منه ما يرضي ربه وقد وعد الجزا على الطاعات فاذا من الله عليه بطاعة اخرى
علمنا انه زاده خيرا الى خيره الاول وقد يكون هذا مما عجله له مولاه في دنياه وله
في اخراه جزا على عمله الاول والثاني وهذا معنى كلامه والله اعلم قال الامام رضي
مباينة — الله عنه وسيل المزين عن التوحيد فقال ان تعلم ان اوصافه باينة لاوصاف خلقه
باينهم بصفاته قدما كما باينوه بصفاتهم حدوثا قال الشارح رضي الله عنه وهذا صحيح
فان الحق سبحانه مخالف لخلقه مخالفة مطلقة لا يشبههم في شي ولا يشبهونه لا في
الذات ولا في الصفات ولا في الافعال اما ذاته فمنزهة عن الجهات والاقطار والتحيز
والافتقار وصفاته متعلقة بسائر متعلقاتها لانفسها يستحيل عليها التجدد والتغير
والاختلاف لذوي الاحاز والمقدار وافعاله لا قدرة لاحد عليها لان جميع مخلوقاته
من جملة افعاله اوجدها لا من شي انما امره لشي اذا اراده ان يقول له كن فيكون
وجميع المخلوقات اجسام واعراض ومن جملة الاعراض قدرهم الحادثات المقارنة
لافعالهم في سائر الحركات والسكنات المعبر عنها بالاكتساب للفرق بينها وبين الضروريات
قال الامام رضي الله عنه وقال من استغنى بالله تعالى احوج الله الخلق اليه قال الشارح
رضي الله عنه وهذا صحيح فان الذي يحتاج الناس اليه في دنياهم اعمال وعلوم واقوات
وحسن معاشرات فمن مكن الله تعالى العبد في العلم والعمل الذي ينفعه في اخراه ويسر
عليه ارزاقه وحسن اخلاقه عاش في الدنيا مستغنيا عن كل احد واحتاج اليه من فقد
ما ذكرناه لدعا حاجته لذلك في السير الى مولاه من العلم بصحة افعاله الدنيوية والاخروية

[illegible] معلومه العارفي اعلم ان كل صفه موجوده قابله يتحصل بالفعل تنتهي صفه [illegible] والاراده المتعلقه [illegible]
بجميع الممكنات والقدره التي هي صفه موجوده قديمه [illegible] فلا يتبين [illegible]
[illegible] الارادات والاراده التي هي صفه موجوده قديمه [illegible] تخصيص الممكن

واحتياجه الي ما يقوم به بنيته من الارزاق ولحسن عشرته مع غيره من المسلمين
خوفا من المقاطعه والافتراق قال الامام رضي الله عنه وسمعت ابو علي بن الكاتب
واسمه الحسن بن احمد صحب ابا علي الروذباري وابا بكر المصري وغيرهما كان كبير الحاله
مات سنه نيف واربعين وثلاثمائه قال ابن الكاتب اذا سكن الخوف القلب لم ينطق اللسان
الا بما يعنيه قال الشارح رضي الله عنه وهذا خوف الزلل في المنطق واله فالخوف منقسم اول
علي حسب المخوفات ولو خاف الانسان من تضييع صلاته اجتهد في تحصيلها ولا يلزم ذلك ان لا ينطق
بما يعنيه خارجا عن الصلاه وانما مراده انه اذا خاف العبد من زلل لسانه تثبت وميز بين
ما يسلم فيه وما لا يسلم ومن ما له اليه حاجه وما لا حاجه اليه فيتركه وهو المعبر عنه
بما لا يعنيه قال الامام رضي الله عنه وقال ابن الكاتب المعتزله نزهوا الله تعالي من حيث العقل
فاخطئوا والصوفيه نزهوه من حيث العلم فاصابوا قال الشارح رضي الله عنه وهذا
صحيح وذلك لانهم لما تناسوا في نظرهم ما جاءت به الشرائع واعتمدوا علي محض النظر العقلي
في زعمهم نزهوا الله تعالي عن ان يخلق الشر والكفر والمعاصي وغفلوا عن قوله تعالي انه علي
كل شيء قدير والله خلقكم وما تعملون وما يجري مجراه واهل السنه جمعوا بين ما ثبت عن
النبي صلي الله عليه وسلم ومن جاء لنهم علبه العقول فتظافرت الادله العقليه والسمعيه
القطعيه علي الحق فصاروا اليه هذا معني قوله والصوفيه نزهوا الله من حيث العلم
فاصابوا ولم يرد انهم لم ينزهوه بعقولهم قال الامام رضي الله عنه وسمعت مظفر
القرميسيني من مشايخ الجبل صحب عبد الله الخراز وغيره قال مظفر القرميسيني الصوم
علي ثلاثه اوجه صوم الروح بقصر الامل وصوم العقل بخلاف الهوي وصوم النفس
بالامساك عن الطعام والمحارم قال الشارح رضي الله عنه وذلك ان حقيقه الصوم
الامساك عن الطعام والشراب وقال الصوفيه بالامساك عن الغيبه والنميمه والكذب
لاختلاف الناس هل يبطل الصوم بذلك او لا يبطل فخرج من مجموع ذلك ان لفظ الصوم
لا يختص بالامساك عن الطعام خاصه فاطلق علي النفس ومع ذلك ان الانسان الامساك عن
الطعام والشراب والفحش وما يجري مجراه وامساك العقل الذي به تعرف المصالح
والمفاسد الشرعيه والعاديه فيقوم العبد بما يحتاج اليه ويعرض عما يضره فامساكه
عن الميل مع الهوي والروح لها تعلق بالامور العاليه من رؤيه الله تعالي بالقلب في الدنيا
ومناجاته والتلذذ بقربه ودوام مراقبته في كل حركه وسكنه فمتي طال امل الانسان لم
يجد في تحصيل هذه الخيرات ومتي قصر امله وخشي الفوات افرغ الجهد في تحصيل ذلك
بالغايات في الممكنات فجعل امساك الروح عن طول الامل بقصره قال الامام رضي الله
عنه وقال الخشن الارفاق ارفاق النسوان علي اي وجه كان قال الشارح رضي الله عنه

ودلك

[illegible] وتتعلق القدره والاراده بكل ممكن
له بل الجايز ولا يتعلق تعلقا بغيره ان القدره صفتنا الايجاد والاعدام وذلك لا يكون الا الجايزات
وذلك [illegible] صفتنا التخصيص [illegible] بغير ذلك لا يجوز علي الممكن وذلك التخصيص
لا يكون غير الجايز [illegible] التعريف

وذلك ان فيها لطفهن من اسباب الهلاك والخسران ولا ينال الانسان ارفاقهن الا بالمؤانسه
منهن والمواصله اليهن ومعهن وربما جر ذلك الي الخلوه لتعليمهن وارشادهن والخلوه
بالاجنبيه حرام ولو كان لاقرابها العزان هذا وجه في الفساد الوجه الثاني انهن
يتخذ عزيا ذي الحالات ولا يفرقن بين الحق والباطل من الطاعات فقد يوفقن بعض
الاشخاص لامر تزهنه عليه وهو حال عنه فلا يكون ما ياخذه خالصا ولا حلالا لاجلهن
وقله تثبته عند الاخذ وتنبيهه علي السوال ووجه ثالث ربما اخذ نهين اموال الاجانب ازواجهن
بغير اذنهن ويزعمن ان هذا وجه بر وخير لهن ولازواجهن فهذه ثلاثه اوجه مما يحمل
علي ترك ارفاق النسوان والاخذ من ايديهن ولذلك جعله خسيسا علي اي وجه كان فان سلم
العبد من وجه لم يسلم من غيره قال الامام رضي الله عنه وقال الجوع اذا ساعده القناعه مزرعه
الفكر وينبوع الحكمه وحياه الفطنه ومصباح القلب قال الشارح رضي الله عنه فان الشغل
للقلب من الطعام اما كثرته واما حسنه وجماله وطيبه فان من الله علي العبد بالزهد فيها
فزهد في انواع الطيبات وتقلل من كثرتها حتي حصل له بعض الجوع خف بدنه للاعمال
الصالحه وتفرغ قلبه للفكر في الجهات وانواع العلوم ومعرفه المصالح والافات وبهذا
الاعتبار تيقظ قلبه من الغفلات وتنور قلبه بالعلم الذي يغوص به في المعضلات من
الامور العقليه والسمعيه وغير ذلك من المهمات وهذا كله لبعده عن المشغلات من جهه
كثره الطعام او التلذذ بانواع المشتهيات ولذلك قال اذا وافق الجوع القناعه نال
القلب هذه البركات قال الامام رضي الله عنه وقال افضل اعمال العبيد حفظ اوقاتهم
وهو ان لا يقصر في امر ولا يتجاوز عن حده قال الشارح رضي الله عنه والوقت
عند القوم يطلق علي الزمان الذي هو فيه وقد يطلق علي حالته التي هو محتاج الي الكون
عليها من الاعمال الصالحات فمتي لم يتفقد العبد حاله في وقته بكمال العلم بما هو الاهم في حقه
واشتغل عما مضي من اعماله او عما يستقبل في ايامه ضاع وقته الذي هو فيه فان ما مضي
قد تخلص منه بالتوبه ونحو ذلك من الخوف وما ياتي من الاوقات لعله لا يدركه
فاحسن احواله حفظه لما هو فيه والحفظ عن الميل عنه والزهو وهو المعبر عنه بتعدي
الحد وقد لا يعلق همته بمقام يمنعه من اتقان ما هو فيه ولا يلتفت لما مضي من اوقاته مما لم
يجب عليه اصلاحه وتلافيه فان ذلك من جمله عماره وقته الذي هو فيه قال الامام
رضي الله عنه وقال من لم ياخذ الادب عن حكيم لم يتادب به مريد قال الشارح رضي الله
عنه وذلك ان الحكمه هي وضع الشيء مواضعه والحكيم هو الذي يعرف الاعمال واتانها
والمقامات وتفاوت درجاتها والادويه للامراض لاغراض القلوب والاعمال وطرق
حفظها عن النقص والاخلال فاذا كان كذلك فهو الذي يعرف احوال النفوس وما يليق بكل

الناس

دالعلم العقلي جميع الواجبات والجائزات والمستحيلات بحكم نقلي جهة موجودة ذاتية بذاته تعالى فكلما تتعلق به [illegible]
به كل معلوم من كل واجب وجائز ومستحيل بحكم نقلي بعلم جهة افضل [illegible] العقل [illegible]
ويعلم ما كان [illegible] لا يعلم [illegible] كيف يكون [illegible] عليه [illegible] النقل ولقد [illegible]

بكل شخص بالنسبة الى حاله ومرض قلبه ونشاطه وكسله وغير ذلك مما هو سببه وامره بالامر
اللايق به وهذا هو الحكيم الذي يضع الاشيا مواضعها ويقابل الامراض باضدادها وهو الذي
ينادب به المريدون والا من سلك طريقا واحدا اعانه الله عليها في نفسه وسهلها عليه من طرق عليه
الخير فمتى جاء مريد ليقتدي به دله على الطريق التي سلكها الله به مع اختلاف امراض الناس
واحوالهم وعوائدهم كان بمنزلة طبيب يشفي الناس من نوع واحد لكونه تداوى بها
وربما ضرت غيره من المرضى فضلا عن ان ينفعه قال الامام رضي الله عنه ومنهم ابو
بكر عبد الله بن طاهر الابهري من اقران الشبلي من مشايخ الجبل عالم ورع صحب يوسف بن الحسين
وغيره مات بقرب الثلاثين وثلاثمائة سمعت الشيخ ابا عبد الرحمن السلمي رحمه الله يقول سمعت
منصور بن عبد الله يقول سمعت ابا بكر بن طاهر يقول من حكم الفقير ان لا تكون له رغبة
فان كان ولا بد فلا تجاوز رغبته كفايته قال الشارح رضي الله عنه وهذا صحيح فان اصل
الفقير السالك طريق الفقر الى الله الزهد في الدنيا على الجملة لكون الله تعالى صغرها وحقرها
وضد الزهد الرغبة فحق كل زاهد ان لا تكون له رغبة في شي من الدنيا وانما يرجع الى
الدنيا بحسب ما تدعو اليه الضرورة من الطعام والشراب والمنام وهذا هو حد
الكفاية وهي تختلف باختلاف الاشخاص فان لم يصل المريد الى مقام الزهد في الدنيا
بالكلية وبقيت له رغبة في بعضها فلا تجاوز رغبته كفايته يعني المحتاج اليه قال
الامام رضي الله عنه وبهذا الاسناد قال اذا احببت اخا في الله فاقلل مخالطته في الدنيا
قال الشارح رضي الله عنه وهذا من نقول الله من باب سد الذرائع والجريان على الغالب
من الخلق فان الغالب من الخلق حب الدنيا وان كانت لهم نية في الصلاح والخير فمتى
اعجبك حال شخص في دينه واردت صحبته فلا تخالطه في دنياه ولا تتصرف فيها
بادلال عليه وتزعم انه لا يلتفت لذلك فان القلوب لها اقبال وادبار فان دعتك
حاجة الى مباحثته في دنياه فاعتمد على ايثاره له على نفسك فان كان هو كذلك
في الايثار ظهرت بينكما البركات وتساعدتما على الخيرات وان كان احدهما
يؤثر نفسه ويتبع هواه فليحتمل اخوه ويصبر وما عساه فاحسن احواله اذا طال
عليه الزمان ان يفارقه ويعفو عنه باحسان وان لم يكن كذلك جرى بينهما من
الالام وتذكير الافعال القديمة ما يقبح عنه الكلام ويكثر ذكره بلا فلاح
قال الامام رضي الله عنه ومنهم ابو الحسن بن بنان ينتمي الى ابي سعيد
الخراز من كبار مشايخ مصر قال ابن بنان كل صوفي كان همه الرزق قائما في قلبه
فلزوم العمل اقرب له وعلامة سكون القلب الى الله تعالى ان يكون بما في يدي الله
اوثق منه بما في يديه قال الشارح رضي الله عنه وهذا صحيح فان علة الصوفي

عرفه متعلق بالقلب [illegible] فلا [illegible]
[illegible] رفع [illegible] الخلق [illegible] الله [illegible]
[illegible] بعد [illegible] من الخلق [illegible] العقل [illegible]
وحيث [illegible] سميع بصير [illegible] بل هو [illegible] ولهذا وجب [illegible]

في فراغ قلبه من الشغلات واشد الشغلات ما تدعو الحاجة اليه في عموم الاوقات
من انواع الاقوات فمتى ما كان في القلب محشوا بهذه الهموم والفكر في جهة
تحصيلها اشتغل عما خلق له من معرفة الله تعالى ومعرفة الاخرة والاعمال الموصلة
لها ومتى قوي يقينه وتوكله على مولاه بايصال ما لا بد له منه ما دام في دنياه اعرض
نفسه عن كثير من الاسباب وسكن قلبه لرب الارباب حتى قال سفيان الثوري
رضي الله عنه لو لم تمطر السماء ولم تنبت الارض ووقع في قلبي اهتمام الرزق لظننت
اني كافر ويعني بقوله كافر الحق الذي علمه وهو ان الله تعالى يرزق بهذه الاسباب
وبغيرها والكفر التغطية والستر فكانه غطى الحق الذي يعرفه وهو انفراد مولاه
بخلق الارزاق بسبب وبغير سبب قال الامام رضي الله عنه وقال اجتنبوا
دناءة الاخلاق كما تجتنبوا الحرام قال الشارح رضي الله عنه ودناءة الاخلاق منقسمة
الى حرام وغير حرام فالرياء والعجب والكبر والحسد والشماتة والغش ومن جملة الاخلاق الجميلات
ترك الصفح والعفو عن الزلات ومساعدة ذوي الحاجات وترك المبادرة للاعمال الصالحات
كل ذلك من الاخلاق التي تركها من جملة الخيرات ولذلك قال اجتنبوا الاخلاق الردية كما
تجتنبوا المحرمات والتوقية ان الجريان مع العادات يوقع العبد في المحرمات والانكفاف
عن الحلال يحفظ العبد عن الوقوع في الحرام هذا معلوم كله بين الانام والسلام قال
الامام رضي الله عنه ومنهم ابو اسحق ابراهيم بن شيبان القرميسيني شيخ وقته
صحب ابا عبد الله المغربي والخواص وغيرهما سمعت محمد بن الحسين يقول سمعت ابا زيد
المروزي يقول سمعت ابراهيم بن شيبان يقول من اراد ان يتعطل ويتبطل فليلزم
الرخص قال الشارح رضي الله عنه وقد تقدم غير مرة انهم لا يريدون بالرخص القصر
والفطر في السفر وما يجري مجراه مما رخص الشرع فيه بعد المنع رحمة للعالمين انما يريدون
ما اباحه الشرع ووسع فيه مثاله ان من قيل له اعمر وقتك بالذكر والفكر او بعض اذكارك فتورا
توجد في نفسه فتورا او كسلا فالت له نفسه ليس هذا واجبا فاتركه فيتركه لعدم
الوجوب او اشتهت نفسه طعاما وكانت فيه شبهة او اختلاف فيترك تركه احتياطا
وتقول له نفسه كله لانه لم يتحقق كونه حراما فمن تبع هذه الامور تعطل من اعمال البر
وتبطل منها واهل الجد في السلوك والراغبون في تحصيل المكارم والاخلاق الجميلة
لا يرضون في الفعل بكونه مندوبا اليه خاصة بل يطلبون الاولى من المندوبات ولا
يقنعون في الترك بالشبه خاصة ولا فيما نهي عنه نهي تنزيه بل من كون الحلال يخوف
من ان يجرهم الى الوقوع في شي من الشبه او المكروه وذلك لكمال جدهم ورغبتهم في عمارة
اوقاتهم بافضل اعمالهم قال الامام رضي الله عنه وبهذا الاسناد قال علم الفنا وعلم البقا

بكل ادب وجل [illegible] المحبة ذلك لا تتعلق بشي [illegible] لا تتعلق [illegible]
على [illegible] جميع الصحابة [illegible] المعاني [illegible]
[illegible] الا المبالغة [illegible]
موجودة فلا بعثة [illegible] والله تعالى الموفق

يدور على اخلاص الوحدانية وصحة العبودية وما كان غير هذا فهو المغاليط والزندقة
قوله الشارح رضي الله عنه وهذا صحيح فان علم الفنا عن غير الله وعلم البقا مع الله يدور
على ركنين احدهما اخلاص الوحدانية علما وحالا وتحقيق العبودية جهدا واشتغالا فمتى
جهد العبد في موافقة مولاه وكمل اخلاصه له واعراضه عمن سواه فني عن غيره لكمال شغله
به ونجواه ومتى جد في ذلك ورغب واشتد رجاوه فيما طلب فني عن نفسه وغيب وبقي
مع مولاه الذي خصه بفضله وتولاه والبقا انما يكون بعد الفنا فان الفنا اعراض عن غيره
والبقا استغراق في ذكره وقربه وما كان في غير افراد الحق علما وعملا وحالا فهو من المغاليط
والوسوسة وتخيلات الشيطان اللعين وتلبيسه الباطل باليقين قال الامام رضي الله عنه
وقال ابراهيم السفلة من يعصي الله عز وجل قال الشارح رضي الله عنه والسفلة اراذل
الناس واردالهم ولا اقل قدرا وارذل حالا ممن توالت عليه المعاصي ودام عليها ولم يتب والامر
على الله وتاب فليس بسفلة بل مدح الشرع من هذه صفته فقال خياركم كل مفتن تواب
قال الامام رضي الله عنه ومنهم ابو بكر الحسين بن علي بن يزدانيار من ارمينية
له طريقة يختص بها في التصوف وكان عالما وكان ينكر على بعض العارفين في اطلاقات
والفاظ لهم قال ابن يزدانيار اياك ان تطمع في الانس بالله وانت تحب الانس بالناس واياك
ان تطمع في حب الله وانت تحب الفضول واياك ان تطمع في المنزلة عند الله وانت تحب المنزلة
عند الناس قوله الشارح رضي الله عنه وذلك ان الامر العظيم لا تنال بعضه حتى تعطيه كلك
ومتى كنت مفرقا مبددا اشتغلت حالك وبعد عليك نيل ما طلبت وذلك ان الانس بالله لا يتم
الا لمن فرغ قلبه من المشغلات واقبل على ربه بالكلية قلبه وذكره له ويلذذه بمناجاته في
عموم الاوقات وتحسسه لما يواليه عليه من نعمه من انواع انتقاله في اعالي الدرجات فيلذ له
ما هو فيه ويجد الانس بمولاه ويعرض قلبه عما سواه وكيف يتم هذه الاحوال لمن قلبه
مشغول بغير ذلك من قيل وقال او بالقيل والقال وهو فضول الكلام والشغل باحوال الانام
واذا دام ذكر العبد لمولاه حصل له التحسس لما من به عليه واولاه واحبه لان القلوب
مجبولة على حب من احسن اليها وهذا لا يكون الا بكمال التفرغ والتحسس للنعم ولهذا
قال ولا تطمع في محبة الله وانت مشتغل بالفضول ومن كمل انسه بمولاه وكملت محبته
له وارتفعت عند ربه منزلته لا يكون ذلك الا بكمال الاخلاص والاعراض عما يقال من الناس
من حمد او خوف ذم او جرى مجراه مما يعبر عنه بالوسواس قال الامام رضي الله عنه ومنهم
ابو سعيد ابن الاعرابي واسمه احمد بن محمد بن زياد البصري جاور الحرم ومات بها سنة
احدى واربعين وثلاثمائة صحب الجنيد وعمرو بن عثمان المكي والنوري وغيرهم قال ابن
الاعرابي اخسر الخاسرين من ابدى للناس صالح اعماله وبارز بالقبيح من هو اقرب اليه من حبل

المغاليط

تحب

بالكلية

الوريد

[illegible] سواه كان [illegible]
فضلا وحادثا [illegible] بعلمه وبرا الذات [illegible]
[illegible] والبعض [illegible] فالوجد [illegible]
الاصل [illegible] الوجود [illegible] الدليل عليه [illegible] الدليل على وجود [illegible] النفس والاصل

الوريد قوله الشارح رضي الله عنه وهذا صحيح فان اخسر الخاسرين من خسر الدنيا والاخرة
وذلك ان المرائي معذب بالقلب في دنياه متعوب في رضى من لا ينفعه رضاه شديد الحرص
على الدنيا عن نقصه عند من يرجوا اليسير من دنياه واذا كان حاله لذا في دنياه وراءا الناس
باعمال الاخرة طلبا لما ذكرناه ولا يبالي من ذلك الا ما قدره له مولاه فحصل له في دنياه التعب
والنصب وفي الاخرة الحساب والعذاب الا ان يعفوا الله وبهذا الاعتبار كان اخسر الخاسرين
فان من الخاسرين من يفوته بعض دنياه ويسلم له بعضها مع سلامة اخراه وبعضهم يفوته
جل دنياه ويسلم له اخراه واخسر الخاسرين من فاته خير الدارين وحصل فيهما بالشر والعيا(ذ)
بالله قال الامام رضي الله عنه ومنهم ابو عمرو محمد بن ابراهيم الزجاجي النيسابوري
جاور بمكة سنين كثيرة ومات بها صحب الجنيد وابا عثمان والنوري والخواص ورويما
مات سنة ثمان واربعين وثلاثمائة سمعت ابا عبد الرحمن السلمي رحمه الله يقول سمعت جدي
ابا عمرو بن نجيد يقول سئل ابو عمرو الزجاجي ما لك لا تتغير عند التكبيرة الاولى في الفرائض
فقال لاني افتتح فريضتي بخلاف الصدق فمن يقول الله اكبر وفي قلبه شي اكبر منه او قد
كبر شيا سواه على مر الاوقات فقد كذب نفسه على لسانه قوله الشارح رضي
الله عنه وهذا دليل على كمال صدقه في قلبه وجوارحه وذلك ان الله سبحانه اوجب استقبال
القبلة لجمع الهمة لانه سبحانه منزه عن الجهات والجهة واوجب النية لافراده بالقصد
بالاعمال واوجب التكبير لاشعار النفس انه لاجل من اقبلت عليه واشتغلت بعبادته
لتنقطع عمن سواه ذكرا وحالا وطمعا فيما عنده فمن قوي جده وكمل صدقه اراد ان يصدق
في قلبه ولسانه فاذا اقبل على العبادة وهو يريد ان يدخلها على هذا الوصف الذي ذكرناه
وخشي ان لا يتم له ذلك لا يكون من الكاذبين لكونه اخبر بلسانه عما ليس متحققا به تغير لونه
وارتعدت فرائصه وجد في تحصيل ذلك حتى يقوم لربه على وجهه في طلبه ولقد اخبرني
من يقصد هذا الامر انه يجب ان يقارن تكبيره بلسانه التعظيم بقلبه زيادة على اخلاص قصده لربه
وذكرانه بما ينبغي ذلك ويغلب عنه وهذا سالك هذا الطريق ويرجى له بلوغ ما اشير اليه
من التحقق بخلاف من يدخل هذه العبادة بان قولك الله اكبر يجزي لانك تحرمت به بالصلاة
لا تحريمها التكبير وتحليلها التسليم وقلبه غافل عن روح هذه العبادة فان من دخلها
كما وصفناه كان في قراءته اشد حضورا فاذا قال الحمد لله قال ما حكى النبي صلى الله عليه وسلم
عن ربه بقوله تعالى قسمت الصلاة بيني وبين عبدي نصفين فنصفها لي ونصفها لعبدي ولعبدي
ما سال ثم فسر ذلك قال يقول العبد الحمد لله رب العالمين يقول تعالى حمدني عبدي الرحمن
الرحيم اثنى علي عبدي قوله اياك نعبد اخلاص العبد لله في هذه العبادة واياك نستعين تبري من
الحول والقوة الا به اهدنا الصراط المستقيم اول مطالب العبد وسواله ما دام اثنى العبد على ربه

Copyright © King Saud University

[illegible]

بما تقدم من الصفات والانفراد بالملك ليوم الحساب وعبدة وتبرا من حوله وقوته عن ايتيان
العباده بنفسه فقد اثني بما هو لربه ثنا وعباده وتبرا والنصف الثاني هو ما دعي به من
هدايته الي الصراط المستقيم وخلاصه عن سلوك طريق من اضله وغضب عليه من التعبد فاذا حضر العبد من اول صلاته ودخلها بالتعظيم سهل عليه بعد ذلك ما ذكرنا من هذا الخير
العظيم واذا دخلها مع محض حركة اللسان بالتكبير ومعرفة القلب انه فرض ما عليه لا غير
لا تغير وخطرت الشهوات له في اثنا عبادته لم يجد ما تعامل القبول لعدم الاجلال والتعظيم
وان القلب اذا اسلا بالخير لم يجد خواطر الشيطان الي ولوجه سبيلا والله الموفق
والمعنى فتغير لونه رضي الله عنه لمعرفته بما يقدم عليه من هذا الامر العظيم ولذلك كان علي ابن
ابي طالب رضي الله عنه وغيره اذا توضا اصفر لونه وتغير فاذا سيل عن ذلك قال ويلكم
اتدرون بين يدي من اريد ان اقوم وهذا جار فيما بين الغافلين في دنياهم اذا دعوا الي
الحضور بين يدي السلاطين وان لم يكونوا عندهم في السطوه بالغين بحيث ما ذكرناه خوفا
من ذي ضرر فكيف بما ورد في الخبر ان العبد يكتب له من صلاته نصفها ثلثها ربعها وانما
ذلك لزياده التعظيم والاحترام مع صحه اصلها من غير احترام **قال** الامام رضي الله عنه
وقال من تكلم عن حال لم يصل اليها كان كلامه فتنه لمن سمعه ودعوى تتولد في قلبه وحرمه
الله تعالي الوصول الي تلك الحال جاور بمكه سنين كثيره لم يظهر في الحرم وكان يخرج الي الحل
ويتطهر احتراما للحرم **قال** الشارح رضي الله عنه وهذا لم يتكلم في الاحوال العاليه ويوهم
انه نالها فانه يكون مدعيا متشبعا بما لم ينل ويكون كلامه سببا للاعتراض عليه لا محاله
تناقض ما تكلم فيه وبهذا الوجه كان كلامه فتنه علي غيره اي بليه ومحنه والامر تكلم في ذلك
علي وجه العلم وبيان مراتب العاملين وما من الله تعالي عليهم به وتفصيل درجاتهم كل ذلك علمه
بادلته ومن احوال الصالحين وان كان قد نال بعضها بالرتبه فانه يستدل ببعض ما ناله علي ما هو
اعظم منه لغيره ولا يكون مدعيا ولا متشبعا بما لم ينل ويكون كلامه دينا وبيانا للاحكام
وتنبيها علي رفعه كل مقام واما كونه لم يتطهر داخل الحرم هذه المده الطويله فيحتمل امرين
احدهما انه لم يتبرز تشريفا للحرم وان كان يتوضا طاهرا ويغتسل اذا دعته ضروره اليه
فان تشريف الحرم انما يكون بابعاد النجاسات عنه وهي السنه ايضا في الابعاد وقت قضا
الحاجه ويحتمل ان يكون مراده بذلك انه قليل الغذا وقليل النوم انما ياكل مره واحده
وربما كانت بعد الايام فيكون تبرزه وتنقص طهارته تابعا لقله اكله فيكون ذلك نادرا
فيخرج اليه التنعيم فيقضي حاجته ويتطهر ويبقي علي طهارته مع قله نومه وقد حكي
عن جماعه من اهل الخير عن سعيد بن المسيب وغيره انه كان يصلي الصبح بوضو العتمه اربعين
سنه والله اعلم **قال** الامام رضي الله عنه ومنهم ابو محمد جعفر بن محمد بن نصير البغدادي

[illegible]

المنشا والمولد صحب الجنيد وانتمي اليه وصحب النوري ورويما وسمنونا والطبقه مات
ببغداد سنه ثمان واربعين وثلاثمايه قال جعفر لا يجد العبد لذه المعامله مع لذه النفس
لان اهل الحقايق قطعوا العلايق التي تقطعهم عن الحق قبل ان تقطعهم العلايق **قال** الشارح
رضي الله عنه وهذا صحيح فانه تعالي قال ما جعل الله لرجل من قلبين في جوفه وذلك ان القلب
اذا امتلا بشي شغله عن غيره ولا يجد اللذه مع الله والانس به والتنعم بمناجاته الامن
اجتهد في ذلك وتفرغ له بالكليه ودام عليه حتي من الله تعالي عليه بمحبته ذلك وصار
فيه لذته وقره عينه ومن كان كذلك اعرض عن شهوات نفسه والتلذذ باسباب دنياه ومتي طمع
العبد ان ينال شيا مما ذكرناه مع اشتغاله بدنياه واستحسانه لاحواله وتنعمه بشهواته
طلب محالا عاده **قال** الامام رضي الله عنه سمعت محمد بن الحسين رحمه الله يقول سمعت محمد بن عبد
الله بن شاذان يقول سمعت جعفرا يقول ما بين العبد وبين الوجود ان تسكن التقوي قلبه
فاذا اسكن التقوي قلبه نزلت عليه بركات العلم وزالت عنه رغبه الدنيا **قال** الشارح
رضي الله عنه ويعني بالوجود وجود الحق سبحانه وقد اطلقه تعالي علي نفسه فقال ووجد
الله عنده فوفيه حسابه الايه والتقوي هي الحذر والمجانبه فمتي جانب الاخلال بالواجبات
وارتكاب المحرمات في قلبه وبدنه وترقي الي ترك المكروهات وفعل المندوبات وتعلقت
همته بافضل الطاعات والقربات والاعراض عن يسير المشكلات والشبهات قال من ربه غايه
الكرامات هذا معني الوجود انه يدوم نظره الي مولاه ويعبده كانه يراه **قال** الامام رضي الله
عنه ومنهم ابو العباس السياري واسمه القاسم بن القاسم من مرو صحب الواسطي وانتمي اليه
في علوم هذه الطايفه مات سنه اثنتين واربعين وثلاثمايه سيل ابو العباس السياري بماذا
يروض المريد نفسه قال بالصبر علي الاوامر واجتناب النواهي وصحبه الصالحين وخدمه الفقرا
قال الشارح رضي الله عنه وقد ذكر هذا امرا ان العبد انما يروض نفسه بالامور الشرعيه
الموافقه للسنه لا بما يزعم بعض الناس انه يلتفت الي المقصود خاصه ولا يلتفت الي الوسايل
حتي يحصلوا طيب الاحوال ووجود السماع باي سبب كان من الغنا والشبابه وغير ذلك
من الاسباب المكروهه المختلف علي الاختلاف **قال** الامام رضي الله عنه وقال ما التذ
عاقل بمشاهده قط لان مشاهده الحق فنا ليس فيها لذه **قال** الشارح رضي الله عنه
وهو يريد كمال الاصطلام حتي يفقد العبد احساسه بنفسه فيعبر بالمشاهده عن هذه
الحاله والا فقد يكون العبد مشاهدا لمولاه بقليل الغفله عنه ناظرا لما يرد عليه من فضله
وهو مدرك لنفسه ومولاه وتفضله عليه فيكون مشاهدا لا غير بهذا الفرق عن كونه مشاهدا
فانهم سموا الجمع وجمع الجمع واطلقوا الفنا فالفنا ان يشغل الانسان بربه حتي يفني عن ذكر غيره
من قلبه كان فنا وان قوي شغله به حتي نسي نفسه كان فنا الفنا وكذلك المشاهده فيها اعلي وادني

Copyright © King Saud University

كلامه وفضل التدبيح ولم يجل كلامه تعلى شي من القلب بالحوابي بذاته العليه بجلا مما يصف به
غيره من كلل حروف الفه ان تشا الله على كلامه تعلى الطلوعي الغيه ان انه ذكل الله يجلى الغول على شنه
رضي الله عنها مايجد وفي المصحف كلام الله تعلى المتلاحع اهل السنة رضي الله تعالى عنهم
 على كلام الله تعلى مفروا بالسنة محفوظ في المصاحف مقروء في الصدور وبيان

قال الامام رضي الله عنه ومنهم ابو بكر محمد بن داود الدينوري المعروف بالدقي اقام
بالشام وعاش الى ان ... سنه مات بعد الخمسين وثلاثمايه صحب ابن الجلا والزقاق قال ابو بكر
الدقي المعده موضع تجمع الاطعمه فاذا طرحت فيها الحلال صدرت الاعضا بالاعمال الصالحه
واذا طرحت فيها الشبهه اشتبه عليك الطريق الى الله تعالى واذا طرحت فيها الحرام
كان بينك وبين امر الله حجاب قال الشارح رضي الله عنه لاخلاف ان الحلال واجب على العبد
معرفته وطلبه ولا يصح طلبه له ومعرفته الا بعد تعبته وتت تفرقته في اخذه وعطايه وتحصيله
من جهاته واذا اكان كذلك كانت اعضاوه كلها متصرفه في الخير التحصله لصفا الاقوات عينه ويده
ورجله ولسانه وساير حركاته فيكون الحامل لاصلاح هذه الاعضا تنبته في طلب الحلال هذا
وجه في اصلاح اعضايه وجريانها على مقتضى العلم الوجه الثاني ان الحلال كالزيت الذي
سنه بنور البيت فيكون الله سبحانه اجرى العاده بان من اكل الحلال نشط لعمل الطاعات
ووفق للاعمال الصالحه ومتى كان العبد بخلاف ماذكرناه من التثبت بقلبه وساير
اعضايه فيما ياكله حتى اكل حراما كان بينه وبين الله حجاب لغلبة شهوته على قلبه حتى اعمته عن
تنبيه واذا اكل متشابها كان من ذلك وهوان عنده بعض التثبت حتى يخلص من الحرام البين
ولم يكمل تقواه حتى يوصل الى الحلال الصافي ولذلك اشتبه الامر عليه والله اعلم قال
الامام رضي الله عنه ومنهم ابو محمد عبد الله بن محمد الرازي مولده ومنشاوه بنيسابور
صحب ابا عثمان الحيري والجنيد ويوسف بن الحسين ورويما وسمنونا وغيرهم مات سنه
ثلاث وخمسين وثلاثمايه سمعت محمد بن الحسين رحمه الله يقول سمعت عبد الله الرازي يقول
وقد سيل ما بال الناس يعرفون عيوبهم ولا يرجعون الى الصواب قال لانهم اشتغلوا بالمباهاه
بالعلم ولم يشتغلوا باستعماله واشتغلوا بالظواهر ولم يشتغلوا باداب البواطن فاعمى الله
قلوبهم وقيد جوارحهم عن العبادات قال الشارح رضي الله عنه وهذا صحيح فان العبد انما
يرجع عن خطايه وزلله بكال خوفه من ربه وشده حذره من مقته وعدابه وانما يصح له ذلك
بدوام الفكر في وعده ووعيده وتفصيل ماذكره في كتابه مما اهلك به العصاة في القلوب
والابدان من الرين والطبع والقفل والقسوه وغير ذلك من افات القلوب وما اهلك
جملتهم بالغرق والريح والصيحه والحجاره وغير ذلك من البلا النازل بهم في الدنيا وابن
هذا من عذاب الاخره وتفصيل ما وصفه سبحانه في جهنم وسلاسلها واغلالها وشرابها
وسمومها فالفكره في هذه الامور تحمل العقلا على الاقلاع عن ذنوبهم بالتوبه الى ربهم
واذا فقدت هذه الامور وهو المعبر عنه والمراد بقوله ولم يشتغلوا باداب البواطن
اعمى الله قلوبهم واذا لم تتاذب البواطن ولم تصلح لم تصلح الظواهر لان في البدن مضغة
اذا صلحت صلح ساير الجسد الا وهي القلب فمن اشتغل باصلاح ظاهره بزعمه ولم يعتن

باصلاح

الرقي صاحب السعاني

... ان ... اذا وقع بها ... واما كلامه تعلى ولبس ... اختلاف ... بتدبير ولا تغيير
... حكاية ... كما ... التوحيد المصحف ... بتبيين ... بد لذلك
... القرآن ... على ... جل ... الرجل
... حال

صلاح باطنه اسرع اليه الفساد ولذلك يعود الى ما كان عليه من المعتاد قال الامام
رضي الله عنه ومنهم ابو عمرو اسمعيل بن نجيد صحب ابا عثمان ولقي الجنيد وكان كبير
الشان اخر من مات من اصحاب ابي عثمان توفي سنه ست وستين وثلاثمايه سمعت الشيخ
ابا عبد الرحمن يقول سمعت جدي ابا عمرو بن نجيد يقول كل حال لا يكون عن نتيجة علم فان ضرره
على صاحبه اكثر من نفعه قال الشارح رضي الله عنه وهذا صحيح فان العلوم المعلومات
هي التي تكسب القلوب الاحوال كالعلم بالخوف فانه يكسب القلب شدة الطلب والعلم
بالمنعم ومعرفة النعم يقيد القلب المحبه للمنعم وكذلك معرفة الجمال والجلال يكسب القلب الهيبه
والتعظيم وكل حال لا يكون من هذه العلوم فان ما تعاطاه صاحبه تكلفا اما ريا او تشبعا بالرجل
واما اذا كان طالبا له بعد معرفته وتكلفا الكمال قوته كالمتخوف حتى يصير خايفا وكالمتزهد
الى ان يصير زاهدا وكالمتباكي الى ان يهيج منه البكا فهذا كله محمود وانما المذموم المتكلف
للتشبع بما لم ينل وهو الكذاب او المرايي بالخير لنيل دنياه وهما هالكان الا ان يعفو
الله عز وجل قال الامام رضي الله عنه قال وسمعته يقول من ضيع في وقت من الاوقات
فريضه افترضها الله عليه حرم لذة تلك الفريضه ولو بعد حين قال الشارح رضي الله
عنه وتضييعها اما باسقاطها بالكليه او ايقاعها مختله ببعض شروطها او بان يحدث فيها
ما يفسدها من الافعال والكلام فهذا كله تضييع للفريضه وقوله منع لذتها ولو بعد
حين يعني ان الله تعالى يعاقبه على تضييعها معجلا او يؤخرها بان يزيل لذتها من قلبه
ولو بعد حين وفي روايه اخرى الا بعد حين فالاول يعاقبه بعد مده والثاني يمنعه
من وجود اللذه فاجرا في القيام بتلك العباده مده من الزمان الى ان يحضر عند فعله
لذتها وهذا كما حكي وقد تقدم ان بعضهم نظر الى شاب جميل الصورة قال له شيخه انظر
اليه لتجدن عقوبتها ولو بعد حين قال الطالب فنسيت القران بعد عشرين سنه
فهذه عقوبه على ارتكاب المحارم والاول عقوبه على الاخلال بواجب قال الامام رضي الله
عنه وقال وسيل عن التصوف فقال الصبر تحت الامر والنهي قال الشارح رضي الله
عنه وهذا جيد فانه تفسير التصوف لا الصوفي فان التصوف هو التحلي باكتساب اخلاق
الصوفيه وذلك من جنس التباكي اذ تكلف البكا واستجلبه وانما يتعود الانسان الاخلاق
المحموده والتخلص من الاخلاق المذمومه بالصبر تحت الامر والنهي فكل ما امر به حسن
شرعا واجبا كان او مندوبا وان تعالت درجته فلا ينال الا بالصبر وكل منهي عنه قبيح
شرعا محرما كان او مكروها او مشتغلا فلا ينال الخلاص منه الا بالصبر فقوله الصبر
تحت الامر والنهي في امسالهما ونظرت هذا ما تضمنه وهو الصبر تحت المر والحلو
من القضا فانه مامور به ومنهي عن الجزع فيه قال الامام رضي الله عنه قال الدقاق انه العبد عاه

Copyright © King Saud University

من نفسه بما هو فيه قال الشارح رضي الله عنه وهذا صحيح لان الآنه المانعه من الرضا هو قنوع العبد ورضاه بما هو فيه من المقامات فان ذلك يمنعه من الطلب لما هو اعلى منه وهذا فيه غلط وذلك ان الرضى بالحاصل لا يمنع العبد من طلبه ما لم يحصل من المقامات من فضل الله تعالى ورفيع الدرجات فان الرضا انما يتحقق بعد نزول القضا واما قبل ذلك فعزم عليه فاذا وقع او نزل المقتضي رضي العبد به ان كان مما يصح الرضى به والذي يضاد الرضى سخطه لما وقع وكراهيته له واما ما لم يقع مما يمكن وقوعه فسواله ربه في الفتح عليه به لا يضاد الرضا بالحاصل ولم يزل العلما السادة الراضون بقضا الله تعالى يسألونه الخير فيما لا يقع وقد قال تعالى لنبيه وقل رب زدني علما قال الامام رضي الله عنه ومنهم ابو الحسن علي ابن احمد بن سهل البوسنجي احد فتيان خراسان لقي ابا عثمان وابن عطا والجريري وابا عمرو الدمشقي مات سنة ثمان واربعين وثلاثماية سئل البوسنجي عن المروة فقال ترك استعمال ما هو محرم عليك من الكرام الكاتبين قال الشارح رضي الله عنه مراده والله اعلم ترك الحرام على كل حال سوا كان وحده او مع الناس فان كان لا يخلو من الملايكة الكرام الكاتبين ومن مروته ان لا يشهدهم بالاعمال ما يكرهون كما نه مما حرم الله تعالى فانه قد جا في بعض الاخبار انهم يردون بالاعمال الخبيثة التي يعلمها الله تعالى ولا يعلمها الملايكة ويقال اضربوا به وجه عامله فانه لم يرد في بهذا العمل واذا كان كذلك حصل للملايكة في ردهم ما كتبوا حسنة ما جي فيه فمن المروة الكاملة ان يتحفظ من تلبسه جميع افعاله بقلبه وجوارحه حتى لا يكون منها ما يكرهه مولاه ولا احد من خلقه ويدخل في هذا كشف عورته اذا كان وحده من غير ضرورة وهل يحل له ذلك ام لا لاختلاف الناس فيه فمن مروته ان لا يكشفها الا لضرورة قضا الحاجة وغيرها قال الامام رضي الله عنه وقال له انسان ادع الله لي فقال اعاذك الله من فتنتك قال الشارح رضي الله عنه وهذا راجع الى قوله تعالى انما اموالكم واولادكم فتنة فان العبد هو المفتون والاموال مما يفتن فكانه دعا له بسلامته من الفتنة مطلقا من كل ما يفتنه وقد يفتن الانسان بالمال والجاه والولد والجاه وغير ذلك مما يحب ويشتغل الانسان به عن دينه فدعا له دعوة عامة بالسلامة من كل فتنة قال الامام رضي الله عنه وقال البوسنجي قول الايمان منوط بالحرص قال الشارح رضي الله عنه وهذا صحيح فان قوله شهادة ان لا اله الا الله محمد رسول الله نطقا باللسان واعتقادا بالقلب واحوال عمل الانسان تقتضي هذه الشهادة افراد ربه بالقصد والعمل ورسوله صلى الله عليه وسلم بالحق فيما قال وفعل فاذا كان في هذه الافعال والاخلاق وصارت له غالبة على قلبه حتى لم ير غير ربه فقد وصل الى غاية الايمان وهو مقام الاحسان وهو ان يعبد العبد ربه كانه يراه فان قوله عقد بالقلب ونطق

باللسان والحق تشغل بالحق عن كل انسان وبهذا كان اوله متعلقا بالحق ويحتمل وجها اخر ان يكون ما سبق للعبد في الازل هو الذي يجري عليه في الابد من ايمان وكفر وطاعة او عصيان ومعناه لا يجري عليك مما سبقنا نفسك الا ما سبق به قدر الرحمن فقد ارتبط اوله بالحق ويحتمل وجها اخر وهو نفي الاعتراض عن الفعال باوائل الامور حتى يتحفظوا ما يختم لهم به من المقدور قال الامام رضي الله عنه ومنهم ابو عبد الله محمد بن خفيف الشيرازي صحب رويما والجريري وابن عطا وغيرهم مات سنة احدى وسبعين وثلاثماية شيخ الشيوخ وواحد وقته وقال ابن خفيف الارادة استدامة الكد وترك الراحة قال الشارح رضي الله عنه قد تقدم ان الارادة اسم لمبادي سلوك الطريق الى الدرجات ولا ينال ذلك الا بالكد والاجتهاد في تحصيل المراد ويكون العبد متبريا من ارادته وعاداته مشغولا بتحصيل مطلوب ربه وان تعالى في درجاته ولذلك قالوا المريد من لا ارادة له قال الامام رضي الله عنه وقال ليس شي اضر بالمريد من مسامحة النفس في ركوب الرخص وقبول التاويلات قال الشارح رضي الله عنه وهذا بعض ما تقدم من كلامه فاذا كان المريد مرشدا بالجهد والاجتهاد في تحصيل المامور به المراد فاضر ما عليه ميله الى الرخص وانواع الفرج والبطالات التي ليست محرمات فان ذلك يضاد اجتهاده في الخبرات قال الامام رضي الله عنه وسئل عن القرب فقال قربك منه بملازمة الموافقات وقربه منك بدوام التوفيق قال الشارح رضي الله عنه وهذا صحيح فان القرب من الله تعالى ليس بالتداني والمسافة فان ذلك من لواحق الاجسام والحق سبحانه ليس بجسم وهو منزه عن المكان والزمان وانما قرب العبد من ربه استشعار قلبه نظر اليه وقلة غفلته عنه ومراقبته في ساير حركاته وسكناته من اعمال قلبه وجوارحه وقرب الحق من العبد بتوالي النعمة عليه وحفظه وتوفيقه اياه لساير ما يحبه منه ويرضاه قال الامام رضي الله عنه سمعت ابا عبد الله الصوفي يقول سمعت ابا عبد الله بن خفيف يقول ربما كنت اقرا في ابتدا امري في ركعة واحدة عشرة الاف مرة قل هو الله احد وربما كنت اقرا في ركعة واحدة القران كله وربما كنت اصلي من الغداة الى العصر الف ركعة قال الشارح رضي الله عنه وهذا انما يذكره تحريكا للمريدين الشبان ليجدوا في قيامهم فيه وتعريفا لهم بتقصيرهم فيما يدعون سلوكه وتخبيرهم ببدايته كيف كانت ليحملوا انفسهم في الجد والطلب لنيل المقصود والارب وهذا الذي ذكره عظيم في المجاهدة على ولعله لا يدوم له ذلك وانما اتفق ذلك لبعض احواله وليس كان ذلك منه على الدوام وانما كان يرتب اورادا على حسب طاقته واذا فتح له باب من الخير انتهزه في بعض الاوقات فقرا القران كله في ركعة كما حكي ان بعض الصحابة رضي الله عنهم قال كنت بمكة ليلة في

المقام اصلى فادا رجل من خلفي وصع يده بين كتفي ليمانه ان اوسع له فادا هو عثمان بن عفان رضي الله عنه فاحرم ثم ابتدا القران وختمه في ركعه واحده وربما كانت وتره وصلى سلمها مانعا قال الامام رضي الله عنه سمعت ابا عبد الله بن باكويه الشيرازي رحمه الله يقول سمعت ابا احمد الصغير يقول دخل اليوم من الايام فقير فقال للشيخ ابي عبد الله بن خفيف بي وسوسه فقال الشيخ عهدي بالقوم يسخرون من الشيطان والان الشيطان يسخر بهم قال الشارح رضي الله عنه وهذا صحيح فان النفوس انما يتكرر عليها الوسواس من الشيطان اللعين بسبب تعلقها بالمحبوبات وبرجوامرا فقها له في دلك وعجزها ايمانها فترد ثم يكرر الشيطان الوسوسه وهذا حال الضعفا واما من ثبت عند دعا الشيطان وعرف ما دعاه اليه من الخسران وكان شديد الحدر من المنقصات شديد الرغبه في الخيرات ستهزا بخواطر الشيطان لعلمه رغبته فيما دعاه اليه من الخسران ولذلك قال بعضهم لتلميذه اذا دعاك خاطر الشيطان الي شي فاضحك فانه ينقطع عنك وذلك ان ضحكه دليل على استهانته بخواطره وقله اثرها في قلبه وربما كانت خواطر اللعين سببا الزياده هذا الموفق في الجد لكمال اليقين فادا راه الشيطان كذلك تركه وما هو عليه ولا يكون محركا الي زياده الخيرات قال الامام رضي الله عنه وسمعته يقول سمعت ابا العباس الكرجي يقول سمعت ابا عبد الله بن خفيف يقول ضعفت عن القيام في النوافل فجعلت بدل كل ركعه من وردي ركعتين قاعدا لخبر صلاه القاعد على النصف من صلاه القايم قال الشارح رضي الله عنه وهذا يدل على كمال اجتهاده كما قدمناه وقد حمل بعض العلما هذا الحديث على انه صلى قاعدا من غير ضروره وهو قادر على القيام فتنقص اجره لتركه القيام مع امكانه واما اذا كان تعوده اضطرار المرض او عجز فهذه الحاله التي يمكنه الصلاه عليها فيستوي حينئذ قايما وجالسا فانه لم يقدر على ممكنه ولا يكلف الله نفسا الا وسعها وبعض هذا اجرانه في الفريضه وهذا انه من كانت في ذمته صلوات وهو صحيح قادر على القيام فصلاته قاعدا تجزيه وتنوب له عما تركه وهو قايم والله اعلم قال الامام رضي الله عنه ومنهم ابو الحسين بندار بن الحسين الشيرازي كان عالما بالاصول كبيرا في الحال صحب الشبلي مات بارجان سنه ثلاث وخمسين وثلاثمايه قال بندار بن الحسين لا تخاصم لنفسك فانها ليست لك دعها لمالكها يفعل بها ما يريد قال الشارح رضي الله عنه وهذا فيه تعليم لترك الاخلاق الذميمه وتسهيل الاعراض عنها فان الانسان انما يقاتل في الغالب ويخاصم عن ملكه وما له قدره على حفظه وصيانته فاذا تحقق عند هذا العبد ان نفسه وجميع ما ملكه ملك لربه فاعتمد في ذلك عليه واكتفى بحسن نظره اليه فانه القادر على جلب ما ينفعها ودفع ما يضرها عنها وحصل له التوكل الاكيد والرضى بمجاريه الحق سبحانه في السعه والتشديد كل ذلك من اثار اعراضه

عن

وظهوره لنفسه وتوكله في جميع ذلك على ربه قال الامام رضي الله عنه وقال بندار صحبه اهل البدع تورث الاعراض عن الحق وقال بندار ترك ما تهوى لما تؤمل قال الشارح رضي الله عنه فاما قوله صحبه اهل البدع تورث الاعراض عن الحق وقاله بندار وهو صحيح فان النفوس الي الاقتدا بالاعمال اسرع منها الي الاقتدا بالاقوال واذا كان الشخص لا يرى ولا يسمع الا متصرفا بغير السنه في اقواله وافعاله فانست بذلك نفسه واعتادته وربما استحسنته ورات طاعه وعلت همه واما قوله اترك ما تهوى لما تامل فان من لم يكن بهذه الصفه لم يعمل لاخرته ولم ينتقل عن درجته في دنياه وحالته فان الذي تهواه في دنياه ان لم تعرض عنه لم تشتغل بالطاعات التي هي اسباب النجاه ولم تجد لذه الانس بمولاه والمراقبه له في ساير تصرفاته في قلبه وجوارحه فهذه حاله شريفه له في دنياه ولا يصل العبد اليها ويامل الوصول اليها الا ان اعرض عن هواه وكذلك الجزا عليها في اخراه والعبد يامل الوصول الي هذه الجهات وشريف المقامات من ربه في دنياه والجزا من ربه عليها في اخراه فان لم يترك هواه ويتفرغ لها لم ينل شيا مما ذكرناه ولهذا امره بان يترك ما يهوى لما يامل فان ما يامله افضل مما تركه وانفع له في دنياه واخرته قال الامام رضي الله عنه ومنهم ابو بكر الطمستاني صحب ابراهيم الدباغ وغيره وكان اوحد وقته علما وحالا مات بنيسابور بعد سنه اربعين وثلاثمايه قال ابو بكر الطمستاني النعمه العظمى الخروج من النفس والنفس اعظم حجاب بينك وبين الله تعالى قال الشارح رضي الله عنه قوله النعمه العظمى خروجك من النفس قد بينا فيما تقدم ان النفس في اصطلاح القوم يراد بها الاخلاق الذميمه والشهوات الرديه والنعمه العظمى خروج العبد من هذه الاخلاق اي مفارقتها والعبد مهما انه مادام موقوفا مع شهواته محجوبا مستحسنا انه فهو بعيد من الخيرات محجوب بهذه الافات عن الرتب العاليه والدرجات قال الامام رضي الله عنه سمعت ابا عبد الله الشيرازي رحمه الله يقول سمعت منصور بن عبد الله الاصبهاني يقول سمعت ابا بكر الطمستاني يقول اذا هم القلب عوقب في الوقت قال الشارح رضي الله عنه ويريد بذلك العزم على الشرور فان الهم متردد بين خطرات النفس والعزم فاذا عزم العبد على ما لا يرضي الله تعالى لذلك وجدا ثر ذلك في قلبه من الوحشه والغفله وعدم الحضور والرقه هذه عقوبات عاجله يدركها الموفقون من انفسهم فيتوبون منها ويرجعون الي اصلاح قلوبهم وهذا انما يكون لمن جلت رتبته والهمه الله لنقصه ليتداركه بسرعه ويرجع منه الي ربه وفيه دليل على ان العبد يواخذ بعزمه على الافعال بجوارحه وان لم يفعلها ردا على من زعم انه لا يواخذ حتى يفعل بجوارحه فيه رضي الله عنه بكلامه على ذلك قال الامام رضي الله عنه وقال الطريق واضح والكتاب والسنه قايم بين اظهرنا وفضل

Copyright © King Saud University

ومن ثنا تحبلو بفضل الله نقلم قوله عز وجل نزل به روح القدس وايده بالتبليغ وروح القدس
جبريل عليه السلام فيه معنى ملك ان يرد عليه التبليغ جملة العرف جميع على الغير القو

الصحابه معلوم لسبقهم الى الهجره ولصحبتهم فمن صحب منا الكتاب والسنه وتغير
عن نفسه وعن الخلق وهاجر بقلبه الى الله تعالى فهو الصادق المصيب قال الشارح
رضي الله عنه اما قوله رضي الله عنه الطريق واضح والادله عليه قاطعه وهي الكتاب
والسنه صحيح وقوله وفضل الصحابه معلوم فيه تنبيه على ان الصحابه رضوان الله عليهم لا يدركهم
احد من الناس في علم ولو اجتهد كل الاجتهاد لما امتازوا به من صحبة رسول الله صلى الله عليه
وسلم والجهاد معه والهجره اليه فان هذه خواص لا تدرك واما من سلك الطريق الواضح
واقتدى بالكتاب والسنه وعرف فضل الصحابه عليهم واحبهم جميعهم فقد سلك الطريق
المستقيم واصاب الحق وفيه ذم لمن تعرض لبعض الصحابه ببغض او غض من منصبه على الجمله
وقد قال تعالى والذين جاوا من بعدهم يقولون ربنا اغفر لنا ولاخواننا الذين سبقونا بالايمان
ولا تجعل في قلوبنا غلا للذين امنوا فان الله بعد ذكره تعالى المهاجرين والانصار ومدحه لهم
وذكر الذين جاوا من بعدهم وبرائهم من ان يكون في قلوبهم غل لمن تقدمهم بدل قال الامام
رضي الله عنه ومنهم ابو العباس احمد بن محمد الدينوري صحب يوسف بن الحسين وابن
عطا والجريري وكان عالما فاضلا ورد نيسابور واقام بها مده وكان يعظ الناس ويتكلم
على لسان المعرفه ثم ذهب الى سمرقند ومات بها بعد الاربعين وثلاثمايه قال ابو العباس
الدينوري ادنى الذكران تنسى ما دونه ونهاية الذكر ان يغيب الذاكر في الذكر عن الذكر قال
الشارح رضي الله عنه وهذا هو المعبر عنه عندهم بالفنا وثاني الفنا فاذا لم يبق في قلب العبد
وقت ذكره لربه شي من المخلوقات ولا ذكر لها فقد فني عن غير الله وان كان مدركا لكونه
فانيا عن غير الله ومشتغلا بالله فان قوي اشتغاله بربه وكمال جلاله وعظمته حتى غاب
في ذكره عن شعوره بكونه ذاكرا اعني شعوره بنفسه وان كان ذاكرا لربه فقد فني عن
نفسه وهذا هو المعبر عنه بفنا الفنا اي فني عن ذكره لكونه فانيا عن غير الله فجعل الشيخ
رضي الله عنه اول المقامات فنا العبد عن المخلوقات واعلاها فناه عن نفسه شغلا
بذكر ربه قال الامام رضي الله عنه وقال ابو العباس لسان الظاهر لا يغير حكم الباطن
قال الشارح رضي الله عنه يعني بلسان الظاهر ما اثبتته الادله الشرعيه من الحلال
والحرام والمكروه والمندوب والمباح وان هذه الاحكام لا تنافي ما يقع في القلوب
من مواهب الله تعالى والالهام الصحيح وخوارق العادات فان كل ما يقع في القلوب من هذا
القبيل الذي يشهد بصحته ما دلت الادله الشرعيه عليه ودلت اذا كان العبد
مستقيما على اوامره تعالى وبعده عن مناهيه واتباع سنة نبيه عليه السلام ولا
يقع في قلبه الا ما تشهد الادله بصحته فليس مخطوط بلسان الظاهر لا يغير حكم الباطن
اذا كان الباطن صحيحا بل يعضده ويشهد بصحته وفي هذا رد على من يزعم ان العبد يصل الى حاله

٨٦

بلسان عربي ... من كل امه ... من اللوح المحفوظ ... الى الرسول الله صلى الله عليه وسلم
بعباره عربيه والمعبر عنه ... غير عربي وهذا ... منه كلام الله بكلام
جايز ... دلالته على الوجوب ... بعد سلو احد

لا يمكنه مخالفته ما يقع له لكونه عن ربه صحيحا حقا وهذا ان قال قايله وزعم انه يتلقاه
عن ربه ولا يزنه بما جاء به النبي صلى الله عليه وسلم في صحته وفساده فقد تعرض لامر عظيم وخطر
فاحش وهو اقرب الى الكفر منه الى الايمان فانه لا يتلقى عن الله احكامه الا الانبيا ومن
ادعى النبوه لدينه الادله الشرعيه وكتاب الله وسنة نبيه فان الله تعالى قال في كتابه
وخاتم النبيين وقال عليه السلام لا نبي بعدي وهذا وان لم يصرح بانه نبي فما ادعاه ايل اليه
فانه زعم انه يتلقى عن ربه احكامه بنفسه ولا يزنها بالادله الشرعيه حتى قيل لبعضهم لما ذكر
ذلك وان خالف عرضه بالادله الشرعيه قال لا يمكنني مخالفته لانه حق عن الله نعوذ بالله من
هذه الشرور ونزغات الغرور بمنه وكرمه ولا ننكر ان الاوليا يلهمون الى معرفة الحق
والصواب من المندوب والايجاب وينبهون على الخلاص من الحرام والمكروه ولكن انما نعرف
صحة ما يقع لهم بشهادة الادله الشرعيه الثابته عن المويد بالمعجزة صلى الله عليه وسلم
ولا يكون ذلك دليلا على حفظ الله لهم كما قال تعالى كنت سمعه وبصره وبطشه ويؤيده
الحديث قال الامام رضي الله عنه وقال ابو العباس الدينوري نقضوا اركان التصوف
وهدموا سبلها وغيروا معانيها باسامي احدثوها سموا الطمع زياده وسو الادب اخلاصا
والخروج عن الحق شطحا والتلذذ بالمذموم طيبة واتباع الهوى ابتلاء والرجوع الى الدنيا وصولا
وسوء الخلق صوله والبخل جلاده والسوال عملا وبذاءة اللسان ملامه وما هذا كان طريق
القوم قال الشارح رضي الله عنه هذا ذم للمتشبهين باهل التحقيق وليسوا منهم فاخذوا
الاسما الداله على الاخلاق المحموده فوضعوها على رذايل الاخلاق ليمشي لهم ما هم عليه من
الفساد بين العباد وظن الجاهل انه ما سمي به المراد والحق خلافه فقوله رضي الله عنه اوزياده
فان كان زياده فهو عبارة عما يجدونه في انفسهم من التعلق بالمحبوبات والتشوف لما بايدي
غيرهم فيقول بعضهم وجدت عندي زياده لم انكر والزياده المحموده انما هي التعلق بالله
تعالى وذكره وزوال الغفله عنه فسموا هذا النوع بهذا الاسم وان كان معنى الزياده
فهي ان احدهم مضى لاخيه المرتفع عليه في دنياه ليبال منه بعض ما يهواه من طعامه
وغيره ذلك ويتعلل بالزياده لله واما سو الادب اخلاصا فان احدهم يتكلم بين يدي المشايخ
واهل الفضل بما حسن النطق به مما حوى عليه باطنه ويتعلل بكونه مخلصا لا يخفي خلاف ما
يظهر والاخلاص في الطاعات لا ذكر النقايص والمكروهات واما الخروج عن الحق فيجري على
السنتهم كلمات لا توافق الحق ولا تشهد لها الشريعه بالصحه شطحا والشطح عند القوم ما يجري
على السنتهم وقت غلبة الاحوال ويكونوا ماخوذين عن انفسهم معذورين والحفظ مع ذلك
اكمل فكيف بفعله مع الاختيار واما التلذذ بالمذموم اذا اخذ من ما جرى له في صبوته ومخالطته
ايام جهالته استلذ ذلك مع اقرانه من اهل غفلته عبر بهذه الحاله عن الطيبه اي اطلق

زيادة

Copyright © King Saud University

... [illegible] ... اليه ...

يا ايها الناس انتم الفقراء الى الله والله هو الغني الحميد ولا شك في وجوب افتقار الكل اليه سبحانه
ومثال الدلالة على المستقل قوله تعالى لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا احد وقد دل الدلالة على
الحاجة قوله تعالى ... [illegible] ... الخلق ... بذاته وبهذا المعنى ...

نفسه على مقتضى عادته وسجيته من غير خوف حذر وهذا مذموم والطيبة الحقيقية لا تكون
كرامات الاولياء والطاف الله تعالى للاصفياء وبان خوارق العادات وجريانها على الاولياء
في عموم الاوقات فهذا الذكر تطيبا للنفوس وتنشرح الصدور وتقوى اليقين وترقي
في درجات المقربين وقد سيل الجنيد ما فائدة هذه الحكايات التي تتداولها المريدون
بينهم قال يقوي الله تعالى بها قلوبهم فقيل له فما مصداق ذلك والدليل عليه من كتاب الله تعالى
قال قوله تعالى وكلا نقص عليك من انباء الرسل ما نثبت به فؤادك واذا ابتلي الانسان بحب شهوته
وبعد عليه فراقها او التخلي بما يراه يقاسي البلا في معاشرتها فاذا عوتب في ذلك قال انا
مبتلي وترك مجاهدة نفسه والنزوع عن سوء عادته واذا اشتهر العبد منهم في الخيرات
وعرف بالزهد ورفيع الدرجات تعظمه الناس واكرموه ووصلوه بما في ايديهم من الاموال
وبذلوا عند ذلك وصولاته والوصول الحقيقي انقطاع قلبه عن المخلوقين شغلا برب العالمين
فضلا عما في ايديهم من المال او الجاه وان صدق هذا القايل بانه وصل لمقصوده وما يحمل
له اول واذا اخلف احد في عرضه او عوتب في نفسه وما هو عليه من نقص ذلك نفر وتنمر
وتغير على من امره وضجر وتانف مما نسبه اليه وتامر وسمى هذه الحالة صولة والصولة
المحموده انما هي في الاعراض عما لا يرضي الله وتغيير المنكر لله وكذلك اذا سيل الانسان بعض
ما يملكه ولم يرد اخراجه وشح عليه وتكرر عليه السوال ممن ينبغي ان يستحي منه ولا يرد
سواله سمى ارده لشيخه وبخله جلادة اي لا ينخدع بسوال سايل ولا يرجع عن عرضه
لقول قايل وهذه الجلادة مذمومة فانها تدل على قلة الحيا والحرص على الدنيا والجلادة
المحموده الصبر على مشقات الاعمال وما ينزل بالعبد من ربه في اختلاف الاحوال ولا يشكوا
ذلك ولا يضجر ويتحمل ما ينزل به من ربه ويصبر وقوله والسوال علما هو ما حدث في هذه
الازمنة من الدروزة بالزنبيل في الاسواق وليكسر به السالك نفسه ويتذلل بسوال
الارزاق وهذه بدعة لم تعرف في اول الاسلام ولا تليق عن ترك الدنيا زهدا من ذوي
الافهام وكيف يليق بمن يريد ان يرفع همته عن المخلوقين ويكون مشغولا برب العالمين
ان يتعاطى ما ذمته الشريعة من السوال وبذل ماء الوجه من غير دعا حاجة
فادحة تبيح له ذلك وقد ذم النبي صلى الله عليه وسلم واوصى صلى الله عليه وسلم جماعة
من الصحابة بوصيه واسر في اخر وصيته كلمة خفيه فقال لهم ولا تسالوا الناس شيا
قال الراوي للحديث فلقد كان بعض اوليك القوم يسقط سوطه من يده وهو على دابته
فلا يسال احدا ان يناوله اياه وينزل وياخذه بنفسه والخبر الصحيح ان المسلة في وجه
صاحبها يوم القيمة كدوح او خموش وقوله بذاء اللسان بلا ميم هو ان يطلق لسان الرجل
على اخيه بما يوذيه ويذكر نقايصه وما هو عليه من سوء اخلاقه ويكشف ما هو مستور منه

لغيره

... [illegible] ... عبارة عن ... بذاته ... وكونه نقليا لا اعتبار ... قيام العلم
به نقلي وكونه نقليا حيا عبارة عن قيام الحياة بذاته فعلي وكونه نقليا سميعا عبارة عن قيام السمع به
نقلي وكونه نقليا بصيرا عبارة عن قيام البصر بذاته نقلي وكونه نقليا متكلما عبارة عن قيام الكلام
بذاته العلية بلا حاصل ... معنى له الصفات المعنوية ... الصفات المعاني ...

يقول قال النصراباذي اصل التصوف ملازمة الكتاب والسنة وترك الاهوا والبدع وتعظيم
حرمات المشايخ ورؤية اعذار الخلق والمداومة على الاوراد وترك ارتكاب الرخص
والتاويلات قال الشارح رضي الله عنه وهذا صحيح فان اتباع الكتاب والسنة
مطلب
اصل كل طاعة فاضلة كانت او مفضولة وترك البدع تخلص من كل شر سواء كان كفرا
او معصية او مكروها وتعظيم حرمات المشايخ تبع لحق الله تعالى وتعظيم لمن عظم فان المشايخ
عبارة عن قوم كمل لهم العلم والعمل وقاموا بالواجبات وترقوا في اعلى الدرجات من المندوبات
واعرضوا عن المشغلات من المباحات فضلا عن غيرها من المكروهات ودرجتهم
عند الله عظيمة ولا بد من تعظيم ما عظم الله واذا كان تحصل الايمان له في الرتبة مما فيه
من الفضيلة عند الله كما حكي ان عمر بن الخطاب رضي الله عنه اتى يوما الكعبة فقال ما
اجلك واشرفك واعظم حرمتك والمومن اشد حرمة منك فكيف بمن حصلها من كمال
الاحوال والاخلاق والشغل بالله تعالى عن غيره واما رويه اعذار الخلق فدليل على كمال
المعرفة بانفراد الحق بالافعال وخروج غيره من خلقه عن القدرة على احداث ذرة من
مثقال ولا يجري عليهم في ساير تصرفاتهم الا ما قدره الكبير المتعال فاذا علم ذلك العبد
وتحققه عذر جميع الخلايق فيما يبدو منهم من التقصير في حقه وغيره لعلمه بعجزهم
عن تحصيل ما يصلحهم ودفع ما يوذيهم عنهم بانفسهم ومع هذا كله يقيم الحدود ويغير المنكرات
ويوجب عليهم ما اوجبه الله تعالى من الواجبات ويودبهم فيما امره الله بتاديبه عليه كل
ذلك امتثالا لامر ربه وهذا هو الصراط المستقيم الذي هو ادق من الشعر واحد من
السيف اثبات الكسب للعبيد ونفيهم من الافعال بدلالة العقل والشرع العتيد
واما الملازمة على الاوراد فاصل كبير في توالي الالطاف وحياة القلوب واستقامتها
عن الانحراف وذلك ان الله سبحانه جعل الليل والنهار خلفة لمن اراد ان يذكر او اراد شكورا
فاذا دام الانسان على اوراده التي رتبها في عبادة ربه من المندوبات وداوم على ذلك
ولم يخل به في شي من الاوقات ترقى في الدرجات ونار قلبه بذكر الله تعالى وقربه ربه الى
ربه افضل درجات الولاية كما قال سبحانه على لسان نبيه ولا يزال العبد يتقرب الي
بالنوافل حتى احبه فاذا احببته الحديث واما ارتكاب الرخص والتاويلات فبعيد من هذه
الحالات الموصوفات فانهم لا يعنون بالرخص الفطر والقصر واكل الميتة عند الضرورة
وما جرى مجراه مما رخص الشرع فيه وانما يعنون الميل الى الرخصات المباحات والتنعم
بانواع الملذوذات من الاطعمة والمشروبات وترك الافعال المندوبات التي لم يوجبها
الشرع ولا جعل ارتكابها من المكروهات فهذا النوع هو الذي يعبر عنه بالرخص التي
وسع الشرع لعباده في تعاطيها ولم يمنعهم منها وهي مباحات واما التاويلات فهو ان العبد

دائم بالذات العلية صور المعاني وبالله التوفيق فرده ومعاينه يحيله دفه فهل عنه ماعنه وفي الصداد
الصحيح لا وجود في العدم والحدث وكمال التفضيل لما فرح الشيخ رضي الله عنه من الصغير الواجبات
شرع بعده العشر بين المتخيلة ورتبها على حسب شرتيبها ضد احدها الواجبة بالعدم

يتاول في نفسه انه لا اثم عليه في فعلها بل في تركها ويغفل عن كونها محتويًا عليها مرغبا
فيها لنيل الدرجات العاليات وكمال القرب من خالق الارض والسموات قال الامام رضي الله
عنه ومنهم ابو الحسن علي بن ابراهيم الحصري سكن بغداد عجيب الحال واللسان شيخ الحصري
وقته ينتمي الى الشبلي مات ببغداد سنة احدى وسبعين وثلاثمائة قال الحصري الناس
يقولون الحصري لا يقول بالنوافل وعلي اوراد من حال الشباب لو تركت منها ركعة لعوتبت
قال الشارح رضي الله عنه وهذا يدل على كمال اجتهاده وتحسسه لزيادته ونقصه
وانه لابد لكل العابد من الحق عند تقصير الاخواص الخلق كما قال بعضهم اني لا اعصي الله تعالى
فاعرف ذلك في خلق حماري وخادمي والذي انقطع شسع نعله في مضيه للجمعة لما اخل
بالغسل لها فتحسس لما جرى عليه من طريقة في الخلل في مضيه الى الجمعة فتنبه انه لما اخل
احل به لما فوت ادب الغسل اخر عن البكور مقدار ما اصلح نعله ثم اغتسل لياني بكمال نفله
قال الامام رضي الله عنه وقال من ادعى في شي من الحقيقة كذبته شواهد كشف البراهين
قال الشارح رضي الله عنه والحقيقة عند القوم غلبة حال المحقق على القلب فمن
ادعى نيل شي وانه وصل الى حقيقته ولم يظهر عليه دلايل صدقه في احواله كانت احواله
مكذبة له فيما ادعاه من نيلها ودليل ان الحقيقة عند القوم ما اجاب به حارثة النبي صلى
الله عليه وسلم لما قال له النبي صلى الله عليه وسلم كيف اصبحت فقال اصبحت مومنا حقا
فقال له عليه السلام ان لكل حق حقيقة فما حقيقة ايمانك فاجابه بالله عزفت نفسه
عن الدنيا فاستوى عنده ذهبها ومدرها وهذه اثار حقيقة ايمانه كغفانه الدنيا وكاني
انظر الى عرش ربي بارزا والى اهل الجنة واهل النار الحديث وهذه حقيقة الايمان
بما في الاخرى وقوله فاظمات لذلك نهاري واسهرت ليلي معناه انه اذا اعرض عن الدنيا
واقبل على اعمال الاخرى فكل من ادعى حقيقة شي ولم تشهد حاله بصحة دعواه كانت حاله مكذبا
مكذبا لمن ادعى الزهد في الدنيا وانه لاحظ فيها ثم كان ظاهره مشغولا بالشح والتلذذ
بالمطعومات ودايم الكسل والراحات ودايم الحرص على اقامة الجاه والحرمة ونفوذ الكلمات
كذبته شواهد حاله فيما ادعاه وكذلك من ادعى التوكل وغيره من المقامات على نحو ما ذكرناه
من التنبيهات قال الامام رضي الله عنه ومنهم ابو عبد الله احمد بن عطا الروذباري
ابن اخت ابي علي الروذباري شيخ الشام في وقته مات بصور سنة تسع وستين وثلاثمائة
سمعت محمد بن الحسين رحمه الله يقول سمعت علي بن سعيد المصيصي يقول سمعت احمد بن
عطا الروذباري يقول كنت راكبا جملا فغاصت رجلي الجمل في الوحل فقلت جل الله
فقال الجمل جل الله قال الشارح رضي الله عنه وهذا اجرى الله سبحانه فيه ان اجرى الله على لسان
الجمل لفظا نبههم به ان ساير الحيوانات تسبح الله وتقدسه بلغتها ويكون الخارق

لتنبيه

... بل يكون ... العلية ... الصحيح ... ضد المعقلة ... المماثلة للحوادث
التي هي ضد العالية الواجبة وذكر المماثلة ... فهذا تعبير لمعنى المماثلة المستحيلة
يتعيين ... المماثلة على انواع منها ... حقيقة ...
... المخلوقات ... لتنبيه ...

لتنبيه هنا ان اسمعه الله بلسان هذا الجمل ما اجرى به على لسان بني ادم وقد قال تعالى وان من
شي الا يسبح بحمده ولكن لا تفقهون تسبيحهم وقد يكون الخارق فهمه لتسبيح الجمل بلغته
فاخبر عما فهم وان لم يكن بلسان عربي كما كان سليمان صلوات الله على نبينا وعليه يفهم
منطق الطير كما قال تعالى علمنا منطق الطير وقال تعالى واذا قالت نملة يا ايها النمل ادخلوا مساكنكم
لا يحطمنكم سليمان وجنوده فهم كلامها وسال الله ان يرزقه شكر ما انعم به عليه قال الامام
رضي الله عنه وكان ابو عبد الله الروذباري اذا دعى اصحابه الى دعوة في دور السوقة ومن ليس
من اهل التصوف فلا يخبر الفقرا وكان يطعمهم شيئا فاذا فرغوا اخبرهم ومضى بهم فكانوا
قد اكلوا في الوقت فلا يعلمهم ان يمدوا ايديهم الى طعام الدعوة الا بالتعزز وانما كان يفعل ذلك
لئلا يسيء ظنون الناس بهذه الطايفة فيأثمون بسببهم قال الشارح رضي الله عنه
وهذا منه رضي الله عنه لان السوقة وعوام الناس لا يعرفون من العبادات الا الاعراض عن الطعام
وقلة المنام فخشي رضي الله عنه اذا راوا شرههم في الاكل فانهم الغالب عليهم الجوع في اكثر احوالهم
والاكتفا بما تيسر من الطعام كاينا ما كان يابسا او رطبا وكيف ما تيسر فاذا انتفق لهم بعض
المحبين اطعمة طيبة واقبلوا عليها فاذا تزداد الجوع ظهرت رغبتهم في الاكل وشدة شرههم
فيه فيستنقصهم من يشاهدهم ممن يعتقد ان العبادة ما ذكرناه من ملازمة الجوع مطلقا
وترك الشهوات فاراد هذا الشيخ ان يحفظ قلوب هولاء العوام من السوقة من اساءة
الظن باهل هذه الطايفة بخلاف غيرهم من اهل هذا الشان اذا يسر لهم الاطعمة الطيبة وراى
انبساطهم في اكلها وكثرة استراحتهم في ذلك الوقت ازداد سروره وفرحه لعلمه بما ادخله
عليهم من الراحات ويكونهم استحلوا طعامه وانبسطوا له بحسن النيات وذلك بما يعرفه
من احوالهم في عموم الاوقات وكذلك يحكى عن ابي مدين شعيب الذي كان ببجاية رحمه
الله انه كان اذا دعي اصحابه الى دعوة امر خادمه ان ييسر لهم اسفنجا وعسلا يعني زلابية
واطعمهم قبل مضيهم ليذهبوا وقد انكسرت سورة جوعهم واكلوا طيبا قبل مضيهم ليذهبوا
وقد انكسرت سورة جوعهم واكلوا طيبا قبل مضيهم ليذهبوا وقد انكسرت سورة جوعهم
واكلوا طيبا قبل مضيهم فلا يقدمون على الطعام الا بادب وعزة نفوسهم كما فعل الروذباري
رحمهم قال الامام رضي الله عنه وكان ابو عبد الله الروذباري يمشي على اثر الفقرا يوما
وكذا كان عادته ان يمشي على اثرهم وكانوا يمضون الى دعوة فقال انسان بقال هولا
المستحلون وبسط لسانه فيهم فقال في اثنى كلامه ان واحدا منهم استقرض مني
مائة درهم ولم يردها ولست ادري اين اطلبه فلما دخلوا دار الدعوة قال ابو عبد
الله الروذباري لصاحب الدار وكان من محبي هذه الطايفة ايتني بمائة درهم ان اردت
سكون قلبي فاتاه بها في الوقت فقال لبعض اصحابه احمل هذه المائة الى البقال وقل

يشتي جيطا ويجمع على اجزاء لها مقادير فتشعل قبر الغافوته لو يكون عرضا بمثل بالجمع
وبعد ايضا من انواع العاملة الفعيلة وهي كونه تقبل عرضا ومغيف فتنهر الحر
بالجمع لا يجب ان يقوم بجسمه وذلك من ليطلق زيد الكعيم والواجم والعواج والحركات

له هذه المايه التي استقرض منك بعض اصحابنا وقد وقع له في التاخير عذر وكذ بعثنا
الان فاقبل عذره فمضى الرجل وعمل ما دعوا من الدعوه اجتاز دكان البقال فاخذ
البقال في ملحهم ويقول هاولا السادة الثقاه الامنا الصلحا وما في هذا الباب قال
الشارح رضي الله عنه وفي هذه الحكاية ونقله اليه من الاداب وحفظ القلوب للعامه والخاصه
وحفظ احوال المريدين ما ننبه عليه وذلك ان مشى الشيخ خلف اصحابه فيه نوعان من الخير
احدهما تواضعه وتاخيه ولا يكون متقدما متبوعا والثاني انهم اذا كانوا امامه لاحظهم ببصره
واستشعروا ذلك فلزموا الادب بين يديه بخلاف ما لو كانوا خلفه لغلب على ما ضعف
منهم المعتاد واشتغل بمزح او غيره مما يجري بين العباد ومقصود الشيخ انه يلازم الادب
في كل الاحوال واما ما سمعه من هذا الفامي وهو البياع من ذم هذه الطايفه بسبب
من اقترض منه قرضا ممن تشبه بهم او ينتسب اليهم وعاد عن هذا الفامي غيبه
طويله حتى غلب على ظنه انه اخذ ماله واكله فانطلق لسانه بما انطلق فلم يحمل هذا الشيخ
سماع سب هذا الجنس على الجمله وراه امرا عظيما في حق القايل ومن سمعه ولا سيما
اذا كان ذمه لمثل هذا الفعل الذي لا يستبق الناس العذر في تاخيره فلما سمع ذلك
اراد ان يحفظ قلب الفامي ويصون عرض هذه الطايفه فلما وصل منزل من هو محب
لهذه الطايفه شديد الرغبه في اكرامهم لما يعلم من فضلهم انبسط مع صاحب الدار
في طلب المايه درهم لعلمه لسروره بذلك ويسر عليه فلما اتي بها ارسلها مع بعض
الفقرا الى الفامي واوهمه انها من جهة ذلك المقترض وانما كان لهم في تاخيرها عذر
فاقبل عذره وهذا كله حسن تصرف وكمال ادب وحفظ للقلوب للمسلمين عن اساه الظن
قال الامام رضي الله عنه وقال ابو عبد الله الروذباري اقبح من كل قبيح صوفي شحيح
قال الشارح رضي الله عنه وهذا صحيح فان اول درجات التصوف الاعراض عن الدنيا
حلالها وحرامها ليندفع عنه في اعراضه عنها ساير الاخلاق المذمومه والشح من
جملتها ويتفرغ للتخلق بالاخلاق المحموده من التوكل والرضا والتسليم والمراقبه والمحبه
والانس وغير ذلك من درجات المقربين فاذا تخلق بهذه الصفات المحموده وتخلا
عن الصفات المذمومات فحينيذ يسمى صوفيا فاذا اخل باول الدرجات وهو اعراضه
عن الدنيا الحرام كان اقبح القبيح من الصفات فان الشح هو ان يشح الانسان على نفسه بالمال
لكمال محبته له فضلا عن ان يعطيه لغيره وبهذا كان اقبح من كل قبيح صوفي شحيح يماني به
على نفسه لمحبته له وحرصه عليه والله المستعان قال الامام رضي الله عنه
هذا ذكر جماعه من شيوخ هذه الطايفه وكان الغرض في ذكرهم في هذا
الموضع التنبيه على انهم مجمعون على تعظيم الشريعه متصفون بسلوك طرق الرياضه

الجنس

٢٠
شحيحه

تقرب ان كل مخلوق مختصر الاجزاء والاجرام الموجودة بالنسبة الى الجملة المختص
ارجعه افضل وهو غير الحلول العاقل وعن مرتا جلوحه وفيه مفتقر الذات
والفاعل سوالا خلق ابدا العالم الغايه بالاجزاء لاستحالة منتظما عنصر

مقيمون على متابعة السنه غير مخلين بشي من اداب الديانه متفقون على ان من خلا
من المعاملات والمجاهدات ولم يبن امره على اساس الورع والتقوى كان مفتريا على
الله سبحانه فيما يدعيه مفتونا هلك في نفسه واهلك من اغتر به ممن ركن الى اباطيله
ولو تقصينا ما ورد عنهم من الفاظهم وحكاياتهم ووصف سيرهم مما يدل على احوالهم
لطال به الكتاب وحصل منه الملال وفي هذا القدر الذي لوحنا به في تحصيل المقصود
غنيه وبالله التوفيق واما المشايخ الذين ادركناهم والذين عاصرناهم وان
لم يتفق لنا لقاؤهم مثل الاستاذ الشهيد لسان وقته واوحد عصره ابي علي الحسن
ابن علي الدقاق رحمه الله والشيخ الاجل شيخ وحده في وقته ابي عبد الرحمن السلمي
رحمه الله وابي الحسن علي بن جهضم مجاور الحرم والشيخ ابي العباس القصاب الطبري
بطبرستان واحمد الاسود بالدينور وابي القاسم الصير في بنيسابور وابي سهل
الخشاب الكبير بها ومنصور بن خلف المغربي وابي سعيد الماليني وابي طاهر الخرندي
قدس الله ارواحهم وغيرهم فلو اشتغلنا بذكرهم وتفصيل احوالهم لخرجنا عن المقصود
بالايجاز وغير ملتبس من احوالهم حسن سيرهم في معاملاتهم وستورد من حكاياتهم
طرفا في مواضع من هذه الرساله ان شا الله عز وجل ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم
قال الشارح رضي الله عنه مقصوده هذا الفصل التعريف بان ايمة هذا الشان في طرائق
السلوك والمجاهدات في الاعمال والمقامات ومقصوده في الفصل الاول موافقتهم
لاهل السنه في اعتقادات القلوب وفي هذا الفصل اعمال القلوب واحوالها ومجاهده
الابدان واشغالها عن عاداتها ان ذلك جميعه جار على مقتضى العلم واتباع السنه
ولم يعملوا في سلوكهم وساير اعمالهم الى بدعه فحصل من مجموع الفصلين موافقتهم للصحابه
والتابعين ومن معهم باحسان في عقايد القلوب وعلومها واعمال الجوارح وشريف
ما نالوه من درجاتها وقد وعد بان يكمل ذلك في الابواب التي ياتي ذكرها ان شا الله تعالى
وبيان من سكت عن الكلام في احواله من شيوخه الذين لقيهم ورواعهم مثل الشيخ ابي
علي الدقاق والشيخ ابا عبد الرحمن السلمي ومن سمع معهم ونقل كراماتهم وما نالوه من شريف
مقاماتهم انما حمله على ذلك خوفا من طول الكتاب وتركا للتسامه والملال قال الامام
رضي الله عنه باب تفسير الفاظ تدور بين هذه الطايفه وبيان ما اشكل
منها اعلم ان من المعلوم ان كل طايفه من العلما لهم الفاظ يستعملونها انفردوا بها عمن سواهم
تواطوا عليها لاغراض لهم فيها من تقريب على المخاطبين بها او تسهيل على اهل تلك الصنعه
في الوقوف على معانيهم باطلاقها وهذه الطايفه يستعملون الفاظا فيما بينهم قصدوا
بها الكشف عن معانيهم لانفسهم بعضهم من بعض والاجمال والستر على من باينهم في طريقتهم

الخرندي

وسيرهم

تواطوا

[illegible] موجود [illegible]
ولا يحتاج الى العلل وهي جمعا تتجاوزه [illegible] قوله لم يكون جنة للجميع وهو ايضا
من انواع العطالة المتخيلة وهو كونه تعالى جنة للجميع [illegible] انه تعالى [illegible]

لتكون معاني الفاظهم مستبهمة على الاجانب غيرة منهم على اسرارهم ان تشيع في غير اهلها
اذ ليست حقايقهم مجموعة بنوع تكلف او مجلوبة بضرب تصرف بل هي معان اودعها
الله قلوب قوم واستخلص لحقايقها اسرار قوم ونحن نريد بشرح هذه الالفاظ تسهيل
الفهم لمن يريد الوقوف على معانيها من سالكي طرقهم ومتبعي سنتهم قال الشارح رضي الله
عنه قوله رضي الله عنه معلوم ان كل طايفة من العلما تواطئوا على الفاظ بينهم قصدا
للتعريف للافهام وجمعا لما تشتت من الكلام وكذلك ان اهل الاصول اصطلحوا على اطلاق
العالم والحيز والوقت والجوهر والكون والحال وما جرى مجرى هذه الالفاظ بمعاني ارادوها
فيما بينهم وربما وافق بعضها مقتضى اللغة على وضعها الحقيقي وربما تجوزوا بها لمشابهة بينها
وبين الحقيقة اما بالزيادة او النقص او النقل وكذلك الفقها اصطلحوا على معاني في فنهم وكذلك
ارباب الاشغال والصنايع كل صنف من الناس اصطلحوا على اسما وضعوها لانهم وما
يحتاجون الى تعريفه فيما بينهم وهذه الطايفة سلكوا ذلك المسلك وربما اطلقوا المعاني التي
اطلقوها تواضعا فيما بينهم واصطلاحا وربما استعاروها من وضع اللغة لنوع مشابهة
بين ما ارادوه والوضع الاصلي يقول الامام رضي الله عنه انهم انما تعلقوا بذلك لاستتار احوالهم
وما منح الله تعالى عليهم به في سرايرهم من الدرجات وسني المقامات في الولايات خوفا من شيوع
ذلك في غيرهم لئلا يفهمه من سمعه ولا يعرف المراد به فيقع فيهم لجهله بما ارادوه فيهلك
وايضا فان معاني القلوب الموهبية والتعريفات الالهية هي مختصة بواحد واحد ممن وهب
الله له ذلك فاهل هذا الشان متفاوتون في السلوك وفي المواهب الا انهم يتفاوتون في الفتح
فيما لبعضهم بعض ما ناله الاخر ويزيد على بعض وكلامهم انما هو لتعريف من لم ينل ما ناله
صاحبه وتعريفه الدرجات العالية باشارة لطيفة يفهم منها المقصود ولهذا المعنى
وغيره ستروه عن غيرهم وكشفوه فيما بينهم لزيادة انتفاع بعضهم من بعض والاشارات
بما اختص به بعضهم عن بعض فيعرف بما ناله ما اشار به صاحبه والله اعلم قال الامام رضي
الله عنه فمن ذلك الوقت حقيقة الوقت عند اهل التحقيق حادث متوهم علق حصوله
على حادث متحقق فالحادث المتحقق وقت للحادث المتوهم تقول اتيك راس الشهر
فالاتيان متوهم وراس الشهر حادث متحقق فراس الشهر وقت الاتيان قال الشارح
رضي الله عنه ما ذكره الشيخ ها هنا في الوقت جار على اصطلاح اهل الاصول من المتكلمين
فانهم قالوا الوقت وكذلك الزمان مقارنة حادث لحادث وبهذا الاعتبار كان الحق
منزه عن الزمان فان الكل حوادث وزاده الامام بسطا بان قال الوقت عبارة عن حادث
متحقق لحادث متوهم والمراد بالمتحقق ما يحدث ولا بد وبالمتوهم ما يصح ان يكون وان
لا يكون فاذا قال اتيك الظهر او زوال الشمس فزوال الشمس حادث متحقق اي لا بد من كونه

ويجيه

[illegible] وعن شماله [illegible] وخلقه [illegible] ان ذلك كله من صفات الاجرام
منزه عن ذلك بجارحة يبصر بها [illegible] شي وهو السميع البصير قوله [illegible]
من انواع العطالة [illegible] عليه تعالى [illegible] اثبات الجهة له [illegible] من الاجرام [illegible]

ونجيه لذلك الوقت يصح ان يكون ويصح ان لا يكون فزوال الشمس وقت للمجي به [illegible] رضي الله
عنه ان اهل هذا الشان اطلقوا الوقت بمعان اخر الا انها لا تخرج عن هذا الاصطلاح
بالكلية قال الامام رضي الله عنه سمعت الاستاذ ابا علي الدقاق رحمه الله يقول الوقت ما
انت به ان كنت بالدنيا فوقتك الدنيا وان كنت بالعقبى فوقتك العقبى وان كنت بالسرور
فوقتك السرور وان كنت بحزن فوقتك الحزن يريد بهذا ان الوقت ما كان الغالب على
الانسان وقد يعنون بالوقت ما هو فيه من الزمان فان قوما قالوا الوقت ما بين الزمانين
يعني الماضي والمستقبل ويقولون الصوفي ابن وقته يريدون بذلك انه مشتغل بما هو اولى
به في الحال قايم بما هو مطالب به في الحين وقيل الفقير لا يهمه ماضي وقته واتيه بل
يهمه وقته الذي هو فيه وقيل الاشتغال بفوات وقت ماض تضييع وقت ثاني
قال الشارح رضي الله عنه قوله الوقت ما غلب على الانسان في حالته الذي هو فيه
من النوازل من القبض او البسط او السرور او الحزن فسموا الوقت باسم ما يلازمه
وذلك ان الانسان لا يخلوا من زمن يكون فيه اذ الازمان ثلاثة ماض ومستقبل وحال
فلما غلب عليه في وقته الذي هو فيه ما ذكرناه من احد هذه المعاني اطلق عليه ان المعنى
وقت وقد يطلقون الوقت على ما ذكرناه من الزمن الذي هو فيه ويقولون الوقت سيف
يعني ان لم تقطعه بخير قطعك يعني بغفلة او بتلاف امر فبهذا الاعتبار كان مشغولا
بوقته الذي هو فيه يعني بعمارة وقته فاطلقوا هذا الوقت على ما ارادوه اهل الاصول
فان الزمن الذي هو فيه حادث محقق وشغله في وقته حادث متوهم فصار
الوقت ظرفا لما اشتغل فيه ولهذا قال الصوفي ابن وقته لا التفات له الى ماض ومستقبل
ولذلك قالوا الفقير لا يهمه ماضي وقته واتيه بل يهمه وقته الذي هو فيه يعني عمارة
وقته بما هو اولى به قال الامام رضي الله عنه وقد يريدون بالوقت ما يصادفهم من تصريف
الحق لهم دون ما يختارون لانفسهم فيقولون فلان بحكم الوقت اي انه مستسلم
لما يبدو له من الغيب من غير اختيار وهذا فيما ليس لله عليهم امر او اقتضا بحق شرع اذ
التضييع لما امرت واحالة الامر فيه على التقدير وترك المبالاة بما يحصل منك من التقصير
خروج عن الدين قال الشارح رضي الله عنه وهذا الذي اطلقوه في الوقت يرجع
الى ما يصرفهم الحق فيه مما سبقت به المقادير واي حال اقامهم الحق فيه من قبض او بسط
او خير او شر سموه وقتا وذلك لاشتغالهم بما هو فيه من الزمن الذي [illegible] التصريف
يرضى صاحب هذا الوقت بكل ما اقامه الحق فيه ما لم يكن للشرع عليه فيه اعتراض
بالتعريف او الكراهة والاخلال بواجب فان العبد مامور بالتسليم لذلك والندم عليه والعبد
منه ان امكن فان العبد اذا قال انا راض بما اقامني الحق فيه من الوقت على الاطلاق لزم

دابعد

الحوال القبض والبسط الشال من صفات الاحوال وهو فعل ملبس نحن ومن اعتقه الحقيقة
في حقيه تعلق فقيل انه كالحر وقيل انه لبس يمتنع قوله او يتقيد بغلاء الحر زمان وفيه
انه يستحيل احراء نقل على العقلاء كالعرض مثلا لا عنه صورته لا يتقيد بها

ان برضى وقتا باخلاله الواجبات ووقتا بارتكابه المحرمات فان جميع ذلك من تصريف الحق في الخلق ومن استرسل في ذلك خرج عن الدين بالكلية وعمل بهوى نفسه والصلال عن الحق قال الامام رضي الله عنه ومن كلامهم الوقت سيف اي كما ان السيف قاطع فالوقت بما يمضيه الحق ويجريه غالب وقيل السيف لين مسه قاطع حده فمن لاينه سلم ومن خاشنه اصطلم وكذا الوقت من استسلم لحكمه نجا ومن عارضه بترك الرضى انتكس وتردى وانشدوا :. وكالسيف ان لاينته لان متنه :. وحداه ان خاشنته خشنان :. ومن ساعده الوقت فالوقت له وقت ومن ناكده الوقت فالوقت عليه مقت قال الشارح رضي الله عنه ومن كلامهم الوقت سيف اي يشبهوا ما يجري الحق على العبد وينفذ له ما ضي لا يدفعه وقوعه واذا كان كذلك فوظيفة العبد الصبر تحت جريان المقدور حتى ينجلي ويقبل ذلك بالرضى فان التسخط لا يزيل عنه شيا من القضا وبهذا الاعتبار يلاين السيف وبالتسخط والمعاندة يكون مخاشنا له فجعلنا الوقت كالسيف تشبيها به وكان السيف من اجرى يده على متنه وهو وسطه واعتدل معه نجا وكان من خاشنه ووضع يديه على حديه خاشنه وقطعه وهذا هو معنى الشعر وهو قوله وكالسيف ان لاينته لان متنه وحداه ان خاشنته خشنان وهذا انما يحسن ويكون وقتا محمودا فيما يجريه الله تعالى من البلايا والعوائق وتاخر الارزاق وتيسيرها وغير ذلك مما يصح الرضى به وكذلك ما طلبه العبد من المقامات وتعرض له من اعالي الدرجات فلم يجره له الاقدار فحقه الرضا به بحسن القبول والاختيار وكذلك ما يطرق القلب من القبض والحزن والتشويش والتغرب للهم نحو العبد العبر ولزوم الادب والتحسس بما يجريه الله من السبب ويدع عنه القلق والضجر فان ذلك يمنعه من الراحة في الحال وربما يحجبه عن نيل مراده في الاستقبال قال الامام رضي الله عنه وسمعت الاستاذ ابا علي الدقاق رحمه الله يقول الوقت مبرد يسحقك ولا يمحقك يعني لو محاك وافناك لتخلصت حين ضيعت لكنه ياخذ منك ولا يمحوك بالكلية وكان ينشد كل يوم يمر ياخذ بعضي يورث القلب حسرة ثم يمضي . وكان ينشد كاهل النار اذ نضجت جلودهم اعيدت للشقاء لهم جلود . وفي معناه ليس من مات فاستراح بميت انما الميت ميت الاحياء قال الشارح رضي الله عنه وقوله الدقاق رضي الله عنه الوقت مبرد يسحقك ولا يمحقك يعني ان ارباب الاوقات فيهم بقايا يدركون بها احوالهم التي اقيموا فيها فيشغلهم ذلك عن ادراك غيرهم فباعتبار عدم ادراكهم لغيرهم سحقوا وباعتبار ادراكهم لانفسهم لم يمحقوا ولو قويت عليهم احوالهم واصطلموا عن انفسهم بالكلية لمحقوا ولهذا انشد كل يوم يمر ياخذ بعضي يورث القلب حسرة ثم يمضي . وذلك انه يشتغل بما هو فيه عن احكام نفسه وادراكه لغيره من الموجودات والحادثات ويغيب عن شواهده

بما

الا محقق البيان فهو فعل لا جله مخلوف كالجاري ولا يفارقه كالبسه كما يلا حقه ولو حل
بمكان لحل عنه احتاج الى المكان ولو احتاج الى المكان لعجز عن تكوين المكان وغيره وكل كاين
في مكان لا يخلو من ثلاثة اوجه اما ان يكون صغيرا للمكان او مقدرا بقدر المكان او اكبر منه

عما بدا له في وقته فاذا انفصل عنه وارثه حسن نسي الوارد وقت شغله عن لداته واحساسه بشاهده واستغرق قلبه مدده ولم يستوفه بالكلية ثم انفصل عنه بحسرته على عدم دوامه وكمال استغراقه ولذلك شبه حاله بما ورده في قوله كاهل النار اذ نضجت جلود اعيدت للشقا لهم جلود ومعناه ان راحتهم وعذابهم لا يدوم لتغير احوالهم وبهذا الاعتبار قال في البيت الثالث ليس من مات فاستراح بميت اشاره الى كمال الاستغراق والفناء عن نفسه وانما الميت ميت الاحياء اشاره الى تبدل احواله وسحقه بالحال دون محقه قال الامام رضي الله عنه والكيس من كان بحكم وقته ان كان وقته الصحو فقيامه بالشريعة وان كان وقته المحو فالغالب عليه احكام الحقيقة قال الشارح رضي الله عنه والكيس انما هو راجع الى حال الصحو خاصة فانه في احوال الصحو مطالب بما يتصرف فيه ويجريه الحق عليه بملازمة احكام الشريعة واما اذا كان في المحو تغلب عليه احكام الحقيقة وغاب عن ادراك نفسه بالكلية فهو مشغول بالحق عن الخلق وكماله ان لا يجري عليه في حال غلبة الحال ما يخالف الشريعة وان كان الغالب عليه الشغل بالله تعالى والاعراض عن نفسه فلا احساس له بغير الحق ولهذا قال والغالب عليه احكام الحقيقة اي مشغولا بما هو فيه ولا يجري عليه الحق في هذه الاحوال الا ما يخالف الشريعة فخرج عن محمود ذلك انهم يطلقون الوقت على ما غلب من الحال وعلى ما كان من الزمان وعلى ما يصرف الله العبد فيه من الاقدار بغير اختيار وبعنوا الوقت بانه سيف باعتبار انه يقطع عن العبد فان لم يقطعه بخير انقطع عمره بغفلة وبعنوا الوقت بانه مبرد يعني انه لا يستغرق العبد حتى يغيب عن احساسه بل لا بد ان يدرك ما هو فيه من عمل او غلبة حال او تصريف الحق ولو استغرق واصطلم بالكلية لم يسم وقتا قال الامام رضي الله عنه والمقام ما يتحقق العبد بمنازلته من الاداب مما يتوصل اليه بنوع تصرف ويتحقق به بضرب تطلب ومقاساة تكلف فمقام كل احد موضع اقامته عند ذلك وما هو مشتغل بالرياضة له وشرطه ان لا يرتقي من مقام الى مقام اخر ما لم يستوف احكام ذلك المقام فان من لا قناعة له لا يصح له التوكل ومن لا توكل له لا يصح له التسليم وكذلك من لا توبة له لا تصح له الانابة ومن لا ورع له لا يصح له الزهد والمقام بضم الميم هو الاقامة كالمدخل بمعنى الادخال والمخرج بمعنى الاخراج فلا يصح لاحد منازلة مقام الا بشهود اقامة الله تعالى اياه بذلك المقام ليصح بنا امره على قاعدة صحيحة قال الشارح رضي الله عنه المقام والمقام لغتان الحدهما موضع اقامة كما قال تعالى ان المتقين في مقام امين ويطلق على نفس الاقامة وهو المقام وان كان المقام بضم الميم قد يطلق على الشخص ايضا بمعنى المقيم في امر فهو مقام وقد قال تعالى حسنت مستقرا ومقاما يعني موضعا وحالا فالمقام على الاول الموضع الذي اقام الله

Copyright © King Saud University

ولمن كان لمن صحبته جاز عليه التمييز والخصوصية بالجهات فكان وجوده على التقدير
وجود على الكلاف فليميز ان يكون جسمًا وبهذا تنبه استحالة تقييد وجوده
بالزمان لان وجوده تعلى كلف الزمن الزمان حادث فانه عبارة عن حركة الفلك

العبد فيه ويشغله بالتخلق به وتعلمه والتدرج فيه الى ان يكمل وبهذا يقع الفرق بين المقامات
والاحوال لان المقامات عندهم ما ينال بالتكسب ويطلب الى ان يكمل العبد فيه والحال ما يطرق
القلب من مواهب الرب وشرط هذا المشتغل بمقامه ان لا يتشوف الى مقام ارفع
من مقامه الذي هو فيه حتى يحكمه فان اشتغاله وتعلق همته بالاعلى يشغله عن كمال ما هو
فيه ويعمي عليه آفات ما هو فيه وذلك ان العبد انما يطلع على آفات عمله اذا ارتقى عنه
وارتفعت درجته فكذلك اذا علق همته بما هو اعلى منه عمي عن اتقان ما هو فيه فان لم يتمكن فيما
على همته به حتى يصلح ما بقي عليه مما انتقل عنه ولذلك حكي عن الجنيد خلاف نقله الهروي الانصاري
وذلك انه قال يجوز ان يصح العبد المقام قبل ان ينتقل عنه وقال الانصاري وعندي ان العبد
لا يصح المقام حتى ينتقل عنه الى ما هو ارفع منه فيشرف على المنتقل عنه فيصححه وبيان ذلك
ان العبد اذا كان يعمل في مقام القناعة وازاله شره نفسه في الماكول وغيره فربما اعماه شرهه
عن ان يميز المكروه من غيره واذا انتقل الى مقام الورع وتعود الترك للمشكل هان على التثبت
وتعوده وضعف شرهها وتنعت بما تيسر وكذلك اذا انتقل الى مقام الزهد في الحلال عرفت
نفسه عنه اطلع منه على ما كانت النفس تزعم انه لا ورع فيه ولا كراهة فتتورع عنه
وكذلك اذا انتقل الى مقام التوكل على الله سبحانه واعرض عن الاسباب والارزاق حلالها
ومشكلها تمكن من الاطلاع على خبايا انفسه تلبيسها في مقام الزهد مما كانت متمسكة به تزعم انه
مما لا بد لها منه وهو من الفضول الذي يزهد فيه هذا معنى قول الشيخ الهروي عندي ان العبد
لا يصح المقام حتى ينتقل منه الى ما هو اشرف منه فيشرف عليه فيصححه وكلام الجنيد رضي الله
عنه اول فانه ليس من المستحيل ان يصح العبد المقام قبل ان ينتقل منه وهو راي الامام القشيري
اي لا ينتقل العبد من مقامه الى غيره حتى يصححه والمقام بالضم هو الحال الذي يقيم الله العبد
فيه ويسره له ويجريه عليه كالمدخل والمخرج قال الله تعالى وقل رب ادخلني مدخل صدق واخرجني
مخرج صدق يعني اجعلني ما دامًا في سائر تصرفاتي في دخولي وخروجي فكل من هو في مقام يتطلبه
بجهده ويكتسبه بسعيه رؤية فضل الله عليه في اقامته فيه وعونه عليه فيكون مكتسبًا
للمقام مقامًا فهو صاحب مقام بالنظر الى كسبه ومقام فيه بالنظر الى عون ربه وفضله
قال الامام رضي الله عنه سمعت الاستاذ ابا علي رحمه الله يقول لما دخل الواسطي نيسابور
سال اصحاب ابي عثمان بما ذا كان يامركم شيخكم فقالوا كان يامرنا بالتزام الطاعات ورؤية
التقصير فيها فقال امركم بالمجوسية المحضة هلا امركم بالغيبة عنها برؤية منشيها ومجريها
سبحانه وانما اراد الواسطي بهذا صيانتهم عن محل الاعجاب لا تعريجًا في اوان التقصير
او تجويزًا للاخلال بالادب قال الشارح رضي الله عنه والمجوس قوم لا يعرف
لا يعرفون الله تعالى ولا عظمه ولا تدبيره فلما دخل هذا الواسطي نيسابور وجد بقية اصحاب ابي

عثمان

قوله او تتصف ذاته العلية بالحوادث او تتصف بالنقص كالكبر او تتصف بالاتصاف بالوصال
ولا حكم بجهة انه ينجبل قيام الحوادث بذاته تعالى وانقلابه بالنقص اذا الكبر او بمعنى ذلك

عثمان سالهم عما كان شيخكم يامركم به فذكروا له الاجتهاد في العبادة ورؤية التقصير فقال
لهم امركم بالمجوسية المحضة وذلك ان المجوس يعرفوا الله على الحقيقة ويعبدوه فقد عبدوا
النور والظلمة وجعلوا الخير من النور والشر من الظلمة فذكروا فاعلين فنبههم الواسطي على ان
شيخكم جعلكم فاعلين مع الله تعالى فبهذا اطلق عليه المجوسية فهلا ارشدكم الى ان تتبرؤوا
من افعالكم وتروا الفعل من الله تعالى فضلًا ورحمة عليكم ووجه تعلق هذه الحكاية بما تقدم تنبيه
على ان الشخص ينبغي الى يرى نفسه مقامًا في كل مقام يتطلبه معانا عليه فيبرا من المجوسية
ورأي القدرية الذين اثبتوا لانفسهم افعالًا وبهذا الاعتبار قيل القدرية مجوس هذه الامة
يعني انهم اضافوا الشر لانفسهم والخير الى الله والله خالق كل شيء من الخير والشر وقول الامام
ان اراد صيانتهم عن الاعجاب وبلع انفسهم على الاعمال والسكون اليها تنزيها لهم عن ان
يثبتوا ما اثبته القدرية وغيرهم ولم يامرهم رضي الله عنه بان يتركوا اتقان الاعمال وايقاعها
على الكمل وجوهها في طاعة الكبير المتعال قال الامام رضي الله عنه ومن ذلك الحال
والحال عند القوم معنى يرد على القلب من غير تعمل منهم ولا اجتلاب ولا اكتساب لهم من طرب
او حزن او بسط او قبض او شوق او انزعاج او هيبة او اهتياج فالاحوال مواهب والمقامات
مكاسب والاحوال تاتي من عين الجود والمقامات تحصل ببذل المجهود وصاحب المقام
ممكن في مقامه وصاحب الحال مترقي في حاله قال الشارح رضي الله عنه والحال عند اهل الاصول
هي الاحكام التي توجبها المعاني وهل هي مقدورة ام لا وهي راي الامام الغزالي في الاحوال
والمقامات يقول في كل موضع هذا مترتب على علم وحال وعمل ومثاله ان العلم بالمخوف يثمر حال
الانزعاج ويتبعه الهرب والعلم بالمرجو يثمر حال الرغبة والرجاء ويتبعه الطلب فاذا كانت
الاحوال لها اسباب فهل المقدور اسبابها اعني التي تقارنها القدرة الحادثة خاصة
او تقارب الاسباب والمسببات والصحيح ان الاسباب مقدورة للعبد بدليل تعلق الطلب بها
كما قال تعالى وخافون ان كنتم مومنين فتعلق طلبه بنفس الخوف وان كان تحصل بالتخويف وكذلك
قال تعالى فاعلم انه لا اله الا هو فامر بعلمه وهو علم نظري تحصل بالفكر في مخلوقاته والذي ذهب
اليه الامام ابو المعالي امام الحرمين واليه تشير كلام المحاسبي رضي الله عنه انها غير مقدورة
فقال الامام المطلوب الذي هو من نمط الثواب والعقاب جهة النظر عنه وقال الامام المحاسبي
رضي الله عنه وانما يقال التخويف في جنب الخوف مثل الوقود في جنب الغليان كلما اشتعل
الوقود اشتد الغليان فاذا قوي الغليان تعدت القدر ببعض ما فيها وكذلك التخويف
اذا اشتد التخويف هاج الخوف من القلب لا علم فبهذا الاعتبار يكون الحال مترتبًا
على ما يترتب على سبب والى ما لا يترتب فقول الامام رضي الله عنه الطرب والحزن والابتهاج
هل يكون له اسباب ام لا وكذلك القبض والبسط ولا يعرف سببه والصحيح انه كان له سبب عقل

الحال

حواشيه الاهتياج

صرف الوان والاكوان لان ذلك كله من خواص الاجرام وكذا يجب عليه نفي الفرحه والجهة
لاغرض له ولا يجعل شيء تحليل شيء رب تنزهه بل كل ماله تعالى غرض فلنزه ان يحتاج الى تكميل غيره
والاحتياج نقص والنقص عليه تعالى محال وانه العلي لانتم العظيم لا يبطل علمه ولا يعجز بعلمه

العبد عنه ونسيه فعلى هذا تكون الاحوال لها اسباب وهي الاشتغال بالعبادات والذكر والفكر
في كمال الذات والصفات فحينئذ تجري على العبد هذه الخيرات من فضل الله خالق الارض والسموات
وقد قال شيخ السنه عبد الله بن محمد الانصاري الهروي لما تكلم على الاحوال ومثلها فقال كالمحبة
والغيرة والشوق والقلق والعطش والوجد والدهش والهيمان والبرق والذوق
فجعلها كلها من قسم الاحوال والمحبه والغيره وغيرها من المقامات وقد قال بعض المشايخ
ما اقامني الحق في حال فكرهته ولا نقلني الى غيره فسخطته فسمى الحال مقاما والذي يظهر
ان هذه تكتسب اما انفسها او اسبابها على ما ذكرناه من الاختلاف فما طرق منها القلب
ثم ذهب عنه سمي حالا واذا تمكن العبد فيه وتوالى عليه امثاله سمي مقاما والامر فيه قريب
قال الامام رضي الله عنه وسئل ذو النون المصري رحمه الله عن العارف فقال كان
ها هنا فذهب وقال المشايخ الاحوال كالبروق فان بقيت فحديث نفس وقالوا الاحوال
كاسمها يعنون انها كما تحل بالقلب تزول في الوقت وانشدوا لو لم تحل ما سميت حالا
وكل ما حال فقد زالا انظر الى الفيء اذا ما انتهى ياخذ في النقص اذا طالا قال الشارح رضي
الله عنه فقول ذي النون لما سئل عن العارف فاجاب بقوله كان ها هنا فذهب
يدل على ما اراده من الاحوال وانما المعارف في مقام شريف مستغرق فيه علاه وانما
ذهب عن شاهده وادراك نفسه شغلا بحضوره ونزلاه فان اراد ان هذه الحالة
لا تدوم للعارفين كان فيها بعض المقصود واما قولهم الاحوال كالبروق فان ثبتت
فحديث نفس يعني ان العبد اذا انفصل عن الحال انما يبقى معه حديث نفس كان فان
الحال لا يثبت فمعنى قوله حديث نفس ان الذي يبقى معه الحديث نفسه بالحال لا
نفس الحال فان الحال تخطف البصر وتذهب بسرعة كالبرق قالوا وانشدوا
لو لم تحل ما سميت حالا يعني ما سمي حالا الا لسرعة زواله وقوله انظر الى الفيء اذا ما
انتهى ياخذ في النقص اذا طالا يعني ان الحال اذا زال انما يبقى مع صاحبه حديث نفسه
فهو الذي يطول لا نفس الحال قال الامام رضي الله عنه واشار قوم الى بقاء الاحوال
ودوامها وقالوا انها اذا لم تدم ولم تتوالى فهي لوائح وبوادهه ولم يصل صاحبها بعد
الى الاحوال فاذا دامت تلك الصفة فعند ذلك تسمى حالا هذا ابو عثمان الحيري رحمه الله
يقول منذ اربعين سنه ما اقامني الله تعالى في حال فكرهته اشار الى دوام الرضى والرضى
من جملة الاحوال قال الشارح رضي الله عنه وهذا الاختلاف على ما ذكره الامام مبني
على ان الاختلاف في ثبوت انما يريد انها تتوالى امثالها على صاحبها مده من الزمان فاذا توالت
امثالها سميت حالا وان لم تتوالى سميت بوادهه ولوائح يعني لاح له المعنى وبدهه ولم
يثبت له واما قول الحيري منذ اربعين سنة ما اقامني الله تعالى في حال فكرهته فقد سماه

حالا وتحولها منى فيه معناه اجراه على والاربعين سنه التى ذكرها ظرف لجريان
هذه الاحوال التى لا تثبت وانما هي نظراو نزول الا انه يريد بدوامها تكرارها في طول هذه المده
وهذا اخراج عن الحال والمقام لان المقام عبارة عما غلب على قلب العبد تكسبه لا ما توالى
عليه في ازمنه متفرقه والرضى عندهم من جملة الاحوال وهو فيما يكتسب ويتطلب ويغلب
على قلبه ان ما يجري عليه فيه صلاحه وسعادته فيصير ذلك حالا لقلبه غالبا عليه
قال الامام رضي الله عنه والواجب في هذا ان يقال ان من اشار الى بقاء الاحوال صحيح
ما قال فقد يصير المعنى شربا لاحد فيربى فيه ولكن لصاحب هذه الحال احوال هي طوارق
لا تدوم فوق احواله التي صارت شربا له فاذا دامت هذه الطوارق له كما دامت الاحوال
المتقدمه ارتقى الى احوال اخر فوق هذه والطف من هذه فابدا يكون في الترقي سمعت
الاستاذ ابا علي الدقاق رحمه الله يقول في معنى قوله صلى الله عليه وسلم انه ليغان على
قلبي حتى استغفر الله في اليوم سبعين مرة انه كان عليه السلام ابدا في الترقي من احواله
فاذا ارتقى من حالة الى حالة اعلى منها فربما حصل له ملاحظه الى ما ارتقى عنها فكان يعدها غينا
بالاضافه الى ما حصل فيها فابدا كانت احواله صلى الله عليه وسلم في التزايد ومقدورات الحق
سبحانه من الالطاف لا نهايه لها واذا كان حق الحق العزة والوصول اليه في التحقيق محالا فالعبد
ابدا في ارتقاء احواله فلا معنى يوصل اليه الا وفي مقدوره سبحانه ما هو فوقه يقدر ان يوصله
اليه وعلى هذا يحمل قولهم حسنات الابرار سيئات المقربين وسئل الجنيد عن هذا فانشد قولهم
سيئات المقربين فانشد * طوارق انوار تلوح اذا بدت * فتظهر كتمانا وتخبر عن جمع
قال الشارح رضي الله عنه وخلاصة ما اختاره الامام يرجع الى ما قلناه من ان الوارد
يكون في اول امره لا يثبت فيسمى حالا فاذا توالى صار شربا يعني شربا يعيش منه ومعه
فقوله ولكن لهذا الشرب طوارق يعني اوايل مقام اخر هو اعلى منه فاذا لم تثبت سميت
حالا واذا ثبتت وتوالت كانت مقاما وهكذا يترقى في سائر المقامات العلية وان لم
تتناها ولذلك استدل بالخبر عن النبي صلى الله عليه وسلم الذي تاوله بعض الناس على هذا
المعنى وهو انه عليه السلام في الترقي في الدرجات العلية فاذا انتقل الى مقام هو اعلى مما هو
فيه فربما لاحظ المقام الذي انتقل عنه فتكون ملاحظته لما انتقل عنه غينا اي سترا رقيقا
بالنسبه الى مقامه الاعلى ولذلك يستغفر الله وقد ذكر في تاويل هذا غير هذا والخبر الصحيح
ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يسمع منه في المجلس الواحد اكثر من سبعين مرة استغفر الله
واتوب اليه وقد يكون ذلك على وجه التعليم والارشاد للامه لان يكونوا هكذا لغلبه
الخطا والزلل عليهم وتاوله بعضهم انه كلما ذكر امته عليه السلام وما يكون منهم بعده استغفر
الله تعالى لهم وهذا احسن التاويلات واما الجنيد رضي الله عنه لما سئل عن قولهم حسنات

وكذا ايتخيل عليه تعالى ان يكون واحدا بان يكون مركبا في ذاته او صفاته او يكون جسما او موجود
مؤثرا معه من الافعال فقد تحقق معنى الوحدانية بنفي التركيب في ذاته تقدس
وصفا ثبوتها له وفي ذلك كله عن الواحد بالشلاثة ... هو المطلوب

الابرار سيات المقربين اشار الى هذا وهو ان اوايل الدرجات التي ينالها الابرار هي سيات بالنسبه
الى المقربين اذا التفتوا اليها بقلوبهم ولاحظوها فهي حسنه بالنظر الى البروسية بالنظر الى المقر
لنزوله عن درجته واما شعر الجنيد وهو قوله طوارق تلوح اذا بدت فتظهر كتمانا
وتخبر عن جمع اي ان اوايل المقام طوارق انوار ونهايته جمع وكمال الحال وكتمان سر والله
الموفق والمستعان فطوارق انوار للابرار واشاره جمع وكتمان للمقربين قال الامام
رضي الله عنه ومن ذلك القبض والبسط وهما حالتان بعد ترقي العبد عن حالتي الخوف والرجا
فالقبض للعارف بمنزلة الخوف للمستانف والبسط للعارف بمنزلة الرجا للمستانف ومن
الفصل بين القبض والخوف والبسط والرجا ان الخوف من شي في المستقبل اما يخاف فوت
محبوب او هجوم محذور وكذلك الرجا انما يكون بتامل محبوب في المستقبل او بتطلع
زوال المحذور وكفايه مكروه في المستانف واما القبض فلمعنى حاصل في الوقت وكذلك
البسط فصاحب الخوف والرجا تعلق قلبه في حالتيه باجله وصاحب القبض وصاحب القبض
والبسط اخيذ وقته بوارد غلب عليه في عاجله ثم تتفاوت نعوتهم في القبض
والبسط على حسب تفاوتهم في احوالهم فمن وارد يوجب قبضا ولكن في صاحبه
مساغ للاشيا الاخر لانه غير مستوفي ومن مقبوض لا مساغ لغير وارده فيه
لانه ماخوذ عنه بالكليه بوارده كما قال بعضهم انا ردم اي لا مساغ في وكذلك
المبسوط قد يكون بسط يسع الخلق ولا يستوحش من اكثر الاشيا ويكون
مبسوط لا يوثر فيه شي بحال من الاحوال قال الشارح رضي الله عنه والمقصود
ها هنا بيان اصطلاحهم في القبض والبسط لانه لفظ يستعمل في غير ما ارادوه فبين
مرادهم به خلاف الخوف والرجا فانه لا خلاف فيهما في المتعلق فاسم الخوف يطلق لمعنى
واحد وكذلك اسم الرجا وانما اختلفا في المخوف والمرجو لتعددهما وقول الامام
القبض فوق الخوف والبسط فوق الرجا معناه ان العبد يتقدم له الخوف من
ضرر يخشاه فاذا حل به انقبض وكذلك الرجا امل الحصول محبوب في المستقبل
فاذا حل به انبسط ولهذا المعنى عبر عنه بان متعلق القبض والبسط امر نازل في
الوقت بخلاف الخوف والرجا فان متعلقهما امر في الاستقبال والقبض الذي يطرق
العبد في وقته وكذلك البسط قد يعرف سبب كل واحد منهما وقد لا يعرف وقد يكون
عرفه ونسيه وكل واحد منهما يقوى ويضعف فان ضعف بقيت فيه بقيه يتسع
بها للمحادثات والملاطفات وقضا الحاجات وان قوي القبض لم يقدر على شي من
ذلك ولذلك اجاب بعضهم من اراد كلامه بان قال انا ردم يعني لا فيه متسع وكذلك
المنبسط قد يتسع ببسطه لبعض الامور دون بعض وقد يكون منشرح الصدر بحيث

وقوله وكذا ايتخيل عليه تعالى العجز على ممكن ما اذا فرض القدرة كان قد رتم مختص ببعض ممكن
بلا مرجح عن ممكن واحد لعدم احتياجه الى مخصص ويمكن جاز ذلك لعجزه تعالى عما مماثل فاز تعلق والله
على كل تبه وقد ببرهن لي ايجاد شي مع العلم مع كونه لا ينسبه لوجوده الى غيره هذا هذا لا ان داد ... فيتخيل

لا يكده شي وهذا معنى هذه المقدمه في القبض والبسط وتمييز حقيقتها عن الخوف
والرجا قال الامام رضي الله عنه سمعت الاستاذ ابا علي الدقاق رحمه الله يقول دخل
بعضهم على ابي بكر القحطبي وكان له ابن يتعاطى ما يتعاطاه الشباب وكان يمر هذا الداخل
على هذا الابن وهو مع اقرانه في اشتغاله ببطالته فرق قلبه للقحطبي وقال
مسكين هذا الشيخ كيف ابتلي بمقاساة هذا فلما دخل على القحطبي وجده كانه لا خبر
له عما يجري من الملاهي فتعجب منه وقال فديت من لا يوثر فيه الجبال الرواسي
فقال القحطبي انا قد حررنا عن رق الاشيا في الازل قال الشارح رضي الله عنه هذا يدل
على ان من كمل اشتغاله بربه ذهل عن نفسه فضلا عن ولده وما هو فيه من لهوه ولعبه
وذلك ان ولد هذا الشيخ قد كان تربيا من موضعه في لهوه مع اقرانه فاتى هذا الزاير
فاستنكر ما راه من حاله اي لشباب وطراوه والده عارف بحاله فتالم على ما هو فيه
فلما دخل عند الشيخ لم يخبر عنده اثر مما ظنه من شغله بولده فقال فديت من لا يوثر
فيه الجبال الرواسي ففهم الشيخ القحطبي انه عناه فقال له مجيبا عن ذلك انا قد حررنا
عن رق الاشيا في الازل وكلام القحطبي هذا يحتمل امرين احدهما انه علم بحال ولده
ولكنه لم يشتغل به لما خصه به مولاه من كمال اشتغاله به ومناجاته واستغراقه في اكثر
اوقاته فلهذا انا تحررنا في الازل عن رق الاشيا ويحتمل انه لم يعرف بحال ولده بالكليه وانما قال
ذلك جوابا لتعجب السايل من حاله وكلا الجوابين يدل على كمال استغراقه بما هو فيه فان علم
حال ولده لم يبال به ولكن لا بد ان يغير والاولى حاله انه لم يعلم وان لم يعلم كان حريا اجدر
وهذا يدل على كمال بسط الشيخ وكمال اتساعه في الشغل بما هو فيه من فضل ربه لان البسط
على درجات كما ان القبض وهو ضده على درجات قال الشيخ الامام الهروي رحمه الله
القبض في هذا الباب اسم يشار به الى مقام الضنائن الذين ادخرهم الحق اصطناعا لنفسه
وهم ثلاث فرق فرقه قبضهم الحق اليه قبض التوفي فضن بهم عن اعين العالمين قال الشارح
رضي الله عنه اي اخفاهم وفرقه قبضهم بسترهم في لباس التلبيس واسبل عليهم اكله
الرسوم فاخفاهم عن عيون العالمين قال الشارح رضي الله عنه اي بتلبيس ظواهرهم
وستر بواطنهم وفرقه قبضهم منهم اليه فصافاهم مصافاة سر فضن بهم عليهم قال
الشارح رضي الله عنه اي شغلهم عما فاته لهم وكمال شغلهم به عن انفسهم وكذلك البسط على
ثلاث درجات وهذا الشيخ في اعلاها ولذلك قال ما قال اي لم يبق لغير الله تعالى غلبه
على قلوبنا ولا احساس قال الامام رضي الله عنه ومن ادنى موجبات القبض ان يرد على
قلبه وارد موجبه اشارة الى عتاب ورمز باستحقاق تاديب فيحصل في القلب لا محاله
قبض وقد يكون موجب بعض الواردات اشارة الى تقريب واقبال بنوع لطف وترحيب

بتغير ان يحمل ... على ... من العالم من غير ارادته نقل ان يكون ملكه مالا يريد وعني
المؤلف رحمه الله الكريم بقبض نفسي لا باختيار ما يحمل الى الله يستعمل خلو القلب معها احترز به
من الكراهة النفسية وقبض نفسه نقلا عن ... خالفه بتقدير الكراهة بحجابا دار الجهل

تحصل للقلب بسط وفي الجملة كل قبض كل احد على حسب بسطه وبسطه على حسب
قبضه وقد يكون قبض يشكل على صاحبه سببه يجد في قلبه قبضا لا يدري ما موجبه
وما سببه وسبيل صاحب هذا القبض التسليم حتى يمضي ذلك الوقت لانه لو تكلف
نفيه او استقبل الوقت قبل هجومه عليه باختياره زاد في قبضه ولعله يعد ذلك
منه سوء ادب واذا استسلم لحكم الوقت نعن قريب يزول القبض فان الحق سبحانه
قال والله يقبض ويبسط وقد يكون بسطه يرد بغتة ويصادف صاحبه فلتة لا يعرف
له سببا يهز صاحبه ويستفزه فسبيل صاحب السكون ومراعاة الادب فان في هذا
الوقت له خطرا عظيما فليحذر صاحبه مكرا خفيا كذا قال بعضهم فتح علي باب من البسط فزللت زلة
فحجبت عن مقامي ولهذا قالوا قف على البساط واياك والانبساط وقد عد اهل التحقيق
حالتي القبض والبسط من جملة ما استعاذوا منه لانهما بالاضافة الى ما فوقهما من استهلاك
العبد واندراجه في الحقيقة فقر وضر قال الشارح رضي الله عنه وقدس الشيخ
رحمه الله مراتب القبض والبسط واختلاف اسبابها فقال قد يكون موجب القبض استحقاق
عتاب وتاديب على تقصير بدر من العبد فينقبض ويفتح له في جانب البسط وارد سير
الى تقريب وكمال كشف فينبسط العبد وينشرح لذلك فهذا ادنى مقامات البسط
والقبض وقد يكون من القبض ما يدرك العبد بسببه وقد يكون ما يحاه ونسبه
الله في قلبه فالادب ان العبد فيه حتى يفرج عنه وينجلي وكذلك في جانب البسط يلازم الادب
لئلا يتعرض للعطب كما حكي عن بعضهم انه قال فتح علي باب من البسط فزللت زلة فحجبت عن
مقامي وكما قال قف على البساط واياك والانبساط والبساط ما جعل له والانبساط
ما فعله بنفسه واختياره ومن هذا كان خطر القبض والبسط عظيما اذا ورد على قلب
من جهة الله تعالى ولم يدر العبد له سببا فيحتاج الى كمال الادب والصبر حتى ينجلي عنه ما
فيه قال الامام رضي الله عنه سمعت الشيخ ابا عبد الرحمن السلمي رحمه الله يقول سمعت
الحسين بن يحيى يقول سمعت جعفر بن محمد يقول سمعت الجنيد يقول الخوف يقبضني
والرجاء يبسطني والحقيقة تجمعني والحق يفرقني اذا قبضني بالخوف افناني عني واذا بسطني
بالرجاء ردني علي واذا جمعني بالحقيقة احضرني واذا فرقني بالحق اشهدني غيري فغطاني
عنه فهو في ذلك كله محركي غير مسكني وموحشي غير مؤنسي فبحضوري لذوق طعم وجودي
فليته افناني عني فمتعني او غيبني عني فروحني قال الشارح رضي الله عنه وهذا كلام
بالغ في تفصيل درجات القبض والبسط واسبابها وذلك ان العبد اذا كان خوفه من ربه وعظمت
هيبته له استغرق قلبه في ذلك فغاب عن غيره واذا اراد سبحانه رده الى نفسه نقله الى الرجاء بما يؤمله
من فضله واراه اثار رحمته فبسطه فرده على نفسه واشهده تفضله عليه فبهذا الاعتبار تقبضه الخوف

وبسطه

بيعطي ... نظرة منه فرض ... الا ... ابتغى تقوية الحق تعظيما
انه كان يتلو القران ويتكلم ولا يقطع كلامه بعد السماع والمراد انه بقي بعد زوال الحال عنه
وفوقه حتى يسمع كلامه ويرد الانفعال بسمع قوله ... فسجع ... بسببه
الى اخرها هذه الصفة مشتغلة ... من صحبة المعارف ولهذا ... مقبولة

لغيره ويستحل بكونه يلومه ليرجع عن تقصيره وما هو عليه وهذا ان امكن في غيبة يحسن
وان تحدث به بحضور من يعرف ذلك منه ليقع التساعد على رده ويخرج عن كونه
اذية فانه لم يكشف منه ما كان مستورا انصح منه اللوم ليرجع عما هو عليه ويبين
بيعا نان ابتدا ذكر النقائص لغير فائدة قال الامام رضي الله عنه ومنهم ابو عثمان سعيد
ابن سلام المغربي واحد عصره لم يوجد مثله قبله صحب ابن الكاتب وحبيبا المغربي وابا
عمرو الزجاجي ولقي النهرجوري وابن الصائغ وغيرهم مات بنيسابور سنة ثلاث وسبعين
وثلثمائة واوصى بان يصلي عليه ابو بكر ابن فورك رحمه الله سمعت الاستاذ الامام
ابا بكر بن فورك رحمه الله يقول كنت عند ابي عثمان المغربي حين قرب رحيله وعلى القوال
الصغير يقول شيئا فلما تغير عليه الحال اشرنا على علي بالسكوت ففتح الشيخ ابو عثمان
عينيه وقال لم لا يقول علي فقلنا لبعض الحاضرين سلوه وقولوا على ما يسمع المستمع
في حشمته في تلك الحالة فسالوه فقال انما يسمع من حيث يسمع قال الشارح رضي
الله عنه وهذا يدل على كمال شغله بحاله ومراعاته لقلبه وشدة مراقبته وعدم التفاته
لما فيه من الم موته وصعوبة نزع روحه فانه انما غمض عينيه لشدة ما هو فيه حتى فهم
الحاضرون موته فامروا القوال بان يسكت لئلا يشتغل الشيخ عما هو فيه فلما علم
سكوته سال عن سببه فلما علموا احضوره ارادوا ان يسلوه عن فوائد السماع وعلى اي
وجه يسمع الانسان من الوجوه الفاضلة فاجابهم جوابا كليا يعم سائر المستمعين
وهو ان يسمع من حيث اسمعه الله لاختلاف مقامات الناس ومعرفتهم بالله ومحبتهم
له وقد يسمع العبد من الخوف وقد يسمع من الرجاء وقد يسمع من الرجا وقد يسمع
من المحبة وكل واحد من هؤلاء الثلاثة على درجات قال الامام رضي الله عنه وكان
في الرياضة كبير الشان وقال ابو عثمان التقوي الوقوف على الحدود ولا يقصر فيها
ولا يتعداها قال الشارح رضي الله عنه وهذا صحيح فان التقوى والحذر والمجانبة
فهو حد لتضييع الواجب وارتكاب المحظور ومجانبة لذلك ولا يتاتى ان يحد له الا بعد
معرفته به وكمال حده الا يزيد فيه ولا ينقص وان يوقعه على وجهه المطلوب
وهذا معنى ملازمة الحد وهكذا اذا تراقي في المندوبات لابد له من التقوى الا ان التقوى
الاولى واجبة وهذه مندوب اليها وهي في اعمال القلوب والجوارح وعن كمال التقوى
يكون كمال الرياضة فان المتقي يروض نفسه اولا حتى يتاتى بها اخرا وبعد ان يستقيم على الخير
ما يستغني عن ملاحظتها وسياستها الا ان هذا اشهر عليه مما تقدم بحسن الاعتياد
قال الامام رضي الله عنه وقال من اثر صحبة الاغنياء على مجالسة الفقراء ابتلاه الله بموت القلب
قال الشارح رضي الله عنه وهذا صحيح لانه يوثر صحبة الاغنياء الا لمحبة الدنيا وكل محب

المستمعين

Copyright © King Saud University

صفة معنوية وهي منسوبة الى المعاني ... فيهما اي صفة المعاني هي صفة واجبة
الوجوب كما تقدم وانما الصفات المعنوية فهي عبارة توصف بها الذات ولبثت لهي
موجودة بل الوجود صفة المعاني فقط دون المعنوية فكونه تعالى قادرا عبارة عن قيام القدرة

للدنيا اكثر شغله بها وذكره لها والنظر في فوائدها وارباحها ودوام حفظه لها مما يتلفها
وهذا القلب هو الذي شغل القلب عن الاخرة وتغفله عنها واذا اشتغل القلب عن الاخرة
وغفل عبر عنه بالموت لان حياة القلب انما هي حركته واشتغاله بما خلق له في تحصيل العلوم
والاعمال وانفاع كل شي على ما امر به وان تعالى في رتبه فهذا هو المعبر عنها بالحياة وبعد
قال الله تعالى في حق الغافلين اموات غير احياء وان كانوا لم تخرج ارواحهم من اجسادهم
وانما اشبهوا من قتل انتفاعه بنفسه وما خلق له بالميت اطلق عليه قال الامام
رضي الله عنه ومنهم ابو القاسم ابراهيم بن محمد النصراباذي شيخ خراسان في وقته
صحب الشبلي وابا علي الروذباري والمرتعش جاور بمكة سنة ست وستين وثلاثمائة ومات
بها سنة سبع وستين وثلاثمائة وكان عالما بالحديث كثير الرواية سمعت الشيخ ابا عبد الرحمن
السلمي رحمه الله يقول سمعت النصراباذي يقول اذا بدا لك شي من بوادي الحق فلا تلتفت
معها الى جنة ولا الى نار واذا رجعت عن تلك الحال فعظم ما عظمه الله تعالى قال الشارح
رضي الله عنه وهكذا ينبغي ان يكون العبد اذا فتح الله تعالى عليه بابا لاحظ فيه كمال مولاه
وجلاله وعظمته وتنزهه وكمال صفاته ومتعلقاتها واشتغل به فلا تلتفت في وقت
شغله الى غيره فان التفاته الى غيره يودي عليه ما هو فيه ولا يكمل اجتماع همه فيه ...
واحدا الا اذا اعرض عن غير الله شغلا بالله فاذا رجع الى نفسه وخف ما به فليحفظ الانبيا
عليهم السلام والاوليا والملائكة ليقوم بما يجب عليه لله ولهذا قالوا العارف من لا
يطفي نور معرفته نور ورعه فمن عرف انه لا يضر ولا ينفع ولا يعطي ولا يمنع غير الله
ولا يحمله ذلك عن الاعراض عما سواه من امر الله تعالى بتعظيمه واجلاله او ما خوف
منه من النار والشيطان وجميع ما حذر منه وبهذا يكون ورعا اي مجانبا لما امره الله
بمجانبته وامره الله تعالى بمجانبة المحرمات ونهاه عن مجانبة الواجبات والزمه القيام
بها قال الامام رضي الله عنه وسمعت محمد بن الحسين رحمه الله يقول قيل للنصراباذي ان بعض
الناس يجالس النسوان ويقول انا معصوم من رويتهن فقال ما دامت الاشباح
باقية فان الامر والنهي باق والتحليل والتحريم مخاطب به ولم يجتري على الشبهات الا من تعرض
للمحرمات قال الشارح رضي الله عنه وهذا صحيح فان العبد لا يامن نزعات الشيطان
بحال من الاحوال ولا سيما اذا تعرض لرويته الواجبات والمستحسنات وسموم اللحظات والشهوات
فان العبد وان كان محفوظا في وقته فقد نهي عن التعرض للشبهات ولمن اشبهها ...
تعرض لها هلك اذ كان وفي الخبر الصحيح الحلال بين والحرام بين وبينهما امور متشابهات
فمن اتقى الشبهات استبرا لدينه وعرضه ومن حام حول الحمى يوشك ان يقع فيه الا وان
لكل ملك حما الا وان حما الله محارمه الحديث قال الامام رضي الله عنه سمعت محمد بن الحسين

يقول

معه كما اذا ... من الخلق مع نفسه ... ذلك الفعل وكذا يحتمل انه وجد شيئا قبل
شيء ... علمي وغاب عنه وكذا يحتمل ان تكون الغلبة لايجاد شيء او ايجاد شيء
بالجمع ... وارادته في الغلبة لايجاد ذلك محال

وسطه الرجا والحقيقة ذكر الحق على القلب وكمال الشغل به حتى لا يشعر العبد بغيره واذا
رده على نفسه والنظر فيما عليها من الحق لربه فرقه اي زال جمعه وبقي ناظرا للقيام بما لله عليه
وهو الحق فان جمعه تستغرق فيه نفسه بتلذذ بها وتارة يصطلم حتى لا يبقى فيه ذكر لنفسه
ولا شعور بتلذذه ولذلك قال احضرني ثم غيبني باحضوره لذة ثم عدم وجوده يعني لذة بحاله
جمعه فاحواله متغيرة فلذلك قال فهو في جميع ذلك متحرك غير ساكن اي ينقلني من حال الى
حال فلو ابقاني في حال الجمع لغيبني عني واذا ردني الى احساسي نعمني بحالي وقوله فلست به
افنائي عني فنعني او غيبني عني فروحني اي افناه عن مشاهدة فمتعه بانسه ومناجاته
او غيبه عن نفسه بالكلية فروحه هذا اتم منه لدوام احد الحالين والله تعالى يربيه
بنقله من هذه الاطوار فيما يراه من مصلحته ونقله في درجات قربه منه وكمال معرفته
قال الامام رضي الله عنه ومن ذلك الهيبة والانس وهما فوق القبض والبسط فكما ان
القبض فوق رتبة الخوف والبسط فوق منزلة الرجا فالهيبة اعلى من القبض والانس
اتم من البسط وحق الهيبة الغيبة فكل هائب غائب ثم يتفاوتون في الهيبة على حسب
تفاوتهم في الغيبة فمنهم ومنهم وحق الانس صحو بحق فكل مستانس صاح ثم يتباينون بحسب
تباينهم في الشرب قالوا ادنى محل الانس انه لو طرح في لظى لم يتكدر عليه انسه قال الجنيد
رحمه الله كنت اسمع السري يقول يبلغ العبد الى حد لو ضرب وجهه بالسيف لم يشعر
وكان في قلبي منه شي حتى بان لي ان الامر كذلك وحكي عن ابي مقاتل العكي قال دخلت على الشبلي
وهو ينتف من حاجبه بمنقاش فقلت يا سيدي انت تفعل هذا بنفسك ويعود المه الى قلبي
فقال ويلك الحقيقة ظاهرة لي ولست اطيقها فهو ذا ادخل الالم على نفسي لعلي
احس به فيستتر عني فلست اجد الالم وليس يستتر عني ولست لي به طاقة قال
الشارح رضي الله عنه قوله كما ان القبض فوق الخوف فالهيبة فوق القبض فلما وذلك
ان من خاف الله وكمل خوفه ممن عرف تقصير نفسه في حقه وقلة قيامه بما يجب
من حقه طرق قلبه القبض وبقي مشغولا به وعن كمال هذا الشغل بربه تكون هيبته
له فقوله فكل هائب غائب يعني عن غير من هابه وقوله فمنهم ومنهم اي منهم من
تطول غيبته ومنهم من تقصر وذلك على حسب هيبته واجلاله لمن اشتغل به واما
في جانب الرجا فان من امل وصوله الى خير من فضل ربه ومقام شريف ينيله اياه فاذا
فتح له به انبسط قلبه وانشرح صدره لفضل ربه واذا اكملت معرفته بربه وبنوالي نعمه
عليه وكمل اشتغاله به نال مقام الانس بمولاه وشغله ذلك عن من سواه ولذلك قيل
ادنى مقام الانس بالله لو طرح في النار لم يتكدر عليه انسه وشاهد ذلك ما نقل في مسلم
الخولاني لما حرقه العنسي المتنبي بالنار لم توثر فيه ولم يرجع عن دينه وما هو فيه ومن كان له

Copyright © King Saud University

وذلك مما يعبر ان نقول يجوز لا شيئا بطبعهم بالعلة والطبيعة لكان العلو وقدما الا ان العلة
لا تكون الا مع معلولها من غير تراخ مثال ذلك تحريك الاصبع مع تحريك الخاتم ... لا اصبع
دون الخاتم وتحريك الخاتم من المعلول ... لا اصبع تحريك الخاتم معلولا زمانا واحدا

ما فعل بالخليل صلوات الله على نبينا وعليه لما وقد له من النار ما لا يمكن احدا ان يقرب منها ليطرح
فيها فجعل في كفة منجنيق ورمي به في الهوى حتى يقع في النار فتجلى له جبريل صلوات
الله على نبينا وعليه لنبيه وهو في الهوى منصب الى النار فقال له الك حاجة فاجابه اما
اليك فلا فلم يتحرك ما هو عليه من الانس بسبب ما أجج له من النيران ولم يركن لجبريل
المقتدر باذن ربه على طفيها واخمادها عنه بقدرة العزيز الجبار فتداركه سبحانه
بقوله يا نار كوني بردا وسلاما على ابراهيم قال اهل التفسير لو لم يقل تعالى وسلاما لكن
ابراهيم فيها من شدة البرد فظاهر الامر نيران تتاجج وباطنه فضل ونعيم هو فيه يتفرج
وقول الجنيد رضي الله عنه كنت اسمع السري يقول يصل الانسان في حالة ان يضرب وجهه
بالسيف ولا يشعر فكنت اتعجب من ذلك حتى بان لي وذلك انه كان يسمعه ويتعجب مخالفته
للعادة فلما ذاقه وعلم كمال الاستغراق انه يزيل الاحساس بالنفس بالكلية اعترف
به ذوقا ويشهد لصحته ما قاله الخبر الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم ان الشهيد انما
يجد من الم الموت كما يجد من القرصة لخفة ذلك عليه وكمال شغله بجهاده واشتغاله
بمراده فيا سه الموت بالسيف ولا يحس به الا كما يحس بالقرصة واما قضية الشبلي
الذي كان شعر حاجبه بالمنقاش فهذا يدل على يسار ذلك او اول استغراقه في امر لا يطيق
حمله فكان يجد بنتف شعر حاجبه يحس الالم فيستغرق عنه ما ادركه وابله واحس من نفسه
العجز عنه ففيه دلالة على عظم ما يجوز ان يدخل الله العبد فيه من الاحوال العالية
التي لا قدرة له على حملها وقد صرح بذلك الشبلي لسائله فقال له الحقيقة ظاهرة لي ولست
اطيقه يعني الحال الذي ورد علي فهو داك يدخل الالم على نفسي لعلي احس بالالم قال
الامام رضي الله عنه وحال الهيبة والانس وان جلتا فاهل الحقيقة يجدونهما نقصا
لتضمنهما تغير العبد فان اهل التمكين سمت احوالهم عن التغير وهم محو في وجود العين
فلا هيبة لهم ولا انس ولا علم ولا حس والحكاية معروفة عن ابي سعيد الخراز رحمه الله انه قال
تهت في البادية مرة فكنت اقول اتيه فلا ادري من التيه من انا سوى ما يقول
الناس في وفي جنسي اتيه على جن البلاد وانسها فان لم اجد شخصا اتيه على نفسي
فسمعت هاتفا يهتف بي يا من يرى الاسباب اعلى وجوده ويفرح بالتيه الدني وبالانس
فلو كنت من اهل الوجود حقيقة لغبت عن الاكوان والعرش والكرسي وكنت
بلا حال مع الله واقفا تصان عن التذكار للجن والانس وانما يرتقي العبد عن هذه
الحالة بالوجود قال الشارح رضي الله عنه قوله وحال الهيبة والانس وان كانا رفيعا
في الدرجات فاهل الحقائق يرتفعون عنه فانهم متمكنون في مقاماتهم وغير متلونين
وصاحب الهيبة متغير بكونه هائبا ومهابا والانس مستانس به فمتى بقي العبد

من غير تراخ حتما وكذلك لو كانت الذات علة في خلق الاشياء وخلق الاشياء معلول لزم ان يكون العالم
قديما بقدم علته وهي الذات وكذلك الايجاد يكون بالطبع يلزم منه قدم العالم ... فدل الا انه
عز وجل فاعل لا بالايجاد بطريق الطبيعة ونظيرا لا بالايجاد بطريق الاختيار ... تعلم التوحيد

مدركا لكونه مستانسا او هائبا فلم يكمل استغراقه وانما هو في اسباب الاستغراق ومع الوجد
لا مع الوجود فالوجد طرب وانس وهيبة واجلال وكل ذلك يستدعي مهابا منه
ومستانسا به وهذه تفرقة ولذلك ساق الحكاية عن الخراز وذلك انه كان مدة سائحا
فتاه وكان طيب العيش مستانسا مع الله تعالى بكمال حاله كما قال تعالى فبذلك فليفرحوا
هو خير مما يجمعون فاخبر بحاله بما اجراه الحق على لسانه فقال اتيه فلا ادري من التيه من انا معناه
لكمال شغله بحاله فلا يخطر له ذكر نفسه سوى ما يقول الناس في وفي جنسي معناه لا
قدر لحالي وما من الله علي به اذ غفلته عما ذكره الناس وسطروه اتيه على جن البلاد
وانسها اي ما التفت في حال مع الله الى انس ولا جان فان لم اجد شخصا يعني من الانس والجن
تهت على نفسي اي ذلك من فضل الله تعالى لا منها فلما اعجبه حاله وما هو فيه من حسن مقامه
وجد له طرف سمعه هاتف اما من ملك او ولي او جني دله الحق بما سمعه على ارفع
من مقامه لئلا يعجب بنفسه ولتتعلق همته بما هو اعلى منه وهو قوله يا من يرى الاسباب
اعلى وجوده يعني الانس والهيبة وهي اسباب الوصول الى الحقيقة ويفرح بالتيه الدني
وبالانس فلو كنت من اهل الوجود حقيقة اي من اهل الوجد لا الوجود فلو كنت
من اهل الوجود حقيقة يعني وجود حق وغلبة على قلبك لغبت عن الاكوان
والعرش والكرسي يعني كل مخلوق من مقام او حال او وجد او غيره ولهذا كان الوجود
ارفع من الوجد وهو ما ياتي ذكره ومن الوجد ما حكى بعضهم قال كنت مسافرا الى مكة
حرسها الله تعالى فبينا انا امشي اذ رايت شيخا بيده مصحف وهو ينظر فيه ويرقص
فتقدمت اليه فقلت يا شيخ ما هذا الرقص فقال دعني عنك فقلت في نفسي عند من انا
وكلام من اتلوا وبيت من انا قاصد فاستغرقني الوجد فرقصت قال الامام رضي الله
عنه ومن ذلك ذكر التواجد والوجد والوجود فالتواجد استدعاء الوجد
بضرب اختيار وليس لصاحبه كمال الوجد اذ لو كان ذلك لكان واجدا وباب التفاعل
اكثره على اظهار الصفة وليست كذلك قال الشاعر اذا تخازرت وما بي
من خزر ... فقوم قالوا التواجد غير مسلم لصاحبه لما يتضمن من التكلف ويبعد عن
التحقيق وقوم قالوا انه مسلم للفقراء المجردين الذين ترصدوا لوجدان هذه
المعاني واصلهم خبر الرسول صلى الله عليه وسلم ابكوا فان لم تبكوا فتباكوا والحكاية
المعروفة لابي محمد الجريري رحمه قال كنت عند الجنيد رحمه الله وهنا ابن مسروق
وغيره وثم قوال فقام ابن مسروق وغيره والجنيد ساكن فقلت يا سيدي ما لك في السماع
شيء فقال الجنيد وترى الجبال تحسبها جامدة وهي تمر مر السحاب ثم قال وانت يا ابا محمد ما لك
في السماع شيء فقلت يا سيدي انا اذا حضرت موضعا فيه سماع وهناك محتشم امسكت على

انسه وحشه

وكذا يستحيل ايضا عليه تعالى الجبلاو وليس عضاء بعضلي سا وكل ما سوى هذا كالفرج شك

والوضع والسفول النسحاز عليه تعالى والشجرع الاشياء فعند الله متجبل والتوتعلى عالم بد كلمو ولا يحتاز من غير شك والوسم ولا كفير ولا ابحكر ولا دليل ولا برهان في مجال الذي لا يجوز

نفسي وجد كي تتواجدت فاطلق في هذه الحكايه التواجد ولم ينكر عليه الجنيد سمعت
الاستاذ ابا علي رحمه الله يقول لما راعي ادب الاكابر في حال السماع حفظ الله عليه وقته
ببركة الادب حتى يقول امسكت على نفسي وجدي فاذا خلوت ارسلت وجدي فتواجدت
لانه لا يمكن ارسال الوجد اذا شيئ بعد ذهاب الوقت وغلباته ولكنه لما كان صادقا — شيئ
في مراعاة حرمة الشيوخ حفظ الله عليه وقته حتى ارسل وجده عند الخلوه **قال** الشارح
رضي الله عنه التواجد تفاعل في اكتساب الوجد وان كان باب التفاعل انما يصح من اثنين ولكن
لما استدعى وجده وعسر عليه ثم استدعاه اشبه المفاعله بين اثنين اذ الوجد غلبة ما
كان يبغيه ويتواجد له على قلبه والوجد حصول ذلك من غير تكلف وتوالى معناه على القلب
من غير كسب وتقريب ذلك بالمثال ان العلوم النظريه تستدعي الفكر والبحث في الادله
فاذا حصلت اشبهت الوجد لغلبة الحكم على القلب الا انه لم يحصل الا مع ذكر دليله فاذا
استقر العلم في القلب وتوالى ذكره له واستغنى عن الاستدلال اشبه الضروري الذي لا
يفتقر لسبب وقول الامام ان بعض الناس لم يسلم التواجد وبعضهم سلمه للمتجرد فيه
نظر فان المتواجد لا يخلو اما ان يكون صادقا في تطلبه ام لا فان لم يكن صادقا فهو اما
مراي ومتشبع بما لم ينل وكلاهما خطا واما ان كان صادقا في تطلب وجده وحصوله فلا
فرق بين كونه فقيرا متجردا او غير متجرد في صحة تطلبه وانه جايز له اما سرعة جريان
الوجد واكتسابه على من تفرغ قلبه عن المشغلات واقبل بقلبه على تحصيل المقامات
في كثير من الاوقات فحصول الوجد له ايسر منه على غيره فبهذا يقع الفرق بين الفقير
المتجرد وغيره في تيسير الحصول لا في صحة التواجد والدليل على صحة التواجد قول النبي صلى
الله عليه وسلم ابكوا فان لم تبكوا فتباكوا معناه ان طرقكم البكا فابكوا واستغنموا هذه
الحاله اذا كانت لله وان عسر ذلك عليكم فاستجلبوه وهو معنى قوله عليه السلام تباكوا
اي فاستجلبوه بالفكر في اسبابه وقد روي ان عمر بن الخطاب رضي الله عنه اتى النبي صلى
الله عليه وسلم فوجد النبي صلى الله عليه وسلم وابا بكر يبكيان في قضية الغزا يوم بدر فقال يا رسول
الله ما يبكيكما اعلماني بذلك فان وجدت بكا والا تباكيت يعني اتكلف البكا موافقة
لكما فانهما لا يبكيان الا على امر صحيح فاخبره النبي صلى الله عليه وسلم بالسبب وقوله تعالى
لولا كتاب من الله سبق لمسكم فيما اخذتم الايه وانه لا يعذب الا بعد النهي واما الحكايه
التي ذكرها في السماع مع حضور الجنيد وابن مسروق وقول الجنيد وترى الجبال تحسبها
جامده الايه فانما يدل على قوة حفظه لحاله مع كمال وجده واما قول الجريري اذا كان ثم
محتشم امسكت على حالي راجع الى ما قاله الجنيد لكمال القوه ووصل الحال عن الطرق على
صاحبه ونقيضة الحكايه من انه اذا مضى الى موضع اخر ارسل وجده وتواجد معناه ارسل ما كان

امسك

عن محله ويشغل فرعي الا رفع كلما الصاد فوليد الموت والصمم والعمى والبكم لهذا اضداد وما تقدم جالموت
عدم الحياه والصمم ضد السمع والعمى ضد البصر والبكم ضد الكلام ومعنى البكم كون الكلام بلا حرف
والصوت والسكون ضد ذلك كله من خواص الحوادث ولا يطلق الخطيب بها لتعظيم وحدانيته

امسك على نفسه وهو غلبه حاله ووجده وقوله التواجد بشعر بتكلف تطلب لوجد لم
يكن وهذا ما يدل عليه الكلام وانما اراد الامام انه اطلق لفظ التواجد ولم ينكر الجنيد
التعب الى ما قدمه من اختلاف الناس في التواجد هل يسلم ام لا يسلم والامر في ذلك قريب
والى ما اشرنا اليه مال الشيخ ابو علي الدقاق من ان مساكه لحاله في حال السماع كان ببركة
المشايخ فلما بعد عنهم ارسله **قال** الامام رضي الله عنه فالتواجد ابتدا الوجد
على الوصف الذي جرى ذكره وبعده هذا الوجد والوجد ما يصادف قلبك ويرد عليك
بلا تعمل وتكلف ولهذا قال المشايخ الوجد المصادفه والمواجيد ثمرات الاوراد فكل
من زادت وظايفه ازدادت من الله تعالى لطايفه سمعت الاستاذ ابا علي رحمه الله يقول
الواردات من حيث الاوراد فمن لا ورد له بظاهره لا وارد له في سرائره وكل وجد فيه من
صاحبه شي فليس بوجد وكان ما يتكلفه العبد من معاملات ظاهره توجب له حلاوة الطاعات
فيما ينازله العبد من احكام باطنه يوجب له المواجيد فالحلاوات ثمرات المعاملات والمواجيد
نتايج المنازلات **قال** الشارح رضي الله عنه وهذا صحيح فان القلوب جرى الله العاده
برجوع بركات الاعمال الصالحه التي ثمرتها النيات على القلوب وتجد الراحه والانشراح
بوقوع اعمال الجوارح على وجه الاستقامه والطلب وكلما عرف العبد جوده اعماله
وحسن ايقاعها لربه انشرح قلبه وفرح وكلما فعل ذلك حسنت منه النيات وارتفعها
على ارفع الدرجات وهذه الاعمال التي تكون عنها الحلاوه واللذه في الطاعه بالقلب واما
المنازلات فهي انتقال القلب في درجات المقامات من الورع والزهد والتوكل والرضى
والتسليم والمحبه والانس وغير ذلك من درجات الولايات وكلما اعمل العبد قلبه في تحصيل
بعض المقامات وتكلفه حتى ينال منه الغايات جرت على قلبه المواجيد المترتبه عليه سوا
كانت خوفا من فواته او رجا لحصوله او شكرا لاسباغه او شوقا لكمال حصوله هذا يكون
في ساير المقامات والانتقالات وهي المعبر عنها بالمنازله وكما ان العبد تتزايد له الحلاوه
في ترتيب الاوراد فكذلك تتزايد له المواجيد في الانتقال بقلبه في هذه المنازلات ويكون
وجد كل احد على حسب منزلته التي اقامه الحق فيها وقد يكون في اولها متواجدا ثم يصير
ذا وجد ووجود كما تقدم في الاصطلاح **قال** الامام رضي الله عنه واما الوجود فهو بعد
الارتقا عن الوجد ولا يكون وجود الحق الا بعد خمود البشريه لانه لا يكون للبشريه بقا
عند سلطان الحقيقه وهذا معنى قول ابي الحسين النوري رحمه الله انا منذ عشرين سنه
بين الوجد والفقد اذا وجدت قلبي فقدت ربي وهذا معنى قول الجنيد رحمه الله علم التوحيد
مباين لوجوده ووجوده مباين لعلمه وفي هذا المعنى انشدوا وجودي ان اغيب عن الوجود
بما يبدو علي من الشهود فالتواجد بدايه والوجود نهايه والوجد واسطه بين البدايه

على اشتغاله بالوجد ومراده دوام اشتغاله بالنسبة الى الخلوف فكيف بالمحال والحلول كما
بل ما يتوقع الانتقال البادي الى الله انما نقول بصحة نفي التعريف عنه تعالى لكن يتوقع انتقال البادي
تعالى بدليل قوله صلى الله عليه وسلم النجا النجا اعوذ برضاك بل استعاذ وقوله صلى الله عليه وسلم

والنهايه **قال** الشارح رضي الله عنه والوجود لا يكون الا بعد خمود البشريه يعني ذهابها
عن احساسه بها وتلذذه بما يجد واعليه فانه ما دام مدركا لنفسه متمتعا بوجده فبشريته
حاصله واذا اشتغل بالله تعالى كمال الشغل حتى نسي نفس شغله كونه مشتغلا فصار الغالب
عليه ادراك الحق خاصه عبر وا بهذه الحالة عن الوجود ومن هذا ما حكي عن النوري
في قوله ان له عشرين سنه بين الوجد والفقد يعني ان وجد ربه فقد قلبه وان وجد قلبه
فقد ربه يعني انه لا يصح له وجود الحق الا بعد غفلته عن نفسه وقلبه بالكليه واما قول الجنيد
علم التوحيد مباين لوجوده ووجوده مباين لعلمه فمعناه ان الشخص يكون عالما بالوحدانيه
بالاستدلال بالاثار ولا يكون واجدا للتوحيد فان وجود التوحيد على هذا الاصطلاح لا يبقى
معه احساس بنفسه فضلا عن علمه واستدلاله على وحدانيته فعلم التوحيد شي ووجود
التوحيد شي اخر على هذا الاصطلاح فخرج من مجموع ما تقدم ان الوجود استغراق في الحق والتواجد
تطلب له والوجد ادراك اثار الوجود والشعر بامارات قربه وتيسيره وبهذا الاعتبار كان
الواسطه بين الطلب ووجود الارب واليه يرجع الشعر في قوله وجودي ان اغيب عن الوجود كي
تسمى الوجود بالحالة التي تغلب على قلبه المشاهد في الحق سبحانه حتى يغيب عن العالم وهو
الوجود الحادث الثاني في البيت **قال** الامام رضي الله عنه سمعت الاستاذ ابا علي رحمه الله
يقول التواجد يوجب استيعاب العبد والوجد يوجب استغراق العبد والوجود يوجب استهلاك
العبد فهو كمن شهد البحر ثم ركب في البحر ثم غرق في البحر وترتيب هذا الامر قصود ثم ورود
ثم شهود ثم وجود ثم خمود وبمقدار الوجود يحصل الخمود وصاحب الوجود له صحو ومحو
فحال صحوه بقاؤه بالحق وحال محوه فناؤه بالحق وهاتان الحالتان ابدا متعاقبتان عليه
فاذا غلب عليه الصحو بالحق فبه يصول وبه يقول قال عليه السلام فيما اخبر عن الحق سبحانه
فبي يسمع وبي يبصر **قال** الشارح رضي الله عنه فقوله التواجد يوجب الاستيعاب
والوجد يوجب الاستغراق والوجود يوجب الاستهلاك اشاره الى انتقال احوال الطالب
بالوجود ففي استيعابه له انه لا يبقي في قلبه متسع لغير مطلوبه فاذا امتلا قلبه به واشتد
طلبه له ظهرت اثاره عليه واستغرق قلبه فيه وهو كمال اشتغاله به وظهور اثاره عليه وهو
الوجد فاذا قوي وجده في طلب مقصوده حتى اشتغل به عن نفسه فصار هو الغالب على قلبه
حتى نسي نفسه فضلا عن غيره عبر عنه بالاستهلاك فاوله استيعاب بالجمله وثانيه
استغراق في القصد وثالثه كمال شغل بالفرد وشبهه بمن راى البحر واهواله ودعته حاجه
الى ركوبه فان ما يقدم عليه بكماله جمله وامتلا قلبه بنيل مقصوده فاذا ركبه واختلفت
عليه امواجه قوي عليه حاله واشتد اسره فاذا غرق فيه زال خوفه وقلقه وخمول الخوف
واستغراقه فيه ولذلك قيل انما الجزع مما تقي فاذا حل فما لي والجزع فلما حصل غريقا في عبابه

نسي

انه تعالى واصل القرب في القرب تنبيه على ان نعت النفس عليه تعالى كمال البهتون قوله
واضداد الصفات المعنوية وغيرها من نعوت بعض انكر ذلك عرفت ان اضداد الصفات المعاني عرفت اضداد الصفات
المعنوية فمنها ضد كونه تعالى قادرا كونه عاجزا وضد كونه تعالى مريدا كونه ليس مريدا وضد كونه

نسي جميع ما تقدم من اسبابه وصاحب الوجد لا يخلو من امرين من صحو ومحو فان كان مع الصحو
فبالحق يصول وبه يقول واذا كان في محو غاب عن نفسه واستدلاله بالخبر الصحيح كنت
سمعه وبصره استدلالا على قوله به فانه بالله وقد جاء في الخبر بك اصول وبك اقول وفي
الموطا من دعائه عليه السلام اذا قام من الليل يقول اللهم لك الحمد انت نور السموات والارض
ولك الحمد انت قيم السموات والارض وفي آخره بك خاصمت واليك حاكمت وعند اليوم
بك احيى وبك اموت **قال** الامام رضي الله عنه سمعت الشيخ ابا عبد الرحمن السلمي رحمه الله
يقول سمعت منصور بن عبد الله رحمه الله يقول سمعت وقف رجل على الشبلي فساله هل تظهر
اثار صحه الوجد على الواجدين فقال نور يزهر يقارنا لنيران اشتياق فتلوح على الهياكل
اثارها كما قال ابن المعتز وامطر الكاس ماء من ابارقها فانبت الدر في ارض من الذهب
وسبح القوم لما ان راوا عجبا نورا من الماء في نار من العنب سلافة ورثتها عاد عن
ارم كانت ذخيرة كسرى عن اب فاب **قال** الشارح رضي الله عنه فاما سوال الشبلي
هل تظهر اثار الوجد على الحقيقه على ظاهره فاجاب ان الوجود نور مترتب على نار شوق
وذلك العبد متى قوي اشتياقه لمطلوبه حتى شغله ذلك عن نفسه انما يكون ذلك لما يثيره
الله له ويطلعه عليه من خفي لطفه به وتقريبه فيظهر ذلك على وجهه وبدنه فيتكلم ولا
يسمع ويرى به ولا يشعر ويظهر نور باطنه على وجهه وبدنه وقت انفصاله عنه من تململه
وانكساره وجميل اشارته وكمال ادبه هذه اثار ما حصل في باطنه مما وجده من فضل ربه ومادكره
الامام رضي الله عنه من هذا التمثيل انما قصد به لطافه ما وجده وكمال صبابته وحسن ما
شاهده في كمال لطافته ودقته وحسن صبابته وكمال نوره في محله وشبهه بالاحاجه
له فيه الى تشبيهه به ذكر الخمر وكمال وصفها واستحسانها وانما مدحوا اباعراب فلذلك
لطفت وحسنت وهذا ما لو امكن ازالته ازالته لاستغنائه عنه بغيره وتطهير كتابه
منه ومن ذكره ومن امثاله **قال** الامام رضي الله عنه وقيل لابي بكر الدقي ان جعفما الرقي
اخذ شعره بيده في حال السماع في تواجده فقلعها من اصلها فاجتمعا في دعوة وكان الرقي
كف بصره فقام جعفما الرقي بيد ورقي هيجانه فقال الدقي اذا قرب مني فاروني به وكان
الدقي ضعيفا مرة فلما قرب منه قال له هذا هو فاخذ الدقي ساق جعفما فوقفه فلم يمكنه
ان يتحرك فقال جعفما ايها الشيخ التوبه التوبه فخلاه قال الاستاذ الامام رحمه الله فكان الرقي
جعفما بحق وامساك الدقي ساقه بحق ولما علم جعفما ان حال الدقي فوق حاله رجع الى
الانصاف واستسلم وكذا من كان بحق لا يستعصي عليه شي **قال** الشارح رضي الله عنه وهذه
الحكايه تدل على ان جعفما لما كان حاله قويا حتى قلع الشعر باصلها في وقت تواجده في بعض
الاحوال وشاع ذلك عنه فحصل له امتثار بقوه حاله فلما حضر في هذا السماع وقام لغلبة حاله

Copyright © King Saud University

دفعه كونه نفلا كما كونه جا العله وهذا كونه حيا كونه مجبولا على ... باسم الله التوفيق فقوله واما الجليل
بجعله نفلا وجعل كل معسكر لاخذ كر ... من غير ... السنفل من الواجبات والمستحبات ثم فيما يجوز
بجعله وذكر ان الجايز انه بجعله نفلا وجعل كل معسكر او نتركه ومثال الجايز ان التواب والعقاب

بد ورفر بما وجد في نفسه استحسانا لكمال حاله وقوته فاراد الله ان ينفي الذي مع ضعفه
في بدنه ان يعجز جسما ليرجع عن زهره ويتادب في نفسه فامرهم اكرامهم به ان ينبروا اليه
فلما مريه في هيبانه اسك الذي ساق جسمه فتوقف عن حاله فلذلك كان التوبة التوبه لما وقع
في نفسه من استحسان حاله وقوله الامام وكذلك كل من كان حاله بحق لا يستعصي عليه شي
يعني ان الفاعل فيه هو الله ولا يقوم لعظمه الله شي فخرج من ذلك ان قيام جسمه في حق
واسماك الذي بحق وانما كان امساك الذي لجسمه ادبا في حقه لما خطر له في اسناد ورائه
ولذلك كان له التوبه التوبه والله اعلم قال الامام رضي الله عنه واما اذا كان الغالب عليه
المحو فلا علم ولا عقل ولا فهم ولا حس سمعت الشيخ ابا عبد الرحمن السلمي رحمه الله يذكر
باسناده ان ابا عقال المغربي رحمه الله اقام بمكه اربع سنين لم ياكل ولم يشرب الى ان مات
ودخل بعض الفقرا على ابي عقال فقال له سلام عليكم فقال ابو عقال وعليكم السلام فقال الرجل
انا فلان فقال انت فلان كيف انت وكيف حالك وغاب عن حالته فقال هذا الرجل فقلت سلام عليكم
فقال عليك السلام كانه لم يرني قط فقلت انا فلان فقال انت فلان كيف انت وكيف
انت وغاب كانه لم يرى ففعلت مثل هذا غير مره فعلمت ان الرجل غايب فتركته وخرجت
وسمعت محمد بن الحسين يقول سمعت عمر ابن محمد بن احمد يقول سمعت امراه ابي عبد الله التروغبذي
تقول لما كان ايام المجاعه والناس يموتون من الجوع دخل ابو عبد الله الترو غبذي بيته
فراى في بيته مقدار منوين حنطه فقال الناس يموتون من الجوع وفي بيتي حنطه فخولط
في عقله فما كان يفيق الا في اوقات الصلوه يصلي الفريضه ثم يعود الى حاله فلم يزل كذلك الى ان
مات دلت هذه الحكايه على ان هذا الرجل كان محفوظا عليه اداب الشريعه عند غلبات
احكام الحقيقه وهذا هو صفه اهل الحقيقه ثم كان سبب غيبته عن تمييزه شفقته
على المسلمين وهذه اقوى ... لتحققه في حاله قال الشارح رضي الله عنه اما قضيه ابي
عقال انه اقام اربع سنين لم ياكل ولم يشرب حتى مات فهذا من خرق العادات ولم يكن موته
من الجوع فانه لو كان من الجوع لمات بدون ذلك ولو كان في معلوم الله انه يعيش اكثر من ذلك
لبقي بلا اكل الخرق العاده له فقوله لم ياكل ولم يشرب قد يحتمل انه لم ياكل من الغذا ولم
يشرب الما وكان يغتذي بغير الاطعمه وهذا وان احتمل فيه بعد فانا نعرف انما اورد
ما اورد من دوام امتناعه من الاكل والشرب على الفضيله والا لو اغتذى بغيره لساوى
غيره من الناس والدليل على كونه من الخوارق دوام استغراقه وتوالي ذلك عليه كما تضمنته
الحكايه في غيبته وحضوره فكان غذاوه كمال شغله وذكره له واستغراقه فيه كما
قال عليه السلام لما قيل له انك تواصل قال لست كهيئتكم اني اطعم يطعمني ويسقيني الحديث
وهذا الترو غبذي انما كان غضبه على نفسه حتى خولط في عقله لشده ما دخل عليه بسبب

وبعد الرسل عليهم الصلاه والسلام ورويه المولى الكريم في الجنه وغير ذلك من الممكنات وما يجب عليه نفلي
جعل معسكر ولا تركه وانما فعل ذلك تفضلا منه نفلي على عبيده لانه لا حق لاحد عليه باستحقاق
او باهل الضلاله نيا ... يقع له رجيح بطاعه احد وايضا جا الطاعه ... خلق الله نفلي وليس للعبد

حرصه على الطعام في وقت الاحتياج اليه وكانت شفقته ان تخرجه وتدفع عنه قوته الايام اليسيره
وخرج الفاضل عن ذلك فلم يفعل وجد الم ذلك وغضب على نفسه واشتد المه حتى خولط
في عقله ... ايامنا وحدث له بسبب الجوع هذا الاختلاط وكونه يحفظ في اوقات الصلوات
دليل على ان ما هو فيه من جمله الكرامات ولم يكن عقوبه وانما كان اختلاطه غيبه وشغلا
ونظاير الحكايات الثلاث على احد حالي صاحب الوجود وهما الصحو والمحو وهذا هو المحو اعني
الاستغراق بالكليه ومن كمال الاستغراق وحفظ المستغرق حتى يرد الى ما سبق ويرد الى ما
كان فيه قال الامام رضي الله عنه ومن ذلك الجمع والفرق لفظ الجمع والتفرقه يجري في كلامهم
كثيرا وكان الاستاد ابو علي الدقاق رحمه الله يقول الفرق ما نسب اليك والجمع ما سلب عنك
ومعناه ان ما يكون كسبا للعبد من اقامة العبوديه وما يليق باحوال البشريه فهو فرق
وما يكون من قبل الحق من ابدا معان وابتدا لطف واحسان فهو جمع هذا ادنى احوالهم في
الجمع والفرق لانه في شهود الافعال فمن اشهده الحق سبحانه افعاله من طاعاته ومخالفاته
فهو عبد بوصف التفرقه ومن اشهده الحق سبحانه ما يوليه من افعال نفسه سبحانه فهو عبد
يشاهد الجمع فاثبات الخلق من باب التفرقه واثبات الحق من نعت الجمع ولا بد للعبد
من الجمع والفرق فان من لا تفرقه له فلا عبوديه له ومن لا جمع له لا معرفه له فقوله اياك
نعبد اشاره الى الفرق وقوله اياك نستعين اشاره الى الجمع واذا خاطب العبد الحق
بلسان نجواه اما سايلا او داعيا او مثنيا او شاكرا او متنصلا او مبتهلا قام في محل التفرقه
واذا اصغى بسره الى ما يناجيه مولاه واستمع بقلبه ما يخاطبه به فيما ناداه او ناجاه او عرفه
معناه او لوح لقلبه واراه فهو بشاهد الجمع سمعت الاستاد ابا علي رحمه الله يقول انشد
قوال بين يدي الاستاد ابي سهل الصعلوكي رحمه الله جعلت تنزهي نظري
اليكا وكان ابو القاسم النصراباذي رحمه الله حاضرا فقال الاستاد ابو سهل جعلت بفتح
التا فقال النصراباذي بل جعلت بضم التا فقال الاستاد ابو سهل اليس عين الجمع اتم فسكت
النصراباذي وسمعت الشيخ ابا عبد الرحمن السلمي ايضا يحكي هذه الحكايه على هذه الوجه
ومعنى هذا ان من قال جعلت بضم التا يكون اخبارا عن حال نفسه وكان العبد يقول هذا
واذا قال جعلت بالفتح فكانه يتبرا من ان يكون ذلك بتكلفه بل يخاطب مولاه فيقول انت الذي
خصصتني بهذا الا بتكليفي فالاول على خطر الدعوى والثاني بوصف التبري من الحول
والاقرار بالفضل والطول وفرق بين من يقول بجهدي اعبدك وبين من يقول بفضلك
ولطفك اشهدك وجمع الجمع فوق هذا قال الشارح رضي الله عنه الجمع ما اخرجه من جمع
الهمه على الحق سبحانه والتفرقه ما اخرجه من مشاهده الاغيار مع الحق حتى كان العبد ناظرا
لافعاله موقعا لها على حسب ما طلب منه ... متعرفا بها الى ربه كان منعوتا بوصف الفرق اي نظره

Copyright © King Saud University

فيها الا الاكتساب وما اجراه فيها وكلما اتى به الشارع صلى الله عليه وسلم وخبر به من ثواب وعقاب

وما اخذوا جاريه لصفا بعج وجوده وعدمه فلجحد الشارع وما بعد تجهيهم بنسوا واجب

بالحج لا بد نعقل بالله تعلى للتوحيد فوته معلق وامر برثان وجوده تعلى بحدوث العالم

مفرق بين العابد والمعبود والمطيع والمطاع ومتى اجتمعت همته ونظره على انفراد الحق

سبحانه بساير الافعال الجاريه عليه وعلى غيره في عموم الاحوال كان بوصف الجمع اي مجموع

الهمه على الفاعل ومتى كان العبد ناظرا الفضل مولاه وهو محل لجريان احسانه عليه فيما

اسبغه عليه ووالاه مثبتا من اضافه ذلك الى كسبه وتقواه كان بوصف الجمع ومتى كان

مجتهدا في تحصيل ما امر به ومتقيا لما نهاه عنه متحملا في ذلك شديد الجهد خايفا

من اخلاله بشي مما نواه كان بوصف الفرقه ولذلك اشار القران والله اعلم بقوله

اياك نعبد اشاره الى العابد والمعبود وهذا وصف التفرقه واياك نستعين تبري من الحول

والقوه الا به وهذا وصف الجمع وعلى هذا المثال تجري ساير اقوالهم في اطلاق الجمع والتفرقه

في الاحوال وقوله ولا بد للعبد من الجمع والفرق يعني في سلوكه لمولاه فانه ان توالى عليه

وصف التفرقه فاستحسن اعماله خشي عليه التعجب والادلال وان فعل ذلك بوصف

الجمع تبرا من حوله وقوته واضاف ذلك الى الكبير المتعال فعلى هذا لا يسلم له طاعاته ويتعالى

في درجاته الا بالجمع والتفرقه معا وان كان دونها بوصف التفرقه وسلم من الاذان في الاعمال

او كان دونها بوصف الجمع وسلم من اهمال نفسه واعتمد بزعمه على الكرم والانفصال خشي عليه

الاهمال ونوع اخر من الجمع ارفع مما ذكرناه وهو ان العبد اذا كان داعيا او سايلا او شاكرا

او متضرعا وان كان يراه تفضلا عليه من مولاه فهو بواسطه التفرقه بكونه يري نفسه

داعيا او شاكرا او سايلا وان كان في مناجاته لمولاه مصغيا لما يورده عليه من نجواه ونحا طبه

به في سره وبلهمه من ادبه معه في تقواه وينبهه عما بطن من غفلاته ويرقيه فيه من شتى

حالاته فهو بوصف الجمع بما غلب على قلبه من فضل مولاه به ولكونه محلا لجريان لطفه به

وبره وعلى هذا النوع من الجمع والفرق اورد الامام الحكايه عن ابي سهل الصعلوكي والنصراباذي

لما انشد القوال بيتا ابدا: جعلت تنزهي نظري اليكا اورده بنا المتكلم فقال ابو سهل

الصعلوكي جعلت بنا الخاطب فقال القاسم النصراباذي بل جعلت موافقه لما انشده

المنشد فقال الاستاذ ابو سهل اليس عين الجمع اتم اي نسبه الافعال الى الله اتم من نسبها

الى العبيد فسلموا الجميع لذلك واعترفوا بفضيلته ما قال وذلك ان جعلت اشاره الى الكسب

وجعلت اشاره الى الفضل وشتان بين ما حصل بالجد المكتسب وما حصل بالفضل من غير

طلب وسياتي الكلام على جمع الجمع الذي هو اجلى من هذا **قال** الامام رضي الله عنه ويختلف

الناس في هذه الجمله على حسب تباين احوالهم وتفاوت درجاتهم فمن اثبت نفسه واثبت

الخلق ولكن شاهد الكل قايما بالحق فهذا هو جمع واذا كان مختطفا عن شهود الخلق مصطلما

عن نفسه وماخوذا بالكليه عن الاحساس بكل غير عما ظهر واستولى من سلطان الحقيقه فذلك

جمع الجمع فالتفرقه شهود الاغيار لله والجمع شهود الاغيار بالله وجمع الجمع الاستهلاك بالكليه

وفناء

البين تكون بالدليل القاطع والحدث هو الوجود بعد العدم

يعني ان الله كل موجود من المخلوقات وسود ليدل على وجود الباري وكل ما سوى الله تعالى حادث لان العالم

اي قوله بعد ان لم يكن له حدث بل حدث

اي فوله وهو ما بعد ان لم يكن ارحدوث العالم وهو ما سوى الله تعالى حادث ليدل على وجود الباري

وفناء الاحساس بما سوى الله تعالى عند غلبات الحقيقه وبعد هذا حاله عزيزه يسميها

القوم الفرق الثاني وهو ان يرد الى الصحو عند اوقات اداء الفرايض ليجري عليه القيام

بالفرايض في اوقاتها فيكون رجوعا لله بالله لا للعبد بالعبد يطالع نفسه في هذه الحاله

في تصريف الحق يشهد مبدي ذاته وعينه بقدرته مجري نعاله واحواله عليه

بعلمه ومشيته **قال** الشارح رضي الله عنه ومعني جمع الجمع الذي هو فوق الجمع

ان العبد متى شاهد نفسه وغيره من المخلوقين في تصرفاتهم فهو بعين التفرقه وان شاهد

نفسه محلا لما يجريه الحق عليه فهو بعين الجمع وان كمل استغراقه بالحق حتى غفل عن نفسه

وغيره شغلا بالله فهو جمع الجمع فمن كانت افعاله لله وشاهد ايقاعه لها طاعه الله فهو

بعين التفرقه ومن شاهدها جاريه عليه فضلا من الله مقدرا لها بالله فهو في عين الجمع ومن غفل

عن نفسه وعن عمله شغلا بالله واستهلاكا في حب الله فهو جمع الجمع وعلى هذا الترتيب

يتفاوت الناس في مقاماتهم في التفرقه والجمع وجمع الجمع ثم بعد جمع الجمع حاله شريفه

سموها الفرق الثاني وانما كان فرقا ثانيا بالنسبه للتفرقه الاولى فان التفرقه الاولى

وقوف مع احواله واعماله وايقاعها طاعه لوجه ربه والفرق الثاني ان العبد اذا اصطلمته

شواهد العزه واصطلم وذهب عن احساسه بنفسه بالكليه شغلا بربه تعالى عن غيره فاذا

حضر وقت صلاه واجبه او فرض لربه عليه فمن كمال حاله ان يرده الحق الى نفسه ليوقع فرض

ربه عليه في وقته ثم يرجع الى ما كان فيه من حاله فسموا هذا فرقا ثانيا لرجوعه الى احساسه

وايقاعه طاعه ربه فرضه له وانما كانت هذه حاله عزيزه شريفه لكمال حفظ الله تعالى

لمن وصله تعالى اليه وحفظ وقته عليه ولو دام استغراقه في حالته ولم يرد الى نفسه

لكان معذورا عند ربه ولم يكن اثما بما هو مغلوب عليه فيه ولكن رجوعه الى القيام به زياده

فضيله له عند ربه وفضل وحفظ له في درجته وقوله يكون رجوعه لله بالله لا للعبد

بالعبد اي يكون رجوعه الى طاعته الله راء فضل الله لان العبد يرد الى نفسه حتى

يفارق ما كان فيه من الجمع ويوقع طاعته لله فيكون قد رجع الى الفرق الاول وفرق

بين ان يدرك عبادته بنفسه وهو مدرك لها وبين ان يدرك نفسه في عبادته مصرفا

فيها مشعرا لا بها وهو في الفرق الثاني لم يخرج من جمع الجمع الى التفرقه بل رد الى الجمع

بخلاف التفرقه الاولى وهو رجوعه الى نفسه وادراكه عمله بنفسه خروجا عن الجمع بالكليه

قال الامام رضي الله عنه واشار بعضهم بلفظ الجمع والفرق الى تصريف الحق جميع الخلق

فجمع الكل في التقليب والتصريف من حيث انه منشي ذواتهم ومجري صفاتهم ثم فرقهم في التنويع

ففرق فريقا اسعدهم وفريقا ابعدهم وفريقا هداهم وفريقا اضلهم واعماهم وفريقا حجبهم وفريقا

جذبهم وفريقا انسهم بوصلته وفريقا ايا سهم من رحمته وفريقا اكرمهم بتوفيقه وفريقا اصطلم

Copyright King Saud University

جلو عن ذكر هذا الدليل لا يتم الا بطلان حدوث العالم بنفسه وذكر المؤلف استحالة وجود العالم
بنفسه وقال الوحدة لنفسه لئلا ان يكون احد الامرين المتضاديين منتسبا للعالم وانما عليه
ومعنى ذلك الا الموجود القطع فهما على احد المعنى المعين العالم وجوده ومعدوم على حد

عند ذوقهم لتحقيقه وفريقا اصحاهم وفريقا الحاهم وفريقا ايهم وفريقا غيبهم وفريقا ادناهم
واحضرهم ثم سقاهم فاسكرهم وفريقا اشفاهم واخرهم ثم اقصاهم وهجرهم والواع افعاله لا يحيط
بها حصر ولا بناني على تفضيلها شرح وذكروا انشد الجنيد رحمه الله في معنى الجمع والتفرقه
وتحققتك في سري فناجاك لساني فاجتمعنا لمعان وافترقنا لمعاني ، ان يكن غيبك
التعظيم عن لحظ عياني ، فلقد صيرك الوجد من الاحشا داني ، وانشد واداما
بدا لي تعاظمته فاصدر في حال من لم يرد ، جمعت وفرقت عني به تفرد التواصل
مثنى العدد ، **قال** الشارح رضي الله عنه واشار قوم للتفرق والجمع الى معنى اخر غير
ما تقدم الكلام فيه من الجمع وجمع الجمع فان ذلك ينقسم الى احوال العبد في تفرقته وجمعه
مع الحق وذكره لنفسه وغفلته عنها والذي اشار اليه هاولا بالنظر الى ماسبق للخلق
كلهم في الاراده الازليه والقدر السابق فكلهم مجموعون لدخولهم فيما سبق لهم عند الحق محموعون
في سابق علمه وقدره فهذا جمع اي قد اجتمعوا فيه وفرقهم فيما خص كل واحد منهم به من
قدره واجراه عليه في ابده فقوم اسعدهم وقوم ابعدهم وقوم اقصاهم وقوم والاهم الى سائر
كلامه من التصريف للخلق فهاهم فيه تصاريف التفرقه على هذا باعتبار تصريفهم فيه وفرقهم وسائر
الجمع باعتبار ان كل ما هم فيه مراد له سابق لا يتغير ولا يتبدل ويحتمل ان ترجع التفرقه والجمع
في هذا الى نظر العبد ايضا فان من غلب على قلبه النظر للسوابق وهي اللواحق فهذا جمع
ومن نظر الى اختلاف احوال الخليقه مما حضر فيه فهو في تفرقه لعدم همه على امر واحد
وانشد الجنيد في معنى التفرقه والجمع ما ذكره وهو قوله تحققتك في سري فناجاك
لساني والتحقيق في السرائر ادا الله تعالى لا غير فهو جمع ومناجاته باللسان واضافته
الى العبد تفرقه ولهذا قال فاجتمعنا لمعان وهو حال الحقيقه وافترقنا لمعان وهو حال
العباده وقوله ان يكن غيبك التعظيم عن لحظ عياني فلقد صيرك الوجد من الاحشا
دان معناه ان كنت لا اراك في الدنيا ببصري لجلالك وضعفي فقد تفضلت علي بدوام نظري
اليك في الدنيا ببصري وصفي والشعر الثاني الطف من الاول وقوله فلما بدا لي تعاظمته
فاصدر في حال من لم يرد اي لما تعاظمته غيبت في عظمتي به وردني اليه بفضله وهو
الصدر فاستغرقت به وصدرت به جمعت وفرقت عني به اي جمعت فيه وفرقت
عنه كل ذلك في الجمع والتفريق منه وواحد وانا المفرق المجموع في حالين فتفرد التواصل
مثنى العدد تفرقته وصله به وهو بالله مفرق وبالله مجموع في حالته مثنى والمعنى
الذي جمع به وفرق واحد فهذا الكلام على معنى الجمع والفرق عندهم باختلاف مقاصدهم
ومراتبهم فيه وهو الصاح العليم **قال** الامام رضي الله عنه ومن ذلك الفنا والبقا اشار
القوم بالفنا الى سقوط الاوصاف المذمومة واشاروا بالبقا الى قيام الاوصاف المحمودة واذا

قال

هو حجة الشرع من غير ترجيح ولو صح ان يحدث العالم بنفسه بدون ان تكون لتنبيه ان يكون العالم مسلوبا
راجحا عليه بلا موجب وهو معلل موجب ان يكون يحدث العالم بغيره وذلك الغير هو الله تعالى
مكنا بمعنى الموجود العالم لنفسه بل هو معنى الى الغير معنى بمعنى بالوجود دون العدم

كان العبد لا يخلوا عن هذين القسمين فمن المعلوم انه اذا لم يكن احد القسمين كان القسم الاخر لا محالة
فمن فني عن اوصافه المذمومة ظهرت عليه الخصال المحموده ومن غلبت عليه الخصال المذمومه استترت
الصفات المحموده واعلم ان الذي يتصف به العبد افعال واخلاق واحوال فالافعال تصرفاته باختياره
والاخلاق جبلت فيه ولكن تتغير بمعالجته على مستمر العادة والاحوال ترد على العبد على وجه الابتدا لكن
صفاوها بعد زكا الاعمال فهي كالاخلاق من هذا الوجه لان العبد اذا نازل الاخلاق بقلبه ونفى
لوجهه بجهده سفسافها من الله عليه بتحسين اخلاقه فكذلك اذا واظب تزكية اعماله بيدك
وسعه من الله عليه بتصفية احواله بل بتوفية احواله فمن ترك مذموم افعاله بلسان الشريعة
يقال انه فني عن شهوته فاذا فني عن شهوته بقي بنيته واخلاصه في عبوديته ومن زهد في دنياه
بقلبه يقال فني عن رغبته فاذا فني عن رغبته بقي بصدق انابته ومن عالج اخلاقه فنفى عن قلبه
الحسد والحقد والبخل والشح والغضب والكبر وامثال هذا من رعونات النفس يقال فني عن سوء
الخلق فاذا فني عن سوء الخلق بقي بالفتوه والصدق ومن شاهد جريان القدرة في تصاريف الاحكام
يقال فني عن حسبان الحدثان من الخلق فاذا فني عن توهم الاثار من الاغيار بقي بصفات الحق ومن استولى
عليه سلطان الحقيقه حتى لم يشهد من الاغيار لا عينا ولا اثرا ولا رسما ولا طللا يقال انه فني عن الخلق
وبقي بالحق فنفى العبد عن افعاله الذميمة واحواله الخسيسة بعدم هذه الافعال وفناوه عن نفسه
وعن الخلق بزوال احساسه بنفسه وبهم فاذا فني عن الافعال والاخلاق والاحوال فلا يجوز ان يكون ما
فني عنه من ذلك موجود فاذا قيل فني عن نفسه وعن الخلق فنفسه موجودة والخلق موجودون
ولكن لا علم له بهم ولا به ولا احساس ولا خبر فتكون نفسه موجودة والخلق موجودون ولكنه غافل
عن نفسه وعن الخلق غير محس بنفسه وبالخلق وقد ترى الرجل يدخل على ذي سلطان او محتشم فيذهل
عن نفسه وعن اهل مجلسه هيبة ويذهل عن ذلك المحتشم حتى اذا سئل بعد خروجه من عنده عن اهل مجلسه
وهيبة ذلك الصدر وهيبة نفسه لم يمكنه الاخبار عن شي قال الله تعالى فلما رأينه اكبرنه وقطعن
ايديهن لم يجدن عند لقا يوسف على الوهلة الم قطع الايدي وهن اضعف الناس وقلن ما هذا بشرا
ولقد كان بشرا وقلن ان هذا الا ملك كريم ولم يكن ملكا فهذا تغافل مخلوق عن احواله عند لقا مخلوق فما ظنه
بمن يكاشف بشهود الحق سبحانه فلو تغافل عن احساسه بنفسه وابناء جنسه فاي اعجوبة فيه فمن
فني عن جهله بقي بعلمه ومن فني عن شهوته بقي بانابته ومن فني عن رغبته بقي بزهادته ومن فني عن
منيته بقي بارادته وكذلك القول في جميع صفاته واذا فني العبد عن صفته بما جرى ذكره يرتقي عن ذلك
بفنايه عن رويه فنايه والى هذا اشار قايلهم وقوم تاه في ارض بقفر وقوم تاه في ميدان حبه
فانوا ثم افنوا ثم افنوا وابقوا بالبقا بقرب ربه فالاول فنا عن نفسه وصفاته ببقايه بصفات
الحق ثم فناوه عن صفات الحق بشهود الحق ثم فناوه عن شهود فنايه باستهلاكه في وجود الحق
قال الشارح رضي الله عنه قال الله تعالى كل شي هالك الا وجهه والفنا هو الذهاب عن التحقق بمادة

الميلو له وبتخصيصه بالمكان المخصوص به دون سائر الازمنة مكته وبتخصيصه بالزمان المخصوص
دون سائر الازمنة وبتخصيصه بالمقدار المخصوص دون سائر المقادير وبتخصيصه بالصفات المخصوصة دون
سائر الصفات بقدرة الله تعالى وحده

تذهب عنه الاشخاص وتاره تذهب عنه العلوم بالمعلومات وتاره تذهب عنه الاخلاق المذمومات وتاره تذهب
عنه الاحوال شغلا بمحولها ومجريها فهذه قاعدة الفنا على وجه الاصطلاح واول ذلك فنا الشخص عن
عوايده المذمومة اي تاركها ومتخلص منها وتبدل كل التفات قلبه اليها زهدا فيها ولعراضا عنها فان كانت هذه
الاخلاق لا تنتفي الا باحضار ضدها لزم تخلقه بالضد عند فنا ضده وذلك اذا كان ضد الزهد الرغبة
في الدنيا فمن لم يزهد بقيت رغبته ومن قوي زهده فنيت رغبته وكذلك جميع الاخلاق المذمومة التي
لا تنتفي الا بحصول اضدادها وقد يكون من الاخلاق اخلاق مذمومة ينبغي الانسان عنها ويتخلص بغيرها من
الصفات المحمودة باكتساب لها وتكلف في تحصيلها وعلى الجملة فالفنا والبقا اسمان لما تخلص العبد منه مما يتعلق
بقلبه والبقا اسم لما هو متصف به وقايم معه وقد قال سيف السنة ابو محمد عبد الله الانصاري
الهروي الفنا اضمحلال ما دون الحق علما ثم جحدا ثم حقا فاذا ذهب عن القلب العلم بالشي شغلا بغيره قيل
فني عنه اي عن محبته وتعلق قلبه به فاذا زالت كراهته له واعراضه عنه فني عنه جحدا اي
انكارا فاذا ذهب عن قلبه بالكلية سمي فناوه عنه حقا والفنا بمعنى الاضمحلال جاز في الاقسام الثلاثة
وهو ارفع مما تقدم كلام الامام فيه فان الامام تكلم في اول مقامات الفنا وهو الفنا عن الاخلاق
الذميمة والبقا مع الاخلاق الحميدة والهروي تكلم في الفنا عن غير الله والبقا مع الله خاصة وقول
الامام واعلم ان الذي يتصف به العبد اعمال واخلاق واحوال فالاعمال مكتسبة والاخلاق
طبيعية الا انه يجوز تغيرها والاحوال موهبة من الله تعالى الا ان صفاها مرتب على صفا الاعمال
لان صفا الحال تبع لاخلاص الاعمال لله تعالى والمواظبة عليه فلذلك شبهها بالاخلاق ولو انها طبيعية
يتمكن العبد من تغيرها بالرياضة كما يتمكن من تصفية الاحوال باخلاص الاعمال والدوام عليها
فاذا تقرر ذلك صح الفنا عن الاعمال المذمومة بالاعمال المحموده وصح الفنا عن الاخلاق المذمومة
بالمحمودة وكذلك الاحوال فيكون العبد باقيا بما قام به من الاعمال والاخلاق والاحوال المذمومة المحموده
فهو بالاضافة الى ما تشتغل عنه فانيا والى ما اشتغل به باقيا وقوله من شاهد جريان القدرة في تصاريف
الاحكام من السعادة والاضلال والطاعة والعصيان يقال فني عن الخلق بحسبان الحدثان منهم وقوله
واذا فني عن توهم الاثار من الاغيار يعني كسب العبيد ومقارفة قدرهم لا فعالهم لما غلب على قلبه
من انفراد الله تعالى بالفضل يقال بقي بصفات الحق يعني نظر العبد الى قدرة الله تعالى وارادته
وعلمه وقوله ومن استولى عليه سلطان الحقيقة حتى لم يشهد من الاغيار لا عينا ولا اثرا ولا رسما
ولا طللا يقال فني عن الخلق وبقي بالحق وهذا التقسيم الذي قسمه الهروي رحمه الله الى ثلاثة اقسام
فجعل فناه عن الخلق تارة علما وتارة جحدا وتارة حقا وذلك لاختلاف احواله في البقا والشغل بالحق
عز اسمه وجل جلاله وبمقدار كمال شغله به يكون فناوه عن غيره وقوله وفنا العبد عن افعاله الذميمة
واحواله الخسيسة يكون بخلاصه عن هذه الافعال وعدم اتصافه بها حسا وذكرا وفناوه عن
نفسه وعن الخلق يكون بكمال شغله بربه حتى يزول احساسه لنفسه ولغيره مع بقا نفسه

والاغيار

بين مطموس السطر النقادير ... خنتط صدا وترجيحها ... على ... الامر ... تعالى ... مثال ذلك
كيفية ... المعتدلة لنظرها تمثيل احدهما بان ... خرى ... بشغل ... الطايلة ... دون الاخر او ... شغف
من الاخر ... دون الطايلة ... فيهما منتفيا ... وجود ... وعدمه ... لتقاعد الكيفيين

والاغيار الا انه يكون مشغولا عنها بغيرها بخلاف ما تقدم من الاحوال والاخلاق الذمية فانه يفارقها بالكلية
وينسلخ عنها ببقايه مع الاخلاق المحمودة وهذا المعنى الذي عبر الفنا به عن الغفلة عن الشي شغلا بما هو اولى
منه وان كان ذلك الشي موجودا وانما غاب عن ذكر المشتغل لكمال اشتغاله بما هو ارفع منه هو الذي قربه الامام
رحمة الله عليه بالمثال للداخل على ذي سلطان يختلف احواله باختلاف تعظيمه له والاجلال فقد يثبت
جاسه ويعرف ما جرى على لسانه ويدرك جلسا السلطان وما هو عليه من الهيبة والافعال وقد يقوى
تعظيمه له حتى لا يدري ما جرى على لسانه من الجواب للسوال ولا عن شي من صفات الملك والاحوال حتى لو سيل
عن ذلك بعد الانفصال لم يدر ما قاله بلسانه ولا ما جرى عليه من الحال واذا كان هذا جاريا مع ملاحظة مخلوق
لمخلوق وامتنا زعنه بيسير من الكمال والجمال فكيف بمشاهدة المنزه عن الاشباه والامثال المنفرد بصفات الكمال
والجمال الحقيقي لمن صحت معرفته به واجتمع همه في ذكره ان لا يخطر غيره له ببال وقد وقع ذلك نصا في القران
وكفى به وضوحا في الاستدلال ما جرى للنسوة لما خرج عليهن الصديق دهشت عقولهن لما شاهدن
به من الجمال حتى لم يشعرن بقطع الايدي وقلن ما هذا بشرا وهو بشر بلا اشكال واذا فني العبد عن الاغيار
فتختلف احواله تارة يكون ذاكرا لكونه فانيا عن الاغيار وتارة يقوى شهوده وشغله بمن استغرقه
حتى لا يحس بكونه فانيا عن غيره لعدم ذكره لاحوال نفسه وهذا يعبر عنه بفنا الفنا فانه فني عن كونه
فانيا وقوله وقوم تارة في ارض بقفر وقوم تارة في ميدان حبه فافنوا ثم افنوا ثم افنوا وابقوا بالبقا بقرب ربه
فجعل الفنا والبقا على ثلاث درجات احداهما فنا العبد عن صفات نفسه من اعماله واخلاقه واحواله
ببقايه مشاهدا لصفات ربه المتعلقة بافعاله واذا ارتفعت درجته واشتغل بكمال الذات
المنزهة عن الاقطار والجهات فني عن ذكر الصفات وقد يبقى ذاكرا لفنايه عن الصفات وكماله
ان يفنى عن ذكره لكونه فانيا وهو فنا الفنا ولذلك قال فافنوا ثم افنوا ثم افنوا وابقوا بالبقا
بقرب ربه وقوله وقوم تارة في ارض بقفر يعني تاهوا لما احبوه في الفلوات والصحاري وقوم
تاهوا في درجات الحب واتساع مقاماته حتى شغلهم ذلك عن انفسهم ولما ان قسم الفنا على هذه الرتب
والمقامات فعلى حسبه يكون انقسام البقا الى الدرجات والله الموفق للصالحات قال الامام رضي
الله عنه ومن ذلك الغيبة والحضور فالغيبة غيبة القلب عن علم ما يجري من احوال الخلق لاشتغال
الحس بما ورد عليه ثم قد يغيب عن احساسه بنفسه وغيره بوارد من تذكر ثواب او تفكر في عقاب كما
روي عن الربيع بن خثيم رحمه الله كان يذهب الى ابن مسعود رضي الله عنه فمر بحانوت حداد
فراى الحديدة المحماة في الكير فغشي عليه ولم يفق الى الغد فلما افاق سال عن ذلك فقال تذكرت كون اهل
النار في النار فهذه غيبة زادت على حدها حتى صارت غشية وروي عن علي بن الحسين رضي الله عنه
كان في سجود فوقع حريق في داره فلم ينصرف عن صلاته فسئل عن حاله فقال الهتني النار الكبرى
عن هذه النار قال الشارح رضي الله عنه الغيبة والحضور يراد بهما غيبة العقل عما يجري
وحضوره كذلك وانما يقع التفاوت في المقامات في الغيبة والحضور من وجهين

Copyright © King Saud University

على نهج واحد تحملا فازلة او الاخرى من تعجبه علمنا انها قد تبدل حال العالم مما تحققنا
النازلة ونزلت بنا الصبر تحققه ولم يوجد له نزلته تعقل او نحقق ذلك من الاخرى وجعل
ذلك عقلا باجل البقع لكنا نعلم قطعا ان ذلك من حدث الا بسببها نحقق ان بعول له

احدهما طول الغيبة وقصرها وعلى حسبها الحضور والثاني بالحسبة الى ما يغاب عنه ويكف
معه فاول الغيبة غيبة الانسان عن احساسه بامور بشريته وما يدركه بحواسه وذلك
لاشتغاله بما ورد على قلبه مما هو اهم عنده مما هو فيه وقد يكون الوارد وارد خوف
من مخوف فيستغرق قلبه فيه حتى لا يحس عن حضور فيكلم فلا يسمع ويرى فلا يشعر ولعله
وكذلك قد يكون الوارد وارد من رجاء ومامول فتح عليه به فاشتغل قلبه برؤيته الفضل
عليه واستغراق الجهد في شكر من اسداه اليه وقد يكون الوارد وارد شوق لمحبوب
تعلقت النفس بنيله وحصوله ودوام سعيها في تطلبه وتولعه فيشغلها ذلك عن الالتفات
لما سواه وتغيب فيه وبه وعن كل مخلوق تراه وعلى حسب طول غيبته العبد يكون حضوره
في الطول او القصر وسرعة الافاقة من الغيبة ودوام الحضور مما هو فيه ومن ذلك ما حكي
عن الربيع بن خثيم انه كان يذهب الى ابن مسعود فمر بحداد وقد اخرج حديدة من الكير
وهو يطرقها فلما راها الربيع في حال الحر وجهامن الكير تذكر خروج المذنبين من النار او حالهم
فيها فغشي عليه فلم يزل في غشيته من عشيته تلك الى برد السحر من ليلته الاتية وهو ينادى
عند كل صلاة يا ربيع يا ربيع فلا يسمع ولا يعقل وذلك لغلبة حاله واستغراقه في خوفه
فهو بهذا الاعتبار حاضر بقلبه مع المخوف غائب عن كل معروف ومالوف وصار حضوره
على حسب غيبته في طوله وقصره وكذلك ما حكي عن علي بن الحسين رضي الله عنه انه
لما وقع حريق بداره وقعت ضجة وحركة عظيمة للحريق على حسب المعتاد وهو يقطع صلاته
ولم يلتفت فلما اخبر بذلك قال الهتني النار الكبرى عن النار الصغرى فاخبر انه ورد
عليه وارد من ربه فيها ذكر النار فاستغرق قلبه بما هو فيه حتى غاب عما جرى من الحريق في داره
ولم يشعر به قال الامام رضي الله عنه وربما تكون الغيبة عن احساسه عما يكاشفه من
الحق سبحانه ثم انهم يختلفون في ذلك على حسب احوالهم ومن المشهور ان ابتدا حال
ابي حفص النيسابوري الحداد في تركه الحرفة انه كان على حانوته فقرى قارئ اية من تركه
القران فورد على قلب ابي حفص وارد تغافل عن احساسه فادخل يده في النار واخرج
الحديدة المحماة بيده فراى تلميذه ذلك فقال يا استاذ ما هذا فنظر ابو حفص الى ما ظهر
عليه فترك الحرفة وقام من حانوته وكان الجنيد قاعدا وعنده امراته فدخل الشبلي
فارادت امراته ان تستتر فقال لها الجنيد لا خبر للشبلي منك فاقعدي فلم يكلمه الجنيد
حتى بكى الشبلي فلما اخذ الشبلي في البكا قال الجنيد لامراته استتري فقد افاق الشبلي
من غيبته قال الشارح رضي الله عنه وهذا النوع من الواردات هو الذي ذكر
الامام ان الله تعالى يوردها على قلوب اوليائه حتى يشغلوا بها عن احساسهم وقد يكون
ذلك الوارد تعظيم واجلال وقد يكون وارد عطا وافضال وقد يكون وارد استغفار نفس

وعل

ان تعرفها ان نعقل من الكل ان يعرفنا ولو عرضنا عقولنا ان ذلك كان السبب حدوث لوجدنا عقولنا تنكر
ذلك اشد انكار وجود العالم وعدمه كالعيبتين اذ اعلمنا ان العالم كان معدوما وعلمنا ان عدمه
تترجح على وجوده علمنا قطعا ان ذلك كان بسببها حدث فترجح به الوجود لا بوجه العدم السابق
فيبان لنا انما حدث لا بعد الحدوث من سبب وذلك السبب هو الله فتعلم

وعلو واستقلال وقد يكون وارد بسط وادلال وقد يكون وارد عزة فيورث ذهولا واضمحلال
وما حكي عن ابي حفص الحداد من هذا القبيل انه كان في حانوته يعمل الحديد فقرا قارئ
اية فوجد فيها وجدا على حسب ما فتح الله به واستغرق فيه حتى مد يده الى الكير من غير
اله واستخرج الحديد المحمي وجعل يطرقه فنبهه تلميذه فرجع الى نفسه وادرك الخارق
وخشي الشهرة فترك الحرفة فالربيع بن خثيم كان تخوفه بسبب النار وهذا كان وارده يشغله
عن خوف النار وكذلك حال الشبلي مع الجنيد وتعظيمها للوارد وان الشبلي لا يستخبر
دخول داره من غير استيذان فلما دخل محمولا مغلوبا في حاله وادرك الجنيد منه ذلك
قد هيت زوجته لتستتر علم انه لا يدركها ولا يحس بها لكمال شغله وما هو فيه من
حاله فلما كلمه الجنيد بالعلم وتحدث في حاله حتى سرى عنه فبكى قال لزوجته استتري
وهذا من الواردات المشتغلة عن الوقوع في المحذورات فيكون العبد في هذه الحالة
المؤذن غير مواخذ بما يجري عليه وتحفظه الحق فيها عن الوقوع في شي من المحرمات قال الامام
رضي الله عنه سمعت ابا نصر المؤذن بنيسابور وكان رجلا صالحا قال كنت اقرا القران
في مجلس الاستاذ ابي علي الدقاق رحمه الله بنيسابور وقت كونه هناك وكان يتكلم في الحج
كثيرا فاثر في قلبي كلامه وخرجت الى الحج تلك السنة وتركت الحانوت والحرفة وكان الاستاذ
ابو علي رحمه الله خرج الى الحج ايضا في تلك السنة وكنت في مدة كونه بنيسابور اخدمه
وا واظب على القران في مجلسه فرايت يوما في البادية تطهر ونسي قمقمة كانت بيده فحملتها
فلما عاد الى رحله وضعتها عنده فقال جزاك الله خيرا حيث حملت هذا ثم نظر الي طويلا كانه
لم يرني قط وقال رايتك مرة من انت فقلت المستغاث بالله صحبتك مدة وخرجت
قال عن مسكني ومالي بسببك وتقطعت في المفاوز الساعة تقول رايتك مرة
رضي الله عنه واما ما ذكر من الحكاية المؤذن الذي كان يقرا القران في مجلس الشيخ ابي
قمقمة على الدقاق بنيسابور وترك شغله وتقطع معه في الاسفار قاصدا الى مكة حرسها
الله فمضى الشيخ ابو علي ذات يوم الى البراز لقضاء حاجته فقمقمة فيما ما نقضي حاجته
وورد عليه حال وشغل بالله انساه القمقمة فتركها ومضى الى رحله فحملها هذا التلميذ
واتى بها الى الموضع فنظر اليه الشيخ وقت اتيانه فشكره على فعله وجزاه خيرا وقال له كنت
رايتك مرة من انت فتالم التلميذ لذلك وقال واعوناه بالله اي اني صحبتك وتقطعت
في الاسفار بسببك وقلما افارقك وانت تقول لي رايتك مرة من انت وهذا يدل على احد
امرين اما كثرة ورود الاحوال على قلب الشيخ ابي علي في اكثر اوقاته حتى لا يتفرغ لملاحظة
من يصحبه او لحال عظيم ورد عليه في هذا الوقت المخصوص شغله عن احساسه والنظر
لما يعهده ويعرفه من اصحابه وجلسائه ومن يخدمه فيكون في وقت سواله من انت سرى عنه

Copyright © King Saud University

المتبرد بالحياد الكاينات تكليطو بانه تعلى التنويع قوله د دليل حدوث العالم اي قوله من وجود الى عدم
لعله في المولف ان حدوث العالم دليل على وجوب تعلى ذكر حدوث اجزاء العالم ودليله ملازمته لا على ف
المادشتناق اجزاء العالم بشغل لعدم كل اعراض كالحركة في السكون ونحوه الا عن

بعض حاله ثم اختطف في اثره وكل ذلك سابع وكل ما ذكرناه اقسام الغيبه بالاضافه الى طولها
وقصرها وما يغاب به او عنه **قال** الامام رضي الله عنه واما الحضور فقد يكون حاضرا بالحق لانه
اذا غاب عن الخلق حضر بالحق على معنى ان يكون كانه حاضر وذلك لاستيلا ذكر الحق على قلبه
فهو حاضر بقلبه بين يدي ربه تعالى حسب غيبته عن الخلق يكون حضوره بالحق فان غاب
بالكليه كان الحضور على حسب الغيبه فاذا قيل فلان حاضر فمعناه انه حاضر بقلبه لربه غير
غافل عنه ولا ساه مستديم لذكره ثم يكون مكاشفا في حضوره على حسب رتبته بمعان يخصه
الحق سبحانه بها وقد يقال لرجوع العبد الى احساسه باحوال نفسه واحوال الخلق انه حضر العبد
اي رجع عن غيبته فهذا يكون حضور الخلق والاول حضور بحق وقد تختلف احوالهم في الغيبه
فمنهم من لا تمتد غيبته ومنهم من تدوم غيبته وقد حكي ان ذا النون المصري
بعث انسانا من اصحابه الى ابي يزيد رحمه الله لينقل اليه صفه ابي يزيد فلما جاء الرجل الى بسطام
سال عن دار ابي يزيد فدخل عليه فقال له ابو يزيد ما تريد فقال اريد ابا يزيد فقال من ابو
يزيد واين ابو يزيد وانا في طلب ابي يزيد فخرج الرجل وقال هذا مجنون فرجع الى ذي النون
فاخبره بما شهد فبكى ذو النون وقال اخي ابو يزيد ذهب في الذاهبين الى الله سبحانه **قال**
الشارح رضي الله عنه والحضور كما ذكرناه وسطناه على حسب الغيبه في الطول والقصر وقد يكون
حاضرا مع ما غاب به وفيه وان اختلفت معانيه فيكون غايبا عما اشتغل عنه فيكون غايبا حاضرا
بالنسبه الى شيين فاذا كان غايبا عن شي مشتغلا بغيره نظراه فهو حاضر مع نظراه غايب عن دنياه دنياه
وقد تطلق الحضور بمعنى رجوعه الى مكان فيه فيكون غايبا حاضرا بالنسبه الى شي واحد في حالين
ومثاله ان يمن الله تعالى عليه بالاشتغال بطرق محموده وهي الحلم والعفو والصفح عمن يوذيه فيكون
غافلا عن اخلاقه المذمومه من المقابله والانتصار للنفس والحقد على من يوذيه فهو بهذا الاعتبار
غايب عن اخلاقه المذمومه حاضر مع اخلاقه المحموده وقد يشتغل باخلاقه المحموده حتى يغيب
عن اخلاقه المذمومه ثم يرجع الى اخلاقه المذمومه فيكون غايبا عن اخلاقه المذمومه وحاضرا
فيها اذا رجع اليها ولكن في وقتين فقد صح كونه غايبا حاضرا بالنسبه الى شي واحد في وقتين
وحاضرا غايبا بالنسبه الى شيين فكل هذه الاحوال قد تكون غيبته في الطول والقصر على
حسب حضوره وقد يتفاوت الامر في ذلك فيكون حضوره في الخيرات اطول من رجوعه الى
الغفلات والمشغلات وقد يكون بعكس ذلك والله الموفق للخيرات والصالحات بمنه وكرمه
وحالة ابي يزيد لما ارسل له ذو النون من يتعرف احواله ولم يكن الرسول يعرف ابا يزيد فلما
راى الرسول ابا يزيد ساله عن ابي يزيد فاجابه ابو يزيد من ابو يزيد اين ابو يزيد وانا في طلب
ابي يزيد وهذا يدل على كمال استغراق ابي يزيد وتوالي ذلك على قلبه في اكثر اوقاته وهو يجب
ان لو خفف عنه ما هو فيه فيرجع الى احساسه وينتفع بما لا بد له منه من معتاده للقيام ضرورته

حادثه بدليل تعلقه ... قديمه لزم ... ان لا يتعلق ... زيادته فدعم استغراق العدم
ما ذاتيت حدوثها ومطلق منتها لا جاز ان حدوث ما جرى فظهر لا نه يستحيل خلوه بجميع ... لازم
الحادث حادث قوله واما برهان وجود القديم اي ... ان كل موجود لا يخلو اما ان يكون قديما
او حادثا فقديم لا ... قبل ... حادث ... حدوثه ...

برجوعه الى احساسه فلما اخبر الرسول ذا النون بما قال ابو يزيد عرف ذو النون مقام ابي يزيد
وانه مشغول عن نفسه بالكليه فقال ذهب اخي ابو يزيد في الذاهبين الى الله يعني المشغولين عن
انفسهم به **قال** الامام رضي الله عنه ومن ذلك الصحو والسكر والصحو رجوع الى الاحساس
بعد الغيبه والسكر غيبه بوارد قوي والسكر زياده على الغيبه من وجه وذلك ان صاحب السكر عن
قد يكون مبسوطا اذا لم يكن مستوفى في سكره وقد سقط احضار الاشيا عن قلبه في حال سكره
وتلك حال المتساكر الذي لم يستوفه الوارد فيكون للاحساس فيه مساغ وقد يقوى سكره
حتى يزيد على الغيبه فربما يكون صاحب السكر اشد غيبه من صاحب الغيبه اذا قوي سكره
وربما يكون صاحب الغيبه اتم في الغيبه من صاحب السكر اذا كان متساكرا غير مستوفى والغيبه قد تكون للعباد
بما يغلب على قلوبهم من موجب الرغبه والرهبه ومقتضيات الخوف والرجا والسكر لا يكون
الا لاصحاب المواجيد فاذا كوشف بنعت الجمال حصل السكر وطرب الروح وهام القلب
وفي معناه انشدوا فصحوك من لفظي هو الوصل كله ٭ وسكرك من لحظي يبيح لك الشربا
فما مل ساقيها وما مل شارب ٭ عقار لحاظ كاسه يسكر اللبا ٭ وانشدوا فاسكر القوم
دور كاس وكان سكري من المدير ٭ وانشدوا لي سكرتان وللندمان واحده
شي خصصت به من بينهم وحدي ٭ وانشدوا اسكران سكر هوى وسكر مدامه ٭ حتى يفيق
فتى به سكران ٭ **قال** الشارح رضي الله عنه جعل الشيخ الامام هاهنا السكر فوق الغيبه من وجه 1
وجعل الغيبه فوقه من وجه ثم قسم الغيبه الى اعلى وادنى في المقامات فقال قد تكون الغيبه لارباب
الخوف والرجا واصحاب الرغبه والرهبه وعلى هذا يكون السكر اتم منها على كل حال بانه يختص
باهل المحبه وارباب المواجد وما تقدم بيانه المريد ون الذي لم يبلغوا هذا المبلغ وقسم السكر
في كلامه الى قسمين سكر مستوف للعبد وقد تكون فيه بقايا لادراك الاشيا واحساسها
من نفسه اذا كان متساكرا او قد يقوى سكره فيغيب عن احساسه وقد تقوى حالته
في السكر على ما تقدم من الغيبه وقد تقوى غيبته على ذلك وقد قال سيف السنه عبد الله
ابن محمد الانصاري الهروي الغيبه على ثلاث درجات الدرجه الاولى غيبه المريد
في تخلص القصد عن ايدي العلايق ودرك العوايق لالتماس الحقايق والثانيه غيبه السالك
عن رسوم العلم وعلل السعي ورخص الفتور والثالثه غيبه العارف عن عيون الاحوال
والشواهد والدرجات في عين الجمع وقال في السكر السكر اسم يشار به الى سقوط التمالك تبلغه
في الطرب وهذا من مقامات المحبين خاصه فان عيون الفنا لا تقبله ومنازل العلم لا تبلغه
فبين رضي الله عنه ان السكر فيه طرب وتلذذ بالحال وان صاحبه لم يبلغ الى مقامات الفنا ولا صاحب
العلم لم يصل الى حال السكر للمحبوب فعلى هذا التقدير يكون على درجات المحبه وهو لا مستغرا ولا

Copyright © King Saud University

ولو كان حادثا لزم ان يحتاج الى محدث قبله وذلك المحدث يحتاج الى محدث اخر قبله وهلم جرا فيلزم التسلسل
وانه يقتضي العدد ويكون فيما لا يتناهى حادثا غير متناه وهو محال فوجب ان يكون قديما
ولهذا المطلوب وجودا لا يزيد ولا ينقص بغير الحقيقة انه تعالى لو صح ان يعدم عليه العدم
لما كان وجوده واجبا لذاته وحقيقته لكنه واجب الوجود وعدمه واضح كما ذكرناه

ذكرناه وهي غيبة العارف عن عيون الاحوال والشواهد والدرجات نظرا على هذا ام من السكر
والسكر ام من غيبة المريد كما ذكر شيخ الاسلام في تخليص قصده قال واذا كوشف العبد
بنعت الجمال والجلال وما توالى عليه من الافضال حصل السكر وطرب الروح وهام القلب
فيبين في شعر ان سكره من ملاحظة الكمال والجلال وان صحوه بما يفهمه من صريح المقال
وساقيها اشارة الى المنفصل بالالهام والكشف والشارب اشارة الى الممتنع بالاسعاف واللطف
وقوله عقار لحاظ اشارة الى ان ما اسكره وغيبه الا ما شاهده من صفات الكمال والجلال
وشبهه بالعقار لكونه سكر وفي الشعر الثاني ان سكره من الفاعل لا من الفعل وفي الثالث
اشارة الى ان من الناس من يكون شغله ومحبته واستغراقه بما شاهده من الانعام عليه
والافضال وهذا كثير وجوده في المحبين لان النفوس مجبولة على حب من احسن اليها واما
السكر والغيبة في الجلال والكمال فان ذلك من صفات العارفين فاخبر بهذا المنشد ان سكرين
فاكثر سكر الناس بالنعم ومحبتهم لها وانا دائر ان سكر وابالجلال والكمال من المنفصل
والانعام والافضال فالناس سكر وله سكران والذي يختص به اي منار سكر الجلال
والكمال وقوله سكران سكر هوى وسكر مدامة يحتمل امرين احدهما ان يكون المدامة
حالته التي نالها وتمكن بها وطرب من اجلها والحالة الثانية التي يخرجها وتعرض لنيلها
وهو متعلق القلب بها وذلك لمعرفته بكمال درجتها ورفعة منزلتها ويحتمل ان يريد
بالاولى محبة النعم التي نالها وبالثانية محبة الجلال والكمال التي هو متشوف اليها والله اعلم
بالحال وبمراده بما قال **قال** الامام رضي الله عنه واعلم ان الصحو على حسب السكر فكل من
كان سكره بحق كان صحوه بحق ومن كان سكره بحظ مشوبا كان صحوه بحظ مصحوبا ومن كان
محقا في حاله كان محفوظا في سكره والسكر والصحو يشيران الى طرف من التفرقة واذا
ظهر من سلطان الحقيقة علم صفة العبد الثبور والقهر وفي معناه انشدوا
اذا طلع الصباح لنجم راح تساوى فيه سكران وصاح قال الله سبحانه فلما تجلى ربه
للجبل جعله دكا وخر موسى صعقا هذا من رسالته خر صعقا وهو اشعى رسالته وقوته ظل
دكا منكسرا والعبد في حال سكره يشاهد الحال وفي حال صحوه يشاهد العلم الا انه في حال سكره
محفوظ لا بتكلفه وفي صحوه متحفظ بتصرفه والصحو والسكر بعد الذوق والشرب **قال**
الشارح رضي الله عنه والصحو على حسب السكر فمن كان سكره في حق كان صحوه في حق
وهذا اول رتبة ومن كان سكره بحق كان صحوه بحق ومن كان سكره لحق فصحوه لحق والفرق
بين في حق وبحق ولحق ان الاول في طلب والثاني بحول بلا سبب والثالث استغراق
في الارب وقال رحمه الله في اخر كلامه اذا ظهر سلطان الحقيقة لم يثبت له شيء بحال العبد
بنعت الثبور والقهر قال الله تعالى فلما تجلى ربه للجبل جعله دكا فالجبل مع قوته وصلابته صار دكا

لمن ان يعتقد الخصوص الذي خصه بالوجود دون العدم بالعرض عند من تساوى الوجود والعدم بالنسبة اليه فذلك
القاطع بموجب افتقاره الى عدمه ووجوده بل يجوز اختصاص ان يكون حادثا وهو محال الاحتياج والقطع
ويخرج بالنسبة الى القاطع بموجب افتقاره الى عدمه فوجب بطلانه وهو المطلوب

وموسى مع جلالته ونبوته صار صعقا والعبد في حال سكره مع غلبة الحقيقة وفي حال
صحوه يشاهد العلم فاذا كان يشاهد العلم لزمه حسن العمل واداء الادب واذا كان يشاهد
الحقيقة لزمه السلوك تحت ما فتح عليه ووهب والسكر والصحو انما يكون بعد الذوق
والشرب **قال** الامام رضي الله عنه ومن ذلك الذوق والشرب ويجملة ما يجري في
كلامهم الذوق والشرب ويعبرون بذلك عما يجدونه من ثمرات التجلي ونتائج الكشوفات
وبوادر الواردات واول ذلك الذوق ثم الشرب ثم الري فصفاء معاملاتهم يوجب لهم
ذوق المعاني ووفاء منازلاتهم يوجب لهم الشرب ودوام مواصلاتهم تقتضي لهم الري فصاحب
الذوق متساكر وصاحب الشرب سكران وصاحب الري صاح ومن قوي عليه حبه
تسرمد شربه فاذا دامت به تلك الصفة لم يورثه الشرب سكرا اذ كان صاحيا بالحق فانيا
عن كل حظ لم يتأثر بما يرد عليه ولا يتغير عما هو به ومن صفا سره لم يتكدر عليه المشرب
ومن صار الشراب له غذاء لم يصبر عنه ولم يبق دونه وانشدوا انما الكاس رضاع
بيننا فاذا ما لم نذقها لم نعش وانشدوا شربت الحب كاسا بعد كاس فما نفد
الشراب ولا رويت وقال كتب يحيى بن معاذ الى ابي يزيد البسطامي رحمه
الله هاهنا من شرب كاسا لم يظما بعده فكتب اليه ابو يزيد عجبت من ضعف حالك هاهنا
من يحسي بحار الكون وهو فاغر فاه يستزيد واعلم ان كاسات القرب تبدو من الغيب
ولا تدار الا على اسرار معتقة وارواح عن رق الاشياء محررة **قال** الشارح رضي الله عنه
واما الذوق فهو اول ادراك المعاني فاذا تمكن واحبها في بلوغها سمي شربا فاذا احتوى فيها
سمي سكرا فاذا تمكن فيها وتوالت عليه ولم تؤثر في شاهده سميت صحوا ولذلك قال شيخ الاسلام
عبد الله بن محمد الانصاري الهروي رحمه الله الذوق ابقى من الوجد واجلى من البرق وهو على
ثلاث درجات الدرجة الاولى ذوق التصديق طعم العدة فلا يعقله ظن ولا يقطعه
امل ولا يعوقه امنية وذلك ان من قوي يقينه بتصديق وعد الله ثم اجرى الحق عليه
في دنياه ما وعد به من تولاه فاذا ذاق طعم العدة لم يعقله ظن عن موعوده ولم يقطعه
امل يحول بينه وبين مشهوده ولا تعوقه عن طلب موعوده امنية الدرجة الثانية
ذوق الارادة طعم الانس فلا يعلق به شاغل ولا يفتنه عارض ولا يكدره تفرقة
وذلك ان الارادة كمال الجد في نيل المقصود ومن وجد ان من المريد من طعم الانس بالله
لم يشغله عنه شاغل ولم يقطعه عارض فتنة ولم يكدر عليه انسه تفرقة الدرجة
الثالثة ذوق الانقطاع طعم الاتصال وذوق الهمة طعم الجمع وذوق المسامرة طعم
العيان **قال** الشارح رضي الله عنه جمع رضي الله عنه في هذه الدرجة ثلاثة احوال
من الذوق احدها ذوق الانقطاع عن الكون طعم الاتصال بكونه وذوق كمال الهمة

Copyright © King Saud University

قوله داوا ابو هارون جوبا عنا العتبة نقل للجواد ... اي اي بعد انه لو تشابه الشيبه بينه وبين
من مخلوقاته لنزه حد وشفقا لانه كرحمنا لى ان يحج عجز ... بالا يقدر على خلوقه
سانه ما جلى على البشل محوز على العطا ... وذلك متخيل ... مرحوب فقدم ...

طعم الجمع مع الحق فقد تبين من كلامه رضي الله عنه ان الذوق من اول الكل حال وان تعالى درجته
فاذا وصل العبد الى التمكن في حاله توالى عليه امثاله سكن قلقه وصفا شربه ولم يتغير
ظاهره ولذلك قال الامام ومن سرمد شربه لم يوزنه الشرب سكرا ولذلك قال الجنيد
رضي الله عنه وترى الجبال تحسبها جامدة وهي تمر مر السحاب ولذلك قال ومن صار
الشرب له عادة لم يصبر عنه وانشد واما الكاس رضاع بيننا فاذا مالم نذقها لم نعش
يعني كون من المحبة الذابين بين المحب والمحبوب فالحق سبحانه يوالي عليهم احوال المحبة كما
توالت عليهم طاشوا في طلبها وعاشوا بشربها وانشد واشربت الحب كاسا بعد
كاس فما نفد الشراب ولا رويت ومن ذلك ما كتب به يحيى بن معاذ الى ابي يزيد البسطامي
رضي الله عنهما انه شرب كاسا من محبته فلم يظما بعده وهذا يشير الى دوام تعلق قلبه
بمحبوبه وشغله به لما ذهب له من مقام المحبة قال فكتب له ابو يزيد عجبت من ضعف
حالك هنا من يحتسي بحار الكون وهو فاغر فاه يستزيد فاشار ابو يزيد الى كمال المحبة
وهو ان من تمكن فيها كل يكل ويقوى لحمل ما يرد عليه من اعبائها لكمال تمكنه وثبوته في مقامه
وقول الامام رضي الله عنه واعلم ان كاسات القرب يحيي مواهب الحق لمن يريد انما يرد
على ارباب القلوب الزاهدة في الدنيا المعتقة عن رق الشهوات المحررة بل يعلن
بالعادات المرمن في طلبها قرب الحق على ساير الحاجات الدائمة التعلق به وذكره عموم
الاوقات **قال** الامام رضي الله عنه ومن ذلك المحو والاثبات المحو رفع اوصاف العادة
والاثبات اقامة احكام العبادة فمن نفى عن احواله الخصال الذميمة واتى بدلها بالافعال
والاحوال الجميلة فهو صاحب محو واثبات سمعت الاستاذ ابا علي رحمه الله يقول
قال بعض المشايخ لواحد ايش تمحو وايش تثبت فسكت الرجل فقال اما علمت ان الوقت
محو واثبات من لا محو له ولا اثبات فهو معطل مهمل **قال** الشارح رضي الله عنه قوله
المحو والاثبات على درجات فمحو الجهل باثبات العلم ومحو الكسل بملازمة العمل ومحو
العبادات في ابطال لان ملازمة الاعمال الصالحات وكذا سائر العقل في ساير ما يحصى ويثبت
للقلوب والجوارح من الصفات المحمودة والمذمومات هذا امر المحو والاثبات
بالاضافة الى العبد وما هو مصروف اليه في التكليفات واما المحو والاثبات بالاضافة
الى الحق جل اسمه كما قال تعالى يمحو الله ما يشاء ويثبت فعلى درجات متفاوتات في ساير
ما تطرق القلب يمحو عنه بمنته وافضل منه في المقامات العالية في الدرجات
وكلام الشيخ الذي سال تلميذه فقال له ما الذي تمحو وتثبت سوال عن حاله في وقته
ليعرف مقامه الذي هو فيه فلما سكت ولم يجبه عرفه ان العبد متى لم يكن مشتغلا
في نفسه بازالة الصفات المذمومة عن قلبه والعادات الردية في اعماله باثبات اضدادها

س

النحو والنقل ... عند جماعة الاشياخ ... مطلقا
... بلا تشديد ... قال ابن
اجلاله خلافه لا جلالة ... يجب عليه قوله
قال ابن القاسم عن مالك وقيل يجب ونقض ... بغير ... الوضوء ...

من الاخلاق المحمودة والاعمال الصالحة فهو معطل مهمل نفسه على ما ينبغي له الاشتغال به
في وقته **قال** الامام رضي الله عنه وينقسم المحو الى محو الزلة عن الظواهر ومحو الغفلة
عن الضماير ومحو العلة عن السراير ففي محو الزلة اثبات المعاملات وفي محو الغفلة اثبات المنازلات
وفي محو العلة اثبات المواصلات هذا محو واثبات بشرط العبودية فاما حقيقة المحو
والاثبات فصادرة عن القدرة فالمحو ما ستره الحق ونفاه والاثبات ما اظهره الحق
وابداه والمحو والاثبات مقصوران على المشية قال الله سبحانه يمحو الله ما يشاء ويثبت
قيل يمحو عن قلوب العارفين ذكر غير الله تعالى ويثبت على السنة المريدين ذكر الله ويمحو
الحق لكل احد واثباته على ما يليق بحاله ومن محاه الحق سبحانه عن شاهده اثبته بحق حقه
ومن محاه عن اثباته به رده الى شهود الاغيار واثبته في اودية التفرقة **وقال** رجل
للشبلي رحمه الله مالي اراك قلقا اليس هو معك وانت معه فقال الشبلي رحمه الله لو كنت انا
معه كنت انا ولكني محو فيما هو والمحق فوق المحو لان المحو يبقى اثرا والمحق لا يبقى اثرا وغاية
همة القوم ان يمحقهم الحق عن شاهدهم ثم لا يردهم اليهم بعد محقهم عنهم **قال** الشارح
رضي الله عنه قوله وينقسم المحو انقساما اخر يعني هو اعلى مما تقدم ذكره من محو العادات
وذلك محو الزلات عن الابدان ومحو الغفلات عن القلوب ومحو العلل عن السراير واذا
امتحت الزلات عن الابدان ثبتت عوضها الطاعات واذا امتحت الغفلات عن القلوب
ثبتت بدلها الذكر ومنازلة المقامات واذا انتفت العلل وهي المشغلات عن السراير
ثبتت بدلها المواصلات واما ما ذكر من محو الحق ما يشاء وتثبيت ما يشاء فلا يدخل تحت ضبط
ولا نهايات فان الامكان فيما يثبته الحق في القلوب من الخيرات ويمحو عنها من الافات
والمشغلات وغير ذلك من اصناف الولايات واضدادها من القواطع والمشغلات
لا نهاية لها وقوله واعلى درجات المحو ان يمحو الله تعالى العبد عن ذكر نفسه واحساسه
به شغلا بالحق سبحانه حتى لا يبقى لذكر غيره اثر في قلبه والمحق اعلى من المحو لان المحو في
العادة قد يبقي اثرا والمحق زوال الشي بالكلية وعدم اثره وغاية طلب المحققين ان يمحقهم
الحق عن انفسهم ثم لا يردهم اليهم وهذا اذا ردهم اليهم بهم وحتى ردهم اليهم به لقيام حقه
ورجا فضله فلا يكون ذلك نقصا بل هم في ذلك في محل بحر بان تعالى لا يشغل ... بغيره والله
الموفق واما حكاية الشبلي رحمه الله لما قال له رجل مالي اراك قلقا وذلك لما راى به
من تغير الحال اليس الحق معك وانت معه معناه ان القلق انما يكون لطلب غايب فاجابه
الشبلي لو كنت معه لكنت انا اي لو كنت معه بنفسي لكنت ثابتا متمكنا ولكنا انا فيه وانما
انا محو يجري على احكام القدرة بالتصرف كيف شاء فظن السايل من طريق العبودية واجابه
الشبلي باحكام الربوبية **قال** الامام رضي الله عنه ومن ذلك الستر والتجلي

وبد خلال ... جنه بردا الشيخ قداله ... وتعويد ... جوارح ...
اكثر ... وحكم ... والغافلين ... بلا دامعها ...
بكديهم ... كما قيل قوله وعنسله مجيء ... متبع ...

العوام في غطا الستر والخواص في دوام التجلي وفي الخبر اذا تجلي لشي خشع له وصاحب التجلي
ابدا ابنعت خشوعه والستر للعوام عقوبه وللخواص رحمه اذ لولا انه يستر عليهم ما
يكاشفهم به لتلاشوا عند سلطان الحقيقه ولكنه كما يظهر لهم يستر عليهم سمعت منصور
المغربي رحمه الله يقول راي بعض الفقرا حيا من احيا العرب فاضافه شاب فبينا
الشاب في خدمه هذا الفقير اذ غشي عليه فسال الفقير عن حاله فقيل له بنت
عم قد علقها فمشت في خيمتها فراي الشاب غبار ذيلها فغشي عليه فمضي الفقير
الي باب الخيمه وقال ان للغريب فيكم حرمه وذماما وقد جيت مستشفعا اليك في امر
هذا الشاب فتعطفي عليه فيما به من هواك فقالت المراه سبحان الله انت سليم القلب
انه لا يطيق شهود غبار ذيلي فكيف يطيق صحبتي وعوام هذه الطايفه عيشهم في
التجلي وبلاوهم في الستر واما الخواص فهم بين طيش وعيش اذا تجلي لهم طاشوا
واذا ستر عليهم ردوا الي الحظ فعاشوا وقيل انما قال لموسي عليه السلام وما تلك بيمينك
يا موسي ليستر عليه بعض ما يعلاه بعض ما ارقبه من المكاشفه بفجاه السماع وقال صلي الله
عليه وسلم انه ليغان علي قلبي حتي استغفر الله في اليوم سبعين مره والاستغفار طلب الستر
علي تمامه عند سطوات الحقيقه اذ الخلق لا يبقالهم من وجود الحق وفي الخبر لو كشف عن
وجهه لاحرقت سبحات وجهه ما ادركه بصره قال الشارح رضي الله عنه الستر يكون
علي وجهين ستر الله لعبده باخفا حاله عن غيره وستره علي العبد مما يجوز ان يبديه ويظهره
له فان ستر عنه عيوبه وزلاته كان ستره بلا وان ستر عنه نظره الي اعماله واستحسانه
احواله واقامه في ذله عبوديته كان ستره رحمه وكذلك ان ستر عنه جهله وما هو محتاج
الي علمه كان ستره بلا وان ستر عنه من العلوم ما لا حاجه له اليه ولا قدره له علي الاحاطه
به لضعف عقله عن ادراكه كان ستره عنه رحمه هذا نوع من الستر بالاضافه الي عوام هذه
الطريقه واما الستر والتجلي بالاضافه الي الاوليا فستره عن الحق الذي يوجب السهو
والغفله نقص وتخليد لهم الذي يوجب لهم الادب والمراقبه رحمه وقد يكون الستر
لبعض الاوليا رحمه لعلم الحق سبحانه بانهم لا قدره لهم علي حمل ما يبدو لهم وكذلك
دوام التجلي لقلوب الاوليا حتي يعبدوا الله تعالي كانهم يرونه رحمه وكشف لهم من جلاله
وكماله ما يحملهم علي كمال المعرفه والمحبه له ودوام شغلهم به رحمه وستر هذا عنهم عقوبه
وقد يكون الستر رحمه اذا اوجب شده تلق وكمال طلب ودوام رغبه والستر والتجلي
يختلف باختلاف الاحوال واما ستر الله تعالي لبعض العبيد عن نظر الخلق واسباله اكنفه
الرحمه عليهم حتي لا يعرفون بين الخلق فيختلف ذلك ايضا فقد يسترهم عن الخلق وهم بينهم
فلا يعرفونهم وقد يسترهم عنهم بانقطاعهم وغيبتهم عن ابصارهم كما يفعله بعض الاوليا

وقد

[illegible] ... عند جماعة الاشاعره ...
... الرابعه ... ولكن على دخول الخبيث ...
... فوله ... بعض ... القصير ... الفضلات ...
الدين ... ونحو تعالى وقيل نحو ...

وقد يستر بعض الاوليا عن انفسهم فيكونون في كمال الدرجات ولا يعرفون كمال احوالهم
فيكون ستره لهم رحمه عليهم ودوام عافيه لهم وسلامه من رويه انفسهم ومقاماتهم
وقد قال الشيخ الاسلام عبد الله بن محمد الانصاري المستورون هم الاخفيا الذين ورد فيهم
الخبر وهم علي ثلاث طبقات الطبقه الاولي طايفه علت هممهم وصفت قصودهم وصح
سلوكهم ولم يوقف لهم علي رسم ولم ينسبوا الي اسم ولم تشر اليهم الاصابع اولئك ذخاير الله
حيث كانوا والطبقه الثانيه طايفه اشاروا عن منزل وهم في غيره وروا بامر وهم لغيره ونادوا
علي شان وهم علي غيره بين غيره عليهم تسترهم وادب فيهم يصونهم وظرف يهذبهم قال
الشارح رضي الله عنه فهم بين غيره من الحق عليهم تسترهم وادب منهم له يصونهم وظرف
يعني كمال الاحوال ولطافه مذهب يهذبهم والثالثه وطايفه اسرهم الحق عن انفسهم فلاح لهم
لائح اذهلهم عن ادراك ما هم فيه وهيمهم عن شهود ما هم له وضن بحالهم عن علمهم بما هم فيه
فاستتروا عنهم مع شواهد تشهد لهم بصحه مقامهم عن قصد صادق يهيجه غيبه وحب
صادق يخفي عليهم حكمه ووجد محرق لا ينكشف له موقده وهذا ارق مقامات اهل
الولايه قال الشارح رضي الله عنه وهذه اقسام الستر بالنظر الي عوام هذه الطايفه
وخواصهم وبحسب ستر كل واحد منهم يكون التجلي له واما ما تضمنته الحكايه من الضيف
مع الشاب الذي استضافه وغشي عليه حتي يشير الي الستر الذي هو رحمه من الحق سبحانه
فيمن لم يطق التجلي وذلك ان من لم يطق بوادي الامور واوايلها فلا قدره له علي حمل ما ينكشف
له منها ولذلك لما قال الضيف لمن كانت الغيبه بسببها انا غريب وللغريب حق سالها
ان ترحم ذلك الشاب الذي غشي عليه لتعلق قلبه بمحبتها فاجابته سبحان الله انت سليم
القلب من غشي عليه لرويته غبار ذيلي فكيف يمكنه ان يصحبني واما قضيه موسي في قوله
تعالي وما تلك بيمينك يا موسي وقوله وانظر الي الجبل فاشاره الامام الي ان الحق سبحانه يلاطف
بعض الاوليا ويونسهم قبل ان يفجاهم الحق فجاه فلا يطيقون حمله فلا ول ستر الحال عنهم
وهو رحمه في حقهم واليه ترجع الاشاره بما تضمنه الخبر الصحيح انه لو كشف عن وجهه
لاحرقت سبحات وجهه ما ادركه بصره والضمير في بصره يرجع الي العبد معناه ان العبد
لا يطيق رويه الحق سبحانه ولا كمال جلاله وانما يكشف لكل عبد من رويته في الدنيا ما
تقوي عليه بصيرته وفي الاخره ما يدركه بصره فانها كلها افعال الله تعالي في عبيده فاما المجرد
المكشوف لهم والحق سبحانه يستحيل ان يحجب لانه ليس بجسم تعالي وتقدس عن ذلك علوا
كبيرا قال الامام رضي الله عنه ومن ذلك المحاضره والمكاشفه والمشاهده المحاضره
ابتدا والمكاشفه بعده ثم المشاهده فالمحاضره حضور القلب وقد يكون بتواتر البرهان
وهو بعد وراء الستر وان كان حاضرا باستيلا سلطان الذكر ثم بعده المكاشفه وهو حضوره

Copyright © King Saud University

بنعت البيان غير مفتقر في هذه الحالة الى تامل الدليل وتطلب السبيل ولا مستجير من
دواعي الريب ولا محجوب عن نعت الغيب ثم المشاهدة وهي وجود الحق من غير بقاء تهمة اذا
اصحى سما السر عن غيوم الستر شمس الشهود مشرقة عن بروج الشرف وحق المشاهدة ما
قاله الجنيد رحمه الله وجود الحق مع فقدانك فصاحب المحاضرة مربوط باياته وصاحب
المكاشفة مبسوط بصفاته وصاحب المشاهدة ملقى بذاته وصاحب المحاضرة يهديه
عقله وصاحب المكاشفة يدنيه علمه وصاحب المشاهدة تمحوه معرفته ولم يزد في بيان
تحقيق المشاهدة احد على ما قاله عمرو بن عثمان المكي رحمه الله ومعنى ما قاله انه تتوالى انوار
التجلي على قلبه من غير ان يتخللها ستر وانقطاع كما لو قدر اتصال البروق فكما ان الليلة
الظلماء بتوالي البروق واتصالها اذا قدرت تصير في ضوء النهار فكذلك القلب اذا دام به
دوام التجلي متع نهاره فلا ليل وانشدوا ليلي بوجهك مشرق وظلامه في الناس سار
والناس في سدف الظلام ونحن في ضوء النهار قال الشارح رضي الله عنه وتقريب
هذه المقامات الثلاث بالمثال وهي المحاضرة والمكاشفة والمشاهدة ان الناظر في طلب
الحق بالادلة اذا استقام نظره تعرفه بالادلة الدالة عليه فقد حضر وياتي ان يغفل
عنه بعد حضوره فاذا توالى ذكره له وتوالى ذلك على قلبه حتى قلت غفلاته عنه اشبه
العلم الضروري الذي لا يستطيع دفعه عن نفسه عبر عنه بالمكاشفة وان ارتقت
درجته حتى استغرق فيه وفي كمال جلاله وجماله حتى شغله ذلك عن ذكر نفسه فضلا
عن غيره عبر عنه بالمشاهدة لما شاهد من الجمال والكمال فالاول ان غاب عن ذكر الدليل
غفل والثاني ان اخذته الشغلات والمعارضات اشتغل والثالث قد غفل عن نفسه
واذا ادام ما يرد عليها فلا يؤثر فيه كسل ولا ملل واما قوله في الثالث وتمثيله القلب بتوالي
الانوار في الليلة المظلمة فصحيح فان علوم الخلق كلها اعراض وهو اليها علم الحق وكذلك
ادراكاتهم التي بها يشاهدون فكلما توالت انوار المعارف على القلب ولم يتخللها غفلة
توالى النور على النور فصار القلب نورا على نور يهدي الله لنوره من يشاء ويصدق فيه
قول الشاعر ليلي بوجهك مشرق وظلامه في الناس سار وقال شيخ الاسلام
في حد المكاشفة انها مهاداة السرين متباطنين وهذا تمثيل بالخلق ولله المثل الاعلى
فمن اطلعه مولاه على اسرار ملكوته وخصه بغرايب حكمه واياته فهو مكاشف وبالله
تثبت هذه الحالة وبه تزول واما المشاهدة فقد عبر عنها بسقوط الحجاب بتا اي قطعا
فلم يبق للعبد شيء يحجبه ولا يشغل قلبه ولا يلفته عن مطلوبه ولا من يشاهده ثم قال
المكاشفة ولاية النعت والمشاهدة ولاية الذات وذلك ان من كان نظره في الايات وانواع
الحكم وخوارق العادات فهو موقوف مع اثار الصفات ولهذا اسماها ولاية النعت يعني

ولاية الصفة واما المشاهدة بولاية الذات من كان نظره الى الذات المنزهة عن الاماكن
والاوقات والمشابهة لشيء من المخلوقات والقريبة البعيدة لا بالاماكن والجهات
واستغرق قلبه في ذلك وحار فيه لاحيرة الغفلة والشبهات حتى غفل عن نفسه فضلا
عن غيره من المخلوقات فهو ولاية الذات قال الامام رضي الله عنه وقال
النوري لا تصح من العبد المشاهدة وقد بقي له عرق قائم وقالوا اذا طلع الصباح استغنى
عن المصباح وتوهم قوم ان المشاهدة تشير الى طرف من التفرقة لان باب المفاعلة في العربية
بين اثنين وهذا وهم من صاحبه فان في ظهور الحق سبحانه ثبور الخلق وباب المفاعلة جملتها
لا يقتضي مشاركة الاثنين نحو سافر وطارق النعل واشباهه وانشدوا فلما استبان
الصبح ادرج ضوءه باسفاره انوار ضوء الكواكب يجرعهم كاسا لو ابتليت اللظى بحرها
طارت كاسرع ذاهب كاس وأي كاس كان يصطلم عنهم ويفنيهم ويختطفهم منهم
ولا يبقيهم كاس من لا تبقى ولا تذر تمحوا بالكلية ولا تبقي شظية من اثار البشرية كما قال قائلهم
ساروا فلم يبق لا رسم ولا اثر قال الشارح رضي الله عنه وهذا يدل على كلما فسرناه
وتضمنه كلام الهروي من ان الشغل بالذات اذا استغرق العبد حتى لا يبقى له احساس
بنفسه بالكلية عبر عن هذه الحالة بالمشاهدة وقوله اذا طلع الصباح استغنى عن المصباح
اي اذا وصل العبد الى هذه الحالة استغنى عن الاسباب بحصولها العبد وغيره وقول
الامام رحمه الله وقد توهم قوم ان المشاهدة تشير الى تفرقة في حال العبد وانه ليس مستغرقا
اخذا من مقتضى اللغة وان ذلك من باب المفاعلة بين شيئين فلا بد للعبد على هذا ان يدرك
نفسه وربه وهذا باطل من وجهين احدهما ان اللغة لم تطرد بانها في اطلاق هذا اللفظ
اعني المفاعلة من شخصين كما نقله من سافر وطارق والوجه الثاني ان الاستغراق في الشيء لا يخرج
المستغرق عن كونه مستغرقا فهو مستغرق في مستغرق فيه حقيقة وانما معنى فنائه عن
نفسه عدم ذكره لها وشعوره بها في حال استغراقه ولا يلزم من ذلك تفرقته في حال فقد صح
على هذا التقدير انه لا بد من مشاهد ومشاهد ولم يلزم من ذلك المشاهد لكونه مشاهدا حقيقة
الاستغراق والقناعة النفس بالكلية عدم ذكر العبد لنفسه ولا لكونه مستغرقا لكمال شغل
قلبه بما استغرق فيه وهذا واضح لا مرية فيه ولذلك انشدوا فلما استبان الصبح ادرج ضوءه
بانوار انوار ضوء الكواكب فان الكواكب موجودة ولكن ضوء الصبح اغفل عن نورها بالكلية
واستغنى عنها وقوله يجرعهم كاسا الى اخر البيت اشارة الى كمال الوارد عليهم انه لا يبقي لهم متسعا
لغيره وشبه ذلك بالنار مع شدة لهيبها لو ابتليت بما ابتلوا به من الحال لاضمحلت في الحال
ولذلك قال كاسرع ذاهب وبقية كلامه يشير الى عظم الحال وقوة الوارد عليهم الذي يفنوا
ولذلك قال ساروا يعني عن احساسهم بانفسهم فلا رسم ولا اثر قال الامام رضي الله عنه

Copyright © King Saud University

ومن ذلك اللوايح والطوالع واللوامع وهذه الفاظ متقاربة المعنى لايكاد يحصل بينها كبير فرق
وهي من صفات اصحاب البدايات في الترقي بالقلب فلم يدم لهم بعد ضيا شموس المعارف
لكن الحق سبحانه يوفي رزق قلوبهم في كل حين كما قال تعالى ولهم رزقهم فيها بكرة وعشيا
فكلما اظلم عليهم سما القلوب سحاب الحظوظ سنح لهم فيها لوايح الكشف وتلالا لوامع
القرب وهم في زمان سترهم يرقبون مجاه اللوايح فهم كما قال القايل يا بها البرق الذي
يلمع من اي اكناف السما تسطع . فتكون اولا لوايح ثم لوامع ثم طوالع فاللوايح كالبروق
ما ظهر حتى استتر كما قال القايل افترقنا حولا فلما التقينا كان تسليمه علي وداعا
وانشدوا يا ذا الذي زار وما زارا • كأنه مقتبس نارا مر بباب الدار مستعجلا
ما ضره لو دخل الدار • واللوامع اظهر من اللوايح وليس زوالها بتلك السرعة وقد تبقى
وقتين وثلاثة ولكن كما قالوا والعين باكية لم تشبع النظرا وكما قالوا لم ترد ما وجهه الا شرقت
قبل رنها برقيب فاذا لمع قطعك عنك وجمعك به لكن لم يستقر نور نهاره حتى كر عليه
عساكر الليل فهولا بين روح ونوح لانهم بين كشف وستر كما قالوا • فالليل يشملنا
بفاضل برده • والصبح يلحفنا رداء مذهبا والطوالع ابقى وقتا واقوى سلطانا وادوم
مكثا واذهب للظلمة وانفى للتهمة لكنها موقوفة على خطر الافول ليست برفيعة الارواح
ولا بدائمة المكث ثم اوقات حصولها وشيكة الارتحال واحوال افولها طويلة الاذيال
وهذه المعاني التي هي اللوايح واللوامع والطوالع تختلف في القضايا فمنها ما اذا فات لم
يبق عنها اثر فان زال رقمه بقي المه وان غربت انواره بقي اثاره فصاحبه بعد سكون
غليانه يعيش في ضيا بركاته فالى ان يلوح ثانيا يرتجي وقته على انتظار عوده ويعيش
بما وجد في حين كونه قال الشارح رضي الله عنه هذه الاسماء هي اللوايح واللوامع والطوالع
كناية عن اختلاف احوال ارباب السلوك وما يفتح الله تعالى به عليهم في ساير المقامات
التي يرومون بلوغ كمالها كالزهد والتوكل والرضى والتسليم والمحبة وغير ذلك فقد تحصل
للعبد علم هذه المقامات ولا يكون متحققا بها وقد يفتح الله تعالى عليه بالتخلق بها
بدون حصول كماله فحظهم يرجع الى عادته فيسمي لايحا بمعنى لاح له اي ظهر له ما يرومه
حاله ولكنه سريع الذهاب فتشبيهها بالبرق وما يجري مجراه مما يراه الانسان على بعد ثم يخفى
عنه وقد يمكن الله العبد منه اكثر من ذلك ويتنعم بوجوده ولكنه لا يتمكن منه تمكينا
بالغا وانما يصحبه وقتا او وقتين ثم ينفصل عنه فيسمونه لامعا بمعنى انه ابين واكشف
وابقى زمانا من اللايح ثم ينتقل بعضهم الى اعلى من هذين الحالين ويدوم معه ما يطلبه ويتخلق
به مدة ولكنه لا يتكرر عليه ولا يتوالى امثاله فيسمى طالعا وهذه الثلاثة انما هي
اسما الاحوال السالكين واما ما يمكن في حالة وتوالى عليه امثاله في اكثر اوقاته فلا يسمونه
بهذه الاسما ويطلقون عليه الوجد والوجود وغير ذلك مما تقدم وقول الشيخ فكل
واحد منها ولا اذا انفصل عن صاحبه منه ما يبقى اثرا ومنه ما لا يبقى اثرا يدل على ضعفه
وقلة تاثيره فيمن قام به وشبه ذلك بالبرق اذا اعقبته الظلمة فلم يبق اثرا وما يبقى
اثرا شبهها بالنجوم والشمس والقمر فمنها ما اذا افل بقي اثره يسيرا ومنها ما يبقى اثره
من ذلك كالنجوم ومنها ما يبقى طويلا كالشمس وكذلك اثار هذه الاحوال على ابدان اربابها
فمنهم ما يطرا عليه دفعة واذا انفصل عنه فكانه لم يكن ورجع العبد الى حالته الاول
ومنهم ما يتنعم صاحبه بقلبه ويتنعم به بذكره ومنهم من يظهر اثاره على جسده باكماله
وعلمه ومنهم من يقوى ذلك عليه حتى يسقط ويضعف ويسعى الخلق قلبه يورود امثاله
فيما يستقبل من اوقاته والاشعار التي ذكرها تنبه على كل قسم من هذه الاقسام اما الشعر
الاول فتشبه اللايح فيه بالبرق وذلك لسرعة هجومه وذهابه وقلة مكثه وقوله من اي
اكناف السما يسطع لا يدرك له سببا بل هو من فضل ربه والهامه كذلك قوله يا ذا الذي
زار وما زار كانه مقتبس نارا وذلك لسرعة مجيه وذهابه واللوامع اشار بقوله لها
يسيرا ثم تذهب بقوله لم ترد ما وجهه العين الا شرقت قبل ريها برقيب يعني تشبيه
زوال الحال بالرقيب وهو الرجوع الى النفس بعد سماعه والاحساس بها واما الطوالع التي تشبيهها
بوشيكة الارتحال وفي افولها طويلة الاذيال يعني انها تنقضي بعد طول ثم تطول غيبتها ولا
يرد امثالها سريعا وذلك لعله تمكن صاحبها وتوالى امثالها على قلبه وهي كما قيل فالليل يشملنا
بفاضل برده والصبح يلحفنا ردا مذهبا فهي تثبت زمانا وتعطي احيانا وفي زمن ثبوتها تكسب
جمال الجلال وفي وقت افولها تكسب القلب الهم بسبب الزوال وكذلك الحال في الطالع وصاحبه
بعد سكون غليانه يعيش في ضيا بركاته فالى ان يلوح ثانيا يرتجي وقته على انتظار عوده
معنا يبني حاله باثار ما سبق الى ان يعيده الحق او يعزل عنه ما هو فيه من العلو قال
الامام رضي الله عنه ومن ذلك البواده والهجوم البواده ما يفجا قلبك من الغيب على سبيل
الوهلة اما موجب فرح او موجب ترح والهجوم ما يرد على القلب بقوة الوقت من
غير تصنع منك وتختلف في الانواع على حسب قوة الوارد وضعفه فمنهم من تغيره
البواده وتصرفها الهواجم ومنهم من يكون فوق ما يفجاه حالا وقوة اولئك سادات
الوقت كما قيل لا يهتدي نوب الزمان اليهم ولهم على الخطب الجليل لجام قال
الشارح رضي الله عنه والبواده مشتقة مما يبده القلب اي يلجه العبد ولكن لا يكون ذلك
له سبب يوجب فرحا او ترحا او يجري مجراه والهواجم مشتقة من الهجوم وهو ما يهجم على القلب
من غير نظر في سبب ولا تكلف نظر وكلاهما يقع ابتدا الا ان احدهما يتوقف على سبب
والثاني لا سبب له وكل منهما قد يكون قويا حتى يغلب على عقل العبد وقوته فيظهر على شاهده

Copyright © King Saud University

وعنه تكون الحركة او الصياح او الغشية او الذهول او الذبول ومنه ما يكون ضعيفا
لا يؤثر كل هذه الاثار ومنه ما يكون قويا ويكون قوة صاحبه اثبت من الحال واسكن في الحال
فلا تظهر عليه اثاره كما قيل للجنيد رضي الله عنه لما كان في السماع يتحرك الناس ولم يتحرك
يا سيدي ما لك في هذا شيء فاجاب السايل بقوله تعالى وترى الجبال تحسبها جامدة
وهي تمر مر السحاب اي انه يجد كما يجدون وهو اقوى على حفظه حتى يظهر على شاهده
منكم ولهذا قال الامام رحمه الله اولئك سادات القوم كما قيل لا تهتدي نوب الزمان
اليهم ولهم على خطب الجليل لجام يعني انه لا تتغير احوالهم باختلاف ما يطرا في العالم
من السعة والضيق والعوافي والبلايا وغير ذلك مما يحدث في الزمان وتتغير الالباب والاحوال
فلذلك قال ولهم على الخطب الجليل لجام يعني ما يطرقهم من الامور العظيمة في انفسهم قوة ثبات
وحفظ وعبر عنه باللجام قال الامام رضي الله عنه ومن ذلك التلوين والتمكين التلوين
صفة ارباب الاحوال والتمكين صفة اهل الحقايق فما دام العبد في الطريق فهو صاحب
تلوين لانه يرتقي من حال الى حال وينتقل من وصف الى وصف ويخرج من مرحل ويحصل
في مربع فاذا وصل تمكن وانشد وما زلت انزل في ودادك منزلا تتحير الالباب عند
نزوله وصاحب التلوين ابدا في الزيادة وصاحب التمكين وصل ثم اتصل وامارة انه اتصل
بالكلية عن كليته بطل وقال المشايخ انتهى سفر الطالبين الظفر بنفوسهم فاذا ظفروا بنفوسهم
فقد وصلوا ابريديه الخنا من احكام البشرية واستيلا سلطان الحقيقة فاذا دام بعبد
هذه الحالة فهو صاحب تمكين كان الشيخ ابو علي الدقاق رحمه الله يقول كان موسى عليه
السلام صاحب تلوين فرجع من سماع الكلام واحتاج الى ستر وجهه لانه اثر فيه
الحال ونبينا صلى الله عليه وسلم كان صاحب تمكين فرجع كما ذهب لانه لم يؤثر فيه ما شهد
تلك الليلة وكان يستشهد على هذا بقصة يوسف عليه السلام ان النسوة اللاتي راين
يوسف قطعن ايديهن لما ورد عليهن من شهود يوسف عليه السلام على وجه
الفجاة وامراة العزيز كانت اتم في بلاء يوسف منهن ولم تتغير عليها شعرة ذلك اليوم
لانها كانت صاحبة تمكين في حديث يوسف عليه السلام قال الشارح رضي الله عنه
التلوين يطلق على وجهين احدهما نيل الحال والرجوع منه فيعبر بهذه الحالة عن
التلوين فانه يكون تارة مع الحق وتارة مع نفسه فهو متلون وهو حال بعض السالكين
والحال الثاني الانتقال من منزل الى منزل الى ان يصل الى مطلوبه الاقصى فيصير
متمكنا ويحتمل ان يكون في كل مقام متلونا متمكنا فهو بالنسبة الى ما ارتقى عنه
متمكنا وبالنسبة الى ما كان فيه متلونا فاذا تمكن في المقام كان فيه متمكنا فاذا انتقل
الى غيره ما هو اعلى منه ولم يثبت قدمه فيه ورجع الى الاول كان متلونا وعلى هذا

لا يزال سلوبا متمكنا بالنسبة والاضافة الى ان يصل الى مقام التوحيد ويغلب على قلبه
حال الحق حتى لا يلتفت لغيره وحينئذ تجلس نفسه اي تحل مطالبها التي اخر لجمودها
وذبولها تحت سلطان الجمعية فاذا وصل الى هذا الحال كان متمكنا مطلقا وما دام مدارج
السلوك الى هذا الحال يصح ان يسمى متلونا متمكنا باعتبارين كما ذكرناه ولذلك قال
السير غاية مطلوب السالكين الظفر بنفوسهم واليه انتهى سفرهم وفسره الامام رحمه
الله بخنوس نفوسهم وذهاب الاحساس بها بسلطان الحقيقة والا فالاطلاق الاول
قد يصح على غير هذا المعنى ولا يكون منتهى طلب السالكين وذلك ان النفس قد غلا وتتهيج
بسياط الخوف والرجاء وغير ذلك من انواع المجاهدات واذا ملك الانسان نفسه فهو مشغول
بملكها وحفظها عن سوء عوائدها وهو من مقامات المريدين وليس من اعلى مطالب السالكين والذي
فسر الامام جيد اجار على التحقيق واما ما مثل به من قصة نبينا صلى الله عليه وسلم وموسى
الكليم صلوات الله عليهما من ان موسى عليه السلام لما كلم ربه رجع الى الناس متبرقعا والنبي صلى الله
عليه وسلم لما رجع من مناجاة ربه ليلة المعراج رجع كما كان اشاره الى تغير حال الكليم عليه السلام
ورجوعه بخلاف ما كان وعدم ذلك في النبي عليه السلام فجعل احدهما صاحب تمكين والاخر صاحب
تلوين لتغيره وهذا التمثيل ينبغي التثبت فيه لئلا يسبق لقلب العبد شيء من الاستنقاص
والهضم في وجه احد من الانبياء صلوات الله عليهم فيهلك وقد قال صلى الله عليه وسلم لا تفضلوني
على يونس ابن متى ولا تفضلوا بين الانبياء وقال انا سيد ولد ادم ولا فخر واما ما مثل به من
حال النسوة مع يوسف فهو كافي المقصود الذي اراده وذلك ان امراة العزيز لما تواليها
النظر ليوسف وتوالى جماله على ابدانهن لم يلتفت اليه وتدخر وجه على النسوة التي لم
يطقن بالاطاقة وقطعن ايديهن لغلبة شغلهن به على احساسه فامراة العزيز صاحبة
تمكين والنسوة صاحبات تلوين لتغير احوالهن قال الامام رضي الله عنه واعلم ان التغير
يرد على العبد يكون لاحد امرين اما لقوة الوارد او لضعف صاحبه والسكون من صاحبه
لاحد امرين اما القوة او لضعف الوارد وسمعت الاستاذ ابا علي الدقاق رحمه الله يقول
اصول القوم في جواز دوام التمكين تخرج على وجهين احدهما لا سبيل اليه لانه قال
صلى الله عليه وسلم لو بقيتم على ما كنتم عليه عندي لصافحتكم الملايكة ولانه صلى الله عليه
وسلم قال لي وقت لا يسعني غير ربي اخبر عن وقت مخصوص قال رحمه الله والوجه
الثاني ان يصح دوام الاحوال لان اهل الحقايق ارتقوا عن وصف التاثر بالطوارق والذي
في الخبر انه قال لصافحتكم الملايكة فلم يعلق الامر فيه على وجه مستحيل ومصافحة الملايكة دون
ما ثبت لاهل البداية من قوله صلى الله عليه وسلم ان الملايكة لتضع اجنحتها لطالب العلم رضى
بما يصنع وما قاله عليه السلام وقت فانما قاله على حسب فهم السامع وفي جميع احواله كان قايما

Copyright King Saud University

بالحقيقه والاولى ان يقال ان العبد ما دام في الترقي فصاحب تلوين يصح في حقه الزياده في الاحوال
والنقصان منها فاذا وصل الى الحق بانخناس احكام البشريه مكنه الحق سبحانه بان لا يرد الى معلولات
النفس فهو متمكن في حاله على حسب محله واستحقاقه ثم ما يتحققه الحق سبحانه في كل
نفس فلا حد لمقدوراته فهو في الزياده متلون بل مكون وفي اصل حاله متمكن ابدا يتمكن في حاله
اعلى مما كان فيها قبله ثم يرتقي منها الى فوق ذلك اذ لا غايه لمقدورات الحق سبحانه في كل
جنس فاما المصطلم عن شاهده المستوفي عن احساسه بالكليه فللبشريه لا محاله حد واذا بطل
عن جملته ونفسه وحسه وكذلك عن المكونات باسرها ثم دامت به هذه الغيبه فهو محو
فلا تمكين اذا ولا تلوين ولا مقام ولا حال وما دام بهذا الوصف فلا تشريف ولا تكليف اللهم
الا ان يرد كما يجري عليه من غير شي منه فذلك منصرف في قانون الخلق مصرف في التحقيق
قال الله سبحانه وتحسبهم ايقاظا وهم رقود ونقلبهم ذات اليمين والله الموفق **قال** الشارح رضي
الله عنه قوله والله اعلم ان التغير من العبد يكون لاحد وجهين اما لقوه الوارد ولضعفه
فان الوارد قويا والعبد ضعيفا لم يحمله وان كان الوارد ضعيفا والعبد قويا لم يتغير وحمل ما يرد
عليه وقول الشيخ اي على ان اصول القوم في جوازه دوام التمكين يخرج على وجهين احدهما الاصل
انه يعني لا سبيل الى دوام التمكين يخرج على وجهين واستدل عليه بما جرى لحنظله مما رواه
ابو بكر الصديق رضي الله عنه يبكي قال ما لك يا حنظله قال نافق حنظله واخذني البكا فاتي به
الى النبي صلى الله عليه وسلم وهو يقول نافق حنظله نافق حنظله وهو يبكي فساله النبي صلى الله عليه
وسلم عن حاله فقال يا رسول الله نكون عندك تذكرنا الاخره والجنه والنار كانا راي عين
فاذا فارقناك عافسنا الاهل فزال عنا ذلك فقال له عليه السلام لو دمتم كما تكونون عندي
لصافحتكم الملائكه في طرقكم وعلى فرشكم ولكن يا حنظله ساعه وساعه وهذا يدل على انه لا
سبيل اليه بل هو من الجائز الوصول اليه وقد ارشد النبي صلى الله عليه وسلم الى العلم لذلك
والتردد اليه ساعه وساعه وان العبد اذا توالى عليه ذلك وعوده نفسه صار الغالب
عليه ويدل عليه قوله عليه السلام لحارثه كيف اصبحت قال له مومنا حقا قال له عليه
السلام ان لكل حق حقيقه فاخبره بالحقيقه وهي غلبه هذا الحال على قلب العبد كانه
شاهد الجنه والنار فلو لم يكن نيل هذه الحقيقه ودوامها ممكنا لما ناله حارثه وانما خاف
حنظله ان يكون تغيره عن ذلك نفاقا فاعلمه عليه السلام انه ليس نفاقا وانه ضعف نقله
كيف يقوى وقوله صلى الله عليه وسلم لي وقت لا يسعني فيه غير ربي صحيح وقد قالت
عايشه رضي الله عنها كان النبي صلى الله عليه وسلم من ارفق الناس مع نسايه فاذا حضرت الصلاه
فكانه لا يعرفنا ولا نعرفه وكذلك يلزم من هذا ان يكون مع نسايه في غفله وميل الى الدنيا بل كان كل ذلك
طاعه لربه وكذلك كل ما هو فيه من رعايته لامته وبسطه معهم وقوله لصغير يا عمير ما فعل

و قوله للمراه في عين زوجك بياض وقوله اني لا امزح ولا اقول الا حقا فكل ما فيه فهو حق وطاعه
لربه ولا يلزم من ذلك ان يكون حاله منسا وثاني ساير اوقاته بل على حسب ما يرد على قلبه
من فتح ربه ورويه جلاله وجماله فيستغرق فيه حتى لا يلتفت لغيره كما نقل عنه في وقت نزول
الوحي عليه وتكالمه جبريل له وتفصد جبينه بالعرق لشده ما هو فيه واستغراقه
صلى الله عليه وسلم واذا كان تمكن العبد انما هو راجع الى قوته وحمله لما يرد عليه من ربه
كيف ما كان الوارد فهو متمكن وان اختلف الوارد عليه فهو حامل لقوته وضعفه
وذلك لكمال قوته وعون ربه واتساعه باصناف الواردات واختلافها في التوالي عليه قويه
تاله وضعيفه تاره فهو متمكن بالنسبه لقبول جميع ذلك فخرج ذلك ان التمكن عدم التغير بالواردات
وان اختلفت انواعها وما دام العبد متغيرا فهو صاحب تلوين ومتى كان حاملا لجميع اصناف
ما يرد عليه وان اختلف في القوه والضعف فهو صاحب تمكين والله الموفق والمعين وقوله
الا ان يصطلم العبد حتى يغيب عن نفسه وعن الكون باسره فلا يوصف بتمكين ولا بتلوين ولا
تكليف ولا تشريف الى اخر كلامه فهذا المحو انما هو من ورد عليه امر غيبه عن نفسه بالكليه
واشبه المغمى عليه الذي لم يوصف بشرف حال ولا نقصه ولا تفترض عليه التكاليف
وهذا ليس بمحمود وانما المحمود البالغ من كمال اشتغاله بمولاه حتى يغفل عن نفسه فضلا عما سواه
سواه فلم يغب عن شعوره بنفسه الا لكمال شغله بربه فهذا هو المشرف الكامل في وصفه
لا من فجاه امر غيبه عن كل شي فغفل عن نفسه وربه بالكليه فان اراد بالمصطلم هذا الشخص
فصحيح وقد بينا ان الكمال لغيره والله الموفق وقوله اللهم الا ان يرد الى نفسه واحساسه
بما يجري عليه فيدرك ما يجريه الحق عليه ويصرفه فيه فهو في الشاهد متصرف وهو في التحقيق
مصرف فهو بريء بتصريف الحق له وجريان القدر فيه وهذا اذا كان الحال مستمرا عليه كما
حكي عن بعضهم انه يرد في حال سكره الى صحوه لا قامه فرض ربه فبهذا الاعتبار يكون متصرفا
مصرفا فهو من حيث اتيانه بما يلزمه في اقامه حق ربه متصرف ومن حيث توفيقه وتسديده
وحمل الحق له في حال غيبته عن الشاهد حفظه مصرف فيه والله المعين **قال** الامام رضي الله
عنه ومن ذلك القرب والبعد اول رتبه القرب القرب في طاعته والاتصاف في دوام
الاوقات بعبادته سبحانه واما البعد فهو التلطخ بمخالفته والتجافي عن طاعته فاول البعد
بعد عن التوفيق ثم بعد عن التحقيق وقال النبي صلى الله عليه وسلم مخبرا عن الحق سبحانه ما تقرب
المتقربون الي بمثل اداء ما افترضت عليهم ولا يزال العبد يتقرب الي بالنوافل حتى يحبني
واحبه فاذا احببته كنت له سمعا وبصرا فبي يسمع وبي يبصر الخبر فقرب العبد اولا قرب
بايمانه وتصديقه ثم قرب باحسانه وتحققه وقرب الحق سبحانه من العبد ما يخصه
اليوم به من العرفان وفي الاخره ما يكرمه به من الشهود والعيان وفيما بين ذلك من وجوه اللطف

Copyright to King Saud University

والا فشا ولا يكون قرب العبد من الحق الا ببعده من الخلق وهذا من صفات القلوب دون احكام
الظواهر والكون وقرب الحق سبحانه بالعلم والقدرة عام للكافة وباللطف والنصرة خاص بالمؤمنين
ثم بخصائص الانس مختص بالاولياء قال الله سبحانه ونحن اقرب اليه منكم وقال ونحن اقرب اليه
من حبل الوريد وقال تعالى وهو معكم اينما كنتم وقال ما يكون من نجوى ثلاثة الا هو رابعهم ومن تحقق
بقرب الحق فادونه دوام مراقبته اياه لان عليه رقيب التقوى ثم عليه رقيب الحفاظ
والوفاء ثم رقيب الحيا وانشدوا كان رقيبا منك يرعى خواطري واخر يرعى ناظري ولساني
فما رمقت عيناي بعدك منظرا يسوءك الا قلت قد رمقاني ولا بدرت من في دونك
لفظة لغيرك الا قلت قد سمعاني ولا خطرت في السر بعدك خطرة لغيرك الا عرجا
بعناني واخوان صدق قد سئمت حديثهم وامسكت عنهم ناظري ولساني وما الزهد
اسلى عنهم غير انني وجدتك مشهودي بكل مكان وكان بعض المشايخ يخص واحدا من تلامذته
باقباله عليه فقال اصحابه له في ذلك فدفع الى كل واحد منهم طيرا وقال لا ذبحه بحيث لا يراه
احد فمضى كل واحد وذبح الطير مكان خال وجا هذا الانسان والطير معه لم يذبح فساله
الشيخ فقال امرتني ان اذبحه بحيث لا يراه احد وهو اعليكم الغالب عليكم حديث الخلق وهذا
غير غافل عن الحق **قوله** الشارح رضي الله عنه لما كان الحق سبحانه منزها عن المكان والزمان
استحال نسبة القرب اليه بالا بلا ... وقد قال تعالى فيما حكى عنه النبي صلى الله عليه وسلم في الخبر
الصحيح ما تقرب المتقربون الي بمثل ادا ما افترضت عليهم ولا يزال العبد يتقرب الي بالنوافل
حتى احبه الحديث فدل على ان التقرب من العبد الى ربه انما يكون بطاعته واول ذلك القيام
بالواجبات والبعد عن المحرمات ويقرا في هذين القسمين هو حده من الاخلال بالواجبات
ووقوعه في شي من المحرمات فاول القرب هو قرب العبد بتقوى ربه الواجبة عليه في امره
ونهيه وكذلك ينتقل الى القيام بالمندوبات والكف عن المكروهات والشبهات وهي زيادة
في القرب كما ينتقل الى افضل المندوبين ويتقي الرجوع الى دونها وان كان فيه فضل حذرا
من فوات ارفع الدرجات وكذلك في جانب الترك يحذر على نفسه من الوقوع في المشتبهات
فيدع ما لا باس به حذرا من سبيل الشبهات والمكروهات فاذا تغالت درجته ودامت
مراقبته لاحكام ربه في هذه الجهات انقلبت همته الى مقام الاحسان وهو مقام المقربين
وهو رؤية ربه في سائر الحركات والسكنات فيتقي جميع الغفلات ويحذر على فوات اوقاته
في شي من الهفوات والبطالات ويكون حياؤه من ربه ان يفقده حيث امره او يراه
عاقلا عنه فيكون حياؤه من ربه ان يفقده حيث امره ويراك واذا ترقى في دوام
نظره اليه ويحسن لتوالي نعمه عليه في سائر الحركات والسكنات وجريان ذلك عليه من باب الحفظ
واللطف والبركات احب مولاه لما راى من توالي احسانه عليه في دنياه فاذا احب مولاه تزايد

ادبه معه وتوالي عليه حصول ربحه وحسن جواره فاذا كان كذلك كان في اعلى مراتب القرب
المنسوب اليه فيحبه مولاه ويسبغ عليه نعمه والطافه ويجري عليه من الكرامات ما يدله
به على منزلته عنده وحفظه له في سائر الحالات وهذا هو المراد بقوله تعالى كنت سمعه وبصره
ويده ورجله تعالى عن ذلك علوا كبيرا وانما مراده اني احفظه في سائر حركاته بقلبه وسائر جوارحه
فهذا معنى القرب من العبد وقرب الحق منه بواضح الدلالة لان من العبيد من يكون قربه في القيام
بالواجبات وترك المحرمات وهي درجة في القرب على الايمان لان الايمان ايضا قرب والكفر
بعد والاخلال بالواجبات وارتكاب المحرمات بعد والتنقل بالمندوبات وافضل الطاعات
قرب ومراعاة القلب في دوام نظره الى الحق افضل القرب والغفلة بعد وارتكاب المكروهات
والشبهات بعد فالبعد والقرب على هذه الانحاء وكذلك قرب الله تعالى من العبد تارة يكون
بمعنى العلم والاحاطة والحفظ عن اوابد الشرور وكذلك تعالى قربه من العبيد بما توالي عليهم من
الفضل وتيسير الخيرات على ما تقدم من الدرجات وقد تحقق ان القرب والبعد من العبيد يتفاوت
في الدرجات ولذلك الطاف الله تعالى بهم وحفظه لهم متفاوت على حسب ما يجريه عليهم من الخيرات
والصالحات والحضور معه والغفلات واذا وصل العبد الى هذا المقام الشريف ودامت مراقبته
له في كل عمل يقبل ويخفيه واشتد حياؤه منه حتى لا يحيد عن الحق ولا يحيف حسن منه ان يقول
كان رقيبا منك يرعى خواطري واخر يرعى ناظري ولساني الى اخر الابيات وقوله واخوان صدق
قد سئمت حديثهم وامسكت عنهم ناظري ولساني وما الزهد اسلى عنهم غير انني وجدتك مشهودي
بكل مكان فيه اشارة الى انه اشتغل بربه عن اخوانه من الصالحين السالكين مسلك الراغبين فيما يحبه
فلم يعرض عنهم زهدا فيهم كما يعرض عن غيرهم من ارباب الدنيا ولكن لكمال شغله بمحبوبه
وما والى عليه من جلائل احسانه وتقربه والمكان المذكور في الابيات للشاهد لا للمشهود
وللعابد لا للمعبود ولهذا اشاره الحكايه في التلميذ الذي كان يقدمه الشيخ على بقيه
اصحابه ولم يكن عندهم اكثر عملا ولا علما فتكلم بقيه الطلبه في تقريب الشيخ له فاراد الشيخ
رضي الله عنه ان يعرفهم خصوصيته التي اقتضت اختصاصه وتقريبه فدفع الى كل واحد
منهم طيرا وقال ليذبح كل واحد طيره حيث لا يراه احد وخرج الشاب بين يديه فمضى كل
واحد منهم الى زاويته وذبح طيره واتى به مذبوحا واتى ذلك الشاب بطيره حيا فقال له
الشيخ لم لم تذبحه فقال يا سيدي امرتني ان اذبحه بحيث لا يراني احد ولا وجدت مكانا
الا والله يراني فيه فلم يمكني ذبحه فقال لهم الشيخ لهذا اقدمه عليكم لانكم مع الخلق
وهو مع الحق **قوله** الامام رضي الله عنه وروءيته القرب محاد عن القرب ومن شاهد
لنفسه محلا او نفسا فهو ممكور به ولذلك قالوا اوحشك الله من قربه اي من شهودك لقربه
فان الاستيناس بقربه من سماه العزة به اذ الحق سبحانه من وراء كل انس وان مواضع الحقيقة توجب الدهش

Copyright © King Saud University

وقال بعض ... باخي ... بعقبه ...
خود ... حقوق بعقبه ...

والمحو دني قريب من هذا فاذا صحت بك اني ما ابالي بمحنتي نفربكم مثل بعدكم فنني وثبت
راحتي وكان الاستاذ ابو علي الدقاق رحمه الله كثيرا ما ينشد وداد كم هجر وحبكم قلا وقربكم بعد
وسلمكم حرب ورأى ابو الحسين النوري رحمه الله بعض اصحاب ابي حمزة رحمه الله تعالى
انت من اصحاب ابي حمزة الذي يشير الى القرب فاذا لقيته فقل له ان ابا الحسين النوري يقرئك
السلام ويقول لك قرب القرب فيما نحن فيه بعد البعد فاما القرب بالذات فتعالى الله
الملك الحق عنه فانه تعالى متقدس عن الحدود والاقطار والنهاية والمقدار وما اتصل به مخلوق
ولا انفصل عنه حادث مسبوق جلت الصمدية عن قبول الوصل والفصل فقرب هو في
نعته محال وهو تداني الذوات وقرب هو واجب في نعته وهو قرب بالعلم والرؤية وقرب
هو جائز في وصفه يخص به من يشاء من عباده وهو قرب الفعل باللطف قال الشارح رضي الله
عنه قوله رؤية القرب حجاب عن القرب يعني ان كمال قربه ان يشتغل بالحق عن رؤيته قربه منه
ولا تقريبه اياه فانه متى رأى قربه فقد رأى الغير واذا رأى تقريبه فكذلك وكمال شغله
ان يصطلم عن احساسه شغلا به بالكلية وهذا معنى قولهم اوحشك الله من قربه وهذا اللفظ
ظاهره فيه تشويش فان العبد ما يستوحش من قربه الا اذا ابعده فوجد الوحشة لكونه
بعيدا ومرادهم اوحشك الله من رؤيتك لقربك اي شغلك به شغلا حتى لا تجد القرب منه
اثرا فان استيناسك بقربه علامة على بعدك منه وهو معنى العزة فان كمال الحقيقة يوجب
دهشتك به وبحثك عن غيره واليه كان الاستاذ ابو علي ينشد وداد كم هجراي رؤيتي
لودادكم وحبكم قلا اي رؤيتي لحبي لكم اعراض عنكم وقربكم بعد هو موضع الاستشهاد اي
رؤيتي مع قربكم يدل على بعدي عنكم وسلمكم حرب اي مني رد نفسي الي نفسي وحسن حالي بعد
نومي عنكم وبهذا الاعتبار قال ابو الحسين النوري لبعض اصحاب ابي حمزة انت من اصحاب ابي
حمزة الذي يشير الى القرب فاذا رجعت اليه فقل له ان ابا الحسين النوري يقول لك اقربكم
عين البعد اي وقوفكم ورؤيتكم لقربكم دليل على شغلكم عنه بغيره فحصل من مجموع ما ذكرناه
وذكرناه ان القرب بالذات والمكان محال عليه تعالى وانما قربه من خلقه تخلقه بالاخلاق
اكرامه لهم وتخصيصه اياهم بلطايف معرفته ومحبته وتوحيده وشغلهم به عن غيرهم وعن
انفسهم والله يهدي من يشاء الى صراط مستقيم قال الامام رضي الله عنه ومن ذلك الشريعة
والحقيقة الشريعة امر بالتزام العبودية والحقيقة مشاهدة الربوبية فكل شريعة غير مؤيدة
بالحقيقة فغير مقبول وكل حقيقة غير مقيدة بالشريعة فغير محصول فالشريعة جاءت بتكليف
الخلق والحقيقة انبا عن تصريف الحق فالشريعة ان تعبده والحقيقة ان تشهده والشريعة
قيام بما امر والحقيقة شهود لما قضى وقدر واخفى واظهر سمعت الاستاذ ابا علي الدقاق
رحمه الله يقول قوله اياك نعبد حفظ للشريعة واياك نستعين اقرار بالحقيقة واعلم ان الشريعة

حقيقة من حيث انها وجبت بامره والحقيقة ايضا شريعة من حيث ان المعارف به سبحانه
ايضا وجبت بامره قال الشارح رضي الله عنه فالشريعة عبارة عن معرفة السلوك اليه ايضا
والحقيقة دوام النظر اليه واضافة كل جارحة على خلقه اليه ولذلك قال الشريعة ان تعبده
والحقيقة ان تشهده وكل من لا حقيقة له فلا تتم له شريعة لان الحقيقة اصل الايمان
والشريعة القيام بالاركان فمن عرف الحق ولم يعبده تعرض للخسران ومن لم يعرفه
استحال منه القربان هذا اصول الايمان واما اصطلاحهم في الحقيقة فغلبة حال الايمان
على القلب حتى يصير مشاهدا بقلبه فكلما وجب الايمان به نقل غفلته عنه كما قال حارثة
لما قال النبي صلى الله عليه وسلم ان لكل حق حقيقة فما حقيقة ايمانك فاشار الى غلبة احوال الدنيا
والاخرة على قلبه وصار الغايب عنه كالحاضر فقال له النبي صلى الله عليه وسلم عرفت فالزم
فلا يسمون عارفا ولا ذا حقيقة الا من وصل الى هذه الاحوال ورتب اوراده واودع
احواله على حسب العلم وراعى اوقاتها وكمل اخلاصها في سائر درجاتها فهو صاحب شريعة
اي سالك الطريق الموصلة الى الخيرات المبلغة الى حلول الجنات ورؤية خالق الارض والسموات
ولما كانت هذه الاعمال لا تصح الا بصحة التوحيد والايمان بالله وبرسوله كانت كل شريعة
حقيقة اي هي متمم بها وشرط في صحتها ولما كانت الحقيقة هي غلبة حال الايمان والمعرفة على
القلب وكان الايمان والمعرفة مطلوبين شرعا كانت كل حقيقة شريعة وانما نعت لمعرفة
بالنظر لحال العابد والعارف فلما كان العابد هو الموقوف مع الاعمال واتقانها وتخليصها
من افاتها المحبطة لها قيل صاحب شريعة اي هي الغالبة على حاله ولما كانت الحقيقة
هي غلبة الحق على قلب العارف ورؤيته جميع ما هو فيه من فضل عملا كان او حالا او مقاما سمي
صاحب حقيقة وقد تبين انهما افترقا من وجه واجتمعا من وجه وبهذا الاعتبار اطلقوا
الشريعة والحقيقة وبهذا الاعتبار قال بعضهم اياك نعبد اشارة الى الشريعة وهي اضافة
العمل الى النفس ورؤية كونه عاملا واياك نستعين الى الحقيقة وهو تبريه من القيام بشيء من
عبادته بنفسه وافتقاره في جميع ذلك لعونه قال الامام رضي الله عنه ومن ذلك النفس
النفس ترويح القلوب بلطايف الغيوب وصاحب الانفاس ارق واصفى من صاحب الاحوال
فكان صاحب الوقت مبتدئ وصاحب الانفاس منتهي وصاحب الاحوال بينهما فالاحوال
وسايط والانفاس نهاية الترقي والاوقات لاصحاب القلوب والاحوال لارباب الارواح
والانفاس لاهل السراير وقالوا افضل العبادات عد الانفاس مع الله سبحانه وقالوا خلق
الله تعالى القلوب وجعلها معادن المعرفة وخلق الاسرار وراءها وجعلها محلا للتوحيد
فكل نفس حصل من غير دلالة المعرفة واشارة التوحيد على بساط الاضطرار فهو ميت وصاحبه
مسؤول عنه سمعت الاستاذ ابا علي رحمه الله يقول العارف لا يسلم له النفس لانه لا مساعد مجرى

Copyright © King Saud University

معه والمحب لابد له من نفس اذ لولاه ان يكون له نفس لتلاشي لعدم طاقته **قال** الشارح رضي
الله عنه قوله النفس ترويح القلوب بلطايف الغيوب يعني بما ناله من لطايف الغيوب
وذلك ان النفس انما هو ترويح من الحصر كما ان المتنفس يجد راحة بتنفسه ولو امسك عن نفسه
لهلك واستعار واسم الترويح من ضيق الاحوال وشدتها على اربابها اسم النفس وارباب الاوقات
هم الحافظون لاحوالهم في اوقاتهم لئلا تروح اوقاتهم سايبة او ضايعة فمن غلب على همه شغله
بالاولي به في وقته سمي صاحب وقت ومن توالت عليه احواله المتوالية على قلبه وهو حامل لها
مناد سمع الحق بما يرد عليه منها فهو صاحب حال ومن تنفس وروح نفسه بما وهبه الحق له
من لطايف غيبه واكرامه واشار بذلك اليه ما وجده سمي صاحب نفس وبهذا الاعتبار كان صاحب
الوقت صاحب بداية وصاحب النفس صاحب نهاية وصاحب الحال متوسط بينهما وقد قال شيخ
الاسلام ابو محمد عبد بن محمد الانصاري لما تكلم على الانفاس قال يسمي النفس نفسا لترويح المتنفس به وهو
على ثلاث درجات نفس في حين ضيق استتار مملوء من الكظم متعلق بالعلم ان تنفس تنفس بالتاسف
المتاسف او ان نطق نطق بالحزن وعندي هو منزله من وحشة الاستتار وهي الظلمة التي
قالوا انه مقام والنفس الثاني نفس في حين التجلي وهو نفس شاخص عن مقام السرور الي
روح المعاينة مملوء من نور الوجود شاخص الى منقطع الاشارات والنفس الثالث نفس
مطهر بماء القدس قايم باشارات الازل وهو النفس الذي يسمى صدق النور وقال النفس الاول
للعثور سراج والثاني للقاصد معراج والثالث للمحق تاج **قال** الشارح رضي الله عنه وانما
كان الاول للعثور سراجا لان من يلي بظلمة الوقت عن السلوك فانه تخلصه مما وقع فيه
وينير له سبب اصلاح حاله وتلافيه هو تنفسه بالافتقار الى القادر على خلاصه من ورطته
ومعافاته وبهذا كان سراجا خلصه من عثرته وتفقه واما الثاني فهو للقاصد السالك
معراج اي به يتوصل الي مطلوبه من استغراقه في توحيده واما الثالث وهو المحق
الذي قد وصل الي مطلوبه فتنفسه بما وجده من محبوبه تاج يتشرف به ولذلك قالوا ان
العارف لا يسلم له النفس وانما يكون النفس للمحب واما العارف فانه كمل شغله بربه
حتى غفل عن جميع احواله وانفاسه لعدم التفرقة عنده ولذلك قال الشيخ ابو علي الدقاق
العارف لا مساعة له في النفس وانما النفس للمحب فانه لولم يتنفس لتلاشي وهلك لعدم
طاقته **قال** الامام رضي الله عنه ومنها الخواطر والخواطر خطاب يرد على الضماير
وقد يكون بالقاء الملك وقد يكون بالقاء الشيطان ويكون احاديث النفس ويكون من قبل
الحق سبحانه فاذا كان من الملك فهو الالهام واذا كان من قبل النفس قيل له الهواجس واذا
كان من قبل الشيطان قيل له الوسواس واذا كان من قبل الله سبحانه والقايه في القلب
فهو خاطر حق وجملة ذلك من قبيل الكلام فاذا كان من قبل الملك فانما يعلم صدقه بموافقته

العلم

العلم ولهذا قالوا كل خاطر لا يشهد له ظاهر فهو باطل واذا كان من قبل الشيطان فاكثره
يدعوه الي المعاصي واذا كان من قبل النفس فاكثره يدعوه الى اتباع الشهوات او استشعار
كبر او ما هو من خصايص اوصاف النفس واتفق المشايخ على ان من كان اكله من الحرام لم يفرق
بين الالهام والوساوس وسمعت الشيخ ابا علي الدقاق رحمه الله يقول من كان قوته
معلوما لم يفرق بين الالهام والوسوسة واذا من سكنت هواجس نفسه لصدق مجاهدته
نطق لسانه قلبه بحكم مكابدته نطق لسانه واجمع الشيوخ على ان النفس لا تصدق وان
القلب لا يكذب وقال بعض المشايخ ان نفسك لا تصدق وقلبك لا يكذب ولو اجتهدت كل الجهد
ان تخاطبك روحك لم تخاطبك وفرق الجنيد رحمه الله بين هواجس النفس ووساوس الشيطان
فان النفس اذا طالبتك بشي الحت فلا تزال تعاود ولا بعد حين حتى تصل الى مرادها وتحصل
مقصودها اللهم الا ان يدوم صدق المجاهدة ثم انها تعاود وتعاود واما الشيطان اذا
دعا الى زلة فخالفته بترك ذلك ويوسوس بزلة اخرى لان جميع المخالفات له سواء انما
يريد ان يكون داعيا ابدا الي زلة ما ولا غرض له في تخصيص واحد دون واحد وقيل
كل خاطر يكون من الملك فربما يوافقه صاحبه وربما يخالفه فاما خاطر يكون من الحق سبحانه
فلا يحصل خلاف من العبد له وتكلم الشيوخ في الخاطر الثاني اذا كان الخاطران من الحق
سبحانه فهل هو اقوى من الاول فقال الجنيد رحمه الله الخاطر الاول اقوى لانه اذا بقي
رجع صاحبه الي التامل وهذا شرط العلم فترك وقال ابن عطا رحمه الله الثاني اقوى لانه
ازداد قوة بالاول وقال ابو عبد الله بن خفيف من المتاخرين هما سوا لان كلاهما من الحق سبحانه
فلا مزية لاحدهما على الاخر والاول لا يبقي في حال الثاني لان الاثار لا يجوز عليها البقا **قال**
الشارح رضي الله عنه الخواطر اقوال ينشيها الحق سبحانه في قلوب الخلق وقد ينشيها بواسطة
مخلوق مقارنه لقدرته الحادثة وقد لا ينشيها مقارنة فان انشاها غير مقارنة فهو خاطر
حق اي بغير واسطة وان كان بواسطة فلا يخلو اما ان يكون بواسطة النفس او بزايد
عليها والزايد لا يخلو اما ان يدعو الى خير ام لا فان دعا الي خير فهو المعبر عنه بالالهام
وهو بواسطة الملك وان دعا الى شر فهو الوسواس بواسطة الشيطان وما كان بواسطة
النفس فهو التسويل والهواجس والتطويع قال الله تعالى فطوعت له نفسه قتل اخيه
وقال بل سولت لكم انفسكم امرا فصبر جميل وقال تعالى فوسوس لهما الشيطان وايضا
في موضع اخر وقال صلى الله عليه وسلم رواه ابن مسعود لمة من الملك وهو الملك
من الملايكة وفي رواية من الملك وهو الرب تعالى فثبت بهذه الادلة ان الخواطر في القلب
ترد من هذه الجهات الاربع ولا يعلم حكم خاطر من هذه الخواطر بنفسه في خير او شر
وانما يعلم حكمه مما دعا اليه فان دعا الى خير في الشريعة كان خاطر خير سوا كان من الملك او من الحق

سبحانه او من الملك فانه قد عرف حكمه وانه دعا الى خير وكذلك اذا علم انه دعا الى شر رده ونفاه
ولا يبالي كان من النفس او من الشيطان وانما فرق الناس بين خاطر النفس وخاطر الشيطان
ليبذ اولي العبد نفسه في كل خاطر ورد عليه مما يكف عنه شر ذلك الخاطر فان الشيطان
يكفي في رده المخالفة والحقيرته له والنفس تحتاج مع ذلك الادب ومخالفة شهواتها
وان تقطع عنها ملذوذاتها عقوبة لها لكي لا تعود الى ما دعت اليه واما الفرق بين خاطر
الملك وخاطر الشيطان فان الحق سبحانه وتعالى لما قال لعدو الله واجلب عليهم بخيلك
ورجلك وشاركهم في الاموال والاولاد الايه تفضل سبحانه بان نجعل قبالة الشيطان
ملكا اذا ذكر الشيطان شرا نبه الملك العقل لجهات الشر وامره بالخير وكذلك اذا امر الملك
بخير زين العدو للنفس الكسل والراحة والفتور فلذلك كان خاطر الملك يتردد لما يقابله من
تزيين الشيطان واما ما ينبتيه الحق سبحانه لصلاح العبد ويخلقه في قلبه فلا يطلع لاحد
لما زعمته ولكن ما يعرف كونه من الحق الا اذا دعا الى خير واضح علم من الدين لا اشكال في صحته
فتنبعث النفس لتحصيل ما لا يشكل فيه اذا امدها ربها بمعونته وتوفيقه وهذا الكلام
على الخواطر وجهاتها واما معاوقول الشارح في اجماعهم ان النفس لا تصدق وذلك في مواعيدها
لسرعة خلفها ونفورها عن المشقات فيهون عليها الوعد بالعمل فاذا جاءت وقته تعرف
عنه وعادت الى الكسل وان القلب لا يكذب وذلك ان القلب اذا اطلق المراد به العقل
فمتى عرف الانسان الحق بعقله وميزه بلبه نطق لسانه بما تحققه في قلبه واللسان يجار
القلب فاذا صدق القلب صدق اللسان وقوله ولو اجتهد كل الجهد ان تخاطبك روحه لم
تخاطبك وذلك لان الروح لا تخلو اما ان يكون جوهرا او عرضا فعلى كل حال الروح معنى به
حياة هذا الجسم لا غير وله تعلق بالمقامات العالية اذا دل عليها القلب واتضح كرما
محموده كان للروح تعلق بنيل ما عرفته ولذلك كان لوا في كلامهم التخلق والتعلق فالتخلق
اكتساب الاخلاق المحموده والتنزه عن الاخلاق المذمومه والتعلق هو تعلق الهمة
بالقرب من الله تعالى ودوام النظر اليه بالقلب والاعراض عما سواه فعبروا بهذه الحالة
عن الروح لانها دليل حياة القلب كما ان الروح التي تفارق بالموت دليل حياة الجسم
واذا فقد هذا المعنى من القلب مات وان ضعف مرض وتفريق الحسد بين هواجس
النفس ووساوس الشيطان فان النفس مايله الى محل الارادة فاذا التذت شيا تعلقت
به فان ردتها عنه بشغل بغيره او اكثرت تركت ذلك ثم عادت اليه لانه من قبيل
الشهوات والشيطان لعنه الله انما مقصوده ان يوقع العبد في شر على الجملة فاذا قدر
على كفره لم ينقص واجتزا بالكبيرة وان عجز عن الكبيرة اجتزا بالصغيرة وان عجز عن الصغيرة
اكتفى بتشويش في العبادة حتى لا يقع على اكمل وجهها فاذا عجز عن افسادها بما يدخله

يدخله به فحصل من ذلك ان الخاطر اذا تكرر وكان من قبيل الشهوات انه من جهة النفس
فحقها الادب واذا كان شرا ولم يتكرر من نوع واهمل علم انه من قبيل الشيطان فحق
العبد دوام الذكر والالتجاء اليه في السلامة من شره فانه قريب مجيب كما قال تعالى
وكفى بربك وكيلا واذا كان من قبيل الخير وتردد من الملك كما تقدم واجمع المشايخ
ان من كان قوته من حرام لا يفرق بين الالهام والوسوسة وهذا صحيح فانه لا يسترسل
على اكل الحرام من اي جهة اتفق الا من بلت همته وخسست لا فعال جوارحه فضلا عن
افعال قلبه الخواطر التي ترد فيه ومن عمي قلبه حتى قل تفتيشه في مطعمه ومشربه فلان لا
يتفتش عن خواطر قلبه اولى والبعد من ذلك تمييزه بين الالهام والوسوسة فانه لا يميز
الا بدقيق النظر في الاحكام وكمال العلم بالحلال والحرام واما قول الدقاق من كان قوته معلوما
لم يفرق بين الالهام والوسوسة فلا يصح قوله معلوما ان يرجع الى معلوم الحل فانه لم
يصح فانه ضد الاول وان كان معلوم الجهة فقد يكون سكونه للجهة التي يكون قوته
منها يمنعه من التفتيش عن غيرها فاذا لم يحس لقلبه لما يقع فيه حتى يفرق بين ما يدعوه
اليه الحق من انتقاله الى اشرف مما هو فيه فلو وجد كان سكونه لجهة معلومة تمنعه
من النظر في كمال حاله وهو تردده لما يرد على قلبه واذا اراد من لم يسلم الى درجة التوكل
على الله والاعراض عن السكون الى الاسباب المعتاده فيا لكمال فراغ القلب لتفتيش
والتفريق بين الالهام والوسوسة من خواطر قلبه لسكونه الى الاسباب على الجملة
فيكون المعلوم ها هنا عبارة عن المعتاد وقوله اختلف المشايخ في الخاطرين اذا كان عن
الحق سبحانه ايهما اقوى فقال بعضهم الاول اقوى ووجهه ان خاطر الحق لا بد فيه
من القوة ما يستغنى عن الثاني ووجه من قال ان الثاني اقوى ان الاول صار مقدمة
للثاني فاذا ورد عليه كان حاله وارد عليه اقوى لتظاهرهما ومن قال انهما مستويان
نظر الى ان كل واحد منهما شرطه كمال القوة وانه لا بد لو انفرد فكلاهما قوي وكل واحد
منهما مساو للاخر فليس لاحدهما ما يقوى من صاحبه وانما يتقوى حال العبد في نفسه بتواردهما
عليه لا لان احدهما اقوى من الثاني وهذا هو الصحيح والله الموفق قال الامام رضي الله
عنه ومن ذلك علم اليقين وعين اليقين وحق اليقين وهذه عبارات عن علوم جلية
فاليقين هو العلم الذي لا يتداخل صاحبه ريب على مطلق العرف ولا يطلق في وصف الحق
سبحانه لعدم التوقيف فعلم اليقين هو اليقين وكذلك عين اليقين نفس اليقين وحق اليقين
نفس اليقين فعلم اليقين على موجب اصطلاحهم ما كان بشرط البرهان وعين اليقين ما كان
بحكم البيان وحق اليقين ما كان بنعت العيان فعلم اليقين لارباب العقول وعين اليقين لاصحاب
العلوم وحق اليقين لاصحاب المعارف والكلام في الانفصال عن هذا الحال وتحقيقه يعود الى ما ذكرناه

Copyright King Saud University

فاقتصرنا على هذا القدر على جهة التنبيه قال الشارح رضي الله عنه اليقين عند اهل الله
توالي العلم بالمعلوم حتى لا يكاد يغفل عنه بقا لا يقال الماء اذا صفا من كدوراته وما يخالطه مما
يتحرك مع الماء اذا استقر في مغيضه واستقر قراره وصفا بقا لا يقال الماء تبين من هذا ان العلم في
الاصطلاح يباين اليقين وذلك ان الشخص قد يعلم المعلوم من واحد ثم يغفل عنه فيسمى عالما
لقيام العلم به مرة واحدة ولا يسمونه موقنا الا اذا توالى ولم يتخلله غفلة فاذا تقرر
ذلك قلنا علم اليقين ما كان العلم فيه ثابتا عن البرهان فسمي علم يقين لتحقيق كونه علما لانه قد
سمي الظن علما للسكون الى احد المحتملين فاذا قالوا علم اليقين ارادوا العلم المتيقن الذي لا يقبل
الاحتمال ولذلك كان يشترط البرهان وعين اليقين حصول العلم وتوالي امثاله من غير نظر في
دليل بل صار العلم مذكورا وقلت الغفلات في توالية على القلب فلم يحتج صاحبه الى تامل برهان
وحق اليقين هو حصول اليقين بالمعلوم الذي صار غالبا على القلب حتى لا يبقى لغيره ذكر منه
وبهذا الاعتبار سموه حق اليقين لسوله الحقيقة لمن تحقق به وما تقدم من حديث حارثة
يحصل من مجموع ما قررناه ان علم اليقين اشاره للعلم الحق الذي يقبل الاحتمال وان لم يتوالى على
القلب وعين اليقين هو المتوالي على القلب ذكره حتى قلت غفلات المتصف به عنه وان كان
يتذكر غيره وحق اليقين هو الذي غلب ذكر معلومه على القلب حتى يشتغل عن غيره وتمكنت
حقيقته فيمن تحقق به وهذه الاصطلاحات الثلاثة في مراتب العلم الحق وانما اختلفت في دوامها
وعدم دوامها في غلبتها على القلب حتى يشغله عن ذكر غيره قوله ولا يطلق في وصف الحق
سبحانه لعدم التوقيف وان سمي نفسه عالما يسمي نفسه موقنا ولذلك قال نعم اليقين لارباب
العقول الذين علموا بطريق الاستدلال وعين اليقين لارباب العلوم اي تمكنت علومهم وتوالت
على قلوبهم حتى استغنوا عن ذكر الدليل وحق اليقين لارباب المعارف وقد تقرر انهم لا يسمون
عارفا ولا احد منهم الا من غلب على قلبه ذكر معروفه حتى يشغله عن ذكر غيره وهو حال الحقيقة
كما قال عليه السلام لحارثة ان لكل حق حقيقة فما حقيقة ايمانك فاجابه بغلبة حال
الايمان على قلبه فرضي منه بذلك قال الامام رضي الله عنه ومن ذلك الوارد ويجري
في كلامهم ذكر الواردات كثيرا والوارد ما يرد على القلوب من الخواطر المحموده مما لا يكون بتعمل
العبد وكذلك ما لا يكون من قبيل الخواطر فهو ايضا وارد ثم يكون وارد من الحق ووارد من العلم
فالواردات اعم من الخواطر لان الخواطر تختص بنوع الخطاب او ما يتضمن معناه والواردات
تكون وارد سرور ووارد حزن ووارد قبض ووارد بسط الى غير ذلك من المعاني قال
الشارح رضي الله عنه الواردات جمع وارد وهو ما يطرق القلب من غير كسب للعبد وقد يكون
مترتبا على سبب من كسب العبد وقد لا يترتب على سبب ويغشيه الحق في قلب العبد تنبيها على ما يكون
او كان من القبض والبسط والسرور والفرح والقلق والطرب وغير ذلك فعرف بينها وبين الخواطر

ان الخواطر كما تقدم كلام يفهمه العبد من غير صوت وقد تقدم ان يكون من جهة النفس ومن جهة
العدو ومن جهة الملك اذا انشاه الحق بواسطة وقد يغشيه بغير واسطة ويكون فيهما من الحق
كما جاء في الحديث واعظ الله في قلب كل امرئ مسلم وقال عفى الله عن امتي ما حدثت به انفسها
ومما يوضح الوارد ما جرى للجنيد رحمه الله انه قال تمنيت ليلة الى وردي فوجدت نشاطا ولم
اقدر على الصلاة فاردت ان اقرا القران فلم استطع ففتحت باب الدار لانصرف فيزول
ما اجده فاذا رجل ملتف في عباءة مطروح في الطريق فلما احس بي قال الي الساعة يا ابا القاسم
فقلت يا سيدي من غير موعد فقال بلى ولكن سالت محرك القلوب ان يحرك الي قلبك فقلت
قد فعل فما حاجتك فقال متى يكون داء النفس دواها فقلت اذا خالفت النفس هواها صار داؤها
دواها فقال لنفسه قد سمعت وقد اجبتك بهذا سبع مرات فابيت ان تسمعيه الا من الجنيد ثم
ذهب ولم اعرفه فهذا وارد ورد على قلب الجنيد لم يعرف له سببا الا بعد ذلك وقد يفكر
العبد في امر من الامور الاخروية فيوجب له فكره فيضا يعني ذلك ويحصل القبض ويعني سببه
وكذلك الفرح والبسط وغير ذلك من الواردات التي ليست من قبيل الكلام فهذا هو الفرق بين الخاطر
والواردات وان اشتركا في ورودهما على القلب والله المستعان قال الامام رضي الله عنه
ومن ذلك لفظ الشاهد كثيرا ما يجري في كلامهم فلان بشاهد العلم وفلان بشاهد الوجد
وفلان بشاهد الحال ويريدون بلفظ الشاهد ما يكون حاضر قلب الانسان وهو ما كان الغالب
عليه ذكره حتى كانه يراه ويبصره وان كان غائبا عنه فكل ما يستولي على قلب صاحبه
ذكره فهو شاهده فان كان الغالب عليه العلم فهو شاهد العلم وان كان الغالب عليه الوجد
يقال انه شاهد الوجد ومعنى الشاهد الحاضر فكل ما هو حاضر قلبك فهو شاهدك وسئل
الشبلي رحمه الله عن المشاهدة فقال من اين لنا مشاهدة الحق لنا شاهد انشاء شاهد الحق
الى المستولي على قلبه والغالب عليه من ذكر الحق والحاضر في قلبه دائما من ذكر الحق ومن
حصل له مع مخلوق تعلق بالقلب يقال انه شاهده يعني حاضر قلبه فان المحبة توجب دوام
ذكر المحبوب واستيلاءه عليه وبعضهم تكلف في مراعاة هذا الاشتقاق فقال انما سمي الشاهد
من الشهادة فكانه اذا طالع شخصا بوصف الجمال فان كانت بشريته ساقطة عنه ولم يشغله
شهود ذلك الشخص عما به من الحال ولا اثرت فيه صحبته بوجه فهو شاهد له على فناء نفسه
ومن اثر فيه ذلك فهو شاهد عليه في بقاء نفسه وقيامه باحكام بشريته فهو اما شاهد له واما
شاهد عليه وعلى هذا حمل قوله صلى الله عليه وسلم رايت ربي ليلة المعراج في احسن صورة اي في
احسن صورة رايتها تلك الليلة لم يشغلني عن رؤيته تعالى بل رايت المصور في الصورة والمنشئ في
الانشاء ويريد بذلك رؤية العلم لا ادراك البصر قال الشارح رضي الله عنه لفظ الشاهد
يطلق حقيقة على من له شهادة ومجازا على المشاهد لغيره فاذا اطلق يعني المشاهد كان بالاعتبار

Copyright King Saud University

الذي ذكره الامام اولا وهو قولهم فلان يشاهد اي بما غلب على قلبه رويته ومشاهدته
وكذلك مشاهد الوقت ومشاهد الحال واما اطلاقه بمعنى الشهادة فهو ان يكون ظاهر الشخص
يشهد عليه بصحة حاله القايم بقلبه فان كان محبا فشاهد المحبة ينطلق على ظاهره
وكذلك المراقب والعارف وكل صاحب مقام يشهد ظاهره له بصحة حاله وهذان الوجهان
سايغان شرعيان وعليه يحمل وكذلك سيل الشبلي عن المشاهدة فقال من اين لنا مشاهدة
الحق يعني رويته وانما لنا شاهد الحق اي احوالنا تشهد لنا بمعرفته ودوام ذكره واما ما ذكره
الامام من ان طايفة ارادوا التحقيق الاسم وهي الشهادة فانهم صاروا ياخذون اجمل شاب يكون
معهم ويحلونه باجمل الثياب والحلي ويقعدون بين يديه ثم يجمعون في حال السماع ويمتحن كل واحد
منهم حاله هل هو مشتغل بحاله وهل بشريته ملتفتة اليه او هو مشتغل عنه بما هو فيه
من حالة السماع ويسمون ذلك الشخص الشاهد امالهم واما عليهم فمن احس من نفسه التفاتها
اليه وشغلها بحاله فلم تسقط عنه بشريته فهو شاهد عليه ببقاء البشرية ومن لم يلتفت
اليه بالكلية وكان مشتغلا بحاله عنه كان شاهدا له بسقوط بشريته وهذا المذهب الرديل الرديل
لم يعهد في الصدر الاول ولا عند احد من المحققين وما الذي يحوج الانسان الى ان يزن نفسه
هل سقطت بشريته في هذا الموضع الخطر المودي الى الهلاك وبيس المصير الذي لم يزل
المشايخ يحذرون من صحبة هذا القبيل وان لم يكن فيما وصفناه من الزي ولا من كان الحال
وقد تقدمت الحكاية في ان بعضهم راى ابليس لعنه الله وهو يمر عنه ناحية اي بعيدا عنه
فساله عن بعده منه فقال له ابليس ما الذي عملكم انتم تركتم عن انفسكم ما اخادع به الناس
وهي الدنيا ثم التفت اليه ابليس وقال لكن لي فيكم لطيفة فقال له وما هي فقال صحبة وقال الا
الاحداث ويلزم على هذا المذهب الرديل ان يفعل ذلك بالنسا الجميلات لينظر هل يتحرك
نفسه او خمدت بشريته بطول المجاهدة ولقد نجد ذلك في افضل عباداته وهي الصلاة
اذا دخل فيها هل هو مشتغل فيها برويه ربه وكمال مناجاته والحضور بين يديه وكمال الاجلال
وعظمته او وقف بين يديه صورته متفكر في سوء عاداته وشهواته وينبغي بهذا الميزان
القويم ويعدل به عن الغرور والوقوع في الجحيم واما ما تاولوه في الخبران صح عن قوله عليه السلام
في ليلة المعراج رايت ربي في احسن صورة اي انه راى صورة الملايكة على ما هم عليه وصور
الانبيا ويوسف الصديق وساير ما راه من الصور الجميلة في تلك الليلة وانه راى بعين تلك
الصورة الجميلة اي راى المصور في نظره اليها ولم يشتغل بالصورة عن المصور فهذا بعيد جدا
في التاويل ولا خصوصية له عليه السلام في تلك الليلة والدالة على احواله في الازمانه في
ساير احواله ناظرا الى ربه ولا يشغله شي من الصور المستحسنة عنه وهذا تاويل ضعيف ان
صح الخبر فيحمله والله اعلم ان رويته النبي صلى الله عليه وسلم لربه في احسن صورة هو عليها واجل

هبه

هبه انه خلق له من الادراك الذي راى به ربه المنزه عن الاجسام والجهات والصور
والهيات ما يخلقه تعالى له قبل ذلك ويكون الصورة راجعة الى حالته عليه السلام وما
خصه به من الادراك الشريف الذي يخلقه لاوليايه في الدار الاخرة ويخصهم به ويكون
الصورة ها هنا معنوية لا محسوسة والله الموفق لما يرضيه عنا ويبعد عن شرور انفسنا
بمنه وكرمه قال الامام رضي الله عنه ومن ذلك النفس ونفس الشي في اللغة وجوده
وعند القوم ليس المراد من اطلاق لفظ النفس الوجود ولا القالب الموضوع وانما ارادوا
بالنفس ما كان معلولا من اوصاف العبد ومذموما من افعاله واخلاقه ثم ان المعلولات من
اوصاف العبد على ضربين احدهما يكون كسباله كمعاصيه ومخالفاته والثاني اخلاقه
الدنية فهي في انفسها مذمومة فاذا عالج العبد نازلها ينتفي عنه بالمجاهدة تلك الاخلاق
على مستمر العادة فالقسم الاول من احكام النفس ما نهي عنه نهي تحريم او نهي تنزيه واما القسم
الثاني من قسمي النفس فسفساف الاخلاق والدني منها هذا حده على الجملة ثم تفصيلها فكالكبر
والغضب والحسد والحقد وسو الخلق وقلة الاحتمال وغير ذلك من الاخلاق المذمومة واشد
احكام النفس واصعبها توهمها ان شيا منها حسن وان لها استحقاق قدر ولهذا اعد
ذلك من الشرك الخفي ومعالجة الاخلاق في ترك النفس وكسرها اتم من معاناة الجوع
والعطش والسهر وغير ذلك من المجاهدات التي تنهض سقوط القوة وان كان ذلك ايضا من جملة
ترك النفس ويحتمل ان تكون النفس لطيفة في هذا القالب في محل الاخلاق المحمودة وتكون
الجملة مسخرا بعضها لبعض والجميع انسان واحد وكون النفس والروح من الاجساد اللطيفة
في الصورة ككون الملايكة والشياطين بصفة اللطافة وكما يصح ان يكون البصر محل الروية والاذن
محل السمع والانف محل الشم والفم محل الذوق والسميع والبصير والشام والذايق انما هي الجملة
التي هي الانسان فكذلك محل الاوصاف الحميدة القلب والروح ومحل الاوصاف المذمومة النفس
والنفس جزء من هذه الجملة والقلب جزء من هذه الجملة والحكم والاسم راجع الى الجملة
قال الشارح رضي الله عنه لفظ النفس يطلق على الحقيقة يقال نفس الجوهر ونفس العرض ونفس العلم
ونفس الجهل والمراد حقيقة ذلك الشي وبهذا الاعتبار اطلق لفظ النفس على الحق سبحانه
وتعالى تعلم ما في نفسي ولا اعلم ما في نفسك وقد تطلق على الدم تقول الفقهاء ما له نفس سايلة
اذا وقع في الما او مايع نجسه وقد تطلق على الاخلاق المذمومة اذا ظهر من شخص خلق
مذموم من انف او كبر او عجب قيل هذا نفس واذا تقرر ذلك كانت الاخلاق المذمومة منقسمة
الى ما يكتسب والى ما يطبع المرء عليه فالذي يطبع المرء عليه كما قال عليه السلام الجبن والجراه
عرايز يضعها الله حيث يشا وكذلك الميل لكل لذيذ والنفرة عن كل كريه واما المكتسبة فكل شهوة
يتوصل الانسان اليها بتطلبه كالزنى والخمر والسرقة والغيبة والنميمة وما يجري مجراه فهذه

الرديل
وقال
اعم
والسهر

Copyright © King Saud University

الاخلاق وان سميت نفسانيا عتبار ذم الشرع لها والا فاطلاق النفس على المشتهيات من تعلق
النفس بها وتحصيلها لاغراضها واما القسم الثاني الذي طبع العبد عليه وهو في نظر الشرع
مذموم فيتاتى تغييره والانتقال عنه بالمجاهده كما بينا لك التخلق بالاخلاق المحموده من الصبر
والزهد والتوكل والتكلف والتكليف والمجاهده في التحصيل وزعم بعض الناس ان هذه الاخلاق
المذمومه لا تتغير لانها مما طبع العبد عليها فخاب بهما ان تسكن بالمجاهده والتخويف وان عقل
العبد عنها عادت وهذا فيه نظر فان الدليل على صحة تغييرها طلب الشرع لاضدادها
ونهيه عن التلبس بها وقد يقع الغلط فيما يميل العبد اليه وينفر عنه ويعتقد ان الميل له على
الخصوص طبع وكذلك النفرة عنه وليس بصحيح وانما الطبع الذي لا يتغير الميل لكل لذيذ
والنفرة عن كل كريه مطلقا وقد يتوهم الشخص ان شيئا لذيذ فيميل اليه واذا نبهه الله الى
حقيقة قبحه نفر عنه ومن هذا القبيل ميل النفوس الى الدنيا العاجله وان كان ميلهم اليها
لانهم لا يعرفون بحسنا غيرها فاذا من الله تعالى على العبد وعرف عوار الدنيا ونقصها وما يقع
فيه من البلا ونحجب عنه من الخيرات نفر عنها وكرهها فالذي كان لذيذا له صار كريها وطبعه
لم يتغير وانما تغير ظنه باللذيذ والكريه وكذلك من نظر الى الاعمال الصالحه ومشقة القيام بها من الصلاه
والصوم والحج والجهاد وما يترتب على تحصيل ذلك من اتعاب النفس والمال والتغرير بالنفس في الجهاد
والنفس تانف عن هذه المشاق فاذا من الله تعالى على العبد بما يترتب عليها من الفوائد في الدنيا
والاخره ورزقه اللذه فيها مال اليها وثقل عليه تركها فالذي كان منه نافرا صار اليه
مايلا والطبع لم يتغير بدل جميع ذلك على تغيير الاخلاق وهي العوايد وان الطبع الذي لا يتغير
هو ما ذكرناه من الميل لكل لذيذ والنفرة عن كل كريه وقد تطلق النفس على المعنى الذي يفارق
الانسان بالموت والروح ايضا يقال زهقت نفسه وخرجت روحه وقد قال ابن عباس
لما تكلم على النوم في قوله تعالى يتوفى الانفس حين موتها قال في الجسد نفس وروح بينهما
مثل شعاع الشمس فاذا خرجت النفس بالنوم فان اراد الله تعالى وفاة العبد امسك النفس
فتبعها الروح قاله مجاهد وقاله ابن عباس الا انه جعل النفس العقل وهو الذي يزول بالنوم
فقد اطلقت النفس ايضا على ما يفارق الانسان بالموت وقد سمى الله النفس في كتابه باسما
مختلفه فقال ان النفس لاماره بالسوء وقال لا اقسم بالنفس اللوامه وقال يا ايتها النفس المطمينه
ارجعي الى ربك فلما كانت مايله للشهوات ومخله بالطاعات سميت اماره بالسوء فلما عرفت
سوء حالها وما هي عليه من نزول قدرها ومن عليها بالتوبه وبها صارت تلوم نفسها على التقصير
والتفريط وتلافي ما ذهب من ايامها في البطاله والتخليط سميت لوامه ولما استقامت على
الخيرات ولذت لها الطاعات وحسن بينها وبين سيدها المناجاه وجميل الحالات اطمانت
لما اجراه عليها من التوفيق في ساير الحالات سميت مطمينه فقد اختلف اسماؤها

باختلاف

باختلاف احوالها مال ويحتمل ان تكون النفس لطيفه هي محل الاخلاق المذمومه والروح لطيفه
هي محل الاخلاق المحموده وكون النفس والروح في الجسد لا يبعد اذا كانا اجساما لطيفه
فانه لا يتبعض ويرمع الاجزا قال وكما ان العين محل المبصرات والانف محل ادراك الروايح
واللسان محل ادراك الذوق وكذلك النفس والروح والذايق والشام والبصير والمتصف
بالاخلاق المحموده والمذمومه يسمى جملة الانسان فيوصف بكونه ذايقا شاما بصيرا
متخلقا باخلاق محموده ومذمومه هذا باعتبار اطلاق الاسم خاصه والا فالتحقيق ان المعنى
اذا قام بجزء استحال ان يوجب حكمه لغير من قام به وانما مراد الامام الجمله تسمى به قال
الامام رضي الله عنه ومن ذلك الروح الارواح يختلف فيها عند اهل التحقيق من اهل السنه
فمنهم من يقول انها الحياه فقط ومنهم من يقول انها اعيان مودعه في هذه القوالب لطيفه
اجرى الله سبحانه العاده بخلق الحياه في القالب ما دامت الارواح في الابدان فالانسان
حي بالحياه ولكن الارواح مودعه في القوالب ولها ترقي في حال النوم ومفارقه للبدن ثم
رجوع اليها وان الانسان هو الروح والجسد لان الله سبحانه سخر هذه الجمله بعضها لبعض
والحشر يكون للجمله والمثاب والمعاقب الجمله والارواح مخلوقه ومن قال بقدمها فهو مخطي
خطا عظيما والاخبار تدل على انها اعيان لطيفه قال الشارح رضي الله عنه الروح هو الذي
بها رق الانسان بالموت ويقبضه الملك ويكون عليين للسعدا او في سجين للاشقيا
وفي حواصل طير خضر للشهدا او كما جانبه الاحيا او قوله الارواح جنود مجنده فما
تعارف منها ايتلف وما تناكر منها اختلف فهذا كله يدل على انها اجرام واجزا ومن قال
انها الحياه عرض ويستحيل حملها وانتقالها الا ان يقول بقيام هذا المعنى بجزء فينتقل الجزء
والمعنى معه وهذا فيه اشكال فان المعنى لا يبقى زمنين على الصحيح واذا فارق الروح الجسد
وكان معنى فهو يتوالى على الجزء الذي قام به وان لم يكن في الجسد فلزم من ذلك ان تكون الحياه
لا للجسد وانما تكون للجزء الذي توالت عليه والظاهر هو الاول وقد سلك الامام الغزالي
مسلكا اخر وجعل النفس والروح والعقل شيا واحدا وهو المعنى الذي يفارق الانسان بالموت
وهي الحقيقه الربانيه كما قال تعالى ويسالونك عن الروح قل الروح من امر ربي فقال لفظ النفس
يطلق على الدم وعلى الحقيقه الربانيه ولفظ العلم يطلق على العلم وعلى الحقيقه الربانيه
ولفظ القلب يطلق على اللحم الصنوبري الشكل وعلى الحقيقه الربانيه ولفظ الروح يطلق
على البخار الذي في جوف هذا الشكل وعلى الحقيقه الربانيه فجعل الحقيقه الربانيه تسمى نفسا
وروحا وقلبا وعقلا وعلى الجمله فمقصود اهل هذه الطايفه بلفظ الروح معنى له تعلق
بالمشاهدات والاطلاع على المغيبات وحصول الانس والقرب من الله سبحانه فاذا كان العبد
بهذه الحاله جعلوا هذا الروح كما تقدم من ان النفس هي الشهوات المذمومه هذا كله

الارد

ونال

Copyright King Saud University

اختلاف واسما لا يتعلق به مقصود كبير واحسن ما اريد له الكلام وصرح به الامام ان الروح
مخلوقة ردا على من زعم انها قديمة من القايلين بالحلول وقد قال الحاسبي رضي الله عنه
لما تكلم على الروح وكفى بالبدن جدا واذا كان البدن بجملته مخلوقا حادثا فهو منه فهي مخلوقة
سوا اكانت جوهرا او عرضا قال الامام رضي الله عنه ومن ذلك السر يحتمل انه لطيفة
مودعة في القالب كالارواح واصولهم تقتضي ان الارواح محل المشاهدة كما ان الارواح محل
للمحبة والقلوب محل للمعارف وقالوا السر ما لك فيه اشراف وسر السر ما لا اطلاع عليه
لغير الحق سبحانه وعند القوم على موجب مواضعاتهم ومقتضى اصولهم السر الطف من الروح
والروح اشرف من القلب ويقولون الاسرار معتقة عن رق الاغيار من الاثار والاطلال
ويطلق لفظ السر على ما يكون مصونا مكتوما بين العبد والحق سبحانه في الاحوال وعليه يحمل
قول من قال اسرارنا بكر لم يفتضها وهم واهم ويقولون صدور الاحرار قبور الاسرار
وقالوا لو عرف زري سري لطرحته فهذا طرف من تفسير اطلاقاتهم وبيان عباراتهم
فيما انفردوا به من الفاظ ذكرناها على شرط الايجاز ولنذكر الان ابوابا من شرح المقامات
التي هي مدارج الارباب السلوك ثم بعدها ابوابا في تفصيل الاحوال على الحد الذي يسهل الله تعالى
بفضله ان شا الله قال الشارح رضي الله عنه وما ذكر الامام في السر فان السر يطلق على وجهين
اما باعتبار ما اطلق على الروح وهو انه لطيفة مودعة يكون اشرف من الروح كما ان الروح
اشرف من القلب فرقوا بين ذلك بالاثار فاثر القلب تحصيل العلم واثر الروح المحبة واثر السر
المشاهدة كما ان العلم اول المحبوب فلا يحب الا ما علم حقيقته وجماله فالمحبة ثمرة العلم
بالمحبوب واذا احب الشي تعلقت الهمة به ودام النظر الى مشاهدته فكانت المشاهدة
فوق المحبة وهو اثر السر والوجه الثاني في الاصطلاح ان السر ما كان خفيا بين العبد وبين
ربه فهو خفي عن الادميين وعن الملايكة وعن صاحب السر القايم به ولذلك قالوا السر ما لك
عليه اشراف وسر السر ما لا يطلع عليه الا الله وذلك ان العبد قد يشتغل بحال ما يطلع
الحق عليه ويستر له حتى يغفل عن السر واما السر عن الملايكة فانه جا في الخبر انهم يصعدون
بعمل له ابتهاج وشرف فيقال لهم ردوه فانه لم يرد بي به فهذا غاب عن الملايكة
الحفظة الذين لهم اطلاع على القلوب كما قال تعالى كراما كاتبين يعلمون ما تفعلون وهذا
عام في اعمال القلوب والجوارح وقالوا من لم يكن بينه وبين سر فهو مصر هذا بدليل ان
الاسرار انما يختص بها من طهر قلبه من كل نقيصة وبراه من كل شغل والله الموفق قال
الامام رضي الله عنه باب التوبة قال الله سبحانه وتوبوا الى الله جميعا ايها المؤمنون
لعلكم تفلحون حدثنا محمد بن الحسن بن فورك رحمه الله قال اخبرنا احمد بن محمود بن خرزاذ
حدثنا محمد بن الفضل بن جابر قال حدثنا سعيد بن عبد الله قال حدثنا احمد بن زكريا

قال حدثنا ابي قال سمعت انس بن مالك يقول سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم
يقول التايب من الذنب كمن لا ذنب له واذا احب الله تعالى عبدا لم يضره ذنب ثم تلا
ان الله يحب التوابين ويحب المتطهرين قيل يا رسول الله وما علامة التوبة قال الندامة
ابا علي بن احمد بن عبدان الاهوازي قال انا ابو الحسن احمد بن عبيد البصري الصفار قال
حدثنا محمد بن الفضل بن جابر قال ثنا الحكم بن موسى قال ثنا غسان بن عبيد عن ابي عاتكة
طريف ابن سليمان عن انس بن مالك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ما من شي احب الى
الله تعالى من شاب تايب قال الشارح رضي الله عنه التوبة في اللغة الرجوع مطلقا من شي
الى شي وفي الشريعة التوبة الواجبة الرجوع عن الذنب قال الجوهري في الصحاح ولا
بد في الشرع ان يكون رجوعه الى الله تعالى وذلك بشرط كونه تايبا عنه بعد الوقوع فيه
بخلاف السلامة من شر الذنب فان العبد كيف ما انتقل عنه بقصد الطاعة او بغير قصد
الطاعة من الاشتغال يسلم من شره ولكن لا يثاب الا اذا تركه بقصد الطاعة ومن رجع
الى الله تعالى عن ذنبه لمعرفته بسو عاقبته وقبح ما كان عليه من حالته فيما سلف
من اوقاته قام بقلبه الم وندم على ما كان فيه وعزم على ان لا يعود الى ما تاب عنه
وهذه اركان التوبة النصوح التي تخلصه مما بينه وبين الله تعالى مما خالفه فيه من ترك
الواجبات وارتكاب المحرمات واذا قام بهذه الاركان تايبا كفيفا مما ذكرناه فان كان عليه
حقوق اخر مما يجب تداركه من تضييع في صوم او صلاة او كفارات ايمان وحقوق
المسلمين مما يجب استحلالهم فيه او رده اليهم ان امكن ولو تبعات كان ما يورث
فهذه امور اخر تلازم التايبين يحتاجون الى الخلاص منها وهي واجبات اخر يجب عليهم
القيام بها بعد ان تابوا الى الله تعالى مما خالفوه فيها فان كل حق امر الله تعالى بقضايه او اداه
الى اهله اذا لم يفعله العبد به كان عاصيا لربه ولكنه اذا تاب الى الله تعالى من العود في مثله واجتهد
في قضا ما لزمه ولم يقصر تخلص من حق الله تعالى ولا يسقط حق الخلق الا بالادا اليهم
واستحلالهم فهذه هي حقيقة التوبة الواجبة وهي الرجوع عما فرط العبد فيه من
الواجبات اوارتكبه من المحرمات والتوبة ايضا تكون مندوبا اليها وهي الرجوع الى
الطاعات اما من البطالات والراحات او من ادني المندوبات الى رفعها في الدرجات
قال اهل التفسير في قوله تعالى نعم العبد انه اواب اي رجاع الى طاعة الله تعالى ولم يذكر
ذنبا فالتوبة والانابة والاوبة كل ذلك الرجوع الى الله تعالى مما كان عن شي مما قد ما ذكر من
فهي الواجبة وان كان رجوعا الى طاعة وان تعالت في الدرجات حتى الرجوع الى الله عن الغفلات
والى رويه فضل الله تعالى على العبد عن رويه الاعمال الصالحات كل ذلك داخل في قوله تعالى وتوبوا
الى الله جميعا ايها المومنون لعلكم تفلحون فامر المومنين في طلب التوبة وقال تعالى لعلكم تفلحون

Copyright © King Saud University

والفلاح هو الفوز بالمقصود دار الغنيمة هذا هو الكلام في حقيقة التوبة ودليلها والاختلاف في وجوب
التوبة عن المعاصي وان ورد ان بعضها يكفر باجتناب الكبائر ويكفرها الطاعات فكلها معاص
لله تعالى قال ابو بكر الصديق رضي الله عنه ان الله سبحانه يغفر الكبير فلا تقنطوا ويعذب على
الصغير فلا تغتروا وقيل لا كبيرة مع الاستغفار ولا صغيرة مع اصرار وقد ادعى قوم ان
التوبة هي الرجوع عن فعل مثل ما فعله العبد فيما مضى من الزمان في المنزلة لا في الصورة ومعوله
في المنزلة لا يخلو اما ان يريد في درجة الذنب في الكبر والصغر فهذا فيه بحث واما ان يريد
الرجوع عن الذنب مطلقا وهذا مباين لحد التوبة الذي هو الرجوع عن الذنب الماضي ولا اشتغال
بما يمحوه من الندم ولهذا كان الندم توبة يعني من معظم اركان التوبة فان التوبة الرجوع عن
الذنب في الحال يعني مفارقته والندم عليه والعزم على ان لا يعود ومفارقته خلاص من ضرره
في الحال والندم عليه يمحو ما فرط منه في سالف الزمان والعزم على ان لا يعود اليه حفظه
في الاستقبال وما صار اليه هذا القائل اقرب الى التقوى منه الى التوبة فان التقوى هي اتقاء
الزلل في الاستقبال ومما صار اليه هذا القائل اقرب الى التقوى وان لم يلابس العبد شيئا منه
واذا حمل قوله في المنزلة لا في الصورة على مطلقا لانه لم يكن العبد تائبا عنه حتى يتقي سائر الذنوب
ومتى وقع في شيء منها لم يكن العبد تائبا وهذا قد ذهب اليه قوم وتوقى ذلك فقالوا لو كان
توبة من الله صحيحا لم يخالفه في شيء من الواجبات ولا ارتكاب المحرمات وهذا فرع باب
العصمة بل الصحيح ان العبد يتوب من بعض ذنوبه دون بعض فما تاب منه سلم من ضرره
دنيا واخرى وما لم يتب منه فهو مصر عليه وكذلك لو عاد فيما تاب منه ونكر ذلك منه
وتاب في كل كرة لم يكن عوده مفسد التوبة الاولى لان كل ذنب يمحوه توبته فان عاد
ووقع في ذنب جديد وان تاب منه تاب الله عليه وهذا كله يجري في التوبة الواجبة
والمندوبة واما اداء المظالم والحقوق التي يجب تداركها ففيها تفصيل فقهي يأتي في غير هذا
الموضع ان شاء الله تعالى **قال** الامام رضي الله عنه التوبة اول منزل من منازل السالكين واول مقام
من مقامات الطالبين وحقيقة التوبة في لغة العرب الرجوع يقال تاب اي رجع فالتوبة
الرجوع عما كان مذموما في الشرع الى ما هو محمود في الشرع وقال النبي صلى الله عليه وسلم
الندم توبة فان ارباب الاصول من اهل السنة قالوا الابتم شرط التوبة حتى يصح ثلاثة اشياء
الندم على ما عمل من المخالفات وترك الزلة في الحال والعزم على ان لا يعود الى مثل ما عمل من المعاصي
فهذه الاركان لا بد منها حتى يصح توبته قالوا ما في الخبر ان الندم توبة انما نص عليه
السلام على معظمه كما قال الحج عرفة اي الوقوف بها لا انه لا ركن في الحج
سوى الوقوف بعرفات ولكن معظم اركانه الوقوف وكذلك قوله الندم توبة اي معظم اركانها
الندم ومن اهل التحقيق من قال يكفي الندم في تحقيق ذلك لان الندم يستتبع الركنين الاخرين

صغيرة ن

فانه

Copyright King Saud University

محمد ... ن

فانه يستحيل ان يكون نادما على ما هو مصر على مثله او عازم على الاتيان بمثله هذا
معنى التوبة على جهة التحديد والاجمال **قال** الشارح رضي الله عنه قوله التوبة اول منزل
من منازل السالكين يعني التوبة الواجبة عن المحرمات والا فقد بينا ان التوبة في كل مقام تجري
وان لم يكن ذنب اذا كان معناها الرجوع الى الله تعالى فكل راجع الى افضل من فاصل فهو تائب
لذلك سائر المقامات فيها الواجب والمندوب وان تعالى في الدرجات واما قوله من اهل التحقيق
من زعم ان الندم يكفي لانه يستتبع الركنين الاخرين فليس بصحيح فان الذي يستتبع الركنين
هو العلم بقبح الذنب وسوء حال العبد في ملابسته ما يمقته ربه عليه واذا علم ذلك وقوي خوفه
من عقاب ربه دنيا واخرى فارقه في الحال واذا رآه في الحال قبيحا عند ربه ندم على ما فات
منه في ماضي الزمان وعزم على ان لا يعود الى مثله في الاستقبال والذي يستتبع الركنين
هو المفارقة في الحال لقبح ما هو عليه عند الكبير المتعال وقوله الندم توبة اي معظم اركان
التوبة صحيح لان المفارقة انما تخلصه من الذنب الذي هو عليه في الحال والعزم على ان لا يعود
يحفظه عن ضرر ما يفعله بعد والذي يمحو الآثار القديمة والزلات المتقدمة فيما بينه
وبين ربه هو الندم وبهذا الاعتبار كان معظم اركانها اي منفعة ويمحو المتقدم من الزلات
وبهذا الاعتبار كان الحج عرفة وان كانت اركانه اربعة وهي الاحرام والوقوف والسعي والطواف
وانما كان الوقوف بعرفة اعظم اركانه لما يمحو الله تعالى من الزلات ويضاعف فيه من الحسنات
ويضمن التبعات فلهذا كان معظم اركان الحج **قال** الامام رضي الله عنه فاما على جهة الشرح والابانة
فان للتوبة اسبابا وترتيبا واقساما فاول ذلك انتباه القلب عن رقدة الغفلة ورؤية العبد
ما هو عليه من سوء الحالة ويصل الى هذه الجملة بالتوفيق للاصغاء الى ما يخطر بباله من زواجر الحق
سبحانه بسمع قلبه فان في الخبر واعظ الله في قلب كل امرئ مسلم وفي الخبر ان في بدن المرء مضغة اذا
صلحت صلح جميع البدن واذا فسدت فسد جميع البدن الا وهي القلب فاذا انكر بقلبه في سوء ما يصنعه
وابصر ما هو عليه من قبيح الافعال سنح في قلبه ارادة التوبة والاقلاع عن قبيح المعاملة فيمده الحق
سبحانه بتصحيح العزيمة والاخذ في جميل الرجعى والتاهب لاسباب التوبة فاول ذلك هجران اخدان
السوء فانهم هم الذين يحملونه على رد هذا القصد ويشوشون عليه صحة هذا العزم ولا يتم ذلك
الا بالمواظبة على المشاهد التي تزيد رغبته في التوبة وتوفر دواعيه على اتمام ما عزم عليه مما
يقوي خوفه ورجاءه فعند ذلك تنحل من قلبه عقدة الاصرار على ما هو عليه من قبيح الفعال
فيقف على تعاطي المحظورات ويكبح لجام نفسه في متابعة الشهوات فيفارق الزلة في الحال
ويبرم العزيمة على ان لا يعود الى فعلها في الاستقبال فان مضى على موجب قصده ونفذ بمقتضى
عزمه فهو الموفق صدقا وان نقض التوبة مرة او مرات وتحمله ارادته على تجديدها فقد يكون
مثل هذا ايضا كثيرا فلا ينبغي قطع الرجاء عن توبة امثالها ولا ذلك فان لكل اجل كتابا
عن اي

سليمان الداراني انه قال اختلفت الى مجلس قاص فاثر كلامه في قلبي فلما قمت لم يبق في قلبي منه
شي فعدت ثانيا فسمعت كلامه فبقي في قلبي كلامه في الطريق ثم زال عن قلبي فعدت ثالثا فبقي
اثر كلامه في قلبي حتى رجعت الى منزلي وكسرت الات المخالفات ولزمت الطريق ويحكى هذه
الحكاية ليحيى بن معاذ فقال عصفور اصطاد كركيا اراد بالعصفور ذلك القاص وبالكركي
ابا سليمان الداراني ويحكى عن ابي حفص الحداد رحمه الله انه قال تركت العمل ثم عاودته فعدت
اليه ثم تركني العمل فلم اعد بعده اليه **قال** الشارح رضي الله عنه ما ذكره الشيخ في هذا الفصل
اشارة الى اسباب التوبة والدوام عليها والسلامة من العود الى نقضها وذلك ان اول التوبة
هو الهام الله تعالى العبد وتنبيهه له حتى يتفكر في حاله ويعرف نقصه من كثرة العصيان
المعاصي لا سيما دنها في الدين لا تخفى على احد من الناس كترك الصلوات المفروضات وصوم شهر
رمضان وغير ذلك من المعمولات وكذلك قتل النفس والزنى وشرب الخمر وسماع المنكرات
وغير ذلك من المحرمات فاذا كان العبد ملابسا لشي مما ذكرناه واراد الله به خيرا اخطر بباله
التفكر فيما هو فيه ووعظه في قلبه لئلا يترك اصلاح شانه وتلافيه كما قال النبي صلى الله عليه وسلم
واعظ الله في قلب كل مسلم فاذا انتبه قلبه تفكر فيما ذكرناه من الجهات وقبح حاله ومخالفته
لخالق الارض والسموات حتى قلبه من موت الغفلة وعزم على التوبة مما هو فيه والرجوع
الى من اليه الحاجات وهذا هو المعبر عنه بصلاح القلب كما قال صلى الله عليه وسلم ان في
البدن بضعة اذا صلحت صلح الجسد واذا فسدت فسد سائر الجسد وصلاح هذه البضعة سابر م
وهي القلب بما يخلق الله تعالى فيه من التنبيهات والعزم على الخيرات والندم على ما مضى
من سيئ الحالات فاذا انصلح القلب بهذا الامكان سعت الجوارح في جهات البر والطاعات
وتعدت عن اسباب المحرمات وهي خلطة اخوان السوء من ذوي الحاجات والداعين له الى الرجوع
الى ما كان فيه من البليات فعلى العبد الفرار منهم اشد من فراره من الاسد والحيات الضاريات
فان ضرر الاسد والحيات يختص بهذه الدار وضرر قرناء السوء في الدنيا والاخرة ونعوذ
بالله من النار فاذا من الله عليه بالبعد منهم فعليه بخلطة الصالحين ان وجدهم او سماع
اقوالهم وجميل احوالهم المرسومة في الكتب عنهم فان ذلك يثمر له المحبة في احوالهم وينشط
قلبه وبدنه في الاشتغال باعمالهم فاذا من الله عليه بذلك فاياه ان يقنع بحالته التي هو عليها
ويبني على انه تائب من سائر ذنوبه فيكون مغرورا فان مثله في جهالته وكثافة الحسنة لصعوبة وتوالي
غفلته يقع في امور كثيرة لا يعرف كونها من المحرمات ولا سيما الغيبة والنميمة والحسد والغش
في المعاملات وكذلك شروط صحة الصلوات من كمال الطهارة والنيات وكذلك الصوم وما يفسد
من سائر المفسدات فليتفكر وليتجسس لما كان فيه فما وجد نفسه سالمة مما ذكرناه فليسر
الله وان وجد نفسه مخلة بواجب او مرتكبة لمحرم فليكرر التوبة بما ذكرته وعلم انه محرم عليه

فاذا الاستقام على ما ذكرناه فسرعه فهو التائب المحال فيما هو فيه فان زل زلة لا تمنعه زلته
من التوبة كمرة اخرى ولا ييئس من روح ولا يقنط من فضل الله فيقع في كرم اخر رايد على ما هو
عليه وليعد الى التوبة بغير تجهيز فربما كان ذنبه المتقدم اذا تاب منه ثم عاد فيه سبب سعادته
كما جاء في الخبر الصحيح ان العبد ليذنب ذنبا فيدخله ذنبه الجنة قيل كيف يدخله ذنبه الجنة يا رسول
الله قال لا يزال نصب عينيه تائبا منه هاربا وذلك لعظم ما وقع فيه من الزلل بعد توبته وعونه
ذلك على قلبه فيجد في الاعمال ولا يراها كافية ولا تغيبه عنه فيما وقع فيه من الخذلان ولذلك
قال بعضهم زلة واحدة بعد التوبة اعظم من سبعين زلة قبلها فيحمله ذلك على الجد في الاعمال
وكلما زل عاد ذلك لكل اجل كتاب ومنه حكاية ابي سليمان الداراني انه حضر مجلس قاص اي
مذكر للناس فسمع كلامه فاستحسنه فلما خرج من مجلسه سلخ الشيطان ذلك من قلبه
فنسيه ثم عاد الى المجلس مرة اخرى فانتفع بكلامه ثم نقض حاله ثم عاد مرة اخرى فتقيد
في حاله واستقام وكان منه ما كان ابو سليمان الداراني ولذلك قال من سمع هذه الحكاية عصفور
اصطاد كركيا اراد ان الحالة التي وصل اليها ابو سليمان الداراني من درجات الولايات
افضل من تدكير ذلك القاص ومن ذلك قول ابي حفص الحداد تركت العمل كذا كذا مرة ثم عدت
حتى تركني فلم اعد يعني انه كان يترك العمل والكسب في الدنيا ليتفرغ للعبادة ثم تغلبه
محبته وعادته الى العود ثم يعزم على الترك لشدة محبته في الخير فيغلب فيعود الى التسبب والكسب
حتى قوي حاله فتركه العمل اي تفرغت نفسه عنه ورغب فيما هو افضل منه وربما كان سبب تركه
العمل له ما حكي انه كان يعمل الحديد في دكانه فغلب عليه حال فادخل يده في الكير واخرج الحديد
بيده وجعل يطرقها وهو لا يشعر فلما كلمه تلميذه في ذلك رجع الى حاله وهرب من الشهرة وعلم ان
المراد منه ترك ما هو فيه والله الموفق **قال** الامام رضي الله عنه وقيل ان ابا عمرو بن نجيد
في ابتداء امره اختلف الى مجلس ابي عثمان فاثر في قلبه كلامه فتاب ثم انه وقعت له
فترة فكان يهرب من ابي عثمان اذا راه ويتاخر عن مجلسه فاستقبله ابو عثمان يوما فحاد ابو
عمرو عن الطريق وسلك طريقا اخرى فتبعه ابو عثمان فما زال به يقفو اثره حتى لحقه
ثم قال له يا بني لا تصحب من لا يحبك الا معصوما انما ينفعك ابو عثمان في مثل هذه الحالة
قال فتاب ابو عمرو بن نجيد وعاد الى الارادة ونفذ **قال** الشارح رضي الله عنه
وهذا ابدا لعل ان المشايخ يحمل من التلامذة بعض ما يبدو منهم من الزلل لضعف عقولهم
وقلة انسهم باسباب الدين وذلك ان هذا التائب تكرر الشيخ مدة حتى ظهر تعليه
امارات الصلاح ورجا الشيخ منه الكمال والفلاح ثم طرات له غفلة وعودة الى ما كان فيه
وانقطع عن الشيخ فلقيه الشيخ في بعض الايام في بعض الطرق فهرب التائب من الشيخ حائرا
من رؤيته له بعد زلته ومفارقته فتبعه الشيخ وجد في سيره حتى ادركه وقال له يا بني لا تصحب

Copyright © King Saud University

من لا احد الا معصوما ومعنى هذا الا العصمة انما تكون للانبيا ولا بد من الزلل لغيرهم فمتى كان احد
لا تصحبه الا اذا كنت معصوما فلا تصحبه فان حال صحبتكما الى الانقطاع لعدم الوفا
بما يريد سكن الشيخ بهذا الكلام قلب التلميذ وانما ينفعل ابو عثمان في مثل هذا الحال
يعني بنفسه وذلك ان فايدة المشايخ ان يحتمل التلامذة ويعيبونهم والا لو استغنى بعضهم
عن بعض لكانوا سواء في القوة والصلاح **قال** الامام رضي الله عنه سمعت الشيخ ابا علي الدقاق
رحمه الله يقول تاب بعض المريدين ثم وقعت له فترة فكان يفكر وقتا لو عاد الى التوبة
كيف حكمه فهتف به هاتف يا فلان اطعتنا فشكرنا لك ثم تركتنا فامهلناك فان عدت
الينا قبلناك فعاد الفتى الى الارادة ونفسه **قال** الشارح رضي الله عنه وهذا دليل على
تنبيه الله تعالى لمن قلبه وتعريفه له ان باب التوبة مفتوح بعد الزلل وان العبد
اذا كان في حال زلل لم يعاجل بالانتقام فكيف لا يرحم اذا اتى تائبا معتذرا عما سلف منه
من الاقامة ويحتمل ان يكون سمعه باذن راسه من كلام ملك او ولي او جني اجرى الله تعالى
على لسانه هذا الكلام لينتفع به هذا التائب ويكون من باب الكرامات وخرق العادات
قال الامام رضي الله عنه فاذا ترك المعاصي وحل في قلبه عقد ترك الاصرار وعزم على ان لا
يعود الى مثله فعند ذلك يخلص الى قلبه صادق الندم فيتاسف على ما عمله ويأخذ في التحسر
على ما ضيعه من احواله وارتكبه من قبيح اعماله فتتم توبته ويصدق مجاهدته واستبدل
بمخالطة العزلة والخلوة وبصحبته مع اخدانه السوء التوحش عنهم بالخلوة ويصل ليله بنهاره
في التلهف ويعتنق في عموم احواله صدق التاسف ويمحو بصوب عبرته اثار عثرته
وما سوى بحسن توبته كلوم حوبته يعرف بين امثاله بذبوله ويستدل على صحة حاله
بنحوله ولم يتم له شي من هذا الا بعد فراغه من ارضا خصومه والخروج عما لزمه من مظالمه
فان اول منزلة في التوبة ارضا الخصوم بما امكنه فان اتسع ذات يده لايصال حقوقهم
اليهم او سمحت نفوسهم باحلاله والبراءة عنه والا فالعزم بقلبه على ان يخرج من حقوقهم
عند الامكان والرجوع الى الله سبحانه بصدق الابتهال والدعا لهم **قال** الشارح
رضي الله عنه زاد الامام في هذا الفصل احوال التائبين وان من جملة توبتهم رد المظالم
وقضي الصلوات والكفارات وقد بينا فيما تقدم ان مفارقته للذنب وندمه
عليه وعزمه على ان لا يعود هو حقيقة التوبة واركانها واما قضا ما عليه من حقوق ربه
فهو امر اخر يحتاج الى القيام به فان كان متمكنا في وقته من القيام فلا يجوز له تركه وليبادر
الى القيام به وان كان يسيرا في قضا صلاة يوم وليلة فيقدمه على الصلاة الحاضرة
وان ضاق وقتها على خلاف فيه بين العلما ومذهب مالك تقديم الفوائت على الحاضرة وان خرج وقتها واما اذا كانت المنسيات كثيرة قضيا منها قضا وها

بعد ان

واجب عليه على حسب امكانه ولا يؤخرها الا لعذر وكذلك الصوم الذي فرط فيه فيأتي
بما عليه بحسب امكانه وقدرته وعلى هذا التقدير صار من جملة ما يقوم به لله تعالى وهو
من جملة توبته الا ان الاول رجوع عن ارتكاب محرمات وهذا رجوع عن ترك واجبات
فلا بد له ان كان ترك ذلك سهوا وتعمدا من تحصيله من الندم على ما مضى منه وعزم على ان لا
يعود الى مثله واما حقوق العباد فهي منقسمة الى مال وغير مال فاما المال فلا تكفيه فيه
التوبة الى الله تعالى في خليقته خاصة بل لا بد من استحلال ربه في حق بعد عليه ومنعه
من الانتفاع به وان اداه به ورده عليه فان لم يجد ربه ووجد ورثته دفع اليهم المال
خاصة ان لم يفوته عليهم ايضا ولا يلزمه استحلالهم فان ذلك لا حق لمورثهم لا لهم وعليه الاستغفار
لمورثه والدعا له وتكثير الحسنات للمقاصة واما ان كان الحق في العرض فلا بد ان يستحل صاحبه
وهل ذلك مجمله او مجملا وتفصيله هل يقبله استحلالهم فيما ناله من عرضهم مجملا فيه نظر والعلما
ولا يخلو اما ناله من عرضهم اما ان ترجع منه معرة الى الوارث ام لا كالقذف فالحق لورثته
فيتعين استحلاله ويجب عليه ذلك وان لم يكن من هذا القبيل من شتمه وغيبته والكذب
عليه وما يجري مجراه فما فيه الاستحلال ولا يصل الحق فيه الى ورثته فيرجع الى ما تقدم
من الدعا له وتكثير الحسنات للمقاصة في الاخرة فان الخبر الصحيح ان العبد يوقف يوم القيامة
للمقاصة فيأخذ ما له من حسنات ويدفع لارباب المظالم والحقوق فان فنيت حسناته
اخذ من سياتهم ووضعت عليه والقي في النار فربما وجد العبد في اثامه اثم الزنى وشرب
الخمر وكبائر الذنوب ولم يكن هو عملها ولكن نقلت اليه من غيره حتى كانه باشر ذلك ولم
يوجد له حسنات تحمل عليه من بيانه فعلى العبد ان يجتهد في الخلاص في الدنيا من حقوق
الخالق والخلق قبل يوم القصاص يوم يفر المرء من اخيه وامه وابيه خوفا من المطالبة
بالحقوق وقيل خوفا من رؤيته الافتضاح **قال** الامام رضي الله عنه وللتائبين صفات
واحوال هي من خصالهم تعد ذلك من جملة التوبة لكونها من صفاتهم لا لانها من شرط صحتها
والى ذلك تشير اقاويل الشيوخ في معنى التوبة سمعت الاستاذ ابا علي الدقاق رحمه الله
يقول التوبة على ثلاثة اقسام اولها التوبة واوسطها الانابة واخرها الاوبة فجعل التوبة
بداية والاوبة نهاية والانابة واسطها فكل من تاب لخوف العقوبة فهو صاحب توبة
ومن تاب طمعا في الثواب فهو صاحب انابة ومن تاب مراعاة للامر لا لرغبة في الثواب
او رهبة من العقاب فهو صاحب اوبة ويقال ايضا التوبة صفة المؤمنين قال الله سبحانه
وتوبوا الى الله جميعا ايه المؤمنون لعلكم تفلحون والانابة صفة الاولياء والمقربين قال
الله سبحانه وجا بقلب منيب والاوبة صفة الانبياء والمرسلين قال الله سبحانه نعم العبد
انه اواب **قال** الشارح رضي الله عنه ما ذكره في التوبة والانابة حسن الا انه جاري

حقيقة التوبة ومعقولها في كل قسم سوا كانت توبة واجبة او مندوبة او فاضلة في الفعل
وذلك ان كل تايب لا بد ان يفارق ما هو عليه مما تاب عنه ويقوم بقلبه الم على ما تقدم من
نقصه او ثاته او نزول درجته ويعزم على ان لا يعود الى مثل تفريطه في واجبه او مندوبه
او غفلته فدل ذلك على ان شروط التوبة موجودة في كل قسم من الاقسام التي ذكرها الا ان
اركان التوبة الواجبة واجبة واركان التوبة المندوبة مندوب اليها وكذلك التوبة
الكامل في الفضل بقوله التوبة من صفات المومنين يعني التوبة الواجبة واستدل بقوله
تعالى وتوبوا الى الله جميعا ايه المومنون والتوبة الانابة للاوليا والصالحين مستدلا
بقوله تعالى وجا بقلب منيب وبعضه قوله تعالى منيبين اليه واتقوه واقيموا الصلوه
ولا تكونوا من المشركين والاوبة صفة الانبيا والمرسلين قال الله تعالى نعم العبد انه اواب
ولذلك قال ابو علي الدقاق ومن تاب خوف العقوبة فهو صاحب توبة ومن تاب طمعا
في الانابة فهو صاحب انابة ومن تاب طمعا في القرب لا لخوف ورغبة في انابة فهو
صاحب اوبة وهذا كله قريب قال الامام رضي الله عنه سمعت الشيخ ابا عبد الرحمن السلمي
رحمه الله يقول سمعت منصور بن عبد الله يقول سمعت جعفر بن نصير يقول سمعت الجنيد رحمه
الله يقول التوبة على ثلاثة معان اولها الندم والثاني العزم على ترك المعاوده الى ما نهى الله
تعالى عنه والثالث يسعى في اداء المظالم قال الشارح رضي الله عنه وهذا يدل على ان اداء
من اداء المظالم من اقسام التوبة الواجبة من الاداء والخلاص فمن ارتكب محرما او اخل
بواجب او قصر في فرض وجب عليه اداوه من صوم او صلاة او ظلم مسلما في مال او عرض
فيجب عليه مفارقة ما هو عليه من الاثم فمنه ما يكفي فيه عمل القلب خاصة ومنه ما لا بد فيه
من عمل الجوارح فاذا فارقه الانسان وقام بما عليه وندم على ما تقدم منه وعزم على ان لا يعود
الى مثله من المعاصي فقد صحت توبته ولذلك ادخل الجنيد رحمه الله اداء المظالم في اقسام التوبة
قال الامام رضي الله عنه وقال سهل بن عبد الله التوبة ترك التسويف قال الشارح رضي الله
عنه وهذا من اسباب التوبة والمبادرة اليها ويكون خرج مخرج الوعظ لمن يقرب الاجال
لتوبته ويكتفي بعزمه على ذلك فهو مسوف ايس بتايب ولا ينقض لحد التوبة على حال قال
الامام رضي الله عنه سمعت محمد بن الحسين رحمه الله يقول سمعت ابا بكر الرازي يقول سمعت ابا
عبد الله القرشي يقول سمعت الجنيد يقول سمعت الحارث رحمه الله يقول ما قلت اللهم اني
اسالك التوبة ولكني اقول اسالك شهوة التوبة قال الشارح رضي الله عنه وهذا يحتمل
امرين احدهما ان التوبة منزلة رفيعة لم ير نفسه اهلا لسوالها وانما سال حصول اسبابها
وهو ان يكون الله همته لها والثاني وهو الاحسن سال ما هو الاكمل وهو انه اذا رزق شهوة
التوبة حمله ذلك على ساير المقامات التوبة من التوبة من المكروهات وترك المندوبات

رحمه الله

وترك الاولى من الطاعات ونهوه التوبة من الغفلات وشهوة التوبة من رويه الاعمال
الصالحات كانه طلب الحاصل الغزي وهو شهوة التوبة ان لا يزال متخلقا بها فلا يزال مترقيا
في درجات التوبة وكمال تعلق قلبه بها قال الامام رضي الله عنه انا ابو عبد الله الشيرازي
رحمه الله قال سمعت ابا عبد الله بن مفلح بالاهواز يقول سمعت ابن رزين يقول سمعت الجنيد
يقول دخلت على السري يوما فرايته متغيرا فقلت له ما لك فقال دخل علي شاب فسالني عن
التوبة فقلت له ان لا تنسى ذنبك فعارضني وقال بل التوبة ان تنسى ذنبك فقلت له
ان الامر عندي ما قاله الشاب فقال لم قلت لاني اذا كنت في حال الجفا فنقلني الى حال
الوفا فذكر الجفا في حال الصفا جفاء فسكت قال الشارح رضي الله عنه وهذا صحيح
فان المطلوب من ذكر الذنب الحمل على الاعمال والجد في صلاح الحال في الاستقبال كما قال
صلى الله عليه وسلم ان العبد ليذنب الذنب فيدخله ذنبه الجنة قيل كيف يدخله ذنبه
الجنة يا رسول الله قال لا يزال نصب عينيه تايبا منه هاربا فاذا حصلت للعبد احوال
شريفة واوقات مرتبة في الطاعات ودوام على حسن الاقبال على الله وجميل المناجاة
في عموم الاوقات فاشتغاله بذكر ذنبه في هذا الوقت يفسد عليه ما هو فيه ويعرف
همه الذي عني باصلاح وقته فيه وتلافيه والسري رحمه الله كلم ذلك الشاب بالاولى
في حق التايبين فان ذكر ذنوبهم يهيج خوفهم ويحملهم على اصلاح احوالهم وكان الشاب ممن ارتفعت
درجته عن ذلك فكلم السري من حاله واشار الى علو درجات التوبة وهو حصول الاستقامة
فاذا استقام العبد في حاله نسي ذنبه ولذلك قال له الجنيد الحق ما قال الشاب فان العبد
اذا كان في حال الجفا فنقله الحق سبحانه الى حال الصفا والوفا فتذكره للجفا في حال الصفا جفا
يعني تودي بما هو فيه من صفايه وحسن حاله وكان هذا الشاب اتى الله تعالى به السري
لينبهه على مقام شريف في درجات التوبة ومقاماتها ولذلك اغتم لاشكال الامر عليه
وهذا شانه تعالى ان يودب الكبار بالصغار في السن ليفتقروا اليه في كل حال والرجال
بالنسا كالمراة التي سالت عن السخا في الدين قال الامام رضي الله عنه سمعت ابا حاتم
السجستاني رحمه الله يقول سمعت ابا نصر السراج يقول سايل سهل بن عبد الله عن
التوبة فقال ان لا تنسى ذنبك وسيل الجنيد عن التوبة فقال ان تنسى ذنبك قال
الشارح رضي الله عنه وهذا على حسب حال من سالهم ورفعت درجته وبدايته في توبته
قال الامام رضي الله عنه قال ابو نصر السراج اشار سهل الى احوال المريدين والمتعرضين
تارة لهم وتارة عليهم واما الجنيد فانه اشار الى توبة المحققين لا يذكرون ذنوبهم مما غلب
على قلوبهم من عظمة الله تعالى ودوام ذكره قال وهو مثل ما سيل رويم عن التوبة فقال التوبة
من التوبة قال الشارح رضي الله عنه تقول ابي نصر اشار سهل الى احوال المبتدين بانه

التبريزي

الصوفي

Copyright King Saud University

لهم وقال ان عليهم يعني انهم يتوبون ويستغفرون فاذا داموا على ذكر ذنوبهم وسوء صنيعهم لم يسلم
عند ربهم فاثبت في قلوبهم الخوف المانع لهم من العوده واما الجنيد فاشار الى كمال احوال الناس
وشغلهم بالله تعالى واعراضهم عن غيره بل عن انفسهم واحوالهم لكمال شغلهم بعظمته وجلاله
لا اله غيره والى هذا اشار رويم لما سيل عن التوبه فقال التوبه من التوبه اي يتوب من رويه
توبته تائبا فانه لا يرى كونه تائبا الا اذا كان متعرضا للقلب ناظرا لنفسه وتوبته
فكمال توبته دوام شغله بربه حتى ينسى توبته ويرجع هذا الى ما قاله الجنيد قال
الامام رضي الله عنه وسيل ذو النون المصري عن التوبه فقال توبه العوام من الذنوب
وتوبه الخواص من الغفله وقال ابو الحسين النوري التوبه ان تتوب من كل شي سوى الله
تعالى سمعت محمد بن احمد بن محمد الصوفي يقول سمعت عبد الله بن علي بن محمد التميمي يقول
شتان بين تائب يتوب من الزلات وتائب يتوب من الغفلات وتائب يتوب من رويه
الحسنات قال الشارح رضي الله عنه وكلامهم رضي الله عنهم كله متقارب من ان التوبه منقسمه
الى واجب ومندوب وفاضل وافضل منه وافضل من ذلك ان يتوب مما سوى الله تعالى
اي يرجع عنه ولا يسكن اليه بقلبه توبه كان او غيرها قال الامام رضي الله عنه
وقال الواسطي التوبه النصوح لا تبقي على صاحبها اثرا من المعصيه سرا ولا جهرا ومن كانت
توبته نصوحا لا يبالي كيف امسى واصبح قال الشارح رضي الله عنه وهذا بالنسبه
الى معصيه واحده وهي التي تاب عنها سوا ان كانت معصيه قلب او معصيه جوارح
لانا لا نشترط في صحه التوبه التوبه من ساير المعاصي بل تصح التوبه من بعض الذنوب دون
بعض قال الامام رضي الله عنه سمعت الشيخ ابا عبد الرحمن السلمي رحمه الله يقول سمعت
محمد بن ابراهيم بن الفضل الهاشمي يقول سمعت محمد بن الرومي يقول سمعت يحيى بن معاذ
رحمه الله يقول الهي لا اقول تبت ولا اعود لما اعرف من خلقي ولا اضمن ترك الذنوب لما اعرف
من ضعفي ثم اني اقول لا اعود لعلي اموت قبل ان اعود قال الشارح رضي الله عنه وهذا
ونحوه انما صدر من المحكم على الله بما ثبت منه فيما يستقبله فان قوله الهي لا اقول تبت
ولا اعود هذا الحكم لكونه لا يعود ومن لم يبد له ذلك لما اعرف من خلقي ولا اضمن ترك الذنوب
يعني في الاستقبال اذا عرفت لما اعرف من ضعفي ومع ذلك اقول تبت ولا اعود لعلي
اموت قبل ان اعود وهذا القول الاخير مقرون برجا الحظ والعون من الله سبحانه قال
الامام رضي الله عنه وقال ذو النون الاستغفار من غير اقلاع توبه الكذابين قال الشارح
رضي الله عنه وهذا تاديب لمن علم انه يكتفي بسوال المغفره من الله تعالى وهو مقيم على الذنب
فاراد ان يعرفه ان هذا لا يكفي وان كان فيه اجر لا بد من الاقلاع وان لم يكن كذلك فلا اقلاع
به التوبه قال الامام رضي الله عنه سمعت محمد بن الحسين رحمه الله يقول سمعت النصراباذي

يقول

يقول سمعت ابن يزدانيار يقول وسيل عن العبد اذا خرج الى الله تعالى على اي اصل يخرج فقال على
ان لا يعود الى ما منه خرج ولا يراعي غير من اليه خرج ويحفظ سره عن ملاحظه ما تبرا منه
فقيل له هذا حكم من خرج عن وجود فكيف حكم من خرج عن عدم فقال وجود الحلاوه في المستانف
عوضا عن المراره في السالف قال الشارح رضي الله عنه وهذا انما يكون في حق من ترك الدنيا زهدا
وخرج عنها فلم يرد المعاصي وانما اراد الاشتغال بالدنيا فساله عن حكم من خرج من الدنيا على اي
نيه يخرج فاخبره انه على نيه ان لا يرجع الى ما خرج عنه ابدا ولا يراعي في خروجه غير من خرج
له وهو الله اي لا يلتفت لحمد الناس وذمهم ومن كمال صدقه ان يحفظ سره عن الالتفات الى
ما خرج عنه فيكون قد خرج عنه ظاهرا وباطنا فقيل له هذا حكم من خرج عن وجود يعني عن
مال فما حكم من خرج الى الله تعالى ولم يكن له مال فقال دليل صدقه في خروجه وجود الحلاوه
فيما يستقبل من الزمان بفقره كما كان يجد المراره قبل ذلك لضيقه كما قيل شعر اذا افتقروا
عضوا على الفقر صبرا وان ايسروا عادوا سراعا الى الفقر قال الامام رضي الله عنه
وسيل البوشنجي رحمه الله عن التوبه فقال اذا ذكرت الذنب ثم لا تجد حلاوته عند ذكره
فهو التوبه قال الشارح رضي الله عنه وهذا يدل على كمال صدقه في كراهيته لما لم يرضه الله تعالى
وكمال ندمه على ما كان منه فاذا خطر بباله ما كان فيه من المخالفات وجد الالم بقلبه
على ما كان فيه بدلا لما كان يجده من لذه تعاطيه بل زاد بعضهم وارد ذلك [illegible] موضع
فغشي عليه فيه وسقط الى الارض فلما افاق سيل عن ذلك فقال لهذا الموضع كنت عصيت الله
فيه وهذا انما يحصل بكمال المعرفه بجلال الله تعالى ودوام مراقبته والاستحيا منه فاذا وصل العبد
الى هذه المنزله حزن عليه اثارها قال الامام رضي الله عنه وقال ذو النون حقيقه التوبه
ان تضيق عليك الارض بما رحبت حتى لا يكون لك قرار ثم تضيق عليك نفسك كما اخبر الله تعالى في
كتابه بقوله وضاقت عليهم انفسهم وظنوا ان لا ملجا من الله الا اليه ثم تاب عليهم ليتوبوا
قال الشارح رضي الله عنه قد تكرر في غير موضع انهم يريدون بالحقيقه غلبه الاحوال
كما قال حارثه لما ساله النبي صلى الله عليه وسلم كيف اصبحت قال اصبحت مومنا حقا فقال له
عليه السلام ان لكل حق حقيقه فما حقيقه ايمانك فقال عرفت نفسي عن الدنيا فاستوى
عندي ذهبها ومدرها وكاني انظر الى عرش ربي بارزا والى اهل الجنه في الجنه يتنعمون
والى اهل النار في النار يتعاوون فقال له عليه السلام عرفت فالزم فلما كان الايمان هو
التصديق بما جاءت به الانبيا وصفا لها لدنيا وذكر الجنه والنار وبروز العرش يوم القيمه
والفصل بين الخلايق وكانت حقيقه هذا الايمان غلبته متحليه على القلب حتى شاهده ببصره
وكذلك من عرف عظمه ربه وانه عصاه من ذنوبه ومخالفه امره ولا يدري ايغفر له ذلك ام لا
فلذلك تضيق عليه الارض بما رحبت ولا يبقى له قرار ويتسبب في خلاصه من جرمه يتوسط

Copyright © King Saud University

كل من يعرفه من الاخيار ونضيق نفسه لما صح من اسلافه في الاخبار هذا معنى حقيقة التوبة لما سئل
عنها الحسن بغلبة احوالها على قلب التائب ولم يرد حقيقة التوبة توبتان توبة الانابة وتوبة الاستجابة
فتوبة الانابة ان يتوب العبد خوفا من عقوبته وتوبة الاستجابة ان يتوب حيا من كرمه قال
الشارح رضي الله عنه وهذا قريب فان التوبة والانابة والاوبة هي الرجوع الى الله تعالى الا انه ان كان الحامل
عليها خوف العقاب كانت واجبة وان كان الغالب عليها الحيا دون العقاب او خوف طول الحساب
كانت دون ذلك وكان صاحبها اعلى درجة وان كان الحامل عليها الحيا من رب الارباب كانت مندوبة
وقد تقدم ان الاوبة توبة الانبياء والانابة توبة الاوليا والتوبة لاهل المعاصي واستدل
على ذلك قايله بقوله تعالى وتوبوا الى الله جميعا ايها المؤمنون وفي الدرجة الثانية منيب بين الله
وفي الثالثة نعم العبد انه اواب وهذا كله قريب على حسب الاصطلاح وقد قال النبي صلى الله عليه
وسلم اني لاستغفر الله واتوب اليه في يوم اكثر من سبعين مرة وفي الخبر الصحيح انه كان يسمع من النبي
صلى الله عليه في المجلس الواحد اللهم اني استغفرك واتوب اليك اكثر من سبعين مرة وهذا لا يصح
ان يكون عن الذنوب فانه منزه عن كبيرها اجماعا وعن صغيرها على الصحيح وانما ذكره على وجه
العبادة وقد اطلق لفظ التوبة وقيل انما كان يستغفر ويسال التوبة لامته لكمال اهتمامه
بهم صلى الله عليه وسلم قال الامام رضي الله عنه وقيل لابي حفص لم يبغض التائب الدنيا
قال لانها دار باشر فيها الذنوب فقيل له فهي ايضا دار اكرمه الله سبحانه فيها بالتوبة فقال
انه من الذنب على يقين ومن قبول التوبة على خطر قال الشارح رضي الله عنه وبغض الدنيا
قد يكون لما وجد احدها ما ذكره من اجمالها وما احتوت عليه من المشتهيات فهو الذي
اوقعه في المعاصي والبليات فقد يبغضها لذلك وقد يبغضها لاستنقاص الله تعالى لها وبغضه
اياها وذمها على لسان رسوله بقوله صلى الله عليه وسلم لو كانت الدنيا تعدل عند الله جناح
بعوضة ما سقى كافرا منها شربة واخذه صلى الله عليه وسلم باذن الجدي الاسك الميت
وقوله للصحابة رضي الله عنهم من ياخذ هذا بدرهم فقالوا يا رسول الله لو كان حيا لكان فيه عيب
كونه اسك فكيف وهو ميت فقال صلى الله عليه وسلم والذي نفسي بيده للدنيا اهون على
الله [illegible] من هذا عليكم فمن عرف حقيرة الدنيا ونقصها وقلة وزنها عند الله كرهها واقتدى به
تعالى في الاعراض عنها والوجه الثالث ان خيرها ممزوج بشر وفرحها ممزوج بترح وسرورها
ممزوج بحزن واكثر الناس بلا لها اشد عذابا فيها كالخليفة اذا كان عادلا احتاج الى النظر
في جميع بلاد الاسلام ومن يولي عليهم وحفظ اموالهم وابدانهم ودفع الشرور عنهم ومحاسبة اعمالهم
ولكن يجد اشتغالا حتى لا يتفرغ لنفسه واعماله الخصيصة به واكثر الناس فيها راحة ازهدهم
فيها واقلهم رغبة وقوله لم يبغض التائب الدنيا قال لانه باشر فيها المعاصي فذكر بعض اسباب الكراهة
فقال له انه باشر فيها التوبة يعني تيب عليه فيها فلم لا تحبها فقال لانه من معصيته على يقين ومن قبول

توبته

توبته على خطر فان اراد بالقبول العفو عن الزلات التي تاب عنها توبة صحيحة فهو صحيح وان كان
عمله وان كان عمله شك هل وقع توبته على شروطها الواجبة لها فهو على خطر وان اراد
بالقبول العفو عما مضى والثواب على توبته فهو تابع لصحتها فاذا صحت غفر الله ذنوبه من حيث
الوعد واثابه على توبته وهذا ثابت شرعا قال الامام رضي الله عنه وقال الواسطي طربة
داود عليه السلام وما هو فيه من حلاوة الطاعة اوقعه في انفاس متصاعدة وهو في حالته
الثانية اتم منه في وقت ما ستر عليه امره قال الشارح رضي الله عنه وهذا يدل على ما حكي
ان داود صلوات الله على نبينا وعليه كان رتب لاهله ولنفسه الاوراد الليل والنهار فصار
جميع الليل والنهار معمورا بالطاعة فقال في مناجاته يا رب ما ثم ساعة من ليل او نهار الا وعابد
من ال داود يعبدك اما يصلي واما يصوم واما يذكرك وفي رواية اخرى عن الاحنف يرفعه
الى النبي صلى الله عليه وسلم ان داود عليه السلام قال اي رب ان بني اسرايل يسلونك بابراهيم
واسحق ويعقوب وقال الحارث بن كعب والقبري في هذا الحديث ان الله عز وجل قال اني ابتليتهم
فصبروا قال اي رب فانت ان ابتليتني صبرت قال اما اني ابتليتهم ولم اخبرهم باي شي ابتليتهم
به ولا في اي شهر ولا في اي يوم وانا مخبرك اني مبتليك في شهرك هذا غدا بامراة فاحذر
لنفسك فهذا معنى طرب داود عليه السلام فاورثه ذلك حزنا طويلا وحالته في احزانه اتم من
حالته في عباداته وذلك لكمال الاجتهاد ورويه التقصير منه قال الامام رضي الله عنه وقال
توبة الكذابين على اطراف السنتهم يعني قولهم استغفر الله وسيل ابو حفص عن التوبة فقال ليس للعبد
في التوبة شي لان التوبة اليه لا منه قال الشارح رضي الله عنه لا اختصاص له بالتوبة وكذلك
ساير الطاعات فالله تعالى هو الموفق لها والمعين عليها وانما جرى هذا منه مجرى التاديب
لمن راه يتمسك باعماله ويرى نفسه فيها وينسى منة ربه فاراد ان ينقله الى ان الخير كله
بيد الله فيتضرع له ويساله التوبة حتى يتوب عليه كما قال تعالى ثم تاب عليهم ليتوبوا اي عاد عليهم
برحمته وتوفيقه للتوبة فتابوا قال الامام رضي الله عنه وقيل اوحى الله تعالى الى ادم عليه
السلام يا ادم ورثت ذريتك التعب والنصب وورثتهم التوبة من دعاني منهم بدعوتك
لبيته كتلبيتك يا ادم احشر التائبين من القبور مستبشرين ضاحكين ودعاوهم مستجاب
قال الشارح رضي الله عنه وهذا فيه تحريض على الحمل على التوبة وان الله سبحانه تفضل على ذرية
ادم كما تفضل عليه حين حباه بالتوبة وسالك لها اباها تاب عليه ويعضد ذلك ما في اخر
الكلام من قوله واحشر التائبين مستبشرين ضاحكين لما من عليهم به من فضله واحسانه
قال الامام رضي الله عنه وقال رجل لرابعة اني قد اكثرت من الذنوب والمعاصي فلو تبت هل
يتوب علي فقالت لا بل لو تاب عليك لتبت قال الشارح رضي الله عنه فقولها الا ليس قبل التوبة
اذا صحت من التائبين فان الله تعالى وعد قبول التوبة ممن تاب فقال تعالى وهو الذي يقبل التوبة عن عباده

Copyright King Saud University

ويعفوا عن السيئات ومرادها ان لا تقف مع كسبك وانظر الى عون الله لك في ما بونصرة فانك بهم لك
ما تزيد قال الامام رضي الله عنه واعلم ان الله سبحانه قال ان الله يحب التوابين ويحب المتطهرين
ومن قارف الزله فهو من خطابه على يقين اذا تاب فانه من القبول على شك لا سيما اذا كان من حقه
ان يكون مستحقا لمحبة الحق والى ان يبلغ العاصي محلا يجد في اوصافه امارة محبة الله
تعالى اياه مسافة بعيدة فالواجب اذا على العبد اذا علم انه اذا ارتكب ما تجب عنه التوبة دوام
الانكسار وملازمة التنصل والاستغفار وكما قالوا استشعار الوجل الى الاجل وقال عز وجل
قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله وكان من سنته عليه السلام دوام الاستغفار وقال
صلى الله عليه وسلم انه ليغان على قلبي حتى استغفر الله في اليوم سبعين مرة قال الشارح
رضي الله عنه قوله تعالى ان الله يحب التوابين ويحب المتطهرين يطلق على التوبة من الكفر
ومن كبائر الذنوب وكذلك التوبة المندوبة التي ذكرناها لان المحبة من الله تعالى للعبد هو ان
يفعل به افعال المحبوبين وما خلق الله تعالى له الايمان بدلا من الكفر فقد احبه وكذلك الطاعات
بدلا من المعاصي وكذلك الحفظ بدلا من الغفلات والاشتغال بالبطالات وانما اراد الامام
ان يحرص العبد بعد تحصيل التوبة عن المحرمات على الاشتغال بكمال الطاعات ورفيع الدرجات
لينال المحبة الخاصة للاولياء المقربين كما قال تعالى على لسان نبيه صلى الله عليه وسلم
ما تقرب الي المتقربون بمثل اداء ما افترضت عليهم ولا يزال العبد يتقرب الي بالنوافل حتى احبه
فاذا احببته كنت له سمعا وبصرا ويدا ومؤيدا الحديث فاراد رضي الله عنه رفع همته وتحريضه
على نيل ارفع المقامات من ربه وكذلك قوله تعالى قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله تحريض
على اتباع النبي صلى الله عليه وسلم فيما كان فيه من الزهد في الدنيا وكمال الاشتغال بطاعة الله
ويكون العبد مع كمال اجتهاده مستقلا لاعماله وجلا من عدم صلاحيتها في القربة الى ربه
ويكون ذلك حاله الى حين موته كما قال تعالى يؤتون ما اتوا وقلوبهم وجلة وقالوا لعلهم استشعار
الوجل الى الاجل قال الامام رضي الله عنه سمعت ابا عبد الله الصوفي يقول سمعت الحسين ابن
علي يقول سمعت محمد بن احمد يقول سمعت عبد الله بن سهل يقول سمعت يحيى بن معاذ رحمه الله
يقول زلة واحدة بعد التوبة اقبح من سبعين قبلها قال الشارح رضي الله عنه وهذا انما
هو لان ورود الفعل القبيح من العالم بكمال قبحه عند ربه ومعرفته بجلال الناهي عنه ومن هذا
القبيل كان عذاب العالم اشد عذابا من عذاب الجاهل والان استوت احواله في معرفته
ربه وقدر عمله وعمله فلا يتفاوت الذنب بالنسبة الى ما قبل التوبة وبعدها انما الغالب
هو الحال الاول قال الامام رضي الله عنه سمعت محمد بن الحسين يقول سمعت ابا عبد الله الرازي
يقول سمعت ابا عثمان يقول في قوله عز وجل ان الينا ايابهم قال رجوعهم وان تمادى بهم الجولان في
المخالفات سمعت الشيخ ابا عبد الرحمن السلمي يقول سمعت ابا عمرو الانماطي يقول ركب علي بن عيسى الوزير في موكب

كان

عظيم

عظيم فجعل الغرباء يقولون من هذا من هذا فقالت امراة قائمة على الطريق الى متى تقولون من هذا
من هذا عبد سقط من عين الله فابتلاه الله بما ترون فسمع علي بن موسى فرجع الى منزله واستعفى
من الوزارة وذهب الى مكة وجاور بها قال الشارح رضي الله عنه ففي الحكاية الاولى حض
على التوبة اختيارا وهي الرجوع الى الله تعالى فانهم ان لم يرجعوا اليه اختيارا رجعوا اليه اضطرارا
يوم القيامة وهو معنى قوله ان الينا ايابهم ثم ان علينا حسابهم وفي الحكاية الثانية ان هذا
الشخص لما ركب في موكبه وكثرة جنوده وحسن هيبته تعجب منه المحجوبون في الدنيا المستحسنون
لها فجعل من لا يعرفه من الناس يقول من هذا من هذا تعجبا مما هو فيه من المملكة فقالت المراة
عارفة بالدنيا والاخرة زاهدة فيها كم تقولون من هذا من هذا هذا رجل سقط من عين الله
اي من حفظ الله وكلايته فشغله بالدنيا عن الاخرة والحفظ قد يكون عن المحرمات وقد يكون
عن الشغلات عن الطاعات فلما سمع كلامها هذا الامير انتفع به وصار له موعظة فرجع الى منزله
وتخلى عما هو فيه ومضى الى مكة حرسها الله تعالى وجاور بها فكان كلام هذه المراة سبب
توبته وسعادته قال الامام رضي الله عنه باب المجاهدة قال الله عز وجل والذين
جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا انا علي بن احمد الاهوازي قال انا احمد بن عبيد الصفار
قال ثنا العباس بن الفضل الاسفاطي قال ثنا ابن كاسب قال ثنا ابن عيينة عن علي بن زيد
عن ابي نضرة عن ابي سعيد الخدري قال سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن افضل الجهاد
فقال كلمة عدل عند سلطان جائر ودمعت عينا ابي سعيد سمعت الاستاذ ابا علي الدقاق
رحمه الله يقول من زين ظاهره بالمجاهدة حسن الله سرائره بالمشاهدة قال الله تعالى والذين
جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا واعلم ان من لم يكن في بدايته صاحب مجاهدة لم يجد
من هذه الطريقة شمة سمعت الشيخ ابا عبد الرحمن السلمي رحمه الله يقول سمعت ابا عثمان
المغربي يقول من ظن انه يفتح عليه بشيء من هذه الطريقة او يكشف له عن شيء منها الا بلزوم المجاهدة
فهو في غلط سمعت الاستاذ ابا علي الدقاق رحمه الله يقول من لم تكن له في بدايته قومة لم تكن
له في نهايته جلسة قال الشارح رضي الله عنه المجاهدة اسم جامع لازالة سائر الاخلاق الذميمة
وتحصيل سائر الاخلاق الحميدة سواء كانت من اعمال القلوب او الجوارح او كان ذلك مما يخص الانسان
في نفسه او مما يتعلق بالغير من قريب او بعيد فلا تحصل المجاهدة بما ذكرناه الا بكمال العلم والعقيدة
ومخالفة العادة والصبر على ذلك وقد روى مسلم عن ابن عمر قوله صلى الله عليه وسلم كلكم راع
وكلكم مسؤول عن رعيته فالامام الذي على الناس راع ومسؤول عن رعيته والرجل راع على اهل
بيته وهو مسؤول عنهم والمراة راعية على بيت بعلها وولده وهي مسؤولة عنهم والعبد راع على مال سيده
وهو مسؤول عنه الا فكلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته وهذا عام في جميع ما يحتاج العبد الى رعايته
وما ذكره صلى الله عليه وسلم من الامير والمراة والزوج والعبد تنبيه على الشيء ببعضه وروى البخاري

Copyright © King Saud University

عن ابي هريره عن النبي صلى الله عليه وسلم قال سبعه يظلهم الله في ظله يوم لا ظل الا ظله امام عادل وشاب
نشأ في عباده الله عز وجل ورجل متعلق قلبه في المساجد ورجلان تحابا في الله اجتمعا عليه وتفرقا
عليه ورجل دعته امراه ذات منصب وجمال فقال اني اخاف الله ورجل تصدق بصدقه فاخفاها
حتى لا تعلم شماله ما انفقت يمينه ورجل ذكر الله خاليا ففاضت عيناه ففي الخبر الاول وجود الرعايه
في ساير الاعمال وفي هذا الخبر فضيله فضيله المراعين وتعيين بعضهم فاما الامير فالمجاهده
عليه في القيام فيما هو فيه وما يتعلق به من حق المسلمين لا يخفى ولا يحتاج الى كمال العلم وقوه النفس
في تنفيذ حكمه وان يستوي عنده القريب والبعيد في ذلك والجاه الشريف والفقير الضعيف
ولا يقدر على القيام بذلك الا بكمال المجاهده وقد قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه لو ضاعت
سخله بساحل الفرات لظننت ان الله سايلي عنها واما الشاب الناشي في عباده الله فهو محبوب
مثني عليه لاشتغاله بالخير في وقت حدته وشبيبته وقوه شهوته وتعرضه لنفسه ولذلك
كان حبيب الله ولهذا قال المشايخ من لم يكن له مجاهده في بدايته لم يجد من هذه الطريقه شمه
وذلك انه اذا اجتهد في شبيبته في تحصيل العلوم والاعمال ونيل الدرجات والمقامات وجد بركه
ذلك حين عجزه وكبر سنه عن الاعمال ويكون قلبه قد حصل فيه من بركة الاجتهاد ما يمتنع به من
الغفله والرقاد واما من تعلق قلبه بالمساجد فهو دليل على كثره الاعمال والاعراض عن الدنيا
والاشتغال باسبابها ولا ينال ذلك الا بالمجاهده واما الرجلان المتحابان في الله فلا يصح لهما
الحب في الله حتى تزول بينهما الدنيا بالكليه فيكون كل واحد منهما لا محبه له فيها وهو يوثر
صاحبه بما امكنه ويعينه بما قدر عليه من اسباب الدنيا والاخره فان حقيقه المحبه تحمل على
كمال الموافقه والايثار ولا ينال الانسان ذلك ويصل اليه الا بكمال المجاهده ودرجة المتحابين
في الله مذكوره في غير هذا الخبر واما من دعته امراه ذات منصب وجمال فمنصبها جاهها
ومالها وجمالها حسنها وما هي عليه من هيبتها واذا مال اليها ووافقها على مطلوبها انتفع منها
بجميع ما ذكرناه من المال والجاه والاستمتاع بالجمال ولا يقدر على الاعراض عن ذلك خوفا من
الله الا بكمال المجاهده ورجل تصدق بصدقه فاخفاها حتى لا تعلم شماله ما انفقت يمينه ومعناه
لا يعلم من على شماله ما فعله بيمينه وهذا يدل على قلة طلب الثنا من الناس والحمد منهم واخلاص
العمل لله تعالى واسراره وهذا لا يتم الا بكمال المجاهده ورجل ذكر الله خاليا ففاضت عيناه
هذا يدل على كمال معرفته بالله واجلاله له واستشعار لطاهر نيه وانه يراه في ساير تقلبه
ومثواه وهذا مقام الاحسان ولا يصل العبد الى هذا الا بعد كمال المجاهده في الاعمال وقطع
الشواغل عن القلوب والابدان قال الامام رضي الله عنه وسمعته يقول قولهم الحركة بركه
حركات الظاهر توجب بركات السراير قال الشارح رضي الله عنه يشير الى ان المجاهدات في ترتيب الاوراد
وعماره الاوقات ترجع الى بركات الذكر فيها والمناجاه الى تنوير القلب فيغفل عنها النكر والنبات

تخبر

بالحضور

بالحضور مع الله في ساير الاوقات وهذه بركات السراير قال الامام رضي الله عنه سمعت محمد
ابن الحسين رحمه الله يقول سمعت علي بن احمد بن جعفر يقول سمعت الحسن بن علويه يقول قال
ابو يزيد كنت اثنتي عشره سنه حداد نفسي وخمس سنين كنت مراه قلبي وسنه انظر فيما
بينهما فاذا في وسطي زنار ظاهر فعملت في قطعه اثنتي عشره سنه ثم نظرت فاذا في باطني زنار
فعملت في قطعه خمس سنين انظر كيف اقطع فكشف لي فنظرت الى الخلق فرايتهم موتى فكبرت عليهم
اربع تكبيرات قال الشارح رضي الله عنه وهذا وفقك الله اشاره الى حال المجاهد في اول
بدايته فان شان الحداد اذا احمى الحديد ثم يطرقه حتى يبرد فيخرج اوساخه ثم يعيده الى النار فيجعله
كذلك حتى يصلح ويستقيم على ما يراد منه كذلك قال هذا الشيخ افنيت هذه المده اعدل ساير
جوارحي سمعي وبصري ولساني وبطني ورجلي وساير اعضائي اعدلها بالخوف والرجاء حتى
استقامت على الخير واعتدلت على سنن الطريق فعملت في ذلك اثنتي عشره سنه ثم عملت
في قلبي في ازاله الاخلاق الذميمه والتخلق بالاخلاق الحميده خمس سنين ثم نظرت في كمال باطنه وظاهره
وما حصل له من الخيرات فوجد نفسه ملتفته الى الخلق محبه لاطلاعهم على حسن اعماله ومدحهم
له على ذلك فشبهه بعلامه النصارى وهو الزنار لما كان في عمله التفات لغير الله تعالى فقطعه
مده اخرى ثم نظر فاذا في باطنه استحسان لاعماله وسكون اليها ومدح لها على ذلك
فشبهه بالزنار الباطن وهو اما العجب بالعمل واما السكون اليه فنظر في الخلاص من ذلك
فوجد الطريق فيه ان يغلب على قلبه حال الانفراد الحق بالافعال وهو انه لا ضار ولا نافع ولا
معطي ولا مانع ولا ينفعه ويضره احد من الخلق ولا نفسه فاشبهوا عنده الموتى تحقيقا
بان الميت لا يضر ولا ينفع فكبر عليهم اربع تكبيرات ونفسه من جمله الموتى فعاش الحياه
الحقيقيه التي احياه الحق بها واشغله به عمن سواه لا اله غيره ولا معبود سواه قال
الامام رضي الله عنه سمعت الشيخ ابا عبد الرحمن السلمي رحمه الله يقول سمعت ابا العباس البغدادي
يقول سمعت جعفرا يقول سمعت الجنيد يقول سمعت السري يقول يا معشر الشباب
جدوا قبل ان تبلغوا مبلغي فتضعفوا وتقصروا كما قد قصرت وكان في ذلك الوقت لا
يلحقه الشباب في العباده قال الشارح رضي الله عنه وهذا يدل عليه قوله صلى الله عليه وسلم
اغتنم خمسا قبل خمس شبابك قبل هرمك وصحتك قبل سقمك الحديث فان الشاب اذا لم يكن
له اجتهاد في بدايته مع كمال قوته وحمله لما يلقاه من العريه في مجاهدته وتحمله للجوع
والبرد وغير ذلك من مكابدته فاذا كبر عجز لم يقدر على شي من مجاهدته فيفوته ما
طلبه ويبقى بحسرته قال الامام رضي الله عنه وسمعته يقول سمعت ابا بكر الرازي يقول سمعت
عبد العزيز البحراني يقول سمعت الحسن القزاز يقول بني هذا الامر على ثلاثه اشيا ان لا تاكل
الا عند الفاقه ولا تنام الا عند الغلبه ولا تتكلم الا عند الضروره قال الشارح رضي الله عنه

عليه السلام

يقول

Copyright © King Saud University

وهذا كله داخل تحت قوله صلى الله عليه وسلم من حسن اسلام المرء تركه ما لا يعنيه والذي لا يعنيه
ما لا تدعوه اليه حاجة ولا ضرورة فاكل الانسان من غير جوع يميت فساد القلب والبدن
وقد تقدمت الاشارة اليه في الخبر الصحيح من قوله صلى الله عليه وسلم حسب ابن ادم لقيمات
يقمن صلبه يعني لقيمات فان كان ولا بد معناه ان لم يقدر على هذا ودعته ضرورة الى
الزيادة فثلث لطعامه وثلث لشرابه وثلث لنفسه وعمر الانسان راس ماله الذي فيه تجارته
فاذا ضيعه بالنوم فقد اتلف عمره في لا شي ومراده ان يقظان الابدان يكون مشغولا بنوع
من انواع العبادات واسرها عليه ذكر الله بلسانه والفكر فيما لا بد له منه مما يستعين به
على امر دينه وعياله ان كانت له عيال وهذا كله طاعة لا ينام عن هذا الخير الا اذا غلبه
النوم ومتى لم يغلبه النوم وتصنع له واستجلبه فقد اعان على اتلاف عمره في غير فائدة واما كونه
لا يتكلم الا للضرورة فقد قال عز وجل لا خير في كثير من نجواهم الا من امر بصدقة او معروف يعم
او اصلاح بين الناس ومن يفعل ذلك ابتغاء مرضات الله فسوف نؤتيه اجرا عظيما وقال الملك بن انس
رضي الله عنه من عد كلامه من عمله قل كلامه الا فيما يعنيه وفي الخبر وهل يكب الناس في النار
على مناخرهم الا حصائد السنتهم ودخل عمر بن الخطاب رضي الله عنه على ابي بكر صديق الامة وافضلها
وهو يجذب لسانه بيده فقال له يا خليفة رسول الله اي ما هذا فقال هذا الذي اوردني
في الموارد وليت شعري ما الذي اورد الصديق لسانه من الموارد فكيف بحال الناس من الاسترسال
في الغيبة والنميمة والهمز واللمز والحكم على غير علم وقد قال تعالى وان تقولوا على الله ما لا تعلمون
وما الفاعل لذلك فهذه اصول القوم وهي ترك كل فضول فاذا اعانهم الله على هذا خف عليهم ما وراءه
فان من قوي على الاشد الاقوى فهو على الاسهل اقوى قال الامام رضي الله عنه وسمعته
يقول سمعت منصور بن عبد الله يقول سمعت محمد بن حامد يقول سمعت احمد بن خضرويه يقول
عن ابراهيم بن ادهم يقول لن ينال الرجل درجة الصالحين حتى يجوز ست عقبات اولها يغلق
باب النعمة ويفتح باب الشدة والثاني يغلق باب العز ويفتح باب الذل والثالث يغلق باب
الراحة ويفتح باب الجهد والرابع يغلق باب النوم ويفتح باب السهر والخامس يغلق باب
الغنا ويفتح باب الفقر والسادس يغلق باب الامل ويفتح باب الاستعداد للموت قال
الشارح رضي الله عنه وهذه الستة التي ذكرها واضدادها لا يتخلص منها الا بالمجاهدة البالغة
وذلك انها خلاف العادة والجاري بين الناس انهم يتفرعون من التعب والفقر والشدة والسهر
والذل والاستعداد للموت وهذه كلها يجمعها التحصيل للاستعداد للموت فان الاستعداد
للموت انما يحصل بالقيام بالطاعات ومفارقة الشهوات ويلزم عن ذلك ما ذكرناه من المشقات قال
الامام رضي الله عنه سمعت ابا عبد الرحمن السلمي رحمه الله يقول سمعت جدي ابا عمرو بن نجيد يقول
من كرمت عليه نفسه هان عليه دينه وسمعته يقول سمعت منصور بن عبد الله يقول سمعت

ابا علي

ابا علي الروذباري يقول اذا قال الصوفي بعد خمسة ايام انا جائع فالزموه السوق وامروه
بالكسب له قال الشارح رضي الله عنه اما قوله من كرمت عليه نفسه هان عليه دينه
صحيح فان من كرمت عليه نفسه وافقها على ما تحب تركها واستعمل الشهوات ولم يحملها
مشقة الطاعات فاذا اخلت بالطاعات وتعاطت الشهوات المحرمات فقد هان عليه امر الدين
واما قوله اذا قال الصوفي بعد خمسة ايام انا جائع فامروه بالكسب والزموه السوق
فقيه ارشاد الى ان العدة لا يعرض نفسه الى الطلب من الناس بترك التسبب ما دام ضعيفا
قليل العادة والصبر على الجوع وتحديده ذلك بخمسة ايام غاية لا كثر الناس من المتجردين لسلوك
طريق الاخرة فانهم قد تعودوا الصبر على المولمات وفارقوا كثيرا من العادات فمن سلك
طريقهم واتسم بصفاتهم واحوالهم ولم يكن عنده هذا الصبر من الجوع فبقاؤه مع كسبه وعوائده
في غدائه وعشائه اولى به الى ان يعده الله بمعونته قال الشيخ رضي الله عنه واعلم ان اصل
الى هذه وملاكها فطم النفس عن المالوفات وحملها على خلاف هواها في عموم الاوقات
وللنفس صفتان الانهماك في الشهوات والامتناع عن الطاعات فاذا جمحت عند ركوب الهوى يجب
كبحها بلجام التقوى واذا حرنت عند القيام بالموافقات يجب سوقها على خلاف الهوى
واذا ثارت عند غضبها فمن الواجب مراعاة حالها فما من منازلة احسن عاقبة من غضب يكسر
سلطانه بخلق وتخمد نيرانه برفق واذا استحلت شراب الرعونة فضاقت الا عن اظهار مناقبها
والتزين لمن ينظر اليها ويلاحظها فمن الواجب كسر ذلك عليها واحلالها بعقوبة الذل بما يذكرها
من حقارة قدرها وخساسة اصلها وقذارة فعلها وجهد العوام في توفية الاعمال وقصد الخواص
الى تصفية الاحوال فان مقاساة الجوع والسهر سهل يسير ومعالجة الاخلاق والتنقي عن
سفسافها صعب شديد ومن غوامض افات النفس ركونها الى استحلاء المدح فان من تحسى منه
جرعة حمل السموات والارضين منلا على اشفار عينيه واية ذلك انه انقطع عنه ذلك الشرب الحالة
الى الكسل والفشل وكان بعض المشايخ يصلي في مسجده في الصف سنين كثيرة فعاقه يوما عن
الابتكار في المسجد عائق فصلى في الصف الاخير فلم ير بعد ذلك فسئل عن السبب فقال كنت
اقضي صلاة كذا وكذا سنة صليتها وعندي اني مخلص فيها لله سبحانه فداخلني يوم تاخري
عن المسجد من شهود الناس اياي في الصف الاخير نوع خجل فعلمت ان نشاطي طول عمري انما
كان على رؤيتهم فقضيت صلواتي ويحكى عن ابي محمد المرتعش انه قال حججت كذا كذا حجة على التجريد
فبان لي ان جميع ذلك كان مشوبا بحظي وذلك ان والدتي سالتني يوما ان استقي لها جرة ماء فثقل
ذلك على نفسي فعلمت ان مطاوعة نفسي في الحجات كان بحظ وشرب لنفسي اذ لو كانت نفسي فانية
لم يصعب عليها ما هو حق في الشرع وكانت امراة قد طعنت في السن فسئلت عن حالها فقالت
كنت في حال الشباب اجد في نفسي احوالا اظنها قوة الحال فلما كبرت زالت عني فعلمت ان ذلك كان قوة

والترقي

خبرت

الثياب فتوهمها احوالا سمعت الشيخ ابا علي الدقاق رحمه الله يقول ما سمع احد هذه الحكاية من
الشيوخ الا رق لها الا هذه العجوز فانها كانت منصفة **قال** الشارح رضي الله عنه اما نهاية
فطم النفس عن المالوفات المعتادات فاصل عظيم في التفرغ للطاعات فان العبد كلما اندفع في حفظه
الصوارف والموانع سهل عليه في الغالب والابد تحصيل العمل النافع ولذلك قال المشايخ الارادة
ترك ما عليه العادة والنفس تحتاج الي القايد والسايق في ابتدا امرها فالرجا يقودها والخوف
يسوقها فاذا استقام السايق والقايد مشت النفس الي الخير بسهولة ومتى افرط القايد
ذلك ومتى افرط السايق قتل وذلك ان المحمود من الرجا ما حمل على الاعمال والمذموم منه ما
حصل عنه امن وادلال والمحمود من الخوف ما حجز عن المحرمات فان فرط حصل الياس والقنوط
من فضل خالق الارض والسموات قوله واذا ثارت عند غضبها لما استنقص من قدرها وابتلي
به من شانها فحقها ان تعرف اصلها وقدرها وقبح ما هي فيه من الحالة عند ربها حتى تنكسر عن
زهوها وغضبها وقد اتى النبي صلى الله عليه وسلم رجل فساله ان يدله على افضل الاعمال فقال ان
لا تغضب وكرر عليه ذلك في كل سوال ولذلك قيل الغضب غول العقل معناه يتلفه ويذهبه
واذا ذهب العقل زال النظر المستقيم ووقع العبد في ضده في اعمال اهل الجحيم ولذلك اذا
استحلت النفس شراب الرعونة اي تلذذت بذكر محاسنها وما من الله عليها به من فضلها
فالصواب كسرها عما هي عليه فان ذلك ربما اوقعها في نسيان منة ربها والعجب بعملها والكبر
على من فقد ما هي فيه من علمها وعملها وغير ذلك مما امتازت به في دنياها واخراها فحق العبد
ان يرعى نفسه ذلك اي يوبخها ويكسرها عما هي فيه من زهوها وذلك بتعريفها اصلها وخسة
قدرها وفصلها فان اصلها من تراب وفصلها من ما مهين واذا اراد ان ينزل قدر غيره ويدنيه ص
بغاية نقصه قال له لا اصل له ولا فصل اذ اصلنا ادم صلوات الله على نبينا وعليه من تراب وهو اصلنا
وفصلنا من ابائنا وهو الما المهين هذا لو لم ينه الله عن العجب والكبر ويحرمه لكان في معرفة
الانسان بقدره ما يحجزه عنه ويتركه وقال وجهد العوام في توفية الاعمال اي تكثيرها
والخواص انما همتهم في تصحيحها وتصفية احوالهم وتكميلها وغير ذلك فان مقاساة الجوع
والسهر وان كان شديدا فهو بالنسبة الي مراعاة الاحوال والانتقال عن الاخلاق المذمومة المذمومة
والتخلق بالاخلاق المحمودة سهل يسير وقول الشيخ رحمه الله ومن عز امرها ان النفس استحلت المدح
والثنا عليها فان من تخشى منه شربة حمل السموات والارضين على اشفار عينيه وهذا صحيح فان
العبد يحمل في وقت الهوى وشدة الرغبة المقصود ما لا يحمله في غير ذلك الوقت ولا سيما
اذا غلب على ظنه ان ذلك المقصود يتنقل لما هو اعلى منه تزايدت رغبته فيه وخف عليه تعاطيه ظنه
ولذلك حمل السموات والارض على اشفار عينيه فمن كان محبا للدنيا ومالها وجاهها فاذا اثني عليه بصفات
الكمال غلب على ظنه واستندت رجاؤه لكمال معرفته فيها ونيل درجاته منها فجرى في ذلك كل مشقة

وهانت

وهانت عليه كل مولمة والدليل على ان شدة رغبتها انما كانت عن وجود لذته انه اذا تغير
حاملها فترت عما هي فيه وتغيرت حالتها وهذه الحكايات التي اوردها في عقيب هذا الامر
عن الشيخ الذي كان يصلي في الصف زمانا طويلا حتى عرف بذلك الموضع واتفق في بعض الاوقات
تاخره عن البكور فصلى في غير ذلك الموضع فوجد في نفسه انكسارا وضعفا وتالما فوجد سببه
ان نفسه كانت فرحة بنظر الناس عليها وملازمتها لذلك الموضع المخصوص مرايية فلما
ادرك ذلك من نفسه انقطع عن الناس واعاد صلاته والذي حج حجات كثيرة على التجريد يقاسي
التعب والجوع ومشقة الاسفار فلما طلبت منه والدته يوما ان يحمل لها جرة ما ثقلت
عليه نفسه اتهمها في اعمالها في الحج الماضية لما كسلت عن امر واجب فرض العين واما المراة التي
طعنت في السن وكانت عابدة فاخبرت عن نفسها نشاطها في العمل واحوالا ترد على قلبها تزعجها
وتقلقلها مما تجده ارباب الاحوال فلما كبرت فقدت تلك الاحوال فتحسست لنفسها وعلمت ان
معرفتها بالله تعالى التي تتعبد بها لم تتغير وان الاحوال التي كانت تطرقها تغيرت فقالت كنت
اظن ان تلك احوال فاذا هي عمل الشبيبة وقوة النفس فانها لو كانت عن اليقين والعرفان لدامت
بدوامه في كل زمان فالعاقل من سمع كلام هذه العجوز رق لها وعرف انصافها من نفسها **قال**
الامام رضي الله عنه وسمعت محمد بن الحسين رحمه الله يقول سمعت محمد بن عبد الله بن شاذان
يقول سمعت يوسف بن الحسين يقول سمعت ذا النون المصري يقول ما اعز الله عبدا بعز هو اعز
له من ان يدله على ذل نفسه وما اذل الله عبدا بذل هو اذل له من ان يحجبه عن ذل نفسه
قال الشارح رضي الله عنه وهذا صحيح فان ذل النفس من وجهين عظيمين احدهما معرفة
قدرها في اصلها وتقلبها في اطوار خلقتها من نطفة الي علقة الي مضغة وخروجها من مجرى
البول مرتين من الذكر والانثى وعجزها وقلة حيلتها لجلب ما ينفعها ودفع ما يضرها عنها
فهذا احد الوجهين والوجه الثاني كونها مربوبة مكلفة مامورة منهية مسوولة مواخذة
بكل حركة وسكنة من افعالها على انها سبل احوال الناس لها وشرها وتكليفها ومرتبتها في اخرها
واعطا بحقها فان احسنت وقامت بما كلفها به ربها كان ذلك سبب خسرانها وهلكتها فما
اعز الله عبدا بعز اعز له من ان يدله على هذه الامور فاذا عرف قدر نفسه ذلت لها سلم من
عجبها وكبرها وغير ذلك من افاتها فاذا عرف تكليفها وما هي ماخوذة به ومطالبة به من ربها
اجتهد في العمل للقيام بما عليها واخذ ما لها فهذا معنى قوله ما اعز الله عبدا بعز اعز له من ان
يدله على ذل نفسه فانه اذا فعل ذلك صار عزيزا عند الله وعند الخلق واذا شغله عما
ذكرناه تجبر وتكبر واهمل ما به امر وارتكب ما عنه ربه زجر فحصل له الذل الاكبر والعياذ
بالله في الدنيا والاخرة **قال** الامام رضي الله عنه وسمعته يقول سمعت محمد بن عبد الله الرازي
يقول سمعت ابراهيم الخواص يقول ما هالني شي الا ركبته **قال** الشارح رضي الله عنه وهذا انما

يحسن فيما يهول النفس الاقدام عليه مما لم يمنعها الشرع منه وذلك ان النفس يهولها الجوع والسهر ومخالفة المعتاد في كسب الارزاق من بعض الجهات ولا سيما اذا تعذر عليها اكل الحلال الا من اسباب تنزل قدرها بين العباد فقد لا تكون محتاجة لما لا بد لها منه فيتيسر لها ذلك من وجه لا ترضاه الشريعة فيهول على النفس وذلك فيحمل نفسه عليه ويصبر حتى يمده الله تعالى بعونه وييسر له ما هو عليه احسن منه من فضله وطوله فتخرج من مجموع ما قررناه انه لا يرتكب كل مهول وانما يرتكب ما يجوز له الشرع ارتكابه **قال** الامام رضي الله عنه وسمعته يقول سمعت عبد الله الرازي يقول سمعت محمد بن الفضل يقول الراحة هو الخلاص من اماني النفس **قال** الشارح رضي الله عنه ومراده باماني النفس شهواتها واختيارها وفيه اشارة الى ان كمال الراحة في الدين بلوغ العبد الى مقام التوكل والرضى فاذا وصل الى ذلك استراح من اختيارات نفسه وتمني ما لم يقدر لها ورضيت بكل واقع واتى هواها او لم يوافق ولا يتم للعبد ذلك الا بتيقنه ان الحق سبحانه ارحم به واعلم بما يصلحه دليله قوله صلى الله عليه وسلم عجبا للمؤمن والله لا يقضي الله للمؤمن قضاء الا كان خيرا له والمؤمن هاهنا عبارة عمن علم الله تعالى انه يختم له بالايمان والا فلا يامن مكر الله الا القوم الخاسرون **قال** الامام رضي الله عنه سمعت الشيخ ابا عبد الرحمن يقول سمعت منصور بن عبد الله يقول سمعت ابا علي الروذباري يقول دخلت الآفة من ثلاث سقم الطبيعة وملازمة العادة وفساد الصحبة فسالته ما سقم الطبيعة وملازمة العادة فقال اكل الحرام فقلت ما ملازمة العادة فقال النظر والاستمتاع بالحرام والغيبة قلت فما فساد الصحبة قال كلما هاج في النفس شهوة يتبعها **قال** الشارح رضي الله عنه فقوله سقم الطبيعة اكل الحرام يعني انه اذا كان نشا جسمه من هذا المأكول واقدم عليه مع معرفته بتحريمه فسد قلبه وجوارحه ولما كان الغذا مما يلازمه ولا بد له منه وكان محرما عبر عنه بسقم الطبيعة واما ملازمة العادة فدليل على قلة التثبت في سائر حركاته وسائر اعضائه من عينيه ولسانه واذنه وبطنه وفرجه واذا لم يتثبت حتى يعرف ما يجوز له مما لا يجوز جرى على مقتضى عادته لصيرته كان من الهالكين وقوله فساد الصحبة اي صحبته مع نفسه فان الصحبة النافعة مع النفس التي يهاجرها ان يخالف العبد هواها ويحملها على ما يجب ربها فاذا جرى على هواها لم يصحبها صحبة صحيحة نافعة لها فان بئس الصاحب لها فتحصل من مجموع ذلك ان الفساد دخل من اكل الحرام وقلة التثبت قبل الفعل والتصرف بمقتضى الهوى **قال** الامام رضي الله عنه وسمعته يقول سمعت النصراباذي يقول سجنك نفسك اذا خرجت منها وقعت في راحة الابد **قال** الشارح رضي الله عنه وهو امثل ما قاله ابو يزيد فسالك رايت الحق سبحانه في المنام فقلت يا رب كيف الطريق اليك فقال اترك نفسك وتعال ومفارقة النفس انما هو الاعراض عن شهواتها والعمل بمقتضى اوامرها ونكون فيه ان العبد كله لامر الله خاصة وهذا معنى مفارقة النفس

والخلاص

والخلاص من ضررها وحصول الراحة بالله تعالى وبتقويه **قال** الامام رضي الله عنه وسمعته يقول سمعت محمد بن الفرا يقول سمعت ابا الحسين الوراق يقول كانت احكامنا في مبادي امرنا في مسجد ابي عثمان الايثار على ما يفتح علينا وان لا نبيت على معلوم ومن استقبلنا بمكروه لا ننتقم لانفسنا بل نعتذر اليه ونتواضع له واذا وقع في قلوبنا حقير لاحد قمنا بخدمته والاحسان اليه حتى يزول **قال** الشارح رضي الله عنه فاما الايثار فهو ان يعطوا ما فتح عليهم لمن يرونه مساويا لهم او احوج منهم ويصبروا لتعود الخير واما كونهم لا يبيتون على معلوم فلانهم اذا اخذوا منه قدر الحاجة وفضلت فضلة اخرجوها ولا يتركونها الى وقت اخر واما ما اساء اليهم فلا يكافئونه باساءته ويعتذرون ويسرون كونهم احوجوه الى ان يسيء اليهم ولم يبادروا الى الحصول لمقصوده قبل ان ينفع منه الاساءة واما اذا وقع في نفوسهم من احد شيء اي ظهر لهم منه نقص او حصل لهم منه ازدراء او استصغار تواضعوا له وتذللوا حتى يزول ما في انفسهم منه ويذلوا لهم انفسهم عوضا عما قام بها من ازدرائه واستنقاصه وهذا الاصل وهو انه جرى بين ابي ذر وبين بلال كلام فقال ابو ذر لبلال يا ابن السوداء فقال له النبي صلى الله عليه وسلم طف الصاع ليس لابن بيضاء على ابن سوداء فضل الناس بنو آدم وآدم من تراب فوضع ابو ذر خده على الارض واقسم ليضعن بلال رجله على خده مقابلة للشيء بضده ودواء لنفسه واذا بلها حتى لا تعود الى مثله **قال** الامام رضي الله عنه وقال ابو حفص النفس ظلمة كلها وسراجها التوفيق من لم يصحبه في سره توفيق من ربه كان ظلمة كله **قال** الشارح رضي الله عنه الظلمة ما لا نور معها لانها ضده والنور انما هو نور العلم بالله تعالى وباحكامه ووعده ووعيده فاذا حصل في القلب هذا النور وعامل به ربه في قلبه وجوارحه كانت معاملته مع ربه ومن لم يصحبه في العلم والعمل والمعاملة بينه وبين ربه توفيق من ربه بقي في ظلمة جهله وشهواته وحجبه قال الاستاذ الامام ابو القاسم رحمه الله عليه معنى قوله سراجها سرها يريد سر العبد الذي بينه وبين الله تعالى وهو محل اخلاصه وبه يعرف ان الحادثات بالله لا بنفسه ولا من نفسه ليكون متبريا من حوله وقوته على استدامة اوقاته بالتوفيق يعتصم من شرور نفسه فان لم يدركه التوفيق لم ينفعه علمه بنفسه ولا بربه لهذا قال الشيوخ من لم يكن له سر فهو مصر **قال** الشارح رضي الله عنه وهذا الذي اشار اليه الامام هو الذي فسره به من الكلام وهو ان العبد انما يتم له معرفته ربه وتكليفه ونفسه وكونها متعبدة مطلوبة فاذا عرف ذلك علم ان نفسه يريد من الاعمال الصالحة الابعد ربها وتوفيقه اياها وتسديد لها فاذا عاملته بالاخلاص فيما بينه وبينها كان ذلك سرها ومن لم يكن بينه وبين الله تعالى هذا السر في المعاملة بالاخلاص فهو مصر اي محل لا جابة ومرتكب لهي بانه فان العبد المكلف اما ان يطيع او يعصي **قال** الامام رضي الله عنه وقال ابو عثمان

لا يرى احد عيب نفسه وهو مستحسن من نفسه شيا وانما يرى عيوب نفسه من يتهمها
في جميع الاحوال قال الشارح رضي الله عنه وذلك ان العبد متى حسن ظنه بنفسه ونظر الى
افعالها كلها بعين الرضى لم يتهمها واذا لم يتهمها لم يفتشها واذا لم يفتشها لم يطلع على نقصها
فكانت ناقصة وهو يظنها كاملة وهذا من باب الغرور وله دلائل وعين الرضى عن كل عيب
كليلة ولكن عين السخط تبدي المساويا فلا بد للشخص ان يسي الظن بنفسه لما يعرفه
من عوايدها الرديه وتلبيسها الحق بالباطل وخلطها في كثير مما عرضت عليه ورضاها
بالاقوال دون الافعال ومدح الناس لها ولو بالمحال مع علمه بجهله الاخلاق الذميمة فوجب له
التهمة والتفتيش ليتخلص من خدع نفسه وتلبيسها قال الامام رضي الله عنه وقال ابو حفص
ما اسرع هلاك من لا يعرف عيبه فان المعاصي بريد الكفر وقال ابو سليمان ما استحسنت من نفسي
عملا فاحتسبت به قال الشارح رضي الله عنه وهذان القولان متقاربان وذلك ان الشخص
متى استحسن عمله لم يفتش نفسه ولم يتهمها ودام على معاصيه ومن دام على معاصيه وتوالت
عليه في دنياه وكان الشيطان يلعب به مع كمال غفلته وعدم شغله باسباب موته فاذا حضره
وفاته واشتغل قلبه بنزع روحه وتعلقت نفسه بما تفارقه من محبوباتها في دنياه فالشيطان
لعنه الله في هذا الوقت على اهلاكه لشغل عقله عن النظر في امره فيخشى ان تخرج نفسه على كفره
والعياذ بالله وبهذا الاعتبار كانت المعاصي بريد الكفر واما قول ابي سليمان ما استحسنت من
نفسي قط عملا فاعتددت به فان الغالب من الاستحسان وجود الافات في الاعمال الا ان يكون
الاستحسان شرعيا باصح ميزان قال الامام رضي الله عنه وقال السري اياكم وجيران
الاغنيا وقراء الاسواق وعلما الامراء قال الشارح رضي الله عنه فقوله وجيران الاغنيا
فان الطبع يميل الى الانتقال اكثر منه الى الانخزال فاذا جاور العبد الاغنياء وراى ما هم فيه من
السعة وفضول الارزاق والتحدث بباطن امرهم وتفصيل ما ينالونه بشهواتهم مالت نفسه
ان كان ضعيفا الى ما هم فيه ولاسيما اذا لم يكن حراما وان علم من ماله اهله وولده
وكثر صداعه بسببهم وتشوشه فانه يبعد منهم او يبتعد له ثنا عنه بفقره والرضى بما قسم
له به ربه وتاسى بنبيه صلى الله عليه وسلم في تخلقه بالفقر ودعائه له به كما قال صلى الله عليه
وسلم اللهم اجعل قوت ال محمد كفافا لا اثنا زاد ولا اسراف وقال صلى الله عليه وسلم في الصحيح
قد افلح من اسلم وكان قوته كفافا وقنعه الله بما اتاه واما قرا الاسواق فان احوالهم لا ترضى
الواحد الحلال يجعلون كتاب الله وقد كره العلماء قراءة القرآن في الاسواق على وجه العبادة وجودوه
من قوته الى قوته واختلف في تحليل ذلك هل للربا او للاهانة وقلة الاجلال والتعظيم لما عظمه
الله هذا مع كونه ينبغي بقصد التقرب ولاسيما اذا جعل سببا لطلب الدنيا والتكسب فقد وضع
في غير موضعه ولم يجل حق اجلاله وتعظيمه واما علما الامرا فان الغالب من احوال الامرا عدم الجريان

على

على القوانين الشرعية لا في اقامة الحد ولا في استماع البينات العدول ولا فيما هم فيه
من الزي والهيئة واللباس والتصرف والكلام وغير ذلك فالعالم اذا لازمها ولا
على ما عليه لا يخلو من احد قسمين اما ان يعينهم بالقول والتحسين واما ان يقرهم على
ما هم عليه من غير كراهة ولا انكار وكلاهما خطا اللهم الا ان ياتي اليهم في وقت ما بسبب
حاجة عرضت عازما على ان يغير ما راى فهذا لا باس به ويرجوا الله سبحانه ان يحفظه
ويعينه وانما الكلام وانما الكلام على من يلازم ويخالط ولاسيما في زماننا الذي اتسع
صار التقرب منهم كمالا يغبط المرء به قال الامام رضي الله عنه وقال ذو النون المصري
انما دخل الفساد على الخلق من ستة اشياء الاول ضعف النية بعمل الاخرة والثاني صارت ابدانهم
رهينة لشهواتهم والثالث غلبهم طول الامل مع قرب الاجل والرابع اثروا رضى المخلوقين على رضى
الخالق والخامس اتبعوا اهواهم ونبذوا سنة نبيهم صلى الله عليه وسلم والسادس
جعلوا القليل زلات السلف رضي الله عنهم حجة لانفسهم ودفنوا كثير مناقبهم قال الشارح رضي الله
عنه اما ضعف النية لعمل الاخرة فلان اول دمار ان العبد اذا قلت رغبته في الخير وضعفت
نيته فيه نفر عنه فضلا عن تمامه به واما صيرورة ابدانهم رهينة لشهواتهم فهو تتمة مما مضى
وذلك ان العبد انما ينتقل عن شهواته بقوة عزمه في طاعته وصحة نيته واخلاصه فاذا افاته الاول
وقع في الثاني فصارت حركاته وسكناته في مصلحة نفسه وهواه وكذلك اذا كان ضعيف
ايمان وحركهم لعمل الاخرة وضربوا له الاجال خسروا انفسهم في الحال وبادر بهم صوابه بقطع الموت
قبل الاجل الذي اجلوه لانفسهم ليعملوا فيه الصالحات واذا كانت النفس محبة للراحات فاذا
دامت عليها مدة الى الاجل الذي اجلته تاكد تعلق القلب بالشهوات وعسر عليه الانتقال
واما ايثار رضى المخلوقين على رضى الخالق فهو تابع لقلة الدين وضعف الايمان فانه لا ضار
ولا نافع ولا معطي ولا مانع الا الله سبحانه فمن هذا العبد كان فقيرا ومتى اعتقد اعتقادا صحيحا
وغلبت عليه العوايد في روية النفع والضر للاشخاص حتى راعاهم ولم ينكر عليهم ما هم فيه من
الاخلال بشعواهم فقد اثر على رضى الخالق رضاهم وهذا كله سببه الجريان على سوء الاعتقاد ومن
صح ايمانه بالمعاد وانفراد الحق سبحانه بالاضلال والاسعاد واما اتباع الاهوا فقد يكون في
الاعتقادات التي هي ضد السنة التي درج عليها اهل الحق وقد يكون في الاعمال من العبادات مثل الصوم
والصلاة وغير ذلك فان كان في الاول والعياذ بالله فالبدعة فيه واتباع الهوى لا يخلو من كفر او ضلال
وان كان في الاعمال فلا يخلو من كراهة وفوات اجر وابتداع واما السادس فيترتب على هذا الخامس
وهو اتباع الهوى والاعتقاد انه على الحق فيما فعل او نوى فاذا عورض بما هو فيه من بعض الامور
ما لقد فعل ذلك من هو افضل مني في سالف الدهر ويتمسك بقضيته في قطعة ذكر او فعلها من حسن الظن
والتشديد بما يجري في الصدور ومن كبير مناقبهم وجميل فضايلهم فلا يشتري بها ولا يجليها حجة له

Copyright © King Saud University

لكونه بعيدا عما هو فيه من الخير واف والجد في الطاعات بل حاله الكسل والفتور **قال** الامام رضي الله عنه
اخبرنا ابو علي بن احمد بن عبدان قال انا احمد بن عبيد البصري نا عبد العزيز
ابن معاويه نا القعنبي قال نا عبد العزيز بن حازم عن ابيه عن بعجة بن عبد الله ابن بدر الجهني عن ابي هريره
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان من خير معايش الناس لهم رجل اخذ بعنان فرسه في سبيل
الله ان سمع فزعه او هيعه كان على متن فرسه يبتغي الموت او القتل في مظانه او رجل في غنيمة
له في راس شعبه من هذه الشعاب او بطن واد من هذه الاوديه يقيم الصلاه ويوتي الزكاه ويعبد الله حتى
ياتيه اليقين ليس من الناس الا في خير **قال** الشارح رضي الله عنه وفي الموطا ان رسول الله صلى
الله عليه وسلم قال الا اخبركم بخير الناس منزلا رجل اخذ بعنان فرسه يجاهد في سبيل الله الا
اخبركم بخير الناس منزلا بعده رجل معتزل في غنيمه يقيم الصلاه ويوتي الزكاه ويعبد الله لا يشرك
به شيا وفي الموطا ايضا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يوشك ان يكون خير مال المسلم غنما
يتبع بها شعف الجبال واورد مسلم الخبر الذي رواه الامام عن ابي هريره ان رسول الله صلى الله
عليه وسلم قال من خير معاش الناس له رجل ممسك بعنان فرسه في سبيل الله كلما سمع هيعه او فزعه
طار على متن فرسه في سبيل الله يبتغي القتل او الموت في مظانه او رجل في شعبه من هذه الشعاب او في
بطن واد من هذه الاوديه في غنيمه يقيم الصلاه ويوتي الزكاه ويعبد الله حتى ياتيه اليقين ليس
من الناس الا في خير واورده النسائي ايضا على شرط الصحه فهذه الاخبار وان حملت في بعض الفاظها
متفقه على العزله والبعد من الناس للاشتغال بالخير والتفرغ للعباده افضل ما عاش الناس له وافضل
معايشهم على اختلاف الروايتين **قال** الامام رضي الله عنه الخلوه صفه الصفوه والعزله من امارات الوصله
ولا بد للمريد في ابتدا حاله من العزله عن ابنا جنسه ثم في نهايته في الخلوه لتحققه بانسه ومن حق
العبد اذا اثر العزله ان يعتقد باعتزاله عن الخلق سلامه الناس من شره ولا يعتقد سلامته
من شر الخلق فان الاول من القسمين نتيجه استصغار نفسه والثاني شهود مزيته على الخلق
ومن استصغر نفسه فهو متواضع ومن راى لنفسه مزيه على احد فهو متكبر ورئي بعض
الرهبان فقيل له انت راهب فقال لا انا حارس كلب ان نفسي كلب يعقر الخلق اخرجتها من
بينهم ليسلموا منها ومر انسان ببعض الصالحين فجمع ذلك الشيخ ثيابه عنه فقال الرجل لم تجمع ثيابك
ليست ثيابي نجسه فقال الشيخ وهمت في ظنك ثيابي هي النجسه جمعتها عنك لئلا تنجس ثيابك
لا لكي لا تنجس ثيابي **قال** الشارح رضي الله عنه قوله العزله لاهل البدايه والخلوه لاهل
النهايه صحيح لان المبتدي يعتزل عن الناس ليسلم عن اذاهم ويتمكن من تغيير اخلاقه الرديه
التي تخفى وتوعيه فيها في مخالطتهم واما الخلوه لارباب النهايه فانما تجمع همهم على مقصودهم
وانفرادهم بمحبوبهم لتكمل مناجاتهم وتصغر اخطارهم عما يشغلهم ويترقوا في درجات قربهم وقوله
واذا اراد العبد العزله فشرطه ان يريد سلامه الناس منه لا سلامته منهم فانه اذا لاحظ سلامته

منهم نسبهم الى الشر ونزه نفسه عنه وفي ذلك تعظيم نفسه ومزيتها عليهم خلاف ما اذا قصد
سلامتهم منه فانه ذلك يدل على معرفته بافات نفسه وسو اخلاقها وما هي عليه من سو معاملتها
لغيرها وقوله من راى لنفسه مزيه على غيره فهو متكبر ليست هي حقيقه الكبر لان الكبر التعظيم
مع الاستصغار ورويته نفسه بالعلم المحض لا يدل على تعظيمه ولا استصغار غيره وقد فسر
النبي صلى الله عليه وسلم الكبر بقوله الكبر بطر الحق وغمط الناس اي رد الحق واستصغار
الناس والحكايه التي اوردها عن الراهب في قوله لست براهب وانما نفسي كلب حبستها
ها هنا خشيه ان يعقر الناس فيها استصغار النفس ورويه نقصها خاصه وكذلك الحكايه
عن الرجل الصالح التي القصويه بعض الناس فجمع الشيخ الصالح ثيابه عن ذلك الشخص فقال
له الشخص ان ثيابي ليست بنجسه حتى تجمع ثيابك عني فقال له الشيخ وهمت ثيابي هي النجسه
وهذا لا يجري على ظاهره لان كل احد منهما لم يكن في ثيابه نجاسه ولكن الشيخ ادب هذا
الشخص لما قال له ان ثيابي ليست بنجسه حتى جمعت ثيابك اراد به عن سو الظن بالناس لانه
لا يدري لاي وجه جمع هذا الشيخ ثيابه ولعله جمعها لمقصود اخر ليس لحظ التفاته بثياب
هذا خاصه فنبهاه ان له سو الظن لانه تنزه عنه وجمع ثيابه استنقاصا له وبعلاعه ولذلك
اجابه الشيخ بعكس ما ظنه وقوله قوله وهمت في نفسك بل ثيابي هي النجسه عند نفسي وثيابي الانسان
قد تطلق على دينه وقد تطلق على هيبته وحالته التي هو فيها فيكون قول الشيخ نفسي عندي
هي الحقيره الصغيره التي لا تصلح تخالطا احدا وبهذا الوجه تصلح الحكايه للاستدلال على ما قصده
الشيخ من ان الشخص يقصد بعزلته عن الناس سلامتهم من شره لا سلامته منهم وهذا فيه
نظر فان كل الناس لا يمكنه ان ينوي باعتزاله هذا الوجه وذلك لاختلاف حاله من علمه وجهله
واحتياجه للناس واحتياجهم له فاذا كان عالما واحتاج الناس له فخلوته واعتزاله لا يكون
ليسلموا منهم من شره بل لامر اخر يختص به وربما يكون خلطتهم تشوش عليه مقصوده فيعتزل
منهم لكمال تفرغه لجمع همته وتبتل اربه فقد اعتزلهم للسلامه وقد يكون تشويشهم عليه
شرا وقد يكون في الخلق قليل الاحتمال سريع الغضب كثير الكلام يقع في الغيبه والكذب
والحدث فيما لا يعنيه ويضر الناس بخلطته لكثره ما يقع منه من سو عشرته فعزلته ليسلموا
من شره صحيحه وانما اراد الشيخ ان يكون لنفسه بعين النقص والاستصغار لا بعين التكبر على
الخلق والاحتقار وهذا صحيح **قال** الامام رضي الله عنه ومن اداب العزله ان يحصل من العلوم
ما يصحح به عقد توحيده لكي لا يستهويه الشيطان بوساوسه ثم يحصل من علوم الشرع
ما يودي به فرضه ليكون بنا امره على اساس محكم **قال** الشارح رضي الله عنه وهذا
صحيح فان العبد اذا اعتزل عن الناس استفرد به الشيطان وادخل عليه الوسواس في ديانته والجهل في
عباداته وما هو محتاج الى علمه فيما لا بد له منه من طعامه وشرابه واخذ ذلك من حله فمتى اختل اعتقاده

Copyright © King Saud University

الصحيح الموافق للحق وقع في الكفر والبدعة وان اخل بعلمه بالاحكام وقع في الاخلال بالواجب وارتكاب
الحرام فضلا عن علمه بمنازل الطاعات ورفع الدرجات للاولياء الكرام هذا مما لا بد له منه وهو
فرض عينه من الاحكام **قال** الامام رضي الله عنه والعزلة في الحقيقة اعتزال الخصال المذمومة
والتاثير لتبديل الصفات لا التنائي عن الاوطان ولهذا قيل من العارف قالوا كاين بائن يعني انه
كاين مع الخلق باين عنهم بالسر سمعت الاستاذ ابا علي الدقاق رحمه الله يقول البس مع الناس ما يلبسون
وتناول مما ياكلون وانفرد عنهم بالسر وسمعته يقول جاني انسان وقال جئتك من مسافة بعيدة
فقلت له ليس هذا الحديث من حيث قطع المسافات والاسفار فارق نفسك بخطوة وقد حصل
مقصودك **قال** الشارح رضي الله عنه قوله العزلة على الحقيقة اعتزال الخصال الذميمة صحيح
وذلك ان هذا المعنى وهو بعد عن الاخلاق الذميمة واتصافه بالاخلاق الجميلة واحتماله بعض
الناس ولا يبغض رسيهم وان جرى منهم شر حمله وعفا عنه وان حصل تقصير في حقه لم يتالم
له لان يعلم بمن ابتلي منه وان ذلك يقرر عنده نفسه لمعرفته بمقدارها ومن اتهام الانصاف بالخير
الا بعون ربها وتيسيره ومتى كان العبد بهذه المثابة كان بين الناس في خلوة وعزلة ولذلك قال
الدقاق البس مع الناس ما يلبسون وكل ما ياكلون اي شاركهم بظاهرك في الاكل واللباس
ولم يامر باكل ما ياكلون سواء كان طيبا او رديا وانما امره ان يتشبه بظاهره بان ياكل ويلبس ولا
يشتهر ولينفرد عنهم بالسر اي فيما بينه وبين الله تعالى من النية والاخلاص والتعظيم والاجلال
والفكر والبعد عن الغفلة وكذلك ساير الاخلاق الجميلة من الزهد والورع والتوكل وغيره وكذلك الخلاص
من رديه العجب والكبر وغيره من المذمومات وقول الدقاق جاني رجل زاير قال لي جئتك من مسافة
بعيدة معناه اني احب فيك وفي قربك والتخلق باخلاقك وزيارتك فاجابه ان الذي تريد لا يغني فيه قطع
المسافات ولا الاسفار ولكن تغيير الاخلاق المذمومة بالمحمودة وهو مراده بقوله فارق نفسك بخطوة
وقد بلغت مقصودك وخالف الهوى واجري على سمت التقوى **قال** الامام رضي الله عنه ويحكى
عن ابي يزيد رحمه الله قال رايت ربي عز وجل في المنام فقلت كيف اجدك فقال فارق نفسك وتعال
قال الشارح رضي الله عنه واليه اشار ابي يزيد لما راي الله تعالى في النوم ورؤيته تعالى
في النوم تصح فانا لما نرى ما نراه مثله وليس هو المتمثل به على التحقيق لان الشخص الواحد يراه عدد
كثير من الناس مختلفة في ساعة واحدة ويراه احد الرائين شيخا والثاني شابا والاخر كهلا
فقال له ابو يزيد يا رب كيف اجدك اي كيف الطريق الى القرب منك فقال له فارق نفسك وتعال
اي اذا خالفت هواك وعملت بما امرتك به فقد وجدتني وقربت **قال** الامام رضي الله عنه
سمعت الشيخ ابا عبد الرحمن السلمي رحمه الله يقول سمعت ابا عثمان المغربي يقول من اختار الخلوة على الصحبة ينبغي
ان يكون خاليا من جميع الاذكار الا ذكر ربه خاليا من جميع الارادات الا رضى ربه وخاليا من مطالبة
النفس من جميع الاسباب وان لم يكن بهذه الصفة فان خلوته ترفعه في فتنة او بلية **قال** الشارح

رض

رضي الله عنه وهذا صحيح فان الشيخ العزيز لا ينال الانسان بعضه حتى يعطيه كله ولا امر من قرب
الله تعالى وحفظه ذاكرا له فاذا اراد العبد ان يخلو بذكر الله تعالى فليفرغ قلبه مما سواه ويفرد
مطلوبه بالصدق والجد في تحصيله ويعرض عن الاسباب المشوشة له الموجبة لتفرق همه
اعتمادا فانه ان لم يفعل ذلك تعرض بخلوته لاسباب هلكته وقد اتى بعض الصحابة الى النبي صلى الله
عليه وسلم مع كمال فضلهم وخنوس الشيطان عنهم لظهور النبوة بينهم وقالوا يقع في نفوسنا
اشياء يود احدنا ان يخر من السماء فتخطفه الطير ولا يقع له ذلك فقال لهم النبي صلى الله عليه وسلم
اوجدتموه ذلك صريح الايمان قال العلماء رضي الله عنهم كراهيتهم له وتالمهم بوقوعه دليل على صحة
ايمانهم ومخالفة ما دعاهم الخبيث اليه فاذا كان هذا الحال العجيب مع الصحابة الاتقياء فكيف حاله
بالجهلة الاغبياء وقد قال صلى الله عليه وسلم في الخبر الصحيح ياتي الشيطان احدكم فيقول من خلق كذا
من خلق كذا حتى يقول له من خلق ربك فاذا وجد ذلك فليستعذ بالله ولينته يعني القران يلهم
ذكره لربه ويجتهد في تحصيل رضاه عنه حتى يحفظه من عدوه ويكفيه شره **قال** الامام رضي الله
عنه وقيل الانفراد في الخلوة اجمع لدواعي السلوة **قال** الشارح رضي الله عنه وهذا صحيح
فان انفراد العبد في الخلوة اجمع لهمه واقوى على رد الخواطر التي تدعو الى ترك الذكر وهي دواعي السلوة
قال الامام رضي الله عنه وقال يحيى بن معاذ انظر انسك بالخلوة وانسك معه في الخلوة فان كان
انسك بالخلوة ذهب انسك اذا خرجت منها وان كان انسك به في الخلوة استوت بك الاماكن في الصحاري
والبراري **قال** الشارح رضي الله عنه وهذا صحيح فان من خلا بنفسه وتحرز عما يحبسه استراح
من الكلفة لمعاناة الناس ووجد السلامة من كثير مما يجري بين الناس فهذا اذا وجد راحة الخلوة
فتأنس بذلك فاذا خرج عن خلوته واجتمع بالناس فقد ما كان فيه من الراحة وتالم لذلك واما من كان في
الخلوة مستانسا بذكر الله ودوام مناجاته والتحسس لما يجريه عليه من عطاياه وانواع كرامته وعونه
له في تحصيل طاعاته في ساير ما هو فيه من سكونه وحركاته فهذا كامل الشغل بربه معرض عن غيره ولا يلهيه
ولم يبال اجتمع بالناس او لم يجتمع فهو في خلوته بربه وان كان مع الناس ولذلك قالوا الصوفي كاين باين يعني
بجسمه مباين لهم بقلبه وسره واستوت في خلوته الاماكن **قال** الامام رضي الله عنه سمعت محمد
ابن الحسين يقول سمعت منصور ابن عبد الله يقول سمعت محمد بن حامد يقول جاء رجل الى زيارة ابي بكر
الوراق فلما اراد ان يرجع قال له اوصني فقال وجدت خير الدنيا والاخرة في الخلوة والقلة
وشرهما في الكثرة والاختلاط **قال** الشارح رضي الله عنه فالخير كله في الخلوة والقلة اذا حصل
العبد ما لا بد له من العلم واستغنى الناس عنه لان الشرع يدعوه الى الخلطة بهم اما في التعلم
والتعليم لهم فلا خير في البعد منهم واما القلة من الطعام والشراب والمنام والكلام فداخل في قوله صلى الله عليه
وسلم من حسن اسلام المرء تركه ما لا يعنيه والذي لا يعنيه ما لا تدعوه اليه حاجة والحاجة تختلف باختلاف
الاشخاص واحوالهم وطباعهم وقد تكون الحاجة دنيوية وقد تكون دينية فالدنيوية ما يستقيم به

للهم

عليه السلام

به البدن والعقل والدنيه ما يستعان به على العلم والعمل فقد تبين بهذا التقرير الخير ليس في العز
على الاطلاق وليس في التقلل على الاطلاق واذا انقسم الامر في ذلك انقسم ما يقابله من الخلطة والاكثار
فان فيهما خيرا وشرا والله الموفق قال الامام رضي الله عنه وسمعته يقول سمعت منصور بن عبد
الله يقول سمعت الجريري يقول وقد سئل عن العزلة فقال هي الدخول بين الزحام وتحفظ سرك ان لا
يزاحموك وتعزل نفسك عن الاثام ويكون سرك مربوطا بالحق قال الشارح رضي الله عنه وهذا
من الذي قررناه وشرحناه فهو لم الصوفي كاين باين عنهم بشغله مع الحق واذا اشتغل عنهم بالحق
بعد عن الاثام والانام قال الامام رضي الله عنه وقيل من آثر العزلة حصل العز له قال الشارح
رضي الله عنه وهذا من باب تفكيك الحكمة وتقسيم معناها وهي في صورة الهجا ونظم الحروف واحده
وهو حصل العزلة عن الناس يحصل العز له من الله قال الامام رضي الله عنه وقال سهل رحمه الله لا تصح الخلوة
الا باكل الحلال ولا يصح اكل الحلال الا باداء حق الله تعالى قال الشارح رضي الله عنه قد تقدم ان الخلوة
لا تصح الا بعد تحصيل ما يحتاج الانسان اليه من العلم والعمل والعلم بالحلال والحرام واخذ القدر المكتفى به
منه وصرف فضوله المستحقة مما لا بد له منه واذا كان كذلك تفرغ القلب من الشواغل وكمل اقباله
على الطاعات وهذه هي الخلوة بالله او مع الله وهي افضل الخلوات لان من كانت خلوته بجسده عن الجلوس
في بعض الجهات فاذا خرج من تلك الجهة تشوش حاله ومن كانت خلوته بالحق سبحانه لكمال معرفته
به ودوام مناجاته وذكره له صحت حالته ملازمة حيث كان وانما يصل اليها بقطع المشغلات
واستعمال المغيبات قال الامام رضي الله عنه وقال ذو النون المصري لم ار شيئا ابعث على الاخلاص من
الخلوة قال الشارح رضي الله عنه وذلك ان العبد اذا بعد من الناس سلم من مراآتهم وبقي الحامل له
على العمل فضل الله تعالى خاصة فاذا ذكر عليه هذا المعنى حتى لم يبق في قلبه التفات لغير الله في طلب
حمد او خوف ذم او جزاء على عمل كان مخلصا وان تبرأ من استحسان عمله ومدح نفسه عليه
سلم من الاعجاب فكان سالما من الرياء وذلك بان ينسب العمل الصالح الى الحق سبحانه ورؤية
الفضل له في خلقه للعبد واجرائه عليه وكلما تكاملت غيبته عن نفسه وعمله [illegible] حالته وارتفعت
درجته في الاخلاص لكونه لم ير الا واحدا وبهذا الاعتبار قال بعضهم رياء العارفين افضل من اخلاص
المريدين فقد العارف التفات نفسه الى حسن عمله رياء اذ هو التفات الى غير الله في العمل قال
الامام رضي الله عنه وقال ابو عبد الله الرملي ليكن خدنك الخلوة وطعامك الجوع وحديثك
المناجاة فاما ان تموت واما ان تصل الى الله سبحانه قال الشارح رضي الله عنه الخدن هو الرفيق
والصاحب فان فاجعل رفيقك الخلوة فلازمها وطعامك هو ما تستعين به وتتقوى على امرك فاجعله
الجوع اذ هو معين لك على صلاح قلبك وخفة بدنك وحديثك اي كلامك الذي تتحدث به بلسانك
اجعله مع الله تعالى والمناجاة هي المكالمة فتارة بالسؤال والدعاء وتارة تكون بالذكر والثناء وتارة
تكون بالاعتذار والتملق وغير ذلك من اقسام المناجاة فاذا انجد العبد بالخلوة عن المشوشات وفرغ

قلبه

قلبه وسكنت جوارحه بالاعراض بالجوع عن الشهوات ودام شغله بالله تعالى طمعا في بلوغ الغايات
استقامت احواله فيما يرومه من نيل الدرجات والولايات اذا تبرأ من حوله وقوته افتقارا الى واهب
الخيرات والبركات ويدوم على ذلك تكملة ان شا الله الى الممات قال الامام رضي الله عنه وقال ذو النون
ليس من احتجب عن الخلق بالخلوة كمن احتجب عنهم بالله قال الشارح رضي الله عنه والاحتجاب
عنهم بالخلوة حجاب محسوس يمكن الخلق الاطلاع عليه في بعض الاوقات والاحتجاب بالله تعالى
حجاب معنوي بصونه من جميع الافات ولا يدرك هذا المحجوب الا من قاربه في الدرجات ونال بعض
ما ناله من المقامات فان حاله انما يدرك بالامارات قال الامام رضي الله عنه سمعت الشيخ ابا عبد
الرحمن السلمي رحمه الله يقول سمعت ابا بكر الرازي يقول سمعت جعفر بن نصير يقول سمعت
الجنيد يقول مكابدة العزلة ايسر من مداراة الخلطة قال الشارح رضي الله عنه وهذا صحيح
فان مكابدة الخلوة شغل النفس خاصة وردها عما تشتهيه واما مداراة الخلطة فان فيه
ما تقدم ذكره في النفس ومداراة الخلق على اختلاف شهواتهم واعراضهم وما يبدو منهم من الاذى
وما يحتاج اليه من الحلم والصفح وعدم المقابلة لما يبدو منهم بهذا الاعتبار كانت مداراة الخلق
اصعب من معاناة الخلق وهذا لو وقف العبد على حد المداراة مع الناس ولا يخرج الامر الى المداهنة
فان المداراة ان تراعيهم وتتلطفهم بالدنيا والمداهنة ان تدع لهم شيئا من دينك متابعة للهوى
قال الامام رضي الله عنه وقال مكحول ان كان في مخالطة الناس خير فان في العزلة السلامة
قال الشارح رضي الله عنه وهذا صحيح فان السلامة من الشر اكبر من تحصيل الخير فان الشر كالعلة والخير
تحصيل بركة هذا اذا لم يجب المخالطة لتحصيل علم او عمل واما اذا وجبت المخالطة لشي من ذلك
فلا تصح الخلوة ويجاهد الانسان نفسه ليسلم من الشر الذي هرب منه الى الخلوة قال
الامام رضي الله عنه وقال يحيى ابن معاذ الوحدة جليس الصديقين قال الشارح رضي الله عنه
يعني ان الصديقين انسهم بالخلوة والوحدة اذ تصفو فيها مناجاتهم ويستكمل فيها ذكرهم وانسهم
ويقوى فيها جدهم وصدقهم واستغراقهم في مطلوبهم وتلذذهم بمحبوبهم فبهذا كانت الخلوة انسهم
لوجود مطلوبهم ومرغوبهم قال الامام رضي الله عنه سمعت الشيخ ابا علي رحمه الله يقول سمع الشبلي
يقول الافلاس الافلاس يا ناس فقيل له يا ابا بكر ما علامة الافلاس فقال من علامات الافلاس الاستيناس
بالناس قال الشارح رضي الله عنه اي لو كمل وجدهم وجمعوا على وجودهم لاشتغلوا عن انفسهم فضلا
عن غيرهم ومن علامات الافلاس قلة الاشتغال بالله تعالى وذكره ومناجاته التلذذ بحديث الناس
حتى قال بعض المشتغلين بالله اني لا افقد من الدنيا ما يفقد احدكم الجنة [illegible] ودخل ابو مسلم
الخولاني مسجدا فوجد فيه حلقة من الناس فقال في نفسه ما اجمعها [illegible]
خيرا اي يذكرون فيه فجلس اليهم فسمعهم يتحدثون في الدنيا وفي انواع فوائدها فقال تدرون ما
مثلي ومثلكم مثل رجل مشى في الصحراء فاصابه المطر فاوى الى موضع يستكن فيه فلما حصل فيه جا

Copyright © King Saud University

هو لا يكن شيا واصابه المطر كثيرا كان تصيبه في الصحا فانا ابليت ايكم لتتزايد بما انتم فيه وتذهب عني الغفله فانتم غرثي في الدنيا وقام وتركهم قال الامام وحكي الحسن بن ابي بكر بن خالط الناس داراهم ومن داراهم راءاهم قال الشارح رضي الله عنه وفي هذا وفقك الله تحذير من الخلطه فانها تخرج الى المداراه فاذا لعدا انما يدارى غيره تحقيقه المداراه انها ما يضر بامر جائز بحيث لا يخل الانسان بشي من دينه لا يقع في محرم ولا يخل بواجب وان كملت درجته لم يخل بمندوب ولم يرتكب مكروها وانما يدارى بالدنيا وبتالف الاصحاب وتطييب نفوسهم ويتوسع على نفسه بهذا النوع واشباهه في المداراه وتخشى على من اشتغل بهذا ان يجره ذلك الى المراياه والتشبع بما لم ينل من اطماعا فذلك تكون كذابا مدعيا فلينتقل من المداراه الى المداهنه والحلوه تريحه من جميع ذلك قال الامام رضي الله عنه وقال شعيب بن حرب دخلت على مالك بن مغول بالكوفه وهو في داره وحده فقلت له اما تستوحش وحدك فقال ما كنت ارى ان احدا يستوحش مع الله تعالى قال الشارح رضي الله عنه وهذا يدل على كمال معرفته بربه وكثره اشتغاله بذكره وكمال محبته له والتنعم به حتى استنكر وقوع ذلك من الناس فقال ما كنت اظن ان احدا يستوحش مع الله تعالى فعبر عن حاله وحكم به على غالب وكل اناء بالذي فيه ينضح قال الامام رضي الله عنه سمعت الشيخ ابا عبد الرحمن السلمي يقول سمعت ابا بكر الرازي يقول سمعت ابا عمر الانماطي يقول سمعت الجنيد يقول من اراد ان يسلم له دينه ويستريح قلبه وبدنه فليعتزل الناس فان هذا زمان وحشة والعاقل من اختار الوحده قال الشارح رضي الله عنه وهذا مترتب على ما تقدم من ان الخلطه تخرج الى المداراه والمداراه فيها عمل القلب والبدن فاذا اراد العبد ان يستريح قلبه من الفكر في رضى عبد وسخط اخر وما يحب هذا وما يكرهه غيره ويستريح ايضا بدنه من السعي في حوائج الناس وما يكون بسبب اجتماعه بهم من الواجب عليه او المندوب له فليعتزل الناس فان في اعتزالهم سلامه دينه وراحه قلبه وبدنه ولا سيما في هذه الازمنه التي لا يجتمع فيها اثنان ويفترقا او يفترقان الا عن خساره واخف ذلك انه يتزين بعضهم لبعض ويظهر من اعماله الخفيه اجرا اخفاها اكثر من اظهاره من سبعين ضعفا فيتخذ مع اخيه بذلك ويديه له فان قصد المرايا ه وقع في معصيه وان لم يقصد ذلك اظهر ما كان اسر ونقص اجره واقل ما يخاف عليه ما هو اعظم من ذلك من الوقوع في الغيبه والنميمه على وجه التوجع والتالم لبعض الاخوان فيذكر بعضهم لبعض نقص اخيه وما يراه فيه متوجعا بذلك وهي غيبه وخدعه من الشيطان قال الامام رضي الله عنه وسمعته يقول سمعت ابا بكر الرازي يقول قال ابو يعقوب السوسي لا يقوى على الانفراد الا الاقويا ولامثالنا الاجتماع انفع يعمل بعضهم على رويه بعض قال الشارح رضي الله عنه وهذا صحيح في حق الضعفا الا اذا انفردوا بانفسهم كسلوا وقلوا واما من قوي فصلاته منه من الامان والاخلاص من عمله لربه امكن واصفى في سائر الاوقات واما الضعفاء

الذين لا يعملون الا اذا راوا غيرهم يعمل فيحركهم برويته وينشطهم اجتهاده فالخلطه لهم انفع بشرط سلامتهم من الريا والا يكون عملهم خوفا من ذمهم ونسبتهم الى الكسل فيكون الحامل لهم على موافقتهم في الاعمال خوف ذمهم لهم ونسبتهم لنقص الرغبه في الاعمال فمتى كان الضعيف بهذه المثابه فلا يصل معهم على حال وليقصد سلامه نفسه من العذاب قبل تحصيل الاجور وزياده الثواب فما ذكره الشيخ في الخلطه اولى للضعيف بشرط سلامته من الوقوع في الريا تحقيقا او خيفه قال الامام رضي الله عنه وسمعته يقول سمعت ابا عثمان سعيد بن ابي سعيد يقول سمعت ابا العباس الدامغاني يقول اوصاني الشبلي رحمه الله فقال الزم الوحده وامح اسمك عن القوم واستقبل الجدار حتى تموت قال الشارح رضي الله عنه وهذا وفقك الله امر امثل لمن راه مبتدى الحال قليل ترتيب الاوراد كثير الاجتماع بالناس في كل مجلس بالمحادثه والانبساط فامره بما هو اصلح له واسلم له في دينه وهو ان يلزم الوحده لئلا يجد منسرا اليا حتى ينساه من كان يخالطه ويخرج له واستقبل الجدار حتى يموت ان يتشاغل بالذكر والشغل بالله تعالى وانت مستقبل القبله دائم السهر قليل الاضطجاع كما حكي ان رجلا سمع كلام الجنيد والحكم التي تبدو على لسانه من مواهب الحق فقال له من اين لك هذا فاجابه الجنيد من جلوسي تحت تلك الاسطوانه كذا وكذا سنه وكذا وعد الله من اشتغل به وانقطع اليه فقال تعالى ولما بلغ اشده اتيناه حكما وعلما وكذلك نجزي المحسنين فقد وعد من احسن عمله له ان يورثه العلم والحكمه كما فعل بانبيائه داود وغيره من الاوليا قال الامام رضي الله عنه وجاء رجل الى شعيب بن حرب فقال لما جاء بك فقال اكون معك فقال يا اخي ان العباده لا تكون بالشركه ومن لم يستانس بالله لم يستانس بشي قال الشارح رضي الله عنه وهذا اراد ان ينقله الى مقام القوه وان يشتغل بالله تعالى وحده كيف ما كان ولا يفتقر في عبادته الى رويه غيره ومساعدته فقوله العباده لا تكون بالشركه صحيح فان العباده انما تكون بالاخلاص لله وحده وانما اراد المعاونه والمساعده والعاده تكون في حق بعض الناس بالمساعده والمعاونه وانما هذا المتكلم كان في حاله القوه فلم يوافقه ما قاله لهذا السائل من الخلطه فاجابه من ان العباده لا تكون بالشركه فاعتذر بذلك ودله على ان يكون طالبا لطريق القوه ولقد حكي ان بعضهم قال لما لقيت في سياحتي فقال لقيت الخضر فطلب مني الصحبه فخشيت ان يفسد علي توكلي وذلك ان الخضر عليه السلام من كبار الاوليا او من الانبيا عليهم السلام على الخلاف ومن صحب من هذه صفته سكن قلبه اليه وتحقق انه لا يعجزه شي مما هو يحتاج اليه وهذا هو الاعتماد على غير الله وهو يسلم طريق القوه ويحصل مقام التوكل العالي فخشي ان يفسد عليه حاله بسكونه الى من جلت رتبته وعلت عند ربه منزلته فقد يكون كراهه الخلطه اما لخوف ضرر على الشخص او على غيره كما تقدم قال الامام رضي الله عنه وقيل لبعضهم ها هنا احد

Copyright © King Saud University

نسينا نسيه نعالى الحمد ثم يدعو الى مصحفه في حجره وقال هذا وفي معناه انشد وا وكتيبا حولي ما
تعارقني محضضي وفيها شفاء للذي انا كاتم **قال** الشارح رضي الله عنه هذا صحيح فان من فهم
كتاب الله تعالى وتفكر في وعده ووعيده وما اعتبر الآي من ذكر اسمائه وصفاته عظم في قلبه
معرفته وغلب عليه جلاله وعظمته وقوي في قلبه ذكر وعده ووعيده وعظم ذكر ثوابه وتهديده
كان له في تلاوته الكتاب احسن جليس واعظم انيس ولقد اخبرني من اعلم صدقه من الاولياء قال الى معني
رايت كاني في واد كثيف بالاشجار من كل جهة حتى وصلت الى ماء وخضته ثم وصلت الى
الجهة الاخرى نادانا شيخ نفخته فاذا فيه الخضر عليه السلام وكان يعرفه قبل ذلك
معه رجل اخر فقال الراوي فركعت فقرب الخضر عليه السلام وسلمت عليه وكلمت ياسيدي من هذا
معك فقال لي هذا القرآن ففي هذه الرواية تنبيه للراوي على ملازمة القرآن فانه اعظم جليس
واعظم صاحب وكمال المنفعة من غير مضرة ولذلك قال صاحب الشعر وفيها شفاء للذي انا كاتم **قال**
الامام رضي الله عنه وقال رجل لذي النون المصري متى تصح لي العزلة فقال اذا قويت على عزلة
النفس **قال** الشارح رضي الله عنه وعزلة النفس انما هو عفا زلة اخلاقها الذميمة واتصافها
بالاخلاق الحميدة فيتفكر في كسلها وجزعها ونفورها عن الطاعات وقلة صبرها على المشقات وكثرة
خوفها من الاذى وميلها الى علوها من كثير من الورى وغير ذلك من مقتضيات الهوى والميل
الى اسباب الدنيا فاذا اثار في العقل هذه المذمومات وتحمل لمولاه انواع المشقات في القيام بالمطلوبات
فقد بجرت عنه الآفات وخفت عنه العزلة ومفارقة المشتهيات **قال** الامام رضي الله عنه
وقيل لابن المبارك رحمه الله ما دواء القلب فقال قلة الملاقات **قال** الشارح رضي الله عنه
وهذا نبهنا عليه في غير موضع وان الاخرين في ابتداء الانقيا بعد سلامتهما مع كمال حرصهما
في الخير وشدة حذرهما من الشر فكيف بمن سواهما وقيل لبعض الصالحين ان فلانا يحب لك ويكثر
ذكرك فقال انه يحبب لي واحله واعرف فضله ولكن يهون علي ان الغ الشيطان ما به يوقع
ولا الغا ه مرة واحدة فقيل له كيف ذلك فقال احسنى انا تزيل له ويتزيل لي وهذا صحيح
فان الشيطان عرفت عداوته فيستقل الحذر منه والاخ الصالح النفس مطمئنة ساكنة
الى انه لا يقول الا خيرا ولا يجري بينهما الامابرضي الله تعالى فلتغلبه هذا الظن على قلبهما
لا يتحسسان لما يجري فلابد وكان ذلك الا بعد الوقوع فيكون ذلك توبة بعد الوقوع
في الزلل واندماجهما اصابهما من الخلل **قال** الامام رضي الله عنه وقيل اذا اراد الله ان ينقل العبد
من ذل المعصية الى عز الطاعة انسه بالوحدة واغناه بالقناعة وبصره عيوب نفسه
فمن اعطي ذلك فقد اعطي خير الدنيا والاخرة **قال** الشارح رضي الله عنه وهذا صحيح فان الخلوة
تسلمه من آفات الخلطة والقناعة تريحه من اسباب الكثرة ورؤيته لعيوب نفسه تعينه على
الانتقال من الاخلاق المذمومات وتحمله على الاشتغال بامدادها من افضل الطاعات والاخلاق المحمودات

هده

هده هي علامة التوفيق وارادة الله تعالى به اصلح الحالات والنيل لاشرف المقامات وهو
المتفضل بجميع الخيرات اسبابا كانت او مسببات **قال** الامام رضي الله عنه **باب التقوى**
قال الله تعالى ان اكرمكم عند الله اتقاكم انا ابو الحسن علي بن احمد بن عبدان انا احمد بن عبيد الصفار
حدثنا العباس بن الفضل بن جابر قال ثنا عبد الاعلى النرسي قال ثنا يعقوب القمي عن ليث عن مجاهد
عن ابي سعيد الخدري قال جاء رجل الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا نبي الله اوصني فقال عليك بتقوى
الله فانه جامع كل خير وعليك بالجهاد فانه رهبانية المسلم وعليك بذكر الله فانه نور لك وانا علي
قال ابن احمد بن عبدان رحمه الله قال انا احمد بن عبيد قال ثنا عباس بن الفضل الاسفاطي قال حدثنا
احمد بن يونس قال ثنا ابو هرمز نافع بن هرمز قال سمعت انسا رضي الله عنه يقول قيل يا نبي الله من
آل محمد قال كل تقي **قال** الشارح رضي الله عنه لا خلاف بين الامة في فضيلة التقوى وان نيل
كل خير بها وهي منقسمة الى الواجب والمندوب واعلى المندوب ولاهلها اعد الله الجنة والامن يوم
الفزع الاكبر وغير ذلك مما الكتاب والسنة طافحان به فان حقيقة التقوى هي الحذر بالمجانبة
فتارة يحذر العبد تضييع الواجبات فيتقيها ويجانبها وتارة يحذر ارتكاب المحرمات فيتقي ذلك
ويجانبه وتارة يحذر فوات الخيرات المرتبة على فعل المندوبات فيجانب ذلك ويكون متقيا
وتارة يتقي ملابسة المكروهات خوفا من نزول الدرجات والوقوع في المشتبهات فيتقي ذلك ويجانبه
وتارة يحذر فوات اعالي الدرجات وشريف المقامات فيتقي الشغل بما دونها خوفا من فوات اعلاها
واقربها الى خالق الارض والسموات وهي في القلب ايضا كما هي في الجوارح بل اوضح لان الانسان
اول عامل من الانسان قلبه واول متعبد وتقوى القلب هي الحذر من ضرر انعقاد الخواطر والحذر من
الداعي منها الى المذمومات من عقد القلب على الكفر او البدع والمعاصي على اختلاف مراتبها
في الاثم وحلول البليات وقد قال المحاسبي رضي الله عنه التقوى اول درجة من درجات
الصالحين ونهايتها ويكون اعلاها ومنها بحد كون اعمالهم وتقسيمها الى الواجب والمندوب وذكر
الواجب منها في القلوب والابدان من العزم واخلاص وارادة الرياء في الفرض وكذلك النهي
منها من افعال الجوارح وعزم القلوب وكذلك ذكر المندوبات من الاشتغال بها كالصوم والصلاة
والذكر والدعوات وعلى الجملة فالتقوى اسم جامع للحذر من سائر ما امر الله ان يحذر منه ويجانب
في القلب والجوارح وان تفاوتت رتبه ودرجاته في الوجوب والندب والحظر والكراهة وهذا
الباب مستغن في ثباته عن الاستدلال لوضوحه وتكريره في الكتاب **قال** الامام رضي الله
عنه التقوى جامع الخيرات وحقيقة الاتقاء التحرز بطاعة الله سبحانه عن عقوبته يقال اتقى
فلان بترسه واصل التقوى اتقاء الشرك ثم بعده اتقاء المعاصي والسيئات ثم بعده اتقاء الشبهات ثم يدع
ثم بعده الفضلات كذلك سمعت الاستاذ ابا علي رحمه الله يقول ولكل قسم من ذلك باب وجاء في تفسير قوله
تعالى اتقوا الله حق تقاته ان يطاع فلا يعصى ويذكر فلا ينسى ويشكر فلا يكفر **قال** الشارح

Copyright © King Saud University

رضي الله عنه وما ذكره الامام من اقسام التقوى هو ما اشرنا اليه من اتقا الاخلال بالايمان وملابسة
الكفر والاخلال بالواجبات وارتكاب محرمات وكذلك التقوى في المندوبات والمكروهات وارتفاع
في الدرجات فهذا التقسيم فيما ينبغي ولذلك قال التقوى التحرز بطاعة الله وما ذكره من تفسير
قوله تعالى اتقوا الله حق تقاته به اشارة الى اعالي درجات التقوى فانه لا قدرة لاحد
على ان يتقي الله حق تقاته الا بعونه وتيسيره فان حق التقوى ان يتقي الغفلات عن ذكره
واوامر الله ولا يشتغل لشي من نعمه ولهذا لما سمعه الصحابة خافوا واشتد عليهم هذا التكليف والعجز
عن القيام به فانزل الله تعالى تخفيفا عنهم قوله تعالى فاتقوا الله ما استطعتم وقوله ما استطعتم
يعني في المندوبات التي يوجها ويندب لخلق اليها كما قال في اية اخرى في قيام الليل وقراءة
القران والله يقدر الليل والنهار علم ان لن تحصوه فتاب عليكم فاقرؤا ما تيسر من القران
علم ان سيكون منكم مرضى الاية وكان قيام الليل واجبا في اول الاسلام ثم صار نافلة
بعد ذلك بهذا التخفيف قال الامام رضي الله عنه سمعت الشيخ ابا عبد الرحمن السلمي رحمه
الله يقول سمعت احمد بن علي بن جعفر يقول سمعت ابن الهيثم يقول سمعت سهل بن عبد
الله يقول لا معين الا الله ولا دليل الا رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا زاد الا التقوى
ولا عمل الا الصبر عليه قال الشارح رضي الله عنه وموضع الاستشهاد قوله ولا زاد الا التقوى
فاطلق التقوى على الاعمال الصالحة وان تفاوتت في الدرجات والبعد من المناهي وان بعدت
في الشبه بالمحرمات وقلت فيها الكراهات واما قوله ولا عمل الا الصبر عليه الضمير في عليه
يعود على التقوى لان العبد لا يقوم بالواجبات ولا يتعاطى المندوبات الا بالصبر على العمل
والاعراض عن المشغلات وكذلك لا يكف عن الشهوات المحرمات والمكروهات الا بالصبر عن
المستحبات ولذلك قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه وجدنا خير عيشنا الصبر وهو افضل
ما يعان به في الدنيا والاخرة فالاعمال الصالحات والقيام بها في الدنيا والجزاء عليها في الاخرة وكذلك
ما ينزل بالعبد ويحل به في الدنيا من الحظوظ من احد قسمين اما ان يكون موافقا له او مخالفا
ولابد له من الصبر على جميع ذلك فمنفعة الصبر عامة فيما يكتسبه العبد او ينزل به القضا
قال الامام رضي الله عنه وسمعته يقول سمعت ابا بكر الرازي يقول سمعت الكتاني يقول قسمت
الدنيا على البلوى وقسمت الاخرة على التقوى قال الشارح رضي الله عنه ومعنى قوله قسمت الدنيا
على البلوى يعني الاختبار فان الله تعالى يبتلي بالمرض والعافية والفقر والغنا وغير ذلك مما يوافق
العبد ويخالفه كما قال تعالى ليبلوكم ايكم احسن عملا وقال تعالى انا جعلنا ما على الارض زينة
لها لنبلوهم ايهم احسن عملا فان صبر العبد على المشق المولم اثابه وان شكر على النعم اثابه
وقسمت الاخرة على التقوى يعني على الاعمال الصالحة وهو قوله تعالى انما تجزون ما كنتم تعملون
وقال النبي صلى الله عليه وسلم انما هي اعمالكم ترد عليكم فدرجات الدنيا وتفاوتها بالابتلاء والامتحان ودرجات

الاخر

الاخرى على حسب تصحيح الاعمال واخلاصها والاتقان قال الامام رضي الله عنه وسمعته يقول
سمعت ابا بكر الرازي يقول سمعت الجريري يقول من لم يحكم بينه وبين الله التقوى والمراقبة لم يصل
الى الكشف والمشاهدة قال الشارح رضي الله عنه واحكام التقوى ايقاع المامورات على
اكمل وجوهها بشروطها والانكفاف عن المنهيات بسهولة من غير حمل على النفس بسياط الخوف
وكذلك المراقبة تكون مراقبة الافعال فيرجع الى ما ذكرناه من الاحكام وقد تكون مراقبة الله تعالى
باستشعار نظره كما اشار اليه الخبر الصحيح في مسلم في الجواب عن الاحسان ان تعبد الله كانك
تراه فان لم تكن تراه فانه يراك واحكام هذه القضية بتنزيه الحق سبحانه المرئي والراي
للعبد عن الجهات والتحيزات والاشخاص وغير ذلك من المحدثات فهذا معنى قوله من لم يحكم
بينه وبين الله التقوى والمراقبة لم يصل الى الكشف والمشاهدة وذلك ان من لم يحكم الاصل
الذي وعد الله تعالى عليه بالفضل لم يحصل له الموعود به سنة من الله تعالى جارية وللمكاشفة
والمشاهدة غلبة حال القلب حتى لا يلتفت الى غيره ولا يرى بقلبه سواه ويكون حركاته
مخترطة لما تقدم من احكام مراقبته وتقواه قال الامام رضي الله عنه وقال النصراباذي التقوى
ان يتقي العبد ما سوى الله قال الشارح رضي الله عنه وهذا اعلى درجات التقوى ان يتقي العبد
ما يشغله عن مولاه من خواطر مخلوقاته ليتحقق في ذكره ومناجاته ويصير ذلك الغالب عليه
في ساير حالاته قال الامام رضي الله عنه قال سهل من اراد ان تصح له التقوى فليترك الذنوب
كلها قال الشارح رضي الله عنه وهذا ليس معناه انه لا يكون العبد متقيا حتى يكون معصوما
وانما مراده ان العبد يجتهد في ان لا يقع في معصية على الجملة وان يكون حذرا من ذلك فما يقضيه
عليه مولاه شكره وما وقع تاب منه ويكون مستقبلا اعانة على الحفظ منه وكذلك ما تاب منه
فانه داخل تحت اسم التقوى واما مراده ان العبد لا تكمل تقواه حتى يجد جميع ما نهاه عنه او الاخلال
بما اوجبه عليه قال الامام رضي الله عنه وقال النصراباذي من لزم التقوى اشتاق الى مفارقة
الدنيا لان الله تعالى يقول وللدار الاخرة خير للذين يتقون قال الشارح رضي الله عنه وهذا صحيح فان
العبد انما يحمله على الطاعات احد امرين اما رجاء الخلود في الجنان ورضى الملك الديان فاذا ارتاض وقام
وعمرها بالطاعات في قلبه وجوارحه وصار ذلك عنده من اكد المهمات حتى رزقه الله فيه اللذة
والتنعم بالمناجاة ثقل على قلبه ما يقطعه عن هذه الخيرات من ساير الشهوات العاجلات فبهذا
الاعتبار كان شغله بالاخرة يزهد في الدنيا بواضح الدلالات لا سيما اذا انطلقت بذلك الايات كقوله
تعالى وللدار الاخرة خير للذين يتقون وغير ذلك من واضح الدلالات قال الامام رضي الله عنه
وقال بعضهم من تحقق في التقوى هون الله على قلبه الاعراض عن الدنيا قال الشارح رضي الله
عنه وهذا والذي قبله الكلام عليهما واحد وهو ان النفس مايلة لحل لديها فاذا كان عوضها لديها زائد
الى الدنيا لا سيما من عرف كمال الاخرة وجمالها وبقاها وعرف قلة الدنيا وهوانها وفناها فيسهل الى الاخرة

Copyright © King Saud University

مما لا يخفى هذا الولم بنعمة الله تعالى اذا اشتغل بطاعته وقربه ومناجاته فتكون هذه اللذة تشغله
عن لذة الدارين وتحمل لسببها في الحين من خير الاخرة ونعيم الرؤية وخير راحة قلبه من الدنيا وما جاه
ربه هاهنا **قال** الامام رضي الله عنه وقال ابو عبد الله الروذباري التقوى مجانبة ما يبعدك
عن الله تعالى **قال** الشارح رضي الله عنه والذي يبعدك عن الله اهمال الواجبات المحرمات امام
فالتقوى مجانبة هذين الشيئين خوفا من حصول البعد او العنا بمجانب تضييع الواجبات
وكذلك مجانب ما نهي عنه خوفا من سوء الحساب والحلول في العقاب والعبادة من
الارباب وان علت همته جانب تضييع المندوبات وارتكاب المكروهات خوفا من العتاب
او فوات درجة الاحباب والله الموفق للصواب بمنه وكرمه **قال** الامام رضي الله عنه وقال
ذو النون التقي من لا يدنس ظاهره بالمعارضات ولا باطنه بالعلالات ويكون واقفا
مع الله سبحانه موقف الاتفاق **قال** الشارح رضي الله عنه وهذا ارفع في درجات التقوى
وذلك ان من لا يدنس ظاهره بالمعارضات اي لا يكون عليه في حركات ظاهره اعتراض من جهة
الشرع بشيء من المخالفات سواء كانت محرمات او مكروهات ولا يدنس باطنه بشيء من العلالات
يعرض بباطنه عن سائر المحبوبات وان كانت من المباحات ويترك عزمه ويحسن نيته في
التجرد لنيل المقامات ولا يقف معها وقوف معجب ولا يسكن اليها سكون استحسان واعتماد
بل يكون مع كماله متبريا من اعماله رائيا لها فضلا من ربه جاريا عليه مستحسنا لتوالي نعمه مستحسنا
عليه راضيا عما جرى به عليه مالم يكن من مناهيه او ما دام عليه وهذا معنى قوله ويكون واقفا مع الله موقف
الاتفاق معناه يكون راضيا عما جرى به عليه وبرضاه فيتفق رضاه بما رضيه مولاه فيصدق عليه
قوله تعالى رضي الله عنهم ورضوا عنه **قال** الامام رضي الله عنه سمعت محمد بن الحسين رحمه الله يقول
سمعت ابا الحسين الفارسي يقول سمعت ابن عطا يقول للتقوى ظاهر وباطن فظاهره
محافظة الحدود وباطنه النية والاخلاص **قال** الشارح رضي الله عنه وهذا لذكر
مرارا ان التقوى يكون بظاهر البدن وباطنه وهو القلب فالقلب او عامل من العبد
لانه محل ورود الخواطر من الحق ومن العدو واذا تنبه العبد وميز بين الدواعي الى الاعمال
وعرف داعي الحق من داعي الشيطان قصد ايقاع عمله وجه القرب للرحمن وهو معنى الاخلاص
وصحت اعمال الظاهر لوجود شرطها براحة البرهان والله المستعان **قال** الامام رضي الله عنه
وقال ذو النون المصري رحمه الله ولا عيش مع رجال قلوبهم تحن الى التقوى ويرتاح بالذكر **قال**
الشارح رضي الله عنه وذلك ان العيش الطيب انما يكون مع حياة القلب وانما يعيش القلب من زوال
الغفلة عنه ودوام اليقظة لما خلق له فاذا صلح القلب استقامت الجوارح كما قال عليه السلام
ان في البدن مضغة اذا صلحت صلح سائر الجسد الا وهي القلب فاذا صلح القلب والجسد وجد الانسان
من يقصد مقصده ويروم مرامه تطابقت الهمم وحصل التساعد على نيل المطلوب والناس ثلاثة

بالا تعال

بالا تعال امسرع منهم للاقتدا الا قرال فعالا القوم اذا وجدوا واحملوا الضعيف بقوتهم
وعاشت همته برؤيتهم ورؤيته مجاهداتهم ولهذا قال رضي الله عنه ولا عيش الا مع رجال هذه صفتهم
قال الامام رضي الله عنه وقيل يستدل على تقوى الرجل بثلاث بحسن التوكل فيما لم ينل وحسن الرضى
فيما قد نال وحسن الصبر على ما قد فات **قال** الشارح رضي الله عنه وهذا حال ارفع المتقين
فان اول التقوى اتقاء الزلات بارتكاب المحرمات والاخلال بالواجبات ثم اتقاء المكروهات والشبهات
واتقاء تضييع المندوبات واذا ارتقى العبد عن هذه الصفات الى حفظ الاحوال والمقامات فيحفظ
صبره عن الزلل وتوكله عن الخلل ورضاه عما ناله بما لم ينل مثل الذي نال لحسن التوكل فيما لم ينل
فلا يمنعه تأخر الارزاق من اعتماد قلبه على الله تعالى واعراضه عن الاسباب وكذلك لا يحمله ما لم
ينل على كل همه رضي باختيار رب الارباب وكذلك يحجزه كمال صبره عن قلقه وتأسفه على ما فاته
من جميع الاحباب وخلاصة هذا القول ان كمال التقوى حفظ حاله مع الله تعالى في صبره ورضاه
وتوكله فلا يخل بادبه مع مولاه فيلتفت الى ما سواه **قال** الامام رضي الله عنه وقال طلق بن حبيب
التقوى عمل بطاعة الله على نور من الله مخافة عقاب الله **قال** الشارح وهذه هي التقوى الواجبة فان خوف بطاعة
العقاب انما يكون على ارتكاب المنهي عنه او تضييع متعلق الايجاب **قال** الامام رضي الله عنه سمعت
الشيخ ابا عبد الرحمن رحمه الله يقول سمعت محمد الفراء يحكي عن ابي حفص انه قال التقوى في الحلال
المحض لا غير **قال** الشارح رضي الله عنه مراده والله اعلم ان من كانت تقواه خوفا من العقاب
فالحامل له على التقوى ذلك ولذلك ما ربطه الله تعالى بفعله الثواب فلا داعي له الى العمل بما هنالك
واما من اعرض عن المباح وهو الذي لا اثم في فعله ولا في تركه وكذلك لا ثواب فانما يتقيه العبد
خوفا ان يشتغل بالطرد به عن مناجاة رب الارباب ودوام الذكر له الانس به وهو اجتنبه
حتى لا يبقى بينه وبينه حجاب وبهذا الاعتبار جعل كمال التقوى في الحلال المحض يعني به المباح
والله اعلم فكمال تقواه ان يتقي ما لا يضر في دنياه ولا اخراه وانما يتقي من يشغله به ان يشغل قلبه
عمن يحبه لكمال ادبه معه فيغيب به عمن سواه **قال** الامام رضي الله عنه وسمعته يقول سمعت ابا بكر
الرازي يقول سمعت ابا الحسين الزنجاني يقول من كان راس ماله التقوى كلت الالسن عن وصف
ربحه **قال** الشارح رضي الله عنه ودليله قوله تعالى ومن يتق الله يجعل له مخرجا ويرزقه من حيث
لا يحتسب واتقوا الله ويعلمكم الله ان تتقوا الله يجعل لكم فرقانا ويكفر عنكم سيئاتكم فلا تعلم نفس ما اخفي
لهم من قرة اعين وذلك مما لا يحصى اعني ما اعده الله تعالى في الدنيا والاخرة للمتقين اعز لهم انفسهم في
دنياهم واغناهم به عن التذلل لابناء دنياهم وقنعهم منها باليسير فلم يلتفتوا اليها لعظم ولا خطر
بهذا البعض ثمرات التقوى في الدنيا التي ليست دار الجزاء فكيف ما اعد لهم في الاخرى **قال** الامام
رضي الله عنه وهذا وقال الواسطي التقوى ان يتقي من تقواه يعني من رؤية تقواه **قال** الشارح
رضي الله عنه وهذا ارفع درجات التقوى وهو ان يكون العبد كاملا في تقواه معرضا عن ذلك الاشتغال

Copyright © King Saud University

بمولاه يتقي من سكونه الى تقواه حذرا من سكونه الى غير من تولاه واختصه ووالاه فكمال التقوى
ان يتقي العبد من ان تشغله تقواه بالنظر اليها وركونه اليها عن مولاه قال الامام رضي الله عنه
والمتقي مثل ابن سيرين ترك اربعين جبا سمنا فاخرج غلامه فارة من جب فساله من اي جب
اخرجتها فقال لا ادري فصبها كلها ومثل ابي يزيد البسطامي اشترى بهمذان حب القرطم ففضل
منه شي فلما رجع الى بسطام راى فيه نملتين فرجع الى همذان ووضع النملتين قال الشارح
رضي الله عنه فاما الحكاية الاولى عن ابن سيرين فوجه الورع فيها ينقسم الى الورع الواجب فالمقدور
فان الجب الواحد اذا تحققت نجاسته واختلط بعدد محصور ولم يتعين وجب الكف عن الجميع
كما اذا اختلطت منكوحة باجنبية او رضيعة بعدد محصور تحليل حرم الاقدام بخلاف ما اذا
اختلطتا بنساء بلدة واما الورع المندوب فهو ان الجب ربما كان كبيرا من الحرة(?) فاذا كان سمنا ووقعت
فيه فارة فان كان جامدا اختصت النجاسة بالموضع وما قرب منه وان كان مايعا ولم
يتغير منها لا طعمه ولا ريحه فتكون النجاسة يسيرة حلت في طعام كثير فيها خلاف هل ينجس
ام لا الحاقا بالماء اذا حلت فيه نجاسة يسيرة ووجه اخر ان الزيت والدهن اذا حلت فيه
النجاسة هل يمكن تطهيره بالماء او لا فيه قولان فعلى هذين الوجهين يكون صبه لا يعد حرجا
من باب الورع لما التبس عليه الجب من غيره وكمال الورع ان يترك العبد ما لا باس به حذرا
مما به باس والمحكي عنهم رضي الله عنهم كانوا يدعون سبعين بابا من الحلال مخافة الوقوع في الحرام
وهذا من الورع التام واما ابو يزيد في قضية النملتين اللتين في(?) حب القرطم فردهما
الى مستقرهما ووطنهما وانسهما باهلهما وقد قال تعالى وما من دابة في الارض ولا طائر يطير بجناحيه
الا امم امثالكم والبر لا يوذي الذر وحكي عن بعضهم انه اتاه ضيوف جماعة من المشايخ
فقال لخادمه ايتنا بالسفرة لياكل عليها المشايخ فتاخر الخادم ولم يسرع فناداه الشيخ مرة
اخرى وهو مشتغل بغير ذلك ولم يسرع فقيل له هذا لا يصلح ان يكون خادما للمشايخ فلما انفض(?) هذا
انتقل(?) فساله الشيخ عن ذلك فقال يا سيدي بالسفرة نمل فما امكنني ان اوذيها بالطرح ولا اقتلها
ولا امكنني ان اقدمها للمشايخ وعليها النمل فاستحسن ذلك منه وعرف منزلته ونبهه(?) قال
الامام رضي الله عنه ويحكى ان ابا حنيفة كان لا يجلس في ظل شجرة غريمه ويقول في الخبر
كل قرض جر نفعا فهو ربا وقيل ان ابا يزيد غسل ثوبه في الصحراء مع صاحب له فقال له صاحبه
نعلق الثياب من جدران الكروم فقال لا يغرز الوتد في جدار الناس فقال نعلقه من الشجر
فقال لا انه يكسر الاغصان نبسطه على الاذخر فقال لا انه علف الدواب لا نستره عنها فولى
ظهره الى الشمس والقميص على ظهره حتى جف جانب ثم قلبه حتى جف الجانب الاخر وقيل ان ابا يزيد
دخل يوما الجامع فغرز عصاه في الارض فسقطت ووقعت على عصا شيخ بجنبه ركز عصاه في الارض
فانحنى الشيخ واخذ عصاه فمضى ابو يزيد الى بيت الشيخ واستحله وقال كنت السبب عصاي حيث

احتجت

احتجت ان تنحني قال الشارح رضي الله عنه وهذا كله من دقيق الورع وذبح(?) التقوى وذلك ان
ابا حنيفة كان يمتنع من الجلوس في ظل شجر غريمه وذلك ان الناس يحتاجون الى ظل الاشجار في وقت
الحرور ولا سيما اذا ابعدوا من المنازل والدور فخشي رضي الله عنه ان يكون التذاذه على الاستظلال
بظله السحيق والسبق اليها كنت لوافي صاحبها او احد من جهته يستظل فيها ما امكنه مزاحمته
لتقدم يده عليه بذلك فيه المستحق من قرض او غيره فخشي ان يكون من باب سلف جر نفعا
واما قضية ابي يزيد في الثوب الذي غسله تلميذه وسال ابا يزيد هل نعلقه بجدران الكروم
فقال له لا يمكنك تعلقه الا بوتد تغرزه في جدران الكروم بغير اذنهم فلا تفعل فقال له نلقيه
على الشجر يجف قال انه يكسر اغصانها الرطبة لعله اذا كان ذبلوا ويردي اصحابها فقال له نفرشه
على الاذخر فقال له كيف نحجبه عن الدواب التي كانت ترعى في ذلك الوقت فجعل التلميذ ثوبه على
ظهره واستقبل به الشمس حتى جف احد جانبيه ثم قلب الوجه الاخر واما عصاه التي غرزها
في الجامع بجانب عصا شيخ اخر غرز عصاه وذلك ان هذه الارض لا تكون رملا او ترابا بحيث يمكن
الانسان فيها من غرز عصاه فكان الشيوخ يغرزون بها عصيهم ليسهل عليهم تناولها وقت القيام والمشي
عليها فغرز ابو يزيد عصاه الى جانب عصا شيخ غرز عصاه ولم يمكن ابو يزيد غرزها فسقطت على عصا الشيخ
فالقتاه فاحتاج الشيخ بعد قيامه لمضيه الى ان ينحني فياخذ عصاه من الارض فراى ابو يزيد
رحمه الله تكلفه لاخذ عصاه انما كان بسبب تفريطه في غرز عصاه نفسه ولم يهن عليه تحالله(?)
في هذا الوقت اما خوفا من شهى نفسه لكمال هذا الورع او تحمل نفسه من المشقة الى منزل الشيخ
بعض التعب للادب او لكمال الاجر فمشى الى منزله واستحله وقال له انما احتجت ان تنحني بسبب
تفريطي في غرز عصاي فهكذا انفراهم(?) جعلني الله واياكم باشرف درجات التقوى وحملني واياكم
على الطريقة المثلى بمحمد واله قال الامام رضي الله عنه وروي عتبة الغلام يتصبب عرقا
في الشتاء فقيل له في ذلك فقال انه مكان عصيت فيه ربي فسئل عنه فقال كشطت من هذا الجدار
قطعة طين غسل بها ضيفي يده ولم استحل صاحبه وقال ابراهيم بن ادهم بت ليلة
تحت الصخرة ببيت المقدس فلما كان بعض الليل نزل ملكان فقال احدهما لصاحبه من هاهنا
فقال الاخر ابراهيم بن ادهم فقال ذلك الذي حط الله سبحانه درجة من درجاته فقال لم فقال لانه
اشترى بالبصرة تمرا فوقعت تمرة على تمره من تمر البقال قال ابراهيم فمضيت الى البصرة واشتريت
التمر من ذلك الرجل واوقعت تمرة على تمره ورجعت الى بيت المقدس وبت في الصخرة فلما كان
بعض الليل اذا انا بملكين نزلا من السماء فقال احدهما لصاحبه من هاهنا فقال الاخر ابراهيم بن ادهم
فقال ذلك الذي رد مكانه ورفعت درجته قال الشارح رضي الله عنه وهاتان الحكايتان تدلان
على شدة الحذر من حقوق العباد وذلك ان الشرع لم يجعل تغيير الذم فيها ... ولا نسيان
ولا طاعة ولا عصيان فقد يغضب الانسان حال اخيه فيلزم ذمته وتعلق بها كل مال اخيه وقت الضرورة

Copyright © King Saud University

ويجب عليه اكله اذا لم يجد سواه وخشي على نفسه ويلزم ذمته وقد تنام فيمن رحله فيتلف ماله
لاخيه وهو نايم فيلزم ذمته اذ العمد والخطا في ذلك سوا فعلى هذا الوجه يكون خروج عقبة الغلام
من اخذ الطين اليسير من الجدار وان كان القدر زنا فيها واخذه لاكرام الضيف فخشي من المطالبه
به حتى عفي عليه عند ذكره واما قضيه ابراهيم مع الملكين فهو تنبيه من الله تعالى له على ابراء
ذمته مما تعلق بها وهو لا يشعر فهي زياده كرامه ونسبه الى موضع الثمره طاعه وله فيه
اجر واما القاه الثمره بدل الثمره فقد تخيل بعض الناس تعارضا في ما بين الثمرتين فلم تتخلص
ذمته على يقين وهذا ضعيف لكون الثمر قد يكون متساويا في بعض البلاد الا القدر اليسير الذي
لا يلتفت اليه وان كان متفاوتا فمن نبه هذا التنبيه والهم هذا الالهام لم يشح على رمي
الكبير بدلا من الصغير وهذا جميعه غايه في الورع وكمال التقوى قال الامام رضي الله عنه
وقيل التقوى على وجوه للعامه تقوى الشرك وللخواص تقوى المعاصي وللاوليا تقوى التوسل
بالافعال وللانبيا عليهم السلام تقواهم منه اليه قال الشارح رضي الله عنه وهذا يدل على
تفاوت درجات التقوى وقد تقدم ذلك ان اهل التقوى على درجات منهم المسلمون ومنهم
الصالحون ومنهم الاوليا ومنهم المقربون ومنهم الانبيا والمرسلون فاطلق على من تاب من الكفر
تقوى العوام وعلى من تاب من المعاصي تقوى الصالحين وهم الخواص بالنسبه الى من تقدم ومن اتقى
ضياع المندوبات او ارتكاب المكروهات وهي الوسايل الى اعلى الدرجات تقوى الاوليا والى كمال
التقوى ونيل رفيع الدرجات واضافتها الى مجريها المتفضل بها والبراه من نسبه شي منها الى انفسهم
تقوى الانبيا ولذلك قال تقواهم منه اليه معناه ادبر واتصل عليهم في اجرايها عليهم والعون على
القيام بها قال الامام رضي الله عنه وعن امير المومنين علي بن ابي طالب رضي الله عنه انه قال ساده
الناس في الدنيا الاسخيا وساده الناس في الاخره الاتقيا قال الشارح رضي الله عنه وذلك
ان السيد من الناس هو الذي يقصد اليه في الحوايج والمهمات والنوازل ليعين عليها ويخلص من ضررها
فسادات الناس في الدنيا هم الذين صلحوا للاعانه الملهوف وازاله الكرب عن المكروب وهم الاسخيا
باموالهم وانفسهم اي يفعلون ذلك بسهوله وبسط وجه واما في الاخره فالسادات هم الاتقيا
لله تعالى وهم الاولياء والانبيا الذين يشفعون في الخلق الى الله تعالى ويفزع الناس اليهم في الشدايد
العظمى واتقى الناس ولذلك في النبيين سيد العرب والعجم خاتمهم اجمعين نبينا صلى الله عليه وسلم
وعليهم اجمعين ولذلك قال انا سيد ولد ادم ولا فخر قال الامام رضي الله عنه انا ابو علي بن احمد
الاهوازي قال انا ابو الحسن البصري قال ثنا بشر بن موسى ثنا [illegible] ثنا ابن المبارك عن يحيى ابن ايوب
عن عبيد الله بن زحر عن علي بن يزيد عن القاسم بن ابي امامه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال من نظر الى
محاسن امراه فغض بصره في اول مره احدث الله له عباده يجد حلاوتها في قلبه سمعت محمد بن الحسين
يقول سمعت ابا العباس محمد بن الحسين يقول سمعت محمد بن عبد الله الفرغاني يقول كان الجنيد جالسا

مع رويم والجريري وابن عطا رضي الله عنهم فقال الجنيد ما نجى من نجا الا بصدق اللجا قال الله تعالى
وعلى الثلاثه الذين خلفوا حتى اذا ضاقت عليهم الارض بما رحبت وقال رويم
ما نجا من نجا الا بصدق التقا قال الله تعالى وينجي الله الذين اتقوا بمفازتهم وقال الجريري
ما نجا من نجا الا براعاه الوفا قال الله تعالى الذين يوفون بعهد الله ولا ينقضون الميثاق
وقال ابن عطا ما نجا من نجا الا بتحقيق الحيا قال الله تعالى الم يعلم بان الله يرى قال الاستاذ
الامام ابو القاسم رحمه الله ما نجا من نجا الا بالحكم والقضا قال الله تعالى ان الذين سبقت
لهم منا الحسنى الايه قال الشارح رضي الله عنه هذه الاقوال الاربعه من الجنيد
ورويم والجريري وابن عطا كلها ملتفته الى اسباب النجاه المضاف الى كسب العبد
واما قول الامام فخارج عما اراده الرهط الاربعه فانه تكلم في القضا السابق وكل قسم من
هذه الاقسام داخل تحت القضا السابق واما الجنيد فقوله جامع لساير الاسباب
المكتسبه فاذا حققه العبد وجد ذلك في قول رويم بصدق التقا وهو الذي يناسب
الباب المقصود بالاستشهاد دون ذلك ان قول الجنيد بصدق اللجا داخل تحت التقا لان كل
ملتجي الى الله قد اتقى فتنزله وقلة عزمه وضعف اجتهاده في نيل مقصوده وقول الجريري براعاه
الوفا في الحرص راعى الوفا فقد اتقى الخلف والخيانه المضادين للقيام بما التزم الوفا به فهو داخل
تحت التقا واما قول ابن عطا بتحقيق الحيا فهو ان [illegible] الحيا [illegible] على قلب العبد دوام
استشعار نظر الحق اليه وهذا لا يتم الا باتقا الغفلات والبعد عن المشغلات عن المحبوبات
فقد اندرج ما ذكره الجماعه فيما ذكره رويم فان صدق التقا القيام بساير الواجبات
والمندوبات وان تفاوتت في الدرجات والبعد [illegible] المكروهات والمشغلات وان
التفت القلب ادنى التفات فكلامه رضي الله عنه جامع لساير ما ذكروا واما الامام القشيري
فاعرض عن الاسباب واطلق عليهم ما سبق لهم من عند رب الارباب والله الموفق للصواب
بمنه وكرمه قال الامام رضي الله عنه انا ابو الحسن عبد الرحمن بن ابراهيم
ابن محمد بن يحيى المزكي رحمه الله قال ثنا محمد بن داود بن سليمان الزاهد قال اخبرني محمد بن الحسين
ابن قتيبه قال حدثنا احمد بن ابي طاهر الخراساني قال ثنا يحيى [illegible] قال ثنا محمد بن
يوسف الفريابي عن سفيان عن الاجلح عن عبد الله ابن بريده عن ابي الاسود الديلي عن ابي ذر
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من حسن اسلام المرء تركه ما لا يعنيه قال الشارح رضي
الله عنه والخبر صحيح وقال الله تعالى منه ايات محكمات هن ام الكتاب واخر متشابهات والذي
قال [illegible] اهل التحقيق ان المتشابه ما تردد فيه الاحتمال وهو موضع الاستشهاد لان الله
سبحانه ذم من يترك المحكم المبين الدلاله ويتبع المتشابه ويروى ان النبي صلى الله عليه وسلم وجد
تمره في منزله او على الطريق فقال لولا اخشى ان تكون من الصدقه لاكلتها خرجه مسلم وتركها

Copyright King Saud University

عليه السلام وزهدهم يختص كونهما من الصديقين وسيأتي من أحوال المنقولين عن الصحابة والتابعين
في أثناء هذا الباب ما يدل على ذلك إن شاء الله تعالى **قال** الإمام رضي الله عنه أما الورع فإنه ترك
الشبهات كذلك قال إبراهيم بن أدهم الورع ترك كل شبهة وترك ما لا يعنيك هو ترك الفضلات **قال**
الشارح رضي الله عنه الورع يصح أن يكون في الحرام وفي المتشابه والمكروه وكراهة تنزيه وعن
الشبهات الحلال لا داخل فيه إن تجرد عنها والورع يصح أن يكون في الحرام وفي المتشابه والمكروه
وكراهة في شيء من الحرام وقد يترقى الصالحون في الورع حتى يدعوا كل ما يشغل عن الله وزهدهم
يقع الزهد في جميع ما ذكرنا فيه الورع من الأقسام لأن الزهد يكون في الحرام وفي المشكل وفي
المباح من الدنيا وفيما يشغل عن الله تعالى ويفترقان في الدرجات العلا والضابط في الفرق بين الزهد
والورع أن الورع يترك خوفا وحذرا من الوقوع فيما لا يرضى والزهد يعرض نقصا واستصغارا
وعزة نفس وقلة رغبة فيما يعرض عنه وإن تفاوتوا في الدرجات وقول إبراهيم أراد
الورع في الشبهات يعني الورع المتعدد وهذا أكثر ما يطلق الورع فيه وترك الفضلات
فهو ترك الحلال وما لا تدعو إليه حاجة دينية **قال** الإمام رضي الله عنه وقال أبو بكر الصديق
رضي الله عنه كنا ندع سبعين بابا من الحلال مخافة أن يقع في باب من الحرام **قال** الشارح رضي الله
عنه ومن ذلك ما روي أنه كان لأبي بكر الصديق غلام يغل عليه وكان لا يأكل حتى يعلمه من أين له
ولا يكتفي بذلك ما داعاه وأي شيء سأله ما الذي صنع فأتاه يوما بطعام ولم يسأله وأكل منه لقمة ثم تذكر
وقال من أين لك هذا فقال مررت بقوم كنت رقيت لهم في الجاهلية أو وقفت على رواية أي رقيت
فلما مررت بهم اليوم أعطوني هذا فقال له أبو بكر الصديق رضي الله عنه كدت أن تهلكني وأدخل يده
فلم تخرج اللقمة فدعى بعس من ماء وشرب واستدعى اللقمة حتى خرجت بمشقة فقيل له كل
هذا من أجل هذه اللقمة فقال لو لم تخرج إلا بنفسي لأخرجتها سمعت النبي صلى الله عليه وسلم
يقول كل لحم نبت من سحت فالنار أولى به وقوله سحت يعني أصل كسب الغلام الذي أخذ الطعام
عوضا عنه أما لو قال الجاهلية وأما الزخرف واللعب الذي هو أكل المال بالباطل وروي أنه أتي بما
قد نبذ فيه تمر أو عسل ليشربه فقربه إلى فيه وبكى إلى أن أبكى من حوله وسكت الناس
ولم يسكت فلما سري عنه سئل عن ذلك فقال كنت مع النبي صلى الله عليه وسلم فرأيته يدفع عن نفسه شيئا
ويقول إليك عني إليك عني ولم أر معه شيئا فسألت النبي صلى الله عليه وسلم عن ذلك فقال الدنيا
تمثلت لي فقلت لها إليك عني فقالت أما إنك إن أفلت مني لم يفلت مني من بعدك فقال أبو بكر فإني
خشيت أن يكون قد لحقتني وهذا الذي أبكاني **قال** الإمام رضي الله عنه وقال النبي صلى الله
عليه وسلم لأبي هريرة كن ورعا تكن أزهد الناس **قال** الشارح رضي الله عنه وذلك أن
الطاعة الأصلية قسمان قيام بمندوبات بعد الواجبات وترك المكروهات أو متشابهات بعد
المحرمات وفي ترك ذلك مخالفة الهوى والخلاص عن المنتهى وقد جاء الخبر الصحيح الحلال بين والحرام

بين

بين وبينهما أمور متشابهات أو مشتبهات فمن اتقى الشبهات استبرأ لدينه وعرضه ومن حام
حول الحمى يوشك أن يقع فيه ألا وإن لكل ملك حمى ألا وإن حمى الله محارمه خرجه مسلم والبخاري
فلم يصرح أن من ترك الشبهات فقد استبرأ لدينه فترك الشبهات على هذا أفضل من فعل
المندوبات وذلك لأن السلامة مقدمة على الغنيمة **قال** الإمام رضي الله عنه سمعت الشيخ
أبا عبد الرحمن السلمي رحمه الله يقول سمعت أبا العباس البغدادي يقول سمعت جعفر بن محمد
يقول سمعت الجنيد يقول سمعت السري يقول كان أهل الورع في أوقاتهم أربعة حذيفة المرعشي
ويوسف بن أسباط وإبراهيم بن أدهم وسليمان الخواص فنظروا في الورع فلما ضاقت عليهم الأمور
فزعوا إلى التقلل **قال** الشارح رضي الله عنه وهذا وفقك الله تعالى يفهم منه بعض الناس أنه
لما ضاقت عليهم سلوك طريق الورع أهملوه وتقللوا وأخذوا من حيث ما وجدوا وهذا ليس بصحيح
وإنما المراد أنهم بالغوا في التفتيش عن الحلال وأعملوا أبدانهم في تحصيله فلم يقدروا على صفائه
ففزعوا إلى التقلل مما اجتهدوا فيه فكان تقللهم مما حصل لهم صافيا على حسب إمكانهم زيادة
في ورعهم لأن الخبر الصحيح يدل على أن تحقيقهم الذي جعله الله تعالى لهم لا حساب عليهم فيه وهو قوله
لا حق لابن آدم إلا في ثلاث بيت يسكنه وثوب يواري عورته وجلف الخبز والماء وما عدا ذلك حساب
الحديث **قال** الإمام رضي الله عنه وسمعته يقول سمعت أبا القاسم الدمشقي يقول سمعت الشبلي
يقول الورع أن تتورع عن كل ما سوى الله تعالى **قال** الشارح رضي الله عنه وذلك أن حد الورع
مجانبة الشيء كما قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه ورعوا اللص ولا تراعوه أي جنبوه رحالكم ولا تراصدوه
حتى يقع ومنه قول العرب ورع الإبل أي جنبها الماء بقرها فلما كان الورع هو المجانبة أطلقه
هذا الشيخ على مجانبة كل ما يشغل عن الله عز وجل وهو كمال الورع **قال** الإمام رضي الله عنه وسمعته
يقول أبا جعفر الرازي قال ثنا العباس بن حمزة قال ثنا أحمد بن أبي الحواري قال ثنا إسحاق بن خلف
قال الورع في المنطق أشد منه في الذهب والفضة والزهد في الرياسة أشد منه في الذهب والفضة
لأنك تبذلهما في طلب الرياسة **قال** الشارح رضي الله عنه وهذا صحيح فإن العبد إذا قوي على
الأدنى كان على الأصعب أقوى وترك الورع في المنطق الذي أكثر الناس وحذر منه الصديقون
حتى نقل عن أبي بكر الصديق رضي الله عنه أنه كان يجعل في فيه حجرا لكي يتثبت عند كلامه وراه
عمر بن الخطاب يجبذ بلسانه فقال له مه غفر الله لك يا خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم قال أبو
بكر هذا الذي أوردني الموارد وروي ابن عباس أخذ بثمرة لسانه قال وهو يقول لنفسه قل خيرا تغنم
واسكت عن شر تسلم فالورع في اللسان أشد منه في الذهب والفضة ولذلك الرياسة الزهد
فيها أكمل من الزهد في الذهب والفضة ولذلك يبذلهما المحتاج لينتسب لكمال الزهد ومن يريد الرياسة يبذلهما
ولذلك قيل آخر ما يخرج من رؤوس الصديقين حب الرياسة وربما عسر فهم هذا على بعض الناس فقال إن
الصديقية من الرياسة فإن الصديقية مبالغة في الصدق في السلوك وأين هو من التفاته إلى

Copyright © King Saud University

الرياسة على الخلق والجواب ان الرياسة تلطف وتدق على حسب رفعة المقامات وربما يكون في حق بعض الناس ان ازدرا الغير وتسخيره ورويه الفضل على من استخدمه وربما كانت الرياسة التفات العبد الى ما له وحسن هيئته وامتيازه بهذا المقام الشريف عن غيره كما قيل اتيه فما ادرى من التيه من انا • سوى ما يقول الناس فيّ وفي جنسي • اتيه على حسن البلاد وانسها • فان لم اجد شخصا اتيه على نفسي • فاخر ما يخرج من روس الصديقين التفاتهم لاعمالهم واستحسانها والنظر اليها شغلا بمحرريها ومنشيها المتفضل عليهم بها **قال** الامام رضي الله عنه وقال ابو سليمان الداراني الورع اول الزهد كما ان القناعة طرف من الرضي **قال** الشارح رضي الله عنه وذلك صحيح فان الورع انما يكون عن المتشابه او ما نهي عنه نهي تنزيه ومن لا يدله على الخواص عن هذا القسم فيحجزه عن الحلال الصافي الذي لا اشكال فيه ولا نهي عنه اولى واما تشبيهه الرضي بالقناعة من حيث ان القانع مجتزئ بما فتح به عليه من الخير يستغني به وتقنعه ويرتجيه واما الراضي فانه يرضى بجميع ما يورد الحق عليه تجربة يسرا وافق ذلك هوى العبد او خالفه اذا كان رضي الحق فيه وشتان بين المقامين الا انه شبهه به لقناعة القانع بما فتح عليه ولكن هذا بشرط الموافقة للهوى وان كان يسيرا والراضي رضي الله عنه وقال ابو عثمان ثواب الورع خفة الحساب **قال** الشارح رضي الله عنه وهذا من ابي عثمان رضي الله عنه تحريض على سلوك الورع كانه قال فوائده عظيمة واقل فوائده خفة الحساب في الاخرة لان صاحبه يحاسب نفسه في الدنيا كما قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه حاسبوا انفسكم قبل ان تحاسبوا وزنوا انفسكم قبل ان توزنوا **قال** الامام رضي الله عنه وقال يحيى بن معاذ الورع الوقوف على حد العلم من غير تاويل **قال** الشارح رضي الله عنه ومعناه انه لا يقدم الا على ما شهد به العلم الشرعي انه لا اشكال فيه ولا شبهة الا من تاويل ولقائل ان يقول لم يصح انه حرام فاتركه هذا متاول وليس بمتورع وما ستورع فيفرق بين ما يقول لا اقدم على شبهة واما اهل ما ثبت حله وبين من يقول اقدم ما لم يصح تحريمه وشتان بينهما **قال** الامام رضي الله عنه سمعت محمد بن الحسين بن احمد بن جعفر يقول سمعت محمد بن داود الدينوري يقول سمعت ابا عبد الله بن الجلا يقول اعرف من اقام بمكة ثلاثين سنة لم يشرب من ماء زمزم الا ما استقاه بركوته ورشائه ولم يتناول من طعام جلب من مصر **قال** الشارح رضي الله عنه فاما امتناعه عن الشرب من زمزم مما عليه من ارشاء السقا انما ذلك لكونه يرتفق به من اموال الخلفاء والسلاطين وانفاقهم خلاف المسلمين واما ما استقاه بركوته ورشائه ففيه انه يحمل الرجل الذي اتخذها منه وفيه ايضا امتناعه من الاكل والشرب وصبره عن ذلك الى ان ياتي بما ذكر او يتيسر له نفسه مخرجه بالتنسك بالورع عن مال الغير وان حسن ظنه بفاعله فانه ظنه بما فعل بنفسه او نيقنه اولى من حسن ظنه بالمسلمين واسلم وابعد من الوقوع في الشبهات ودل صبره الى ان تدعوه الحاجة الى الاتيان بركوته ورشائه مع كثرة ميل الناس الى حصول بركة ماء زمزم وتيامنهم به لما فيه من الخير انه لما شرب له ولقد ذكر عن بعض الصالحين انه كان يجلس في بعض الزوايا الى ان دخل

عن

البيت

البيت الذي فيه زمزم فلما كان في هوي من الليل دخل انسان عليه نور وهيبة حسنة فرفع الدلو من بير زمزم وشرب منه ثم خرج قال فقمت في اثره لاشرب من فضلته فاذا هو سويق مذاق سكر وكان قال فنظرت متعجبا فرصدته ليلة اخرى حتى جاء في ذلك الوقت فرفع الدلو وشرب حتى اتبعته وسالته باسم من هو فقال نعم قال سفيان بن سعيد الثوري وهذا بدل لان الله سبحانه جعله فيه زيادة ماكولا من شفا وقد حكي ان بعضهم قال رايت شخصا حسن الهيئة مقيما بالحرم لا يتناول شيا مما بايدي الناس الا انه يشرب شربة من ماء زمزم فتكفيه قال فقلت له يوما ارايت لو غارت زمزم ما كنت تصنع قال فقام وقبل راسي وقال جزاك الله عني خيرا لقد كنت اعبد زمزم ومعنى ذلك ان نفسه كانت ساكنة الى مائه وحقه في كمال رتبته ان لا يسكن الى شي من مخلوقاته فلما نبهه هذا الرجل على باطن عليه حالته شكره وقبل راسه وشكر الذي ارسله اليه **قال** الامام رضي الله عنه وسمعته يقول سمعت ابا بكر الرازي يقول سمعت علي بن موسى التاهرتي يقول وقع من عبد الله بن مروان فلس في بير قذرة فاكترى عليه بثلاثة عشر دينارا حتى اخرجه فقيل له في ذلك فقال كان عليه اسم الله تعالى **قال** الشارح رضي الله عنه وهذا يدل على كمال تعظيمه ربه حتى عظم كل رسم يدل على اسمه فلما كان الفلس يكتب عليه اسم الله كما جرت العادة بكتبه على الدراهم والدنانير التي يتعامل بها فلما سقط في بير قذرة لم يهن عليه تركه في القذر اجلالا لما عليه حتى انفق عليه ثلاثة عشر دينارا ومن هذا القبيل ما حكي ان بشر ابن الحارث انما رفعه الله تعالى على اقرانه لكونه وجد رقعة فيها اسم الله فاشترى طيبا وطيبها ورفعها في موضع فرئي في المنام انه قيل له لاطيبن اسمك في الدنيا والاخرة وهذا هو المشهور في الدين ان العبد يجل كل ما ينسب الى الله تعالى او يدل على كلامه ولذلك حرم الشرع حمل المصحف على غير طهارة اجلالا له ولذلك اوصى العلما ان لا يكتب الانسان وقت قضا الحاجة شيا عليه اسم الله الا ما تشق عليه نزعه كالخاتم وغيره وان لا يسافر بالمصحف الى ارض العدو خوفا من ان تناله ايدي المشركين **قال** الامام رضي الله عنه وسمعته يقول سمعت ابا الحسين الفارسي يقول سمعت ابن علويه يقول سمعت يحيى بن معاذ يقول الورع على وجهين ورع في الظاهر وهو ان لا يتحرك الا لله وورع في الباطن وهو ان لا يدخل قلبك سواه تعالى **قال** الشارح رضي الله عنه وهذا اعلى اقسام الورع عن غير الله عقلا وفعلا فان يعقد العبد بقلبه او ارادته لا ينوي غير مولاه ولا لا يفعل ولا يميل بفعله الا اياه وهو مع اتقان فعل قلبه وجارحته معرض عن حوله وقوته وبهذا الاعتبار كان متورعا اي محاميا بقلبه غير مولاه **قال** الامام رضي الله عنه وقال يحيى بن معاذ من لم ينظر في الدقيق من الورع لم يصل الى الجليل من العطا وقيل من دق في الورع نظره جل في القيمة خطره **قال** الشارح رضي الله عنه وذلك لان العبد انما يشرف عند مولاه بعلو همته في طلبه لما يرضاه فاذا دق نظره اي شرف البعد بما يخشاه واعرض بقلبه عمن سواه نال من فضله اشرف عطاياه ويدل عليه الخبر الصحيح

يسمى

Copyright © King Saud University

وهو ما تقرب المتقربون الي بمثل اداء ما افترضت عليهم ولا يزال العبد يتقرب الي بالنوافل حتى احبه فاذا
احببته كنت سمعه الذي يسمع به الحديث فدل ذلك على انه لما قام بالواجبات وكف عن المحرمات
اجتهد في طلبها على المندوبات واقبل بجملته في الشغل به حتى اعرض بكل شغله عمن سواه
قربه اليه وادناه وحفظه وسائر اعضائه ونوه باسمه في ارضه وسمائه واستجاب دعاه في كل
مسؤول ولو امكن صرف الموت عنه صرفه عنه وان كان في موته نيل افضل مامول قال الامام رضي الله
عنه وقال ابن الجلا من لم تصحبه التقى في فقره اكل الحرام النقي قال الشارح رضي الله عنه
وذلك ان التقوى هي الحذر بالجانبه فاذا لم يكن عند العبد حذر ربما نبه لما احل له منه
مطعمه وسائر ما هو فيه واقدم على اكل ما تهواه نفسه من غير حذر ولا نبه لشي من الشبهات الحرام
وكذلك سائر ما يفعله يدخل عليه الحرام وهو لا يشعر لقلة حذره وقلة تنبهه وذلك ان الفقر فقد ما يسد
الحاجة فتكون داعية الى ما يحتاج اليه تحمله على الاقدام على كل ما تيسر له فاذا اجتمع قوة الداعي
وهي الحاجة الى الشي وضعف الصارف وهو الحذر وقع في كل ضرر قال الامام رضي الله عنه
وقال يونس بن عبيد الورع الخروج عن كل شبهة ومحاسبة النفس مع كل طرفة قال الشارح
رضي الله عنه وهذا وفقك الله ربما وقع تنبيها لمن يزعم ان الورع انما يكون في الطعام واللباس
وما ظهر امره فبين بهذا القول ان الورع يكون في خواطر القلوب وفي سائر افعال الجوارح سوا كانت
عبادات او عادات فلابد من التثبت في كل جارحة من العين والاذن واللسان وغيره من الاعضاء يجري
فيه الورع وكذلك عزم القلب فقد يعزم العبد على الحرام والمكروه اما لجهله بحكمه او لغلبة هواه
بعد علمه فبين رضي الله عنه ان الورع عند كل خطرة ولحظة وحركة فان كان شيئا يرضي الله قبل
وان كان مما يكره او يسخط الله كف وجانب قال الامام رضي الله عنه وقال سفيان الثوري ما رايت
اسهل من الورع ما حاك في نفسك تركته قال الشارح رضي الله عنه وهذا وفقك الله انما يسهل فعله
على من كملت رغبته في الحلال وقلت رغبته في الجملة ولم ينل مما لم يتحقق حله الا بعد الاضطرار
واقامة البينة فاذا حمل اعراضه عن الحلال فهو عن المشكل اشد اعراضا واخف تحملا قال الامام رضي
الله عنه وقال معروف الكرخي احفظ لسانك من المدح كما تحفظه من الذم قال الشارح رضي الله
عنه وهذا ايضا مما تقدم الشراع منه وهو ان العبد كما سبق له ان الورع انما يحسن عن الذم
لكون الشرع نهى عنه فقد يحسن الورع ايضا في المدح لاحد وجهين اما ان يقول بلسانه في الممدوح
ضد ما يعتقده فيكون كاذبا واما ان يقول حقا فيدخل الممدوح في ضرر فيقطع ظهره لوقوعه
في عجب او كبر او شي من الحرمات المرتبطة برؤية النفس ورفعتها فلهذا قال معروف رضي الله عنه
احفظ لسانك من المدح فان فيه الورع كما تحفظه من الذم وكذلك يحفظ لسانه من الحديث
الفضول وذكر اعراض الناس فانه قد يكون كاذبا وان لم يكن متعمدا وقد قيل كفى بالمرء جهلا ان يحدث بكل ما
سمع فليحفظ لسانه عن النقل لما يجري بين الناس من الكلام خوفا من وقوعه في الكذب ولذلك قال صلى الله عليه

وسلم

وسلم من كذب علي متعمدا فليتبوأ مقعده من النار وقد زاد ذلك ان الكذب ينقسم الى ما يتعمده العبد
والى ما يقع فيه بغير عمد او نقل بالنقل وقد يكون المنقول كذبا فيكون هو كاذبا اذ حد الكذب
الاخبار عن الشي على خلاف ما هو عليه قال الامام رضي الله عنه وقال بشر بن الحارث اشد الاعمال ثلاثة
الجود في القلة والورع في الخلوة وكلمة حق عند من يخاف ويرجى قال الشارح رضي الله عنه وموضع
الاستشهاد الورع في الخلوة وذلك ان العبد قد يتورع ويستره في الشي اليسير الا انه مع الناس
اما لكونه مرائيا واما لكونه يجد المعين والمساعد فان الناس يحمل بعضهم على درجة بعض وينشط
بعضهم بنشاط بعض واما من يتورع وحده في خلوته بحيث لا يراه احد ولا يجد مساعدا فذلك
لكمال اخلاصه ونزاهة نفسه وكمال جده وخوفه فقوله اشد اراد اشق على النفوس القيام بالله
مع هذه الاشيا الثلاثة وذلك ان الجود في القلة يحمل عليه كمال الايثار والاعراض عن النفس وحظها
حتى يخرج الانسان ما هو محتاج اليه الى غيره وكلمة الحق عند من يخاف ويرجى فيها كمال التغرير بالنفس
وتعريضها للاهانة فلهذا كانت هذه الاعمال شاقة على النفس مخالفة الهوى ومن جملتها الورع
في الخلوة وهو مقصود المسالة قال الامام رضي الله عنه وقيل جات اخت بشر الحافي الى احمد بن حنبل
فقالت انا نغزل على سطوحنا فتمر بنا مشاعل الطاهرية ويقع الشعاع علينا ايجوز لنا الغزل
في شعاعها فقال من انت عافاك الله فقالت اخت بشر الحافي فبكى احمد رحمه الله وقال من بيتكم يخرج الورع
الصادق لا تغزلي في شعاعها قال الشارح رضي الله عنه وهذا يدل وفقك الله على ان المفتي ينبغي له ان
يراعي في الفتيا حال السائل فان لم يعرف حاله افتاه بالجائز وان عرف حاله وكان يحفظه افتاه بالافضل
والاكمل وذلك ان المتصرف في الشعاع ليس متصرفا في مال الغير كالاستظلال بالحايط ليس تصرفا في الحايط
وكالنظر في المراة اذا كانت منصوبة في جدار وكذلك يعني الما اذا كان مستقرا في انيه ويرى العبد فيه
وجهه كالمراة وانما يحرم التصرف في مال الغير بالنقل والانتفاع والتملك والاكل وغيره فاذا تقرر
ذلك فنقول كانت اخت بشر تغزل فوق سطح لها وجدارها فصارت دارا لبعض الولاة فتقدمهم
المشاعل يتصرفون بها ازداد التورع عند اخت بشر زيادة على نور السماء وهي لا تحب ان تتصرف في
شي من اموال السلطان فاتت احمد بن حنبل لتساله عن هذه المسالة فلما سالته وعرف نحوه السؤال
فسالها من هي فلما اخبرته انها اخت بشر بكى رحمه الله على ذهاب بشر واشفاقه من الدنيا وقال لها لا تغزلي
في شعاعهم افتاها بالافضل والابعد والاكمل في الورع لان غزلها فيه زيادة انتفاع على الجملة وان لم يكن
تصرفا في عين السراج وكذلك الاستظلال بالحائط انتفاع بالظل الكائن عن الحائط وكذلك الجلوس في ظل
الشجرة التي هي لغير علية الدين وكذلك المرور على قنطرة بنيت وان كانت لمصالح المسلمين من اموال السلاطين
ويقرب من هذا ما روي ان حصنا كان بني لبعض السواحل لنحو منفعته على المسلمين في حفظ ثغورهم
وبلادهم فجا رجل الى سفيان الثوري فقال له يا ابا عبد الله اني بصير بهذا البنا اترى لي في ان اشير عليهم
براي كيف يبنى فسكت ساعة ثم قال لا تشر عليهم برايك اني اخشى ان ينادى يوم القيمة بالظلمة واعوانهم

Copyright © King Saud University

فتقوم من اعوانهم اني اخشى ان يكون الاجر من غير جله والحص من غير جله فلما علم سفيان ورعه
وكمال تحفظه لم ينكر عليه وان كانت مصلحة تعود الى المسلمين فقدم سلامته في نفسه على منفعة
غيره من المسلمين بما حرك له وهو انه كان ماشيا مع بعض اصحابه قريب طلوع الشمس فراى ناسا من
اعوان الظلمة نياما فخشي ان تفوتهم الصلاة فاستشار سفيان فقال يا ابا عبد الله نقيمهم ليصلي فقال له
لا تقيمهم ما استراح الناس حتى نام هولاء وفعله الله من اكمل الورع واجله حتى تورع عن فعل
الخير مخافة الوقوع في سبب الشر **قال** الامام رضي الله عنه وقال علي العطار مررت بالبصرة في
بعض الشوارع واذا مشايخ قعود وصبيان يلعبون فقلت اما تستحيون من هولاء المشايخ فقال لي
صبي من بينهم هولاء المشايخ قل ورعهم فقلت هيبتهم **قال** الشارح رضي الله عنه وهذا يدل على ان
الصبيان الذين يلعبون كان فيما يلعبون به ما يكره وما يستحيى منه اما في افعالهم او في اقوالهم فلذلك
قال لهم هذا الرجل اما تستحيون من هولاء يعناه ولكن ان كنتم غير مكلفين فهولاء المشايخ يكرهون ما انتم
عليه فقال له احد الصبيان هولاء المشايخ قل ورعهم معناه لو كانوا متورعين لنهونا عما نحن
فيه فلما جلسوا واستحسنوا افعالنا ولم ينكروا انتهكت حرمتهم عندنا فعرفت حالهم من احوالنا وهذا يدل
على ما تضمنه الخبر من تاديب الصبيان وامرهم بالصلاة وهم ابناء سبع وضربهم عليها وهم ابناء عشر وان
لم يكونوا مكلفين في انفسهم فقد امر الشرع المكلفين بتاديب اولادهم وجعلهم كهم لهذا التاديب من عدم
ابرارهم وترك حقوقهم فان للولد على الوالد حقا وللوالد على الولد حقا واذا اهمل الوالد تهذيب ولده
في صغره عاد ضرره عليه في كبره اما ان يعقه ولا يمتثل له امرا ولا نهيا او يوذي المسلمين لقلة
ادبه فيعود ضرره على والده بالسبب والدعا عليه في قلة ادبه واجل ما نحل الوالد ولده ادب حسن
قال الامام رضي الله عنه وقيل ان مالك ابن دينار مكث بالبصرة اربعين سنة فلم يصح له ان ياكل
من تمر البصرة ولا من رطبها حتى مات ولم يذقه وكان اذا انقضى وقت الرطب قال يا اهل البصرة
هذا بطني ما نقص منه شي ولا زاد فيكم **قال** الشارح رضي الله عنه وهذا وفعله الله يكون لشي يعرفه
في تمر البصرة اما التصرف فيه تصرفا لا يرضى او لاختلاط حبله يرد به شرعا او غير ذلك ويحتمل ان
ان يكون هذا او قوله فلم يصح له ان ياكل منه يشير الى الورع لما فيه من الشبهة ويحتمل ان يكون تركه
مخالفا للشهوته فلم يصح له اكله لوجه ديني اما بغير شهوة واما العدم من يرثه به فيكون الغالب
عليه مخالطة الفقرا والمحتاجين فما فتح عليه به منه وعنده المحتاج جوز اثرهم به وخالف محبة
نفسه اكله بشهوة لانهم يريدون ان يكون اكلهم وشربهم ونومهم طاعة ولا يكون طاعة الا اذا كان نية
النية الصالحة وينصرف فيه وهو كذلك ما حكي ان بشر بن الحارث قال اني لا اشتهي الشوا منذ
اربعين فما صفا لي ثمنه وكونه لم نصف عنه بانه من عدم حله وخلاصه من الشبهة وبانه لكونه
راى صرف الثمن في غير السوال والي فلم يصف له وعلى الجملة فهو ورع كامل وقد صح به وان احتمل
الزهد العام رضي الله عنه وقيل لابراهيم بن ادهم الا تشرب من ماء زمزم فقال لو كان لي دلو لشربت

قال الشارح رضي الله عنه وهذا وفعله الله ورع في سبب وصول المال اليه وان الماكل
نفسه حلالا كاملا ومن ذلك ما حكي عن عمر بن عبد العزيز قالت زوجته ابنة عبد الملك
دخل علينا يوما فقال هل عندكم من عسل فقلنا لا فخرج قالت فبعثت دينارا مع بعض
الخدام ومضى على دابة من دواب البريد الى بعلبك وتعني بالبريد الخيل التي تسرحون
في حوائج المسلمين فانه تستعمل الدواب والبريد وسار بما يحتاج الناس اليه يكون
من بعض البلدان ليصل المسلمون الى حقوقهم من غير تعسه ولذلك الغزاة والرقاص ورجال الاسما
قال فاشترى عسلا على دابة من هذه الدواب التي يسافر عليها لمصالح المسلمين فلما دخل
عمر بن عبد العزيز قالت له كنت ذكرت العسل وعندنا عسل فقال اريه فاحضرته اليه
في شربه فاستطيبه فقال امن اين لكم هذا العسل فاخبرته انا سيرنا رجلا من اصحاب
البريد على دابة بدينار فاشتراه قال اقسمت عليك الا ارسلت وقال له خذ هذا العسل
فبعه واردد الينا راس مالنا وما فضل فاجعله في علف دواب البريد ولو كان ينفع المسلمين
لتقايا فهذا الفعل اشارة الى الغرض من ما جرى له ومن ما فعله ابو بكر الصديق رضي الله عنه
في اللقمة التي تقاياها وعمر في اللبن الذي تقياه وذلك ان الفساد في قصة ابي بكر راجع الى اصل ذلك الطعام
الذي اتى به الغلام وفسادا المعاوضة فيه وهاهنا سلم عسل العسل من الفساد وانما تحرز من حمله
اليه بسبب وصوله اليه على دواب البريد وقد صرف من الربح ما ينبغي باجرة الدابة واريد ولذلك
قال لو كان ينفع المسلمين لتقاييت واما قضية عمر بن الخطاب رضي الله عنه فانها تقرب من
قضية ابي بكر الصديق رضي الله عنه وذلك ان رجلا اتاه بلبن فشرب منه واستطيبه ثم قال له
من اين لك هذا اللبن فقال مررت بابل الصدقة وهي تحلب فاعطوني هذا فجعلته في سقاي فادخل
عمر يده فتقاياه وقال لدت ان يهلكني وانما ذلك لكون الاتي باللبن ممن لا يجوز له اخذه اما
لا استغنا به او لرق منه او لسبب من الاسباب التي تمنعه من تملك لبن الصدقة وقد اكل النبي
صلى الله عليه وسلم من طعام تصدق به على بريرة وعلى نسيبة وهي ام عطية وذلك ان النبي صلى الله
عليه وسلم اتى بيت عائشة فسالها عن طعام فقالت ما عندنا الا من الشاة التي تصدق بها على
بريرة فقال انها قد بلغت محلها وفي رواية هي لها صدقة ولنا هدية فدل ذلك على ان حاصل
اللبن لو كان ممن يستحقه واهداه لعمر لم يتقياه وخرج كل مجموع ما فعله ابو بكر وعمر بن
الخطاب وعمر بن عبد العزيز شرعية السوال عما ياكله الانسان او يشربه وان كان بعد
فواته اخرجه من جوفه وفيه دلالة على ان الطعام والشراب وان فات تغيره وفساده
اخراجه من الجوف اولى من ابقائه ولو كان اذا فسد ولزمه عوضه قيمته او مثله
لما احتاج احد منهم الى اخراجه من جوفه وهذا اصح دليل على ان الطعام اذا فات اما بالبيع الصحيح
او بالطحن والخبز وما يجري مجراه وملكه متبنه ولزمه غرمه كان الورع فيه ان لا يوكل وان يترك

Copyright © King Saud University

وان كان ملكا للمالك **قال** الامام رضي الله عنه سمعت الاستاذ ابا علي الدقاق رحمه الله يقول كان
للحارث المحاسبي اذا مد يده الى طعام فيه شبهة ضرب على راس اصبعه عرق فيعلم انه غير حلال
قال الشارح رضي الله عنه وهذا من حفظ الله تعالى للاولياء وتنبيههم على ما خفي عنهم من الاحكام
وهو لا يخرم القاعدة التي تاصلت في الدين وهو ان الاحكام الخمسة انما تتلقى في ادلة الشرع لا تعتبر
وضربان العرق ليس دليلا شرعيا فكيف ينزل لاجله الطعام ويحكم بنفي نفيه وهذا انما هو تنبيه على ان
الخارق انما يقع في مناط الحكم متعلقه لا في دليله وذلك انه قد استقر شرعا ان الطعام المغصوب
بالسرقة او الظلم والذي وقعت فيه نجاسة لا يجوز اكله علم ذلك من الادلة الشرعية ولكن من هل
وقع في هذا الطعام شيء او ما وقع فهذا لا يلزم ان يكون المعرف له شرعيا بل يعرفه الانسان باخبار غيره
ومن ينبهه في منام ومن ظلمة يراها العبد على الطعام او من ضربان عرق او عدم تسبيح الطعام وابتلائه
فيجري الله تعالى هذه العادة للعبد يحمله على المتفتيش عنه فان وقع له ذلك مرة وبحث عنه فوجد
الطعام مسروقا او وقعت فيه نجاسة وتكرر هذا النوع عليه صار له عادة حسنة تكون سببا
لامتناعه عن اكل ذلك الطعام ولا يلزم ان يحرك ذلك له في كل طعام حتى يتركه وهو مضطرب البدن
جريان هذا الخارق له كرامة جعلها الله تعالى له الا ترى ان الشريعة ان العيب يوجب الرد فهذا
لا يعرف الا بدليل الشرعي وهل هذا عيب او ليس بعيب يعرفه اهل العادة ولا يلزم ان يكون المعرف له شرعيا
والمسكر لا يحل شربه وهل هذا مسكر او غير مسكر يعرف بالعادة واخبار مخبر وهذه قاعدة لا اشكال
فيها **قال** الامام رضي الله عنه وقيل ان بشر الحافي دعي الى دعوة فوضع بين يديه طعام فجهد
ان يمد اليه يده فلم تمتد ففعل ذلك ثلاث مرات فقال رجل يعرف ذلك منه ان يده لا تمتد الى طعام فيه
شبهة ما كان اغنى صاحب هذه الدعوة ان يدعو هذا الشيخ **قال** الشارح رضي الله عنه وهذا من
جنس ما تقدم للمحاسبي رضي الله عنه من ضربان العرق وهو ان الله تعالى يكرم اولياءه بان يجعل لهم
امارات تدلهم على ان في الطعام شيئا وان ذلك يكون لكفايتهم عنه طاعة وزيادة حماية وهذا
يدل على ان الطعام الحلال له تاثير في القلوب وكذلك الحرام وما يشبهه سوى عرف الاكل او لم يعرف
فيكون الحق سبحانه يجعل للطعام الذي تصرف فيه من ازل يشبهه الى حين يرجعه الى اكله على وجه
الموافقة للشرع له تنوير في القلب ونشاط في الجوارح وغير ذلك من امارات الخير وبعكسه ما
فيه شبهة في كسبه او في ملكه فلو كان الاثر انما هو تابع لغلبة الظن لا يستوي حال العارف
بان فيه شيئا ولم يعرفه بالنظر لننا وان اختلفوا في الحكم فعن اكل فانه يختص به
وهو هذا الرجل الذي كان في المجلس دعوة عادة بشر ان يده **لا** الطعام فيه شبهة
ما اغنى صاحب هذا الطعام ان يدعو هذا الشيخ اي ان سببه عرف الحاضرون ان في الطعام
شبهة والظاهر انه كان في غنى عن ان يخص هذا القائل الذي تكلم بهذا الكلام وتنبه الناس على ما لم يعرفوه
من حال شريع لطرق الاحتمال الا ان تعلقه وتعلق ترك الطعام لاسباب اخر غير ما يعرفه من عادته

لما

التفتيش

ابالوحج وحده او لطعام تقدم له ودعاه هذا فهم مخالفته وحصل ثم باكل واجاب دعاه لحق
المسلم وللخبر الصحيح اذا دعي احدكم الى طعام فليجب فان كان مفطرا فليطعم وان كان صائما
فليدع اولا عذار اخرى يعلمها هذا القائل ولا كان احد من الحاضرين يتنبه لشيء من هذا ان قصد هذا
هذا القائل تعريف فضيلة بشر فيما اوردها في وقت يدل على فضيلته وكان يمكنه تعريفهم ذلك
في غير هذا المحل ولا يتاذى به احد من الناس **قال** الامام رضي الله عنه ابا بكر بن احمد بن يحيى بن محمد بن يحيى
الصوفي قال سمعت عبد الله بن علي بن يحيى التميمي قال سمعت احمد بن محمد بن سالم بالبصرة يقول
سئل سهل بن عبد الله عن الحلال فقال الحلال الذي لا يعصى الله تعالى فيه وقال سهل الحلال
الصافي الذي لا ينسى الله تعالى فيه **قال** الشارح رضي الله عنه وهذا يدل على الحلال وعلى انه
عاملا على وجه شرعي لا شبهة فيه وردا على من يزعم انه لا حلال الامام انقا ولهذا ايدي المخلوقين
من الحنثا ينبغي في الصحاري وما يجري مجراه بل ما كان ذلك حلالا الا لاباحة الشرع له وكذلك
كل مملوك من طعام وغيره وقع التصرف فيه على الوجه المشروع فهو حلال وان باشره بنو
ادم ولذلك قال الحلال ما لا يعصى الله فيه وقوله ما لا ينسى الله فيه يحتمل امرين احدهما
وهو الاول ان يكون العبد ذاكرا لله تعالى عند تحصيله وتصرفه في هذا الشيء الذي هو يكون
حلالا فلم ينس الله عند تصرفه حتى يخالفه بل تثبت حتى علم حكمه ذكر اطلاع الله تعالى فيه
الوجه الثاني وهو ارفع من الاول ان يكون الحلال بعد معرفته بحله وجريانه على الوجه
المشروع لا يحبه الانسان محبة تشتد له حتى يشغله عن ربه وعن ذكره ومناجاته
ويصح ان يطلق على هذا حلالا لا يعني انه لا ضرر فيه لا في كسبه ولا في الشغل به عن ربه
والمقام الثاني افضل من الاول وذلك انه اذا حل طعامه وساير ما بيده لا يحبه ولا يسكن
اليه ولا يشتغل به شغلا يشغله عن ربه وعن ذكره ومناجاته فهذا هو الحلال المطلق الذي
لا ضرر فيه **قال** الامام رضي الله عنه ودخل الحسن البصري مكة فراى غلاما من اولاد
علي بن ابي طالب رضي الله عنه قد اسند ظهره الى الكعبة يعظ الناس فوقف عليه الحسن
وقال له ما ملاك الدين فقال الورع فقال ما افة الدين قال الطمع فتعجب الحسن منه **قال**
الشارح رضي الله عنه وموضع الاستفهام ان ملاك الدين الورع وملاك الشيء اصله واركانه
فمتى غفل الشخص عن الورع الواجب والمندوب تلف دينه وذلك ان الواجب من الورع
مجانبة المحرمات ومجانبة الاخلال بالواجبات وكذلك الاخلال بالمندوبات ومجانبة
المكروهات وان تعالى كل واحد منهما في الرجحان وهذا يكون في القلب والجوارح ولذلك تعجب
الحسن من كلامه واما ان افة الدين الطمع فهو الطمع في الدنيا وما في ايدي الناس فان من قوي
طمعه لم يتوقف عن شيء يتيسر له ويتسبب لتحصيله بالكلية سواء كان مما كان يرضي به ام لا والعياذ
بالله تعالى **قال** الامام رضي الله عنه وقال الحسن مثقال ذرة من الورع خير من الف مثقال

Copyright © King Saud University

من الصوم والصلاة **قال** الشارح رضي الله عنه وذلك ان الورع مع السلامة والصلاة والصوم
فيهما الغنيمة وهو اذا اسلم من الافات ودخول الرياء والعجب والكبر يدلك على غيره مما فاته
هذه الخيرات بخلاف البعد عن الجنايات والمكروهات فان السلامة حاصلة في ذلك على كل الحالات
قال الامام رضي الله عنه واوحى الله سبحانه الى موسى عليه السلام ما يتقرب الي المتقربون بمثل
الورع وقال ابو هريرة رضي الله عنه جلساء الله غدا اهل الورع والزهد **قال** الشارح رضي الله
عنه واما قوله تعالى لموسى عليه السلام ما تقرب المتقربون الي بمثل الورع فهو ما قدمنا من اشرنا
اليه من التعدي الى الخلقات سواء قارنتها النيات او لم تقارنها فان قارنتها كانت طاعات
وان لم تقارنها النيات سلم العبد بتركها من الافات بخلاف الطاعات التي اشترط الشرع فيها النيات
وسلامتها بتوقفه على حصول شروطها الخالصة وهيهات واما كون اهل الزهد والورع جلساء الله
يوم القيامة فانهم تقربوا اليه بافضل القربات وهو بغضها ابغض وكراهة ما كره على ما دلت
عليه الايات والاخبار الواضحات وقد تقدم الخبر الصحيح قوله صلى الله عليه وسلم لو كانت الدنيا
تزن عند الله جناح بعوضة ما سقى كافرا منها شربة وحديث الجدي الاسك الميت الذي مر صلى
الله عليه وسلم باذنه وقال لمن ياخذه بدرهم فقالوا يا رسول الله لو كان حيا ما سوى ذلك لانه
اسك فكيف وهو ميت فاقسم النبي صلى الله عليه وسلم بالذي نفسه بيده لهو الله تعالى للدنيا
على الله اهون من هذا عليكم فهل سمعت يا اخي قسم سيد العرب والعجم المبرا من ساير النقص والمنعم
بربه العارف بجلاله وكماله ان الدنيا بجملتها اهون عليه من هذا الجدي الميت عليكم ام انت سكران
بحبها ذاهب القلب بعشقها غافل عن قسمه عليه السلام عن يعرفه حق معرفته على الكمال والتمام
بحقارة الدنيا عند ربه ليزهد امته في الاشتغال بها عن مولاه ويكون اعراضهم عنها التحصيل
لهم محبة ربهم تعالى وولاه لا اله الا اياه **قال** الامام رضي الله عنه وقال سهل بن عبد الله لم
يصحبه الورع اكل الفيل ولم يشبع **قال** الشارح رضي الله عنه وقوله راس الفيل تنبيه على
شدة رغبته في الدنيا اكله ما يحسن وما لا يحسن وما يطيب وما لا يطيب **قال** الامام رضي
الله عنه وقيل حمل الى عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه مسك من الغنايم فقبض على مسامه
وقال انما ينتفع من هذا بريحه وانا اكره ان اجد ريحه دون المسلمين **قال** الشارح رضي الله عنه
وهذا من اجل الورع وحكي انه امر من يقسمه ان يبعد عنه حتى لا يجد رايحته حتى قسمه بين اناس
خوفا من ان ينتفع هو بريحته ومن حضره دون بقية المسلمين الذين لهم فيه شرك وهذه هي
عادته وشانه الورع حكي انه احتاج الى ان يستعمل الماء السخن فاخذ وابنه رجلا
فيها ما وجعلوه تحت مطابخ الذي يطبخ فيها للعامة الاطعمة وياتونه به مدة من الزمان وهو لا
يشعر به علم بذلك فامر بتلك الانية ان تملا ماء ويشترى حطب ويعرف مقدار ما يسخن ذلك الماء
من الحطب وحسب الايام التي كان يسخن له فيها الماء وحمل من الحطب مثل ذلك الى مطابخ المسلمين

ناك

راس

قال الامام رضي الله عنه وسيل ابو عثمان الحيري عن الورع فقال كان ابو صالح
حمدون عند صديق له وهو في النزع فمات الرجل فنفخنا ابو صالح في السراج فقيل له في ذلك
فقال الى الان كان له الدهن في المسرجة واما الان صار الدهن للورثة اطلبوا دهنا غيره **قال**
الشارح رضي الله عنه قد تقدم الكلام على هذا وبينا ان حق الميت لا ينقطع من هذا الدهن ما دام
في بيته ان احتاج اليه كما انه احق بكفنه ولو ازدحم من الورثة فانه لو ترك في ليلة في بيت مظلم
بلا سراج كان ذلك اهانة له واستنقاصا لحرمته كما انه لو راعي ذلك في كفنه ولا يكفنه شيء يواري
بدنه اذ لا حق للورثة في ذلك وقد لا يجري وفقد السراج مجرى الكفن لان ذلك يختص
بدانه واهله والكفن مشتهر بين الناس فكن فيه الازرا والاهانة **قال** الامام رضي الله عنه
وقال ابو هرمزا ذنبت ذنبا ابكي عليه منذ اربعين سنة وذلك انه زارني اخ لي فاشتريت بدانق
سمكة مشوية فلما فرغ اخذت قطعة طين من جدار جاري حتى غسل يده ولم يستحله **قال**
الشارح رضي الله عنه هذا يدل على غاية احترازه من الذنوب التي يستحقرها الناس بها مع العلم
وشكا نا لمن عاملها وقوله ولم استحله يعني قبل الاقدام على الفعل فهو اقدم على الفعل مع علمه
بتحريمه خشي من ذلك سخط ربه ومقته فبكاه طول المدة على كونه اقدم على قبل الاستحلال
الا انه استمر على ترك الاستحلال هذه واكتفى بالبكا وقد يكون استحله بعد ذلك في يومه
فيكون بكاوه على اقدامه مع علمه بتحريمه وفايدة هذه الحكاية كونه لم يتورع عن الاقدام من غير
سوال الاستحلال ومن هذا الوجه كان عذاب العالم اشد من عذاب الجاهل لجراته على الاقدام
قال الامام رضي الله عنه وكان رجل يكتب رقعة وهو في بيت بكرا فاراد ان يترب الكتاب
من البيت فخطر بباله ان البيت بالكرا انه خطر بباله لا خطر لهذا فترب الكتاب فسمع
هاتفا يقول سيعلم المستخف بالتراب ما يلقاه غدا من طول الحساب **قال** الشارح رضي الله
عنه وهذا يدل على رفعة منزلة هذا الشخص عند الله تعالى لكونه نبه على البعد عن الشي اليسير
من اموال المسلمين الذين لا يتشاحون في مثله وذلك ان هذا البيت الذي كان ساكنا فيه
بكرا قد يكون مبنيا بالطين فاخذ منه شيا يسيرا ليجفف به ما كتبه في الكتاب ويكون
في غاية القلة الذي لو راه صاحبه لم يكرهه لكونه لا يضر البناء ولكنه لما خطر الله تعالى بقلبه
الفعل ان هذا تصرف في مال الغير بغير اذنه وبعد ذلك اقدم على الفعل بعد علمه عوتب عليه وهذا
مما تقدم ذكره من شدة المواخذة على من يقدم متعمدا مع علمه بالتحريم وقد قال ابو بكر الصديق رضي الله
عنه ان الله يعذب على الصغير فلا تحتقروا ويعفو عن الكبير فلا تقنطوا **قال** الامام رضي الله
عنه وزهن احمد بن حنبل رحمه الله سطلا له عند بقال بمكة فلما اراد فكاكه اخرج البقال اليه
سطلين وقال خذ ايهما لك فقال احمد اشكل علي سطلي فهو لك والدراهم لك فقال البقال سطلك هذا
وانما اردت ان اجربك فقال لا اخذه ومضى وترك السطل عنده **قال** الشارح رضي الله عنه وهذا

Copyright © King Saud University

رحمك الله يدل على احد امرين اما ان يكون جهل سقطه ولم يعرفه فلما اشكل عليه تركه وتام عما عليه
من الحق لربه او يكون كشف له ما اراده البقال من استحيائه ورحل هو من الزهاد ومن العارفين بحقائق
الدنيا ويدل عليه قوله هذا سقط لا تحتمل فقال انما اردت ان اتحفك فيكون تركه له زهدا
وتعريفا له بان اهل الدين والزهد لا يلتفتون لشي من الدنيا ليتادب بذلك ولا يتخذ احد احدا
لا حاجة له في ذلك واذا كان تركه ورعا على الوجه الاول فلا يلتفت لقوله مرة ثانية هذا سقط لك
فانه اولا ادعى الجهالة به حتى قال له خذ سقطك منها فلم يلتفت لقوله الثاني ولم تحصل له غلبة
ظن به فتركه وما عليه ورعا ويكون تركه له على الوجه الاخر زهدا او ادبا له **قال** الامام رضي
الله عنه وقيل سيّب ابن المبارك دابة قيمتها كثيرة وصلى صلاة الظهر فرتعت الدابة في قرية سلطانية
فترك ابن المبارك الدابة ولم يركبها وقيل رجع ابن المبارك رحمه الله من مرو الى الشام في قلم استعاره
فلم يرده على صاحبه **قال** الشارح رضي الله عنه فاما تورع دابة ابن المبارك في قرية سلطانية
يعني انها مشتركة بين المسلمين وازدرعت باموال السلاطين فتورع من ركوب الدابة لما حصل
لها من القوة بما اكلته ومن هذا القبيل ما حكي ان ابن سيرين ارسل غلاما له ليشتري له فحما
فبعد شرائه علم انه من الصوافي فلم ياكله وان كان شراؤه صحيحا وعقد عليه عقدا شرعيا
والصوافي اراضي لم تقسم بين المسلمين اختص بها بعض الولاة والسلاطين لكثرة خراجها
وحسن غلتها واما توبته رد القلم من مرو الى الشام فهذا من باب العارية ولم يملكه القلم صاحبه
وانما اعاره له عارية مضمونة مؤداة فلم تركه لكان مطالبا به وقد تقدم ان تغيير الدم
بالاموال لا يشترط فيه عمد ولا نسيان ولا طاعة ولا عصيان فمن اكل مال المسلمين عند
الضرورة وجب عليه الاكل كان عليه غرمه ومن غصب شيئا وكان عاصيا بفعله كان
عليه غرمه وكذلك اذا اتلف مال شخص عمدا او نسيانا او خطا كان عليه غرمه ومن هذا القبيل
رجوع ابراهيم بن ادهم من بيت المقدس الى البصرة في التمرة التي دفعت من تمر البقال على
تمل ولم يشعر حتى نبهه عليها بالملكين وهو نائم تحت الصخرة وسافر الى البصرة والقصة
على تمر البقال وقد تقدمت الحكاية والفرق بين هذه الصورة وما تقدم لابراهيم انه سلم
له الفلم مختارا وقد اذن له في الانتفاع به والامر فيه قريب مما يتسامح الناس في مثله والتمرة
لم يعلم البقال بها ولا يدري ابراهيم كيف حاله لو علم هل يهون عليه او لا يهون فالامر في القلم
اخف من التمر من هذا الوجه **قال** الامام رضي الله عنه واستاجر النخعي دابة فسقط
سوطه من يده فنزل وربط الدابة ورجع واخذ السوط فقيل له لو حولت الدابة الى
الموضع الذي سقط السوط فاخذته فقال استاجرتها لامضي هكذا لا هكذا **قال**
الشارح رضي الله عنه وهذا ايضا من الورع الشافي وذلك لان الناس لا يتشاحون في مثل ذلك لان
على هذا القدر ولا سيما اذا كان الاسد قريبا فان سقوط السوط من يده مع كونه لا يستغني

مطلب

عنه

عنه وموضع ربطه الدابة حتى رجع واخذها انما يكون قريبا جدا ولكنه لما استاجر على ان يصل
به الى المكان الفلاني بكان العقد وقع على مضيه خاصة لا مضيه ورجوعه كرتين فتورع في هذه
الرجعة اليسيرة حتى ياخذ السوط وفيه ورع اخر وهو انه كان يقف في موضعه ويسال غيره
ان يناوله السوط الذي سقط منه ولكنه تورع من سؤال الناس وتسخيرهم كما حكي ان ابا
بكر الصديق رضي الله عنه كان راكبا على بعير فسقط مقود البعير من يده الى الارض فقال اخ
اخ فنوخ بعيره واخذ مقوده وركب عليه فقيل له في ذلك فقال سمعت النبي صلى الله عليه وسلم
يقول لا تسألوا الناس شيئا **قال** الامام رضي الله عنه وقال ابو بكر الزقاق تهت في تيه بني
اسرائيل خمسة عشر يوما فلما وافيت الطريق استقبلني جندي فسقاني شربة من ماء
فعادت قسوتها على قلبي ثلاثين سنة **قال** الشارح رضي الله عنه وهذا يدل على كمال ورعه
فانه كان لا يتقدم على شيء من الماكول او المشروب ولا غيره الا بما يكون على صاحبه امارة تدل على قلة
تحفظه في ماله والغالب على الجند قلة التحفظ فيما ياخذونه وكان في حالة سفر قد بلغت
الضرورة الى ان شرب من هذا الجندي ما عزم على تركه لولا انما قدم عليه لحاجة العطش فكان
يذكر ان نفسه قل صبرها حتى اخذت هذا الشيء من غير الوجه الذي عزم عليه وجعل الله
قسوة في قلبه والماء وهذا وجه والوجه الثاني ما شرحنا به ضربا ان العرق للمحاسبي وعدم
انسياغ الطعام لبشر وكونه لا تمتد يده الى طعام فيه شبهة يدل على هذا لكون القسوة التي وجدها
تدل على ان الماء الذي شربه لم يكن صافيا والله اعلم **قال** الامام رضي الله عنه ورئيت خاطت
رابعة شقا في قميصها في ضوء مشعل سلطان ففقدت قلبها زمانا حتى تذكرت فشقت قميصها
فوجدت قلبها **قال** الشارح رضي الله عنه وهذا يدل على ما قدمناه من تاويل المحاسبي
وبشر وما تقدم من احد الوجهين وهو ان تعاطي الحرمات والمكروهات وان لم يعلم المرء بها ولا يقدم
عليها متعمدا يكون لها تاثير في قلبه من القسوة وغيره وهذا خوف رابعة حفظ حتى لا
تنتفع بشيء من اموال السلاطين ومثله ما تقدم لاخت بشر الحافي لما سالت احمد بن حنبل فقالت انا نغزل
بالمشاعل الظاهرية ونحن نغزل على السطح افنغزل في شعاعها ام لا فقال من انت عافاك الله
قالت انا اخت بشر الحافي فبكى وقال لا تغزلي في شعاعها وكذلك رابعة لما خاطت شقا في قميصها
في ضوء مشعل السلطان وجدت القسوة حتى فتقته وهذا حفظ وتاديب من الله تعالى لمن
حلت رتبته تارة قبل الوقوع وتارة بعد الوقوع **قال** الامام رضي الله عنه ورئي سفيان
الثوري في المنام وله جناحان يطير في الجنة من شجرة الى شجرة فقيل له بم نلت هذا فقال
بالورع **قال** الشارح رضي الله عنه وهذه المقامات اصلها تدل على الترغيب والترهيب
فان كان العبد متورعا وهو يرتكب مشقة الورع ويشغل جده واجتهاده ويخشى عليه الهروب
منه فاذا اراد الله به خيرا اراه في النوم منازل الورعين وحالهم في الجنة وتنعمهم بها فتقوى

رحمك الله يدل على احد امرين اما ان يكون جهل سقطه ولم يعرفه فلما اشكل عليه تركه وتام عما عليه
من الحق لربه او يكون كشف له ما اراده البقال من امتحانه وهل هو من الزهاد او من العارفين حقا ان
الدنيا ويدل عليه قوله هذا سقط لا تجده نقال انما اردت ان امتحنك فيكون تركه له زهدا
وتعريفا له بان اهل الدين والزهد لا يلتفتون لشي من الدنيا ليتادب بذلك ولا يتخذ احدا اذا
لا حاجه له في ذلك واذا كان تركه ورعا على الوجه الاول فلا يلتفت لقوله مره ثانيه هذا سقطك
فانه اولا ادعى الجهاله به حتى قال له خذ سقطك منها فلم يلتفت لقوله الثاني ولم يحصل له غلبه
ظن به فتركه ورعا عليه ورعا ويكون تركه له على الوجه الاخر زهدا وادبا له قال الامام رضي الله
عنه وقيل سيب ابن المبارك دابه قيمتها كثيره وصلى صلاه الظهر فرتعت الدابه في قريه سلطانيه
فترك ابن المبارك الدابه ولم يركبها وقيل رجع ابن المبارك رحمه الله من مرو الى الشام في قلم استعاره
فلم يرده على صاحبه قال الشارح رضي الله عنه فاما تورع دابة ابن المبارك في قريه سلطانيه
يعني انها مشتركه بين المسلمين وازدرعت باموال السلاطين فتورع من ركوب الدابه لما حصل
لها من القوه بما اكلته ومن هذا القبيل ما حكي ان ابن سيرين ارسل غلاما له ليشتري له قمحا
فبعد شرائه علم انه من الصوافي فلم ياكله وان كان شراؤه صحيحا وعقد عليه عقدا شرعيا
والصوافي اراضي لم تقسم بين المسلمين اختص بها بعض الولاه والسلاطين لكثره نجابتها   لم
وحسن غلتها واما تورعه رد القلم من مرو الى الشام فهو من باب العاريه ولم يملكه القلم صاحبه
وانما اعاره له عاريه مضمونه موداه فلم يتركه لكان متطلبا به وقد تقدم ان تغيير الدم
بالاموال لا يشترط فيه عمد ولا نسيان ولا طاعه ولا عصيان فمن اكل مال المسلمين عند   معالات
الضرورة وجب عليه الاكل كان عليه غرمه ومن غصب شيئا وكان غاصبا بفعله كان
عليه غرمه وكذلك اذا اتلف مال شخص عمدا او نسيانا او خطا كان عليه غرمه ومن هذا القبيل
رجوع ابراهيم بن ادهم من بيت المقدس الى البصره في الثمره التي دفعت من ثمر البقال على
ثمن ولم يشعر حتى نبهه عليها بالملكين وهو نايم تحت الصخره وسافر الى البصره والقى ثمره
على ثمر البقال وقد تقدمت الحكايه والفرق بين هذه الصوره وما تقدم لابراهيم انه سلم
له القلم مختارا وقد اذن له في الانتفاع به والامر فيه قريب مما يتسامح الناس في حمله والثمره
لم يعلم البقال بها ولا يدرك ابراهيم كيف حاله لو علم هل يهون عليه او لا يهون فالامر في القلم
اخف من الثمر من هذا الوجه قال الامام رضي الله عنه واستاجر النخعي دابه فسقط
سوطه من يده فنزل وربط الدابه ورجع واخذ السوط فقيل له لو حولت الدابه الى
الموضع الذي سقط السوط فاخذته فقال استاجرتها لامضي هكذا لا هكذا قال
الشارح رضي الله عنه وهذا ايضا من الورع الشاقي وذلك لان الناس لا يتسامحون في كل الدواب
على هذا القدر ولا سيما اذا كان الاخذ قريبا فان سقوط السوط من يده مع كونه لا يستغني

عنه

عنه وموضع ربطه الدابه حتى رجع واخذه انما يكون قريبا جدا ولكنه لما استاجر على ان يصل
به الى المكان الفلاني مكان العقد وقع على مضيه خاصه لا مضيه ورجوعه كرتين فتورع في هذه
الرجعه اليسيره حتى ياخذ السوط وفيه ورع اخر وهو انه كان يقف في موضعه ويامر غيره
ان يناوله السوط الذي سقط منه ولكنه تورع من سوال الناس وتسخيرهم كما حكي ان ابا
بكر الصديق رضي الله عنه كان راكبا على بعير فسقط مقود البعير من يده الى الارض فقال اخ
اخ فنوخ بعيره واخذ مقوده وركب عليه فقيل له في ذلك فقال سمعت النبي صلى الله عليه وسلم
يقول لا تسالوا الناس شيا قال الامام رضي الله عنه وقال ابو بكر الزقاق تهت في تيه بني
اسرايل خمسه عشر يوما فلما وافيت الطريق استقبلني جندي فسقاني شربه من ما
فعادت قسوتها على قلبي ثلاثين سنه قال الشارح رضي الله عنه وهذا يدل على كمال ورعه
فانه كان لا يتقدم على شي من الماكول او المشروب ولا غيره اما يكون على صاحبه امانه قد الهمه الله
تحفظه في ما له والغالب على الجند قله التحفظ فيما ياخذونه وكان في حاله سفر قد بلغت
الضروره الى ان نشا ولكن هذا الجندي ما عزم على تركه بعد انما قدم عليه لعلمه العطش فكل
تذكران نفسه قل صبرها حتى اخذت هذا الشي من غير الوجه الذي عزم عليه وحصل له
قسوة في قلبه والما وهذا وجه الوجه الثاني ما شرحناه ضربا ان العرف للمحاسبي وعدم
انسياغ الطعام لبشر وكونه لا يمتد يده الى طعام فيه شبهه يدل على هذا تكون القسوه التي وجدها
تدل على ان الما الذي شربه لم يكن صافيا والله اعلم قال الامام رضي الله عنه ومن خاطت
رابعه شقا في قميصها في ضو مشعل سلطان ففقدت قلبها زمانا حتى تذكرت فشقت قميصها
فوجدت قلبها قال الشارح رضي الله عنه وهذا يدل على ما قدمناه في تاويل المحاسبي
وبشر وما تقدم من احد الوجهين وهو ان تعاطي الحرام والمكروه وان لم يعلم المرء بها ولا يقدم
عليها متعمدا يكون لها تاثير في قلبه من القسوه وغيره وهذا في حق رابعه حفظا حتى لا
تنتفع بشي من اموال السلاطين ومثله ما تقدم لاخت بشر الحافي لما سالت احمد بن حنبل فقالت انا نغزل
بالمشاعل الظاهريه ونحن نغزل على السطح افنغزل في شعاعها ام لا فقال من انت عافاك الله
قالت انا اخت بشر الحافي فبكا وقال لا تغزلي في شعاعها وكذلك رابعه لما خاطت شقا في قميصها
في ضو مشعل السلطان وجدت القسوه حتى فتقته وهذا حفظ ونادبت من الله تعالى لمن
جلت رتبته فانه قبل الوقوع وتاره بعد الوقوع قال الامام رضي الله عنه وروي سفيان
الثوري في المنام وله جناحان يطير في الجنه من شجره الى شجره فقيل له بم نلت هذا فقال
بالورع الورع قال الشارح رضي الله عنه وهذه المقامات اصلها ثم ليعلي الترغيب الترهيب
فان كان العبد متورعا وهو يرتكب مشقه الورع ويتحمل جهده واباوه ويخشى عليه الهروب
منه فاذا اراد الله به خيرا اراه في النوم منازل الورعين وحالهم في الجنه وتنعمهم فيها فيقوي

Copyright © King Saud University

رغبته وتشتد فيه طلبته واذا كان العبد مهملا للورع معتمدا على ما احبته نفسه ومال اليه
بشهوته سواء كان حراما او غيره فاذا اراد الله تعالى به خيرا اراه في النوم بعض المجتهدين المتورعين
يقول له ما فعل الله بك يقول الان كما تخلصت من الحساب فيكون ذلك سبب توبته ورجوعه
عن حوبته فيقول في نفسه اذا كان هذا الرجل الكبير الذي يعرف اجتهاده كما تخلص من حسابه
فكيف حالي وما انا عليه من تخليطي ويكون سببا لجده في الخير ورجوعه عن الشر قال الامام
رضي الله عنه ووقف حسان بن ابي سنان على اصحاب الحسن فقال اي شيء اشد عليكم فقالوا الورع
فقال ما لشيء اخف علي منه فقالوا فكيف فقال لم ارو من نهركم منذ اربعين سنة قال الشارح
رضي الله عنه وهذا يدل على كمال الزهد في الدنيا ونعيمها فانه على حسب تمكن الزهد في القلب يخف
الورع ويهون سلوكه وذلك ان الزهد عزوف النفس واعراضها عن الحلال الفاني ومن تعود ذلك
وتخلق به كان عزوفه عن المشكل وما فيه شبهة اخف واسهل واراد رضي الله عنه ان ينقل اصحاب
الحسن من الورع الى مقام الزهد فدلهم على ذلك بفعله الذي هو انجع في الواعظين قوله
وهو انه لم يشرب من نهرهم اربعين سنة الذي هو متبسم عليه وما كان ذلك الا داخلا في الورع
والله اعلم الا انه نظر في حفره وتهيئته لجريان المائية كما يصنع في بلادنا في الجسور والترع
والخليج وغيره وتسخير الفقراء واخذا بغير اجرهم جبرا ولا قوة الا بالله قال الامام رضي الله
عنه وكان حسان ابن ابي سنان لا ينام مضطجعا ولا ياكل سمينا ولا يشرب باردا ستين سنة
فرؤي في المنام بعدما مات فقيل له ما فعل الله بك فقال خيرا الا اني محبوس عن الجنة بابرة استعرتها
فلم اردها قال الشارح رضي الله عنه وهو كمثل القتيل الذي شرحناه في العلم المتقدم وهذا
حاله كذلك في الابرة التي لم يردها هذا مع كمال زهده وكمال ورعه وانه لا ينام في الليل مضطجعا
لكمال شغله بربه حتى ينام على حالته التي هو عليها ولا ياكل سمينا ولا يشرب باردا زهدا كله
لزهده في الدنيا وبعد هذا لم يسامح في الابرة فلا اكانا لحبيب الرقيب لا يسامح في حقوق الناس
من الغيبة والنميمة والسب والقذف وغير ذلك من الجرحات فانا لله وانا اليه راجعون
خالق الارض والسموات ونسله التوبة قبل الممات قال الامام رضي الله عنه وكان لعبد الواحد
ابن زيد غلام خدمه سنين وتعبد اربعين سنة وكان في ابتدا امره كيالا فلما مات
رؤي في المنام فقيل له ما فعل الله بك فقال خيرا غير اني محبوس عن الجنة وقد اخرج علي من غبار
القفيز اربعين قفيزا قال الشارح رضي الله عنه وذلك ان الكيال اذا اكتال القمح وغيره
ربما فيه التراب يحصل التراب في اسفل الكيل فاذا لم ينفضه مرة ثانية وقت الكيل واكتال الكيلة
مرة اخرى تزايد التراب على التراب ومنع ذلك التراب غيره من القمح او ما يكال ان يكون مكانه
فاذا دام على ذلك سنين صح ان يكون عليه شيء كثير من الحقوق التي اكلها الناس وضيعها عليهم بكونه
لم ينفض المكيال في كل كيله واما كونه محبوسا عن الجنة فقد ورد في الخبر الصحيح خرجه البخاري

وفقك الله م

وهو

١/١٥٣

وهو ان المؤمنين اذا خلصوا من الصراط حبسوا على قنطرة بين الجنة والنار ليقتص لبعضهم من
بعض مظالم كانت بينهم في الدنيا فاذا هذبوا ونقوا اذن لهم في دخول الجنة فلاحدهم اعرف
بمنزله في الجنة منه بمنزله كان في الدنيا بالمعروف ذلك وحمل عليه بعض المفسرين في قوله تعالى
ويدخلهم الجنة عرفها لهم قال الامام رضي الله عنه ومر عيسى عليه السلام بمقبرة فنادى رجلا
منهم فاحياه الله سبحانه فقال من انت قال كنت حمالا انقل للناس فنقلت يوما لانسان حطبا
فكسرت منه خلالا تخللت به فانا مطالب به منذ مت قال الشارح رضي الله عنه وهذا دخل الله
مندرج تحت ما قدمناه من حقوق الادميين وانه لا يسامح بشيء منها وفي هذه الحكاية زيادة
عما تقدم من اخذ التراب من الحايط لان تراب الحايط بغير اذن صاحبه والامر والحطب فان
فيها خيانة لانه ايتمنه على حمل الحطب وقد قال صلى الله عليه وسلم اد الامانة الى من ايتمنك
ولا تخن من خانك قال الامام رضي الله عنه وتكلم ابو سعيد الخراز في الورع فمر به العباس
ابن المهتدي فقال يا ابا سعيد اما تستحي ان تجلس تحت سقف ابي الدوانيق وتشرب من
بركة زبيدة وتتعامل بالمزيفة وتتكلم في الورع قال الشارح رضي الله عنه وهذا دخل
الله توبيخ لمن يتكلم في الورع ولا يتخلق بخصاله داخل تحت قوله تعالى يا ايها الذين امنوا لم تقولون
ما لا تفعلون كبر مقتا عند الله ان تقولوا ما لا تفعلون وهذا وان صح امره في الواجب
الذي يامر الرجل الناس به وهو تارك له لاخلاله به او ينهاهم عن الحرام وهو ملابسه فقد يكون
الاولى ان يتكلم الانسان في اقسام المندوبات ودرجات المكروهات خوفا من دعوى نفسه
انه متخلق بهذه الخيرات وربما ادعت نفسه ذلك واشارت اليه في بعض الحالات فيكون
متشبعا بما لم او مرائيا طالبا لحصول المنزلة في قلوب الخلق على الطاعات واما من صحت نيته
في العلم وتكلم فيه لبيان الاحكام وتفاوت الدرجات والفرق بين المقامات لتيسير السلوك
على السالكين وزوال التخليط في احكام الدين فنفس كلامهم في هذا من جملة الاعمال اذا صحت فيه
النيات بل هو من فروض الكفايات التي لا يعرى ولا يزاد فيها في الفضل سائر
المندوبات وهذا كله بشرط السلامة فيما ذكرناه من الافات قال الامام رضي الله عنه
باب الزهد انا ابو القسم حمزة ابن يوسف السهمي الجرجاني نا ابو الحسين
عبيد الله بن احمد بن يعقوب المقري ببغداد نا احمد نا جعفر بن مجاشع نا زيد بن اسمعيل
نا كثير بن هشام نا الحكم بن هشام عن يحيى بن سعيد عن ابي فروة عن ابي خلاد وكانت له
صحبة قال قال النبي صلى الله عليه وسلم اذا رايتم الرجل قد اوتي زهدا في الدنيا ومنطقا
فاقتربوا منه فانه يلقن الحكمة اختلف الناس في الزهد فمنهم من قال الزهد في الحرام
لان الحلال مباح من قبل الله سبحانه فاذا انعم الله تعالى على عبد بمال من حلال وتعبده بالشكر
عليه فتركه باختياره لا يقدم على امساكه بحق اذنه ومنهم من قال الزهد في الحرام واجب

ابن مريم م

اي ل

الحلال ن

Copyright King Saud University

والبعد

وفي الحلال فضيلة فان انال المال والخلق صابر نحاله راض بما قسم الله تعالى له قانع بما يعطيه
ام من توسعه وتبسطه في الدنيا والله سبحانه زهد الخلق في الدنيا بقوله تعالى قل متاع
الدنيا قليل والآخرة خير لمن اتقى وغير ذلك من الآيات الواردة في ذم الدنيا والتزهيد فيها
ومنهم من قال اذا انفق ماله في الطاعة وعلم من حاله الصبر وترك التعرض لما ينهاه الشرع
في حال العسر فحينئذ يكون زهده في المال الحلال اتم ومنهم من قال ينبغي للعبد ان لا يختار ترك
الحلال بتكلفه ولا طلب الفضول مما لا يحتاج اليه ويراعي القسمة فان رزقه تعالى مالا من حلال
شكره وان رزقه الله تعالى على حد الكفاف لم يتكلف في طلب ما هو فضول المال فالصبر احسن
بصاحب الفقر والشكر اليق بصاحب المال قال الشارح رضي الله عنه ما تقدم من الاقوال
في الزهد خارج عن حقيقته وماهيته فبعضهم تكلم على حكمه وبعضهم تكلم في المزهود فيه وبعضهم
تكلم في القناعة بما تيسر وبعضهم اشار الى الصبر والشكر في النعمة والضيق وهذا كله خارج (النعمه)
عن حقيقة الزهد ونحن ان شاء الله نبين حقيقته ونذكر الاسباب الموصلة اليه والثمرات المترتبة
عليه وادلة الشرع وحضها على التخلق به من الخبر الصحيح على ما سيأتي ان شاء الله تعالى اما حقيقة
الزهد فهو عزوف النفس عن الدنيا واعراضها عنها بالقلب وهو ضد الرغبة فيها فالعبد اما زاهد
واما راغب ولا يصح عزوف النفس عن الدنيا الا اذا عرف حقارتها وصغرها عند الله تعالى فمن عرف حقارة
الشيء زهد فيه ومن عرف شرفه رغب فيه وبهذا الاعتبار قال الله تعالى لاخوة يوسف وشروه
بثمن بخس اي باعوه بثمن بخس دراهم معدودة وكانوا فيه من الزاهدين وذلك لقلة معرفتهم بقدره
عند الله واعراضهم عنه بما ظنوه من صرف وجه ابيهم عنهم بسببه وكذلك الزهد في الدنيا يكون بوجهين
احدهما معرفة صغرها وخسة قدرها عند الله ويستدل على ذلك بما فيه كفاية الثاني انها تشغل (ونه)
عن التفرغ لعبادة الله تعالى والشغل بمناجاته وتشويش القلب على قدر رغبته فيها فمن عرف الله
تعالى وشرفه وجلاله وعظمته وكل اشتغاله به زهد في كل ما يقطعه عنه او يشوشه عليه
وهذا زهد العارفين وما قدمناه من المعرفة بحقارة الدنيا وخستها زهد اكثر العابدين قال الله
تعالى قل متاع الدنيا قليل وقال صلى الله عليه وسلم لو كانت الدنيا تعدل عند الله جناح بعوضة
ما سقى كافرا منها شربة خرجه الترمذي وقال هذا حديث صحيح وروى البخاري عن انس قال
كانت ناقة لرسول الله صلى الله عليه وسلم تسمى العضباء وكانت لا تسبق فجاء اعرابي على قعود له
فسبقها فاشتد ذلك على المسلمين وقالوا سبقت العضباء فقال النبي صلى الله عليه وسلم ان حقا على
الله ان لا يرفع شيء من الدنيا الا وضعه ويكفي بهذا نقصا للدنيا على العموم في كل ما رفع منها وروى
الترمذي ايضا ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ما الدنيا في الآخرة الا مثل ما يجعل احدكم اصبعه
في اليم فلينظر بما يرجع وقال هذا حديث حسن صحيح وخرج البخاري يرفعه الى رسول الله صلى الله عليه (ابي هريرة قال قال م)
وسلم تعس عبد الدنيا وعبد الدرهم والقطيفة والخميصة ان اعطي رضي وان لم يعط لم يرض ودائما

اسباب

اسباب الزهد فالحوامل عليه شرعا وهي قصر الامل فان العبد متى قصر امله واستشعر نزول
الموت عليه وسرعته فراقه للدنيا قلت رغبته فيها وتركت همته عن تحصيلها وقد قال
صلى الله عليه السلام كفى بذكر الموت مزهدا ومنها ما يحصل التشاغل بها عن الخيرات ويوقعه
بسبب ذلك في البليات يدل عليه قوله صلى الله عليه وسلم كما رواه مسلم اذا فتحت عليكم فارس
والروم اي قوم انتم قال عبد الرحمن بن عوف نقول كما امرنا الله قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم او غير ذلك تتنافسون ثم تتحاسدون ثم تتدابرون ثم تتباغضون ونحو ذلك ثم تنطلقون
في مساكين المهاجرين فتجعلون بعضهم على رقاب بعض يدل هذا الحديث ان اتساع الدنيا يحصل
عنه معاص عظيمة من التباغض والتحاسد والتقاطع والتدابر وظلم الناس بعضهم بعضا
فاذا عرف العبد اقتران الدنيا بهذه الشرور زهد فيها واعرض عن طلبه تحصيلها واما
ثمرات الزهد فبرودة القلب عن كسبها وعدم الالتفات اليها عند حصولها وصرفها في
جهتها يدل عليه ما رواه البخاري قال اتي رسول الله صلى الله عليه وسلم بمال من البحرين فقال
انثروه في المسجد وكان اكثر مال اتي به رسول الله صلى الله عليه وسلم فخرج رسول الله صلى
الله عليه وسلم الى الصلاة ولم يلتفت اليه فلما قضى الصلاة جاء فجلس اليه فما كان يرى احدا
الا اعطاه اذ جاء العباس فقال يا رسول الله اعطني فاني فاديت نفسي وفاديت عقيلا فقال له رسول
الله صلى الله عليه وسلم خذ فحثى في ثوبه ثم ذهب يقله فلم يستطع فقال يا رسول الله امر بعضهم يرفعه (فلم يستطع م)
الي قال لا قال فارفعه انت علي قال لا فنثر منه ثم ذهب يقله فقال يا رسول الله امر بعضهم
يرفعه علي قال لا قال فارفعه انت علي قال لا فنثر منه ثم احتمله فالقاه على كاهله ثم انطلق فما
زال رسول الله صلى الله عليه وسلم يتبعه بصره حتى غاب عنا عجبا من حرصه فما قام رسول
الله صلى الله عليه وسلم وثم منها درهم فهكذا ونقل الله حال من كمل زهده ان يعرض عن الدنيا
زهدا فيها وان يصرفها لمستحقها بسهولة ولا يبالي بكثرتها او قلتها فان العباس رضي الله عنه اسر يوم
بدر هو وعقيل ففدى نفسه وفداه بماله فلما فتح الله عليه المال طلبه من النبي صلى الله عليه
وسلم ليقضي ما عليه فدل ذلك على ان ترك الدنيا واخراجها في جهة البر ليس هو الزهد
وانما هو ثمرة من ثمراته وفي دعا النبي صلى الله عليه وسلم ربه ان يجعل رزق آل محمد كفافا لا اقتار
ولا اسراف وقوله في الصحيح قد افلح من اسلم وكان قوته كفافا وقنعه الله وغير ذلك من الادلة
المحقرة للدنيا المزهدة فيها ويكفي في حقارة قدرها عند الله وهوانها كونه يوسعها على اعدائه
ويضيقها ويبعدها عن انبيائه واوليائه فقد قال تعالى في كتابه المبين ولولا ان يكون الناس
امة واحدة لجعلنا لمن يكفر بالرحمن لبيوتهم سقفا من فضة ومعارج عليها يظهرون ولبيوتهم
ابوابا وسررا عليها يتكئون وزخرفا قال الزخرف الذهب فاخبر تعالى انه لولا رحمته بضعفاء المؤمنين
ان يسبق اليهم ان اكرام الله تعالى للكفار بالدنيا يدل على ان لهم عنده قدرا لجعل سقف بيوتهم

وسلالمهم التي يظهرون عليها الى سطوحهم وابواب بيوتهم واسرتهم التي يتكئون عليها ذهبا وفضة ثم صغر ذلك وحقره بقوله وان كل ذلك لما متاع الحياة الدنيا المنقضية الفانية والاخرة عند ربك للمتقين يعني الكاملة الباقية فهذا دلالة الزهد ومعرفة حقيقته واشباهه ونظائره بالايات والصحيح من الاخبار فقد تحقق بذلك ان حقيقة الزهد هي استصغار الدنيا والعزوف عنها يعني الاعراض استقلالا لها واستحقارا وكما انه لو عمد فيما يقارنها التعظيم والمحبة فالعزوف عنها يقارنها الاستقلال والكراهة واذا صح هذا المعنى في القلب وصار حالة له واستوى عنده وجود الدنيا وعدمها فلا يحفظها لمحبته لها ولا لدوام انتفاعه بلذاتها ولا يبذلها لتحصيل ما هو افضل منها في الدنيا من الحظوظ او جاهها ويكون امساكه واخراجه لها على حسب ما يقتضيه الادلة الشرعية فما كان يجب عليه الامساك او يندب وقال النبي عن تحصيله والطلب فهو على حسب ما يقتضيه الاحكام منه وعليه في الاقدام والاحجام **قال** الامام رضي الله عنه وتكلموا في معنى الزهد فكل نطق عن وقته واشار الى حده سمعت الشيخ ابا عبد الرحمن السلمي رحمه الله يقول سمعت احمد بن اسماعيل الازدي يقول سمعت عمران بن موسى الاسفنجي يقول سمعت الدورقي قال سمعت وكيعا قال قال سفيان الثوري الزهد في الدنيا قصر الامل ليس باكل الغليظ ولا لبس العبا **قال** الشارح رضي الله عنه وهذا فضل الله انما كان من سفيان ادبا لمن تقلل من الدنيا في لباسه وطعامه وبقي عليه الشح بالحياة فبين ان من طال امله فانما الباعث له على ذلك دوام التنعم بالحياة ومن طال امله ضرب الاجال لاعمال البر وسوف فاخره كما ورد في هذه الصفات الذميمة وقصد مداواته خاصة ولم يتعرض لبيان حقيقة الزهد فانا قد حققنا ان قصر الامل من الزهد وقد نقلنا عن النبي صلى الله عليه وسلم بقوله كفى بذكر الموت من هذا فجعله مزهدا حاملا على تحصيل الزهد فان من قصر امله استغنى عن كثير من الدنيا واقتصر على قوت يومه او ساعته على حسب همته وجد في اصلاح حالته قبل موته وفوات منيته **قال** الامام رضي الله عنه وسمعته يقول سمعت سعيد ابن احمد يقول سمعت عباس ابن عاصم يقول سمعت الجنيد يقول سمعت السري يقول ان الله سبحانه سلب الدنيا عن اوليائه وحماها عن اصفيائه واخرجها من قلوب اهل وداده لانه لم يرضها لهم **قال** الشارح رضي الله عنه وذلك ان سلبه لها قد يكون مع محبتهم لها فيمنعهم منها حفظا لهم وسلامة من شرها وحماها عن اصفيائه اي امسكها عنهم فلم يوتهم اياها اكراما لهم كي لا تشغل قلوبهم واخرجها من قلوب اهل وداده اي لم يخطرها ببالهم بالكلية شغلا بمحبته والانس به فالاولياء اخرجها عنهم جبرا باسباب التلاف والاصفياء لم يحصلها لهم حفظا لاحوالهم عن الاختلاف واهل وداده لم يخطرها لهم لجمع همهم عليه وكمال الايتلاف **قال** الامام رضي الله عنه وقيل الزهد من قوله سبحانه لكي لا تاسوا على ما فاتكم ولا تفرحوا بما اتاكم فالزاهد لا يفرح بموجود من الدنيا ولا يتاسف على مفقود منها **قال** الشارح رضي الله عنه وقد ذكرنا ان الاية

عن ان

عن ان الزهد وصفات الزاهد من كان من عزفت نفسه عن الدنيا وقلت رغبته فيها لم يبال لحصولها ولا ذهابها لا حتى ابه بما انفق منها وكيف ما انفق **قال** الامام رضي الله عنه وقال ابو عثمان الزهد ان تترك الدنيا ثم لا تبالي من اخذها وسمعت الاستاذ ابا علي الدقاق رحمه الله عليه يقول الزهد ان تترك الدنيا كما هي لا تقول ابني رباطا او اعمر مسجدا **قال** الشارح رضي الله عنه فقد اجتمعت هذه الاقوال على ان الزاهد اذا اعرض عن الدنيا لا يبالي من اخذها ولا فيما صرفها وكذلك اذا تركها لم يبق في قلبه التفات اليها فهذه كلها من علامات الزاهد ففي الاول لا يبالي من اخذها وكذلك الزاهد لا يخرجها لعوض عاجل يجد نفسه راحة الثناء عليها به فلا اقول ابني رباطا ولا اعمر مسجدا فان النفس تحب الثناء عليها بما ينسب اليها من الاثار والاسباب التي تكون بعد موتها ولم يكن رضي الله عنه فعل هذه الخيرات لذاتها وانما اراد ان الزاهد يهون عليه بذل الدنيا في اي وجه تيسر له من الخيرات وقلة رغبته فيها ثم لا يحرص عليها ولا لمحبته عوض عنها **قال** الامام رضي الله عنه وقال يحيى ابن معاذ الزهد يورث السخا بالملك والحب يورث السخا بالروح **قال** الشارح رضي الله عنه وهذا يدل على ان الزاهد لا كلفة عليه في بذل الدنيا وان جلت وكثرت واما المحب فهو يسهل عليه بذل روحه لله وفي الله وشتان بين من هان عليه ما على الله وبين من خف عليه ان يهلك في الله **قال** الامام رضي الله عنه وقال ابن الجلا الزهد هو النظر الى الدنيا بعين الزوال لتصغر في عينك فيسهل عليك الاعراض عنها **قال** الشارح رضي الله عنه وهذا قد ناسب الزهد واشار الى حقيقته وهو معرفة صغر الدنيا وقلة قدرها عند الله فتعرض بنفسه عنها وهذا العزوف فقد اشار الى حقيقة الزهد وهو استصغار الدنيا والعزوف عنها **قال** الامام رضي الله عنه وقال ابن خفيف علامة الزهد وجود الراحة في الخروج من الملك وقال ايضا الزهد سلو القلب عن الاسباب ونفض الايدي من الاملاك **قال** الشارح رضي الله عنه فقد اشتركت الحكايات في علامة الزهد وصحة اتصافه فالاول يجد الراحة في عدم الدنيا كما يجد غيره من المحبين لها الراحة من حصولها وذلك لعلمه بما يلحق القلب عند وجودها من التشويش في حفظها وكيف يصرفها وابتداء احوالها خوفه على قلبه من التعلق بها فاذا صرفها او خرجت عنه وجد الراحة بقلبه لسلامته عما يخاف منها من الافات او يترتب على وجودها من التكثير واما قوله الزهد سلو القلب عن الاسباب يعني اسباب التحصيل لما حصل منها ونفض الايدي عن بذل ما حصل منها فخلاصة هذا ان الزاهد لا يطلبها لمحبتها واذا حصلت يخرجها لقلة رغبته فيها **قال** الامام رضي الله عنه وقال الزهد عزوف النفس عن الدنيا بلا تكلف **قال** الشارح رضي الله عنه وهذا ايضا كلام في بيان حقيقة الزهد وقوله بلا تكلف للفرق بين الزهد والمتزهد فالمتزهد يتكلف الاعراض عنها والزاهد لا يتكلف ذلك لطمانينته

Copyright © King Saud University

قلبه من صغر قدرها وما يترتب عليه من ضررها قال الامام رضي الله عنه سمعت الشيخ ابا عبد
الرحمن السلمي رحمه الله يقول سمعت النصراباذي يقول الزاهد غريب في الدنيا والعارف غريب
في الاخرة قال الشارح رضي الله عنه وذلك ان الزاهد على الحقيقة في الدنيا قليل نادر
والغريب من لم يجد له شبيها ولا انيسا ولا قريبا وكما ان الزاهد غريب في اهل الدنيا كذلك
العارف غريب في اهل الاخرة وذلك ان اكثر العمال للاخرة اما ان يعملوا خوفا من العقاب او رجا
لكثير الثواب والعارف بالله عز وجل الذي استغرق معرفته جلاله وعظمته بقلبه وتحقق
عنده وجوب العبودية له لحق امره ونهيه فهذا هو العارف بحق الله تعالى عليه
الذي لم يعذبه ولم يثبه لم يترك العمل له لصحة ملكه له ولحق امره ونهيه فان من لم يعمل الا
خوف العقاب فلو زال عنه خوف العقاب لم يعمل شيئا فهو اسوا العبيد ومن لم يعمل الا
للثواب ولو لم يثب على عمله لم يعمل اشبه الاجراء المستاجرين ومن تحقق عنده صحة ملكه
لمولاه وعلم انه امره ونهاه وعمل لذلك ولمحبة رضاه عنه كان متحققا بالعبودية لمولاه
وهذا غريب في ابناء الاخرة قال الامام رضي الله عنه وقيل من صدق في زهده اتته الدنيا
راغمة ولهذا قيل لو سقطت قلنسوة من السما لما وقعت الا على راس من لا يريدها قال
الشارح رضي الله عنه وهذا يحتمل وجهين احدهما ان الزاهد لا رغبة له في الدنيا ولا محبة له
في نعيمها ولا نيل درجاتها وما قدر الله تعالى له من قوته الذي لا بد له منه اتاه رغما لضمان الله
له فهذا احد الوجهين الوجه الثاني ان الله تعالى قد يمتحن الزاهدين بالدنيا فيوالبها
عليهم كما قال تعالى انا جعلنا ما على الارض زينة لها لنبلوهم ايهم احسن عملا وان احسن العمل فيها
الزهد فيها وبهذا الاعتبار قيل لو وقعت قلنسوة من السما لما وقعت الا على راس من لا يريدها
فهي تقع له ابتلا وامتحانا ولا ادب له فيها وليس هذا لكل الزهاد بل يحفظ الله تعالى بعضهم ولا
يبتليهم بها ابقا لحفظ قلوبهم اما لضعفهم او لقوتهم وما يعلمه منهم ولقد عرضت الدنيا
على نبينا صلى الله عليه وسلم ان تسير معه جبال تهامة ذهبا وفضة فقال يا رب اجوع
يوما واشبع يوما فان شبعت شكرت وان جعت تضرعت قال الامام رضي الله عنه وقال
الجنيد الزهد خلو القلب عما خلت منه اليد قال الشارح رضي الله عنه وهذا رد على من زعم
ان الزهد هو خلو اليد من الاملاك خاصة او وجود ما يأتي العبد وانما هذا اثار الزهد وعلاماته
بل الزهد على الحقيقة من اعمال القلوب واخلا القلب من محبة الدنيا في الحفظ والرغبة
في التحصيل كان زاهدا قال الامام رضي الله عنه وقال ابو سليمان الداراني الصوف علم من اعلام
الزهد فلا ينبغي ان يلبس صوفا بثلاثة دراهم وفي قلبه رغبة خمسة دراهم قال الشارح
رضي الله عنه هذا فيه اشارة الى الزهد في القلب ليس بلبس الغليظ ولا باكل الخشن وان كان
هذا مما يعين للزهد اذا صح الزهد في القلب اجتزا العبد بما يقوم بضرورته وقته من الخبز

والبرد

والبرد ذا الجوع وربما كان هذا منه مداواة لمن يشتغل بظاهره ويظهر من باطنه شدة الرغبة
اذا تيسر له ذلك فاخبره انه ليس بزاهد لان الزهد ضد الرغبة وهو من اعمال القلوب وقد
يتقلل في الطعام واللباس الزاهد وغير الزاهد ومن يشح على نفسه بماله ومن يجمعه لبعض اغراضه
قال الامام رضي الله عنه وقد اختلف السلف رضي الله عنهم في الزهد فقال سفيان الثوري
واحمد بن حنبل وعيسى ابن يونس رحمهم الله وغيرهم الزهد في الدنيا انما هو قصر الامل وهذا
الذي قالوه يحمل على انه امارات الزهد والاسباب الباعثة عليه والمعاني الموجبة له وقال
عبد الله بن المبارك الزهد هو الثقة بالله تعالى مع حب الفقر وبه قال شقيق البلخي ويوسف
ابن اسباط وهذا ايضا من امارات الزهد فانه لا يقوى العبد على الزهد الا بالثقة بالله
تعالى وقال عبد الواحد بن زيد الزهد ترك الدينار والدرهم وقال ابو سليمان الداراني
الزهد ترك ما يشغل عن الله سبحانه سمعت محمد بن الحسين رحمه الله يقول سمعت احمد بن علي
يقول سمعت ابراهيم بن فاتك يقول سمعت الجنيد رحمه الله يقول وساله رويم عن الزهد
فقال استصغار الدنيا ومحو اثرها من القلب قال الشارح رضي الله عنه وهذه الاقوال كلها
بعيدة عن الزهد الا قول الجنيد فان الثوري واصحابه حدوه بالحامل على الزهد وهو قصر
الامل فان من قصر امله قلت رغبته واعرضت عنها همته واما من قال الثقة فهذا ليس من اسباب
الزهد سبيل بل هو من اسباب التوكل فان من وثق بان الله تعالى ياتيه بما ينفعه وقت حاجته
اعتمد على قلبه عليه وهو التوكل وقد يكون الشخص شديد الرغبة في الدنيا محبا لكثرها حريصا
ويثق بقلبه بان الله يفتح له بها واما قول عبد الواحد بن زيد رحمه الله ترك الدينار والدرهم فهذا من
ثمرات الزهد لا نفسه فان من قلت رغبته في الشي وصغر في عينه لم يحفظه ولا حرص عليه ولا
يحتاج اليه وهو ثمرة من ثمرات الزهد ولم يعم كل ما يزهد فيه بل بعضه فان الزهد يجري في غير
الدينار والدرهم من المطعوم والملبوس والجاه والراحة من التعب في الدنيا واما قول ابي سليمان
الداراني رحمه الله فهو راجع الى المزهود فيه وعبر عنه بالترك الذي هو من الزهد وقد
يترك الانسان ما يشغله عن الله لا لصغره عنده ولا لزهده فيه بل لشغله بما هو اشرف
منه وافضل واشد هذه الاقوال واجراها على مقتضى اللغة وتحقيق الزهد شرعا هو قول
الجنيد وهو قوله استصغار الدنيا ومحو اثارها من القلب وهو كما قال شيخه المحاسبي
رحمهما الله استصغار الدنيا والعزوف عنها والعزوف هو الاعراض عن الدنيا استصغارا
لها فمن اعرض عن الدنيا استصغارا لها حتى لم يبق لها في قلبه اثر لا محبة ولا ميل ولا
ذكر ولا لذلك لصغرها عنده فهو كامل في الزهد قال الامام رضي الله عنه وقال السري لا
يطيب عيش الزاهد اذا اشتغل عن نفسه ولا يطيب عيش العارف اذا اشتغل بنفسه
قال الشارح رضي الله عنه وذلك ان الزاهد شغله باعراض نفسه عما يلتفت اليه
ملتفته

Copyright © King Saud University

ايه من محبوبات الدنيا فهو يتعود الزهد في المال ثم في الطعام والشراب ثم في اللباس ثم في الجاه
ثم في الراحه والكسل ثم في بذل النفس لله في الجهاد فهو مشغول في تمكين الزهد في قلبه لساير
اقسام الدنيا فانه متى زهد في شي من الدنيا وبقي عليه شي لم يزهد فيه لم يكمل زهده ولذلك
سيل الجنيد رضي الله عنه عن من لم يبق عليه من الدنيا الا مص نواه قال المكاتب عبد ما بقي عليه
درهم اشار الى قوله صلى الله عليه وسلم تعس عبد الدينار وعبد الدرهم وعبد القطيفه والخميصة
فقال من بقي عليه من الشهوات لو تنعم بمص نواه من محض القران علم تكمل حريته من رق الشهوات
وعبر عن ذلك بان قال المكاتب عبد ما بقي عليه درهم واما العارف فانه مشغول بمعرفته
وتنعمه بمعرفته جماله وجلاله وتلذذه بمناجاته في ليله ونهاره فكيف به والاشتغال بنفسه
حتى اشتغل بنفسه لم يطب له عيش لان طيب عيشه بمولاه وشغله به لا بسواه قال
الامام رضي الله عنه وسيل الجنيد رحمه الله عن الزهد فقال خلو البدن من الملاك والقلب من
التتبع قال الشارح رضي الله عنه وهذا والله اعلم خرج منه مخرج المداراه لمن راه ينفق
الدنيا ويخرجها في جهات الخير والبر ثم يتبعها بكلامه او قلبه مدحا او تندما فان اتبعها حسن
نفساد وان اتبعها استحسانا ومحبه لصنعه وما يجري مجراه فهو لم يزهد بالكليه لانه
اخرج مالا واخذ جاها واحبه بقلبه فكان الجنيد اوى من هذه صفته بان كمال زهده
ان لا تلتفت الى ما خرج من يده ولم يتعرض لحد الزهد فان الزهد حده ما ذكر اولا
الامام رضي الله عنه وسيل الشبلي رحمه الله عن الزهد فقال ان تزهد فيما سوى الله تعالى
قال الامام رضي الله عنه وقال يحيي ابن معاذ لا يبلغ احد حقيقه الزهد حتى يكون فيه ثلاث
خصال عمل بلا علاقه وقول بلا طمع وعز بلا رياسه قال الشارح رضي الله عنه قد تقدم — وفعـ
غير مره ان حقيقته التي هي غلبه احواله على القلب كما تقدم في حديث حارثه لما سيل عن حقيقه
الايمان فاجاب بالعزوف عن الدنيا ورويه الجنه والنار والعرش الذي هو متعلق الايمان
وكذلك ما كان الزهد هو رديه في ساير اقسام الدنيا من جاهها ومالها عبر بحقيقه الزهد — المزهود
عن غلبه حال الزهد على قلب الزاهد في ساير اقسام الدنيا فقوله عمل بلا علاقه يعني خالصا لله تعالى
لم يكن لعله من علل الدنيا كحب المحمده وخوف المذمه والطمع لما في ايدي الناس فهو علاوة
العمل الدنيويه وعلاقه الاخرويه خوف العقاب ورجا الثواب فكمال زهده في الحظوظ العاجله
والاجله ان يكون عمله لوجه ربه خاصه وطلب رضاه دون غيره وكذلك قوله قول بلا طمع ان
يخلص في اقواله كما اخلص في اعماله وان يخلص قوله ووعظه وتنبيهه لله وحده لا لطمع
عاجل ولا اجل وعز بلا رياسه ان يكون في نفسه عزيزا عن ان يذل في طلب الدنيا فيتعاطى الامور
الخسيسه التي تزري بقدره في الدنيا او المحرمه التي تزري بقدره في الاخرى كركوبه البحار
في وقت الاعرار وسفره الى بلاد الكفار وكذلك ان يذل لغيره من ابنا الدنيا ويتكبر بل ما علمه

القهر

القهر والصغار وانما يكون عزه بمولاه وبما اغناه به من فضل عن دنياه وعمن سواه لا الدالة
الا اياه قال الامام رضي الله عنه وقال ابو حفص الزهد لا يكون الا في الحلال ولا حلال في
الدنيا فلا زهد قال الشارح رضي الله عنه وهذا خرج مخرج التحريض على طلب الحلال حتى يأتي
الزهد فيه فقوله لانه متى كان الشي مشكل الحكم كان الاعراض عنه زهدا او قوله لا حلال على
وجه الاستبعاد وندور الحصول كما قال بعضهم لا نا قله الا للنبي صلى الله عليه وسلم
لانه قد غفر له ما تقدم من ذنبه وما تاخر وقد تحفظ الله تعالى بعض اوليايه ولا يقع
في كبيره ويكون اجتنابه الكباير مكفرا للصغاير وتسلم له فرايضه ونوافله في الاخره ولكن هذا
من النوادر وكذلك من حصل الحلال من كل وجه وخلصه من كل شبهه قليل نادر الوجود
ولا سيما مع فساد المعاملات وكثره التخليط في التصرفات في هذه الاوقات قال الامام
رضي الله عنه وقال ابو عثمان ان الله تعالى يعطي الزاهد فوق ما يريد ويعطي الراغب دون ما يريد
ويعطي المستقيم موافقه ما يريد قال الشارح رضي الله عنه وذلك صحيح فان من كمل
زهده في الدنيا اي شي اتاه منها رآه فوق حاجته لقله رغبته فيها وكما قناعته فاي شي
اتاه منها فهو فوق ما يريد والراغب في الدنيا اي شي اتاه لرغبته عليه تزيد لانه يراه قليلا
لكمال محبته فيما يريد ومن استقامت احواله ورضي بكفايته فاي شي اتاه قنع به فهو وسطه
بين هذين الطرفين فكل شي اتاه كان موافقا لحالته اذ لا غرض له الا كفايته وقنعه قال الامام
رضي الله عنه وقال يحيي بن معاذ الزاهد يسعط الخل والخردل والعارف يشمم المسك
والعنبر قال الشارح رضي الله عنه وذلك ان قلب الزاهد قد امتلا ببغض الدنيا وهوانها
عند الله وكثره افاتها وما يقارن لذاتها من الالام وما يقع العبد بسبب رغبته فيها
من الاثام فاكثر كلامه في بيان هذه النقايص فهو يولم ابنا الدنيا ويكدر عليهم ما هم فيه
ويصغر عند انفسهم اقدارهم ويولمهم فشبهه بتسعيط الخل والخردل واما العارف
فقلبه قد امتلا بالمعرفه بجلال الله تعالى وجلاله وتفضيل انعامه وافضاله على خلقه وتواليه
بره واحسانه في جميع اوقاته فالعبد يتكلم بما غلب من حاله فهو يذكر الطاف الله ومننه
ويذكر كرامات الاولياء وما اسبغه عليهم في الدنيا قبل الاخرى ويحرك القلوب بالتشويق
والترغيب في نيل المقامات العلى بالمسك والعنبر لوجود الراحه بذلك وانشراح الصدور
بذكر فضل الله ونعمه على عباده في الدنيا والاخرى وكل واحد من هذين الزاهد والعارف يتكلم
بما غلب عليه وامتلا قلبه به وكل انا بالذي فيه قال الامام رضي الله عنه وقال الحسن البصري
الزهد في الدنيا ان تبغض اهلها وتبغض ما فيها قال الشارح رضي الله عنه فهذا اعبر بالبغض
عن الزهد ولا يكون زاهدا عنده من لا يكون مبغضا وليس البغض من الزهد بسبيل فان الزهد
في الحلال المحض الذي لا ضرر فيه ولا عتاب ولا ثواب من حيث الوعد والوعيد انما يبغض

Copyright © King Saud University

الانسان من حصلت له شهوة دنيه وقد يزهد من لا تلحقه في الدنيا اذيه ويفعل ذلك موافقة
لربه وهوانها عليه وقلة وزنها عنده كما قال عليه السلام لو كانت الدنيا تعدل عند الله جناح
بعوضة وكذلك قوله عليه السلام في قضية الجدي للدنيا على الله اهون من هذا عليكم وقد
ينتقل الشخص الى مقام اعلى من الزهد فتكون الدنيا تشغله عما هو مشتغل به وتفصله عن سلوكه
فيبغضها لما يلحقه من قطعها له وشغلها عن مطلوبه قال الامام رضي الله عنه وقيل لبعضهم
ما الزهد في الدنيا فقال ان تترك ما فيها على من فيها قال الشارح رضي الله عنه وهذا من ثمرات الزهد
ان اراد الترك بالجوارح وان اراد الاعراض بالقلب فهو زهد قال الامام رضي الله عنه وقال
رجل لذي النون المصري رحمه الله متى ازهد في الدنيا قال اذا زهدت في نفسك قال الشارح
رضي الله عنه وهذا صحيح فان العبد انما يحمله على الرغبة في الدنيا والحب لها نيل حظوظه منها
من المطعم والمشرب والملبس والمنكح والمال والجاه فلا زهد في هذه الحظوظ من نفسه قلت
رغبته في الاسباب التي تحصلها بها واذا قلت رغبته كان زاهدا في الدنيا فلذلك على اصل الزهد
وهو زهده في حظوظ نفسه التي بسببها يرغب في الدنيا ويحفظها ويحصلها قال الامام
رضي الله عنه وقال محمد بن الفضل ايثار الزهاد عند الاستغنا وايثار الفتيان عند الحاجة
قال الله تعالى ويوثرون على انفسهم ولو كان بهم خصاصة قال الشارح رضي الله عنه هذا دليل
على مدح الفتيان وانهم يوثرون مع الحاجة كما مدح الله تعالى الانصار وملقاهم مع احتياجهم
اي ما يوثرون به غيرهم ومفهوم ذلك من قوله ان الايثار يصح مع الاستغنا وان السخي
يسمى موثرا اذا اخرج ما هو مستغن عنه وهو ايثار الزهاد فان الزاهد انما زهد في الفضول
لا في المحتاج اليه ويسمى صرفه ايثارا قال الامام رضي الله عنه وقال الكتاني الشي الذي لم يخالف
فيه كوفي ولا مدني ولا عراقي ولا شامي الزهد في الدنيا وسخاوة النفس والنصيحة
للخلق يعني ان هذه الاشيا لا يقول احد انها غير محمودة قال الشارح رضي الله عنه
وهذا مدح للزهد في الدنيا وان فضيلته قال بها اهل سائر الآفاق ولم ينكر احد حسنه شرعا
قال الامام رضي الله عنه وقال رجل ليحيى ابن معاذ متى ادخل حانوت التوكل والبس ردا الزهد
واقعد مع الزاهدين فقال اذا صرت من رياضتك لنفسك في السر الى حد لو قطع الله سبحانه
عنك الرزق ثلاثة ايام لم تضعف في نفسك فاما ما لم تبلغ هذه الدرجة فجلوسك على بساط
الزاهدين جهل ثم لا آمن ان تفتضح قال الشارح رضي الله عنه وهذا منه رضي الله عنه
اشارة الى انه لا ينبغي ان يقطع الاسباب ويتجرد عنها بالكلية حتى يجد من نفسه قوة على
الصبر على الم الجوع المدة التي ذكرها وكذلك لا يجد من نفسه الضعف عن صلاته قائما ولا تغير
عقله بالاختلاط فان الغالب ان الله تعالى ياتيه بالرزق قبل هذه المدة فيما اجرى الله به العادة
والاثني كان الانسان متى ما اكل كل يوم وليلة وازدد اوصل اليومين ضعف عن القيام واختل

عقله

عقله عن فهم الاحكام كان مغررا بدينه ومعرضا نفسه الى الطلب من الخلق والسؤال وقد قال صلى
الله عليه وسلم في ذلك ما قال قال الامام رضي الله عنه وقال بشر الحافي الزهد ملك لا يسكن الا
في قلب متخل قال الشارح رضي الله عنه يعني ان الزهد لا يتحقق الا لمن انقطعت اطماعه عن الدنيا
وقل تعلقه بشهواتها وخلا قلبه من حبها قال الامام رضي الله عنه سمعت محمد بن الحسين يقول
سمعت ابا بكر الرازي يقول سمعت محمد بن محمد بن الاشعث الاسكندري يقول من تكلم في الزهد
ووعظ الناس ثم رغب في اموالهم رفع الله تعالى حب الاخرة من قلبه قال الشارح رضي
الله عنه وهذا صحيح فانه اذا زهدهم واوهمهم انه متخلق بما امرهم به مع خلو قلبه عن ذلك
كان مرائيا بطاعة ربه او متشبعا بما لم يعط فكان ذنبا وكلاهما معصية والعاصي معرض نفسه
لسخط ربه عليه ومقته وان عنعه من المقام الشريف ما تزينه تخلقه قال الامام رضي الله
عنه وقيل اذا زهد العبد في الدنيا وكل الله تعالى ملكا يغرس الحكمة في قلبه قال الشارح رضي الله
عنه ولما كان الغرس بالله والناظر في حكمته والمعتبر في مخلوقاته والمتجسس لما يورده عليه
من فضايله انما يمنعه من ذلك شغل قلبه بالدنيا واستغراقه في اكتسابها وحفظها والتنعم
بشهواتها وكان الزهد فيها يفرغ القلب لما ذكرناه او لا من الفوائد وينظر فيها الناظر ويفكر
في عجايب حكمة الله تعالى في مخلوقاته وشرايعه التي تعبد بها خلقه وقويت فطنته
وادى كل حق حقه وكل ذلك بفضل الله ربه وعونه اما بالهامه له في قلبه بغير واسطة او بواسطة
بعض ملايكته قال الامام رضي الله عنه وقيل لبعضهم لم زهدت في الدنيا فقال لزهدها في
قال الشارح رضي الله عنه وهذا وفقك الله اراد ان يبعد عن الدعوى بالكلية حتى لا
يرى لنفسه مقاما في الزهد وذلك ان الخبر الصحيح يدل على ان الدنيا لحقارتها لا تعدل
عند الله جناح بعوضة وما الذي ينال العبد من جناح البعوضة فاذا كان اكثر الدنيا
لم يكن منه ما ينال منها ايسر اليسير حمله ذلك على الاعراض عن اليسير وهو المراد بقوله لزهدها
في اكثرها زهدت في القليل منها قال الامام رضي الله عنه وقال احمد بن حنبل الزهد على
ثلاثة اوجه ترك الحرام وهو زهد العوام والثاني ترك الفضول من الحلال وهو زهد الخواص
والثالث ترك ما يشغل العبد عن الله تعالى وهو زهد العارفين قال الشارح رضي الله عنه
فقد اطلق الزهد هاهنا على الترك فعوام المسلمين يتركون الحرام وخواصهم يتركون فضول
الحلال وخواص خواصهم وهم العارفون بالله وجلاله وعظمته يتركون جميع ما يشغلهم
عنه وقد يريد بالترك اعراض القلب وقلة الرغبة فيكون زهد عوام المسلمين لا رغبة
لهم في الحرام وخواصهم لا رغبة لهم في فضول الحلال والعارفين لا رغبة لهم فيما يصد عن
مقصودهم ويشغلهم عن مطلوبهم ومحبوبهم قال الامام رضي الله عنه سمعت الاستاذ ابا علي
الدقاق رحمه الله يقول قيل لبعضهم لم زهدت في الدنيا فقال لما زهدت في اكثرها انفت من الرغبة

Copyright © King Saud University

في اقلها **قال** الشارح رضي الله عنه هذا الذي نشرنا به قول من قال الزهد هاهنا قال الامام وقال يحيى
ابن معاذ الدنيا كالعروس ومن يطلبها ماشطتها والزاهد فيها يسخم وجهها وينتف شعرها ويخرق
ثوبها والعارف مشتغل بالله سبحانه لا يلتفت اليها **قال** الشارح رضي الله عنه وذلك ان الله تعالى
خلق الدنيا وكملها وجملها بالمال والبنين والانعام وغير ذلك من الزينة كما قال انا جعلنا ما على
الارض زينة لها لنبلوهم ايهم احسن عملا فبهذا الاعتبار كانت عروسا يجلوه تراها الابصار
وتحبها القلوب فالراغب فيها لا يزال بلسانه يمدحها ومن يفعله بفعلها وبنيته وعمارته
لها ماشطها وتزيدها حسنا للمغرور بها واما الزاهد فانه قد عرف نقصها وفناها
وامتزاج خيرها بشرها وقطع العبد عن طاعة ربه اذا اشتغل بها وذم الله ورسوله
والعارفين بها لها فبهذا الاعتبار يخمش وجهها ويزهد الناس فيها ويقبح محاسنها
الظاهرة بما يطلعه من شر احوالها الباطنة في الدنيا والاخرة واما العارف فهو
مشغول بمعروفه وحياله وجلاله ودوام ذكره ومناجاته عن ذمها فضلا عن مدحها
كما قالت رابعة رأيت طايفة من الزهاد يذمون الدنيا ويحقرونها فنهيتهم عن ذلك وقالت
احب شيا اكثر من ذكره ولو اشتغلتم بالله تعالى ومحبته لاشتغلتم عما سواه فالعارف
قد انقطع قلبه منها فلا يمدحها ولا يذمها وربما كان شغله بربه حتى يغفل عن ثواب اخرته
وان كان لا بد له منه الا انه اشتغل بربه عن غيره **قال** الامام رضي الله عنه سمعت
ابا عبد الله الصوفي يقول سمعت ابا الطيب السامري يقول سمعت الجنيد رحمه الله يقول
ما دسنت كل شي من امر الزهد فلست منه ما اردنا الا الزهد في الناس فاني لم ابلغه ولم
اطقه **قال** الشارح رضي الله عنه وهذا نظر في تفصيل المزهود فيه وذلك ان الانسان
قد ينال الزهد في المال واللباس والطعام والمنام وفضول الكلام وكثير من الجاه ويبقى
عليه وجود الراحة في لقا الاخوان والبسط معهم في المقال والاستيناس بهم اذ نيتهم
ولو في احوال الرجال فهو حظ عاجل يتنعم به المحب له وهو من جملة ما يزهد فيه وبهذا
الاعتبار قال الا الزهد في الناس والا لو كان اجتماعه بالناس لنفعهم في دينهم او انتفاعه
هو بهم في دينه ولم يكن له حامل على الاجتماع الا امر الدين لما صح فيه الزهد ولما ذم نفسه
على عدم نيل الزهد في هذا المقام وقد يزهد الانسان في الاجتماع بالناس ويبقى عليه الزهد
في نفسه من الراحة وحب الكسل وان كان يحمله حين لم يحملها على مشق من الاعمال ولا على التخلق
بخلق شريف من الاحوال فلم يزهد في راحة نفسه ولم يزهد في راحة نفسه لما
حمدها في سبيل الله فالزهد على هذا يتنوع على حسب المزهود فيه وان هذا الناس في ذلك
الصحابة رضوان الله عليهم كما حكي ان فلانا لما سمع الحطمة في الناس يوم بدر وقد
اخرج تمرات ياكلهن ليتقوى بهن فقال ان صبرت لآكل تمراتي انها لحيوة طويلة وربما

يسير والكثير

وبفعله

لنا

لأن
بلد

عمد

واحد بسيفه وقاتل حتى قتل وغيرها قال يا رسول الله ما يرضي الرب قال غمسه يده
في العدو وحاسرا فاخذ سيفه وقاتل حتى قتل وغيرها ولا انسان الزاهدين في انفسهم لله
الذين صح منهم بيعهم نفوسهم لمولاهم واشتراها منهم كما قال تعالى ان الله اشترى من المومنين
انفسهم واموالهم بان لهم الجنة **قال** الامام رضي الله عنه وقيل ما خرج الزاهدون الا الى انفسهم
لانهم تركوا النعيم الفاني للنعيم الباقي **قال** الشارح رضي الله عنه وهذا بيان ان من زهد
في الدنيا انما عمل في حظ نفسه لانه ترك ما هو ازل واخذ لها ما هو افضل فانه ترك الشغل
بالدنيا الفانية المنغصة المنكدة الممزوجة بالهموم والاحزان والنكد المتوعد على
تركها بالنيران واخذ لها الاخرة الكاملة الباقية التي لا كدر فيها ولا الم ولا مرض ولا سقم
ولا حساب فيها على عمل ولا عقاب بل هي دار الجزا والثواب فبهذا الاعتبار خرج الزاهد
من الدنيا من حظ خسيس الى حظ نفيس **قال** الامام رضي الله عنه وقال النصرابادي حقن دما
الزاهدين وسفك دما العارفين وقال حاتم الاصم الزاهد يذيب كيسه قبل نفسه
والمتزهد يذيب نفسه قبل كيسه **قال** الشارح رضي الله عنه حقن دما الزاهدين اي بقي لهم
من حظوظ انفسهم ما يحبسونه وزهدهم في الفضول وفيه اشارة الى قوله تعالى بقية الله
خير لكم وقوله صلى الله عليه وسلم لا حق لابن ادم الا في ثلاث بيت يكنه وثوب يواري
عورته وجلف الخبز والماء فالحق سبحانه يبقي هذا القدر للزاهدين وجعله حقه ولا يجعله
منا فيا للزهد فان الزهد في الحلال والعارف بالله تعالى لا يكمل معرفته بربه الا وكل
شغله به وبذكره ومناجاته عن نفسه فضلا عن غيره فبهذا سفك الدما العارفين اي جعلهم
لم يلتفتوا الا لنفسهم وحقن دما الزاهدين بما ابقاه لهم من النظر لانفسهم واما قوله الزاهد
يذيب كيسه قبل نفسه والمتزهد يذيب نفسه قبل كيسه فصحيح فان المتزهد لا يخرج
شيا من ماله مع شدة محبته له الا بكره من نفسه وحمل لها على ذلك فهو يذيب نفسه
قبل ان تخرج ما بيده لكونه يولمها بالاخراج فكلما اراد ان يخرج شيا مما بيده لمحبته له
اكره نفسه وحملها والمها باخراجه فهو بذلك يذيب نفسه قبل كيسه وهذا هو
المتزهد واما الزاهد في الدنيا فاول ما يبدا به اخراج ماله من يده اخراجه من قلبه
ثم اخراج راحته بلذته ثم دل نفسه لو ما اخراج كيسه اخف عليه ولذلك يبدا به لعدم
الاشد فالاشد ونفسه احب ما يبذله لربه فلذلك قال يذيب كيسه قبل نفسه **قال**
الامام رضي الله عنه سمعت محمد بن عبد الله يقول ثنا علي بن الحسين الموصلي ثنا محمد بن احمد
ابن الحسين ثنا محمد بن الحسين قال ثنا محمد بن جعفر قال سمعت الفضيل بن عياض رحمه الله يقول
جعل الله الشر كله في بيت وجعل مفتاحه حب الدنيا وجعل الخير كله في بيت وجعل مفتاحه الزهد

ثم

بلغه

قال الشارح رضي الله عنه وهذا صحيح ويعضده قوله صلى الله عليه وسلم حب الدنيا راس
كل خطيئة فكيف بما دون الخطيئة من المكروهات والمنقصات واسباب الغفلات وانواع المفضلات
واذا زهد العبد في الدنيا واعرض بقلبه عن الشهوات حمله ايمانه وما وعده به ربه في الدنيا
والاخرة من الخيرات ونيل المقامات والدرجات فقد تيسرت له الخيرات لوجود الحامل له
على تحصيل الخيرات وذهاب القواطع عنه والمشغلات وبهذا الاعتبار كان حب الدنيا
مفتاح الشرور والبليات والزهد فيها مفتاح لجميع الخيرات ونيل المقامات العالية في الدنيا
والاخرة بواضح الدلالات وصلى الله على سيدنا محمد واله قال الامام رضي الله عنه

باب الصمت

انا عبد الله بن يوسف الاصبهاني نا ابو بكر محمد بن الحسين القطان
نا احمد بن يوسف السلمي نا عبد الرزاق انا معمر الزهري عن ابي سلمة عن ابي هريرة قال
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من كان يومن بالله واليوم الاخر فلا يوذي جاره ومن كان يومن
بالله واليوم الاخر فليكرم ضيفه ومن كان يومن بالله واليوم الاخر فليقل خيرا او ليصمت انا
علي بن احمد بن عبدان قال انا احمد بن عبيد نا بشر بن موسى الاسدي نا محمد ابن سعيد
الاصبهاني عن ابن المبارك عن يحيى بن ايوب عن عبيد الله ابن زحر عن علي بن يزيد عن القاسم
عن ابي امامة عن عقبة بن عامر قال قلت يا رسول ما النجاة فقال احفظ عليك لسانك
وليسعك بيتك وابك على خطيئتك قال الشارح رضي الله عنه في الخبر الاول اخرجه الموطا وهو يدل
على ان المقصود من الكلام قول الخير فان لم يعلم الانسان ان ما قاله خير فليمسك عن الكلام وهو
الصمت ويعضده قوله تعالى لا خير في كثير من نجواهم الا من امر بصدقة او معروف او اصلاح
بين الناس وهذه الثلاثة من جملة الطاعات اذا اريد بها وجه الله ولذلك قال تعالى ومن
يفعل ذلك ابتغاء مرضات الله فسوف نوتيه اجرا عظيما فهذا يدل على انه ان لا يفعل لصحيح نيته
وتغير نيته ولا يكون فيها الثواب الا اذا قارنتها النية وهو العمل لاجل الله تعالى فعل
الانسان لوجه اخيه او لغير نية حصل بها انتفاع ولهذا سميت خيرا وقال اهل التفسير انها
نزلت في طايفة من اليهود كان اكثر كلامهم من الخنا والشر الا ما استثناه الله تعالى فدل ذلك
على ان السلامة في الصمت خوفا من الوقوع في ضرر اللسان فانه الغالب على الانسان ولذلك
ولذلك استثنى القليل من الكثير وسيل صلى الله عليه وسلم فيما النجاة فاجاب بحفظ اللسان
من جملة ما وصى فدل ذلك على ان النجاة في حفظه وهو الصمت ومثله قوله صلى الله عليه وسلم
من صمت نجا وافات اللسان من الكذب والغيبة والنميمة والفحش واللمز والاستهزا وغير ذلك
من افات اللسان ولزوم الصمت حتى يعلم الانسان ما يقول ابرضي الله تعالى ام يسخطه وكذلك الفرا على
الله تعالى والحكم عليه في الحلال والحرام والواجب والمندوب وساير الاحكام لابد من التثبت
خوفا من دخوله في عموم قوله تعالى وان تقولوا على الله ما لا تعلمون ويفترون على الله الكذب وهم يعلمون

قال الامام رضي الله عنه الصمت سلامة وهو الاصل وعليه ندامة اذا ورد عنه الزجر فالواجب
ان يعتبر فيه الشرع والامر والسكون في وقته صفة الرجال كما ان النطق في موضعه من اشرف
الخصال سمعت الاستاذ ابا علي الدقاق رحمه الله يقول من سكت عن الحق فهو شيطان اخرس
والصمت من اداب الحضرة قال الله تعالى واذا قرئ القران فاستمعوا له وانصتوا وقال تعالى خبرا
عن الجن بحضرة الرسول صلى الله عليه وسلم فلما حضروه قالوا انصتوا وقال تعالى وخشعت
الاصوات للرحمن فلا تسمع الا همسا وكم بين عبد يسكت تصاونا عن الكذب والغيبة وبين عبد
يسكت لاستيلا سلطان الهيبة وفي معناه انشدوا • افكر ما اقول اذا افترقنا • واحكم
دايبا حجج المقال • فانساها اذا التقينا • فانطق حين انطق بالمحال • وانشدوا
فيا ليل كم من حاجة لي مهمة • اذا جيتكم لم ادر يا ليل ما هيا • وانشدوا وكم حيلة
لك حتى تمكنت من لقياك نسيت قال الشارح رضي الله عنه فقوله الصمت سلامة وهو
الاصل يعني السلامة هي الاصل اي لا غنيمة الا بعد السلامة ودل ان الصمت لا يكون سلامة
في كل حال ويجب النطق تارة والسكوت اخرى فمتى وجب النطق في تغيير المنكر او كلمة
حق عند ما يخاف او يرجى كان من شان الابطال ومتى صمت الانسان خوفا من الزلل والوقوع
فيما لا يرضي الله فهو من اهم الامور والاحوال والسكوت تارة يكون الموجب له خوف الوقوع
في الزلل وتارة يطرق العبد من الحياء والخجل وغلبة حرمة المحل ولذلك قال الشيخ وكم بين من سكت
تصاونا عن الكذب والغيبة وبين من سكت لاستيلا سلطان الهيبة وقد تغلب الحرمة
على قلب المحترم للحضور حتى ينسى جميع ما حضر لاجله من الامور ويدل عليه ما اتى به من الشعر
قوله افكر ما اقول اذا افترقنا واحكم دايبا حجج المقال فانساها اذا التقينا فانطق
حين انطق بالمحال وذلك لما يغشى القلب من حرمة الحال او الفرح بالقرب والنوال
فتشغله لذة الاجتماع عن ايراد ما زواه في فكره لحصول الانتفاع ومنه قوله فيا ليل دهر
ترجيم ليلى فيكون في نفسه حوايج يذكرها لمن يحبه فاذا اجتمع معه انسته لذة
الاجتماع ساير حوايجه التي زواها في نفسه في زيادة الانتفاع وكذلك الشعر الثالث
وهذا قد يكون الصمت لما يطرق القلب من الدهشة عند سماع الخطاب ممن يجله العبد
حتى يعجز عن الجواب كما دل عليه الكتاب العزيز في قوله تعالى يوم يجمع الله الرسل فيقول
ماذا اجبتم وهم عالمون بما اجابهم الامم به وقت التبليغ حتى قالوا لا علم لنا فيحتمل انه يكون
ان يكون هذا الدهشة السوال من رب الارباب ويحتمل ان يكون ادبا في الخطاب فيكون
قولهم لا علم لنا اي زيادة عما تعلم انك انت علام الغيوب قال الامام رضي الله عنه
والسكوت على قسمين سكوت بالظاهر وسكوت بالقلب والضماير فالمتوكل سكت قلبه عن تقاضي
الارزاق والعارف يسكت قلبه مقابلة للحكم بنعت الوفاق فهذا بجميل صنعه واولو هذا

بجميع حكم تابع وفي معناه قالوا اجري عليك صروفه وهموم سرك مطرق **قال** الشارح رضي الله
عنه قوله والسكوت على نوعين سكوت بالظاهر وهو سكوت اللسان وسكوت بالباطن وهو
هدو الضمير والجنان وكما ان سكوت اللسان يختلف تارة لخوف الزلل وتارة لحصول المطلوب
والامل فكذلك الباطن يكون السكوت للوثوق بالضمان وهو سكوت المتوكل وقد يكون السكوت
فيه رضي بما يجريه الحق قبوله لما سبق في الازل فالعارف ساكن تحت جريان الاقدار رضي بما يجريه
المقدر له المختار والمتوكل ساكن لما وعده من الضمان لا يخشى مع ضمان مولاه له فوت
ما ضمنه له فالبيت مخصوص باحوال العارف وهو الذي ينظر الى الاقدار وتغيرها على في
الليل والنهار وسره مطرق راض لاختيار ربه ولا اعتراض **قال** الامام رضي الله عنه وربما
يكون سبب السكوت حيرة البديهة فانه اذا ورد كشف على وصف البغتة خرست العبارة
عن ذلك فلا بيان ولا نطق وطمست الشواهد هنالك فلا علم ولا حس قال الله تعالى يوم يجمع الله
الرسل فيقول ماذا اجبتم قالوا لا علم لنا **قال** الشارح رضي الله عنه ما ذكره الشيخ هاهنا
من ورود هيبة تذهل عن الادراك وتغرق معها التحسس للشواهد وتخرس اللسان
عن الجواب واستدل عليه بالاية وتقرير دلالة الاية يحتمل احدهما كمال الادب في رد العلم
اليه وانهم علموا علمهم زيادة على علمه لما بالغوا للامم والثاني دهشة السؤال فلبس
ما اشار اليه الامام من الغيبة وعدم الادراك والحس لانهم قد ذكروا الجواب ويحسن
ان يورد هاهنا قوله تعالى فعميت عليهم الانباء يومئذ فهم لا يتساءلون وذلك اذا سال
الحق سبحانه الامم بقوله ماذا اجبتم المرسلين فاخذتهم صدمة العزة وسطوة السؤال حتى ذهلوا
عن الجواب وعن سؤال بعضهم بعضا عن وجه الصواب **قال** الامام رضي الله عنه فاما
ايثار ارباب المجاهدة السكوت فلما علموا في الكلام من الافات ثم ما فيه من حظ النفس
واظهار صفات المدح والميل الى ان يتميز بين اشكاله بحسن النطق وغير هذا من افات
الخلق وذلك نعت ارباب الرياضة وهو احد اركانهم في حكم المنازلة وتهذيب الخلق
وقيل ان داود الطائي رحمه الله لما اراد ان يقعد في بيته اعتقد ان يحضر مجلس ابي حنيفة
رحمه الله اذ كان تلميذا له ويقعد بين اقرانه من العلماء ولا يتكلم في مسئلة فلما قوي نفسه
على ممارسة هذه الخصلة سنة كاملة قعد في بيته عند ذلك واثر العزلة **قال** الشارح
رضي الله عنه وما ذكره الامام في ان صمت اللسان مما يعين على السلامة من الوقوع في الغرور
وسعود الانسان بامساكه الفرة على غيره مما يصعب من الامور صحيح فان اللسان اعطب
شي على الانسان وقد اراد نطق الساده العقلا افضل الامة ابو بكر الصديق رضي الله عنه
لعمر بن الخطاب رضي الله عنه لما راه اخذا بلسانه فقال له عمر صه غفر الله لك فقال هذا
الذي اوردني الموارد وقد دل على ذلك الخبر الصحيح في الموطا عن ابي هريرة قال ان الرجل

ليتكلم بالكلمة ما يلقي لها بالا يهوي بها في نار جهنم وكذلك روي ابن عباس اخذ بثمرة لسانه
يقول للسانه قل خيرا تغنم واسكت عن شر تسلم ويعضده ما رواه مالك في الموطا بن نعمة
الي بلال بن الحارث المزني ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان الرجل ليتكلم بالكلمة
من رضوان الله ما كان يظن ان تبلغ ما بلغت فيكتب الله له بها رضوانه الى يوم القيامة
وان الرجل ليتكلم بالكلمة من سخط الله ما كان يظن ان تبلغ ما بلغت فيكتب الله له بها سخطه
الى يوم القيامة فقد لجميع ذلك على ان حفظ اللسان من اهم الامور وذلك ان ترجمان
عما في القلب ولا يتاتى له ان يسلم لسانه حتى يثبت بقلبه فيلزم من سلامة لسانه
عن الزلل كمال تثبته بقلبه خوفا من الخلل فهذا كان الصمت حتى يتبين للعبد صحة ما يقول
من اجل المامول واذا كان على لسانه اضبط واقوى كان في عينه وسمعه وبقية اعضائه
امكن واولى ولهذا كان الصمت من اركان المجاهدة ولكن ينبغي ان يتنبه على مجاهدة نفسه
في صمت اللسان ان تحتفظ من الاشارات والكتابة وغير ذلك مما يقوم مقام الاقوال فرب
شخص ساكت بلسانه وهو متكلم بغير ذلك من افعاله فان اللسان يدل على ما قام بالجنان
وكذلك يدل غيره من الاشارة والافعال والكتابة ولحظ العين وغير ذلك مما يحصل به الافهام
فيتوهم العبد انه ساكت وهو متكلم يغتر بسكوت اللسان وهو متكلم بغير ذلك مما اشرنا
اليه الان ولذلك اورد الامام الحكاية عن داود الطائي وكان من اصحاب ابي حنيفة فطلبت
نفسه منه الخلوة حتى يسلم من افات الكلام في الجدال والخصام فقال لنفسه حتى تجالسيهم
سنة ولا تتكلمي فجلس مع اصحابه الذي كان يجالسهم في الفقه وتمر المسئلة وهو اشهى الي
الكلام فيها من العطشان للماء البارد ولا يتكلم فلما دام على ذلك سنة وعرف من نفسه قوة عزيمة
وموافقة ذلك اعتزل الناس ومن لم يجاهد نفسه الى ان تتغير اخلاقه وعوائده الذميمة الى الجميلة
ما الذي يفيد حبسه لنفسه خاصة من غير قصد الى تغير اخلاقه فانه اذا كان كذلك وحبس
نفسه من الزمان ما عساه ان يحبسها من غير قصد لرياضتها اخلاقه فاذا سيبها رجعت الى
حالها الاول وكانت غاية سلامته وقت الحبس خاصة واخلاقه الذميمة باقية لم تتغير
قال الامام رضي الله عنه وكان عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه اذا كتب كتابا واستحسن
لفظه مزق الكتاب وغيره **قال** الشارح رضي الله عنه وهذا اورده الامام على ما تقدم
من اقسام الكلام وهو ان الانسان قد يسكت سلامة من الوقوع في الزلل من الغيبة والنميمة
وسوء القول وقد يسكت اذا استحسن من نفسه الكلام ردا على نفسه هواها فيخرج من العجب
بالقول والعمل ولذلك كان عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه اذا كتب كتابا واستحسن ما جرى
على لسانه فيه من الكلام واحس من نفسه الاستحسان رد على نفسه هواها ومزق الكتاب وغيره
على غير ذلك لوجه اخذا بقوله تعالى ونهى النفس عن الهوى **قال** الامام رضي الله عنه سمعت الشيخ

Copyright © King Saud University

ابا عبد الرحمن السلمي رحمه الله يقول انا عبد الله بن محمد الرازي قال حدثنا ابو العباس محمد بن اسحق
السراج قال سمعت احمد بن الفتح يقول سمعت بشر بن الحارث يقول اذا اعجبك الكلام فاصمت
واذا اعجبك الصمت فتكلم **قال** الشارح رضي الله عنه وهذا رحمك الله امر بمخالفة النفس
وردها عن هواها واعجاب النفس بالكلام او السكوت يكون على وجهين احدهما الاستحسان للشي
كما تقول العجبني حسن كذا وصنعه كذا وهذا انما تخالف النفس به لاحد وجهين اما ان يكون
مذموما في الشريعة فاستحسان ما لم تحسنه الشرع خطأ تخالفه والثاني ان يكون
المستحسن ليس مذموما في الشرع الا ان استحسانه يحمل النفس على متابعته والتشاغل به
عما هو اولى منه الوجه الثاني في العجب ان تكون اضافة الشي المستحسن الى نفسه وملاحظة
النفس عليه ونسيان منة الله تعالى وهذا عجب محرم والسكوت عنه اذا كان الكلام هو المعجب
به توبة عن العجب فيراعي فيه شروط التوبة مع مفارقته وهو الندم على ما كان والعزم على ان لا
يعود ولذلك القول اذا اعجب بالسكوت من جهة العجب والله الموفق **قال** الامام رضي الله
عنه وقال سهل بن عبد الله لا يصح لاحد الصمت حتى يلزم نفسه الخلوة ولا تصح له التوبة
حتى يلزم نفسه الصمت **قال** الشارح رضي الله عنه وهذا اخرج مخرج الغالب وذلك ان الغالب
من الناس ان من اراد الصمت وهو مع الناس يخالطهم عجز عن ذلك فاذا اعتزلهم
وخلا بنفسه حتى يتعود السكوت ويصير له عادة امكنه ان يسكت مع المخالطة وقد
يمن الله تعالى على العبد بالقوة على مخالفة النفس فيسكت وهو مع الناس وان لم يتقدم
له خلوة وقوله لا تصح له التوبة حتى يصمت يريد التوبة من فضول الكلام وزلل اللسان
فان الغالب ان من كثر كلامه كثر سقطه وغلطه الا الاحاد من الناس وهو المتثبت بقلبه
المميز لما ينطق به لسانه فيصير لسانه تبعا لقلبه المتثبت والا من كان شانه الاستعجال في
الجواب ومحبة سماع الكلمة بين العباد فمن استعجل اخطا او كاد **قال** الامام رضي الله عنه
وقال ابو بكر الفارسي من لم يكن الصمت وطنه فهو في الفضول وان كان صامتا **قال** الشارح
رضي الله عنه وهذا الذي نبهنا عليه قبل هذا وذلك ان الصمت اذا لم يكن بالقلب قبل اللسان
وكان العبد متعلقا باعلام الخلق بما تضمنه الجنان كان متكلما وان صمت بلسانه فقد يشير
الى مقصوده بيده وقد لا يعنيه وقد لا يعبر ذلك بما يصح به الافهام هذا وجه وقوله وطنه
يعني مقامه وحاله في قلبه وقوله فهو في الفضول اي كثرت وساوسه وتشعبت افكاره في جهات
عديدة ولم يجمع ما هو فيه لكثرة التفات قلبه وحديث نفسه بغير ما يعنيه ولذلك قال بعضهم
من كان يقينه وطنات كانت وساوسه خطرات ومن كانت وساوسه وطنات كان يقينه
خطرات وذلك لما غلب على قلبه من احد القسمين وصار مقاما له هذا ما يختص بالقلب وقد
اشرنا لما فيه المتعلقة باللسان من الاشارات والافعال **قال** الامام رضي الله عنه والصمت

ليس

ليس بمخصوص على اللسان لكنه على القلب والجوارح كلها وقال بعضهم من لم يستغنم السكوت
فاذا انطق نطق بلغو **قال** الشارح رضي الله عنه من لم يستغنم اي من لم يجد فضيلة السكوت
ويعلم غنيمة فاذا انطق وقع في الزلل لقلة خوفه من افات اللسان وانما يقل خوفه من افات
اللسان لجهله بذلك وقد بينا ان السكوت يكون بالقلب والجوارح **قال** الامام رضي الله
عنه سمعت محمد بن الحسين رحمه الله يقول سمعت محمد بن عبد الله بن شاذان يقول سمعت ممشاد
الدينوري يقول الحكماء ورثوا الحكمة بالصمت والتفكر **قال** الشارح رضي الله عنه وهذا صحيح
فان تحقيق الحكمة وضع الاشيا مواضعها في القول والفعل فمن لم يتثبت بقلبه ويسكت نفسه
عن العجلة في الجزم بقلبه او الفعل بجارحته ولسانه حتى يعرف الصواب من الخطا في الفعل
والحق من الباطل في القول لم يكن حكيما وجرت اقواله وافعاله متجهة غير صحيحة **قال**
الامام رضي الله عنه وسيل ابو بكر الفارسي عن صمت السر فقال ترك الاشتغال بالماضي والمستقبل
وقال ابو بكر الفارسي اذا كان العبد ناطقا فيما يعنيه وفيما لا بد له منه فهو في حد الصمت
قال الشارح رضي الله عنه وقوله السر عدم الالتفات الى الماضي والمستقبل يعني جمع
الهم على ما هو الاولى بالعبد في وقته وفكرته غير ما هو اولى به في وقته من جملة الفضول
المستغنى عنه واليه يرجع قوله الثاني اذا تكلم العبد فيما يعنيه فهو في حد الصمت لان الفضول
عنه واذا تكلم بغير ما يعنيه في وقته فليس بصامت وان لم يتكلم بلسانه فكلامه الاول
والثاني يشير الى ان الكلام والفكر فيما هو يحتاج اليه لا يخرجه عن صمت السر ولا صمت اللسان
وما تفكر فيما لا يعنيه او تحدث بالاشارة الى غير ما يعنيه فليس بصامت وان لم يتكلم
بلسانه **قال** الامام رضي الله عنه وبروى عن معاذ بن جبل رضي الله عنه انه قال كلم الناس
قليلا وكلم ربك كثيرا لعل قلبك يرى الله **قال** الشارح رضي الله عنه وهذا ايضا اشارة الى دوام
ذكر الله تعالى ودوام مناجاته في ساير الاحوال وحاجاته الدينية والدنيوية فاذا اكتفى كل الكفاية
صرف همه بجد الله كانه يراه ومن ان سنحت له حاجة لا يقصد سواه ويلزم عن ذلك
السكوت عن كلام الناس الا نادرا للضرورة خلطتهم ولهذا قال رضي الله عنه تعود الاقلال
من كلام الناس والاكثار لمكالمة الله اي لذكره ومناجاته فلعل قلبك يحبس عن موز العفلة
ويقبل على ربه في ساير مآربه ويراه في دنياه بقلبه ويرتجي له رؤيته في الاخرى كما وعد
ربه بعين راسه **قال** الامام رضي الله عنه وقيل لذي النون المصري من اصون الناس
لنفسه قال املكهم للسانه **قال** الشارح رضي الله عنه وهذا صحيح لانه على حسب صون
اللسان عن الوقوع في الافات من الغيبة والنميمة والسب والفحش وغير ذلك من البليات
تمتلك نفسه حتى لا يتكلم الا بعد التثبت والتمييز لما يقوله فقد سلم من هذه الافات وصان
نفسه عن الوقوع في كثير من المحرمات والاجماع هذه الافات التي غلبت على العقول الغفلات

Copyright © King Saud University

وملكتها منا بعد الشهوات **قال** الامام رضي الله عنه وقال ابن مسعود رضي الله عنه ما من شي
اطول السجن احق من اللسان وقال علي بن بكار جعل الله لكل شي بابين وجعل للسان اربعة
ابواب فالشفتان مصراعان والاسنان مصراعان **قال** الشارح رضي الله عنه فقول عبد
الله بن مسعود رضي الله عنه يشير الى ان السكوت من اهم ما يحتاج الانسان اليه وان اللسان
اولى بالسجن من كل جارحة ولذلك قال ابن بكار جعل الله لكل شي بابين وجعل للسان اربعة ابواب
الشفتان مصراعان والاسنان مصراعان فجعل كل درقة بابا ومقصوده ان الباب
يكون له مصراعان فكل شي يكفي حفظه باب واحد له مصراعان وجعل على اللسان بابان لكل
باب مصراعان فبهذا الاعتبار جعل على اللسان اربعة ابواب في مقصوده بابان وكلامه
تنبيه على ما اشار اليه ابن مسعود من انه احق بالسجن من غيره فان من كان اولى بالسجن تاكد
الامر في حفظه خوفا من خروجه وقيل لبعض الرهبان ما جلوسك في هذه الصومعة
قال لست براهب وانما انا حارس كلب لساني سبع ضار ان اطلقته اذاني واذى الناس
قال الامام رضي الله عنه وقيل ان ابا بكر الصديق رضي الله عنه كان يمسك في فيه حجرا كذا
وكذا سنة ليقل كلامه **قال** الشارح رضي الله عنه يعني انه حركته في فيه كلما تحرك ذكره ما جعله
له فيستدرك من زلل اللسان ويقوى تثبته فاذا كان هذا حذر الصديق سماه النبي
صلى الله عليه وسلم صديقا للمبالغة في الصدق في القول والفعل بالقلب واللسان
يفعل هذا خوفا من الزلل البعيد القليل النادر فكيف من يكون جريان الحق على لسانه نادرا كما
قال بعضهم لو كلف العبد شراء الكاغد الذي يكتب فيه زلله بلسانه لاسرع الى صمته
لكثرة ما يلزمه من ثمن ما يخرجه في ثمن الكاغد الذي يكتب فيه زلله **قال** الامام رضي الله
عنه وقيل ان ابا حمزة البغدادي رحمه الله كان حسن الكلام فهتف به هاتف تكلمت فاحسنت
بقي ان تسكت فتحسن فما تكلم بعد ذلك حتى مات وما ت قريبا من هذه الحالة على راس
اسبوع اقل او اكثر **قال** الشارح رضي الله عنه الاحسان في العمل كما قال النبي صلى الله عليه
وسلم في حديث جبريل الصحيح الاحسان ان تعبد الله كانك تراه فمن احسن في كلامه على
وجه العبادة لله منبريا من حوله وقوته ناظرا الى فضل الله فاذا كانت هذه حالته في كلامه
تدله انها تقع على ان يستوي حاله في سكوته مع حالته في كلامه في الاحسان فاحسانه في
السكوت ان لا يسكت عن حق وجب لله ويسكت عن كل ما حرمه الله عليه او كرهه له
لوجه الله ويكون في كل حالته مستعينا بالله رائيا فضل الله فلما عمل فيه الخاطر سكت
الى ان مات هذا يدل على ان سكوته كان عنده افضل من كلامه ولعله دام عليها الى ان توفي
والا لو وجب عليه الكلام او ندب اليه لكان افضل من سكوته ولم يكن محسنا في سكوته **قال**
الامام رضي الله عنه وربما يكون السكوت يقع على المتكلم تاديبا له لانه اساء الادب في شكل الشبلي

رحمه

رحمه الله اذا قعد في حلقته ولا يسالونه يقول ووقع القول بما ظلموا وربما يقع السكوت
على المتكلم لان في القوم من هو اولى منه بالكلام سمعت ابن السماك البغدادي رحمه الله يقول
كان بين شاه الكرماني ويحيى ابن معاذ صداقة فجمعهما بلد فكان شاه لا يحضر مجلسه فقيل
له في ذلك فقال الصواب هذا فما زالوا به حتى حضر يوما مجلسه وقعد ناحية لا يشعر به يحيى بن معاذ
فلما اخذ يحيى في الكلام سكت ثم قال هاهنا من هو اولى بالكلام مني وارتج عليه فقال شاه الم اقل لكم
الصواب لا احضر مجلسه وربما يقع السكوت على المتكلم لمعنى في الحاضرين وهو انه يكون هناك
من ليس لسماع ذلك الكلام فيصون الله تعالى لسان المتكلم عنه وصيانة لذلك الكلام عن غير
اهله **قال** الشارح رضي الله عنه وما ذكره الامام في هذه الحكاية تفصيل في اسباب السكوت
فمنه يقع ادبا للمتكلم وذلك انه اذا استرسل في الكلام وجرى على لسانه الحق والصواب ربما
التفت الى حسن حالته وكمال الحكمة واضاف ذلك الى نفسه ونسي منة ربه فيؤدبه الحق سبحانه
على هذه الزلة ويسلبه جميع ما هو فيه وينبغي له ان يعد ان كل كلمة واحدة مما كان فيه
وقد يكون بسبب السكوت ادبه بمجلسه من هو احق منه بالتكلم فيما هو فيه فيتنبه الحق لتاديب
ويحث على من في مجلسه ليعطيه حقه وينزله منزلته ويكون متعلما منه لا معلما له وقد
يكون سبب السكوت ان في المجلس من لا يستحق الحكمة التي يجريها الله تعالى على لسان المتكلم
فيحفظ الله المتكلم من ان يلقي الحكمة عند غير اهلها فيكون واضعا لها في غير موضعها
وظالما لها كما حكي عن عيسى بن مريم صلوات الله على نبينا وعليه انه قال لا تعطوا
الحكمة غير اهلها فتظلموها اي لا تحفظوها ولا تضعوها مواضعها ولا تمنعوها اهلها
فتظلموهم اي تمنعوها المستحقها فتفوتهم الانتفاع بها **قال** الامام رضي الله عنه وربما
وربما كان بسبب السكوت الذي يقع على المتكلم ان بعض الحاضرين كان يعلم الله سبحانه من
حاله انه يسمع ذلك الكلام فيكون فتنة له اما انه يتوهم انه وقته ولا يكون او لانه يحمل
نفسه ما لا يطيق فيه فيرحمه الله عز وجل بان يحفظ سمعه عن ذلك الكلام اما صيانة له او عصمة
عن غلطه وقال مشايخ هذه الطريقة ربما يكون السبب فيه حضور من ليس باهل السماع من الجن
اذ لا تخلو مجالس القوم من حضور جماعة من الجن سمعت الاستاذ ابا علي رحمه الله يقول اعتللت مرة
بمرو فاشتقت ان ارجع الى نيسابور فرايت في المنام كان قائلا يقول لا يمكنك ان ترجع من هذا
البلد فان جماعة من الجن استحلوا الاملاء ويحضرون مجلسك فلاجلهم نحبسك هاهنا
قال الشارح رضي الله عنه وقد يكون اسباب السكوت ان بعض السامعين لا يصلح
له سماع ما يجريه الله من الحكمة على لسان المتكلم ويكون ذلك من باب اللطف بالسامع والشفقة عليه
حيث لو سمعه لثارت من قلبه احوال تكون سبب ضرر له وهلاكه لضعفه عن حمل ما يرد
عليه وقد يكون ذلك من الانس وقد يكون من الجن فان الجن صرح الكتاب والسنة بايمانهم قال الله تعالى

١

Copyright © King Saud University

في كتابه العزيز بل اوحي الي انه استمع نفر من الجن الى قوله فامنا به ولن نشرك بربنا احدا
ومدح الله تعالى الجن لما سمعوا قراه النبي صلى الله عليه وسلم بنخلة وقيل بعكاظ فتواصوا
بالانصات فلما سمعوا وفهموا رجعوا الى قومهم منذرين وقال النبي صلى الله عليه وسلم سمعوا
نعم الجن حين يصيبين سالوني الزاد فسالت الله تعالى ان لا يمروا على عظم الا وجدوا عليه
قوتا فعلى ذلك فهم من جملة المكلفين بالعلم والعمل وتجري عليهم الاحوال التي يطيقون حملها
والتي يضعفون عنها كالانس والحكايه التي اوردها الامام عن الشيخ ابي علي الدقاق لما
طلب السفر من مرو الى نيسابور فقيل في النوم على انك لا يمكنك السفر فان جماعه
من الجن انتفعوا بكلامك قال الامام رضي الله عنه وقال بعض الحكما انما خلق للانسان لسان
واحد وعينان واذنان ليسمع ويبصر اكثر مما يقول قال الشارح رضي الله عنه وهذا
تنبيه انه تعالى اذا خلق له عضو واحد فما يفعل به اكثر مما خلق الله له عضوين كالعينين
والاذنين واما قوله ليبصر ويسمع اكثر مما يقول فهي اشاره الى انه ينبغي ان يكون كلام العبد
اقل من رويته وسماعه وهذا ليس على التحقيق فان الله تعالى ما خلق العينين والاذنين لهذه
الغايه لكونه اكثر واقل وانما العبد محتاج الى ان يسمع ويرى بكل جهه من جهتيه فيفضل
الحق بذلك لتتكمل عليه نعمه واما اللسان فهو يعبر عما في الجنان قال الامام رضي الله
عنه ودعي ابراهيم ابن ادهم الى دعوه فلما جلس اخذوا في الغيبه فقال عندنا يوكل اللحم
بعد الخبز وانتم ابتداتم باكل اللحم اشار الى قوله تعالى ايحب احدكم ان ياكل لحم اخيه ميتا فكرهتموه
قال الشارح رضي الله عنه وهذا ايضا من باب التلطف في التنبيه في انكار الغيبه ولاسيما
اذا كان المنكر عليه ممن لا يحمل الامر والنهي اما لعظمته في نفسه او لصعوبه الامر الناهي
والاولى لمن ابتلي بشي من ذلك ان يعدل الحكايا ت والاسنا لينتبه المغتاب من نفسه فيزلله
وينكف عن غيبته وان عجز عن ذلك عرض بحديث اخر غير ما هم فيه ليشتغل الناس عما
هم فيه من الغيبه هذا الطريق هو الذي سلكه ابراهيم بن ادهم رضي الله عنه قوله البدايه
باللحم قبل الخبز قال الامام رضي الله عنه وقال بعضهم الصمت لسان الحلم قال الشارح رضي
الله عنه يعني ان الصمت عن اشفا الغيظ دليل على حلم من اوذي فلم يشف غيظه
ولم يكاف من اذاه وقد يكون للصمت اسباب كثيره غير هذا قال الامام رضي الله عنه
وقال بعضهم تعلم الصمت كما تتعلم الكلام فان كان الكلام يهديك فان الصمت يقيك قال
الشارح رضي الله عنه قد تقدم مرارا ان ليس المحمود الكلام على الاطلاق ولا المذموم على
الاطلاق وان في الكلام والسكوت محمودا ومذموما وما خلق الله تعالى الة اللسان الا للبيان
عما في الجنان والمحمود منه ما تدعوا اليه حاجه الانسان على حسب ما يقتضيه الحال
وكذلك السكوت منقسم الى محمود ومذموم وقد تقدم ان من سكت عن الحق فهو شيطان

اخرس

اخرس كتغيير المنكرات مع الامكان والارشاد الى ما يحتاج اليه غيره من العلم البيان وانما
يراد السكوت خوفا من الخطا والخطل والوقوع بكثرة الكلام في الزلل وقد قيل اذا كان
السكوت من فضه كان الكلام من ذهب وكذلك قوله ان كان الكلام يهديك فالسكوت يقيك
والوقايه من الشر فوقها الهدايه للخير الا ان السلامه لا بد من تقدمها على الغنيمه
فلذلك مدح الناس السكوت لما فيه من السلامه والمتكلم غانم او سالم قال الامام رضي الله
عنه وقيل عفة اللسان صمته وقيل مثل اللسان مثل السبع ان لم توثقه عدا عليك
وسيل ابو حفص اي الحالين للولي افضل الصمت او النطق فقال لو علم الناطق ما افة النطق
لصمت ان استطاع عمر نوح ولو علم الصامت ما افة الصمت لسال الله عز وجل ضعفي
عمر نوح حتى ينطق قال الشارح رضي الله عنه وهذا صحيح فانا اذا تكلمنا على الامان
وقد راينا السلامه في الصمت والعطب في الكلام لم يخف ما بينهما من الفضل وكيف يفضل
العطب على السلامه واما التحقيق ان تفرض السلامه فيهما وتفضل بينهما الغنيمه فعلى
هذا تظهر فضيلة الغنيمه في الكلام على فضيلة السلامه في الصمت وذلك مراد ابي حفص
فيما ذكر انه اذا اندرت السلامه فيهما تمنى الانسان ضعفي عمر نوح ليكون متكلما وفي الاول
سال عمر نوح ليكون سالما فكذلك قوله ان الكلام مع السلامه تلزمه الغنيمه الفاضله
بخلاف الغنيمه مع السكوت فانها مفضوله وذلك لنحو وجها ت الغنيمه في الكلام
قال الامام رضي الله عنه وقيل صمت العوام بالسنتهم وصمت العارفين بقلوبهم وصمت
المحبين من خواطر اسرارهم قال الشارح رضي الله عنه صمت العوام بالسنتهم يعني عن فضول
الكلام وصمت العارفين بقلوبهم عن فضول الفكر غير المرام وصمت المحبين بالتحفظ
من خواطر اسرارهم ان تشير الى غير محبوبهم والله اعلم قال الامام رضي الله عنه وقيل لبعضهم
تكلم فقال ليس لي لسان فاتكلم به فقيل له اسمع فقال ليس في مكان فاسمع قال الشارح رضي
الله عنه وهذا اشاره لاحد امرين اما الى التبري من الحول والقوه في ساير الحركات والسكنات
والمعاني التي انعم بها المتوليه عليه في اللسان والسمع والبصر وغير ذلك من الالات
او اشاره الى استغراقه في معروفه حتى يشغله عن غيره وهي في التوحيد افضل الحالات
قال الامام رضي الله عنه وقال بعضهم مكثت ثلاثين سنه لا يسمع لساني الا من قلبي
ثم مكثت ثلاثين سنه لا يسمع قلبي الا من لساني قال الشارح رضي الله عنه وهذا يدل على انه
اقام ثلاثين سنه يتثبت بقلبه ولا يدع لسانه ينطق الا بما صح في قلبه فاذا صح ما يثبت
لاجله ووزنه بميزان الحق والحكمه نطقت بالتصريح وعبر اللسان عما قام بالنفس
من الكلام فبهذا الاعتبار كان يسمع لسانه من قلبه فلما سهلت عليه المعاني وصارت العلوم
والحكم نصب عينيه وصار الحق يجريها تفضلا عليه صار يتعجب مما يجريه الحق على لسانه

Copyright © King Saud University

من الصواب مغفورا بالتوفيق والتسديد من رب الارباب كلما اجراه الحق على لسانه من هذا
القبيل من غير احتياج الى استجلاب بفكر تعجب من فضل مولاه عليه باجرا الحق على لسانه
والتسهيل فبهذا الاعتبار صار قلبه يسمع من لسانه اي ينتفع ويعيش بما يجريه الحق عليه
فضلا وان كان بقلبه يدركه ولسانه عبر عما وقع في قلبه من فضل ربه الا انه لما لم يكن بكسبه
حسن منه تعجبه ورويته الفضل لربه قال الامام رضي الله عنه وقال بعضهم لو اسكت
لسانك لم تنج من كلام قلبك ولو صرت رميما لم تتخلص من حديث نفسك ولو جهدت كل
جهد لم تكلمك روحك لانها كاتمة للسر قال الشارح رضي الله عنه قوله لو اسكت لسانك
لم تنج من كلام قلبك صحيح فان الكلام في الفؤاد عند اهل الحق وانما اللسان ترجمان عما في النفس
والذي في النفس تابع للعلم كما يعلمه العبد او يظنه او يجهله اذا اعتقده على خلاف ما هو
عليه ففي النفس حديث عنه ولا يلزم ان ينطق اللسان بكل ما في النفس فاذا اسكت الانسان
لسانه لم يقدر على اسكات ما في نفسه وهو حديث النفس واما الروح فهو عند جماعة
من معنى له تعلق بالله تعالى وصفاته وتنزل قربه ودوام محبته والانس به ومناجاته واذا
كان هذا وصف الروح والشغل لها لم يكن لها التفات الى حديث النفس لكمال اشتغالها عنه
ولهذا قال لو جهدت كل الجهد لم تكلمك روحك ومقصود هذا الكلام ان الانسان
اذا تكلف صمت لسانه لا يكتفي بذلك حتى يقطع عن نفسه فضول الفكر عن قلبه فيعبر عنه
صمت القلب والنفس يعني اشتغالها بالمهم عن غيره قال الامام رضي الله عنه وقيل لسان
مفتاح حتفه قال الشارح رضي الله عنه وهذا تنبيه تحذير من لغو الكلام وربما
غلطا للسان غلطة كان فيها حتف المرء وهلاكه اما في الدنيا واما في الاخرة ولا سيما
ما جرت به عادة الجهال في تسبيب اقوالهم وربما جرى على لسانهم سب او استنقاص
لبعض الانبيا صلوات الله عليهم او لبعض الملائكة المكرمين فان عثر عليه في الدنيا وثبت ذلك
عليه قتل وان لم يعثر عليه في الاخرة الهلاك التام الا ان يعفو الله عنه وبهذا
الاعتبار كان لسان الجاهل مفتاح حتفه وربما تكلم في الحلال والحرام والمقصود والفاضل
عند الله تعالى ويستخف ذلك لجهله وقد قال تعالى ولا تقولوا لما تصف السنتكم الكذب
هذا حلال وهذا حرام لتفتروا على الله الكذب ان الذين يفترون على الله الكذب لا يفلحون
الاية قال الامام رضي الله عنه وقيل المحب اذا اسكت هلك والعارف اذا اسكت
ملك قال الشارح رضي الله عنه وذلك ان المحب نيران الشوق تقلقه والصبر عن محبوبه
لا يملكه وانما يتروح من كربه ويستريح من شدة محبته عن محبوبه بما ينفس به ويجريه
الحق على لسانه من ذكر محبوبه والعارف مشتغل بكمال معرفته ووجود بعد استغراقه
بمعروفه وتشريف احواله وما حصله من كرامة اقتضا الكامل لنفسه ويغفل عن طاعة

لا

عيسه

عيسه والمحب اذا اسكت عن محبوبه هلك بما قدمناه والعارف اذا اسكت عن ذكر
معروفه هلك فشان العارف الكتمان لما وجد وشان المحب الهيمان طلبا لما فقد
قال الامام رضي الله عنه سمعت محمد بن الحسين رحمه الله يقول سمعت عبد الله بن محمد
الرازي يقول سمعت محمد بن نصر الصايغ يقول سمعت مردويه الصايغ يقول سمعت الفضيل
ابن عياض يقول من عد كلامه من عمله قل كلامه الا فيما يعنيه قال الشارح رحمه الله
رضي الله عنه وهذا صحيح فان من عد كلامه من الاعمال التي تحصى عليه وتكتب
ويسائله الله تعالى عنها تثبت ولا يتكلم الا فيما هو محتاج الى الكلام فيه اما لبيان
علم او حديث لا بد له منه وهذا هو قول العلاء ابن انس رحمه الله بهذا اللفظ عينه
قال من عد كلامه من عمله قل كلامه الا فيما يعنيه قال الامام رضي الله عنه باب
الخوف قال الله تعالى يدعون ربهم خوفا وطمعا انا ابو بكر محمد بن احمد ابن عبدوس
الحيري العدل رحمه الله انا ابو بكر محمد بن احمد دلويه الدقاق ثنا محمد بن يزيد ثنا
عامر بن ابي الفرات ثنا المسعودي عن محمد بن عبد الرحمن عن عيسى بن طلحة عن ابي هريرة
رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يلج النار رجل بكى من خشية
الله تعالى حتى يلج اللبن في الضرع ولا يجتمع غبار في سبيل الله ودخان جهنم في منخري
عبد ابدا انا ابو نعيم احمد بن محمد ابن ابراهيم المهرجاني ثنا ابو محمد عبد الله بن محمد بن الحسن
ابن الشرقي ثنا عبد الله بن هاشم ثنا يحيى بن سعيد القطان ثنا شعبة ثنا قتادة عن
انس ابن مالك قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لو تعلموا ما اعلم لضحكتم قليلا ولبكيتم
كثيرا قال الشارح رضي الله عنه هذه الاخبار دالة على فضيلة الخوف والترغيب
فيه ومقصوده الايات الدالة والاخبار الدالة على وجوبه وذلك ان الخوف انما يحصل
من الانام والشرك الذي هو اعظمها به فلا بد من تحصيله ليتخلص الانسان من جميع ما يسخط
ربه عليه وللخوف حقيقة في نفسه لا بد ان تميز حتى لا تختلط بغيرها فاذا عرفه
الانسان وكان من جنس مفقود وقد علم وجوبه عليه سعى في تحصيله ولا بد من معرفة
الاسباب التي تحصله وكذلك لا بد من معرفة الثمرات التي تترتب على حصوله وكذلك ان شاء
الله تعالى نذكر اقوال العلماء في حقيقة الخوف والاسباب الموصلة اليه الحاصلة عليه
والثمرات المترتبة على حصوله والفوايد اللازمة لمن يسر الله عليه ثم نذكر اقوال
المشايخ ونبين وجهها الى اي اقسام ما ذكرناه هو الى نفسه او الى سببه
او الى ما عليه ودليله او الى الثمرة المترتبة عليه مستعينين بالله عز وجل
وصلى الله على سيدنا محمد اما حقيقة الخوف فهو انزعاج القلب لتعاطيه وهذا
يستعمل جميع انواع الخوف المتعلق بالماضي والمستقبل والحال قال الله تعالى

صح

سبحانه وجلاله اجله وعظمه وخافه وان لم يتعلق بمستقبل ولا ماض ومن خشي نزول
مولم او فوات محبوب في الاستقبال اضطرب قلبه لذلك ومن عرف قبح الذنوب وقبح حالته
لما كان يتعاطيها واستشعر نظر الله اليه في تلك الحال اضطرب قلبه وخاف ان يكون
الحق مقته على حالته تلك ودوا كي على نفسه الا برحمته وان عبر باضطراب القلب بالفزع
والوجل والرهب والخيفة والخشية كل ذلك نزل به الكتاب قال الله تعالى اذ دخلوا على
داود ففزع منهم قالوا لا تخف خصمان في موضع اخر فلما ذهب عن ابراهيم الروع وقال تعالى
فاوجس في نفسه خيفة موسى قلنا لا تخف ولما سئل الامام المحاسبي رحمه الله عن
الخوف فقال مطالعة القلوب لسطوات الله تعالى فيتولد في القلب حرج تخوف الحرج عند
تفسيره بالفزع من وعيد الله تعالى وما ذكر من مطالعة القلوب لسطوات الله تعالى من اسباب
الخوف لا من نفسه وسئل الامام ابو القاسم القشيري عن الخوف فقال روعه من مكروه
ينا له او محبوب يفوته وقال شيخ الاسلام في حد الخوف هو الانخلاع عن طمانينة الامن
بمطالعة الخبر يعني بالوعيد وهو من اسباب الخوف وهذا الكلام في حقيقته واما اسبابه
فدوام الفكر من المخوف فان قيل ينقسم الى ما يرجع الى العبد والى ما يرجع الى الحق سبحانه فاما
ما يرجع الى العبد فالفكر في تضييعه لواجبات الله تعالى وارتكابه لمحظوراته وتفريطه
في ذلك واهماله وقلة مراقبته لما يرد في قلبه وكثرة غروره قبل العلم باحكام ربه واما
ما يرجع الى الحق سبحانه فالفكر في وعيده وما ذكر في كتابه العزيز من اهلاك من خالفه وعصاه
من قوم نوح وعاد وثمود وقوم لوط وقوم فرعون وغير ذلك وما اعده الله تعالى في الاخرة
مما فصله في الحشر والنشر والميزان والصراط وما احتوت عليه النار من السلاسل والاغلال
والعقارب والحيات ومن طعام وشراب فاذا افكر اللبيب فيما اعده الله للعاصين وعرف من
نفسه المخالفة والعصيان مع صحة ايمانه قلق واضطرب قلبه وقوي خوفه فبادر الى التوبة
ليتخلص في دنياه قبل اخراه واما ادلة الخوف فقد قال تعالى وخافون ان كنتم مومنين فامر
بخوفه خاصة وقال ويرجون رحمته ويخافون عذابه فعين المخوف وهو العذاب وقال تعالى
واما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى فعين الخوف وهو قيامه بين يدي الله تعالى ليحاسبه
وقد اثنى الله تعالى على الخائفين منه ومن عذابه في غير موضع من كتابه فقد ذكرنا اعلمهم في الاخرة
قال ولمن خاف مقام ربه جنتان وفصل ما فيهما وهما للمقربين ثم ذكر بعد ذلك ومن دونهما
جنتان وهما للخائفين من اصحاب اليمين وفصل ما اعده لهما وغير ذلك مما تضمنته الايات
والاخبار من الامر بالخوف وحسن الجزاء عليه ومدح فاعله كما قال تعالى ويدعوننا رغبا ورهبا
والراهب الخائف وقوله صلى الله عليه وسلم حكاية عن ربه تعالى انه قال لا اجمع على عبدي
امنين ولا اجمع عليه خوفين ان خافني في الدنيا امنته اليوم وان امنني في الدنيا اخفته

وقال

فد

اخفته اليوم وقد جاء ان المنادي ينادي يوم القيامة يا عبادي لا خوف عليكم اليوم ولا
انتم تحزنون قال فيرفع الخلايق كلهم رؤسهم ويقولون نحن عباد الله قال فينادي الثانية
الذين امنوا باياتنا وكانوا مسلمين فينكس الكفار رؤسهم ثم ينادي الثالثة الذين امنوا
وكانوا يتقون فينكس اهل الكبائر رؤسهم ويبقى اهل التقوى رافعي رؤسهم قد ازال الله
عنهم سبحانه الخوف والحزن كما وعدهم في الدنيا لان حقيقة التقوى بالمجانبة والحذر نوع
من الخوف فلما حذروا تضييع ما امرهم الله وارتكاب ما نهوا عنه وجانبوه لوجهه عوضهم
الامن في الاخرة عما اخافوا له انفسهم في الدنيا فهذا الكلام على حقيقة الخوف واسبابه وادلته
وثمراته قال الامام رضي الله عنه الخوف معنى متعلقه في المستقبل لانه انما يخاف ان يحل به مكروه
او يفوته محبوب ولا يكون هذا الا لشي يحصل في المستقبل فاما ما يكون في الحال الموجود فالخوف
لا يتعلق به والخوف من الله سبحانه هو ان يخاف ان يعاقبه الله اما في الدنيا واما في الاخرة وقد
فرض الله سبحانه على العباد ان يخافوه فقال تعالى فلا تخافوهم وخافون ان كنتم مومنين
وقال تعالى واياي فارهبون ومدح المومنين بالخوف فقال يخافون ربهم من فوقهم قال
الشارح رضي الله عنه وما ذكره من الخوف انه يتعلق بحصول مولم او فوات محبوب وكل ذلك
في الاستقبال فهذا بعض انواع الخوف وقد قال تعالى في حق الملايكة وغيرهم يخافون ربهم من
فوقهم وانما خوف الملايكة خوف الاجلال والتعظيم لكمال معرفتهم بالله تعالى وقد روي ان النبي صلى
الله عليه وسلم قال رايت جبريل في ليلة المعراج كالحلس الملقى فعلمت فضل خشيته
على خشيتي وذلك لعلمه بالله فالخوف بمعنى الاجلال والتعظيم ملازم لقلوب الانبياء والاولياء
وهو الذي يحجزهم عن المخالفات ويحملهم على القيام بالطاعات وان لم يخطر ببالهم ثواب ولا
عقاب بل يعبدونه لحق امره وعظيم قدره وجلاله وحق عبوديته وملكه ولهذا قال القاضي سبعة
السنة لو لم يوجب الله شيئا لوجب ولو لم يتوعد بعقاب على تركه وانما جعل الله تعالى الثواب
والعقاب حاملين معينين على امتثال اوامره والبعد عن زواجره ومن كملت معرفته
وصحت لمولاه محبته حمله ذلك على بذل الجهد في طاعته وقد قال صلى الله عليه وسلم في حق
سالم لقد احب الله حبا لو لم يخف الله لم يعصه فاخبر ان محبته كافية في الحمل وان عدم
الخوف والمحبة جميعا وقوله يخافون ربهم من فوقهم فوقية الله سبحانه ليست للمكان
وانما هو بالاجلال والتعظيم وكمال الاقتدار والتنزه عن مماثلته لخلقه تنزيها مطلقا
لا يدخل تحت الحصر والمقدار وقد يطلق الخوف من قولهم على العذاب ويكون من باب حذف
المضاف واقامة المضاف اليه مقامه اي عذاب ربهم كما اهلك بالحجارة والريح وغير ذلك
وكذلك النار التي هي اشد العذاب فيكون من خوفهم ومن تحت ارجلهم قال الامام رضي الله
عنه سمعت الاستاذ ابا علي الدقاق رحمه الله يقول الخوف على مراتب الخوف والخشية

الحدود

١٦٦

Copyright © King Saud University

والهيبة فالخوف من شرط الايمان وقضيته قال الله تعالى وخافون ان كنتم مومنين والخشية
من شرط العلم قال الله تعالى انما يخشى الله من عباده العلماء والهيبة من شرط المعرفة قال تعالى ويحذركم
الله نفسه قال الشارح رضي الله عنه مراده ان المومنين على درجات منهم من يعتقد اعتقادا
صحيحا وهو المومن فايمانه يقتضي الخوف من عذاب الله تعالى لانه يعصي متعلقا باعتقاده والعالم
بالله تعالى وجلاله وعظمته [illegible] عن الاعتقاد فهو يخشى الله بما يعلمه من كمال اقتداره
وشدة بطشه وكيف اهلك من اهل المخالفة واسعد من اسعد باتباعه للانبيا وطاعته
فالعالم بجملة الجهات يخشى الله سبحانه ويخافه ويرجوه لما ذكرناه وقد قال تعالى انما يخشى الله من
عباده العلماء قال اهل التفسير العلماء به والعارف عندهم عبارة عمن توالى على قلبه ذكر مولاه
وكثرت مناجاته له وشكره ودعاوه وكمل اجلاله له وتعظيمه حتى شغله عن جميع مخلوقاته
من عذابه ونعيمه فلذلك قال وشرط الهيبة المعرفة ولذلك اشار اليه بقوله تعالى ويحذركم
الله نفسه ولم يذكر شيئا من عذابه وقد اطلق على الجميع الخوف فقال الخوف على ثلاث درجات
خوف وخشية ورهبة قال الامام رضي الله عنه سمعت الشيخ ابا عبد الرحمن السلمي رحمه
الله يقول سمعت محمد بن علي الحيري يقول سمعت محفوظا رحمه الله يقول سمعت ابا حفص يقول
الخوف سوط الله يقوم به الشارد من بابه قال الشارح رضي الله عنه وهذا صحيح
فان الهارب عن بابه انما هرب بمعصيته ومخالفته والا لا مهرب من الله ولا الى الله بالحس
انما العبد قربه من ربه بطاعته وهربه منه بمخالفته وانما يرده عن مخالفته خوفه من عذاب
ربه وسطوته وذلك على حسب صحة ايمانه ويقينه وقوته قال الامام رضي الله عنه وقال
ابو القاسم الحكيم الخوف على ضربين رهبة وخشية فصاحب الرهبة يلتجي الى الهرب
اذا خاف ورهب وهرب يصح ان يقال انهما واحد مثل جذب وجبذ فاذا هرب انجذب
في مقتضى هواه كالرهبان الذين اتبعوا اهواهم فاذا الجمهم لجام العلم وقاموا بحق الشرع فهو
الخشية قال الشارح رضي الله عنه فهذا وفقك الله مدح للعلما الذين وصفهم الله تعالى
بالخشية وذلك لان العبد اذا تفكر في ذنبه وشدة عقاب ربه رهب ومعنى رهب هرب [illegible]
هرب وبه خشي من انه لا يتاب عليه ويقع في القنوط من رحمة الله وبهذا الاعتبار جعل
الرهب والهرب معناهما واحدا كجبذ التي وجذبه فاذا من الله عليه بالعلم وعلم انه
لا ملجا من الله الا اليه وعلم سعة رحمة ربه وسرعة قبوله على التائبين رجع اليه
واعتدل خوفه ورجاؤه وصار من العلما العاملين الموصوفين بالخشية وذلك لعلمهم بصفات
الله تعالى وهو انه شديد العقاب غفور رحيم ولعلمهم بما جرى منهم من المعصية والتوبة
عنها فاذا نظر الى نفسه وكونه اجرى عليه المعصية خاف واذا نظر الى كونه من عليه بالتوبة
رجا واعتدل خوفه ورجاؤه واورد استشعاره طاعته ومراقبته وخشيته قال الامام رضي الله عنه

سمعت

سمعت محمد بن الحسين يقول سمعت عبد الله بن محمد الرازي يقول سمعت ابا عثمان يقول سمعت
ابا حفص يقول الخوف سراج القلب به يبصر ما فيه من الخير والشر قال الشارح رضي الله عنه
قوله سراج القلب به يبصر الخير والشر فيه مسامحة وانما يبصر الخير والشر بالعلم والخوف حامل
له على التثبت ليميز الخير من الشر ويكون تمييزه بالعلم لا بالخوف وانما الخوف والتثبت
بالعقل ومعرفة الحق من الباطل بالعلم الشرعي قال الامام رضي الله عنه سمعت الاستاذ
ابا علي الدقاق رحمه الله يقول الخوف ان لا تعلل نفسك بعسى وسوف قال الشارح رضي الله عنه
وهذا صحيح فان الخوف على ثلاث درجات ناقص ومعتدل ومفرط فالناقص لا يحمل لا على الطلب
ولا على الهرب والمفرط يوقع في القنوط من رحمة الله واليأس من فضل الله وكلاهما محرم والمعتدل
من الخوف هو الذي يحمل العبد على الفور في خلاصه مما يخافه ومن هذه صفته لا يعلل نفسه
بعسى ولا بسوف بل يهرب على الفور من كل مخوف قال الامام رضي الله عنه سمعت محمد
بن الحسين يقول سمعت ابا القاسم الدمشقي يقول سمعت ابا عمرو الدمشقي يقول الخايف من يخاف من
نفسه اكثر مما من الشيطان قال الشارح رضي الله عنه وهذا صحيح فان الشيطان لعنه
الله لا قدرة له عليك الا بميل نفسك الى الشهوات ومحبتها الراحات ففي ميلها للشهوات
الوقوع في المحرمات وفي ميلها الى الراحات الاخلال بالواجبات والشيطان يزين للنفس الشهوات
ويذكرها انواع المشتهيات ويثقل عليها الطاعات ويذكرها ما فيها من المشقات فمن عرف نفسه
وميلها لكل لذيذ ونفورها عن كل كريه ولا تبالي كان فيها نفعها او ضرها وانما همها عاجل شهوتها
حذر نفسه اشد من حذره من الشيطان ولذلك كانت اعدا عدو الانسان كما قال عليه السلام اعدا عدوك
نفسك التي بين جنبيك وقال واما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى فان الجنة هي المأوى
قال الامام رضي الله عنه وقال ابن الجلا الخايف من تامنه المخوفات قال الشارح رضي الله
عنه هذا صحيح فان من علم انه لا ضار ولا نافع ولا معطي ولا مانع الا الله عز وجل لم يخف
غيره وسكنت نفسه في الصحاري والبراري ومع السباع والهوام والنيران كما جرى
لابينا ابراهيم صلوات الله على نبينا وعليه ولابي مسلم الخولاني رضي الله عنه فمن لم يخف سوى
مولاه امن كل مخوف وان خاف من بعض المخلوقات فانما يخاف ان يسلطه الله عليه
ويكون خوفه من البعوضة ان سلطها عليه اشد من خوفه من الفيل وخوفه من الهر الذي يستانس
به في العادة ان سلطه عليه اشد من خوفه من الاسد فعلى هذا كان قوله من تامنه المخوفات
اي يامن في حال طروها عليه وورودها واما اذا كان مراده تامنه المخوفات اي تسكن
اليه ولا تنفر منه [illegible] اذا لم يوذ شيئا مخلوقا لم يوذه شي منها وسكنت اليه ولا تنفر
كما حكي عن سعيد بن جبير لما طلبه الحجاج وارسل في اثره رسلا وحلفهم ان يحضروه
[illegible] ما ذكره في بعض الصحاري وادهم المبيت الى دير فطمعوا ان يدخل معهم

Copyright © King Saud University

الدير فاتي فقال لهم الراهب ان هاهنا سبعا ولبوة يانيان كل ليلة فاخشى ان يلحقكما اذية
منهما فدعوه واصعدوا الى اعلى الدير وانظروا انما يكون من امره فقام سعيد يصلي واتى
السبع واللبوة فاخذ يلحسان قدميه ويتمسحان به ويربضا حوله الى ان اصبح فلما
تركاه فنزل اليه الرسل واخذوا يقبلون يديه ورجليه ويقولون اعذرنا والا انا
حلفنا ما سكنا فيقول ما اعذرني لكم وارضاني بقدر الله فيه الى الحجاج في قصة طويلة
ودعا عليه قبل ان يقتله فلم يقتل بعده احدا فكان يغشى عليه فاذا افاق قال ما لي ولسعيد
ابن جبير **قال** الامام رضي الله عنه وقيل ليس الخايف الذي يبكي ويمسح عينيه انما الخايف
من يترك ما يخاف ان يعذب عليه **قال** الشارح رضي الله عنه وهذا انما تقدمت
الاشارة اليه من ان الخوف المحمود انما هو الذي يزع العبد عن معاصي الله تعالى ويحمله على القيام
بواجباته ومتى قل خوفه حتى انما ده البكاء والتألم على حاله وما هو فيه من فساد دينه فعنده
خوف يسير لم يحصل فايدته بالكلية ولو فقد هذا الخوف بالكلية لكان كافرا لانه دليل
ايمانه بوعد ربه ووعيده وهو الخوف الذي حجزه عن الكفر وربما حجزه عن بعض المعاصي من الكباير
كقتل النفس وما يجري مجراه والخوف المحمود ما مانع العبد عن الاخلال بشي من الواجبات او
الوقوع في شي من المحرمات ولهذا قال انما الخايف من ترك ما يخاف العقاب عليه **قال**
الامام رضي الله عنه وقيل للفضيل ما لنا لا نرى خايفا فقال لو كنت خايفا لرايت الخايفين
لان الخايف لا يراه الا الخايفون وان الثكلى هي التي تحب ان ترى الثكلى **قال** الشارح رضي الله
عنه وهذا صحيح فان الخايف انما يعرف خوفه في حركاته وسكونه وقيامه باوامر ربه وبعده
عن مناهيه وبهذا الاعتبار كان الخوف يعرف في عمر رضي الله عنه وامثاله حتى يقولا او يفعلا
فكل من لا يعرف من الخايفين الا كل ما منزع متعلق في ظاهره وبا... ودا ع لله تعالى ان يعامله
فلم يعرف الخايفين على التحقيق بل يعرف فيجمعه الخوف في ساير حركات الخايف وسكونه
وكلامه وتحفظه في منطقه وكذلك استماعه ونظره وبصره وكذلك ما هو به يديه ورجليه وطعامه
وشرابه وساير ما هو فيه ولا يعرف ذلك الا من كمل علمه وتحقق به في نفسه وعرف شكله
وامثاله من الناس فهذا هو الذي يعرف ابنا جنسه ويميل اليهم بطبعه لرجا منفعته وانسه
ولذلك قال في اخر كلامه ان الثكلى هي التي تحب الثكلى المحزونة بما هي عليه من صفات الثكلى ولتسلى بما
نهانا في ماهي فيه من الحزن والبلا **قال** الامام رضي الله عنه وقال يحيى ابن معاذ مسكين ابن ادم
لو خاف من النار كما يخاف من الفقر لدخل الجنة **قال** الشارح رضي الله عنه وهذا صحيح فان خوف
الفقر يحمل الانسان على ان يشح بما في يديه عن نفسه وعياله ويمنع من كثير من الشهوات ويحمل
بالقيام بكثير من الواجبات من فرض وليه او والده وحق عليه من الزكوات والقرابات ويدفع في
تحصيل المال خوفا من الفقر في انواع الحيل من التلبيس والغش في العيوب وكثير من المعاملات والوقوع

في

في ابواب من الربا والمعاملات الفاسدة في القراض والاجارة والمساقاة وغير ذلك
مما غلب علينا في هذه الاوقات فانا لله وانا اليه راجعون حال اهل الارض والسموات فاذا كان
العبد لخوف الفقر يرتكب هذه المولمات ويخل بهذه الواجبات ويرتكب ما ذكرناه من
المحرمات فلو خاف من النار كما يخاف من الفقر لهرب من اسباب دخولها وتعاطى اسباب
دخول الجنان بالادلة الواضحات وذلك دليل على ضعف الايمان بالاخرة والعياذ بالله
او غلبة الشهوات العاجلة وهو اخف المحظوران **قال** الامام رضي الله عنه وقال شاه
الكرماني علامة الخوف الحزن الدايم **قال** الشارح رضي الله عنه وذلك ان الخوف على ما
تقدم انما يتعلق بضرر اما فوات محبوب او حصول مكروه واذا كان امر ينتظر او توالى على
القلب الفكر فيه او رق العبد الغم والحزن الطويل انتظاره لذلك ولو رجع المخوف بسرعة لم يتم
حزنا الا على ما فات **قال** الامام رضي الله عنه وقال ابو القسم الحكيم من خاف من شي هرب منه
علي م	ومن خاف من الله تعالى هرب اليه **قال** الشارح رضي الله عنه قد تقدم ان الخوف الحقيقة
انما يكون من الله خاصة لانه الفاعل لكل مخوف واذا خاف العبد غير الله مع غفلته عن الله
ان يهرب من المخوف كهربه من الاسد والنار واذا ذكر الله تعالى وخشي ان يسلطه عليه
هرب الى الله عز وجل اي رجع اليه تعالى بهذا انما يهرب من المخوفات الغافل والامر عالم انها مسخرة
بيد الله هرب الى الله القادر على خلاصه منها لا غيره **قال** الامام رضي الله عنه وسيل ذو
النون المصري متى يتيسر على العبد سبيل الخوف فقال اذا انزل نفسه منزلة السقيم يحتمي
من كل شي مخافة طول السقام **قال** الشارح رضي الله عنه وهذا سوال عن السبب الذي يسهل
على الانسان سلوك طريق المخافة ويهون عليه وذلك اذا عرف ضعفه وعجزها عن تحمل
شي مما يضرها او ينفعها الا بالله واذا دام التفكر في ذلك سهل عليه امر الخوف في عمل على مقتضاه
وتعبد بما تخشاه وقام بما عليه من واجبه وتعرّاه ولم يلتفت لما يطرقه من المشقة
في ذلك بالملوم والمحا... نفسه لهواه طالبا سلامة عقباه ولذلك شبهه بالمريض الذي يحتاج
الى الادوية رجاء لشفايه من بلواه فيحتمل في شربها ما تكرهه نفسه وتأباه كل ذلك
رجا العافية من سقمه وبلواه **قال** الامام رضي الله عنه وقال معاذ بن جبل رضي الله عنه
ان المومن لا يطمين قلبه ولا تسكن روعته حتى يخلف جسر جهنم **قال** الشارح رضي الله
عنه وهذا هو المومن الكامل العارف باحكام ربه عليه في دنياه وكثرة طروق الافات
في عمله الذي طلبه منه مولاه وكذلك هجوم الموت الذي يقطعه عن بلوغ ما تمناه وكذلك
خوف نزول ما سبق من قضاء ربه مما يصيره في اخراه فمن علم هذه الاعذار المتعلقة باعماله قلبه
وجوارحه في هذه الدار وهو معرض للقاء ربه ولا طاقة له كثر قلقه وعلم من نفسه
القرار فهذا لا يهلوا ولا يسكن حتى يجاوز الصراط فحينيذ تسكن نفسه ويهدا قلقه لانه اخر

بهدا

المخاوف فلا خوف بعده لانه جاني الخبر انه جسر ممدود على متن جهنم قال الامام رضي الله
عنه وقال بشر الحافي الخوف ملك لا يسكن الا في قلب متقي قال الشارح رضي الله عنه وهذا
صحيح فان الملوك لا يسكن في محل الاوساخ والاقذار واذا نزلت وكان في الموضع وسخ او قذر
غسل من ساعته ونظف لان شرفية همة الملوك تنافي الاقذار والاوساخ كذلك الخوف من الله
لا يقوى ولا يكمل ويحمل على الخيرات وان دقت وشقت ويصرف عن الشرور وان عظمت
الا في قلب قد تطهر من الشهوات بانواع المجاهدات والرياضات وتكلف العبد التقلل في حاله
وماله حتى يسر الله تعالى عليه بالخوف التام مع لهو في احجامه واقدامه وقد يمن الله تعالى على
العبد بهذا الخوف الكامل من غير كسب ولا طلب فاذا حل بالقلب صرف عنه كل شر وسبب كما فعله
بالسحرة وغيرهم من الغافلين فاوقع في قلوبهم مخوفه ما حملهم على الاعراض عن فرعون وكبيره
فهذا الخوف الذي اذا نزل طهر المحل من كل شي وضده قال الامام رضي الله عنه وقال ابو عثمان
الحيري عيب الخائف في خوفه السكون الى خوفه لانه امر خفي قال الشارح رضي الله عنه قد
تقدم مرارا ان من سكن الى مقام شريف منعه سكونه من الارتقاء الى ما هو اكمل منه وهذا مطرد
في الخوف وغيره من المقامات قال الامام رضي الله عنه وقال الواسطي الخوف حجاب بين الله
وبين العبد وهذا اللفظ فيه اشكال ومعناه ان الخائف متطلع لوقت ثان وابناء الوقت لا تطلع لهم
لمستقبل وحسنات الابرار سيئات المقربين قال الشارح رضي الله عنه وانما كان حجابا لما
قدمناه من انه اذا وقف العبد مع حالته في الخوف استحسن مقامه فيه وكونه استعانه على
الخلاص من الجريات ونشطه في الطاعات فاستحسانه لحالة ووقوفه معه حجاب بينه
وبين ربه اي منعه عن الانتقال الى ما هو اعلى منه واقرب الى ربه وبهذا الاعتبار كان حجابا وقول
الامام في تفسيره لانه متطلع الى وقت ثان وابناء الوقت لا التفات لهم الى غير ما هم فيه والذي
ذكرنا اولى لانه وان كان الخوف يتعلق بالاستقبال فهي حالة الخائف فسكونه الى حالته حجاب
عما هو اعلى منه واقرب الى ربه وبهذا كان حجابا بين العبد وبين ربه واما مراد الامام ان من نظر الى غير
وقته فهو صاحب تفرقة ومن كان مشغولا بوقته كان صاحب جمع وكون الخوف يتعلق
بامر في الاستقبال من حلول مولم او فوات محبوب لا يدل على تفرقته جارحة عن مقام الخوف
فان متعلق كل مقام من ضروريه التخلق به ملاحظته فهو جمع لا تفرقة قال الامام رضي الله عنه
سمعت محمد بن الحسين رحمه الله يقول سمعت محمد بن علي النهاوندي يقول سمعت ابراهيم بن فاتك
يقول سمعت النوري يقول الخائف يهرب من ربه الى ربه قال الشارح رضي الله عنه وهذا
قد تقدمت الاشارة اليه وهو من باب حذف المضاف واقامة المضاف اليه مقامه اي من
معصية ربه الى طاعة ربه او من عذاب ربه الى عفو ربه او من سخط ربه الى رضى ربه اذ لا مهرب
من الله الا الى الله قال الامام رضي الله عنه وقال بعضهم علامة الخوف التحير على باب الغيب قال

الشارح

الشارح رضي الله عنه وهذا التحير ليس جهلا او عدم معرفة وانما هو قلق في اسباب النجاة
وفكر في الخلاص مما وقع فيه مما يوجب العذاب ومن لازم الباب بالتذلل والعنا يرجى له نيل
الثواب فضلا عن الخلاص من العذاب   الامام رضي الله سمعنا ابا عبد الله الصوفي يقول
سمعت علي بن ابراهيم العكبري يقول سمعنا الجنيد يقول وقد سيل عن الخوف فقال توقع
العقوبة مع مجاري الانفاس   الشارح رضي الله عنه وهذا هو الذي فسرنا به الحيرة
على الباب فان الخوف يرفع عن القلب الحجاب ويقبله المراقبة والكل الاسباب يرضي الكريم
الوهاب   الامام رضي الله عنه وسمعت الشيخ ابا عبد الرحمن السلمي رحمه الله يقول سمعت الحسين
ابن احمد الصفار يقول سمعت محمد بن المسيب يقول سمعت هاشم بن خالد يقول سمعت ابا سليمان
الداراني يقول ما فارق الخوف قلبا الا خرب   الشارح رضي الله عنه وهذا صحيح فان الخوف
على درجات وكل من انتقل الى مقام شريف ان لم يكن خوفه راجعا بفضله عليه او بكلمة او برتبة
الى ما هو اعلى منه فسد عليه ما هو فيه فعلى هذا الفقير لا يستغني مقام عن الخوف ولكن
شتان بين خوف العذاب وخوف العتاب وخوف الحجاب وخوف فراق الاحباب والله الموفق
للصواب   الامام رضي الله عنه وسمعته يقول سمعت عبد الله بن محمد بن عبد الرحمن
يقول سمعت ابا عثمان يقول صدق الخوف هو الورع عن الاثام ظاهرا وباطنا   الشارح
رضي الله عنه قد تقدم ان الورع هو التجانب لما يحذر كما قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه
ودعوا الطمع ولا تراعوه اي تجنبوه رحالكم ولا ترصدوه حتى يقع وينال ورع الابل اي تجنبها
مراتع الهلاك فالورع هو التجانب لما يحذر فعلى هذا كل خوف لا يثمر التجانب للمخوف فليس بخوف
صحيح والمحذور اما الاخلال بواجب او ارتكاب محرم او الكسل عن مندوب او تهاون بفعل
مكروه وكذلك ما تعالى في الدرجات من انواع المندوبات والمكروهات   الامام رضي
الله عنه وقال ذو النون المصري الناس على الطريق ما لم يزل عنهم الخوف فاذا زال الخوف
ضلوا عن الطريق   الشارح رضي الله عنه وهذا هو نفس ما فسرنا به قول من قال ما فارق
الخوف قلبا الا خرب وهو انه لا يستغني عنه مقام لان الخوف على اقدام   الامام رضي
الله عنه وقال حاتم الاصم لكل شي زينة وزينة العبادة الخوف وعلامة الخوف قصر الامل
الشارح رضي الله عنه وهذا صحيح فان العبد انما يتزين في الدنيا والاخرة بطاعة
مولاه والكمال لها في دنياه وانما يكملها ويحفظها مما يشينها بالخوف ومن قصر امله ايضا
حسن عمله فان كان في نقص خشي لقاء مولاه عليه وان كان رجوا كما لا خشي ان يقطعه
الموت عنه فقصر الامل ينفع المطيع والعاصي فالعاصي يتخلص به من زلله والمطيع يجد
بسببه في طلوع مطلوبه وامله   الامام رضي الله عنه وقال رجل لبشر الحافي اراك
الموت فقال القدوم على الله شديد   الشارح رضي الله عنه وهذا يدل على كمال تعظيمه

Copyright © King Saud University

لمولاه وشده امتلا قلبه بالحضور بسواله عن نفراه وهدا على حسب ما يغلب على قلب العارف
حما يحده به الحق فيه من الاحوال فتارة الاخاف الاعا وتاره يشتاقه ويحبه ومحبته تختلف
تاره خوفا على نفسه من التغيير وتاره لشل ما يرجوه من فضل العليم الخبير وقد دكر ان عمر
ابن الخطاب رضي الله عنه كمال فضله واجتهاده في القيام بحقوق الله فيما الحصه في نفسه
دفيما بينه وبين خلقه روى انه كوم كومة بطحا ثم والقى رداه عليه واستلقى على ظهره
ثم مد يده في صوره الفقير العاجز الذى لا حيلة له ثم قال اللهم كبر سني وضعفت قوتي وانتشرت
رعيتي فاقبضني اليك غير مبدل ولا مغير قال الامام رضي الله عنه سمعت الاستاد ابا علي الدقاق
رحمه الله يقول دخلت على الامام ابي بكر ابن فورك رحمه الله عايدا فلما راني دمعت عيناه فقلت
له ان الله سبحانه يعافيك ويشفيك فقال لي تراني اخاف من الموت انما اخاف مما ورا الموت انا علي
ابن احمد الاهوازي قال انا احمد بن عبيد ثنا محمد بن عثمان ثنا القسم بن محمد ثنا يحيى بن يمان عن مالك
بن مغول عن عبد الرحمن بن سعيد بن موهب عن عايشه رضي الله عنها قالت قلت يا رسول
الله الذين يوتون ما اتوا وقلوبهم وجلة اهو الرجل يسرق ويزني ويشرب الخمر قال لا ولكن
الرجل يصوم ويتصدق ويصلي ويخاف ان لا يقبل منه قال الشارح رضي الله عنه وهذا
يدل على ان الخوف يكون مع كمال الطاعه وذلك لانه لا يعرف صحة عمله ولا قبوله فخافا
يطوى الاعمال من الافات ولذلك قال الامام ابو بكر بن فورك رضي الله عنه ما بكائي من الموت
وانما بكاي لما بعد الموت وعليه يدل قول النبي صلى الله عليه وسلم لعايشه في تفسير الايه
وهي قوله تعالى والذين يوتون ما اتوا وقلوبهم وجلة هل هم عن المعاصي من الزنا والسرقه
وشرب الخمر فقال لها النبي صلى الله عليه وسلم لا بل الرجل يصوم ويصلي ويتصدق ويخاف
ان لا يقبل منه فدل ذلك على ان الخوف منقسم على اقسام فيكون للعاصين والمطيعين والاوليا
والمقربين قال الامام رضي الله عنه وقال ابن المبارك رحمه الله الذى يهيج الخوف حتى يسكن في
القلب دوام المراقبه في السر والعلانيه سمعت محمد بن الحسين يقول سمعت محمد بن احمد يقول
سمعت عليا الرازي يقول سمعت ابن المبارك رحمه الله يقول ذلك قال الشارح رضي الله
عنه وهذا صحيح فان الحامل على دوام المراقبه ما يطرى على القلب من الخواطر الداعيه الى الافعال
اما بالقلب او بالجوارح انما هو الحذر من قبول ما يكرهه الحق سبحانه واذا كانت الخواطر
تتوالى على القلب من قبل الحق سبحانه بغير واسطه او بواسطه الملك والنفس والشيطان
فلا بد من دوام المراقبه بالعلم ولا يتم ذلك الا بقوة الحذر والخوف فبالخوف الصادق يتوالى
الحذر على القلب فيحصل المراقبه ولذلك قال الامام ابن المبارك رحمه الله ما قال وهو ان
الحذر انما يسكن القلب لدوام المراقبه وعلامة السكون توالية حتى يصير كانه ساكن
فان الاعراض لا بقا لها قال الامام رضي الله عنه وسمعت محمد بن الحسين يقول سمعت

ابا

ابا بكر الرازي يقول سمعت ابراهيم ابن شيبان يقول اذا سكن الخوف القلب احرق مواضع
الشهوات منه وطرد رغبة الدنيا عنه قال الشارح رضي الله عنه وهذا صحيح في الصادقين
الميل الى الشهوات والنفور عنها فان الهوى يميل الى الشهوات والخوف يحجز عنها لما اشتملت
عليه من البليات وبهذا الاعتبار كان حب الدنيا راس كل خطيه وخوف الله تعالى راس كل خير
فان العبد اذا خاف الله تعالى بعد عما يسخطه عليه واشتغل بما يرضيه عنه وقد بينا
ان مراده بسكون الخوف في القلب توالية عليه قال الامام رضي الله عنه وقيل
الخوف قوة العلم بمجاري الاحكام وقيل الخوف حركة القلب من جلال الرب قال
الشارح رضي الله عنه فقوله قوة العلم بمجاري الاحكام يعني تصرف الله تعالى في خلقه
من الهدايه والاضلال والعوافي والامراض والطاعه والعصيان تحسب ذلك ما سبق وكان
ممن قوي علمه بهذا التصرف لم يامن على نفسه تحاله لو كان في افضل المقامات والاحوال
وهذا العلم هو سبب الخوف لا نفس الخوف فعبر عن الخوف بسببه كما عبر الثوري
عن الزهد بقصر الامل واما من قال الخوف حركة القلب لجلال الرب فعن نفس الخوف وهو قلق
القلب وانزعاجه لامر متعاظم ولا اعظم ولا اجل من الله تعالى فمتى استشعر القلب سطوة
الحق ابه في حالته التي هو عليها ولو كان في افضلها فانه اضطرب قلبه واقشعر جلده
ووجل كما قال تعالى اذا ذكر الله وجلت قلوبهم قال الامام رضي الله عنه وقال ابو
سليمان للقلب ان لا يكون الغالب عليه الا الخوف فانه اذا غلب الرجا على القلب فسد
القلب ثم قال يا احمد بالخوف ارتفعوا فان ضيعوه نزلوا قال الشارح رضي الله عنه
وهذا ابدل لعل ابي سليمان الداراني رضي الله عنه انه راى من تلميذه احمد ميلا الى جانب
الرجا وكل مبتدى محتاج الى الخوف اكد لانه يتطهر من الاثام ويحترس ما فسد من الايام بالاثام
ويستقيم بسببه على احوال السادة الكلام فمدح له الخوف وامره ان يكون الغالب على حاله
ويدل عليه قوله يا احمد بذلك ارتفعوا فان ضيعوه نزلوا واذا استقامت من العبد الاحوال
كان الكمال في استوايهما في قلبه من غير اخلال وهو الذى اوصى به ابو بكر الصديق عمر بن الخطاب
رضي الله عنهما بقوله لعمر ليكون العبد راغبا راهبا لا يتمنى على الله ولا يقنط من رحمة الله
وهو الذى يدل عليه كلام عمر بن الخطاب رضي الله عنه في قوله لو نادى مناد من السما ايها الناس
انكم كلكم داخلون النار الا رجلا واحدا لرجوت ان اكون انا هو ولو نادى مناد انكم
كلكم داخلون الجنة الا رجلا واحدا لخشيت ان اكون انا هو وهذا يدل على كمال معرفته
بنفسه وما جرى عليه من زلله واستقامته وهما اسباب الهلاك والنجاه ومعرفته بجلال
ربه وعظمته وهو انه يفعل ما يشا قال الامام رضي الله عنه وقال الواسطي الخوف والرجا
زمامان على النفوس لئلا تخرج الى رعوناتها قال الشارح رضي الله عنه ورعونة النفس

Copyright © King Saud University

سكونها الى حالتها وحسن ما هي فيه من طاعتها او هلعها وجزعها ويأسها من فضل ربها عند
تحالفها فالخوف والرجا بهما تنفصل النفس عن هذه الرعونة فان استحسنت احوالها وركنت
الى اعمالها زجرها الخوف من السوابق وان يئست من فضل ربها وقنطت لسوء حالتها
جذبها الرجا للسلامة من هذه البوائق قال الامام رضي الله عنه وقال الواسطي اذا ظهر
الحق على السرائر لا يبقى فيها فضلة لرجاء ولا لخوف قال الاستاذ الامام رحمه الله وهذا فيه اشكال
ومعناه اذا اصطلمت شواهد الحق الاسرار وملكها فلا يبقى فيها مساغ لذكر حدثان من خوف
والرجا من اثار بقاء الاحساس باحكام البشرية قال الشارح رضي الله عنه ما ذكره الامام
من الاصطلام لا بد من الحق لاحكام البشرية والاحساس بها معناه ان الحق سبحانه يطلع
العبد من جلاله وعظمته وكمال سلطانه بما يظهره لعبده حتى يستغرق قلبه ولا يبقى في قلبه
شعور بنفسه فضلا عن غيره من المخلوقات والخوف والرجا فيه استشعار للنفس بما يرفعها
ويضعها واذا وصل العبد الى ان يحصل عن نفسه شغلا بما يظهر الحق له ويعرفه اياه من جماله
وجلاله حتى يشغله ذلك عن تحسسه لنفسه فلا يبقى ذكر الخوف ولا لرجا وقول الامام فيه اشكال
معناه على من لم يعرف اصطلاح القوم فاذا اسقط المراد به ولا سيما وقد تقدم من كلامه وكلام
غيره انه ما فارق الخوف قلبا الا خرب وان الحال الغير الله مع الرجا وهذا كله كلام مع القصد
والاختيار وما اشار اليه من الاصطلام من باب الكرم والاضطرار فانتفى كلاهما وزال الاشكال
عن الاقوال والله المستعان قال الامام رضي الله عنه وقال الكبير من خاف من شيء سوى الله
تعالى او رجا سواه اغلق عليه ابواب كل شيء وسلط عليه المخافة وحجب قلبه بسبعين حجابا
ايسرها الشك وان مما اوجب شدة خوفهم بكرة نهم في العواقب وخشية تغير احوالهم
قال الله تعالى وبدا لهم من الله ما لم يكونوا يحتسبون وقال الله تعالى هل ننبئكم بالاخسرين اعمالا
الذين ضل سعيهم في الحياة الدنيا وهم يحسبون انهم يحسنون صنعا فكم من مغبوط في
احواله انعكست عليه الحال ومني بمقارفة قبيح الاعمال فبدل بالانس وحشة وبالحضور
غيبة سمعت الاستاذ ابا علي الدقاق رحمه الله ينشد كثيرا احسنت ظنك بالايام اذ
حسنت ولم تخف سوء ما ياتي به القدر وسالمتك الليالي فاغتررت بها وعند
صفو الليالي يحدث الكدر قال الشارح رضي الله عنه فاما قوله من خاف غير الله
او رجا سواه اغلق عليه ابواب كل شيء الى اخر كلامه صحيح فان ابواب كل شيء انما هي معرفة
الله تعالى وانفراده بالافعال وانه لا تتحرك ذرة ولا تسكن الا باذنه ولو سلط على
العبد لضعف خلقه لما زاد عليه من احوالهم وان نظر العبد الى غير الله تعالى في
الاقتدار وخاف او رجا من لا يقدر لنفسه ولا لغيره على تحصيل نفع ولا دفع ضر في الاخرى
والدنيا فهذا الذي اغلق عنه ابواب الخيرات وحرمه الله من كل شيء لكونه ترك الحق وحمى

يخاف

يخاف منه ودعا سلط عليه من جلاله وعقوبته لكونه [illegible] الله والى بحضرة عنده
فهذا خوف من الخوف المذموم واما قوله وحجب قلبه بسبعين حجابا ايسرها الشك
فلما ذكر انه احتجب عن الله بما هو الالتفات الى مخلوقاته والمخلوقات غير الله لا تنحصر
السبعين لكثرتها من اصناف الحيوانات من الجن والانس وغيرهم وانما ذكر ذلك للمبالغة
لا للحصر وقوله ايسرها الشك وذلك لعدم معرفته بان الكل بحكمه مسخرون
مجبرون مملوكون لله تعالى مقادير لتقديره الحادثة فاذا نظر في الاسباب وغفل عن
المسبب وذلك ايمانه الصحيح على انفراده بالافعال فحصل في قلبه تردد واعتبار وتغير
عنه بالشك والا لو سلم الحقيقة ان الله هو الفاعل وغيره لما كان كافرا وقوله انما
مما اوجب شدة خوفهم نظرهم الى العواقب والنظر اليها وهذا صحيح فان الله سبحانه قد
فرغ مما هو كائن واهل الجنة الذين هم اهلها مخلدون فيها يعلمون الله سبحانه
وكذلك اهل النار وفي الخبر الصحيح فرغ ربك مما هو كائن ومعناه انه لا يقع الا ما سبق
في ارادة الله تعالى وعلمه والعبد لا يدري من اي الاقسام هو ولكنه اذا ادرك نفسه
مستقيما على الصراط المستقيم فان بما امره ومنتهيا [illegible] طاعته
فانه يرجو ان يعمه الله على الخير واذا رأى نفسه [illegible]
اما رأى اهل الاهلاك منوا اليه عليه ولا يياس من كرمه ولطفه [illegible] وان يحمله
طاعته يخاف التغيير والتبديل لانه سبحانه له ان يفعل ما يشا لا يسال عما يفعل وهم
يسالون وما ذكره من الايات الدالة على ان العبد ينبغي ان يخاف من السوابق في
في قوله وبدا لهم من الله ما لم يكونوا يحتسبون فالذين ضل سعيهم في الحياة الدنيا وهم يحسبون
انهم يحسنون صنعا وكذلك الشعر دليل على ان الشخص لا يغتر بحالته التي هو فيها
فان جملة الناس واثقوا عليه وسكنت نفسه لما هو عليه فانه لا يامن سوابق الاقدار
كما قال احسنت ظنك بالايام اذ حسنت ولم تخف سوء ما ياتي به القدر وسالمتك
الليالي فاغتررت بها وعند صفو الليالي يحدث الكدر قال الامام رضي الله عنه سمعت
منصور بن خلف المغربي رحمه الله يقول كان رجلان اصطحبا في الارادة برهة من
الزمان ثم ان احدهما سافر وفارق صاحبه واتى عليه مدة ولم يسمع منه خبر فبينا
هذا الاخر كان في غزاة يقاتل عسكر الروم اذ خرج على المسلمين رجل مقنع في السلاح
يطلب المبارزة فخرج اليه من ابطال المسلمين واحد فقتله الرومي ثم خرج اخر
فقتله ثم ثالث فقتله فخرج اليه هذا الصوفي وتطاردا وكشف الرومي
عن وجهه فاذا هو صاحبه الذي صحبه في الارادة والعبادة سنين فقال هذا ايش
الخبر فقال له انه ارتد وخالط القوم وولد له اولاد واجتمع له مال فقال له وقد كنت تقرا

Copyright © King Saud University

القران بقراة كثيرة فقال له لا اذكر منه حرفا فقال له هذا الصوفي لا تفعل وارجع
فقال لا افعل فعلى ضربه حتى مات ثم انصرف مسرا لا افعل بك ما فعلت بالدليل هذا
الصوفي اعلم انك قتلت رجلا من المسلمين ولبس عليك انه نبي الا انصرفنا انصرفنا انت
وانا امهلك فرجع الرجل مولنا فتبعه هذا الصوفي وطعنه فقتله فبعد ذلك الجاهدات
ومقامات بلا الرياضات سات على انقراضه وقيل لما ظهر على ابليس ما ظهر طفق جبريل
وميكائيل عليهما السلام يبكيان زمانا طويلا فاوحى الله سبحانه اليهما ما لكما تبكيان كل هذا البكا
فقالا يا ربنا لا نامن مكرك فقال الله تعالى هكذا كونا لا تامنا مكري ويحكى عن السري
السقطي رحمه الله انه قال اني لا انظر الى انفي في اليوم كذا كذا مرة مخافة ان يكون قد اسود
لما اخافه من العقوبة وقال ابو حفص منذ اربعين سنة اعتقادي في نفسي ان الله تعالى
ينظر الي نظر السخط واعمالي تدل على ذلك وقال حاتم الاصم لا تغتر بموضع صالح فلا مكان اصلح
من الجنة فلقي ادم عليه السلام فيها ما لقي ولا تغتر بكثرة العمل فان ابليس
بعد طول عباداته لقي ما لقي ولا تغتر بكثرة العبادة فان ابليس بعد
طول تعبده لقي ما لقي ولا تغتر بكثرة العلم فان بلعام كان يحسن اسم الله الاعظم فانظر ماذا لقي
ولا تغتر برؤية الصالحين فلا شخص اكبر من المصطفى صلى الله عليه وسلم لم ينتفع بلقائه
اقاربه واعداؤه وخرج ابن المبارك يوما على اصحابه فقال اني اجترات البارحة
على الله تعالى سالته الجنة وقيل خرج عيسى عليه السلام ومعه صالح من صالحي بني اسرائيل عليهم
فتبعهما رجل خاطئ مشهور بالفسوق فقعد منتبذا عنهما منكسرا فدعا الله سبحانه
وقال اللهم لا تجمع بيننا وبين ذلك العاصي فاوحى الله تعالى الى عيسى عليه السلام قد
استجبت دعاهما جميعا رددت ذلك الصالح وغفرت لذلك المجرم وقال ذو النون المصري
تلك العلم لم سمي مجنونا قال لما طال حبسي عنه صرت مجنونا بالحزن عليه وفي معناه انشدوا
لو ان ما بي على صخر لانحله فكيف يحمله خلق من الطين وقال بعضهم ما رايت رجلا اعظم
رجاء لهذه الامة ولا اشد خوفا على نفسه من ابن سيرين وقيل مرض سفيان الثوري
فعرض دليله على الطبيب فقال هذا رجل قطع الخوف كبده ثم جاء وحس عرقه ثم قال
ما علمت ان في الحنيفية مثله وسئل الشبلي رضي الله عنه لم تصفر الشمس عند الغروب
فقال لانها عزلت عن مكان التمام فاصفرت لخوف المقام وكذا المؤمن اذا قارب خروجه
من الدنيا اصفر لونه لانه يخاف المقام فاذا طلعت الشمس طلعت مضيئة كذلك المؤمن
اذا بعث من قبره خرج ووجهه يشرق ويحكى عن احمد بن حنبل رضي الله عنه انه قال
سالت ربي عز وجل ان يفتح علي بابا من الخوف ففتح فخفت على عقلي فقلت يا رب على قدر
ما اطيق فسكن ذلك قال الشارح رضي الله عنه قد اشتملت هذه الحكايات جميعها على

الخوف

الخوف وانما اختلفت باختلاف المخوف فبعضهم خاف السابقة ومنهم الخاتمة وبعضهم خاف
الفراق في الدنيا المحبوب ولذلك لما قيل لعليم المجنون لما سميت مجنونا فقال لما طال حبسي عنه
صرت مجنونا لخوف فراقه ومعناه لما حبس عن رؤيته في الدنيا جن خوفا من ان لا يراه في الاخرى
ويحتمل ان يكون خوفا من التغير والتبديل في الدنيا واذا كان كذلك لا تغير حاله العاهر
عليه من دوام نظره اليه بقلبه ومن ذلك تغير احد الصالحين اللذين اصطحبا في العبادة
حتى قتل احدهما كافرا والعياذ بالله تعالى وكذلك خوف الملائكة من التبديل والتغيير
ونظر السري الى انفه خوفا من التغيير واما قول ابي حفص اعتقادي في نفسي منذ
اربعين سنة ان الله ينظر الي نظر المقت واعمالي تدل على ذلك وهذا يدل على ان اعماله
في الدنيا لا تليق بما عرفه الله تعالى به من جلاله وعظمته فان من عرف الله تعالى وجلاله
وعظمته كانت افعاله في عباداته لا تجري على ما هو فيه من المعرفة اما لكثرة غفلاته
او لسوادها في حال ملابسته مخصوصا ان يخاف على نفسه المقت لما يعرفه من نفسه
وجلال ربه وعظمته واما قول حاتم الاصم لا تغتر بموضع من المواضع فان اشرف
المواضع الجنة الى اخر كلامه وهو تنبيه على ان خوف الانسان هو الذي يحجزه
عن الاغترار باعماله او يكون في مواضع شريفة او لكثرة عمله او لخلطة الصالحين
فان خوف الانسان من المغتر هو الذي سلمه من ذلك واما خوف ابن المبارك
وقوله اني اجترات البارحة على الله وسالته الجنة فراجع الى حقره لنفسه
وعدم صلاحية احواله لان يسال الجنة بل كان يحقه ان يستعيذ من النار
وكذلك ابن سيرين خوفه على نفسه يرجع الى ما ذكرناه من نظره الى اعماله بعين
النقص وحسن ظنه بالمسلمين ورجا الله تعالى لهم في العفو عما يكون منهم واما
قول الشبلي في اصفرار الشمس عند الغروب ان ذلك لعزلها عن مكان التمام اعتبرها
بالمؤمن اذا خشي تغير الحال عن مقام التمام تغير لونه بالخوف وظهر بما نالهم عليه
واما كمال خوف سفيان فظهر على سائر جسده حتى فهمه الطبيب من حاله
وبحرقه لما راى من كمال تغيره فلما عرفه قال ما ظننت ان احدا انتهى الى هذا
الحد من الخوف تدل جميع ذلك على ان الخوف متنوع ويختلف باختلاف المخوف منه
وان تواليه على العبد يرقيه الى اعالي الدرجات ويحفظ عليه ما يخاف منه
الفوات ويكمل اجتهاده في تحصيل الباقيات الصالحات والله الموفق للصواب

باب الرجاء

قال الله سبحانه من كان الامام رضي الله عنه نعمه وكرمه قال
يرجو لقاء الله فان اجل الله لات انا ابو الحسن علي بن احمد الاهوازي انا احمد بن عبيد الصفار
قال ثنا عمر بن مسلم الثقفي قال ثنا الحسن بن رجاء قال ثنا العلاء بن زيد قال دخلت على مالك بن دينار

Copyright © King Saud University

فرايت عنده شيئا من عجب لما خرجنا من عنده ثلث شهر برحمتك الله زوجني فقال
نعم قال لم حدثني عمي ام الدردا عن ابي الدردا رضي الله عنه عن نبي الله صلى الله عليه وسلم
عن جبريل عليه السلام قال قال ربكم عز وجل عبدي ما عبدتني ورجوتني ولم تشرك بي
شيا غفرت لك ما كان منك ولو استقبلتني بملء الارض خطايا وذنوبا استقبلتك بمثلها
مغفرة فاغفر لك ولا ابالي انا علي بن احمد قال انا احمد بن عبيد قال ثنا بشر بن موسى قال ثنا خلف بن
الوليد قال ثنا مروان بن معاوية الفزاري قال ثنا ابو سفيان طريف بن عبيد الله بن الحارث عن انس بن
مالك رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الله تعالى يوم القيمة اخرجوا من النار من كان في
قلبه مثقال حبة شعير من ايمان ... اخرجوا من النار من كان في قلبه مثقال حبة خردل من ايمان ثم يقول
وعزتي وجلالي لا اجعل من امن بي ساعة من ليل او نهار كمن لم يؤمن بي قال الشارح رضي الله
عنه فالخبر الاول يدل على سعة رحمة الله تعالى للتائبين اذا رجعوا عما كانوا عليه ووعد والله
تعالى بانه يغفر لهم جميع ما تقدم لهم من ذنوبهم ويعضد هذا الخبر قوله تعالى ان الله لا يغفر ان يشرك
به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء وقوله التائب من الذنب كمن لا ذنب له والخبر الثاني يدل على الغفران
بعد المواخذة ببعض الزلل وقوله اذن من شعيرة او حبة شعير او حبة خردل الحديث يدل على انه
اراد الايمان العملي الذي يتاتى ان ينقسم الى الكثرة والقلة ويحتمل ان يريد الايمان الذي هو التصديق
بالله وبرسوله ويرجع القلة والكثرة الى نوابه على القلب وذكره له والغفلة عنه ويدل
عليه اخر الخبر لا اجعل من امن بي ساعة من نهار او ليل كمن لم يؤمن بي فدل ذلك على ذكر الايمان
وقيامه بقلبه ولو ساعة فتكون النجاة من النار منوطة بحصول هذا الايمان الذي هو عمل
القلب ويكون التفاوت في الاقامة في النار على حسب الاخلال بالواجبات وارتكاب
المحرمات واما من فاته ذلك فهو من اهل النار الذين هم اهلها كما جاء في الخبر الصحيح اما اهل النار
الذين هم اهلها فلا يموتون فيها ولا يحيون ولكن ناس اصابتهم النار بذنوبهم فاماتهم الله اماتة
فاذا صاروا فحما اذن بالشفاعة فجي بهم ضبائر ضبائر وبثوا على انهار الجنة وقيل يا اهل
الجنة افيضوا عليهم من الما فينبتون كما تنبت الحبة في حميل السيل الا ترونها كيف تخرج
صفرا ملتوية ونحن بعون الله تعالى نتكلم على الرجا كما تكلمنا به على الخوف ونذكر حقيقته
واسباب حصوله والادلة عليه وغوائله ونجري على ذلك كما ياتي في الباب من اقوال
المشايخ ان شا الله تعالى واما حقيقة الرجا فقد قال بعضهم هو سرور الفواد بحسن الميعاد
وهذا لا يبين حقيقة الرجا ويدخل التمني فان التمني سرور الفواد بحسن الميعاد ولكن
بغير عمل ولا توبة وقال بعضهم هو النظر الى سعة رحمة الله وهذا الصالح بتمييز الرجا وانما ذكر
بعض اسبابه ولم يخلص قوله من الغرور والتمني كما ذكرناه وقال بعضهم الرجا الاستبشار
بوجود فضله وهذا خارج عن الرجا بالكلية فان الرجا تعلق القلب بمحبوب يحصل في الاستقبال

ضبائر ضبائر جماعات جماعات ومعناه ضبارة بكسر الضاد وهي الجماعة من الناس وبثوا فرقوا والحبة بكسر الحا بزر البقول والرياحين وحميل السيل ما احتمله من الطين والغثا وغيره ... انتهى ... من خط الشيخ ... رحمه الله تعالى

الاستقبال

والاستبشار

والاستبشار بالوجود يدل على حصول المستبشر به وهذا ... بالنعم اقرب منه
الى الرجا فان حقيقة الرجا غلبة ظن بحصول مومل بسببه صحة عمل تقول لنا غلبة
ظن انسان الى نفس الرجا وبحصول مومل نعني ... يرجو بسببه صحة عمل الشان الى التوبة
المنفي هي سبب غفران الذنوب والى الاعمال الصالحة التي وعد الحق عليها الثواب فهذا
الكلام في حقيقته واما اسبابه المحصلة له فالدوام على الخيرات والاعمال الصالحات والبعد
من المحرمات والمكروهات ومنه قال تعالى الذين امنوا والذين هاجروا وجاهدوا في سبيل
الله اولئك يرجون رحمة الله وقد قال المعهود الجاري في ... الدنيا ان من وضع حبة في ارض
طيبة فقد اخذ بزيادتها ما غلب على ظنه وقوي رجاوه بحصول مطلوبه وبالعكس من ذلك
ان يضيع حبة في ارض سبخة قد غلب عليها الملح في زمان الصيف ويقول الله تعالى قادر
على ان ينبته هاهنا وقوله صحيح ولكن المتبع ما اجراه من سنته في ترتيبه ومما يقوي
الرجا النظر في المرجوات وهو ما وعد الله تعالى به الصالحين في الدنيا من الكرامات واجراه
عليهم من خوارق العادات وما وعدهم به عند انفصالهم من الدنيا في القبر والحشر والميزان
والصراط وتفصيل ما اعد لهم من الجنات والكل والذ والاشربة ونعيمهم برؤية خالق الارض والسموات
واما ادلة الرجا اية وخبرا واثرا اما الايات قال الله تعالى من كان يرجو لقا الله فان اجل الله
لات وقال تعالى فمن كان يرجو لقا ربه فليعمل عملا صالحا ولا يشرك بعبادة ربه احدا
وقال تعالى ويرجون رحمته وقال تعالى قل يا عبادي الذين اسرفوا على انفسهم لا تقنطوا من
رحمة الله ان الله يغفر الذنوب جميعا انه هو الغفور الرحيم وقال ولا تيأسوا من روح
الله الاية واما الاخبار فقد روى البخاري ومسلم بسندهما الى النبي صلى الله عليه وسلم
قال لما خلق الله الخلق كتب في كتابه وهو عنده فوق العرش رحمتي تغلب غضبي وفي بعض
الطرق ان النبي صلى الله عليه وسلم قال قال الله سبقت رحمتي غضبي وروى مسلم
والبخاري ايضا بسندهما الى ابي هريرة قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول
جعل الله الرحمة مائة جزء فامسك عنده تسعة وتسعين وانزل في الارض
جزءا واحدا فمن ذلك الجزء يتراحم الخلائق حتى ترفع الدابة حافرها عن ولدها
خشية ان تصيبه مسلم والبخاري بسندهما الى عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال اتي
على رسول الله صلى الله عليه وسلم بسبي فاذا امراة من السبي تبتغي اذ وجدت صبيا
في السبي فالصقته ببطنها وارضعته فقال لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم اترون
هذه المراة طارحة ولدها في النار قلنا لا والله وهي تقدر على ان لا تطرحه فقال رسول
الله صلى الله عليه وسلم لله ارحم بعباده من هذه المراة بولدها مسلم والبخاري
بسندهما الى ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قال رجل لم يعمل حسنة

الى ابي هريرة

في

Copyright © King Saud University

فلا اهله اذا مات فحرقوه ثم ذروا نصفه في البر ونصفه في البحر فوالله لين قدر
الله عليه ليعذبنه عذابا لا يعذب به احدا من العالمين فلما مات الرجل فعلوا ما امرهم
فامر الله البر فجمع ما فيه وامر البحر فجمع ما فيه ثم قال له لم فعلت هذا فقال من خشيتك
وانت اعلم فغفر الله له وفي لفظ اخر اسرف رجل على نفسه فلما حضرته الوفاة اوصى ص
وقوله لين قدر الله علي في هذا الحديث فيه تاويلات احسنها لين ضيق علي في المواخذة
والمحاسبة ويدل عليه ومن قدر عليه رزقه اي ضيق وامره اهله بان يحرقوه ويذروا
نصفه في البر ونصفه في البحر ليس شكا في ان الله تعالى يعيده فان ذلك يدل على الكفر وقد
اجاب بما سيل لم فعل ذلك فقال لخشيتك يا رب وخوفه من اعادته يوم القيمة وعذاب بابه
الله تعالى له على جرمه المتقدم وقوله النبي صلى الله عليه وسلم فغفر الله له يدل
على صحة ايمانه فان الله تعالى قال في كتابه ان الله لا يغفر ان يشرك به وانما غلب على قلبه
حال الخوف من الحضور بين يدي الله تعالى حتى قال ما قال كما تمنى عمر بن الخطاب
ان يصير تبنة وغيره تمرة او كبشا يذبح ويوكل ويخرج عذرة ولا يواجه الحساب
وهم يعلمون انهم مومنون من اهل الجنة ولكن اعظموا القيام بين يدي الله تعالى والسوال
مسلم والموطا بمعانه الى ابي موسى قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله يبسط
يده بالليل ليتوب مسي النهار ويبسط يده بالنهار ليتوب مسي الليل حتى تطلع الشمس
من مغربها فهي يد فضله ورحمته لتنزهه عن يد الجارحة ويدل ذلك على بسط رحمته
الليل والنهار لكل مذنب ويعضده قوله تعالى ورحمتي وسعت كل شي فسا كتبها للذين الايه يتعوك
واما تمرات الرجا الذي دام على الاعمال الصالحات بعد بعده عن المحرمات فيكفي في ذلك
الخبر الصحيح وهو قوله صلى الله عليه وسلم عن ربه ما تقرب المتقربون الي بمثل اداء ما افترضت
عليهم ولا يزال العبد يتقرب الي بالنوافل حتى احبه فاذا احببته كنت سمعه الذي يسمع به وبصره
الذي يبصر به ويده الذي يبطش بها ورجله التي يمشي عليها فلين دعاني لاجيبنه ولين سالني
لاعطينه وما ترددت في شي الحديث وهذا يدل على حفظ الله تعالى له في سائر اعضايه فلا يتكلم
ولا يسمع ولا يبصر ولا يمد يده ولا رجله الا محفوظا عن الزلل جاريا على احسن العمل واخبران
دعاه مستجاب وهو محبوب لله تعالى وكفى بهذه الثمرات في حق من ترتب رجاوه على
الاعمال الصالحات ولم يكن من المتمنين المغرورين بلابس الزلل ويتمنى حصول الامل
قال الامام رضي الله عنه الرجا تعلق القلب بمحبوب سيحصل في المستقبل وكما ان الخوف
يقع في مستقبل الزمان كذلك الرجا يحصل لما يومل في الاستقبال وبالرجا عيش القلوب واستقلالها
والفرق بين الرجا وبين التمني ان التمني يورث صاحبه الكسل ولا يسلك طريق الجهد والجد وبعكسه
صاحب الرجا فان الرجا محمود والتمني معلول قال الشارح رضي الله عنه هذا الذي ضبطناه

في الحد الذي اخترناه وهو قولنا غلبة ظن بحصول ما يومل بسببه صحة عمل قال الامام رضي الله خبيق
الله عنه وتكلموا في الرجا فقال شاه الكرماني علامة الرجا حسن الطاعة وقال ابن خبيق
الرجا ثلاثة رجل عمل حسنة فهو يرجو قبولها ورجل عمل سيئة ثم تاب فهو يرجو المغفرة
والثالث الرجل الكاذب يتمادى في الذنوب ويقول ارجو المغفرة قال الشارح
رضي الله عنه وهذا الكلام جيد فرق فيه بين الراجين والمغترين وبين المحل الذي يحسن
ايقاع الرجا فيه وذلك المطيع اذا عمل الطاعة واحسنها له حسن منه الرجا للثواب والعاصي
اذا تاب من معصيته وندم على ما سبق من ذنبه وعزم على ان لا يعود الى ما اقلع عنه توبة
فقد صحت توبته فهو يرجو المغفرة لما تقدم من تقصيره في حق ربه والثالث هو المغرور الذي
يتمنى المغفرة مع اقامته على الزلل ويتمنى الثواب من غير عمل قال الامام رضي الله عنه ومن
عرف نفسه بالاساة ينبغي ان يكون خوفه غالبا على رجايه وقيل الرجا ثقة الجود من الكريم
الودود قال الشارح رضي الله عنه فاما قوله من عرف نفسه بالاساة فالاولى
به الخوف من الرجا فهو صحيح فان الخوف يقلع العبد عن المخالفات والزلات خوفا
من العقوبات والرجا طمع في رفيع الدرجات ومن قال الرجا الثقة بالجود فانما ذكر اسباب
الرجا لان الثقة بالوعد تحمل العبد على العمل الموعود عليه بالثواب وعلى التوبة الموعود
عليها بالغفران والصفح عن العذاب قال الامام رضي الله عنه وقيل الرجا روية الجلال
بعين الجمال قال الشارح رضي الله عنه وهذا خارج عن الرجا بالكلية فانه راجع الى
المعرفة ويحتمل ان يريد صاحبه المرجو ويقول كمال الرجا ان يتعلق بربه جال الله تعالى مع
اجلاله وتعظيمه وتنزيهه فيكون تكلم على الموجود ونا الرجا قال الامام رضي الله عنه
وقيل هو قرب القلب من ملاطفة الرب قال الشارح رضي الله عنه وهذا فيه اشارة
الى الحضور ودوام العلم بنوالي نعم الله على العبد وفي قوله قرب القلب من ملاطفة الرب
اشارة الى رجا الملاطفة وانه لم يبدلها بعد قال الامام رضي الله عنه وقيل سرور
الفواد بحسن المبدا قال الشارح رضي الله عنه وهذا فيه زيادة على الرجا فان الرجا
ظن بحصول الموعود والسرور زيادة بسط وفرح بفضل الله وهو الى الفرح بالنعم
اقرب الا انه تعلق بالرجا من حيث انه موعود به غير حاصل قال الامام رضي الله عنه وقيل
هو النظر الى سعة رحمة الله تعالى قال الشارح رضي الله عنه وليس هذا هو الرجا وانما
هو من اسبابه فان من نظر الى سعة رحمة الله تعالى تحركت نفسه الى العمل والتسبب بحصولها
قال الامام رضي الله عنه سمعت الشيخ ابا عبد الرحمن رحمه الله يقول سمعت ابا علي الروذباري
يقول الخوف والرجا هما كجناحي الطاير اذا استويا استوى الطير وتم طيرانه واذا
نقص احدهما وقع فيه النقص واذا ذهبا صار الطاير في حد الموت قال الشارح رضي

الله عنه وهذا صحيح فان الله تعالى قال انما دحا لمن استقام على طاعته يدعوننا رغبا ورهبا
وكانوا لنا خاشعين فاكو غب من الرجا والرهب من الخوف فمتى استقام للعبد بالتوبه من اجرامه
ومن الله تعالى عليه باستبدال احواله جبر السالف من ايامه فاستقامته في سلوكه
في طاعته باعث الخوفه ورجايه ولذلك شبهه بالطير في طيرانه فان هذا الجنس من العبد
هو الذي وصفه الحق بالمسارعه اليه بحسن التوفيق والتسديد ومتى قصر العبد عن الاجتهاد
في الاعمال ضعف رجاوه ودنا منه الاختلال ومتى قصر خوفه وقل حذره من مفسدات الاعمال
تعرض للهلاك في الحال ومتى عدم الخوف والرجا بالكليه تمكن منه عدوه وهواه ومتى
وبعد عن حزب من حفظه ربه وتولاه ولذلك شبهه بالطاير الذي قصف جناحاه قال
الامام رضي الله عنه وسمعته يقول سمعت النصر اباذي يقول سمعت ابن ابي حاتم يقول
سمعت علي بن شهمردان يقول قال احمد بن عاصم الانطاكي وسيل عن علامه الرجا في العبد
قال ان يكون اذا احاط به الاحسان الهم الشكر راجيا لتمام النعمه من الله سبحانه عليه في الدنيا
وتمام عفوه في الاخره قال الشارح رضي الله عنه وهذا صحيح فان من توالت عليه النعم من ربه
ورجا دوامها وتوالي امثالها شكرها فان شكرها عمل وعد عليه بالزياده كما قال تعالى لين
شكرتم لازيدنكم قيل في التفسير من طاعتي وهذا لانهم لو زيدوا النعم تضاعف عليهم القيام
بالشكر واذا زيدوا الطاعه واعينوا عليها ترتب على ذلك الثواب المضاعف الذي لا
ينحصر لقوله تعالى والله يضاعف لمن يشا ومتى لم يوفق العبد لشكر ما هو فيه من النعم فاتته هذه
الخيرات وربما زلت به القدم اما لاضاعه ما هو فيه الي كياسته وحسن حالته فيقع في
الاعجاب الذي هو من اسباب الحجاب مع ما فاته من الثواب قال الامام رضي الله عنه وقال
ابو عبد الله ابن خفيف الرجا استبشار بوجود فضله قال الشارح رضي الله عنه وقد
قدمنا ان هذا الحد راجع الي الفرح بالنعم لانه للاستبشار حاصل في الرجا طمع تمام محصل
قال الامام رضي الله عنه وقال ارتياح القلوب لرويه كرم المرجو المحبوب قال الشارح
رضي الله عنه وهذا ايضا راجع الي المعرفه بكرم الله تعالى وصفاته وارتياح القلوب بما
حصل لها من هذه المعرفه وهو من اسباب المحبه اللهم الا ان يكون العبد ارتاح قلبه بنيل
بعض النعم وكان ارتياحه شكرا عليها ورجا الزياده منها فيلتحق بالرجا من هذا الوجه
قال الامام رضي الله عنه سمعت الشيخ ابا عبد الرحمن رحمه الله يقول سمعت ابا عثمان
المغربي يقول من حمل نفسه على الرجا تعطل ومن حمل نفسه على الخوف قنط ولكن من هذه
مره ومن هذه مره قال الشارح رضي الله عنه وهذا صحيح وهو طريق السالك لمن اراد ان
يستوي خوفه ورجاوه ويستقيم على سلوك الطريق وذلك انه اذا انقطع لما ارتكبه من الزلات
واقترفه من الافات نعم المخالفات تارمته الخوف واذا نظر الى ما من الله تعالى به عليه من التوبه

والاشتغال

والاشتغال بالاعمال الصالحات تارمته الرجا فيداوي زياده الخوف بالرجا وزياده الرجا
بالخوف فان خوفه متى قوي خشي عليه القنوط والياس ومتى قوي منه الرجا
خشي عليه الوقوع في الامن من مكر الله والادلال على الله واذا كان من هذه ساعه ومن هذه
ساعة استقام من حاله وصار ذلك خلقا له وصار يستعملها بالذكر لهما لا بالاستجلاب لهما
بالفكر ويصير اي عمل عمله دخل فيه رجا الكمال وخشية النقص والزوال وكذلك
اذا نظر الي صفات ربه من سعه الرحمه والافضال وتشديد الاخذ والنكال اعتدل
خوفه منه ورجاوه له قال الامام رضي الله عنه وسمعته يقول ثنا ابو العباس البغدادي
ثنا الحسن بن صفوان ثنا ابن ابي الوليد قال حدثنا عن بكر بن سليم الصواف قال دخلنا
على مالك بن انس رحمه الله في العشيه التي قبض فيها فقلنا يا ابا عبد الله كيف تجدك قال ما ادري
ما اقول لكم غير انكم ستعاينون من عفو الله ما لم يكن لكم في حساب ثم ما برحنا حتى اغمضناه
قال الشارح رضي الله عنه هذا وفقك الله يدل على ان مالك بن انس رحمه الله راي من اكرام
الله تعالى له قبل خروج روحه وحضور الملايكه الذين يعالجون روحه وما يذكره من ثواب
الله له في حال غشيته ما عجز عن ان يعبر عنه بلسانه وقال ما ادري ما اقول لكم ولكنكم ستعاينون
من فضل الله ما لم يكن لكم في حساب يدل عليه ما اعد الله تعالى لاوليايه في الجنه ما لا عين رات
ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر قال الامام رضي الله عنه وقال يحيى بن معاذ يكاد
رجايي لك مع الذنوب يغلب رجايي لك مع الاعمال لاني اجدني اعتمد في الاعمال على الاخلاص
وكيف احرزها وانا بالافات معروف واجدني في الذنوب اعتمد على عفوك وكيف لا تغفرها
وانت بالجود موصوف قال الشارح رضي الله عنه وهذا فيه تفصيل وذلك ان الرجا
مترتب تاره على الاعمال وهو رجا الثواب وشرط الاعمال الاخلاص ووقوعها على حسب
الطلب وكيف تخلص للعبد مع كثره الافات من الريا والعجب والكبر والسكون اليها والغرور
بها واما الذنوب فشرط غفرانها حصول التوبه الصادقه وهو ان يقلع العبد الذنب
ويندم على ما مضى منه ويعزم على ان لا يعود الي مثله فهذا امر يلازمه الخوف والحذر
والاشفاق مما تقدم من زلله فهو بعيد من الافات ومغفرته وعد الحق بها لمن صحت
توبته بقوله تعالى ان الله لا يغفر الذنوب جميعا انه هو الغفور الرحيم فهو في الذنوب مع التوبه
يعتمد على العفو عنها على صفات ربه وكرمه ويعتمد في الطاعات على حصول شرطها وهو اخلاصه
لها من ريايه وكبره وعجبه قال الامام رضي الله عنه ولما ذا النون المصري رحمه الله وهو
في النزع فقال لا تشغلوني فقد تعجبت من كثرة لطف الله تعالى معي قال الشارح رضي الله عنه
وهذا من نحو ما اجراه الله تعالى على لسان مالك بن انس رحمه الله فقوله لا تشغلوني يدل على انه في حال
شغل بربه ومناجاه له حتى تعجب من كثره صنع الله تعالى به من الخير والتقريب قال الامام

Copyright © King Saud University

رضي الله عنه وقال يحيى بن معاذ رحمه الله الهي احلى العطايا في قلبي رجاوك واعذب الكلام
على لساني ثناوك واحب الساعات الي ساعة يكون فيها لقاوك قال الشارح رضي الله عنه
فاخبر ان احلى العطايا واطيبها والذها له خلق الرجا في قلبه لما يجده عليه من فضله وذلك
ان العطايا لا تخلو اما ان يكون يترتب عليه شي او لا يترتب فاذا لم يترتب عليه غيره اقتصر
نفعه عليه وان كان نعمة ومتى كانت النعمة اذا من عليه العبد بها حصل بسببها خير اخر
مترتب عليها بالشكر فان العبد اذا من عليه بالشكر على النعم تزايد فضل الله تعالى عليه اذا شكر
لقول تعالى لين شكرتم لازيدنكم وكذلك الرجا الصحيح انما يكون على الاعمال فاذا من الله على العبد بالعمل
وخلق له الرجا الصحيح حصل له المرجو وهذا موضع الاستشهاد في الباب وبقية كلامه
رضي الله عنه يدل على خير اخر ان اعذب الكلام على لساني الوقت الذي يكون كلامي ثنا عليك
هذا يدل على كمال محبته لمولاه وانه يتنعم بذكر صفاته وجميل احسانه اذا ذكرت لك اولاه
وكذلك قوله واحب الساعات الي ساعة يكون فيها لقاوك يحتمل حضوره في الدنيا فانها
بالنسبة الى اوقات غفلته او اشتغاله بغير مولاه محبوبة لما فيها من الخير ومراقبة الله سبحانه
واستشعار نظره اليه ودوام الادب في وقت استشعاره لذلك فهذه كلها صفات محمودة
ذكرها لمولاه وعدد فضله عليه بقلبه ولسانه ورجايه ودعايه قال الامام رضي الله عنه وفي
بعض التفاسير ان رسول الله صلى الله عليه وسلم دخل على اصحابه من باب بني شيبة فراهم يضحكون
فقال اتضحكون لو تعلمون ما اعلم لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا ثم مر ثم رجع القهقرى وقال
نزل علي جبريل واتى بقوله نبي عبادي اني انا الغفور الرحيم قال الشارح رضي الله عنه
وهذا يدل ايضا على سعة رحمة الله تعالى وهو دليل ان رجا العفو عما يكون للانسان فيه
من البسط والكلام وتقارنه الصغاير من غلط اللسان فان النبي صلى الله عليه وسلم لما دخل على
الصحابة وجدهم يضحكون وينبسطون ذكرهم امر الاخرة وخوفهم بالله تعالى بقوله لو تعلمون
ما اعلم لبكيتم واذا ذا الحق سبحانه ان يعلمه سعة رحمته وكمال تجاوزه عن خلقه وانه
لا يكلفهم ان يكونوا معه في حال التعظيم والاجلال وذكر الثواب والعقاب في ساير الاوقات
لصعوبة ذلك عليهم ومشقته واذا كان تعالى يعفو عن الساعات المحرمات فكيف بالغفلات
والاشتغال بكثير من المباحات قال الامام رضي الله عنه انا ابو الحسن علي بن احمد
الاهوازي ثنا ابو الحسن الصفار ثنا عباس بن تميم ثنا يحيى بن ايوب ثنا مسلم بن سالم
ثنا خارجة بن مصعب عن زيد بن اسلم عن عطا بن يسار عن عايشة رضي الله عنها قالت سمعت
رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان الله تعالى ليضحك من ياس العباد وقنوطهم وقرب
الرحمة منهم فقلت بابي وامي يا رسول الله او يضحك ربنا عز وجل قال والذي نفسي بيده انه
ليضحك فقالت لا يعدم منا خيرا اذا هو ضحك واعلم ان الضحك في وصفه تعالى صفات فعله وهو اظهار

كما يقال ضحكت الارض بالنبات وضحكه من قنوطهم اظهار تحقيق فضله الذي هو ضعف انتظارهم
له قال الشارح رضي الله عنه اصل هذا الباب الذي يظهر معناه ويبينه ان الحق سبحانه
لا يتضرر بمعاصينا ولا ينتفع بطاعتنا ممن اطاعه فبركة الطاعة عايدة اليه ومن عصاه فشوم
معصيته راجع عليه فاذا تحقق العبد ذلك علم ان الله تعالى انما منعه مما يضره في دنياه
واخرته فاذا زل ويدم على زلته فياسه من رحمته وقنوطه من عفوه ورحمته دليل
على جهله وقلة معرفته فبهذا الاعتبار يضحك سبحانه وتعالى ممن يياس او يقنط لانه اتى
بشي عجيب عند نفسه وذلك غفلته عن سعة رحمته او جهله واعتقاده ان مخالفته
لو لم يرجع اليه تعالى منها شي تعالى وتقدس عن الضرر والانتفاع بشي من افعال خليقته ويكون
ضحكه تعالى مقابلة لهذا العبد بضدها لتيقنه انه اذا ايس من رحمته اسبغها عليه ولا سيما
اذا كان ذلك بعد توبته لان الضحك كما قرره من الله سبحانه راجع الى بسط رحمته وظهور فضله
ورحمته كما يقال ضحكت الارض اذا اخرجت ما فيها من الخير والنبات وضحكت المراة اذا حاضت
والضحك ليس مخصوصا بالضحك المعتاد من العباد بل له معان تطلق على الله تعالى منها ما يليق
بجلاله وكرمه اذا اطلق ذلك على نفسه قال الامام رضي الله عنه وقيل ان مجوسيا استضاف
ابراهيم الخليل عليه السلام فقال ان اسلمت اضفتك فمر المجوسي فاوحى الله عز وجل الى ابراهيم
يا ابراهيم لم تطعمه الا بتغيير دينه نحن منذ سبعين سنة نطعمه على كفره فلو اضفته ليلة
ماذا عليك فمر ابراهيم عليه السلام خلف المجوسي واضافه فقال له المجوسي اهكذا
تعاملني ثم قال اعرض على الاسلام فاسلم قال الشارح رضي الله عنه في هذه الحكاية دليل
ان الله اشار الى ان الدنيا لا تزن عند الله جناح بعوضة ولذلك بسطها لاعدايه ولم يكن
ذلك دليلا على كرامتهم عنده ولكن نشط رحمته الدنيوية مع الكافر والمسلم كما قال تعالى
وان كل ذلك لما متاع الحياة الدنيا والاخرة عند ربك للمتقين وجعل الله تعالى كون هذا
المجوسي استضاف ابراهيم الخليل صلوات الله على نبينا وعليه سببا لمعرفته المجوسي
سعة رحمة الله تعالى وكمال كرمه على اعدايه حتى عاتب نبيه وخليله في كونه
لم يطعم عدوه ومن هذه الجهة قلنا ان الدنيا واسباغها على الخلق ليس يدل احدها الاكرام
جعلها الله تعالى عونا له على طاعته فلما لم يضيفه وذهب اوحى الله تعالى اليه ما ذكره
وتبعه ابراهيم ورده واضافه فساله المجوسي عن السبب فاخبره فوجد من ذلك العجب
ففي بعض الروايات لنعم الرب رب يعاتب نبيه في عدوه اعرض علي الاسلام فاسلم
ورحمه تعلق هذا بالرجا ان الله تعالى يجعل الاسباب الضعيفة موصلة للغفران
الذنوب العظيمة قال الامام رضي الله عنه سمعت الشيخ ابا علي الدقاق رحمه الله يقول
راى الاستاذ ابو سهل الصعلوكي رحمه الله ابا سهل الزجاج في المنام وكان يقول بوعيد

تعالى د

Copyright © King Saud University

الابد فقال له كيف حالك فقال وجدنا الامر اسهل مما توهمنا قال الشارح رضي الله
عنه وهذا يدل على ان هذا القول وهو قوله يوعيد الابد على ان الله تعالى اذا توعد
على المعصية بعقاب لابد من وقوعه ولا يغفره كانت غفلة من هذا الشيخ مع كونه
مشروطا بالمشيه كما قال الله تعالى ان الله لا يغفر ان يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشا
ويحتمل ان يكون الحق سبحانه غفر له هذا الاعتقاد لغفلته عن شرط ويكون معصية لا
لا يقدح في اصل ايمانه لان الله على كل شي قدير وانه يفعل ما يشا ويحتمل انه يتوب من هذا
الاعتقاد قبل الموت ولم يعلم الرائي حاله فلما راه في المنام وساله عن حاله اخبره انه
وجد الامر اسهل من ذلك معناه ان الله يغفر كبائر الذنوب وفيه اشارة الى انه غفر له
ما كنت تعلمه من حاله فوجه دخوله في باب الرجا ان الله تعالى هذه الاعتقادات الفاسدة لان
والبدع بكرمه ويدل على سعة فضله على المومنين ورحمته ما لم تكن بدعتهم تودي الى كفرهم
والعياذ بالله تعالى قال الامام رضي الله عنه سمعت ابا بكر ابن اشكيب يقول رايت
الاستاذ ابا سهل الصعلوكي في المنام على هيية حسنة لا توصف فقلت له يا استاذ بم نلت
هذا فقال بحسن ظني بربي ورأى مالك بن دينار في المنام فقيل له ما فعل
الله بك فقال قدمت على ربي بذنوب كثيرة فمحاها عني حسن ظني بالله تعالى قال الشارح
رضي الله عنه قد تقدم ان الروبا في النوم تكون بشرى وهذه لمن غلب على ظنه الخوف
خشي عليه الوقوع في القنوط والاياس من رحمة الله تعالى سخر له ملكا الروبا يريه في النوم
من يعتقد فيه خيرا من الفضلا الصالحين فيعرفه سعة رحمة الله تعالى بالخلق وكثرة تجاوزه
عن ذنوبهم فيبطل ما هو فيه ويسلم من الوقوع في القنوط فتكون الروبا في حقه مبشرة
ومن فايدة الحكاية عن هذين الرجلين الكبيرين العاملين لينتفع الرائي بما سمعه منهما في
المنام ويحتمل ان الشخص ممن يتوالى عليه الغفلات في كثير من الاوقات ثم يمن الله تعالى
عليه بالتوبة ويشتغل بالاعمال الصالحات ويغفل بما هو فيه من حسن الحال عما كان فيه
من ماضي الزمان فيريه الله تعالى من يعتقد فيه الاجتهاد من الصالحين والورع الكامل والحذر
من ذنبه لينبهه فيقول له كيف وجدت الامر فيقول الساعة كانت تخلصت من الحساب
فتكون هذه الروبا منبهة له ومخوفة حاملة له على تدارك ما فات ويقول لنفسه اذا كان
هذا الرجل الورع التقي كاد لا يتخلص من الحساب فكيف يكون حالي عند رب الارباب فاذا مات
يجربها الله تعالى لمن اراد به خيرا على ما ذكرنا في التقرير وبعكس ذلك والعياذ بالله تعالى اذا اراد
به غرورا استحسان حاله والادلال على ربه باعماله واستر سال على قبح افعاله قال
الامام رضي الله عنه وروى عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال يقول الله عز وجل انا عند
ظن عبدي بي وانا معه اذا ذكرني فان ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي وان ذكرني

في نفسي وان ذكرني في ملا ذكرته في ملا هو خير منه وان تقرب الي شبرا اقتربت
اليه ذراعا وان تقرب الي ذراعا اقتربت اليه باعا وان اتاني يمشي اتيته هرولة انبانا
ابو نعيم عبد الملك بن الحسن الاسفرايني انبا يعقوب بن اسحق قال ثنا علي بن حرب ثنا ابو
معوية ويعلى بن عبيد عن الاعمش عن ابي صالح عن ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم
يقول ذلك قال الشارح رضي الله عنه وروى هذا الخبر مسلم عن ابي هريرة ايضا
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الله تعالى انا عند ظن عبدي بي وانا معه
اذا ذكرني فان ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي وان ذكرني في ملا ذكرته في ملا هم خير منه
وان تقرب مني شبرا تقربت اليه ذراعا وان تقرب الي ذراعا تقربت منه باعا
وان اتاني يمشي اتيته هرولة وهذا يدل على ان العبد اذا عمل يسيرا من الطاعة اعطاه الله تعالى
من الاجر كثيرا وهو داخل في قوله تعالى والله يضاعف لمن يشا وفيه اشارة الى ان الرجا
الصحيح انما يكون عن الاعمال بقوله من تقرب الي بكذا جازيته باكثر منه والقرب والبعد
المذكور في هذا الخبر الصحيح انما هو بسرعة الاجابة وكثرة الجزا وتقرب العبد بطاعته
وكثرة الجزا عليه هو تقرب الرب للعبد بسرعة اسباغ رحمته سنزيهه تعالى عن
المكان والزمان اذ هما من جملة مخلوقاته قال الامام رضي الله عنه وقيل كان ابن المبارك
يقاتل علجا مرة فدخل وقت صلاة العلج فاستمهله فامهله فلما سجد للشمس اراد ابن المبارك
ان يضربه بسيفه فسمع من الهوا قايلا يقول واوفوا بالعهد ان العهد كان مسولا فامسك
فامسك فلما سلم المجوسي قال لعلم امسكت عما هممت به فذكر له ما سمع فقال المجوسي
نعم الرب رب يعاتب وليه في عدوه واسلم وحسن اسلامه قال الشارح رضي الله عنه
وهذه الحكاية ايضا تدل على كرم الله تعالى لان هذا الشخص انما لاحظ لطف الله تعالى به في
كونه عاتب هذا الولي حتى كف عن قتله فاسلم فلما راى فضل الله تعالى عليه في المعاتبة
وشكر ذلك جازاه الحق سبحانه بتوفيقه للاسلام ومحو ما تقدم منه من الاثام
قال الامام رضي الله عنه وقيل انما اوتعهم في الذنب حين سمى نفسه عفوا وقيل لو
قال لا اغفر الذنوب لما اذنب مسلم قط كما انه قال تعالى ان الله لا يغفر ان يشرك به لم
يشرك قط ولكن لما قال تعالى ويغفر ما دون ذلك لمن يشا طمعوا في مغفرته قال الشارح
رضي الله عنه وهذا ان القولان يصلح ان يكونا سبب الغرور وذلك ان الله تعالى لما
وصف نفسه بالمغفرة ووصف نفسه بشدة العقاب فقال تعالى ان ربك لسريع
العقاب وانه لغفور رحيم فكل من نظر الى احد هذين الوصفين وغفل عن الاخر اغتر ووقع
في الياس وقوله انما اوقعهم في الذنوب حين سمى نفسه عفوا ليس بصحيح وانما
اوقعهم في الذنوب حين سمى نفسه غفورا ليس بصحيح وانما اوقعهم في الذنوب حين سمى

Copyright © King Saud University

نفسه عفوا فليس بصحيح دائما او فعهم في الذنوب غلبة الشهوات واهوائهم وعللوا انفسهم
بكونه تعالى غفارا وغفلوا عن الشرط في قوله تعالى واني لغفار لمن تاب وامن وعمل صالحا
وقوله ولو لم تذنبوا لجا الله بقوم يذنبون يستغفرون فيغفر لهم فدل على انه سبق في علمه
انه لا بد من وقوع المعصية من الخلق ويستغفرون فيغفر لهم واما قوله وذلك انه لما
ان الله لا يغفر ان يشرك به لم يشرك مومن اذا لم يرتد مومن بعد حصول الايمان فيحتمل ان يكون
الوازع لهم عن الردة كونه لا يغفر لهم وقد ارتد بعضهم وان اراد ان ذلك سبب لعصيانهم
فليس بصحيح بل ايمانهم فضل من الله تعالى لكونه يضل من يشا ويهدي من يشا قال الامام رضي
الله عنه ويحكى عن ابراهيم بن ادهم رضي الله عنه انه قال كنت انتظر مدة من الزمان تخلوا
المطاف فكانت ليلة بها مطر شديد فخلى المطاف فدخلت الطواف وكنت اقول اللهم
اعصمني اللهم اعصمني فسمعت هاتفا يقول لي يا ابراهيم بن ادهم انت تسالني العصمة وكل الناس
يسالوني العصمة فاذا اعصمتكم فلمن ارحم قال الشارح رضي الله عنه وهذا يدل على انه سبق في
علمه لا بد من وقوع المعصية وجريان الرحمة للعصاة لا انه لا يمكن رحمته الا بعد تقدم المعصية
فمن رحمته كانت عصمة الانبيا وحفظ الاوليا وقد قال تعالى ولو شا ربك لامن من في الارض
كلهم جميعا وانما اراد الحق سبحانه ان ينبه ابراهيم على ان لا يساله ما ليس له به علم كما قال تعالى
لنوح فلا تسالني ما ليس لك به علم لما ساله عن ولده وكان في معلوم الله انه ممن يهلك بالغرق
وكذلك سوال العبد العصمة من الذنوب سوال ما لا علم له به وقد يكون في معلوم الله ممن يعصي
فسوال المغفرة اولى به واقرب لعبوديته وعجزه عن حفظ نفسه والقيام بطاعته
ويجوز ان يسال العبد ربه ان يحفظه ويصونه عن ساير المعاصي وان كانت العصمة قد
اختص بها الانبيا صلوات الله عليهم قال الامام رضي الله عنه وقيل راى ابو العباس بن شريح
في منامه في مرضه الذي مات فيه كان القيامة قد قامت واذا الجبار سبحانه يقول
اين العلما قال فجاوا قال ماذا عملتم فيما علمتم قال فقلنا يا رب قصرنا واسانا قال فاعاد
السوال كانه لم يرض به واراد جوابا اخر فقلت اما انا فليس في صحيفتي الشرك وقد
وعدت ان تغفر ما دونه فقال اذهبوا فقد غفرت لكم ومات بعد ذلك بثلاث ليال
قال الشارح رضي الله عنه وهذه الحكاية ان كان اورد بسياقها جواز الغفران لمن لم
يشرك بالله وهو مدلول عليه من كتاب الله تعالى بالاية التي ذكرها ففيها بشرى لابن شريح
انه مغفور له وقد اعترف بقية العلما على ما تضمنته الرويا بكونهم قصروا ومن اعترف
بتقصيره رجا المغفرة قال الامام رضي الله عنه وقيل كان رجل يشرب جمع قوما
من ندمايه ودفع الى غلام له اربعة دراهم وامره ان يشتري شيا من الفواكه للمجلس فمر الغلام
بباب منصور بن عمار وهو يسال الفقير شيا وهو يقول من دفع اليه اربعة دراهم دعوت له

اربع

اربع دعوات قال فدفع الغلام الدراهم فقال له منصور ما الذي تريد ان ادعو لك فقال لي سيد
اريد ان اتخلص من رقه فدعا منصور وقال الاخرى فقال ان يخلف الله على دراهمي
فدعا قال والاخرى قال يتوب الله على سيدي فدعا وقال الاخرى فقال ان يغفر
الله لي ولسيدي ولك وللقوم فدعا منصور ثم رجع الغلام الى سيده فقال لم ابطات فقص
عليه القصة فقال وبم دعا فقال سالت لنفسي العتق فقال اذهب فانت حر وايش الثاني
فقال ان يخلف الله على الدراهم فقال لك اربعة الاف درهم فقال وايش الثالث فقال ان يتوب
الله عليك فقال تبت الى الله تعالى وايش الرابع فقال ان يغفر الله لك ولي وللقوم وللمذكر
فقال هذا الواحد ليس الي فلما بات راى في المنام كان قايلا يقول له انت فعلت ما كان اليك
ترى اني لا افعل ما الي قد غفرت لك وللغلام ولمنصور بن عمار وللقوم الحاضرين قال الشارح
رضي الله عنه وهذه الحكاية قد يعترض بها بعض الناس ويقول العبد مملوك وما بيده لسيده فلا
يجوز له التصرف فيه فكيف قبل ذلك منه منصور بن عمار بعد معرفته انه عبد مملوك والجواب
ان العبد قد ياذن ويتصرف فيما اذن له فيه سيده وهذا العبد رجل صالح وقد سيره سيده
على ان يشتري ما يستعان به على المنكر فخرج وهو مكره مغلوب خايف من اذى سيده له فلما
وجد منصور بن عمار يسال لهذا الفقير شيا خطر بباله ان يدفع هذه الدراهم لله تعالى مهما
ما خرج فيه وهان على نفسه ما ينال من الضرب والالم من سيده ولا يفعل هذا المنكر فلا طاعة
لسيده عليه فيه فلما قال له منصور بن عمار ما الذي تحب ان ادعو لك ذكر اهم الامور عنده
وهو خلاصه من هذا السيد الذي يحمله فيما لا يحب قال له وما الثاني قال ان يخلف الله
على الدراهم ليردها الى سيده ويقول لا افعل ما امرتني به كالا تصدقه في توبته فقال له وما
الثالث قال له ان يتوب الله على سيدي ليستريح من ضرره بالكلية قال له فما الرابع
فما وجد شيا يبقى عليه الا ان يغفر الله تعالى له ولسيده وللجماعة وللمذكر ما تقدم من اجرامهم
فلما رجع الى سيده بلا شي وقد تاخر عنه راه مغضبا يقول ما حبسك عني فلما
صدقه العبد فيما فعله اثر صدقه في سيده ولين الله تعالى له قلبه واستحسن فعله
وساله عما دعا به فقال سالت الخلاص من سيدي فقال انت حر لوجه الله وهو اهم
اموره عنده والثاني ان يخلف الله على الدراهم اي يردها لك فقال له لك اربعة الاف
درهم لنفسك فقال وما الثالث فقال ان يتوب الله على سيدي فقال انا تايب لله تعالى
قال فما الرابع قال ان يغفر الله لي ولسيدي وللمذكر وللجماعة الحاضرين عنده
فقال سيده ليس ذلك الي وانما هذا لله فلما صدق في توبته وعتق عبده واكرمه بماله لله تعالى
اراه الله تعالى في ليلته هذه الرويا وهو انه اكرم الاكرمين اذا فعل عبده اليسير من العمل انعم
عليه الخير الكثير من العطا الجزيل وهذا موضع الاستدلال على الرجا من الحكاية لان العبد

لما كرم بالبسير غفر الله له ولعبده ولمن كان سبب ذلك وربما كان ذلك جميعه بسبب من حضر مجلس
ابن عمار من الصالحين اما الفقير المسؤول له الاربعة دراهم وكان مضطرا البها فلما جاءت شدة
فرحه لزوال الضرورة به ندعا عند الاضطرار فحصلت الاجابه ووثق بقوله تعالى امن يجيب المضطر
اذا دعاه ولا سيما اذا ساعد الداعي جماعة من الاولياء والتجأ الى الله بجملتهم كان ذلك اقرب
في محصول طلبتهم قال الامام رضي الله عنه وقيل حج رباح القيسي حجات كثيره فقال يوما وقد
وقف تحت الميزاب الهي قد وهبت من حجاتي كذا وكذا الرسول صلى الله عليه وسلم وعشره
لاصحابه العشره رضي الله عنهم واثنين من والدي والباقي للمسلمين ولم يحبس شيئا لنفسه
فسمع هاتفا يقول هو ذا يتسخى علينا لاغفرن لك ولابويك ولمن شهد شهادة الحق قال
الشارح رضي الله عنه وهذه الحكايه انما تجري على مذهب من يجوز هبة الاعمال الصالحه وانتقالها
من ديوان العامل الى غيره وهذا امر مغيب وغايته سؤال ودعا الله تعالى ان يثيب هذا
الموهوب له فلما كانت لهذا الشخص حجات كثيره وعمل كثير خطر بباله ان يتقرب الى الله
تعالى بطاعته لاحباب الله تعالى من الرسول والصحابه والوالدين والمسلمين فاراه الله تعالى
حسن نيته وبرله قصده بان عرفه ان كرم الله تعالى اوسع واعم وانه قد تفضل عليه بل ذكر
بغفران كل زلة ونقص وبهذا الاعتبار كان الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم والدعا له
ولاصحابه نعودبركته علينا وان كانوا افضل منا فان الله تعالى يحب ان يحبه قال الامام
رضي الله عنه وروي عن عبد الوهاب بن عبد الحميد الثقفي انه قال رايت جنازة يحملها ثلاثة
من الرجال وامراة قال فاخذت مكان المراة وذهبنا الى المقبره فصلينا عليها ودفناها
فقلت للمراة من كان هذا منك قالت ابني فقلت ولم يكن لكم جيران قالت نعم ولكنهم صغروا
امره فقلت وايش كان هذا فقالت مخنثا قال فرحمتها وذهبت بها الى منزلي واعطيتها
دراهم وحنطه وثيابا ونمت تلك الليلة فرايت كانه اتاني آت كانه القمر ليلة البدر وعليه
ثياب بيض فجعل يتشكر لي فقلت من انت فقال المخنث الذي دفنتموني اليوم رحمني
ربي باحتقار الناس اياي قال الشارح رضي الله عنه وهذا والله اعلم انما كان ببركة دعا هذا
الرجل له ودعا امه له وشفقتها عليه فغفر الله له ما تقدم ورأى هذا الرجل ان الله سبحانه
استجاب دعاه ورحمته له ولامه وشفقته عليها وهذا يدل على ان الاعمال اليسيره قد توفي
لحظة يغفر الله بها الاجرام الكثيره القديمه ومن الوجه دخلت الحكايه في باب الرجا واما
قوله في الرؤيا باحتقار الناس اياي فليس ذلك لنفس احتقارهم فان احتقارهم لا يخلو اما في
حال حياته او بعد وفاته فاما ان كان في حال حياته فلم يوجد الا بالتنكر والاحتقار لاهل المعاصي
وان امر النهي عليهم واما ان كان بعد وفاته فله وحده ذلك لانهم تركوا السنه من اشتغالهم
بالميت وتشييعه الى قبره والصلاة عليه وتركوا حق الجيره فهذا كله غلط منهم وبلا انقطعت

اعماله

اعماله بموته نيجوز ان يثيبه الله تعالى ويكون ان يكون الله تعالى اعطاه من الاجر باحتقارهم له وكلامهم
فيه من اعمالهم بالمقاصه ما كان سبب غفران ذنوبه والله اعلم قال الامام رضي الله عنه سمعت
الاستاذ ابا علي الدقاق رحمه الله يقول مر ابو عمرو البيكندي يوما بسكة فراى قوما ارادوا
اخراج شاب من المحلة لفساده وامراة تبكي قيل انها امه فرحمها ابو عمرو وتشفع له اليهم
وقال هبوه مني هذه المرة فان عاد الى فساده فشانكم فوهبوه منه فمضى ابو عمرو فلما كان بعد
ايام اجتاز بتلك السكة فسمع بكا العجوز من وراء ذلك الباب فقال في نفسه لعل الشاب عاد الى
فساده فنفي من المحله فدق عليها الباب وسالها عن حال الشاب فخرجت العجوز وقالت انه مات
فسالها عن حاله فقالت لما قرب اجله قال لا تخبري الجيران بموتي فلقد اذيتهم وانهم يشمتون بي
ولا يحضرون جنازتي واذا دفنتني فهذا خاتم لي مكتوب عليه باسم الله فادفنيه معي فاذا
فرغت من دفني فتشفعي لي الى ربي قالت ففعلت وصيته فلما انصرفت عن راس قبره سمعت صوته
يقول انصرفي يا اماه فقد قدمت على رب كريم قال الشارح رضي الله عنه وهذا وفقك
الله دليل على انه تاب توبة بالغه وندم ندما شافيا على جميع ما كان منه حتى انه تبرك باسم الله
وتشفع به وبدعا والدته فاذا كانت ذنوبه فيما بينه وبين الله تعالى فالتوبه تمحو جميع ذلك وانا
بقوله تعالى واني لغفار لمن تاب وغفار من صيغ المبالغة قال الامام رضي الله عنه وقيل
اوحى الله سبحانه الى داود عليه السلام قل لهم اني لم اخلقهم لاربح عليهم وانما خلقتهم ليربحوا
علي قال الشارح رضي الله عنه ويكون هذا القول مما اوحى الله تعالى الى داود عليه السلام
في الزبور وهو صحيح فان الحق سبحانه غني عن العالمين وما خلق شيئا مما خلقه لحاجته اليه فانه
كان غنيا عنه قبل ان يخلقه العرش وغيره وانما هي اعمالكم ترد عليكم قال الامام رضي الله عنه
سمعت محمد بن الحسين يقول سمعت محمد بن عبد الله بن شاذان يقول سمعت ابا بكر الحربي
يقول سمعت الاطروش يقول كنا قعودا ببغداد مع معروف الكرخي على الدجلة اذ مر بنا قوم
احداث في زورق يضربون بالدف ويشربون ويلعبون فقالوا لمعروف اما تراهم يعصون
الله تعالى مجاهرين ادع الله عليهم فرفع يديه وقال الهي كما فرحتهم في الدنيا فرحهم في الاخرة فقالوا
انما سالناك ان تدعو عليهم فقال اذا فرحهم في الاخرة فقد تاب عليهم قال الشارح رضي الله
عنه وهذه الحكايه من الفقه وكمال الحريه والسياسه في تغيير المنكر مما ينبه عليه
وذلك ان هولاء الشباب يتجاهرون بالمعاصي حتى لم يكن احد ان ينكر عليهم ولا يغير اهل جاه
وسطوه ولذلك سالوا معروفا ان يدعو عليهم لعجزهم عن التغيير فلما لم يمكن التغيير بالزجر
والامر لعدم القبول سلك مسلك السؤال والفضل من الله تعالى في ان يغير احوالهم عما هم عليه
وعلم ان الفاعل بهم ما هم فيه هو الله تعالى وهو الذي حلول بهم ما هم فيه من الفرح والسرور فقال
اللهم كما فرحتهم في الدنيا فرحهم في الاخرة لان جميع ذلك فعلك وانت القادر عليه فلما قيل انما سالناك

فرع

تغيير المنكر

ان ندعوا عليهم دعوة لم فاعلمهم ان التغيير في هذا الوقت لمن هذه صفته انما هو الدعاء لهم
بالتوبة وبين ذلك فرحمهم في الصحوة تاب عليهم في الدنيا ومن هذا الفصل في التغيير ما اخبرني به الشيخ
ابو الحسن علي بن الدقاق المقيم بالصعيد ببعض ديار مصر عن شيخ له معروف بالكرامات
وجريان خوارق العادات قال لي دخلت مع شيخي دكان يسمى محمدا ببعض بلاد الشرق وكان
المنكر بها ظاهرا من جهة السلطنة وكان معه بعض الفقهاء فقال له يا ابا عبد الله لم لا تغير هذا
فعرفه ان هذا امر لا قدرة لنا على تغييره بالزجر والامر ثم قال له تعالى نريك بعض التغيير فتقدم
به الى دكان بعض تجار الخمارين فقال له ايت باطيب ما عندك من الخمر لهذا الفقيه
قال فمضى الخمار وتلك بعض الدواني الذي يعتقد حسنها وطيبها وصب في بعض الانية
شيا واذاقه الخمار فتغير لونه واعاده الى مكانه ثم فتح انية اخرى وفعل كذلك ثم عاد الى الانية
فقال له الشيخ ما لك اما تاتي به للفقيه فقال له كل انية افتحها اجدها عسلا فقال الشيخ صحيح
ايت به الى الفقيه ليذوق منه فاتى بالقدح فاذا هو عسل خالص فقال للفقيه ان كان يمكن شيا
من هذا التغيير فغيروا واما غيره فلا قدرة لنا عليه وهذا نوع اخر من جنس تغيير معروف
رضي الله عنهم ونفعنا بهم قال الامام رضي الله عنه سمعنا ابا الحسن عبد الرحمن بن ابراهيم
ابن محمد المزكي قال ثنا ابو زكريا يحيى بن محمد الاديب ثنا الفضل بن صدقة قال حدثني ابو عبد الله
الحسين بن عبد الله بن سعيد قال كان يحيى بن اكثم القاضي صديقا لي وكان يودني واوده فمات
يحيى فكنت ان اراه في المنام فاقول ما فعل الله بك فرايته ليلة في المنام فقلت ما فعل الله بك
قال غفر لي الا انه وبخني ثم قال لي يا يحيى خلطت علي في دار الدنيا فقلت اي رب اتكلت على حديث
حدثني به ابو معاوية الضرير عن الاعمش عن ابي صالح عن ابي هريرة رضي الله عنه قال قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم انك قلت اني استحي ان اعذب ذا شيبة بالنار فقال قد عفوت عنك
يا يحيى وصدق نبيي الا انك خلطت علي في دار الدنيا قال الشارح رضي الله عنه وهذا يدل
على انه غفر له تخليطه برمته مع علمه تعالى الا انه كان في عمله صحيح وسبقتم ذلك لاقيل
له في النوم خلطت علي في دار الدنيا اعتماده على الحديث ان الله تعالى يستحي ان يعذب
ذا شيبة وذلك بشرط الاسلام والتوبة من الزلل والانكم من ذي شيبة في النار والعياذ بالله
وقوله تعالى واخرون اعترفوا بذنوبهم خلطوا عملا صالحا واخر سيئا عسى الله ان يتوب عليهم وعسى
من الله واجبة ليس بمعنى الترجي فقد وعد سبحانه من اعترف له بذنبه ان يرزقه التوبة
والغفران قال الامام رضي الله عنه الحزن
قال الله تعالى وقالوا الحمد لله الذي
اذهب عنا الحزن انا علي بن احمد انا احمد بن عبيد ثنا علي ابن جبش ثنا ابن وهب
ثنا اسامة بن زيد الليثي عن محمد بن عمرو بن عطاء سمعت عطاء بن يسار قال سمعت ابا سعيد
الخدري رضي الله عنه يقول سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ما من شيء يصيب الجسد

المومن

المومن من وصب او نصب او حزن الم يهمه الا كفر الله تعالى عنه من سيئاته قال الشارح رضي
الله عنه وهذا يحتمل امرين احدهما ان يكون عاما في مصايب الدنيا والاخرة فيكون ثوابه
وتكفيره لسيئاته لكمال صبره على ما ابتلي به والوجه الثاني ان يكون صبره على ما ابتلي ان يكون
صبره على ما ابتلي به في اعمال اخرته من القيام بواجباته والمشقة عليه والانكفاف عن شهواته
وملذوذاته ويكون حزنه على ما قصر فيه من ذلك محمودا وكله فاما حزنه على ما فاته من نعيم
الدنيا ولذاتها والتمتع بانواع مشتهياتها وغايته ان يكون مباحا لا يثاب عليه
ولا يعاقب هذا ما لم يخرجه ذلك الى التسخط بالمقدور وكراهة فعل الرحيم الغفور وقد
قال تعالى حكاية عن يعقوب صلوات الله على نبينا وعليه يا اسفا على يوسف وابيضت
عيناه من الحزن فهو كظيم وقال تعالى لنبينا صلى الله عليه وسلم قد نعلم انه ليحزنك الذي
يقولون وفي موضع اخر فلا تذهب نفسك عليهم حسرات وحزن الانبياء كله محمود
ونحن نتكلم على حقيقة الحزن والمحمود منه والمذموم ونفرق بينه وبين الارادة والعزم
ونذكر اقساما منه والاسباب التي يكون عنها والثمرات التي يفيدها بعون الله تعالى فاما
حقيقة الحزن في نفسه فقد قال شيخ الاسلام ابو محمد عبد الله الانصاري الهروي رحمه الله الحزن
توجع لغائب او تاسف على ممتنع وقال [illegible] المحاسبي في جواب شيخه له الحزن انكسار في
الباطن يكسر الظاهر عن الانبساط وقال ابن خفيف الحزن حصر النفس عن النهوض عن الطرب
وهذا الى الصبر اقرب منه الى الحزن لان الحزن قبض يطرق القلب وقد يذكر العبد
سببه وقد لا يذكر وحصر النفس عن طربها فعل اختياري فافترق الامران وقال الامام
القشيري تقبض القلب عن التفرق في اودية الغفلة يعني جمع الهم بسبب المحزون
عليه عن النظر في غيره وحاصل هذه الاقوال ان الحزن قبض يرد على القلب وقد يكون سببه
فراق محبوب او انتظار سوء وربما طرق القلب القبض لامر يعرف بعد حين وقد يكون له
سبب تقدم نسيه العبد القبض ولا يدرك سببه والحزن فانه يكون قويا وتارة يكون
ضعيفا فمتى كان في قبض العبد اتساع للنظر في اسباب القبض او الحيلة في الخلاص منه
كان فيه تفرقة ومتى تراكم وتوالى على القبض سمي كمدا وبينهما حالة تسمى الشجا وهو
اذا اخطر ببال العبد السبب الذي احزنه وحزن من اجله وكان محمودا شرعا وجد
انس اجا في صدره بما علمه به من الحزن فسمي هذه الحالة شجا وسال المحاسبي
شيخه من علامة الشجي قال دوام التكامد وحب يفرح لعله معرفة النعمة عليه من الحزن
والبكا قلت له حالات في ظاهر تدل على الشجا من باطنه قال نعم اذا هاج ذلك في القلب
ظهر على اللسان علامته فترنم بالاية وبالمثل وباللفظة الحسنة من الحكمة يجد فيه نغمة
ونصائح فيه الحكمة فيرجع الى حالة الحزن كما قال الحكيم ترنم الحزين عند تفاقم الحزن عليه

Copyright © King Saud University

مشابهة لكده قلت في بثرع المحزون عند نغام الحزن عليه قال اذا طالع الرجا بحسن
الظن انتعش القلب ويروح من ضيق الحصر والكرب كما قال الحكيم وينعش قلبي حسن ظني بما عسى
نا هدا ولولا ذاك بحت باسراري وما لي سوي لا طراف والصمت حيله ووضعي على خدي
يدي عند تذكاري ونوحي الي سولي بري وعولتي وصوتي من المخلوف مكمون اقماري
فان طرقتني عبره بعد عبره تجرعتها حتى اذا عيل تصباري افضت دموعي الجمه
مستهلة اطفي بها حر انضمرا قطاري فيا منتهى سولي المريد سيدي الحي محل الانس
مع حط او زارك فلست ابالي ما دحا بعدنا دع اذا كنت في الدارين يا غايتي جاري
هذا الكلام على جميعه الحزن واقسامه ولما اسبابه فالفكر فيما تقدم من التقصير
في العمل الذي يعلم العبد الطالب مولاه له ويحضه ونديه اليه فضلا عما اوجبه عليه
وكذلك وقوعه فيما زجره عنه ونهاه وكذلك معرفته بتقصيره عن مراتب اوليائه
وخصوصه عما نالوه من الحزن في دنياهم فضلا عن اخراهم كيف تنعموا وتلذذوا بمولاهم في ليلهم
ونهارهم وسائر عباداتهم فالفكر في هذه الجهات والتقصير عن نيل هذه الغايات والدرجات
يغرس في القلب الحزن على ما فات والحسرة على عدم الاحوال الشريفة قبل الممات وقد
روي ما حزن عبد في الدنيا الا فرحه الله غدا ولا سر مومن في الدنيا الا احزنه
الله غدا وهذا اذا كان حزنه في الدنيا لله وعلى فوات حظه من الله جازاه الله تعالى في آخرته
وكذلك اذا كانت مسرته في الدنيا بالغفلات والتلذذ بالشهوات وتدمير العمر في البطالات
ورأى في الآخرة ارباب الجد والحزم في عماله الاوقات بانواع القربات اشتد حزنه
على ما فات قال الله تعالى ان تقول نفس يا حسرتا على ما فرطت في جنب الله وان كنت لمن
الساخرين ويستعين العبد بتحمل اعباء الحزن والصبر عليه باحوال الصابرين وما ان له
لهم في الآخرة بالصبر وقد كان الحسن البصري من اشد الناس حزنا وكان كل من راه
ظن انه تجددت عليه مصيبة لما بطن في قلبه ووجهه من الكآبة في كل وقت ويحكى
انه قال لاصحابه قوموا بنا نزور العلا بن زياد وكان العلا بن زياد من الحزن وشدته في الحزن
الحزن حتى كانت اخته تشد فخته القطن لتمكنه وضع جنبه بالارض لضعفه
فلما دخل عليه الحسن البصري فقال له كيف انت يا علا فقال العلا واحزناه على الحزن
فحزن لكونه لم يحزن فلما سمع هذا من كلامه الحسن قال لاصحابه قوموا الى هذا انتهى استقلال
الحزن يعني استصغر حزن نفسه لما راى من حزن العلا واستقلاله لما هو فيه من الحزن
قال الامام رضي الله عنه الحزن تنقبض العلماء عن التفرق في اودية الغفلة قال الشارح
رضي الله عنه وهذا الحسن ان يكون في التحرر لا في الحزن فانه تفعل كالسباكي والبكاء الحزن
تبض بطرق القلب لسبب من الاسباب الماضية او المستقبلة وهو من ثمرات الخوف قال الخوف

اذا قوي وقرب حصول المخوف اورث للقلب الحزن قال الامام رضي الله والحزن من اوصاف
اهل السلوك وسمعت الاستاذ ابا علي الدقاق رحمه الله يقول صاحب الحزن يقطع من طريق الله
تعالى في شهر ما لا يقطعه من فقد حزنه سنين وفي الخبر ان الله تعالى يحب كل قلب حزين وفي
التوريه اذا احب الله تعالى عبدا نصب في قلبه نائحة واذا ابغض الله تعالى عبدا جعل في قلبه مزمارا
وروي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان متواصل الاحزان دائم الفكر قال الشارح رضي
الله عنه قوله يقطع صاحب الحزن من طريق الله تعالى ما لا يقطعه من فقد الحزن في سنين
وذلك ان من حزن في التقصير جد في التحصيل ومن خشي النيران اجتهد قبل الممات
واذا كان العبد غافلا سالكا على الهوينا مشى تارة ويستريح اخرى فلا نسبة بين وصوله الى مقصوده
وبين من تقدم ذكره من اصحاب الجد والتشمير وما ذكر من الخبر ان الله يحب كل قلب حزين
وفي التوريه اذا احب الله عبدا جعل في قلبه نائحة صحيح فان الحزن على الخيرات وعلى فوات الاوقات
في البطالات من جملة نعم الله تعالى على العبد يقوم له مقام العمل اذا قصر عنه وقد حكي ان رجلا
مضى الى مكه ففاته الحج فقعد عند الكعبة منكسرا منقادا للافراد بعض الصالحين فعلم ما به
فقال له لي كذا وكذا حجه فاتحسار الحج وقد لك احسن من حجاتي كلها فكان ذلك الاسف لمعرفته
على ما منّ الله تعالى عليه من حزنه وانكساره وقد روي ان النبي صلى الله عليه وسلم كان
متواصل الاحزان وحزنه صلى الله عليه وسلم يكون على وجوه فيما بينه وبين ربه في مقاماته
الشريفة ودرجاته العالية كما حكي في استغفاره في اليوم مائة مرة ويحتمل ان يكون حزنه
على امته كيف يكون حالهم بعده صلى الله عليه وسلم وقد صح بذلك عند موته لما اتاه جبريل
واعلمه بما اعد الله له فاعلمه صلى الله عليه وسلم ان الحمل الامر عنده هو حال امته بعده
حتى اعلمه جبريل عن الله تعالى ان الجنة حرام على سائر الامم حتى تدخلها امتك واصلي صلى الله
عليه وعلى اله فقال الان قرت عيني قال الامام رضي الله عنه وقال بشر بن الحارث الحزن
ملك فاذا سكن في موضع لم يرض ان يسا كنه احد قال الشارح رضي الله عنه وذلك
ان الحزن اذا نزل في القلب عمه وعمره حتى لا يبقى فيه ذكر لغير ما هو محزون عليه او بسببه
ولذلك قال هو ملك اذا نزل في بلد لم يساكنه في القلب غيره قال الامام رضي الله عنه
وقيل القلب اذا لم يكن فيه حزن خرب كما ان الدار اذا لم يكن فيها ساكن تخرب وقال ابو سعيد
القرشي بكاء الحزن يعمي وبكاء الشوق يغشي على البصر ولا يعمي قال الله تعالى وابيضت عيناه
من الحزن فهو كظيم قال الشارح رضي الله عنه قد تقدم قولهم ما فارق الخوف قلبا
الا خرب فاذا كانت مقدمات الحزن وهو الخوف ما يستغني القلب عنها في العمار ودفع
الحزن الذي هو على امر واقع او قريب الوقوع فهو لحياة القلب ونظره لما خلق له انسط
وقوله بكاء الحزن يعمي وبكاء الشوق يغشي وقاسه بقوله وابيضت عيناه من الحزن فجعل سببه العمى

Copyright © King Saud University

هذا
الحزن وفيه الشفاء الى ان الاحزان تمنع من الطعام والشراب ويكثر معها الهموم والغموم فتصعد
من المعدة ابخرة مظلمة فتكون سبب زوال الادراك عن العين وقت البكاء واما بكاء السرور
فهو ممزوج بالفرح وهي اضداد الغم والحزن وهو بكاء لحصول المطلوب المفروح به وشتان
بين بكاء السرور والفرح وبين بكاء الحزن والترح قال الامام رضي الله عنه وقال ابن خفيف
الحزن حصر النفس عن النهوض في الطرب قال الشارح رضي الله عنه قد بينا انه اقرب الى الصبر
من الحزن لما فيه من حصر النفس قال الامام رضي الله عنه وسمعت رابعة رجلا يقول
واحزناه فقالت قل واقلة حزناه لو كنت محزونا لم يتهيا لك ان تتنفس قال الشارح
رضي الله عنه وهذا يدل على نفيها ان قول القايل واحزناه مما هو فيه من الحزن ولو كان حزنه
شديدا لما تفرغ للاستغاثة فلذلك انكرت عليه وقالت له قل واقلة حزناه ولذلك قال
العارف بالله وهو العلاء بن زياد لما ساله الحسن قال واحزناه على الحزن لانه لو قال واحزناه
وسكت احتمل ان يكون من الحزن فبين له بقوله على الحزن يعني على حصوله قال الامام رضي الله
عنه وقال سفيان بن عيينة لو ان محزونا بكى في امة لرحم الله سبحانه تلك الامة ببكائه قال
الشارح رضي الله عنه فهذا يدل على ان المحزون شديد الاضطرار الى ما حزن منه واليه
او عليه ومع الاضطرار وعد الله الاجابة وتمدح بها فقال سبحانه وتعالى امن يجيب المضطر اذا
دعاه ويكشف السوء الاية وقد حكي ان امراة اتت الى الجنيد فقالت له ضاع ولدي وانا
قلقة عليه ادع الله ان يرده علي فقال لها اصبري واحتسبي قالت مضيت وغابت مدة
ثم رجعت تسله في الدعا فامرها بذلك اعني بالصبر حتى فعلت في الثالثة فقالت عيل صبري فادع الله
لي فسكت ثم قال لها ان كنت صادقة فقد جاء ابنك فذهبت ثم جاءت تشكره فقال له تلامذته
فسيل عن ذلك فقال قوله تعالى امن يجيب المضطر اذا دعاه وهذا يدل على ان الجنيد رضي الله
عنه لما تحقق اضطرارها دعا لها وامتلا قلبه بالشفقة عليها وهي الحالة التي وعد الله عليها
الاجابة قال الامام رضي الله عنه وكان داود الطاي الغالب عليه الحزن وكان يقول بالليل
الهي همك عطل علي الهموم وحال بيني وبين الرقاد وكان يقول كيف يتسلى من الحزن من تجدد
عليه المصايب في كل وقت قال الشارح رضي الله عنه فقوله همك عطل علي الهموم فيه سوال
وتضرع الى الله تعالى ان يفرج عنه ما هو فيه بان ينيله مطلوبه منه ويفتح عليه به وكذلك
قوله كيف يتسلى من الحزن من تجدد عليه المصايب يدل ذلك على كمال يقظته وشغله
بربه فيعد غفلته عنه مصيبة وشغله بغيره مصيبة فبهذا الاعتبار تحزن لتوالي المشغلات
على قلبه عن ربه فكلامه رضي الله عنه من نمط واحد وهو يدل على كمال طلبه لربه وشغل
همته بحصول قربه قال الامام رضي الله عنه وقيل الحزن يمنع من الطعام والخوف يمنع من الذنوب
قال الشارح رضي الله عنه وذلك ان الخوف من الذنوب يوجب منه التوبة كوعد الله تعالى

بالمغفره

بالمغفرة لمن تاب فاذا من الله تعالى على العبد بالتوبة ووقعت منه على شرطها هدا خوفه وطابت نفسه
بخلاف من تعلق قلبه بمقصود شريف وتاخر حصوله له وتوالى حجبته عنه فاورثه ذلك الحزن
وشغله همه به وعدم وصوله الى مطلوبه عن طعامه وشرابه فان كان رجاوه في حصوله متمكنا
خف بحسب ما به وان لم يكن وغلب على ظنه الفوات كان اشد عليه من الممات ولذلك قال بعضهم
الفوت اشد من الموت وهو صحيح فان الموت امر مترقب وربما تهيا العبد له قبل
نزوله بخلاف ما تعلق القلب بكونه وحصوله واعمل العبد نفسه مدة في طلبه حتى اعرض لذلك
عن سائر ما به وطعامه وشرابه ثم فات ذلك دفعة فهو اشد من الموت وعلى حسب شرف
المطلوب في الدرجات يكون الالم عليه عند الفوات ولا اجل ولا اشرف من قرب الله تعالى
والتلذذ بمناجاته والانس به لا قطعني الله واياكم عن قربه ولا ابلاني واياكم باسبابه
انه قريب مجيب قال الامام رضي الله عنه وسيل بعضهم بم يستدل على حزن الرجل
فقال بكثرة انينه قال السري السقطي وددت ان حزن كل الناس القي علي قال الشارح
رضي الله عنه وذلك ان من تراكم عليه الم الحزن عسر عليه التعبير بلسانه لكمال حصره
وضعفه وانما يتنفس ويتروح بانينه وقوله ليتني من رغبته في هذه الدرجة ان يجعل الله
تعالى حزن سائر المحزونين عليه لينال كمال ما اعطاه الله لهم ويزيد عليه او على العبد منه
قال الامام رضي الله عنه وتكلم الناس في الحزن فكلهم قالوا انما يحمد حزن الاخرة فاما حزن الدنيا
فغير محمود الا ابا عثمان الحيري فانه قال الحزن بكل وجه فضيلة وزيادة للمومن ما لم يكن بسبب
معصية لانه ان لم يوجب تخصيصا فانه يوجب تمحيصا قال الشارح رضي الله عنه وهذا الذي
ذكره ابو عثمان رضي الله عنه بالوجدان فالحزن على فوات الخيرات الاخروية يكون من جملة
الطاعات وكذلك الالم والحزن على ارتكاب المخالفات وانما الشبهة في الحزن على فوات التمتع باللذات المباحات
ونيل الشهوات من انواع الاطعمة والمنكوحات التي ليست بمحرمة ولا من المكروهات فان صبر على هذه
المصايب اذا نزلت به وصبره على تحملها وكفه نفسه عن التسخط لما نزل به منها يكفر عنه
السيئات وقوله فانه ان لم يوجب تخصيصا يعني انه ان لم ينل به كمال الدرجات في ارفع
المندوبات فقد ينال به تمحيصا اي انه من جملة الطاعات يمحو الله به عنه ما في صحيفته من السيئات
بكرمه يوم الحساب والمقاصصة فهذا معنى قوله ان لم يوجب تخصيصا فيوجب تمحيصا قال
الامام رضي الله عنه وعن بعض المشايخ انه كان اذا سافر واحد من اصحابه يقول ان رايت محزونا
فاقره مني السلام قال الشارح رضي الله عنه وهذا يدل على فضيلة المحزونين عنده فانه اذا سلم
عليهم ردوا عليه بافضل مما قال فينتفع بدعائهم وردهم ويحتمل وجها اخر وهو ان يعرف
اصحابه فضله المحزونين في الدنيا وانهم احاد في الصالحين وفيه ايضا تعريفهم بفضلهم
لكمال معرفتهم بالله تعالى وبما فاتهم منه بما سبق لهم عنده قال الامام رضي الله عنه سمعت الاستاذ

Copyright © King Saud University

ابا علي الدقاق رحمه الله يقول كان بعضهم يقول للشمس عند غروبها هل طلعت اليوم على
محزون قال الشارح رضي الله عنه وهذا اهلها من تلك المحزونين في الصالحين نابهم اكمل الناس حزنه
كانتقدم قال الامام رضي الله عنه وكان الحسن البصري لا يراه احد الا ظن انه حديث عهد
بمصيبه وقال وكيع لما مات الفضيل ذهب اليوم الحزن من الارض وقال بعض السلف اكثر ما يجده
المؤمن في صحيفته من الحسنات الهم والحزن قال الشارح رضي الله عنه وذلك لان الحسنات
قسمان قسم منها مشروط بالاخلاص وقسم على قدر المصايب والبلايا التي ترد على العبد ولما كان
اخلاص العمل يعز قلت الحسنات المترتبه على الاخلاص وكثرت الحسنات المترتبه قبالة البلايا
والنوازل بالعبد في ماله ونفسه وولده اذا صبر ولم يتسخط قال الامام رضي الله عنه ابا عبد
الله الشيرازي رحمه الله يقول سمعت علي بن بكران يقول سمعت محمد بن علي المروزي يقول سمعت احمد بن
ابي روح يقول سمعت ابي يقول سمعت الفضيل بن عياض يقول كان السلف رضي الله عنهم يقولون
ان على كل شي زكوة وزكوة العقل طول الحزن قال الشارح رضي الله عنه وهذا لان الزكاة
جعلها الشرع مطهرة للمال وكذلك الحزن يطهر القلب من ساير خواطر الدنيا وشهواتها لما امتلا به من
امر الاخره قال الامام رضي الله عنه سمعت الشيخ ابا عبد الرحمن السلمي رحمه الله يقول سمعت محمد بن احمد
الفراء يقول سمعت ابا الحسين الوراق يقول سالت ابا عثمان يوما عن الحزن فقال الحزن لا يتفرغ الى سوال الحزن
فاجتهد في طلب الحزن ثم سل قال الشارح رضي الله عنه فمعناه انك فارغ من الحزن ولولا فراغك منه
لما سالت عنه وقوله اجتهد في طلبه ثم سل معناه انك لو كمل حزنك لما تفرغت للسوال عنه هذا مراده والله
اعلم وقد سال الحسن البصري كا تقدم العلا عن حاله في الحزن فاجابه واخبره على الحزن فقد يكون الانسان حزينا
ويسال هل فوق حاله حزنه حالة اخرى ليجتهد في نيلها فعلى هذا الوجه يسال الحزين عن درجات الحزن ولكن لا يكون
ذلك الا لمن يتكامل حزنه ولو تكامل بالنسبة الى حاله لا يشتغل به عن غيره قال الامام رضي الله عنه باب
الجوع وترك الشهوه قال الله تعالى ولنبلونكم بشي من الخوف والجوع ثم قال في اخر الايه وبشر الصابرين
فبشرهم بجميل الثواب على الصبر على مقاساة الجوع وقال تعالى ويوثرون على انفسهم ولو كان بهم خصاصه قال
الشارح رضي الله عنه قد تضمنت الايه ان الله تعالى يبتلي بالجوع عباده ليعرف صبرهم وقيامهم بحاله في حال
الشدة والرخا وقد قال تعالى في ايه اخرى الم احسب الناس ان يتركوا ان يقولوا امنا وهم لا يفتنون ولقد
فتنا الذين من قبلهم فليعلمن الله الذين صدقوا وليعلمن الكاذبين واذا علم العبد ان الله تعالى كلفه بالجوع وترك شهوته
في الصيام وواصل رسول الله صلى الله عليه وسلم في ذلك الليل والنهار وانما نهى عنه رحمه بامته خوفا من ان تفترض
عليهم كما روت عايشه رضي الله عنها ان النبي صلى الله عليه وسلم نهى عن الوصال رحمة بهم فلما واصل واصلوا معه
فلما فرغ الشهر قال لو مد لنا الشهر لزدنا حتى يدع المتعمقون تعمقهم فانه صلى الله عليه وسلم كان شفوقا بالناس
على امته واتى بالحنيفية السمحة وقال اكلفوا من العمل ما تطيقون فان الله لا يمل حتى تملوا وتذكر

حقيقة

حقيقة الجوع وبيان المحمود منه والمذموم وذكر الادله على فضيلته وما يثمره في الابدان والقلوب والله
الموفق بمنه وكرمه واحسن الجوع ما دل عليه الخبر الصحيح ما رواه الترمذي عن المقدام بن معدي كرب قال سمعت
رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ما ملا ابن ادم وعا شرا من بطن حسب ابن ادم اكلات يقمن صلبه فان كان
لا محالة فثلث لطعامه وثلث لشرابه وثلث لنفسه وقد دعا النبي صلى الله عليه وسلم لاهله ان يجعل قوتهم كفافا
لا اقتارا ولا اسرافا وهو امر متوسط وهو يرجع الى ما تضمنه بقية الخبر ثلث للطعام وثلث للشراب وثلث
للنفس واما النبي صلى الله عليه وسلم فقد شد الحجر على بطنه من الجوع وذلك على القصد والاختيار دون العدم والاضطرار
وسنذكر من تقلله صلى الله عليه وسلم ما يبين لك فضيلة الجوع والتقلل من الطعام والشراب بالخبر الصحيح روى
البخاري عن عايشة رضي الله عنها قالت ما اكل ال محمد اكلتين في يوم واحد الا احداهما تمر ومسلم والبخاري
ايضا عن عايشه قالت انا كنا ال محمد لنمكث شهرا ما نستوقد بنار ان هو الا الماء والتمر وعنها ايضا
قالت توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم وما في رفي من شي ياكله ذو كبد الا شطر شعير في رف
لي فاكلت منه حتى طال علي فكلته ففني وهذا يدل على تقلله صلى الله عليه وسلم وكذلك حمل
اهله على التقلل رغبه لهم في كمال الاجر واذا كانت عايشه وهي ابنة ابي بكر الصديق واحب نسايه
اليه لم يكن معها بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم سوى شطر شعير والشطر كيل
يكال به فجعل الله تعالى لها البركه فيه فاكلت منه زمانا طويلا حتى طال عليها لما كانت تاكل منه
ففرغ فلو تركته لدعا النبي صلى الله عليه وسلم لاكلت منه ما بقيت مسلم والبخاري عن عروه
عن عايشه رضي الله عنها قالت والله يا ابن اختي انا كنا لننظر الى الهلال ثم الهلال ثم الهلال
ثلاثة اهلة في شهرين وما اوقد في ابيات رسول الله صلى الله عليه وسلم نار قال قلت يا خاله
فما كان يعيشكم قالت الاسودان التمر والماء الا انه قد كان لرسول الله صلى الله عليه وسلم
جيران من الانصار وكانت لهم منايح فكانوا يرسلون الى رسول الله صلى الله عليه وسلم من البانها فيسقيناه
فتامل عقلك يا اخي مضمون هذا الخبر الصحيح وان عايشه اخبرت فيه عن بيتها وبقيه ازواج
النبي صلى الله عليه وسلم وهن تسع انهن يمضي شهرين متواليين لم يوقد في بيوتهن نار يعني يطبخ
به شي وانما كانوا يجترون بالتمر ويشربون عليه الماء وربما اهدي له صلى الله عليه وسلم شي من
اللبن فسقاه اهله واياك ثم اياك ان تخطر بالك ان ذلك عن عجز وعدم بل هو اختيار منه لهذه
الحالة التي علم ان الله يحبها منه والدليل على ذلك من النقل والعقل اما النقل المتفق عليه فانه حيث الله
واما العقل فان المحبه من الله للعبد هو ان يفعل به افعال المحبين ومعلوم بحمته لو يكون اكرامهم
لهم علما علم صلى الله عليه وسلم ان التقلل من الدنيا هو الذي يحبه الله وله ولذلك خصه
به وزهده في الدنيا لما عرضت عليه جبال تهامه تسير معه ذهبا وفضه حيث شا فقال
يا رب اجوع يوما واشبع يوما فاذا جعت تضرعت واذا شبعت شكرت وكذلك دعا لاهله
بان يجعل قوتهم كفافا لا فضول فيه والخبر الصحيح قد افلح من اسلم وكان قوته كفافا وقنعه الله

به واما فوايد الجوع والتقلل من الدنيا فكثير مما لا يحصى واقل فوايد التقلل زوال المشغلات من
الطعام التثقل عن الطاعات وتوالي الفتور والكسل في الابدان الممتليه من الاخلاط الكاينه
عن سوء العادات وكذلك ادخال الطعام على الطعام من اعظم الاسباب الموديات واما فراغ
القلب للمناجاة ودوام الطهارة الشرعيه لكثرة الصلوات وقطع الليالي الطويلات في حلاوة
والتلذذ بالمناجاه فامر معلوم بالعادات مستغن عن الاستدلال بالاخبار والايات وقد نقل
عن عدة من الصالحين انهم كانوا يصلون الصبح بوضوء العتمه اربعين وثلاثين سنه كل ذلك ببركات
التقلل من الطعام والشراب وفراغ القلب للتلذذ بالمناجات وهذا القدر كاف في فضيلة الجوع
والتفرغ من المشغلات وسنذكر ذلك باحوال المشايخ ان شا الله تعالى قال الامام رضي الله
عنه انا احمد الاهوازي انا احمد بن عبيد الصفار ثنا عبد الله بن ايوب ثنا ابو الوليد الطيالسي
ثنا ابو هاشم صاحب الزعفراني ثنا محمد بن عبد الله عن انس بن مالك رضي الله عنه انه حدثه قال
جاءت فاطمه بكسرة خبز لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ما هذه الكسرة يا فاطمه قالت قرص
خبزته ولم تطب نفسي حتى اتيتك بهذه الكسرة فقال اما انه اول طعام دخل فم ابيك منذ
ثلاثة ايام وفي بعض الروايات جاءت فاطمه رضي الله عنها بقرص شعير قال الشارح رضي
الله عنه وهذا الحديث ايضا بالغ في اختيار الجوع منه صلى الله عليه وسلم حتى لم يطعم ثلاثة
ايام كل ذلك علما منه بانه من جملة ما يعينه على الطاعه لله ويفرغ قلبه لما يوحي الله اليه
ويكون حاله به احسن في الله فان النبي صلى الله عليه وسلم راى رجلا قايما في الشمس فقال ما
باله فقيل يا رسول الله نوى ان لا يطعم ولا يستظل ولا يزال قايما او ما هذا معناه من الحديث
قال ان الله تعالى غني عن ان تعذب هذا نفسه فدل ذلك على ان المقصود من الجوع ليس هو تعذيب
النفس وانما هو لتعود اعراض النفس عن الشهوات وخفة البطن للطاعات ورقة القلب
وحضوره للمناجاه قال الامام رضي الله عنه الجوع من صفات القوم وهو احد اركان
المجاهده وان ارباب السلوك قد رجعوا الى اعتياد الجوع والامساك عن الاكل ووجدوا ينابيع
الحكمه في الجوع وكثرت الحكايات عنهم في ذلك سمعت محمد بن احمد بن محمد الصوفي يقول سمعت
عبد الله بن علي التميمي يقول سمعت ابن سالم يقول ادب الجوع ان لا ينقص من عادته الا مثل
اذن السنور قال الشارح رضي الله عنه وهذا الذي ذكره حسن من الوصال الليل والنهار
فانه لا بد وان يضعف المواصل وربما ياكل اذا اكل اكلا كبيرا بعد الوصال ويضيق معدته عن الطعام
فطر في بدنه وربما انفسدت معدته ودخلت عليه افات تمنعه من العبادات واعتياد
التقلل على التدريج يحصل للعبد منه الفايده العظيمه من الجوع وفيه فايدتان اخريان احداها
ستر حاله ولا يشتهر بكثرة الجوع لكونه ياكل كل ليله والثاني سلامته من كراهة الوصال وكان
بعضهم ياخذ في قوته قطعة خشب يجعلها حيث يزن قرصه بها كل ليله وهي تنقص كل يوم نقصا

على بن محمد
رضي الله عنها
فقيل
ياكل
يشتهي

يسيرا

يسيرا فيقنع به ولا يبين عليه اثر ابصره وذلك انه اذا كان ياكل رغيفا كل ليله عند افطاره مثلا
واخذ وزن ذلك الرغيف من خشب يحط مما يسرع نقصه وجفافه فهو كل ليله انما ياخذ
غذاه بوزن تلك الخشبه ولا يتعداها فهي تنقص كل ليله وغذاوه ينقص الى ان يصل الى نصف
رغيف وقد اعتاده واستمر عليه امره وهذا معنى قول الامام ادب الجوع ان ينقص من
غذايه مثل اذن السنور وهذا اضبط من ان ينقص لقمه لقمه فانه ربما زاد او نقص فلا
يصح له الاعتياد قال الامام رضي الله عنه وقيل كان سهل بن عبد الله لا ياكل الطعام
الا في كل خمسه عشر يوما فاذا دخل شهر رمضان كان لا ياكل حتى يرى الهلال وكان يفطر كل
ليله على الما القراح قال الشارح رضي الله عنه وهذا احسن الا قربا فان الغالب قلة
على الانكفاف عن الطعام خمسه عشر يوما فان الغالب ان الشرب تبعا للاكل وانما كان يفعله
رضي الله عنه تبعا للسنه وتعجيلا للفطر في شهر رمضان وسلامته من كراهة الوصال وعلى
الخبر الصحيح عن مسلم يرفعه الى سهل بن سعد الساعدي ان رسول الله صلى الله عليه
وسلم قال لا يزال الناس بخير ما عجلوا الفطر وروى مسلم يرفعه الى ابي هريره قال نهى رسول
الله صلى الله عليه وسلم عن الوصال فقال رجل من المسلمين فانك يا رسول الله تواصل فقال رسول الله
صلى الله عليه وسلم وايكم مثلي اني ابيت يطعمني ربي ويسقيني فلما ابوا ان ينتهوا عن الوصال
واصل بهم يوما ثم يوما ثم راوا الهلال فقال لو تاخر الهلال لزدتكم كالمنكل لهم حين ابوا ان ينتهوا
ورواه البخاري يرفعه الى ابي سعيد الخدري انه سمع النبي صلى الله عليه وسلم يقول لا تواصلوا
فايكم اراد ان يواصل فليواصل حتى السحر قالوا فانك تواصل يا رسول الله قال لست كهيئتكم اني ابيت لي
طعام يطعمني وساق يسقيني قال الشارح رضي الله عنه ففي الخبر الاول الحث على
تعجيل الفطر وفي هذا الحث على السحور فاذا اكل العبد من الليل عند افطاره وقليلا عند سحوره
وكان ذلك من حلال على حسب اجتهاده بالاضافة منه وقته كان في حاله اقوم للسنه
اتبع والبعد من الكراهه احرى واسلم قال الامام رضي الله عنه وقال يحيى بن معاذ لو ان الجوع
يباع في السوق لما كان ينبغي لطلاب الاخره اذا دخلوا السوق ان يشتروا غيره قال الشارح
رضي الله عنه وهذا وفقك الله وان كان فيه الم يسير فالخيرات المترتبه على تعوده كثير
فاولها الاستغناء عن كثير من المزاحمه في الاسواق والمعادات في المقاطعه لحرص زاحمه على
شي من الارزاق والقناعه بما قسم الله له وان كان يسيرا والرضى باي نوع كان منه لحاجته
له فلا يفرق الاعتياد والشهوات بين مطعوم وغيره وان كان لابد خبزا او مقطوعه
دفع الم الجوع في الوقت وكسر سورة حدة النفس باي طعام كان وفيها السلامه في صحة الابدان
فان الغالب من الامراض والاخلاط انما تكون مع كثرة الاكل وانواع اللذايذ والتمتع بجعلها
والافراط وفيها خفة الابدان للعبادات واعتياد السهر للسلامه من النوم المسمى بالممات

من تكدير
تقليلا
ان الجوع

Copyright © King Saud University

ومنها رقة القلوب لفهم المناجاة والحضور ولسماع ما يتلى وجريان الدموع في سائر الاوقات
وكفى بهذه الخيرات حاملا على ترك اليسير من الشهوات قال الامام رضي الله عنه انا محمد
ابن عبد الله ابن عبيد ثنا علي بن الحسين الارجاني ثنا ابو محمد عبد الله بن احمد الاصطخري
بمكة قال قال سهل بن عبد الله لما خلق الله الدنيا جعل في الشبع المعصية والجهل وجعل في الجوع
العلم والحكمة قال الشارح رضي الله عنه وهذا من الحكمة التي نقل عن النبي صلى الله عليه
وسلم انه قال فيها اذا رأيتم العبد قد اوتي زهدا في الدنيا ومنطقا فاقتربوا منه فانه يلقن
الحكمة وذلك ان الدنيا مخلوقة لله تعالى لا شك فيه وقوله جعل في الشبع الجهل والمعصية
صحيح فان العبد اذا جاع ذل في نفسه وفترت بنيته عن كثير مما هو محتاج اليه من امر دينه
ودنياه فاذا شبع تحركت منه الشهوات شهوة العين لرؤية المستحسنات
والاذن لسماع الملاهي والمعازف واللسان لفضول الكلام وقلة السلامة من الآفات وهذا كله
انما يحمل عليه البطنة من الطعام والامتلاء بانواع الشهوات فيما استمرت عليه العادات
وكفى بهذه الحالة جهلا وشغلا عما خلق له من امر آخرته والنظر لما مضى من عمله وما هو آت فهذا
هو الجهل والمعصية وقد بينا قبل هذا ما في الجوع من الفوائد وتفريغ القلب للخيرات فاذا
تفرغ القلب عن حب النية في طلب المباحات الصالحات نال العلم والحكمة بفضل خالق الارض
والسموات كما وعد به تعالى في قوله فلما بلغ اشده واستوى آتيناه حكما وعلما وكذلك
نجزي المحسنين قال الامام رضي الله عنه وقال يحيى بن معاذ الجوع للمريد رياضة وللتائبين
تجربة وللزهاد سياسة وللعارفين تكرمة قال الشارح رضي الله عنه فدل ذلك على ان الجوع لا
يستغني عنه تائب ولا مريد متفرغ للخير ولا زاهد معرض عن الدنيا ولا عارف كما شغله بالمولى
وانما اختلف احتياجهم اليه لاختلاف احوالهم فالتائب يجوع تجربة ليعود نفسه الجوع
وتنافسه والمريد يجوع ليتقوى به على رياضة نفسه وحملها على السلوك والزاهد يجوع سياسة
لنفسه مع قلة الدنيا في قلبه حتى لا تلتفت نفسه لفضولها التي يحتاج اليها فينتقل من الزهد
في الفضول الى الزهد في المحتاج اليه واما جوع العارف فكرامة يكرمه الله بها ويشغله بمناجاته
والتلذذ بها عن مطاعمه ومشاربه وبهذا والله اعلم قدر كبار الرجال على الامساك عن
الطعام والشراب الكثير من الايام وذلك لشغلهم بما هم فيه واستيلاء قلوبهم بما هو اشغل
لهما واعم من ذلك والله اعلم قال سيد العرب والعجم اني لست كهيئتكم اني ابيت عند ربي يطعمني
ويسقيني قال الامام رضي الله عنه سمعت الاستاذ ابا علي رحمه الله يقول دخل بعضهم
على بعض الشيوخ فرآه يبكي فقال له ما لك فقال اني جائع قال ومثلك يبكي من الجوع فقال اسكت
اما علمت ان مراده من جوعي ان ابكي قال الشارح رضي الله عنه وهذا من هذا الشيخ
يدل على كمال توكله على ربه ورضاه بما يجريه عليه في وقته ونظر في كل فعل الى ما فيه من حكمة ربه

وفايدته

وفايدته وذلك اذا كان هذا الشخص ينتظر الفتح من ربه في سائر احواله وابتلاه بالجوع
ظهور اصرته لم ينظر بحكمه جوعه مع ان الحق سبحانه قادر على اشباعه فهم ان مراده
منه رجوعه اليه في حاجاته وبكاه عليه في طلب مهماته كما حكي ان موسى صلوات الله على
نبينا وعليه قال يا رب احتاج الى الشيء اليسير الحقير فاستحيي ان اطلبه منك فاوحى الله تعالى
اليه اسألني حتى ملح عجينك وعلف دابتك ومعناه انه لا يقدر على المخلوق قل ولا جل
غيري فلا تسأل سواي فلما كان هذا الداخل هذا الرجل الصالح الذي رآه يبكي وسأله عن بكائه
فقال له من الجوع فاعترض السائل عليه فقال له مثلك يبكي من الجوع اي مع جلالة قدرك
فقال له اسكت اي لا تعترض وهل مراده من جوعي الا بكائي اي ما جوعني الا ليبكيني بالوله
والوله عليه ومن هذا القبيل ما روي في الخبر الصحيح ان النبي صلى الله عليه وسلم خرج ذات يوم
وهو جائع ولقي ابا بكر وسأله عما اخرجه فقال الجوع وكذلك عمر فقال مثل ذلك فمضوا الى دار ابي
الهيثم بن التيهان الانصاري فاستعذب لهم ماء واتى بعذق من رطب واخذ يذبح شاة
فقال له النبي صلى الله عليه وسلم نكب عن ذات الدر فاكلوا وشربوا فقال لهم النبي صلى الله عليه
وسلم لتسألن عن نعيم هذا اليوم فقد اطلق كل واحد منهم انه اخرجه الجوع وكل ذلك اكرام من الله
لهم لكمال فضلهم عنده وذلك التسبب في دفع الجوع لا ينافي التوكل لانهم من افضل المتوكلين
وان الشخص اذا احتاج الى ذلك قصد لدار صديقه ومن يحبه ويكثر بمحبته عنده كما قال تعالى
او صديقكم واذا اكرمه غاية الاكرام لا يغفل عن شكر الله على نعمه ومعرفته فضل صاحبه ولهذا
قال صلى الله عليه وسلم لتسألن عن نعيم هذا اليوم تنبيه على شكر النعم فيكون السؤال عليها يسيرا
الله حقيقا كما قال صلى الله عليه وسلم من نوقش الحساب عذب فقالت عايشة يا رسول فقال
الله تعالى فسوف يحاسب حسابا يسيرا وينقلب الى اهله مسرورا قال انها صلى الله عليه وسلم
ذلك العرض معناه ان حسابه يسيرا اي يعرض عليه كل ما عمل من فعل ويترك وينقلب الى اهله
مسرورا قال الامام رضي الله عنه سمعت ابا عبد الله الشيرازي رحمه الله يقول ثنا احمد بن بشر
قال ثنا الحسين بن منصور قال ثنا داود بن معاذ قال سمعت مخلدا يقول كان الحجاج بن الفرافصة
معنا بالشام فمكث خمسين ليلة لا يشرب الماء ولا يشبع من شيء يأكله قال الشارح رضي الله
عنه وهذا امر يتأتى ان يتعوده فيستغني عن المادة عظيمة بخلاف الطعام لان الطعام من
البلة وما يمازجه من الماء ما يكفيه وقد رأينا من اهل السنين فلم يشرب ماء ويأكل ما وجده
وهو الشيخ ابو البركات ثنا كنا محمد بن ابن معوف بالاسكندرية قال الامام رضي الله عنه
وسمعته يقول سمعت ابا بكر الغزال يقول سمعت ... بن علي يقول سمعت ابا محمد ... احمد
حكى قال دخل ابو تراب النخشبي من البادية البصرة فلما سلمنا عليه قلنا ... فقال خرجت من
البصرة فاكلت بالنباج ثم بذات عرق ومن ذات عرق اليكم فقطع البادية باكلتين

عون

اثر الجلا

Copyright © King Saud University

قال الشارح رضي الله عنه وهذا الغالب الغالب عليه خرق العوايد وان كان ينال بعضه بالمجاهده والرياضه والتدريج وقد يواصل الانسان الايام العشره ونحوها فاذا كانت عادته ان يواصل العشره الايام ونحوها وكانت الطريق التي يسلكها تقطع في ثلاثين يوما اكل فيها اكلتين فان خرقت له العاده في طي الارض ولم تخرق في الاكل اكل المتين او واحده في البلاد البعيده وذلك لطي الارض لا للمؤنه لم ياكل الطعام وعلى الجمله فلا ينكر شي من هذا فان من سمعه انما هو موقوف مع العوايد والعادات يجوز خرقها ومن قال بمنع خرق العاده مطلقا فقد رد تصديق الانبيا لان الدليل على صدقهم افعال الله الخارقة للعاده كالعصا واحيا الموتى والقران وغير ذلك قال الامام رضي الله عنه وسمعته يقول ثنا علي بن النحاس المصري قال ثنا عمرو بن محمد الرقاق ثنا ابو عبد الرحمن الدمشقي ثنا احمد بن ابي الحواري قال سمعت عبد العزيز بن عمير يقول تجوع صنف من الطير اربعين صباحا ثم طارت في الهوا ثم رجعوا بعد ايام وكان يفوح منهم رايحة المسك وكان سهل بن عبد الله اذا جاع قوي واذا اكل شيا ضعف قال الشارح رضي الله عنه والحكايه الاولى في الطير فيها اشاره الى ان من طال جوعه تطهر من اوساخه وجرت على لسانه الحكمه وفاحت منه روايح طيبه وذكرها ادرك من لذه شغله بمولاه واقباله عليه واعراضه عن هواه واما قضيه سهل من انه يقوى اذا جاع ويضعف اذا شبع وذلك لتعوده الجوع وصحبته في حال صحته وتعوده محابه الفتره على ما فيها من الشي اليسير فاذا اكثر عليها الطعام ضعفت عن حمله وظهر اثرها في اعضايه وهذا ظاهر الجاري في ارباب العوايد الدنيويه يرى الباني يقف فوق حايط عال على خشبه وبيده حديده من ثلاثه ارطال ونحوها وهو يلتقف الحجاره من خمسه ارطال ونحوها مع العاده وهو قايم في الشمس طول نهاره فاذا بطل يوما مرض وتغير حاله وذلك لامرين احدهما مخالفه الاعتياد والثاني عدم سرور القلب بما يحصل من الاجره فاذا كان سرور القلب مع العاده يفيد النشاط في الاعمال الدنيويه مع صعوبه العمل وخساسه الاجره لان تنشط الابدان في الاعمال الاخرويه مع خفتها وكثره فوايدها اولى واحرى قال الامام رضي الله عنه وكان ابو عثمان المغربي الرباني لا ياكل في اربعين يوما والصمداني في ثمانين يوما سمعت الشيخ ابا عبد الرحمن السلمي رحمه الله يقول سمعت محمد بن علي العلوي سمعت علي بن ابراهيم القاضي بدمشق يقول سمعت علي ابن علي بن خلف يقول سمعت احمد بن ابي الحواري يقول سمعت ابا سليمان الداراني يقول مفتاح الدنيا الشبع ومفتاح الاخره الجوع قال الشارح رضي الله عنه فاما قوله الرباني لا ياكل في اربعين يوما والصمداني في ثمانين يوما وهذا الذي ذكره اسنينا نص مقتضى اللغه وذلك ان الرب هو المالك فمن ملك نفسه قوي على رد شهوته والصبر عن الطعام

تكدر

تكدر على اربعين يوما واما الصمد فهو الذي لا يطعم وقيل الذي هو يقصد في الحوايج فيدل ذلك على كمال اقتداره وشرف همته والاحتياج اليه فاذا ضاقوا من كثر جوعه واستغنى عن الطعام هذه المده الطويله فالصمد الذي لا يطعم اولى من شرفت همته وعلت درجته على الوجه الثاني ويحتمل ان يريدوا احوال موسى صلوات الله على نبينا وعليه في ثلاثين ليله واتممناها بعشر والحاله الثانيه ان اكثرها ولا ارباب المجاهدات بقصد الرياضات وبلازم الخلوه اربعين يوما على عباده مخصوصه وطعام مخصوص فلذلك سموه ربانيا لاشتغاله بعباده ربه دون غيره واما قوله مفتاح الدنيا الشبع ومفتاح الاخره الجوع فهو من باب حذف المضاف واقامه المضاف اليه مقامه اي مفتاح اعمال الدنيا الشبع ومفتاح اعمال الاخره الجوع وقد قدمنا ان من شبع من الشهوات تعلق قلبه فجره بعضها الى بعض واشتغل بذلك عن اعمال اخرته وكذلك اذا اشبع تحركت عليه شهوه فرجه فان تزوج وسلم من الفساد كثره كلفه بين العيال وان جانبه الاولاد فقد حصلت عنده الاعدا وتوالت عليه جهه الفساد وقد قال تعالى ان من ازواجكم واولادكم عدوا لكم فاحذروهم وانما ذلك تخويف من الجريان في اغراضهم وتحصيل مقاصدهم فيما يطلبوا لمحبتهم وتعلق القلوب بهم فيدخل العبد لذلك كل مدخل والعياذ بالله تعالى واما الجوع فهو مفتاح اعمال الاخره وقد قدمنا في فوايده من خفه البدن للاعمال ورقه القلوب لفهم القراه وكمال الدعا والابتهال والتبتل عن الحزنه قال الامام رضي الله عنه سمعت محمد بن عبد الله بن عبيد الله يقول سمعت علي بن الحسن الارجاني يقول سمعت ابا محمد الاصطخري يقول سمعت سهل بن عبد الله رحمه الله وقيل له الرجل ياكل في اليوم اكله قال اكل الصديقين قال فاكلتين قال اكل المومنين قال فثلاث قال قل لاهله يبنون له معلفا قال الشارح رضي الله عنه وهذا يدل على ان الصديق هو الذي كملت رغبته في اعمال الاخره من الصلوه والصوم والذكر لا ياخذ من الدنيا الا ما يستعين به على ذلك مره واحده وربما صام وغيره من المومنين يتغدا ويتعشا بغلل ولا يفرط فاذا اكل المومنين فقيل له فثلاثا فقال قل لاهله يبنون له معلفا تشبيها بالدواب الذين لا همه لهم الا في الاكل والشرب واذا كانت احوالهم كذلك ثقلت ابدانهم وغلظت قلوبهم وقل فهمهم لما يحتاجون اليه من احكام دينهم ولذلك تعجب الشافعي رضي الله عنه من فقيه يكون سمينا حتى راى محمد بن الحسن فالغالب ممن كثر اكله قسوه قلبه وبلاده فهمه الا من رحمه الله تعالى قال الامام رضي الله عنه وسمعته يقول ثنا عبد العزيز بن الفضل قال ثنا ابو بكر السايح قال سمعت يحيى بن معاذ يقول الجوع نور والشبع نار والشهوه الحطب يتولد منه الاحراق ولا تطفا ناره حتى تحرق صاحبه قال الشارح رضي الله عنه ومراده والله اعلم ان من جاع تفرغ قلبه للخيرات وحمله ايمانه على تحصيل العلوم والاعمال الصالحات فبهذا الاعتبار كان نورا والشبع نارا باعتبار انه يسوق صاحبه الى النار وذلك انما يكون عن قوه الشهوات ومن قويت شهوته في المطاعم

عبد الله

و

Copyright King Saud University

ولم تقدر على ردها اكل ما يحل وما يحرم ووقع في النار وبهذا الاعتبار كانت الشهوة وقود للشبع اي
حاملة على تعاطيه بكل ما تيسر فالشهوة هي الحاملة على الشبع لتلذذ العبد به وتحصيله من اي وجه كان
ومن غلبته شهوته في الطعام غلبته في محبة الكلام وفي التخصص باعراض الانام وقوي شبقه في انواع من الحرام
من النظر والاستمتاع وغيره لذلك من مقدمات الاثام وبهذا الاعتبار كان اتباع الشهوة من وقود النار **قال**
الامام رضي الله عنه سمعت ابا حاتم السجستاني يقول سمعت ابا نصر السراج الطوسي يقول دخل رجل من الصوفية
على شيخ فقدم اليه طعاما ثم قال له مذكم لم تاكل فقال منذ خمسة ايام فقال جوعك جوع بخل عليك ثياب وانت
تجوع ليس هذا جوع فقر **قال** الشارح رضي الله عنه ومراد الشيخ ان يكون هذا الشخص الفقير متقللا من
الدنيا ما لكلية في طعامه ولباسه وغير ذلك من اسباب الدنيا فلما دخل هذا الفقير على الشيخ وقدم اليه طعاما
فراي قوة نهمته فيه فعلم انه جايع فساله كم يوم لم تاكل فقال له خمسة ايام فقال له فما الذي حملك على جوع خمسة
ايام وعليك الثياب وانت شره في الاكل جوعك جوع بخل بثيابك على نفسك وليس جوعك جوع فقر واراد بالفقير الذي
يختار الجوع على الشبع ومتى ظهر له طعام او قدم اليه اكل باداب وقلة شره وزاهة نفس فاد به رضي الله عنه
بان يكون جوعه جوع السالكين المختارين لا جوع المضطرين مع انهم يقدرون على ذلك هذا الجوع عنهم بما
يملكونه **قال** الامام رضي الله عنه سمعت محمد بن الحسين يقول سمعت محمد بن احمد بن سعيد الرازي
يقول سمعت العباس بن حمزة يقول قال احمد بن ابي الحواري قال ابو سليمان الداراني لأن اترك من
عشاي لقمة احب الي من ان اقوم الليل الى اخره **قال** الشارح رضي الله عنه ومراده ان حاله مع
الجوع في عبادته بعض الليل اقرب الى الخشوع والفهم والرقة والتلذذ بكتاب الله تعالى احسن قيامه
وهو شبعان الليل كله لعدم تلك المعاني التي وجدها مع الجوع وهذا واضح من الجوع معروف عند اهله
قال الامام رضي الله عنه وسمعته يقول سمعت ابا القاسم جعفر بن احمد الرازي يقول اشتهى ابو
الخير العسقلاني السمك سنين ثم ظهر له ذلك من موضع حلال فلما مد يده اليه ليأكل اخذت شوكة من عظامه
اصبعه فذهبت في ذلك يده فقال يا رب هذا لمن مد يده بشهوة الى حلال فكيف من مد يده بشهوة الى حرام
قال الشارح رضي الله عنه وقد يكون ترك الشهوة المشتبك لوجه كان تركه من جملة الطاعات وداوم
على ذلك مدة وهو يجاهد نفسه شهوتها ولا يحل عقده مع الله فلما تيسر له السمك من وجه حلال ومد يده اليه غلبته
شهوته في اكله على الوفا بعزمه فضربته شوكة من شوكه فاثر ذلك في بعض اصابعه وعمل عليه حتى ذهبت بل
وتلفت بعد الالم فتحسس لذلك وعزم على ان لا ينقض ما عقده مع الله وان لم يكن نذرا فقال يا رب هذا
جزا من مد يده بشهوة الى حلال فكيف بمن مدها الى الحرام فاعتبر عقوبة الدنيا بعقوبة الاخرة وعلم انها اشق
ومن هذا القبيل ان العبد اذا صحت نيته في نافلة او دخل فيها لله تعالى كصلاة نافلة او صوم يوم
حرم عليه ابطاله عند مالك رحمه الله وان كان اذا اوفى به انما فعل نافلة ووفا بقوله ولا تبطلوا
اعمالكم ومدحا للمؤمنين بعهدهم اذا عاهدوا ومن ذلك الوفا بالمواعيد وهي منقسمة الى ما يجب الوفا به
والى ما يندب وكله من هذا الباب ومن ذلك ما روي ان بشر بن الحارث دخل على اخته فوجد عندها

خبزا

خبزا وسمكا فقال لها ما هذا فقالت رايت اميك البارحة في المنام وقالت اني احببت فرحي ودخول
السرور على فيبعث من غد للرواح تشتري خبزا وسمكا فان الحال بشرا يشتهيهما ففعلت ذلك قال
فبكى بشر رحمه الله وترحم على والدته وقال تتشفق على حبة وجبينه فالا ترانى الله عاكفا في شئ كله
لوجهه ابدا وهذا قد يسبق لبعض الناس في الاعتراض ويقول فيه من الوالدين وادخال
السرور على اخته ثم لم يرجع اكله على تركه وهذا ليس بشيء فان امه رحمها الله انما سالت ما لا ادري
لاخته فالذي يرى في المنام ليس نفس الميت انما مثال الروح ومثاله واما اخته فلم يكن لها غرض
نفسها الا من حيث الرويا خاصة والذي يراه العبد في المنام ينقسم الى قسمين بشرى وانذار
وامتحان واختبار ورعا كانت هذه الرويا اختبارا ليعلم صحة ثباته على ما عزم عليه او يخدع
بالرويا وقد تكون الرويا من عمل الشيطان ليزيل به الانسان عما عزم عليه من الخير فلم يلتفت رضي الله
عنه الى شيء من ذلك ووفي بعزمه لما صح اولا تركه لله **قال** الامام رضي الله عنه سمعت الاستاذ ابا علي
ابا بكر بن فورك رحمه الله عليه يقول شغل العيال نتيجة متابعة الشهوة بالحلال فما ظنك بقضية
شهوة الحرام **قال** الشارح رضي الله عنه وهذا صحيح فان من قويت عليه شهوته حتى حمله ذلك على
التزويج وكان قبل ذلك مشتغلا بالعبادات وعمارة الاوقات بالذكر والاوراد فلما غلبت
عليه شهوته وتزوج اشتغل بكسب المال والقيام بحق الزوجة ولا يحصل كسب المال الا بكثير
المعاملات والدخول في اسباب لا تخلو من انواع المدلات فلا تلقي ولا يكثر الشغل لكثرة الحاجات
فلذلك قال هذا الشيخ الشغل بالدنيا عن الاخرة نتيجة شهوة الحلال فكيف والعياذ بالله بشهوة
الحلال اي فمن كانت الشهوات الحلال اعزت له الشغل في اعمال الدنيا عن اعمال الاخرة والتفرغ
للطاعات فكيف من بال الشهوات المحرمات فعوقبته اشد العقوبات هذا وان كان الشغل
بامر الزوجة والاولاد وكسر شهوته بالحلال عن الفساد من جملة الطاعات اذا صحت فيه
النيات فسببها هنا تبعه الشهوات ولذلك قال الصوم وجاء عن متابعة الشهوات المذكورات
قال الامام رضي الله عنه سمعت رستما الشيرازي الصوفي رحمه الله يقول كان ابو عبد الله بن
خفيف في دعوة فمد واحد من اصحابه يده الى الطعام قبل الشيخ لما كان به من الفاقة فاراد بعض
اصحاب الشيخ ان ينكت عليه لسوء ادبه حيث مد يده الى الطعام قبل الشيخ فوضع نيابا بين يدي
هذا الفقير فعلم هذا الفقير انه نكت عليه لسوء ادبه فاعتقد ان لا ياكل خمسة عشر يوما عقوبة
لنفسه وتاديبا لها واظهارا للتوبة من سوء ادبه وكانت فاقته تقاضيا متقدما قبل ذلك **قال** الشارح
رضي الله عنه وهذا على ان الجماعة اذا احضروا الطعام وكان لهم شيخ فالادب ان لا يمد احد منهم يده الى
الطعام حتى يمد الشيخ ادبا معه وليحصل البركة بما ولينا له وهذا هي السنة في الصحيح الذي
صلى الله عليه وسلم كان اذا احضر طعام كان لا يمد احد يده حتى يمد النبي صلى الله عليه وسلم
فاتي ذات يوم بجفنة فيها طعام فجا اعرابي كانما يدفع فمد يده الى الطعام لياكل منه فامسك النبي صلى الله

الحرام

Copyright © King Saud University

عليه وسلم على يد الاعرابي وقال ان الشيطان لا ياكل من طعام ذكر اسم الله عليه فاتى الشيطان بهذا الاعرابي
لياكل قبل ان يسمي الله عليه فياكل الشيطان معه والله ان يده مع يده في يدي وفي روايه
بجاريه لتمد يدها قبل النبي صلى الله عليه وسلم فمسك يدها لما مد هذا التلميذ يده الى الطعام
قبل الشيخ لغلبه شهوته الاكل تفطن له بعض التلامذه واخذ شيئا من قدامه من الخبز فوضع
بين يدي هذا الاكل فتنبطه على قوه شرهه وان ذلك الذي حمله على قله الادب فعرف
ذلك من نفسه وعزم ان لا يطعم نفسه شيئا الى خمسه عشر يوما ادبا لها ففي هذه الحكايه
ان النفوس اذا اساءت الادب لزمت ما تشق عليها من الاعمال وهذا شان المتقدمين والمتاخرين
من العمال قال الامام رضي الله عنه سمعت محمد بن عبد الله الصوفي يقول ثنا ابو الفرج الورثاني
ثنا عبد الله بن محمد بن جعفر ثنا ابراهيم بن محمد بن الحارث ثنا سليمان بن داود ثنا جعفر بن سليمان
قال سمعت مالك بن دينار يقول من غلب عن شهوات الدنيا فذلك الذي يفرق الشيطان من ظله قال
الشارح رضي الله عنه وهذا صحيح فان العبد لا يغيب عن الدنيا بقلبه الا لكمال اشتغاله بربه ومتى
كمل اشتغاله بربه وبما يرضيه وتقربه اليه نور قلبه واستجيب دعاوه كما جا في الخبر الصحيح ما تقرب
المتقربون الي بمثل ادا ما افترضت عليهم ولا يزال العبد يتقرب الي بالنوافل حتى احبه الحديث
ولو استقام في افعال جوارحه وعزوم قلبه وساير احواله لم يبق للشيطان عليه سبيل لانه لا يقبل
منه ما يوسوسه به وربما اذا احس هذا الموفق بخواطر الشيطان رجع الى الله تعالى بتوجهه فينادي
الشيطان من دعايه عليه كما قال النبي صلى الله عليه وسلم لعمر بن الخطاب رضي الله عنه ما سلكت فجا
الا سلك الشيطان فجا الا سلك الشيطان فجا غير فجك قال الامام رضي الله عنه وسمعته يقول سمعت
منصور بن عبد الله الاصبهاني يقول سمعت ابا علي الروذباري يقول اذا قال الصوفي بعد خمسه ايام
انا جايع فالزموه بالسوق وامروه بالكسب قال الشارح رضي الله عنه وهذا يدل على كماله
انه لا يتعرض لترك الكسب الا من عوده الله تعالى الصبر على الجوع الايام التي لا يخليه الله تعالى
من الرزق بعدها في العاده او يكون العاده كالخرق فتجيئه بانيه رزقه من غير تكلف وهو المعبر عنه
بغير حساب كما قالت مريم عليها السلام لما قيل لها انى لك هذا قالت هو من عند الله ان الله يرزق من يشا
بغير حساب يعني والله اعلم الحساب على كسبه فانه ليس بمكتسب فان الحساب انما يكون على الكسب
وانما يكون على الصرف فمن خرق الله تعالى له العاده في حصول قوته من غير كسب واخذ مقدار القوت
الذي هو حقه كما جا في الخبر الصحيح لا حق لابن ادم الا في ثلاث فذكر البيت والثوب وجلف الخبز والما
ومتى يصل الانسان الى هذه الخيرات اما بتعود الخيرات وخرق العاده له والا فتمسكه بكسبه وتعلمه
اليقين والتوكل من تصاريف ما تجريه الحق عليه انفع له واسلم من ذل السوال والاحتياج الى الاجناس
والابد له ان لا احد الامرين حتى يتم له حاله وحه من الاستبدال قال الامام رضي الله عنه
سمعت الاستاذ ابا علي الدقاق رحمه الله يقول حاكيا عن بعض المشايخ انه قال ان اهل النار غلبت شهوتهم
حميتهم فلذلك افتضحوا قال الشارح رضي الله عنه وهذا صحيح فان حمى الله تعالى محارمه فجعل الله بين

الحق

الحق وبين النار حجابا لا تقفا الشهوات الحجابات فكل من غلبت شهوته على تقواه وارتكب الحمى
وقع في النار وعلى هذا دل الخبر الصحيح ان الله تعالى لما خلق النار قال لجبريل اذهب فانظر اليها
فنظر اليها فقال وعزتك لا يسمع بها احد فيدخلها ثم حفها بالشهوات فقال له اذهب فانظر اليها
فقال وعزتك لقد خشيت ان لا يبقى احد الا دخلها وذلك ان النار صارت محجوبه بالشهوات وصارت
الشهوات سايق لها فاذا رمى العبد الشهوات ومال اليها وتعاطاها وقع في النار وهم الذين غلبت
شهواتهم تقواهم وتحفظهم وحميتهم فوقعوا في النار والعياذ بالله من سخط الجبار قال الامام رضي
الله عنه وسمعته يقول قيل لبعضهم الا تشتهي فقال اشتهي ولكن احتمي قال وقيل لبعضهم الا تشتهي
فقال اشتهي ان لا اشتهي وهذا اتم قال الشارح رضي الله عنه وهاولا هم اهل الجنه كما ان من تقدم
الذين غلبت عليهم شهوتهم حميتهم اهل النار ومن اشتهى واحتمى اي خالف شهوته فهو من اهل الجنه
كما قال تعالى ونهى النفس عن الهوى فان الجنه هي الماوى واما من قيل له الا تشتهي فقال اشتهي
ان لا اشتهي فهو اخبار عن حسن حاله وكمال شغله بعبادة ربه ومراقبته حتى قلت راحته
وتوالت عليه في ليله ونهاره خدمته وقلت شهوته فكذلك والله اعلم قال اشتهي ان لا اشتهي والبس ذلك
تمنيا لرجوعه الى شهوات الدنيا لما هو فيه من طاعه المولى فان ذلك نقص وانما ذلك اخبار لعلوه
عن شهوات نفسه وقله خطورها بباله ويشبه هذا القول قول ابي يزيد لما سيل ابن ابي يزيد
فقال اين ابو يزيد انا في طلب ابي يزيد رحم الله ابا يزيد كان هذا اخبار عن كونه مشغولا بربه
عن نفسه وعوايده وما يعرف الناس من انسه ولذلك قال ابن خفيف ما قال رحم الله ابا يزيد ذهب
الذاهبين الى الله قال الامام رضي الله عنه سمعت الشيخ ابا عبد الرحمن السلمي رحمه الله يقول ثنا احمد
ابن منصور قال ثنا ابن مخلد ثنا ابو الحسين الحسن بن عمرو الجهم قال سمعت ابا نصر التمار قال اتى
بشر ليله فقلت الحمد لله الذي جاء بك جانا قطن من خراسان فغزلته البنت وبعته واشترينا
لحما فتفطر عندنا فقال لو اكلت عند احد اكلت عندكم ثم قال اني لاشتهي الباذنجان منذ
سنتين لم يتفق لي فقلت فان فيها الباذنجان من الحلال فقال حتى يصفو الى حب الباذنجان قال
الشارح رضي الله عنه وهذا الذي صرح بكلامه في موضع اخر في قوله اني لاشتهي الشوا منذ كذا وكذا
سنه ما صفا لي ثمنه فانه يريد انه يصفو له من الاشكال والشبه حتى يكون حلالا او انه يصفو
له حتى لا يكون في علمه من هو احوج اليه منه وانه يصفو اليه حتى لا ياكله بشهوه نفس وانه يصفو له
حتى يكون كله له طاعه قال الامام رضي الله عنه سمعت ابا عبد الله بن باكويه الصوفي رحمه الله
يقول سمعت ابا احمد الصغير يقول امرني ابو عبد الله بن خفيف ان اقدم اليه كل ليله عشر حبات
زبيب لافطاره فليله اشفقت عليه فحملت اليه خمسه عشر حبه فنظر الي وقال من امرك بهذا
واكل عشر حبات وترك الباقي قال الشارح رضي الله عنه وهذا من كمال المحافظه على ما حصل له
من الاحوال والاستقامه في ادب النفوس والاحتراز باليسير واغتنا والتقلل من الطعام وان كان

Copyright King Saud University

شهيا لثريدا وهو الا ان هذا الشيخ راض نفسه حتى تعودت الفطر على عشر حبات من التمر يسد الجوع
ويكتفي بها في كل فطر وربما ان يكاد يصوم شهرا بمثلها او باقل منها واستمرت نفسه على الحرمان
والتلذذ بالمناجاة وحلت بينه من انواع الطعام والشراب والمستلذات للابدان المكسلات فلما صارت
نفسه الى هذه الحالة الجميلة اشتغل عليها هذا الخادم وجعل نفسه اصلا في استقلال ما يأتي به ورحم
شيخه في زعمه على ما هو فيه من الم الجوع فزاد خمس حبات فلما راى الشيخ الزيادة نظر اليه كالمنكر لفعله
والغضبان عليه وقال له من امرك بهذا وهو معذور فان نصرة التقليد في نفسه بغير اذن شيخه
خطا فكيف تصرفه في احوال الشيخ بارادته قال الامام رضي الله عنه سمعت محمد بن عبد الله بن عبد الله
يقول سمعت ابا العباس احمد بن محمد بن عبد الله الفرغاني يقول سمعت ابا الحسين الرازي يقول سمعت يوسف
ابن الحسين يقول سمعت ابا تراب النخشبي يقول ما تمنت نفسي من الشهوات الا مرة واحدة تمنيت خبزا
وبيضا وانا في سفر فعدلت الى قرية فقام واحد وتعلق بي وقال هذا كان مع اللصوص فضربوني سبعين
درة فعرفني رجل منهم فقال هذا ابو تراب النخشبي فاعتذروا الي وحملني رجل الى منزله وقدم لي
خبزا وبيضا فقلت لنفسي كل بعد سبعين درة قال الشارح رضي الله عنه وهذا وفقك الله دليل
على تخسيسهم لنفوسهم مع بولائهم فيما يكره لوجهه مخالفة لشهواتهم وادبا لنفوسهم حتى يكون
اعذابهم على الاعمال باعث الاجر والطاعة لا باعث الشهوة والغرض فلما كان هذا مسافرا وخطرت
له هذه الشهوة ولم يردها ويدفعها عن نفسه وعدل الى القرية بقصد نيل شهوته ادبه الله تعالى
فاتهم انه كان مع اللصوص واحضر الى الوالي وضرب كما جرت عادة الولاة فتحسس لما جرى عليه
من الضرب وعلم انه ادب من ربه طيلة لشهوته فندم والله اعلم في نفسه فسخر الله بعض الحاضرين
لضربه وعرفه وقال هذا ابو تراب النخشبي وكان معروفا في الفضل عند الناس في السمعة وان لم يروا
شخصه فاعتذروا اليه من ضربه وحمله بعض الناس اكراما له الى داره وقدم اليه خبزا وبيضا ولم
يمكنه ترك الاكل في هذه الحالة لما في نفسه من اعراضه عن شهوته التي ادب بفعلها وانما الاكل ادخال المسرة
على من اكرمه وقدم اليه فاكلها بنية الطاعة والخير ثم قال لنفسه كلها بعد سبعين درة توبيخا للنفسه
فان الله تعالى اطعمه اياها بوجه احسن مما اراد ان يأكله به قال الامام رضي الله عنه باب
الخشوع والتواضع قال الله عز وجل قد افلح المؤمنون الذين هم في صلاتهم خاشعون انا ابو الحسن عبد
الرحمن بن ابراهيم بن محمد بن يحيى المزكي رحمه الله انا ابو الحسن المزكي انا ابو الفضل سفيان بن محمد الجوهري
ثنا علي بن الحسن ثنا يحيى بن حماد ثنا شعبة عن ابان بن تغلب عن فضيل الفقيمي عن ابراهيم النخعي عن
علقمة بن قيس عن عبد الله عن النبي صلى الله عليه وسلم قال لا يدخل الجنة من في قلبه مثقال ذرة من كبر
ولا يدخل النار من في قلبه مثقال ذرة من ايمان فقال له رجل يا رسول الله ان الرجل يحب ان يكون ثوبه
حسنا فقال ان الله جميل يحب الجمال الكبر من بطر الحق وغمص الناس انا علي بن احمد الاهوازي انا احمد بن
عبيد البصري ثنا محمد بن الفضل بن جابر ثنا ابو ابراهيم ثنا علي بن مسهر عن مسلم الاعور عن انس بن

مالك قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعود المريض ويشيع الجنائز ويركب الحمار ويجيب دعوة
العبد وكان يوم قريظة والنضير على حمار مخطوم بحبل من ليف عليه اكاف من ليف قال الشارح رضي
الله عنه قال الآية دليل على مدح الخشوع وقد قال تعالى يدعوننا رغبا ورهبا وكانوا لنا خاشعين مطلقا
في الصلاة وغيرها والخشوع هو الهدوء والسكون قال الله تعالى وترى الارض خاشعة فاذا انزلنا عليها
الماء اهتزت وربت والخشوع في القلب يظهر اثره في الجوارح وقد روي ان النبي صلى الله عليه وسلم
راى رجلا يعبث بيده في لحيته في الصلاة فقال لو خشع قلبه هذا لخشعت جوارحه واما الاخبار
التي اوردها في نفي الكبر ومدح التواضع ففي الكتاب والسنة الصحيحة اكثر من ان تحصى ويكفي في ذم
الكبر قوله تعالى انه لا يحب المستكبرين ادخلوا ابواب جهنم خالدين فيها فبئس مثوى المتكبرين وفضل
الكبر التواضع ومن تواضع لله رفعه الله هكذا ومن تكبر وضعه الله هكذا وسنورد من الاخبار
الصحيحة ما يدل على ذم الكبر وسوء عاقبته روى الترمذي يرفعه الى عبد الله بن مسعود قال قال رسول
الله صلى الله عليه لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال حبة من خردل من كبر ولا يدخل النار من كان في قلبه
مثقال حبة خردل من ايمان قال وفي الباب عن ابي هريرة وابن عباس وسلمة بن الاكوع وابي سعيد
وقال فيه هذا حديث حسن صحيح وهذا الخبر يحتاج الى تاويل ودلالة ان الكبر منقسم الى كبر هو الكفر
كالكبر على الانبياء وما جرى مجراه وهذا لا يدخل الجنة ابدا من في قلبه منه شيء واما الكبر الذي هو
معصية كالاستدلال الناس واستصغارهم وحقرتهم فمعناه انه لا يدخل الجنة دخول سلامة حتى
يعذبه الله بعد ذا الجنة ويكون هذا زيادة في الزجر عن الكبر كما رواه مسلم من قوله صلى الله عليه
وسلم عن ربه تعالى الكبرياء ردائي والعظمة ازاري فمن نازعني واحدا منهما قصمته فاما قوله لا يدخل
النار من كان في قلبه مثقال ذرة من ايمان فتاويله انه لا يدخلها دخول الخلود لما صح من الاخبار الصحيحة بدخول
طائفة من المؤمنين النار وخروجهم منها بالشفاعة فهذا وجه تاويل هذا الحديث على مذهب اهل السنة
وروى الترمذي ايضا يرفعه الى ابن مسعود قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يدخل الجنة من في
قلبه مثقال ذرة من كبر ولا يدخل النار مثقال ذرة من ايمان قال قال له رجل انه يعجبني ان يكون
ثوبي حسنا ونعلي حسنا قال ان الله جميل يحب الجمال ولكن الكبر من بطر الحق وغمص الناس قال ابو عيسى
حديث حسن صحيح غريب قال الشارح رضي الله عنه وهذا الخبر تاويله كما تقدم وفيه استحسان
ثوب الانسان وكلامه ونعله اذا لم يستصغر الناس ويتعاظم عليهم ليس بكبر فان الكبر هو التعظيم
وقد يستحسن الشيء ولا يتعظم به على الغير اذا قصد ذلك الا ترى ان النبي صلى الله عليه وسلم
للسائل لما قال اني احب ان يكون ثوبي حسنة ونعلي حسنة ومعناه اهو من الكبر اجابه النبي
صلى الله عليه وسلم بان الكبر من بطر الحق اي رده وغمص الناس اي استصغارهم واستهانتهم فهذه
علامات الكبر الحق فان امرء امر بحق او جادله فيه وعرف ان الحق مع خصمه رده على قائله
ولم يرجع اليه كبرا ورياسة وعظمة على خصمه او من حضره وكذلك يستنقص من كلمه بتردده

Copyright © King Saud University

ويستهينه بعرف ذلك من قوله وشمايله هذا هو غمض الناس يقال اغمض الناس وغمط الناس
يطاد وطا غير معجبين قال الامام رضي الله عنه الخشوع الانقياد للحق والتواضع هو الاستسلام
للحق وترك الاعتراض على الحكم قال الشارح رضي الله عنه قوله الخشوع الانقياد للحق يعني السكون
والقبول اذا سمع الحق من كل قايل لان الارض الخاشعة هي التي لا حركة فيها ولا نبات فعلى هذا من سمع
الحق ورجع اليه منقادا فهو من اثار الخشوع وقوله والتواضع الاستسلام للحق فان رجوعه الى
معرفة الحق والرجوع اليه كان هو الانقياد بعينه وان اراد به ترك الاختيار من العبد وعدم الاعتراض
على ما يجري من الحكم وهو المعبر عنه بالاستسلام اي خضع وذل لحكم منزله الحكم وهو الله تعالى فقريب
والاصل في التواضع معرفته قدر النفس وصغرها ومن اي شي كانت والى ما يؤول امرها اليه وكونها
فيما بين ذلك مربوبة متعبدة مامورة منهية مطالبة بفعلها محاسبة فمعرفتها بهذه
الجملة يدلها على نقصها ويزيل عنها كبرها الذي لا يليق بها وتقبل الحق من كل قايل شرعا كان او وضعا
صغيرا كان او كبيرا فيكون تواضعها وتذللها لما قاله القايل قال الامام رضي الله عنه وقال حذيفة
اول ما تفقدون من دينكم الخشوع وسيل بعضهم عن معنى الخشوع فقال الخشوع قيام القلب
بين يدي الحق بهم مجموع قال الشارح رضي الله عنه فقوله حذيفة اول ما تفقدون من دينكم الخشوع
يعني بذلك القلوب في عباداتها لله تعالى وقد ظهر هذا المعنى ظهورا كبيرا حتى صارت اكثر الصلوات
تجري على حكم العادة فلولا كرم الله تعالى بالاكتفا بالنية في اولها لانه الى جملتها والعفو
عن الغفلات لما صحت لنا عبادة واليه يرجع قول بعضهم الخشوع قيام القلب بين يدي الحق بهم مجموع
وهذا هو الذي يثمر الخشوع والهدو لمعرفته بعظمة الله تعالى والحيا من اطلاعه على العبد في
عبادته وقلة ادبه فيما يكلف به وغفلته ومعصيته قال الامام رضي الله عنه وقال سهل بن عبد
الله من خشع قلبه لم يقرب منه الشيطان قال الشارح رضي الله عنه واذا كانت هذه الحالة
التي هي الخشوع لا تكون الا مع تعظيم الله تعالى واستشعار نظره الى العبد وكمال الشغل به والحيا منه
لم يطمع الشيطان في اغوائه فيقرب منه كما كان الشيطان يفر من عمر بن الخطاب رضي الله عنه
اذا سلك فجا سلك الشيطان غير فجه قال الامام رضي الله عنه وقيل من علامات الخشوع للعبد
انه اذا غضب او خولف او رد عليه يستقبل ذلك بالقبول قال الشارح رضي الله عنه وهذا
يدل على انه يعرف الحق لمستحقه ويرجع اليه وينقاد وقد يكون ذلك للخشوع والتواضع والصبر
وغيره قال الامام رضي الله عنه وقال بعضهم خشوع القلب قيد العيون عن النظر قال الشارح
رضي الله عنه الخشوع اذا كان عن المعرفة بالله واستشعار رويته للعبد قيد جميع افعال العبد
عن الشروع في المحرمات وشغلها بانواع الطاعات قال الامام رضي الله عنه وقال محمد بن علي الترمذي
الخاشع من خمدت نيران شهواته وسكن دخان صدره واشرق نور التعظيم في قلبه فماتت
شهواته وحيي فخشعت جوارحه قال الشارح رضي الله عنه وهذا كله راجع الى كمال المعرفة

بالله

بالله تعالى وعظمته وشدة تكاليفه ومطالبته فمتى عرف العبد ذلك ذل في نفسه وانكسرت
شهوته وخمدت نيران هواه وانكسرت شهوته وخمدت نيران هواه وانكسرت جوارحه عن السعي
فيما لا يرضاه مولاه وهو المعبر عنه بخشوع جوارحه يعني هدان وسكنت وهو معنى قول
النبي صلى الله عليه وسلم لمن راه يعبث في الصلاة بلحيته لو خشع قلبه هذا لخشعت جوارحه
اي لو استشعر نظر الله تعالى اليه وانه يناجيه بلسانه وحضور قلبه وانه سبحانه يسمعه ويراه
تادب في نفسه وقلبه وجوارحه واسم الخشوع ينطلق على رهبة القلب وذلته وانكساره
وعلى سكون الجوارح وانقياد العبد لما امره وانكفافه عما زجره عنه ولذلك قال يدعوننا رغبا ورهبا
وكانوا لنا خاشعين قال الامام رضي الله عنه وقال الحسن الخشوع الدايم اللازم للقلب قال الشارح ١٩٠
رضي الله عنه وهذا ثمر الخشوع فان العبد اذا خاف من شي بعد عنه وهذا اعني طلبه واجتهد
في البعد منه قال الامام رضي الله عنه وسيل الجنيد عن الخشوع فقال تذلل القلوب لعلام
الغيوب قال الشارح رضي الله عنه وهذا اقرب لحقيقة الخشوع وهو حد جيد يعني الخشوع في
القلب وانما تذلل لمن علمت كماله وعظمته وانه ادله على نفعها وضرها فاذا امتلا القلب بهذه
المعرفة تبعتها الجوارح بالانقياد والانكسار قال الامام رضي الله عنه قال الله عز وجل وعباد
الرحمن الذين يمشون على الارض هونا سمعت الاستاذ ابا علي رحمه الله يقول معناه متواضعين
متخاشعين وسمعته يقول هم الذين لا يستحسنون شسع نعالهم اذا مشوا قال الشارح رضي الله
عنه اما قوله تعالى يمشون على الارض هونا اي برفق بغير تكبر ولا اعجاب وضد الكبر والعجب التواضع
وقولهم الذين لا يستحسنون شسع نعالهم اذا مشوا يعني معجبين والاحض الاستحسان للثوب
والنعل قد تقدم فيه الخبر الصحيح لما سيل النبي صلى الله عليه وسلم فقيل له ان الرجل يحب ان يكون ثوبه
حسنا ونعله حسنة هل هو من الكبر الذي هو عن العجب فهذا معنى السوال وليس هو نص الخبر فاجابه
النبي صلى الله عليه وسلم بان الكبر بطر الحق وغمط الناس فدل ذلك على ان استحسان شسع النعل لا يكون
من العجب مطلقا ويحتمل ان يريد الشيخ ابو علي الدقاق بقوله لا يستحسنون شسع نعالهم اي لا يشغلهم
بالله تعالى ومراقبتهم له اي لا يتفرغون للشغل بامر دنياهم وكانه قال الخاشع لله لا يتفرغ لامر دنياه
ويعضد هذا المعنى قول النبي صلى الله عليه وسلم لو خشع قلبه لخشعت جوارحه للذي راه يعبث بلحيته
في الصلاة قال الامام رضي الله عنه واتفقوا على ان الخشوع محله القلب وراى بعضهم رجلا منقبض
الظاهر منكسر الشاهد قد زوى منكبيه فقال له يا فلان الخشوع هاهنا واشار الى صدره
لا هاهنا واشار الى منكبيه قال الشارح رضي الله عنه ويحتمل ان يكون هذا الذي خشع بظاهره
ولم يخشع قلبه عليه امارات تدل على كونه متكلفا او مرايا فلذلك نبهه على ان المراد خشوع
القلب لا تكلف الجوارح وقد بينا انه متى صح الخشوع في القلب تبعته الجوارح بالانكسار والتذلل
ويعضده ما بعده مما اورده الامام من قوله عليه السلام لو خشع قلبه لخشعت جوارحه قال

Copyright © King Saud University

قال الامام رضي الله عنه وروي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم راى رجلا يعبث في صلاته بلحيته فقال لو خشع قلبه هذا لخشعت جوارحه قال الشارح رضي الله عنه فدل ذلك على ان خشوع الجوارح يتبع خشوع القلب وان القايل لمن راه خاشعا بظاهره الخشوع هاهنا واشار الى قلبه كان حاله يدل على كونه متكلفا لهيئة الخشوع قال الامام رضي الله عنه وقيل شرط الخشوع في الصلاة ان لا يعرف من على يمينه ومن على شماله قال الشارح رضي الله عنه ومراده بالخشوع هاهنا كمال الحضور والاستغراق في المناجاة وفهم ما يتلوه او ما يسمعه حتى يشتغل قلبه بكليته به فلا يحس بمن عن يمينه وشماله وهذا امر زايد على الخشوع الذي هو الهدو والسكون في الصلاة والسلامة من الافعال المنافية ومن كمل حضور قلبه في صلاته ومناجاته لربه حسن منه ان يقول السلام عليكم لمن عن يمينه وشماله لانه كان غايبا فقدم عليهم والافضل هو حاضر بيديه بين يدي الله وقلبه مستغرق فيما يخصه ويهواه فلم يغب عن نفسه ولا عمن يجالسه فهو حاضر معهم لم يغب قال الامام رضي الله عنه ويحتمل ان يقال الخشوع اطراق السريرة بشرط الادب بمشهد الحق ويقال الخشوع ذبول يرد على القلب عند اطلاع الرب او يقال الخشوع ذوبان القلب وانخناسه عند سلطان الحقيقة او يقال الخشوع مقدمات غلبات الهيبة او يقال الخشوع قشعريرة ترد على القلب بغتة عند مناجاة كشف الحقيقة قال الشارح رضي الله عنه وكل ما ذكره الامام من هذه الحدود وجمعها تغير القلب وتذلله وهو المعبر عنه بالذبول او الذوبان كل ذلك اذا استشعر نظر الحق اليه وعظمة هيبته وتعظيمه حتى لم يبق فيه وسع لغير ما هو فيه فهذه الحالة هي التي عبر عنها بالخشوع وهي اعلى مراتب الخاشعين فان العبد قد ينكشف عن الاحلال بالواجبات وارتكاب المحرمات خوفا ويكون عنده بعض خشوع وقد يكون عند الجد في عبادته الاوقات بانواع المندوبات ويكون قلبه مشغولا بذكر مخلصا لله نيته ذاكرا لقصده الله عالما او معتقدا انظار الله اليه فيكون خاشعا وقد يكون في احوال الشريفة مع مولاه ناظرا بها في اكمل درجات كسبه وتقواه راى ما فضل ربه عليه واعانته له مشيرا من دعواه ويكون خاشعا فالذي اشار الامام اليه في الاقوال اعلى مراتب الخاشعين وهم العارفون الذين يرد على قلوبهم من هيبة الله تعالى واجلاله وتعظيمه ما يذهلهم عن غيره ويصطلمهم حتى لا يبقى بهم احساس ولا مشاهدة لغيره قال الامام رضي الله عنه وقال الفضيل بن عياض كان يكره ان يرى الرجل من الخشوع اكثر مما في قلبه قال الشارح رضي الله عنه وهذا والله اعلم اشارة الى كتم الاحوال الغالبة على القلوب حتى تظهر الجوارح فاذا الفضل الانسان عن الحال يكلف ان يتجمل بظاهره او يتمادى في تباكيه او غشيانه او صياحه او بكايه مع تمكنه من رد نفسه عن ذلك وقدرته على ستره والاخفى كان الامر غالبا عنى ما في قلبه وان ذلك في جوارحه وعجز عن مسكه فلا يصح ان يقال فيه كان يكره لانهم لا يكرهون الا ما يمكن وهذا جميعه مع الصدق بالقلب والبدن وانما نعلم ذلك في غير الصدق بحوالم

ان

ان اراد بقوله يكره التخرع فذلك لاحد قسمين اما ان يكون مرايا او متسمعا بما لم ينل كاذبا كما قال صلى الله عليه وسلم المتشبع بما لم ينل كلابس ثوبي زور قال الامام رضي الله عنه وقال ابو سليمان الداراني لو اجتمع الناس ان يضعوني كاتضاعي عند نفسي لما قدروا عليه قال الشارح رضي الله عنه ومخرج هذا من ابي سليمان انما يكون لمن يقتدي به ويعرفه هذه الحالة الشريفة في التواضع مع الكمال فان من كمل في صفات الخير من العلم والعمل والحال وهو في تواضعه كما وصفه في حالة شريفة فلا يظهرها احد من العمال الا لمن يقتدي به في حاله وينتفع بذلك في طلب كمال الاحوال قال الامام رضي الله عنه وقيل من لم يتضع عند نفسه لم يرتفع عند غيره قال الشارح رضي الله عنه وذلك لاحد امرين احدهما ان من لم يتضع لم يعرف قدر نفسه وربما ظهر منه الكبر على الناس واذا ظهر الكبر على الناس مع الافلاس من خصال الكمال نزل قدره عندهم في الحال والوجه الثاني ان التواضع لله من اشرف الاخلاق فاذا ظهر التواضع مع الاتصاف بافضل خلال الدين من العلم والعمل والتنزه عن ذميم الاخلاق والتخلق باشرفها عند الله ومع ذلك يكون الرجل متواضعا مع كماله رفعه الله بحسن نيته واطلع الخلق على حسن سريرته فنشر فوقه وعظمه وهذا المعهود المعروف من اهل الدين والفضل والتواضع من غير جهد امع نزاهة النفس والاتصاف بكمل الاعمال والاحوال قال الامام رضي الله عنه وكان عمر بن عبد العزيز رحمه الله لا يسجد الا على التراب قال الشارح رضي الله عنه وهذا بدل على كمال تواضعه لربه وهو انه باخذ ارفع ما فيه وهو وجهه يضعه في التراب تذللا لربه ورجا القبول عمله والعفو عن خطاياه وزلاته ومن ذلك ما روي ان عمر بن الخطاب رضي الله عنه بعد ان طعن وهو في حال الفراق كانت راسه على ورك ولده عبد الله فقال له عمر ضع راسي الا رض فيقال وما عليك يا ابة ان يكون راسك على وركي او في الارض فزجره ثم قال ضع راسي بالارض لا ام لك في الثانية او في الثالثة فوضعها وهو يقول ويلي وويل امي ان لم يغفر الله لي حتى فاضت عينه قال الامام رضي الله عنه انا علي بن احمد الاهوازي قال حدثنا احمد بن عبيد البصري ثنا ابراهيم بن عبد الله قال ثنا ابو الحسن عن علي ابن يزيد الفرايضي قال حدثنا محمد بن كثير وهو المصيصي عن هارون بن حيان عن خصيف عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يدخل الجنة مثقال حبة من خردل من كبر قال مجاهد لما اغرق الله سبحانه قوم نوح شمخت الجبال وتواضع الجودي فجعله الله سبحانه قرار السفينة نوح عليه السلام قال الشارح رضي الله عنه وما ذكره في قصة الجودي دليل على ان من تواضع رفعه الله فلم يرا لجبل نفسه اهلا لحلول النبي والمومنين عليه اعطاه الله تلك المنزلة وشمخت الجبال اي تعالت وتواضع الجودي اي قصر حتى الارض وهذا حركان يجوز ان يخلق في الجماد او الحديث الذي قبل هذه الحكاية قد تقدم الكلام عليه وتاويله

قال الامام رضي الله عنه وكان عمر بن الخطاب رضي الله عنه يسرع في المشي ويقول انه اسرع للحاجة وابعد من الزهو قال الشارح رضي الله عنه وهذا الكلام فيه اشارة الى البعد عن اسباب العجب وهو المشي على هيئة مخصوصة والانفة مدح الله تعالى من يمشي على الارض هونا وكانت عادة النبي صلى الله عليه وسلم ان مشيه تكفؤا كانما ينحط من صبب ونقل ان مشيه في الحج كان يمشي العنق فاذا وجد فرجة نص اي ظهر فلذلك كان عمر بن الخطاب رضي الله عنه يمشي هذه المشية وهو مستعجل فلما سئل عنها قال هي ابعد عن العجب واسرع لقضا الحاجة وكذلك عوتب على رضي الله عنه في لبوسه فقال هو اقرب الى التواضع وان يقتدي بي الرجل المسلم فهذا كله دليل على التواضع والبعد عن اسباب الكبر والعجب قال الامام رضي الله عنه وكان عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه يكتب ليلة شيا وعنده ضيف فكاد السراج يطفى فقال الضيف اقوم الى المصباح فاصلحه فقال لا ليس من الكرم استعمال الضيف قال انبه الغلام قال لا هي اول نومة نامها فقام الى البطه وجعل الدهن في المصباح فقال الضيف قمت وانا عمر ورجعت وانا عمر قال الشارح رضي الله عنه وفي هذه الحكاية من الادب وكرم الاخلاق والتواضع ما ننبه عليه وذلك ان الضيف لا ينبغي له ان يتصرف في دار من اضافه الا باذنه ولذلك لما ان اراد السراج ان يطفى استاذن امير المومنين في ان يتصرف ويصلح المصباح بالزيت فقال له لا واعلمه ان ذلك من الاخلاق المحموده اي لا يستخدم الضيف فانه قد جا في الخبر من كان يومن بالله واليوم الاخر فليكرم ضيفه واستخدامه ليس من كرامته فلما قال له نوقظ الغلام ليصلح فقال له هي اول نومة نامها فلا تشوش عليه نومه وهذه هي الشفقة بالمملوك امتثالا لوصية النبي صلى الله عليه وسلم اطعموهم مما تاكلون وفي اخر الحديث ولا تكلفوهم من العمل ما لا يطيقون ثم قام رضي الله عنه ووضع الزيت من البطه في السراج ورده مكانه ثم جلس فقال له الضيف فعلت هذا بنفسك يا امير المومنين تعجبا من ذلك لمخالفته عادة الولاة فضلا عن الخلفا فقال له رضي الله عنه ذهبت وانا عمر ورجعت وانا عمر ما نقص مما انا عليه شي خيرا كان او شرا وهذا يدل على كمال التواضع والبعد من روية النفس وكمالها وهو صحيح الاستشهاد في الباب قال الامام رضي الله عنه وروى ابو سعيد الخدري رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يعلف البعير ويقم البيت ويخصف النعل ويرقع الثوب ويحلب الشاه وياكل مع الخادم ويطحن معه اذا اعيى وكان لا يمنعه الحيا ان يحمل بضاعته من السوق الى اهله وكان يصافح الغني والفقير ويسلم مبتدا ولا يحقر ما دعي اليه ولو الى حشف التمر وكان هين المونة لين الخلق كريم الطبيعة جميل المعاشرة طلق الوجه بساما من غير ضحك محزونا من غير عبوسه متواضعا من غير مذلة جوادا من غير سرف رقيق القلب رحيما بكل مسلم لم يتجشا قط من

وصلت بلغ ... يا امير المومنين ...

شبع ولم

ولم يمد يده الى الطمع صلى الله عليه وسلم قال الشارح رضي الله عنه وفي هذا وجهان من الاستدلال احدها كمال تواضعه صلى الله عليه وسلم مع انه اشرف العالمين وافضلهم في الدنيا والاخرى والوجه الثاني تعاطيه الاسباب من علف البعير وحلب الشاه وخصف النعل ورقع القميص وطحنه مع الخادم اذا اعيى مع انه اشرف المتوكلين ودل ذلك على ان السبب لا يناقض التوكل ولا المقامات العاليه اذا كان لله قال الامام رضي الله عنه سمعت الشيخ ابا عبد الرحمن السلمي يقول سمعت بن نصر الصايغ يقول سمعت مردويه الصايغ يقول سمعت الفضيل بن عياض يقول قرا الرحمن اصحاب خشوع وتواضع وقرا العصاة اصحاب عجب وتكبر قال الشارح رضي الله عنه وهذا الخرج مخرج الغالب فان ليس كل من يتقرب الى الولاه من القرا يكون مقصوده العجب والتكبر بل تختلف احوال المتقربين اليهم فبعضهم لينال من دنياهم وبعضهم يتقرب غلطا ليغير المنكر ويخلص المظلومين وياخذ لهم راحة للفقرا واهل بيتهم خيره بشي فيه نظر وذلك لاختلاف احوال الامرا وما يشاهد عندهم من المنكر الذي لا قدرة له على تغييره ومنهم من يتقرب منهم لبعض جاههم وتنفذ كلمته ويكون له سطوة على ابنا جنسه وغيرهم وهذا هو الغالب واما قرا الرحمن فان علمهم بالله تعالى وبانفسهم وبما كلفهم مولاهم من القيام بحقه ويعجزهم عن ذلك يذلون في انفسهم ويتواضعون لربهم قال الامام رضي الله عنه وقال الفضيل من راى لنفسه قيمة فليس له في التواضع نصيب قال الشارح رضي الله عنه وهذه الروايه ليست على الاطلاق بل المومن يعرف مقامه وكذلك العارف والعالم بالحلال والحرام وتفاوت درجات الاحكام يعرف درجته وما من الله عليه به وبذلك فليفرح وعليه شكر فبفضل الله وبرحمته فبذلك فليفرحوا والشكر يترتب على المعرفه بالنعم من المنعم وانما المذموم رويه فضله على غيره حتى يتكبر عليه ويستحقره وهذه الروايه التي تخرجه من التواضع لان التكبر ضده قال الامام رضي الله عنه وسيل الفضيل عن التواضع فقال تخضع للحق وتنقاد له وتقبله ممن قاله قال الشارح رضي الله عنه وهذا هو التواضع الذي قاله النبي صلى الله عليه وسلم بالكبر لما قال صلى الله عليه وسلم الكبر بطر الحق وغمص الناس فبطر الحق رده وابطاله اذا اسمعه المتكبر ممن هو دونه وغمط الناس استنقاصهم واستصغارهم وحقريتهم ومن يخلص من هذه الاخلاق الذميمه هو المتواضع وان كان التواضع على درجات فهذا هو التواضع الواجب اذ ما لا خلاص من الحرام الا به فهو واجب والتكبر على الخلق وحقريتهم حرام قال الامام رضي الله عنه وقال الفضيل اوحى الله سبحانه الى الجبال اني مكلم على واحد منكم نبيا فتطاولت الجبال وتواضع طور سينا فكلم الله سبحانه عليه موسى عليه السلام لتواضعه قال الشارح رضي الله عنه وقد تقدم الكلام على تطاول الجبال وتواضع الجودي في قضيه سفينة نوح عليه السلام وان الارتفاع والخفض راجع الى ما يخلق فيها من الحركات وذلك جايز في الجمادات وعلى هذا

القضاه

Copyright © King Saud University

الموضع من باده وهو ان الله تعالى اوحى اليها اني متكلم عليك وهذا يدل على خلق الحياة والفهم
والرفعة والتواضع والاختيار بالارادة وهذا يدل لذا اصح نقله على خرق العادة والله الموفق
قال الامام رضي الله عنه سمعت محمد بن الحسين يقول سمعت احمد بن علي بن جعفر يقول
سمعت ابراهيم ابن فاتك يقول سيل الجنيد عن التواضع فقال خفض الجناح ولين الجانب
قال الشارح رضي الله عنه وهذا قريب جدا من حقيقة التواضع فان من خفض جناحه للخلق
قربوا منه وانتفعوا به في سائر ما يمكنه وكذلك اذا لان جانبه فان اوذي بادنه حمل وان قيل
بما يكره احتمل فلا يواخذ غيره بحق ويحمل ما يرد من غيره من الجفا وينفع بما يقدر عليه ارباب
الحوايج وهذا كله لا يتم الا لمن كملت معرفته بنفسه وبجلال ربه وكمال خوفه عليه وسلمه
طلبه لما يرضيه عنه فيما بينه وبينه وبين خلقه فلا تراه في سائر حركاته الا موزونا ولا في سائر كلماته
الا محفوظا من الزلل مصونا قال الامام رضي الله عنه وقال وهب مكتوب في بعض ما انزل الله
تعالى من الكتب اني اخرجت الذر من صلب ادم فلم اجد قلبا اشد تواضعا من قلب موسى فلذلك
اصطفيته وكلمته قال الشارح رضي الله عنه وهذا من فعل الله تعالى به في التحريض لبني اسرائيل
على التواضع والتذلل لمولاهم فانه تعالى اخبرهم اني ما ميزت موسى عنكم واختصصته بكلامي
الا لما اختص من كمال تواضعه وهذا من فضل الله ينبغي ان يتفطن له وذلك ان تواضع موسى
وغيره مما اختص الله به سائر الانبيا وهو من فعل الله تعالى فيهم وخلقه لهم وهو الذي خصهم
بالاسباب وتفضل عليهم بترتيب المسببات عليها وكل ذلك فضله عليهم اذ لا فعل لغيره
وانما جرى هذا مجرى التنبيه على تعاطي الاسباب المامور بها والحث عليها فانه تعالى
رتب المسببات عليها سبحانه وتعالى عما يشركون قال الامام رضي الله عنه وقال ابن المبارك
التكبر على الاغنيا والتواضع للفقرا من التواضع قال الشارح رضي الله عنه وهذا وفقك
الله ليس على ظاهره فان المتكبر مذموم على كل احد فقيرا كان او غنيا فانه محرم والتواضع
محمود اذا كان لله لكل شخص وليس بمذموم وربما راى هذا من يتواضع للاغنيا لاجل
دنياهم فيزعم انه متواضع تواضعا محمودا وربما تواضع للفقرا ايضا فيقال له وضع
الاشيا مواضعها على الاطلاق لله هو من التواضع فتواضعك للاغنيا لاجل دنياهم
ليس بمحمود وتواضعك للفقرا اطلقا لاجل فقرهم ليس بمحمود والمحمود تواضعك للحق
وقبولك له من اي قايل كان غنيا كان او فقيرا هذا هو التواضع المحمود قال الامام رضي الله
عنه وقيل لابي يزيد متى يكون الرجل متواضعا فقال اذا لم ير لنفسه مقاما ولا حالا ولا يرى في
الخلق من هو شر منه قال الشارح رضي الله عنه وهذا وفقك الله اشاره الى العلا
مقاما فانه الاعراض عن النفس وانما يصح ذلك بكمال الاشتغال بالله تعالى وروية جلاله وعظمته
ودوام ذكره ومناجاته حتى يستغرق في ذلك حتى يغيب عن ذكره فقد اجمع الخلق كان تم

يغيب

يغيب عن نفسه فبهذا الاعتبار كان كمال التواضع ان لا يرى لنفسه قدرا واذا لم ير لها قدرا
استحال ان يفضلها على غيرها من الخلق فبين هذا مع ادراكه بحقر نفسه وصغر قدرها فاما
اذا استولى عليه سلطان الحقيقة حتى ينسى نفسه فلا خير ولا اثر رضي الله عنه فان التواضع
الكامل ان يصل العبد الى هذه الحالة وهو لا ينكر ما قبله من درجات التواضع قال الامام
رضي الله عنه وقيل التواضع نعمة لا يحسد عليها والكبر محنة لا يرحم عليها والعز في التواضع
فمن طلبه في الكبر لم يجده قال الشارح رضي الله عنه وهذا صحيح فان التواضع كما قررناه
من النعم الغالبة على العبد لما يترتب عليه في الدنيا والاخرة وليس كل احد من الناس يعرف نعمة
التواضع بل التواضع عند اكثر الناس مذلة وقلة همة فلا يحسد احد عليها فان الحسد
لا يكون الا على النعم والتواضع لا يعرف كونه نعمة كثير من الناس فهي نعمة لا يحسد عليها والكبر
خلق مذموم ومعصية لله تعالى فعلى هذا هو محنة وبلية لا يرحم عليها فهو اعين العباد
الجهال في شرف ورفعة ولا يترحمون عليه ولا يشفقون فان الرحمة والشفقة انما تكون
على المصاب المبتلي وليس كل الناس يعرف ان الكبر بلا لا زائره في الاخرة فلا يعرف كونه
بلا الا ابنا الاخرة قال الامام رضي الله عنه سمعت الشيخ ابا عبد الرحمن السلمي رحمه الله يقول سمعت
ابا بكر محمد بن عبد الله يقول سمعت ابراهيم بن شيبان يقول الشرف في التواضع والعز
في التقوى والحرية في القناعة قال الشارح رضي الله عنه متى تواضع العبد لله
تعالى وان كان جليل القدر وعلم الله من قلبه ذلك احبه لكونه عرف العبودية مع كمال
اسباغ النعم وبعض هذا ما حكي عن بعض الناس اراد ان يشتري مملوكا فطلب
صاحبه فيه ثمنا عظيما فتوقف المشتري عنه لكثرة ثمنه فقال له يا سيدي فيّ كذا وكذا
خصلة ايسرها افضل من هذا الثمن الذي طلبه هذا السيد فقال له وما هي قال اذا ملكتني
من جميع اموالك وجعلت لي النظر على جميع حشمك وعيالك لم اغلط في نفسي وعلمت اني
عبدك وكذا من يمكنه الله تعالى من العلوم والاعمال ويتفضل عليه باشرف الاحوال
ولا يغالط في نفسه ولم ير نفسه اهلا لما من الله عليه به ورأى فضله عليه في سائر
ما هو فيه ارتفعت درجته عنده واوقع له المحبة في قلوب خلقه فاعزه
وهذا المفهوم من قوله من تواضع لله رفعه الله وذلك العز فان التقوى تشمل سائر
الواجبات والمندوبات وقد جا في الخبر الصحيح ما تقرب المتقربون الي بمثل اداء ما
افترضت عليهم ولا يزال العبد يتقرب الي بالنوافل حتى احبه الحديث ومن احبه الله
حفظه في سائر اعضائه واستجاب دعاه فهو العزيز الرفيع المنزلة عند الله ومن رزق
القناعة لم يتذلل للطمع ولم يدخل في تحصيل ما يحتاج اليه كل مدخل ولم يتذلل الانسان
ولم يزاحم على الارزاق الا اذل ذلك والياس قال الامام رضي الله عنه وسمعته يقول سمعت الحسين

Copyright King Saud University

الحسن السيارى يقول سمعت ابن الاعرابي يقول بلغني ان سفيان الثوري قال اعز الخلق خمسة
انفس عالم زاهد وفقيه صوفي وغني متواضع وفقير شاكر وشريف سني قال الشارح
رضي الله عنه وهذا صحيح ولكنه يخرج مخرج الغالب وذلك ان من غلب عليه شي كانت
غلبته عليه مانعة له من المصير الى ضده عادة وذلك ان العالم هو المتمكن من العلوم
العقلية والشرعية والعادة العارف بوجوه الاستدلال والمفرق بين الشبه والادلة
بواضح البيان والمقال فهو كامل عند الناس معظم بين الانام ومن يكون هذه صفته وجدت
مالا وتوجه رفعت منزلته ودرجته فبعد من غلبة الزهد في الدنيا لانه عارف في معظمها
وهو الجاه وذلك لا ينال احوانا يخرج من روس الصديقين حب الرياسة واما الفقيه الصوفي
فان الغالب من الفقيه الحلال والحرام وتحقيق الفتيا بين الانام والرجوع اليه في سائر
المهمات في فصل الخصام فهو محتاج اليه ولابد من الرجوع اليه والصوفي عبارة عن المنقطع
بقلبه عن السوى المشغول بربه ومراعاة ما هو فيه من الخواطر والاحوال والانفاس
فيبعد ان يكون الشخص فقيها يحتاج اليه الناس ويتفرغ عما يشير اليه اهل التصوف من
مراعاة الاحوال والانفاس وقد من الله تعالى على بعض من اختصه بالجمع بين ذلك كاحوال
الانبيا والسادة من الخلفا ابي بكر وعمر وغيرهم ممن قام بحق الله في نفسه وفي غيره ولكن ذلك
قليلا غالبا وقد تقدم ان اسباب الغنا والسعة في الدنيا في المال والجاه هي اسباب الشرف
والتكبر فالمتواضع مع هذا الحال نادر واما الفقير الشاكر فان الفقير يلازمه الصبر وانما
يشكر الانسان على النعم وقل من يعرف الفقر نعمة عليه وما صرف عنه في الدنيا من الحقوق والواجبات
وما سلم منه في الاخرة من الحساب وشدة المطالبات فقل من يشكر على الفقر الا احاد
الناس والشريف السني هذا امر جرت به العادة في ان الشرفا المنتسبين لاولاد
النبي صلى الله عليه وسلم من اولاد فاطمة وعلي وغيرهم من الشرفا يكون منهم الميل الى ما
هم فيه وربما لم يعظموا ابا بكر وعمر حق تعظيمهما ولم يسلكوا مسلك اهل السنة في تقديمهما
فمن هذه الجهة والله اعلم هذا الاطلاق ان من النوادر من يدعي الشرف يكون سنيا
وهذا الذي ذكره انما وقع في هذه الازمنة المتاخرة واما الصدر الاول فقد وقع
الاجماع منهما على تفضيل ابي بكر وعمر وعلى الجملة فهذا القايل انما نظر الى الغالب والنادر الواقع
الوجود ومقصوده هذا الباب انما هو تواضع الغني لا غير وانما تكلمنا عليه لتمام
كلامه وشرح ما قال والله المستعان قال الامام رضي الله عنه وقال يحيى بن معاذ التواضع
حسن في كل احد لكنه في الاغنيا احسن والتكبر سمج في كل احد لكنه في الفقرا اسمج قال الشارح
رضي الله عنه وذلك لعدم اسباب التكبر في حق الفقير ووجودها في حق الغني فمن وجد
اسباب التكبر من المال والجاه وغير ذلك ثم لم يعمل على مقتضى ذلك وتواضع فتواضعه احسن

من تواضع من لم يكن عنده من اسباب التكبر ما عنده واما الفقير الذي عدمت عنده اسباب
الكبر من الدنيا والاخرة فلا يليق الكبر به على حال وصدوره منه اقبح من صدوره ممن وجد
اسباب التكبر وقد ورد الخبر بذم الشيخ الزاني ومدح الشاب التايب وذلك لتهيئ
اسباب الفساد وقوة الشهوة من الشباب وضعف ذلك في حق الشيخ ولذلك قبح الزنا منه
وحسن تركه من الشباب وان كان الزنا قبيحا مطلقا وتركه حسنا الا انه من الشيخ اقبح وتركه
حسنا الا انه من الشيخ اقبح وتركه من الشاب احسن قال الامام رضي الله عنه وقال ابن
١٩٤
عطا التواضع قبول الحق ممن كان قال الشارح رضي الله عنه وهذا قد تكرر مرارا
ويعني من كل قايل صغيرا او كبيرا شريفا او وضيعا عبدا او حرا لانه ينظر الى الحق الذي قال
لا الى الشخص القايل فهو يتواضع للحق وينقاد له وهذا هو التواضع لله قال الامام رضي
الله عنه وقيل ركب زيد بن ثابت رضي الله عنه فدنا ابن عباس رضي الله عنه لياخذ
بركابه فقال له مه يا ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال هكذا امرنا ان نفعل بكبرايا فقال
ارني يدك فاخرجها اليه فقبلها وقال هكذا امرنا ان نفعل باهل بيت رسول الله صلى الله عليه
وسلم قال الشارح رضي الله عنه وهذه الحكاية مشهورة قد تداولها الناس ووجهها تعظيم
العلما والتواضع لهم وذكر ذلك لاهل بيت النبي صلى الله عليه وسلم وذريته وذلك ان زيد
ابن ثابت صلى على جنازة فقدمت له بغلته ليركبها فجا ابن عباس ليمسك له الركاب حتى يركب
كما يفعله الخدام فقال له زيد مه يا ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم معناه ما هذا فقال له ابن عباس هكذا
امرنا ان نفعل بعلمايا اي بكبرايهم وجلتهم فقال له زيد بن ثابت ارني يدك فاخرجها اليه فمسكها
زيد بن ثابت وقبلها وقال هكذا امرنا ان نفعل باهل بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وظاهر
هذا انه فعله مكافاة لما فعله هو من مسكه الركاب وقبل يده التي مسك بها الركاب ثم قوله
هكذا امرنا ان نفعل معناه تجليهم وتعظيمهم وان كان مالك رحمه الله كره تقبيل اليد وشدد الكراهة
فيه وقد يكون ذلك خوفا من دخول افة الكبر والعجب على المفعول به ذلك على وجه التعظيم
له لا على وجه المكافاة لما فعله قال الامام رضي الله عنه وقال عروة بن الزبير رايت عمر بن الخطاب
رضي الله عنه وعلى عاتقه قربة ما فقلت يا امير المومنين لا ينبغي لك هذا فقال لما اتاني الوفود
سامعين مطيعين دخلت نفسي نخوة فاحببت ان اكسرها ومضى بالقربة الى حجرة امراة
من الانصار فافرغها في انايها قال الشارح رضي الله عنه وهذا من باب ادب النفس وكسر
نخوتها اذا ظهرت عند ما تعظم وتشرف وتجد الانسان في نفسه هذه تعاطي افعاله
تزري بقدره وتذيقها الذلة وهذا شان الصالحين مع مداراة انفسهم اذا لم تنقد اليهم
بر ومنه من الطاعات ادبوها بمخالفة الهوى وتحميل الامور الشاقة قال الامام رضي الله
عنه سمعت ابا حاتم السجستاني رحمه الله يقول سمعت ابا نصر السراج الطوسي يقول

عنه
بعلمائنا

Copyright King Saud University

روي ابو هريرة رضي الله عنه وهو امير المدينة وعلى ظهره حزمة حطب وهو يقول
طرقوا للامير قال الشارح رضي الله عنه وهذا مما تقدم من فعل عمر رضي الله عنه وكذا ما نقل عن
عبد الله بن سلام فقيل له قد كان في بيتك وعلى بابك من يكفيك هذا فقال اردت ان اجرب
هل تنكره قال الامام رضي الله عنه وقال عبد الله الرازي التواضع ترك التمييز في الخدمة
قال الشارح رضي الله عنه اي متى احتاج العبد الى خدمة او صنعة باشرها من الكسب
الحلال تعاطى اي خدمة كانت سوا كانت رفيعة او وضيعة وكذلك متى راى مسلما
مريضا بادر الى خدمته وقضا حاجته سوا كان عبدا او حرا غنيا كان او فقيرا ويكون
افضلها المحض بفعل الخير وجبر المريض ضعفه وكسره في حاله فان المريض وان كان غنيا
فهو مفتقر الى من يقضي حوائجه ويزوره ويلطف به فانه في هذه الحالة فقير الى ما هو محتاج
اليه قال الامام رضي الله عنه سمعت محمد بن الحسين يقول سمعت محمد بن احمد بن هارون يقول
سمعت محمد بن العباس الدمشقي يقول سمعت احمد بن ابي الحواري يقول سمعت ابا سليمان يقول
من راى لنفسه قيمة لم يذق حلاوة الخدمة قال الشارح رضي الله عنه وذلك انه لا يذوق
حلاوة الخدمة الا من كمل اخلاصه وراى توفيقه لها من جملة النعم عليه نادا انظر الى ما جرى
عليه من الخيرات واعانته عليه بفضله ورحمته تبرا من حوله وقوته وجلله عبادته
وخدمته وما دام ملتفتا لنفسه ورؤية كسبه لم تكمل لذته لعدم كمال رؤيته النعمة عليه لما
خالطها من شوب رؤية النفس في الخدمة وانما تكمل اللذة برؤية كمال النعمة قال الامام رضي
الله عنه وقال يحيى بن معاذ التكبر على من تكبر عليك بماله تواضع قال الشارح رضي الله عنه معناه
ان اعراضك عنه لا عن الدنيا له من جملة استخفافك بالدنيا وعدم التفاتك بها وانها لا تزن عند
الله شيئا وقد صغرت ما صغر الله تعالى وصار ذلك حالك فبهذا الاعتبار سماه متواضعا
لكونه صغر ما صغره الله ولم يلتفت لتكبر المتكبر بها ولم يكن لها ولا له في عينه وزن ولا
قدر من حيث الدنيا لا من حيث كونهم مومنين ولم يامره رضي الله عنه ان يتكبر على احد من الاغنيا
لان الكبر حرام مطلقا على الاغنيا ولا على الفقرا وانما مراده الاعراض عن المتكبرين في الدنيا وعدم
الالتفات لما هم فيه فتجوز تسميته تكبرا قال الامام رضي الله عنه وقال الشبلي
ذلي عطل ذل اليهود قال الشارح رضي الله عنه وهذا لان اليهود ضربت عليهم الذلة اينما
ثقفوا فهم اذل الناس في سائر بلاد الله فيعني كلامه انه قال انا انسب ذلي في نفسي ومعرفتي بقدرها
وقلة ما يكون لي من الخير منها وعجزها عن قيامها بما عليها لربها وسرعة نقضها العهد وسرعة
نقضها لعهدها وسرعة انقيادها على ما نهيت عنه وما يبعدها عن ربها من اتباع الشهوات
من اطلها واخلاقها وما هي عليه من صفاتها ما لم يجعل لها عندي قدرا ولا وزنا فانا انسب ذلي في نفسي
الى ذل اليهود كان ذلي اعظم من ذلهم لان ذلهم ظاهر لغيرهم في الدنيا عند الخلق وذلي بالنظر الحقيقي

باصلي
سعى

باصلي وصفاتي فبهذا الاعتبار قال ذلي عطل ذل اليهود يعني ان ذلي في نفسي اعظم من ذل اليهود
في انفسهم لان ذلهم ظهر وذلي عن علم ومعرفة بما نفسي عليه من النقص والتكليف وهذا الامر عنه
بحده لفضل ربه عليه وما هو فيه من الفضل والكمال الجار عليه من ربه فهو دليل على عزه قال
الامام رضي الله عنه وجا رجل فقال له الشبلي ما انت فقال انا النقطة التي تحت البا فقال انت
شاهدي ما لم تجعل لنفسك مقاما قال الشارح رضي الله عنه وهذا ونحوه من كلام السائل
والمسول فقوله ما انت اي ما حالك في الوجود فتفطن لسؤاله وقال يا سيدي انا النقطة التي
تحت البا وذلك لان النقطة التي تحت البا انما جعلت دليلا على معرفتها وتمييزها عن غيرها فقال انا
دليل عليه انا من جملة مخلوقاته وكذا كل العالم الحادث فانه دليل على محدثه فقال له انت شاهدي
يعني ان حالك مستقيم ما دمت ترى نفسك دليلا ولم ترى لنفسك مقاما فان الدليل انما كان دليلا
لما خلقه الله دالا فكذلك لانه بصفته التي هو عليها من الحدث على محدثه ولهذا قال له انت شاهدي
ما لم ترى لنفسك مقاما وترى نفسك محلا لجريان فعله فيك ووجه دخول هذه الحكاية
في التواضع كونه ترك نفسه منزلة النقطة التي تحت البا الدالة على تمييز البا عن غيرها بخلاف
غيرها من النقطة التي على الحروف وهذا يعني نزول القدر وعدم رؤية النفس وهو التواضع
قال الامام رضي الله عنه وقال ابن عباس من التواضع ان يشرب الرجل من سؤر اخيه قال
الشارح رضي الله عنه وهذا لان اكثر الناس من اهل الكبر والانف لا يرضى ان يشرب من الفضلة
التي شرب منها غيره قبله فان المشروب لا بد ان يرجع منه شي الى الانا بعد ان يلاصق الفم
وهو السؤر اي الفضلة فمن التواضع ان لا يكون العبد هكذا او يشرب من جنب بشر اخوه
سوا كان موضع شربه او من سوره وهي فضلته ولو حسن ظنه لشرب من سور كل شارب
من المسلمين لان الولاية مخفية في الخلق وقد كان النبي صلى الله عليه وسلم اذا شرب من الانا
اعطاه من على يمينه ويدور على الجماعة الى ان يصل الى من على شماله صلى الله عليه وسلم حتى انه
في الخبر الصحيح كان على يمينه شاب وكان على يساره الاشياخ وقيل كان خالد بن الوليد وابو بكر قال
النبي صلى الله عليه وسلم للشاب ان يدفع النبي صلى الله عليه وسلم الانا الى من على شماله
فقال والله يا رسول الله لا اوثر بنصيبي منك احدا فناوله اياه وقد جعل النبي صلى الله عليه وسلم
احق الصحفة التي اكل فيها الناس وكل منهم مد يده الى فيه وتت اكلهم بعدها الى الصحفة التي
فيها الثريد وغيره فجعل لعقها فيه الاجر الكبير وانها تستغفر لمن فعل ذلك فهذا كله دليل على ان
اهل الخير يرغبون في ذلك وهو دليل على كمال خيرهم وانما يانف من ذلك المتكبرون قال
الامام رضي الله عنه وقال تسليم على ابنا الدنيا بترك السلام عليهم قال الشارح رضي الله
عنه وهذا قد فعل الله انما وقع من قائله تاديبا لصاحبه من الفقرا الذين كانوا يسلمون على ابنا الدنيا
ويواصلونهم لاجل دنياهم ويعتلون بانهم انما يقصدون الزيادة والتواصل لله والاسلام لوجهه

يا سيدي
بعض

Copyright © King Saud University

فقال لهم هذا الشيخ سلامكم الذي هو اصلح في حقكم ان لا تسلموا عليهم لان سلامكم معلول
ولبس طاعة وتداركم بسلامكم الدنيا فترك هذا السلام اسلم منه والله اعلم والا فلا سبيل
لاحد من العلما والصالحين ان يقول ترك السلام افضل من فعله على الاغنيا قال الامام رضي الله
عنه وقال شعيب بن حرب بينا انا في الطواف اذ لكزني انسان بمرفقه فالتفت فاذا هو
الفضيل فقال يا ابا صالح ان كنت تظن انه شهد الموسم شر مني ومنك فبيس ما ظننت قال
الشارح رضي الله عنه وهذا يدل على كمال معرفة الفضيل بنفسه وخفا باعماله وعدم ابقاعه
عبادته على ما بلغه علمه من جلال ربه وعظمته ولذلك قال ما قال فان الخلق يطلبون في اعمالهم
على حسب ما من عليهم من علومهم فلما كان الفضيل عظيم الاجلال لمولاه وعارفا بان حاله في الناس
ليس كما يصلح ان يكون مع مولاه وظنه بالناس حسن فتبيه رضي الله عنه اخاه على ذلك
بكمل تواضعهما مع كمال اعمالهما قال الامام رضي الله عنه وقال بعضهم رايت في الطواف انسانا
بين يديه شاكرية يمنعون الناس لاجله عن الطواف ثم رايته بعد ذلك يمده على جسر بغداد
يتكفف شيئا فتعجبت منه فقال لي انا تكبرت في موضع يتواضع الناس فيه فابتلاني الله سبحانه
بالتذلل في موضع يترفع فيه الناس قال الشارح رضي الله عنه وهذا وفقك الله يدل على انه
كان من عمال الخليفة وصل الى الحج فلم يرض ان يطوف يختلط مع الناس فقدم من يصده
الحرام يوسعون له كبرا حتى لا يخالط الفقرا والناس في الطواف فعمل معه هذا الاسم الى ان
وصل الى بغداد ونقم عليه الخليفة بعض ما ينقم على العمال وسلبه جميع ما هو منه وما
فقيرا يسال الناس فال هذا الرائي له في الطواف وبين يديه الشاكرية فلما راه بعد ملكه
يسال ببغداد بقيت متعجبا منه فتفهم عني ذلك فقال لي تكبرت في موضع يتذلل فيه الناس
فاذلني الله في موضع يتعزز فيه الناس قال الامام رضي الله عنه وبلغ عمر بن عبد العزيز رضي
الله عنه ان ابنا له اشترى خاتما بالف درهم فكتب له عمر بلغني انك اشتريت فصا بالف درهم
فاذا اتاك كتابي فبع الخاتم واشبع الف بطن واتخذ خاتما من درهمين واجعل فصه حديدا
صينيا واكتب عليه رحم الله امرأ عرف قدر نفسه قال الشارح رضي الله عنه وهذا يدل
على انه اشترى فصا من ياقوت احمر من اعلى جنس الياقوت واراد ان يجعله في خاتم ويلبسه
في يده وهذه امارات المتكبرين بالدنيا فلما بلغ ذلك والده كتب اليه بع الفص واشبع
به الف بطن فانه افضل لك عند الله واعمل خاتما من درهمين فضة واعمل فصه حديدا صينيا
فانه انسب للنقش عليه لصلابته واكتب عليه نقشا رحم الله امرأ عرف قدر نفسه فكلما راه
تذكر به قدر نفسه وتواضع لربه وامره له بالتصدق بثمنه مقابلة للشي بضده وذلك انه لما كان
نوى الكبر امره باخراجه في جهة البر ليقابل الشر بالخير فيمحو الاثر فان عزمه على التكبر حرام
قال الامام رضي الله عنه وحمل عرض على بعض الامرا مملوك تركي بالوف دراهم فلما احضر الثمن استكثره

فبدا له في شرائه فرد الثمن الى الخزانة فقال العبد يا مولاي اشترني فان في بكل الف درهم
خصلة تساوي اكثر من الف درهم فقال وما هي فقال اقلها وادناها انك لو اشتريتني وقدمتني
على جميع مماليكك لا اغلط في نفسي واعلم اني عبدك فاشتراه قال الشارح رضي الله عنه وهذا
يدل على معرفته بقدر النفس من افضل الخصال التي تقصر في الانسان وهي اصل التواضع لان هذا
العبد لما احضر ثمنه فاستكثر المشتري الثمن بالنسبة الى العبد وهي الوف من الدراهم فبدا له
في الشرا واراد ان يعرف التمول فرغبه العبد فيما فيه من الخصال فقال في من الخصال ان
كل خصلة تساوي الفا واقلها قدرا انك لو ملكتني جميع امرك وجعلتني ناظرا او مختارا
على جميع حبيبك ومماليكك لم اغلط في نفسي واذكر اني عبدك وهكذا يكون كمال التواضع
لانه بالنسبة الى الرفعة والكمال وانما يعرف قدر التواضع بالنسبة الى كمال المتواضع دينا ودنيا
والا فمن لا قدر له فتواضعه وضعة قال الامام رضي الله عنه وحكي عن رجا بن حيوة انه
قال قومت ثياب عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه وهو يخطب باثني عشر درهما وكان قبا وعمامة
وقميصا وسراويلا ورداء وخفين وقلنسوة قال الشارح رضي الله عنه وهذا من النمط الذي
قدمناه فانه لا احد ارفع قدرا من الخلفا ولا سيما مثل عمر بن عبد العزيز الذي رفع قدره دينا
ودنيا ومع هذا فهذا تواضعه في لباسه قال الامام رضي الله عنه وقيل مشى عبد الله
١٣٦ ابن محمد بن واسع مشيا لا يحمد فقال له ابوه تدري بكم اشتريت امك اشتريتها بثلاثمائة درهم وابوك
لا اكثر الله في المسلمين مثله ابا وانت تمشي هذه المشية قال الشارح رضي الله عنه
وهذا يدل على انه يختال في مشيته وهي مشية يبغضها الله الا في الحرب فنكره من ولده
ذلك وناداه واراد ان يعرفه اصله من جهة ابيه وامه فان من عرف اصله وصغر قدره
ذل في نفسه ورجع عن كبره وزهوه فقال له تدري بكم اشتريت امك فذكر له الدراهم
ثم قال له وابوك لا كثر الله في المسلمين مثله ابا وهذا منه ليس دعا على المسلمين فانه كان
من الفضلا ولكن في كلامه اشارة الى التقصير في تاديبه في الصغر حتى اختال في مشيته
في الكبر ولذلك قال لا كثر الله في المسلمين مثله ابا يعني الابا الذين لا يودبون اولادهم في الصغر
حتى يتعودوا ذلك في الكبر وهذا دعا للمسلمين بان يجعلهم ممن يودبون اولادهم كما امروا
به في حق اولادهم في الصلاة وغيرها قال الامام رضي الله عنه سمعت محمد بن الحسين يقول
سمعت محمد بن احمد الفرا يقول سمعت عبد الله ابن منازل يقول سمعت حمدون القصار يقول التواضع
الشارح ان لا ترى لاحد الى نفسك حاجة لا في الدين ولا في الدنيا قال الامام رضي الله عنه وهذا
يدل على كمال معرفته بمولاه وانه لا ضار ولا نافع ولا معطي ولا مانع له ولغيره الا اياه فمتى
استقر هذا المعنى من المعرفة في القلوب وعرف العبد عجز نفسه وذلته وقلة قدرها وعدم اثرها في شي
الا بشيء عرف عدم احتياج الناس اليه لا في الدنيا ولا في الاخرة لانفراد مولاه بالافعال فان اجرى عليه

Copyright © King Saud University

الامام رضي الله عنه وقال بعد

عليه الحق شيا مما ينتفع الناس به **قال** ابراهيم بن ادهم ما سررت في اسلامي الا ثلاث مرات
كنت مرة في سفينة وفيها رجل مضحاك كان يقول كنا ناخذ العلج في بلاد الترك هكذا وكان
ياخذ بشعر راسي ويهزني فسرني ذلك لانه لم يكن في تلك السفينة احد احقر في عينه مني
والاخرى كنت عليلا في مسجد فدخل المؤذن فقال اخرج فلم اطق فاخذ برجلي وجرني الى خارج
المسجد والثالث كنت بالشام وعلي فرو فنظرت فيه فلم اميز بين شعره وبين القمل لكثرته
فسرني ذلك **قال** الشارح رضي الله عنه وهذا وفقك الله يدل على ان سروره في هذه المواضع
كان من اجل سرور لانه لم ييسر الا في هذا الوقت وذلك ان ابراهيم بن ادهم كان من ابناء الملوك كما نقل
وشان الملوك ان من سلم عليهم بغير الادب اهلكوه فضلا عن اذيته فلما وصل ابراهيم الى هذا
الحد من حقريه نفسه عنده ورسه الى نفع الجاريه عليه من ربه سر بصنيع الله به فبذلك فليفرحوا
هو خير مما يجمعون فلما كان في مركب وكان فيه رجل يضحك الناس فلم يجد رجلا لا يؤبه له في
هيئته ولباسه سوى ابراهيم بن ادهم فصار يمسك بشعر راسه ويقول هكذا كنا نفعل بالترك
وتحرك راس ابراهيم بن ادهم فسرور ابراهيم يحاشي ان يكون يفعل هذا الشخص به وانما كان سروره
بصنيع الله له وكونه لم يجد في نفسه حركة ولا كراهة من حيث الكبر كما جرت به عادة الملوك
واما السرور الثاني فغيبه زيادة لم يذكرها هذا الامام وذلك انه قال بت في مسجد وكانت ليلة
مطيرة باردة فاردت ان اقيم الى الصباح فمنعني القيم فلما امتنعت جر برجلي حتى اخرجني فطلبت
موضعا استكن فيه فاتيت الى قيم حمام فدخلت فيه فاذا رجل يوقد تحته وهو مشتغل
بالرمي فسلمت عليه فلم يلتفت الي ولا كلمني فبقيت ساعة ثم فرغ من شغله واقبل وسلم
علي واعتذر الي من سكوته بانه مستاجر ولا يمكنه تعطيل ما هو فيه وانبسط معي ورايت منه
فضلا وخيرا فكان من جملة ما ذكر لي انه سمع بفتى من العباد والزهاد يقال له ابراهيم ابن ادهم
وانه له زمان يسال الله تعالى ان يجمع بينه وبينه فما تمالكت نفسي بل سالت الي مجرورا
وعرفته بنفسه واما كون الفرو ما فرق بين شعره وقمله فذلك لكمال شغله بالله تعالى
وكثرة عباداته واعراضه عن راحة نفسه **قال** الامام رضي الله عنه وفي حكاية اخرى
عنه قال ما سررت بشي كسروري كنت يوما جالسا فجاءني انسان وبال علي **قال** الشارح
رضي الله عنه وانما كان سروره بذلك من جهة سكون نفسه وعدم تغيرها لما اجراه الله
عليها من هذه الاحوال التي يقل الصبر عندها ويثور من النفس طلب الانتقام ممن فعلها
وذلك لكمال معرفته بالله ورؤيته الافعال من جهته لا غير ولا يعترض على هذا بكون فاعله
عاص وكيف يجوز السكوت عنه ولا يغير عليه ما فعله من المنكر والجواب عن هذا من وجهين
احدهما ان يكون عاجزا عن التغيير بلسانه لكون هذا من الظلمة المشهورين ويكون تغييره
بقلبه لم يظهر الوجه الثاني ان يكون غيره بلسانه وانكر وليس لصاحبه الى ان يذكر ذلك للتعيين

حتى

حتى ينقل عنه وانما ذكرها ذكرى لمعرفته بنعم الله عليه وما نقله منه من شرف السلطنة
الى شرف الطاعة **قال** الامام رضي الله عنه وقيل تشاجر ابو ذر وبلال رضي الله عنهما
فعير ابو ذر بلال بالسواد فشكاه الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا ابا ذر ما علمت انه
بقي في قلبك من كبر الجاهلية شي فالقى ابو ذر نفسه وحلف ان لا يحمل راسه حتى يطا بلال
خده بقدمه فلم يرفع حتى فعل بلال **قال** الشارح رضي الله عنه وقد نقلت هذه الحكاية
على وجه اخر وهو ان ابا ذر قال له يا ابن السوداء فقال له النبي صلى الله عليه وسلم طف الصاع
يا ابا ذر ليس لابن بيضاء على ابن سوداء فضل الناس من ادم وادم من تراب فاقسم ابو ذر لا بد
ان يضع قدمه على خده ثم وضع ابو ذر خده بالارض وحمل بلال رجله على خده ابرارا للقسم
وهكذا يكون التواضع بعد الزلل والاعتراف بالحق لمستحقه **قال** الامام رضي الله عنه ومر
الحسن بن علي رضي الله عنه بصبيان معهم كسر خبز فاستضافوه فنزل واكل معهم ثم حملهم
الى منزله واطعمهم واكساهم وقال اليد لهم لانهم لم يجدوا غير ما اطعموني ونحن نجد اكثر منه
قال الشارح رضي الله عنه وهذا مما تقدم من رد الحق لمستحقه وقبوله من العالي والنازل
والكبير والصغير وغير ذلك انه رضي الله عنه لما رآهم وقد كسروا خبزهم ليا كلوا فدعوه
ادبا معه لم يحمله رضي الله عنه ما هو عليه من الجاه والحرمة ان يمتنع لاجابة دعاء الصبيان
للكسر فاجابهم تواضعا واتباعا للعلم وقوله عليه السلام من دعي فليجب ولو الى كراع وهو
خلق النبي صلى الله عليه وسلم كان يجيب دعوة العبد والخادم ثم اراد ان يجازيهم على ما فعلوه
من الخير فحملهم الى منزله واطعمهم وكساهم وانزل الفضل لهم للسابقة في الاحسان وبذل ما
امكنهم **قال** الامام رضي الله عنه وقيل قسم عمر بن الخطاب رضي الله عنه الحلل من الغنيمة به رضي الله
عنهم في غنيمة فبعث الى معاذ حلة ثمينة فباعها واشترى ستة اعبد واعتقهم
فبلغ ذلك عمر رضي الله عنه فكان يقسم الحلل بعد فبعث اليه حلة دون ذلك فعاتبه معاذ
فقال عمر لانك بعت الاولى فقال معاذ وما عليك ادفع الي نصيبي وقد حلفت لاضربن بها راسك
فقال عمر رضي الله عنه هذا راسي بين يديك وقد يرفق الشيخ بالشيخ **قال** الشارح رضي الله عنه
هذه الحكاية تدل على كمال تواضع عمر بن الخطاب في حال كونه خليفة للمسلمين وقد دانت له
ملوك الارض من الكافرين ومع هذا لما قال معاذ وقد اقسمت لاضربن بها راسك فقال هذا
راسي بين يديك وقد يرفق الشيخ بالشيخ وما واجه معاذ في يمينه فان الامام اذا اداه نظره الى ان
يعطي احدا من المسلمين ما يستحقه فلا حاجة بعد ذلك الى البحث عما صنع فيه فانه قد ملكه ويتصرف
فيه كيف احب فلما علم عمر بما فعل بالحلة الاولى وقصر في الثانية التي ارسلها اليه عز ذلك وعد ذلك
لامير المؤمنين وانه لا حاجة بها معه ولا اعتراض عرف ذلك عمر رضي الله عنهما والحقه باصحابه
بالحلة الجيدة وقابل اساءته تواضعا وفضلا **قال** الامام رضي الله عنه **باب** مخالفة النفس

Copyright © King Saud University

وذكر عيوبها قال الله عز وجل واما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى فان الجنة
هي المأوى اخبرنا ابو علي بن احمد بن عبدان حدثنا احمد بن عبيد انا علي بن التمتام ثنا محمد بن معاويه
النيسابوري ثنا علي بن ابي علي عن عتبة بن ابي لهب عن محمد بن المنكدر عن جابر رضي الله عنه
عن النبي صلى الله عليه وسلم قال اخوف ما اخاف على امتي اتباع الهوى وطول الامل فاما اتباع الهوى
فيصد عن الحق واما طول الامل فينسي الاخرة **قال** الشارح رضي الله عنه واوضح الادله على فساد
اتباع الهوى وسوء ما يوقع فيه من البلوى قوله تعالى افرايت من اتخذ الهه هواه واضله
الله على علم الايه وقوله تعالى ولا تطع من اغفلنا قلبه عن ذكرنا واتبع هواه وكان امره فرطا
وقوله تعالى ولا تتبع الهوى فيضلك عن سبيل الله ان الذين يضلون عن سبيل الله لهم عذاب شديد
ومدح تعالى من خالف هواه بقوله تعالى واما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى فان الجنة
هي المأوى وكل دليل دل على مدح المتقين فهو دليل على مخالفة الهوى والعمل بما يرضي المولى
وقد اطلق اهل الله النفس لمعان ذكر لذلك اطلقها العلماء فالنفس الشي عينه وذاته يقال نفس العلم
ونفس الجهل ونفس الجوهر ونفس العرض يريدون حقيقته وقد تطلق النفس باعتبار
الدم يعرفه الفقهاء ما له نفس سايله اذا مات في ما لم يغيره وقد تطلق النفس باعتبار الاخلاق
الذميمة وهو اصطلاح سالكي طريق الاخرة اذ اظهر من الانسان خلق ذميم كقوة الغضب والشهوة
والحسد والشماتة قالوا هذه نفس ونحن نتكلم هاهنا باعتبار الحقيقة وهو اطلاق النفس
بازاء الذات ومنه قوله تعالى تعلم ما في نفسي ولا اعلم ما في نفسك والانسان يتطور في اطوار فتارة
يكون متبعا للهوى متمادي لما احبه كان مما يرضي المولى ام لا فهذه نفس اماره بالسوء
والتي ينهى عن ميلها الى الهوى و... يتوب العبد من الاثام ويندم على ما ارتكبه من الاجرام
ويعلم قبح حالته في اقدامه على الجرام وقلة حيائه من الملك العلام فاذا خطرت بباله الشهوات
والتفتت نفسه اليها كانت فيه من العادات نخها على ذلك وادبها ولامها على سوء حالها
وخوفها قبح مالها فهذه هي النفس اللوامة فاذا استقامت على الخيرات ولذت لها الطاعات
ومحلت في قلبها خواطر الشرور والافات واستقامت على ما طلبت منها في القلب والجوارح
في عموم الاوقات واطمانت الى دوام رحمة ربها وتوالي احسانه عليها في الدنيا وبعد
الممات ووجدت ذلك من فضل خالق الارض والسموات فهي النفس المطمينة ومن اثارها
في الرتبة الاولى ان النفس لاماره بالسوء الا ما رحم ربي ومن اثارها في الرتبة الثانية ان تقول
نفس يا حسرتي على ما فرطت في جنب الله ومن اثارها في الرتبة الثالثة يا ليت قومي يعلمون
بما غفر لي ربي وجعلني من المكرمين فمن اكرمه ربه في دنياه وحفظه وتولاه ووالى عليه نعمه
واختصه واصطفاه صح منه ان يقول من غير عجب ولا افتخار على احد من العالمين يا ليت قومي
يعلمون بما غفر لي ربي وجعلني من المكرمين فمن اكرمه ربه في دنياه وحفظه وتولاه

ووالى عليه نعمه واختصه واصطفاه صح منه ان يقول من غير عجب ولا افتخار على احد
من العالمين يا ليت قومي يعلمون بما غفر لي ربي وجعلني من المكرمين **قال** الامام رضي الله عنه
اعلم ان مخالفة النفس راس العبادة وقد سيل المشايخ عن الاسلام فقالوا ذبح النفس بسيوف
المخالفة واعلم ان من نجمت طوارق نفسه افلت شوارق انسه **قال** الشارح رضي الله عنه
فقوله ذبح النفس بسيوف المخالفة هو اول الطريق صحيح فان نفس الانسان اذا كانت معتادة
للذات وشديدة التعلق بتعاطي المشتهيات فلا تنفك عن ذلك ولا تنصرف عن هواها الى الطاعة
الا بتشديد المجاهدات واليم التوبيخ والتخويفات فسمي هذه الاسباب لتاثيرها
سيوفا باعتبار ما يكون عنها من المولمات وقوله من نجمت طوارق نفسه معناه من
طلعت اثار خواطره النفسية وظهرت ... افلت شوارق انسه اي من ظهرت
عليه اثار الشهوات طفيت من قلبه علامات الانس بالله تعالى ونفود الخيرات والدليل
على ذلك قوله تعالى ما جعل الله لرجل من قلبين في جوفه والدنيا والاخرة ككفتي الميزان متى
مالت احداهما ارتفعت الاخرى وقال بعضهم من كانت وساوسه وطنات كانت وساوسه
خطرات ومتى امتلا القلب بشي لم يجد الثاني مساغا للدخول فيه الا شيا يسيرا في
١٤٨ اوقات الغفلات **قال** الامام رضي الله عنه وقال ذو النون المصري مفتاح العبادة الفكر
وعلامة الاصابة مخالفة النفس والهوى ومخالفتها ترك شهواتها **قال** الشارح رضي
الله عنه وهذا صحيح فان مفتاح الشي هو السبب الذي يتوصل الانسان به الى فتح الابواب
لياخذ فوايد البيت ويعرف ما فيه من خير وشر لذلك مفتاح الخيرات والطاعات
والتثبت قبل الفعل والتفكر في كيفية ايقاع حركاته وسكناته وهل ما يقدم عليه مما
يرضي ربه او يسخطه فاذا فعل ذلك ميز الخير والشر بواسطة العلم وان لم يكن عنده
علم في نفسه كان مقلدا العالم يحرص عليه فيما يريد ان يفعله وان لم يكن لذلك ضل عن
الهدى وعمل بمقتضى الهوى ومتى تثبت وعرف ما يحله او بتقليد غيره فان راى
شرا نهى عنه هواه وان راى خيرا اقدم عليه مستعينا بمولاه وشاكرا له على ما
اولاه **قال** الامام رضي الله عنه وقال ابن عطا النفس مجبولة على سوء الادب
والعبد مامور بملازمة الادب والنفس تجري بطبعها في ميدان المخالفة والعبد
يردها بجهده عن سوء المطالبة فمن اطلق عنانها فهو شريكها معها في فسادها
قال الشارح رضي الله عنه اما طبع النفس فهو ميلها الى اللذائذ ونفرتها عن كل ما
ولما كانت ملذوذاتها التي سبق اعتيادها لها تعود الشهوات واللذات والتصرف
على مقتضى الهوى والشهوات من غير مانع ولا وازع ايام الصبى الى وقت البلوغ
وتوجه التكليفات من ربها خالق الارض والسموات فصار للنفس صفود الثقات

Copyright © King Saud University

الى من استمرت عليه من العادات ولهما نفور عما كلفته من توجه الطلب عليهما من
الطاعات وترك المحرمات فبهذا الاعتبار قال هذا الشيخ ابن عطا النفس تجري
بطبعها في ميدان المخالفة اي بسوء عادتها والعبد يردها عن ذلك بالمجاهدة
ويحملها على ما ينفعها في الدنيا والاخرة فان تركها من غير مجاهدة تسترسل في
العادات ولم يكفها عما نهيت عنه من ارتكاب المحرمات كان شريكا لها ومعينا
لتمكنه من ذلك بواضح الدلالات قال الامام رضي الله عنه سمعت الشيخ
ابا عبد الرحمن السلمي رحمه الله يقول سمعت ابا بكر الرازي يقول سمعت
سمعت ابا عمر الانماطي يقول سمعت الجنيد يقول النفس الامارة بالسوء هي
الداعية الى المهالك المعينة للاعداء المتبعة للهوى المتهمة باصناف الاسوا
قال الشارح رضي الله عنه وهو صحيح فانها لم تأمر بالسوء الا بما يهلكها
في اخرتها وكذلك ساير الاعداء من الشيطان الرجيم والدنيا والمال والولد والازواج
الذين سموا في الكتاب اعداء فلا يتم لهم شي من العداوة ولا يتم لهم مقصود الا باعانة
النفس ومساعدتها وتزيينها لذلك وامرها فان الشيطان لعنه الله لو امرها
بما تكرهه النفس ويضرها في اخرتها وعرفت ذلك وابته لم يضرها كيد الشيطان
ولا نزغه وكذلك الدنيا التي قرن الشرع غرورها مع غرور الشيطان فقال تعالى
فلا تغرنكم الحياة الدنيا ولا يغرنكم بالله الغرور فلو اعجب الانسان شي منها مما منعه
الشرع منه وكان الشخص متثبتا مانعا نفسه عن الميل اليه عند تناوله لم تضره
الدنيا بل ازداد خيرا بزهده فيها ونهيه نفسه عن اخذها وكذلك الزوجات والاولاد
متى امر منهم امر بشي مما لا يرضي ولم يوافق العبد اهله وولده على ذلك لم يضره امرهما
ولا يبالي بعداوتهما فان الله تعالى قال في كتابه الكريم ان من ازواجكم واولادكم عدوا لكم
فاحذروهم فمتى حذر العبد موافقتهم فيما لا يرضي الله لم يضره فمن هذا الوجه كانت النفس
معينة للاعداء عاملة بمقتضى الهوى فلا يزال العبد ان كان موفقا متهما لها في ساير باهما
ما تدعيه من طاعة المولى مفتشا لخفاياها حتى يسلم من بلاياها قال الامام رضي الله عنه
وقال ابو حفص من لم يتهم نفسه على دوام الاوقات ولم يخالفها في جميع الاحوال ولم
يجرها الى مكروهها في ساير ايامه كان مغرورا ومن نظر اليها باستحسان شي منها فقد
اهلكها وكيف يصح لعاقل الرضى عن نفسه والكريم ابن الكريم يقول وما ابري نفسي ان
النفس لامارة بالسوء قال الشارح رضي الله عنه وهذا صحيح فان النفس لا تخلو ان
تميل الى محبوب او تنفر عن مكروه فمتى لم يتهمها العبد فيما مالت اليه من المحبوبات ويفتش
سبلها حتى يسلم من الافات ويكون لله خالصا خالق الارض والسموات ولذلك لا بد من جهاد النفوس

عما

١٩٩

عما امرت بفعله من الواجبات والمندوبات وتجرها اليه كرها بسياط الخوف وانواع الرياضات
وصنوف التقربات وكذلك بالرجا لما وعدت به على القيام بالاعمال الصالحات ومن لم يفعل مع
نفسه كذلك فهو مغرور [illegible] فانه ان تركها وما احبته لم يامن وقوعها في المحرمات وان
تركها نافرة عما كرهته لم يامن نفورها عن الواجبات وكفى بهذا غرورا اذا بان الاوصاف
وكيف ينبغي لعاقل لبيب ان يسكن الى نفسه ويسلم لها ما ادعته من الخير اتبع قول الكريم
ابن الكريم المحفوظ بعصمة ربه بالتحقيق يوسف بن يعقوب ابن اسحاق بن ابراهيم خليل المحفوظ
الرحمن الصديق وما ابري نفسي ان النفس لامارة بالسوء الا ما رحم ربي قال الامام رضي الله عنه
سمعت محمد بن الحسين يقول سمعت ابن مقسم ببغداد يقول سمعت ابن عطا يقول قال الجنيد
رحمه الله ارقت ليلة فقمت الى وردي فلم اجد ما كنت اجده من الحلاوة فاردت ان انام فلم اقدر
عليه فقعدت فلم اطق القعود ففتحت الباب وخرجت فاذا رجل ملتف في عباءة مطروح
على الطريق فلما احس بي رفع راسه من الارض وقال يا ابا القاسم الى الساعة فقلت يا سيدي
من غير موعد فقال بلى سالت محرك القلوب ان يحرك لي قلبك فقلت قد فعل فما حاجتك
فقال متى يصير داء النفس دواءها فقلت له اذا خالفت النفس هواها صار داؤها دواها
فاقبل على نفسه فقال اسمعي فقد اجبتك بهذا الجواب سبع مرات فابيت الا ان تسمعيه من
الجنيد فقد سمعتيه وانصرف عني ولم اعرفه ولم اقف عليه قال الشارح رضي الله عنه
انظر رحمك الله ما في هذه الحكاية من الدلالة على فضل الرجلين وذلك ان نفس هذا الرجل
الكبير طالبته بشي تخالفها او خطرت له مسالة اي حالة يتغير حال الانسان ويصير ما
كان سبب مرضه سبب عافيته فتفكر في نفسه ووضح عنده ان الانسان اذا داواه استرساله
مع هواه وعافيته ودواؤه توقفه عن ذلك حتى يعلم احكام ربه تحقيقا ويصح قلبه ويسلم
من اذاه فلما لم تقبل منه نفسه هذا العلم ولم توافقه على العمل به حتى تسمع كلام
العلما بهذا الشان ولم تجد في زمانه من ترجع نفسه اليه وتثق به سوى سيد هذه
الطايفة ابي القاسم الجنيد وكان هذا الامر مع نفسه ليلا وكره ان يجي الى الجنيد
بابه فيتشوش عليه الحالة فالتف بكسايه وانطرح بالطريق عند بابه وعلق همه حاله
بمقلب القلوب ان يحرك قلبه ويحفظه معه من سواده فلما استيقظ الجنيد من نومه
وقام الى ورده لم يجد من نفسه ما كان يجده من مناجاته لربه فتحير في سببه وطلب ان ينام
فلم يطق وهو على هذا الحال من البعد فطلب ان يجلس ليذكر الله في غير صلاة فلم يطق ففتح
الباب وخرج ينتظر الفرج فرفع راسه المطروح على الطريق فقال الى الان يا ابا القاسم
اي لم لم تعمل على اول الامر حين لم تطلب حالك في الصلاة ولا في الورد ولا في القعود
هذا معنى قوله الى الساعة هذا يدل على مكاشفة هذا الرجل لحال الجنيد وما كان فيه

Copyright © King Saud University

بينه فلما قال له الجنيد يا سيدي من غير موعد بيني وبينك قال له بلى يعني ان
الوقت الذي طلبتك فيه من محرك القلوب هو اول ما حركك قال الجنيد فقلت قد فعل ذلك
فما حاجتك قال متى يصير داء النفس دواها فقال له الجنيد اذا خالفت النفس هواها
صار داؤها دواها فقال لنفسه قد سمعت وقد اجبتك بهذا الجواب سبع مرات وانت
تقولين لا بد ان تسمع من الجنيد وقد سمعت وقام ومضى ولم يعرفه الجنيد ولا سال
عنه فانظر اسعدك الله هدي الرجلين الكبيرين واتفاقهما على ان الدواء في سائر ادوا
النفس مخالفة الهوى والاشتغال بما يرضي المولى قال الامام رضي الله عنه وقال ابو بكر
الطمستاني النعمة العظمى الخروج من النفس لان النفس اعظم حجاب بينك وبين الله تعالى قال
الشارح رضي الله عنه وهذا صحيح ومراده بالخروج من النفس الخروج من احكامها واوامرها
نواهيها كما قال تعالى امارة بالسوء فاذا خرج العبد من احكامها واوامرها كان تصرفاته في سائر
حركاته في قلبه وجوارحه باحكام ربه جل وعلا وهذه هي النعمة العظمى الخلاص من الاشتغال
والتفرغ للطاعات قال الامام سهل بن عبد الله ما عُبد الله تعالى بشيء مثل مخالفة النفس
والهوى قال الشارح رضي الله عنه وهذا صحيح فان الطاعات قسمان فعل وكف والافعال
اسهل على النفوس وان كانت مشقات من مفارقة المحبوبات من المحرمات والمكروهات واذا كانت
النفس والهوى ميلهما الى ما يسخط المولى وان كان لذيذا فردهما عن ذلك اشق عليهما
واصعب من القيام بالطاعات المعهودة وان كانت مولمات ولذلك قال بعض العلماء ان الطاعات
فعل وترك والترك اشد واصعب على النفس من مخالفة الهوى ولذلك لما دخل الحسن البصري
مكة فراى بعض اولاد الحسن مستندا ظهره الى الكعبة يعظ الناس فقال له يا بني
ما يصلح الدين فقال الورع فقال وما يفسده فقال الطمع والورع هو الكف والمجانبة لما تهواه
النفس وتميل اليه من المحرمات والمكروهات قال الامام رضي الله عنه سمعت محمد بن الحسين
يقول سمعت منصور بن عبد الله يقول سمعت ابا عمر الانماطي يقول سمعت ابن عطا وقد
سيل عن اقرب شيء الى مقت الله فقال رؤية النفس واحوالها واشد من ذلك مطالعة
الاعواض على افعالها قال الشارح رضي الله عنه وهذه الرؤية لافعال النفس ليست رؤية
علم لوزنها بالشرع ومعرفة احوالها فان هذه الرؤية محمودة وانما المذموم رؤية استحسان
افعالها فانها تجر الى الوقوع في العجب واضافة العمل لغير الفاعل ونسيان المنة من الله تعالى
عليها بما هي فيه من جملة فضل الله عليها وافعاله الجارية المقارنة لقدرها فيجتمع شرا رؤية
النفس واضافة الافعال اليها والوقوع في العجب المحرم بسبب ذلك مع نسيان المنة
ثم يطلب اجرا على ما لم يفعله من الخير ان يرا ما وقع فيه من المخالفات قال الامام رضي الله عنه
وسمعته يقول سمعت الحسين بن يحيى يقول سمعت جعفر بن نصير يقول سمعت ابراهيم

الخواص يقول كنت في جبل اللكام فرايت رمانا فاشتهيته فدنوت فاخذت منه واحدة فشققتها
فوجدتها حامضة فمضيت وتركت الرمان فرايت رجلا مطروحا قد اجتمع عليه الزنابير فقلت
السلام عليك فقال وعليك السلام يا ابراهيم فقلت كيف عرفتني فقال من عرف الله تعالى لا يخفى عليه
شيء فقلت ارى لك حالا مع الله تعالى فلو سالته ان يحميك ويقيك الاذى من هذه الزنابير فقال
وارى لك حالا مع الله تعالى فلو سالته ان يقيك شهوة الرمان فان لدغ الرمان يجد الانسان
المه في الاخرة ولدغ الزنابير يجد المه في الدنيا فتركته ومضيت قال الشارح رضي الله عنه
وهذا يدل على ان العبد يطلب منه الاعراض عن شهواته التي عزم على تركها لله وان لم تكن حراما
ويود اذا دخل بحرمته وذلك ان ابراهيم كان عزم على ترك الرمان فلما عرته اشتهاه فمد يده اليه
فاخذ رمانة فوجدها حامضة فلم يمنعه من اكلها الا الحموضة فلما راى هذا الرجل الولي الذي
تلدغه الزنابير وهو صابر على لدغها فسلم عليه فرد عليه السلام باسمه فلما رد عليه السلام
باسمه ساله من اين عرفه فاجابه بان من عرف الله تعالى لم يخف عليه شيء اي ان الله سبحانه يسر
له كل ما يريده تارة بالسؤال وتارة بغير سؤال يدل عليه الخبر الصحيح الذي يرويه مسلم ما تقرب
المتقربون الي بمثل اداء ما افترضت عليهم وفي اخره حفظ الله تعالى له في عينيه واذنه ويده
ورجله وانه يستجيب دعاه ويسر له ما اراده فلما قال له ذلك قال ابراهيم ارى لك مع الله
حالا لو سالته ان يرحل من هذه الزنابير فاجابه الثاني وارى لك مع الله حالا فلو سالته ان يقيك
شهوة الرمان فكلامه الاول يدل على انه من العارفين لكون الله اطلعه على اسمه كما تقدمت الاشارة
اليه وكلامه الثاني يدل على انه من المكاشفين لما جرى لابراهيم قبل ان يصل اليه وقوله لابراهيم
وارى لك حالا مع الله لما فهمه من معرفة ابراهيم عنايته وكمال معرفته بالله تعالى واكرامه
له وانه لا يعرف الاولياء من كلامهم واشاراتهم الا من عرفت درجته منهم قال الامام رضي الله عنه
وحكي عن ابراهيم بن شيبان انه قال ما بت تحت سقف ولا في موضع عليه غلق اربعين سنة
وكنت اشتهي في اوقات ان اتناول شبعة من عدس فلم يتفق لي فكنت وقتا بالشام فحمل الي
غضارة فيها عدس فتناولت منه وخرجت فرايت قوارير معلقة فيها شيء شبه نموذجات
فظننته خلا فقال لي بعض الناس اتنظر هذه نموذجات الخمر وهذه الدنان خمر فقلت في
نفسي لزمني فرض فدخلت حانوت الخمار ولم ازل اصب تلك الدنان وهو يتوهم اني اصبه بامر
السلطان فلما علم حملني الى ابن طولون فامر فضربني مائتي خشبة وطرحني في السجن فبقيت مدة حتى
دخل ابو عبد الله المغربي استاذي ذلك البلد فتشفع لي فلما وقع بصره علي قال اي شيء فعلت
فقلت شبعة عدس ومائتي خشبة فقال نجوت مجانا قال الشارح رضي الله عنه كونه لا
يبيت تحت سقف ولا في موضع عليه غلق لذلك سبب في الانتباه والاستعانة على قيام الليل
ويدل ذلك على دوام مجاهدته لنفسه ومخالفته لشهواتها فلما غلبته ذات يوم نفسه واكله الثاني

Copyright King Saud University

العضاض فلما خرج راى قوارير معلقة وهي التي يحفظ فيها الخمر من الزجاج ليعرف حسنه فبقي ينظر
اليها وهو لا يعرف ما فيها فقال له قائل هذه التي تنظر اليها قوارير خمر والدنان التي في الموضع
كلها خمر فقال في نفسه وجب علي التغيير فدخل واخذ يصبها وصاحبها يحسب يظن انه فعل ذلك بامر
السلطان لما راى من جده واقدامه فلما علم انه ليس من قبل السلطان تعلق به واوصله الى والي
الثغر اذ ذاك فضربه مائتي خشبة وسجنه وبقي في السجن مدة حتى دخل شيخه ابو عبد الله المغربي
الى هذه البلدة فاعلم بخبره فتشفع للامير فيه واخرجه وساله الشيخ عن السبب فيما اصابه فقال
شبعة عدس واكل مائتي خشبة فقال له الشيخ نجوت بها نايا اي باطلا ومعناه ان الله عجل لك عقوبة
شهوتك في دنياك ولم يؤخرها لاخراك قال الامام رضي الله عنه سمعت الشيخ ابا عبد الرحمن السلمي
يقول سمعت ابا العباس البغدادي يقول سمعت جعفر بن نصير يقول سمعت الجنيد يقول سمعت
السري يقول ان نفسي تطالبني منذ ثلاثين او اربعين سنة ان اغمس جزرة في دبس فما اطعمتها
قال الشارح رضي الله عنه وهذا يدل على ان النفس اذا تعلقت بالشهوات لم تهن عليها مفارقتها
وتكرر منها طلبه وان العبد اذا تكرر عليه مثل هذا فوظيفته الاعراض ونهي النفس عن هواها
والدبس هو ما يصنع من ماء العنب ويحدث بهذا ليقتدي به من اصحابه لتكمل له مجاهدته لنفسه
وتعظيمه لربه ومخالفته لما تركه لوجهه قال الامام رضي الله عنه وسمعته يقول سمعت جدي يقول
افة العبد رضاه من نفسه بما هو فيه قال الشارح رضي الله عنه وذلك لان من رضي عن نفسه دل ذلك
على استحسانه لجميع ما يرد منها وانه لم يتهمها في شيء من احوالها وكفى بذلك افة ومصيبة في رضوانه
في محله الذي هو فيه ولا يزيد خيرا لكنه اذا اتهم نفسه غلبه ونهى منه ربه نجحا قال الامام
رضي الله عنه وسمعته يقول سمعت محمد بن عبد الله الرازي يقول سمعت الحسين بن علي القرمسيني
يقول وجه عصام بن يوسف البلخي شيا الى حاتم الاصم فقبله فقيل له لم قبلته فقال وجدت في اخذه
ذلي وعزه وفي رده عزي وذله فاخترت عزه على عزي وذلي على ذله قال الشارح رضي الله عنه
وهذا يدل على ان حاتما لم يقبل من صلة السلطان شيا فلما راوه قبل من هذا الامير سالوه عن السبب
فاخبرهم بحاله وانه وجد في نفسه عزة الرد دون القبول وراى الذي اتى به ذلة الرد وسروره
بالقبول فقبل منه ادخالا للسرور عليه وشفقة على قلبه من انكساره بالرد عليه وهذا يدل
على انه لا شيء في المال الدافع يعرفه حراما ولا شبهة والا لو علم فيه شيا من ذلك لما قبل لهذه
المعاني التي اشار اليها فانها لا ترجح على اكل الحرام ولا الشبهة شرعا قال الامام رضي الله
عنه وقيل لبعضهم اي زاد اخرج على التجريد فقال تجردك اولا لقلبك عن السهو ونفسك عن اللهو
ولسانك عن اللغو ثم اسلك حيث شئت قال الشارح رضي الله عنه وهذا انه اشار
الى ان التجريد انما هو الانقطاع والتخلي عما يختلج الانسان ويصده في دنياه واخراه وليس المراد به
ما يعرفه اكثر الناس خاصة من التجرد عن الكسب والمال لان الذي يراه انسان يشتغل
عن

قلبه وشهوة عما امر بالحضور فيه من مناجاة الله تعالى في الصلوات وتلاوة القرآن والدعوات والخلاص
الشبهات فمن سها قلبه عن هذا الحال لشغله به فقد تجرد عن السهو ومن جرد نفسه عن اللهو
واللهو هو الميل الى الشهوات والتلذذ بالمطعومات واللعب والضحك والمباسطات فمن
تجرد عن هذا اشتغالا بعمارة الاوقات وترتيب الاوراد في العبادات فقد تجرد نفسه عن اللهو
وكذا من جرد لسانه عن اللغو واللغو عبارة عما لا منفعة فيه ولا فائدة فمن اشتغل بالذكر
وتنزيه الله تعالى والدعاء والثناء والشكر والنجوى وعمر لسانه بهذه الخيرات فقد جرده عن اللغو
والضحك والمباسطات والقال والقيل مما لا فائدة فيه في الدنيا وبعد الممات فهذا هو المراد
من التجريد مضافا الى ما يعرفه اكثر الناس من الخروج الى الاوطان وعدم علاقة الاموال ومفارقة
الاهل والولد والخلاص منهم بكل حال هذا معنى قوله رضي الله عنه جرد قلبك ونفسك ولسانك
قال الامام رضي الله عنه وقال ابو سليمان الداراني من احسن في ليله كوفي في نهاره ومن احسن
في نهاره كوفي في ليله ومن صدق في ترك شهوة كفي مؤونتها والله اكرم من ان يعذب قلبا
ترك شهوة لاجله قال الشارح رضي الله عنه قد تقدم هذا الا انه ذكر فيه كفي وذكرها
كوفي فهناك من الكفاية والسلامة وهنا من المجازاة فمن احسن في ليله جوزي في نهاره وبعكس
وبعكس ذلك من احسن في نهاره جوزي في ليله وقوله والله اكرم من ان يعذب قلبا بشهوة
تركها من اجله معناه ان من ترك الشهوة صادقا ازالها الله من قلبه في الدنيا وزهده فيها
ببركة صدقه في تركه لها له قال الامام رضي الله عنه واوحى الله سبحانه الى داود عليه
السلام يا داود حذر وانذر اصحابك اكل الشهوات فان القلوب المعلقة بشهوات الدنيا
عقولها عني محجوبة قال الشارح رضي الله عنه كون القلوب محجوبة بالشهوات عن
الله تعالى امر واضح وذلك لان الله تعالى قال في كتابه ما جعل الله لرجل من قلبين في جوفه وقال
النبي صلى الله عليه وسلم حبك الشيء يعمي ويصم واذا امتلأت القلوب بشيء اشتغلت عن غيره بما
هي فيه هذا امر كلي فمن اشتغل بالله تعالى وذكره ومناجاته عمي عن الشغل بشهواته ومن
اشتغل بشهواته في دنياه ولذاته اشتغل عن ذكر ربه ومناجاته قال الامام رضي الله
عنه ورئي رجل جالسا في الهواء فقيل له بما نلت هذا فقال تركت الهوى فسخر لي الهوا
قال الشارح رضي الله عنه قد تقدم ان كل خير من الله تعالى يعطيه عبده في الدنيا والاخرة
فان سببه طاعته من امتثال امره واجتناب نهيه ولا يتم شيء من ذلك الا بترك الهوى
فلما اشتغل بطاعة المولى صح ان تنخرق له العادات ويحمله على الماء والهوى هذا لا يستحيله
فيه بل هو الواقع لبعض الاولياء ولقد اخبرني من اثق به انه راى رجلا طائرا في الهواء
اجتمع به في وقت اخر فاقسم عليه ان يذكر له ما السبب في طيران الولي في الهوى وكان ساله
قبل ذلك او اجتماعه به عما تنال الولاية الخاصة قال بادمع فساله عنها فقال له معرفة

المعبود وكيف يعبده ونحبله وتخلص تجمع في هذه الكلمات معرفة الله تعالى ومعرفة العلوم
الشرعية المتعلقة بالقلوب والابدان وعمل العبد على حسب ما علم والخلاصة في عمله بقلبه
وجوارحه وهذا دله الولاية والحفظ من الله تعالى بلما ساله باي شي يظفر العبد في الهوى
قال اذا اطلع الرب على القلب فلم يجد فيه التفاتا لغيره ولا تعلقا بسواه حمله حيث شا
قال الامام رضي الله عنه وقيل لو عرض لمومن الف شهوة لاخرجها بالخوف ولو عرضت للفاجر
شهوة واحدة لاخرجته من الخوف وقيل لا تنفع زمامك في يد الهوى فانه يقودك الى الظلمة
قال الشارح رضي الله عنه فاما قوله اذا عرضت للمومن الف شهوة اخرجها بالخوف صحيح
وذلك اذا كان قلبه ممتليا بالخوف والحذر اذا جاءت الشهوات واخطرها الشيطان لم تجد
في القلب مساغا تنفذ فيه فنفاها الخوف لملكه القلب وعكسه اذا عرضت للفاجر
شهوة واحدة اخرجته من الخوف وذلك لامتلا قلبه بالشهوات وضعف الخوف فيه وقلة
الحذر فاذا عرضت الشهوة صادفت محلا قابلا وهو كثرة الشهوات فيه وقلة الخوف وقوله
لا تضع زمامك في يد الهوى اي لا تدع نفسك تميل الى ما تشتهيه من غير تثبت فاذا تثبتت
وابصرت بالعلم ما يضر مما ينفع فان مالت الى الخير فدعها فهو الذي يراد منها وان مالت للشر
فكفها عنه وادبها قال الامام رضي الله عنه وقال ابو يوسف بن اسباط لا يخرج الشهوات
من القلب الا خوف مزعج او شوق مقلق قال الشارح رضي الله عنه معناه لا يحمل على
الطاعات الا الخوف او الرجا فاذا استقامت على الطاعات ولذت لها المناجات اعرضت
عن الشهوات والميل الى الهوى بواضح الدلالات قال الامام رضي الله عنه وقال الخواص
من ترك شهوة فلم يجد عوضها في قلبه فهو كاذب في تركها قال الشارح رضي الله عنه والعوض
الذي يجده في قلبه فرحته بتركها لله وتغليبه عقله لنفسه وهواه واعلى ذلك ان يجد من الله
تعالى قربا يتنعم به مع مولاه في دنياه وينتظره الله في اخراه قال الامام رضي الله عنه وقال جعفر
ابن نصير دفع الي الجنيد درهما وقال اشتر به التين الوزيري فاشتريته فلما افطر اخذ واحدة
ووضعها في فيه ثم القاها وبكى وقال احمله فقلت له في ذلك فقال هتف في قلبي اما تستحي
شهوة تركتها من اجلي ثم تعود اليها وانشدوا نون الهوان من الهوى مسروقة
وصريع كل هوى صريع هوان قال الشارح رضي الله عنه وذلك ان الجنيد رضي الله عنه
كان قد عزم على ان لا ياكل هذا التين ليقطع قلبه به ودعاه نفسه اليه فخالف هواه وتركه
لمولاه ودام على ذلك مدة ثم اتفق انه كان صايما فخطر بباله ما يفطر عليه فدفع لصاحبه درهما
وقال اشتري التين الوزيري وهو جنس من التين طيب فاشتراه واتى به له واحضره عند افطاره
فاخذ واحدة ووضعها في فيه وهو ناس لعزمه الاول انساه ما هو فيه من الاحتياج الى الطعام
ثم اذكره الله عز وجل فالقاها من فيه فبكا بكا شديدا وقال لهما احمله اي اذهب به فسبيل

ابن

عن سببه فبكا به فقال خطر بقلبي شهوة تركتها من اجلي وتعود فيها وهو ادق فعل الله تعالى على الكرام
الله تعالى بالملح وتنبيهه اياهم على الوقا بعهودهم له وكثيرا ما يجري مثل ذلك للصالحين في ليلهم
ونهارهم واما البيت من الشعر فيدل على ان كل من استرسل في هواه اعقبه ذلك اهانة في دنياه
واخراه فقوله نون الهوان من الهوى مسروقة اي الهوى هو الهوان وانما سرقت نونه ومن
ركب الهوى وغفل عن نونه وقع في هوانه قال الامام رضي الله عنه واعلم ان للنفس
احلاقا فاذ مسمه فمن ذلك الحسد قال الله سبحانه قل اعوذ برب الفلق ثم
قال ومن شر حاسد اذا حسد فختم الله السورة التي جعلها عوذة بذكر الحسد انا ابو
الحسن الاوزاي انا احمد بن عبيد البصري نا محمد نا اسمعيل بن الفضل قال نا يحيى بن
مخلد قال نا معافى بن عمران عن الحارث بن شهاب عن مجيد عن ابي قلابه عن ابن مسعود رضي
الله عنه قال ان النبي صلى الله عليه وسلم قال ثلاث هن اصل كل خطيئة فاتقوهن واحذروهن
اياكم والكبر فان ابليس حمله الكبر على ان لا يسجد لادم واياكم والحرص فان ادم حمله الحرص
على ان اكل من الشجرة واياكم والحسد فان ابني ادم انما قتل احدهما صاحبه حسدا
قال الشارح رضي الله عنه حقيقة الحسد تمني زوال النعمة عن الغير سواء اراد الحاسد
رجوعها اليه او لم يرد وهذا هو الحسد المحرم كما قال الله تعالى ود كثير من اهل الكتاب
لو يردونكم من بعد ايمانكم كفارا حسدا من عند انفسهم فتمنوا ردا للايمان وقال تعالى
ما يود الذين كفروا من اهل الكتاب ولا المشركين ان ينزل عليكم من خير من ربكم فالاول
تمني زوال النعمة الحاصلة والثاني كراهة وقوع النعمة الممكنة وقال تعالى في اية اخرى
سيقول المخلفون اذا انطلقتم الى مغانم لتاخذوها ذرونا نتبعكم يريدون ان يبدلوا
كلام الله قل لن تتبعونا كذلكم قال الله من قبل فسيقولون بل تحسدوننا اي ما كرهتم مشاركتنا
معكم الا كراهة ان ننيلنا الغنيمة هذا ايضا يعضد كراهة الممكن وقد سماه الله حسدا
ومن الحسد ما هو منقسم الى خمسة اقسام على حسب الاحكام الخمسة وهي المنافسة
وتمني ان يكون له مثله وهذا يسمى حسدا وسماه الشرع حسدا فقال عليه السلام لا حسد
الا في اثنتين رجل اتاه الله مالا ورجلا اتاه الله علما الحديث فقد يسمى تمني ان يكون له
مثله حسدا وان لم يتمن زوال النعمة عنه وهذا ينقسم على حسب حال المتمنى فان كان
الذي تمنيته حاله مقتصرا على تحصيل الحرام من ساير الانواع ومتسعا بما تيسر له من
الاكل والشرب والاستمتاع كان تمني حاله حراما فان تمني الحرام حرام وكذلك اذا كان
ممن تيسرت له الطاعات واعانه الله تعالى على الصوم والصلاة وانواع القربات من المندوبات
وتمنيت ان تكون مثله كان تمنيك المندوب مندوبا اليه وكذا اذا كنت مخلا بما
هو عليك من الواجبات كسلا عنها واشتغالا بغيرها من الشهوات وانت

السوره

كـ

Copyright © King Saud University

للخيرات ولم يفرط في شي من واجباته في وقت من الاوقات ولا في حالة من الحالات فتاملت
لحاله وتمنيت القيام لله تعالي بواجباتك ورغبت ان تكون مثله فيما هو فيه كان تسببك
وتكلفك للقيام واجبات من الواجبات فان ما لا يتم الواجب الا به من الممكنات فهو
واجب وكذلك القول في المكروهات والمباحات تحصل من مجموع ذلك ان من الحسد ما هو
محرم كله ومنه ما هو منقسم الي اقسام احدها من المحرمات كما بيناه واستدل الناعليه
من الايات وقد قال صلى الله عليه وسلم ثلاثة لا ينجوا منهن احد الطيرة والظن والحسد
وسانبيكم بالمخرج من ذلك اذا تطيرت فامض واذا ظننت فلا تحقق واذا حسدت فلا
تبغ ومعني لا ينجو منهن احد ان الشيطان يخطر ذلك لبني ادم ليوقعهم في الاثام العظيمة
فان الطيرة نسبة فعل لغير الله وسو الظن اساءة بالمومنين من غير مستند صحيح والحسد
معارضة لقدر الله فان الحق سبحانه يريد اجرا نعمه على العبيد والحاسد بفعله يو تبغه يريد
زوالها ولذلك قيل لله در الحسد ما اعدله بدا بصاحبه فقتله فانه بنفس حسده عصي ربه
تاجرا وزوال النعم واثباتها بيد الله فهو يهلك نفسه بغير فايدة ترجع اليه ولقد بلغني قضية
فيها اعجوبة وذلك ان العيون من الناس هو الذي يستحسن النعم وربما يحب عودها
اليه واجرى الله العادة بجريان المصايب عند استحسان العيون للذوات وقد جرى ذلك
في زمن النبي صلى الله عليه وسلم راي بعض الصحابة غيره يغتسل وكان بدنه حسنا فقال ما
رايت كاليوم ولا جلد مخباة يعني بكرا في خدرها فوقع ذلك الذي يغتسل مكانه مريضا
فاخبر بذلك النبي صلى الله عليه وسلم قال هل تتهمون به احدا فقالوا فلان قال فكيت وكيت
فدعاه النبي صلى الله عليه وسلم وتغيظ وقال علام يقتل احدكم اخاه هل بركت اي كنت
تقول حين استحسنته بارك الله فيك ثم امر الناظر ان يغتسل في قدح فغسل فيه
وجهه ويديه ومرفقيه وركبتيه واطراف رجليه وداخل ازاره وصب الما
علي المريض بالنظرة فقام في الناس ليس به باس والذي تعجبت منه ان بعض الناس كان بينه
وبين رجل عداوة وكانت لعدوه غنم تسرح كل يوم وتعود اخر النهار حفلا لبنا فاراد
هذا العدوان يوذيه في غنمه فسال عن اعين الناس واقبحهم نظرا في المستحسنات
فدل عليه ووعده بشي اعطاه اياه وخرجا جميعا ظاهر البلد اخر النهار ينتظر الغنم فينظر
اليها مستحسنا فتهيا مجلسا وقتا ينتظرانها فغلب النعاس علي العيون فنام وبقي العدو
عاي نفسه لانوم له ينظرها فراها من بعيد ويعرفها بداعيها او ما جرى بجراه فلما راها نبه
العيون وقال له قم من نومك ها هي قد جاءت فقام ونظر الي الجهة ونعسته اثر النعاس فلم يرها
لبعدها فلم يزل به العدو ويحدق به ويدله علي الجهة التي هي فيها فلما راها العيون التفت الي العدو
الذي جاء به مستحسنا النظر فقال ما نظرك الا نظر مليح فما انفصل حتى عمي العدو وتلفت عيناه

في ساعته ويعضد هذا ان جعفر لاخيه المسلم بيرا اوقعه الله فيها قال الامام رضي الله عنه
وقال بعضهم الحاسد جاحد لانه لا يرضى بقضا الواحد وقيل الحسود لا يسود قال
الشارح رضي الله عنه والذي بيناه في حقيقة الحسد وهو انه في صورة المعاند لربه تعالي
وتقدس عن ان يجاند وذلك ان الحق سبحانه يريد اسباغ النعم علي عبيده والحاسد يريد
زوالها فبهذا الاعتبار كان لا يرضى بقضا الواحد واما قوله الحسود لا يسود فمن حيث
ان حسده يضره عاجلا ومراده من زوال النعم لا يحصل وضرر الحسد عليه في الاخرة كل
وبزل فلم يسد لا دنيا ولا اخرة قال الامام رضي الله عنه وقيل في قوله سبحانه قل انما
حرم ربي الفواحش ما ظهر منها وما بطن قيل ما بطن الحسد قال الشارح رضي الله
عنه وهذا انما ذكره للتمثيل للفواحش التي محلها القلب والحسد من جملتها وكذلك
سو الظن والشماتة بالمصيبة والعجب بالعمل مع نسيان المنة هذه كلها محرمات القلب
وغير ذلك من اعتقادات الكفر والبدع والمعاصي وانما اراد المتمسك في قوله ما ظهر منها
وما بطن لان ما ظهر معاصي اللسان والعين والاذن واليد والرجل والبطن والفرج وما بطن
معاصي القلب وهي كثيرة ذكرنا بعضها قال الامام رضي الله عنه وفي بعض الكتب الحاسد
عدو نعمتي قال الشارح رضي الله عنه وهذا اشارة لما قررناه في حقيقة الحسد وهي تمني
زوال النعمة الحاصلة وكراهة ما يمكن وقوعه منها والعدو هو الذي يبغض عدوه ويكره
رويته ووجوده وهذا حال الحاسد بالاضافة الي النعم التي علي عباد الله الجاريه من الله فلهذا
كان عدوا لنعمة الله قال الامام رضي الله عنه وقيل اثر الحسد يتبين فيك قبل ان يتبين في عدوك
قال الشارح رضي الله عنه وهذا صحيح فان الحاسد متالم في نفسه متفكر اذا راي النعم علي غيره
فقد ظهر اثر الحسد فيه وان لم يتبين اثره في المحسود وقد لا يتبين اذا اراد الله تعالي ان لا
يقع مراد الحاسد فتدوم النعم علي المحسود فقد تبين اثر الحسد في الحاسد ولم يصب
المحسود شي قال الامام رضي الله عنه وقال الاصمعي رايت اعرابيا اتت عليه مايه
وعشرون سنة فقلت ما اطول عمرك فقال تركت الحسد فبقيت قال الشارح رضي الله
عنه وهذا يدل علي ان الهموم والاحزان اذا توالت علي الابدان اهزلتها واضعفتها
فبهذا الاعتبار لما راه طويل العمر قال له ليس عندي هم الحسد علي الدنيا فاستوفيت عمري
في عافية قال الامام رضي الله عنه وقال ابن المبارك الحمد لله الذي لم يجعل في قلب اميري
ما جعل في قلب حاسدي قال الشارح رضي الله عنه وذلك ان الامرا العادلين الذين يالفهم
الاموال وينظرون في مصالح الخلق اذا كانوا حاسدين لم يصلوا ما بايديهم الي الخلق غيبا
لحسدهم وصار عذابهم بسبب عليهم وسايرمنا فع الخلق فلذلك قال الحمد لله الذي لم يجعل
في قلب اميري من الحسد ما جعل في قلب حاسدي قال الامام رضي الله عنه وفي بعض

Copyright © King Saud University

الا نار ان في السما الخامسه ملكا يمر به عمل عبد له ضو كضو الشمس فيقول قفوا انا ملك الحسد اضرب به وجه صاحبه فانه حاسد **قال** الشارح رضي الله عنه هذا الخبر ورد في العروج بعمل العبد فان كان صالحا استبشر به واثني علي عامله واذا كان غير خالص ردوه عن الصعود الي اعلي السما التي رد منها وقد ورد في الصحيح ان الملايكه تصعد بعمل العبد فرحه مستبشره فيقول الله تعالي لهم اجعلوه في سجين فانه لم يردني بهذا العمل واراد به غيري **قال** الامام رضي الله عنه وقال معاويه كل انسان اقدر على ان ارضيه الا الحاسد فانه لا يرضيه الا زوال النعمه **قال** الشارح رضي الله عنه وهذا صحيح وهو ان الحاسد ارادته زوال النعم عن الخلق ومن عداه من الطالبين شاي ان يرضي بغير ما طلب الا الحاسد فانه لا يرضي الا بنفس ما اراد وهو زوال النعم عن عباد الله وذلك ليس لاحد انما هو من فضل الله فلا يقدر احد على ان يرضي الحاسد والله تعالي لا يحبه ولا يرضيه فانه مخالف مرتكب لنهيه ما فقت له على حاله فهو فمن بان يجتمع عليه البلا في الدنيا والاخره اما في الدنيا فالمه برويه النعم واما في الاخره فبحلول العذاب والنقم **قال** الامام رضي الله عنه ويقال الحاسد ظالم غشوم لا يبقي ولا يذر **قال** الشارح رضي الله عنه وانما كان ذلك لانه لا يبقي لنفسه راحه في الدنيا ولا في الاخره فهو ظالم لنفسه معذب لها في الدنيا والاخره بسوء ارادته لزوال النعم عن الخلق ومحبته **قال** الامام رضي الله عنه وقال عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه ما رايت ظالما اشبه بمظلوم من الحاسد غم دايم ونفس متتابع **قال** الشارح رضي الله عنه وهذا صحيح اذا حسن العبد الحاسدين وجدهم بهذه المثابه في دوام همهم وتوالي الغم على قلوبهم وتفسد الشعر على زوال مقاصدهم فهم في صوره مظلومين وهم ظالمون بطلب ما لم يجعل لهم طلبه ولا يحل تحت اختيارهم ولا تفارقه قد رتهم الحادثه **قال** الامام رضي الله عنه وقيل علامات الحاسد ان يتملق اذا شهد ويغتاب اذا غاب ويشمت بالمصيبه اذا نزلت **قال** الشارح رضي الله عنه وهذا صحيح فان الحاسد يعرف بسو ظنه وانه يكره نزول النعم على الخلق فاذا راي من الله عليه بنعمه واجتمع معه فهو بظاهره يتملق ويظهر انه محب له وهو بباطنه يريد له السو وزوال النعمه عنه فهذا معني كونه يتملق اذا حضر واما كونه يغتاب اذا غاب فان الحاسد ربما قوي حسده حتي يسعي بلسانه في زوال النعم عمن راها عليه وهذا ليس هو الحسد وانما هو زياده وثمره عن الحسد ولذلك غلط بعض الناس واعتقد ان الحسد لا يصح حتي يسعي الحاسد في ازاله النعمه بجوارحه وهو باطل فانا حققنا انه من اعمال القلوب فان سعي بظاهره فهي معصيه اخري تتعلق بالمحسود بها عند الحاسد بخلاف الحسد فانه من اعمال القلوب وليس للمحسود حق عند الحاسد بسبب حسده فهو يجب عليه ان يستحل من الغيبه وغير ذلك مما سعي به ليزيل النعم عنه بخلاف

الحسد فانه يتوب الي الله تعالي خاصه ولا يجب عليه استحلال من المحسود ولو فرد ربما ان الله سبحانه ازال النعم عن المحسود فلبس ذلك الحسد الحاسدين ولا سعيهم بقلوبهم بل وافق القدر ربما احبوه وهو لسو الظن بالناس لا يجب منه استحلال وهو محض حق الله تعالي وقوله ويشمت بالمصيبه اذا نزلت فهي ايضا من صفات الحاسدين وهي معصيه اخري مضافه الي حسده فاذا تمني زوال نعمه عن عبد من عباد الله عصي بمعصيه الحسد وان اتفق زوالها بقدر الله وسره ذلك وشمت عصي بمعصيه الشماته وقد قيل ذلك في قوله تعالي ان تمسسكم حسنة تسؤهم قيل هذا الحاسد وان تصبكم سيئة يفرحوا بها قيل هذا الشامت فذمهم الله تعالي بالوصفين جميعا الحسد والشماته فيكون المراد بالحسنة الا به النعمه وبالسيئة المصيبه ونبه تعالي ان ذلك لا يضر المحسود ولا المشموت به اذا اتقي وصبر فيصبر علي المصيبه فيسلم من ضررها ويتقي في النعمه ويشكرها فقال تعالي وان تصبروا وتتقوا لا يضركم كيدهم شيئا **قال** الامام رضي الله عنه وقال معاويه رضي الله عنه ليس في خلال الشر خله اعدل من الحسد تقتل الحاسد عما قبل المحسود **قال** الشارح رضي الله عنه فتجوز باطلاق اسم العدل على الحسد والا فان العادل هو الذي يضع الاشيا مواضعها ويعطي كل ذي حق حقه ولما كان الحاسد ظالما مخالفا لربه متمنيا لزوال ما اراد الله بقاه او لعدم ما اراد الله كونه كان هالكا بعقوبته بمعصيته لربه التي هي حسده فرجع شوم الحسد عليه وهلاك بسببه فسمي الحسد عادلا لكونه اهلك من يستحق الهلاك **قال** الامام رضي الله عنه وقيل اوحي الله سبحانه الي سليمان بن داود عليهما السلام اوصيك بسبعه اشيا لا تغتابن صالح عبادي ولا تحسدن احدا من عبادي فقال سليمان عليه السلام يا رب حسبي **قال** الشارح رضي الله عنه هذا يدل على ان الحسد من اعظم الكباير فانه صلي الله عليه وسلم لما حذره الله منه ومن الغيبه قال يا رب حسبي اي لا تذكر لي بقيه السبعه فان في هذين كفايه في الزجر وهذا لا يصح الا ان يكون تقدم من الله تعالي اعلامه ببقيه المعاصي السبعه وانما اوحي اليه التحذير عنهن لنا كيد امرهن وعظم الحسد انه في صوره المعارض لمراد الرب سبحانه وان كان من اعمال القلوب تكفي فيه التوبه والندم وعظمت الغيبه وان كانت باللسان من حيث انها لا يكفي فيها الندم والتوبه ولا بد من الاستحلال ان قدر عليه والا فيكثر الاعمال الصالحه للمقاصد يوم الحساب والسوال وقوله لا تغتابن صالح عبادي احترازا من الفاسق المجاهر او المبتدع فانه لا غيبه فيه **قال** الامام رضي الله عنه وقيل راي موسي عليه السلام رجلا عند العرش فغبطه فقال ما صفته ما صفته فقال كان لا يحسد الناس على ما اتاهم الله من فضله **قال** الشارح رضي الله عنه وهذا بظاهره يدل على ان من ترك الحسد له رفعه الله **قال** الامام

الحسد

Copyright © King Saud University

رضي الله عنه وقيل الحاسد اذا راى نعمة بهت واذا راى عثرة شمت وقيل اذا اردت
ان تسلم من الحاسد فلبس عليه امرك وقيل الحاسد مغتاظ على من لا ذنب له بخيل الحاسد صح
بما لا يملكه قال الشارح رضي الله عنه فاما قوله اذا راى نعمة بهت يعني تحيرا
من حصول النعمة لمن حلت به وبهذا الاعتبار يتمنى زوالها واذا راى وحلول اي
نقمة شمت وقد تقدم وقوله اذا اردت ان تسلم من شر الحاسد فلبس عليه امرك
اي استر نعمة الله عليك عنه ولا تذكرها له فانه يتمنى زوالها واذا لبستها
عليه سلم هو من شر حسده وسلمت انت من السبب في وقوعه في الحسد
فانه لولا اظهارك النعم له لسلم من حسدك فبهذا التقرير يقال اذا اردت ان تسلم
والا فالحسد انما يضر الحاسد ولا يضر المحسود شيا ولكنه اذا عرف خلقه في الحسد
واظهر له النعم عليه او على غيره فوقع في الحسد كان شريكا له او معينا ويحتمل ان يكون
اراد السلامة من العين لان الغالب من المحسود ان يكون معينا ولهذا الذي ذكرنا
تقدم اذا راى نعمة بهت لكمال استحسانه لها فاذا كان المحسود معيانا وراى
نعمة على الغير بكمال الاستحسان حصل ضرر العين الحق بواضح البرهان وقد تقدم
الحديث في العين والاغتسال لها فهذا وجه ثان في السلامة من المحسود بالكتمان
واما قوله بخيل بما لا يملكه فهو خاصة الحسد واما مغتاظ على من لا ذنب له فهذا
لا يتحقق في كل محسود لانه من شرط الحسد الغيظ على المحسود فانه يتمنى زوال ليس صح
النعمة فلو تمنى زوالها عن حبيبه لكان حاسدا الا ان يعبر بالغيظ عن كراهة
النعم بنعمه قال الامام رضي الله عنه وقيل اياك ان تبتغي في مودة من يحسدك
فانه لا يقبل احسانك قال الشارح رضي الله عنه ومعناه لا تعذب نفسك بالتحبب
للحاسد فانه لا بد ان يحب زوال النعم عنك فيصير تحببك وتعبك في التحبب له ضايعا
لا فايدة فيه فان حسده يحمله على تمني زوال الخير عنك وهذه ليست صفة
المحبين قال الامام رضي الله عنه وقيل اذا اراد الله سبحانه ان يسلط على عبد
عدوا لا يرحمه سلط عليه حاسده وانشدوا. كل العداوة قد ترجى اماتتها
الا عداوة من عاداك من حسد. وقال ابن المعتز قل للحسود اذا تنفس طعنة
يا ظالما وكانه مظلوم. وانشد واذا اراد الله نشر فضيلة. طويت اتاح لها لسان ظلما
حسود. قال الشارح رضي الله عنه وهذا حسن على مذهب من يرى ان الحسد
لا يتم الا بعمل الجوارح فان الحاسد لا يترك ممكنا يتسبب به في زوال النعمة عن المحسود
لا يفعله فاذا اراد الله تعالى ان يكشف ستر عبد فيظهر نقايضه للناس سلط
عليه حاسدا يسعى في ازالة النعم عنه بكل ممكن واما على مذهب من يرى ان الحسد لا

بعدوا

يعدوا القلب فيشر الحسن بخصوص بالحاسد وان جرى شي من الضرر مقارنا لحسد
الحاسد فهو بقدر الله تعالى ومشيته وهذا البيت يدل على ان الحاسد لا رحمة
عنده ولا شفقة على الخلق حتى انه لا تكون الرحمة منه الا لمن ابتلي ببلا عظيم لا يمكن ان
يكون بلاوه لشدته فيه وجه من وجوه النعمة فكل من نظر من الحاسد الى رحمة
لشدة بلايه لكونه لا يرى له في نعمة فان الحاسد لا يرحم من هو في نعمة بل يتمنى زوالها
ويكره بقاها له واما قوله كل العداوة قد ترجى اماتتها فذلك لان العدو قد يخف ما به
من العداوة ويتغير حاله عن عداوته لان عداوته انما حدثت لسبب وغيظ
اوذي به فاذا زال ذلك السبب زالت العداوة الا الحاسد فان تمنيه لزوال النعم طبع
له لا يتغير ولا يتبدل الا ان يريد الله ذلك وقوله قل للحسود اذا تنفس طعنة معناه
قل له طعنه اذا رايته يتنفس تنفس المكروب فانه في صورة مظلوم وهو الظالم وهذا
البيت مما لا حاجة الى الاستشهاد به فان الامر ان يقال له طعنه ان كان دعا عليه
فهو زيادة شر وان كان تعبيرا للمنكر فلم يغير معروف ورحمة الحاسد اولى من القول
له طعنه فانه يهلك نفسه واما قوله واذا اراد الله نشر فضيلة طويت اتاح لها لسان
حسود اي ان الحاسد لا يزال يذكر النعم التي على الخلق ويذيع ما هم فيه من النعم للناس
لان همته متعلقة بالبحث عن النعم ليتم له الحسد لان الحسد انما يكون عن النعم فمن
كانت من الناس له فضايل وخيرات وهو يسترها بجهده ويخفيها عن غيره فاذا اراد
الله اظهارها للناس وكل بها حاسدا يبحث عن تفاصيلها ويذكرها قصدا لازالتها ويكون
نشره لها نكرة لذكرها قال الامام رضي الله عنه ومن الاخلاق المذمومة للنفس اعتياد
الغيبة قال الله سبحانه ايحب احدكم ان ياكل لحم اخيه ميتا
الاية انا ابو سعيد محمد بن ابراهيم الاسماعيلي رحمه الله قال انا ابو بكر محمد بن الحسين بن
الحسن بن الخليل قال ثنا علي بن الحسن قال ثنا اسحق بن عيسى بن بنت داود بن ابي هند
رحمه الله قال ثنا محمد بن حميد عن موسى بن وردان عن ابي هريرة رضي الله عنه ان
رجلا قام وهو مع رسول الله صلى الله عليه وسلم جالس فقال بعض القوم ما اعجز فلانا
فقال اكلتم اخاكم واغتبتموه قال الشارح رضي الله عنه حد الغيبة ان تذكر حال
لغيرك في غيبته بما يكرهه لو سمعه من غير حاجة الى ذلك فقولنا احال احترازا من ذكر
الكافر وان كان اذيه اذا كان ذميا وقولنا لغيرك احترازا من ذكرك لها مع نفسك فانه
ليس بغيبة وقولنا انما يكرهه لو سمعه احترازا من المجاهر بالفسق ومن الظالم والمبتدع
فانه لا يكره ذلك وقولنا من غير ضرورة احترازا من التجريح والتحذير عن يؤذي المسلمين
ومن النصح لمن استشارك في المعاملة وفي التزويج وعلى هذا حمل الحديث الصحيح ان رجلا استاذن

Copyright © King Saud University

على النبي صلى الله عليه وسلم فقال بئس اخو العشيرة فلما دخل الان له القول وانبسط معه فلما
خرج قالت له عائشة يا رسول الله قلت في الرجل ما قلت فلما دخل الان له القول فقال يا
عائشة متى عهدتني فحاشا ان من شر الناس من اتقاه الناس مخافة شره ويخرج هذا القول
من النبي صلى الله عليه وسلم انما هو للتحذير لتعريف اهل الشر ليتقوا ويحذروا وزعم بعض
الناس ان الغيبة تختص بما يتلف على الانسان ماله فيلزم منه الغرم فاذا سعى الانسان
باخيه بكلامه فيما يوديه في ماله كان مغتابا ولم يلتفت للغرم ولا للاستغفار فيه وهذا باطل
فان النبي صلى الله عليه وسلم قال يوم فتح مكة وهو على الكعبة اي بلد هذا واي يوم هذا واي شهر
هذا وهم يقولون حرام حرام فقال ان الله حرم عليكم انفسكم واموالكم واعراضكم كحرمة يومكم
هذا في بلدكم هذا في شهركم هذا وقد قال تعالى ايحب احدكم ان ياكل لحم اخيه ميتا فكرهتموه
فشبهه باكل لحم الميتة في التحريم وروي ان ابا بكر وعمر رضي الله عنهما احتاجا يوما الى الادم
بالادمان به فارسلا رجلا من اصحابهما الى النبي صلى الله عليه وسلم يطلب عنده اداما فابطا
عليهما فقالا في غيبته انه نوّم واي له بطوء في الحاجة فلما وصل الى النبي صلى الله عليه وسلم
وكلمه فيما ارسلاه فيه فقال له النبي صلى الله عليه وسلم ارجع اليهما وقل لهما قد ائتدمتما
فلما قال لهما ذلك اجتمعا بالنبي صلى الله عليه وسلم فسالاه عن ذلك فقال انكما قلتما انه نوّم
وجعل هذا الكلام من لحم اخيهما وغيبة ومحل هذا ان هذا اول ما فسر النبي صلى الله عليه وسلم
الغيبة لانها في القران مجملة بقوله ايحب احدكم ان ياكل لحم اخيه ميتا وهذا تفسير
تعريفهما النبي صلى الله عليه وسلم ان هذا القول داخل في الغيبة ولا فحشا شيئا ان يجرنا
ان ذلك غيبة ويقدمان عليه ومن ذلك ان امراة دخلت عند النبي صلى الله عليه وسلم في
حاجة وكانت قصيرة القامة فلما خرجت اشارت عائشة بيدها انها قصيرة فقال لها النبي
صلى الله عليه وسلم اغتبتيها والاحاديث في ذلك كثيرة هذا يدل على ان الغيبة لا تختص باللسان
بل تكون بالاشارة باليد والعين والكناية وكل وجه يكون به التعريف وهل الغيبة من الحقوق
التي تكفي فيها التوبة خاصة لانها حق الله تعالى وحق الله تعالى اولا بد من استحلال المغتاب فقوم
هذا فقالوا يكفي الاستغفار لله تعالى والدعاء لهذا المغتاب والصحيح ان هذا لا يكفي فانه اذاه
باستنقاصه له وتعريف الناس بما هو عليه من النقص فقد عرف الناس نقصه واذاه بذلك
فلا بد من استحلاله في هذا الحق ان وجده ولا ينفع فيه استحلال ورثته اللهم الا ان تكون غيبته
بنقص يودي الى نقص في ورثته ونسبه ويتعلق لغيره من ابائه واولاده فيستحل
من وجده منهم ومن لم يقدر عليه يستحله او مات الله بعد وجوده كثر الحسنات والدعاء
والاستغفار لله تعالى فان المقاصة في الاخرة انما تكون بالحسنات وقد جاء الخبر الصحيح خرجه
ابن رجب ان الناس اذا نجوا من الصراط حبسوا على قنطرة بين الجنة والنار فيقتص لبعضهم

من

من بعض مظالم كانت بينهم في الدنيا حتى اذا هذبوا ونقوا اذن لهم في دخول الجنة فلاحدهم
اعرف بمنزله في الجنة بمنزله كان في الدنيا هذا يدل على ان التوبة لله تعالى والندم مما سلف
وان غفر الله تعالى حقه لا تسقط حقوق المخلوقين فان هؤلاء تخلصوا من الصراط والنار
وقد خلصوا من حقوق وسلموا من عذابه وصاروا من اهل الجنة وانما المقاصة لزيادة
الدرجات ونقصها وهذا يدل على شيء اخر غير الحسنات وقت الميزان وقبل الصراط ودل
انه ورد ان العبد يوقف ويقتص لبعض الناس من بعض فان بقيت له حسنات والا اخذ
من سيئاتهم وطرحت عليه والقي في النار وهذا لا يناقض ما تقدم فان هذا والله اعلم
حال من لم يتب ومن لم يغفر الله تعالى له ذنوبه واراد ان ياخذه بذنبه ويحكم عليه
بعدله فيستحق العذاب ويخرج بالشفاعة والعياذ بالله من النار وعلى الجملة فالغيبة
عظيمة واثمها شديد والتحذير فيها على لسان النبي صلى الله عليه وسلم كثير فلو تتبعنا
ما نقل فيها لاكثرنا وفيما ذكرناه كفاية وهي غالبة على الانسان ولا سيما من قبل تنبهه
عند اطلاق اللسان فيزيد وينقص في كان وكان ولذلك من كثر كلامه كثر سقطه
ومن كثر سقطه كانت النار اولى به فليشتد حذر العبد من الغيبة وليحفظ نفسه منها
جهده وكذلك النميمة والسب والكذب وغير ذلك من افات اللسان فانه الغالب على
الانسان وقد روي عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه انه دخل ذات يوم على ابي بكر الصديق
وهو يجبذ لسانه فقال له مه غفر الله لك فقال ابو بكر هذا اوردني الموارد وروي
ابن عباس اخذ بثمرة لسانه وهو يقول لنفسه قل خيرا تغنم واسكت عن شر تسلم فاذا كان
سادات الامة حذرين من افات اللسان مع كمال الدين والعرفان فكيف باهل الغفلة وضعف
الايمان قال الامام رضي الله عنه واوحى الله سبحانه الى موسى عليه السلام من مات تائبا
من الغيبة فهو اخر من يدخل الجنة ومن مات مصرا عليها فهو اول من يدخل النار قال
الشارح رضي الله عنه وهذا الخبر ان صح يدل على شدة امر الغيبة وان من دخل النار
بسببها يطول مكثه فيها ومن تاب منها يتاخر دخوله الجنة لاجل ما تقدم لانها والمقاصة
بما عليه من الحقوق لمن اغتابه كما قد قدمناه في الخبر الصحيح ان الناس يحبسون على قنطرة
بين الجنة والنار ويقتص من بعضهم لبعض مظالم كانت بينهم في الدنيا فاذا هذبوا ونقوا
اذن لهم في دخول الجنة فيكون من اغتاب الناس يكثر عليه المطالبات ويوخذ
حسناته ويتاخر دخوله الجنة بعد غيره قال الامام رضي الله عنه وقال عوف دخلت على
ابن سيرين فتناولت الحجاج فقال ابن سيرين ان الله سبحانه حكم عدل فكما ياخذ من
الحجاج ياخذ للحجاج وانك اذا لقيت الله غدا كان اصغر ذنب اصبته اشد عليك من اعظم
ذنب اصابه الحجاج قال الشارح رضي الله عنه وهذا صحيح فان العبد اذا نجاه بعض المعاصي

Copyright King Saud University

والمظالم فلا يحل ان يغتاب شي مما يستره فلعل هذا المتكلم في الحجاج تكلم فيه بشي هو غيبه
فانكر عليه ابن سيرين وعرفه ان يوم القيامه كما يأخذ الله سبحانه من الحجاج لمن ظلمه كذلك
يأخذ للحجاج ممن اغتابه وعرفه ان شغل الانسان بنفسه واعتناءه بخلاصه من جرمه اولى
من ذكره لذنوب غيره وان عظمت فانه انما يطالب بجرمه وان قل لا بجرم غيره وان
كبر وفيه تحريض على الاشتغال بالنفس والكف عما لا يعني من الكلام قال الامام رضي
الله عنه وقيل دعي ابراهيم بن ادهم الى دعوه فحضر فذكروا رجلا لم يأتهم وقالوا انه ثقيل
فقال ابراهيم انما فعل بي هذا نفسي حيث حضرت موضعا يغتاب فيه الناس فخرج ولم
يأكل ثلاثة ايام قال الشارح رضي الله عنه وهذا يدل على ان من حضر الغيبه ورضي بها كان شريكا
فيها ووجب عليه الانكار على حسب استطاعته اما بلسانه او بقيامه ولا بد ان تظهر لهم
كراهته لما قالوه وقوله هذا الذي فعلت بي نفسي اي في الموافقه في الطعام وقد يكون من اتفقته
في الطعام طاعه الا انه فرط في التثبت مع من يحضر معه ممن لا يتحرز من الغيبه فقد يكون
ذمه لنفسه لشهوه الطعام وقد يكون لعله تثبته فيمن حضر معه الطعام ثم ادب نفسه
بالجوع ثلاثة ايام مقابلة للشي بضده وهذا بظاهره يدل على ان الحامل له اكل الطعام
وهكذا ينبغي ان يؤدب الانسان نفسه اذا زلت وفرطت في بغيتها قبل الفعل والله
المستعان وهذا مع انه لم يرض الغيبه ولم يشارك فيها وانكرها على حسب ما قدر عليه
وقام ولم يأكل وانما المه كله مخالطه من لا يصلح لمخالطته ولم يتكلف لسانه عن غيبه المسلم
قال الامام رضي الله عنه وقيل مثل الذي يغتاب الناس كمثل من نصب منجنيقا
يرمي حسناته شرقا وغربا يغتاب واحدا خراسانيا واخر حجازيا واخر تركيا يفرق
حسناته ويقوم ولا شي معه قال الشارح رضي الله عنه وهذا يدل على ما تقدم في
الحديث الصحيح من ان الناس يقتص لبعضهم من بعض مظالم كانت بينهم في الدنيا بالحسنات
والسيئات فمن عليه حق اخذ من حسناته فان فنيت حسناته وضع عليه من سيئاتهم
فالذي لا يمسك لسانه عن اغتياب الناس من اهل كل قطر ومن كل جهه يفرق حسناته
يمينا وشمالا ومن اكبر المصيبه ان العبد انما يوخذ من حسناته ما صح وسلم
من الافات التي تعب فيها ليله ونهاره حتى سلمت له خالصه لله تعالى فهي التي تنقل
اخرها لديوان غيره واصعب من ذلك ان يكون الانسان ذهب يتقي الزنا وشرب
الخمر وقتل النفس وغيره من الاثام فيجد في صحيفته بعض ذلك ولم يكن عمله فيقول
من اين هذا فيقال من مظالم الناس لما فنيت حسناتك حمل عليك من سيئاتهم قال
الامام رضي الله عنه يؤتى العبد يوم القيامه كتابه فلا يرى فيه حسنه فيقول
اين صلاتي وصيامي وطاعتي فيقال ذهب عملك كله باغتيابك الناس قال الشارح رضي

الله عنه وهذا الذي فرغنا من شرحه الان وبيناه بالمقاصه قال الامام رضي الله عنه
ومن اغتيب بغيبه غفر الله له نصف ذنوبه قال الشارح رضي الله عنه ووجه هذا القول
اذ صح ان العبد اذا كان يتعاطى معصيه كان عليه اثمها كاملا فان اغتيب بها نقص اثمها لما
حصل له من الاجر باغتياب من اغتابه بها فيكون اثمه كاملا اذ لم يغتب واثمه ناقصا
ان اغتيب به وتحديد ذلك بالنصف ان صح شرعا اتبع فان مقادير الاجرام والاثام راجع الى
الله تعالى في التساوي والتضعيف قال الامام رضي الله عنه وقال سفيان بن الحسين كنت
جالسا عند اياس بن معاويه رحمه الله فنلت من انسان فقال هل غزوت في هذا العام الروم
والترك فقلت لا فقال اسلم منك الترك والروم وما سلم منك اخوك المسلم قال الشارح
رضي الله عنه وفي هذا تاديب وحسن ارشاد الى تغيير المنكر في الغيبه على الكور ناته لو قيل
له انك مغتاب ربما نفرت نفسه ان كان ممن لا يحتمل ذلك فلما قال له اغزوت العام الروم
والترك فقال له لا فقال له سلم الروم والترك وما سلم منك اخوك المسلم قال الامام رضي
الله عنه وقيل يعطى الرجل كتابه فيرى فيه حسنات لم يعملها فيقال له هذا بما اغتابك
الناس وانت لم تشعر قال الشارح رضي الله عنه وهذا يدل على ان الغيبه ذكرك اخاك
لغيره في غيبته بما يكرهه ولو كان بين يديه كان ذنبه بحرمه ايضا وفيه دلاله على ان
حسنات المغتاب تنقل الى صحيفه من اغتيب قال الامام رضي الله عنه وسئل سفيان
الثوري عن قوله عليه السلام ان الله يبغض اهل البيت اللحميين فقال هم الذين يغتابون الناس
ياكلون لحومهم قال قال الشارح رضي الله عنه وهذا يدل على وجهين احدهما كثرة اكل
اللحم والشهوات كما كان عمر بن الخطاب رضي الله عنه ينهى عن ادامه اكل اللحم والشهوات
والاسراف في النفقات وايضا فان اهل الدين والعلم قل ما يكثروا اكثر في اللحم والسمن
فان السمن في الغالب انما يكون عن كثرة الاكل وكثره الاكل تكون عن الغفله والتمتع بالشهوات
وقد جاء ذم الحبر السمين والثاني ما ذكره سفيان وهم الذين ياكلون لحوم الناس فيغتابونهم
قال الامام رضي الله عنه وذكرت الغيبه عند ابن المبارك فقال لو كنت مغتابا احدا لاغتبت
والدي لانهما احق بحسناتي قال الشارح رضي الله عنه وهذا راجع الى ما ذكرناه من ان
المغتاب تنقل حسناته الى ديوان من اغتابه واذا كان كذلك فهو يشفع من اغتابه
واحق الناس بمنفعته وحسناته ابواه وفي هذا زجر عن الغيبه وتنبيه لما ان بها
نقص في الدنيا والاخره قال الامام رضي الله عنه وقال يحيى بن معاذ ليكن حظ المؤمن منك
ثلاث خصال ان لم تنفعه فلا تضره وان لم تسره فلا تغمه وان لم تمدحه فلا تذمه قال
الشارح رضي الله عنه وهذا بظاهره يدل على ان المدح للمؤمن محمود على التعميم
فان قابله بالذم وقد يكون خاصا لبعض المؤمنين الذي اذا امدح زاد الايمان في قلبه
فان قدر الانسان على ان ينفع المؤمن ويمدحه ويسره فهو ما يتم له وان عجز عن ذلك

Copyright © King Saud University

فلا بد منه ولا يضرهم ولا ينفعه فان مما اوصي به ان ينزل الانسان من الخلق منزلة الملائكة الذين ينفعون
الخلق امتثالا لامر الله تعالى ولا يكن مثل الشيطان والحيات والعقارب الذين يضرون الناس
ولا ينفعونهم واقل ذلك فائدة واخفه ان ينزلهم منزلة الجمادات لا يضرهم ولا ينفعهم
ومقصود ما نحن فيه نفي الاذية بالغيبة وهو داخل تحت الدم والعرض والمال قال الامام
رضي الله عنه وقيل للحسن البصري ان فلانا اغتابك فبعث اليه طبق حلوا وقال بلغني انك
اهديت الي حسناتك فكافيتك قال الشارح رضي الله عنه وهذا من حسن الادب
والارشاد الى ترك الغيبة والكف عنها فانه نبهه بهذا الفعل على انه اهدى اليه احسن
عمله مما ينتفع به في الاخرة فكافاه عن فعله من طيبات الدنيا وهي الحلوا وبعضهم فعل اعم من ذلك
بلغه ان فلانا اغتابه فقال والله لاغيظن من امره بذلك فقيل من امره بذلك فقال
الشيطان ثم قال اللهم اغفر له فلم يرض بان يكافيه بالعفو عنه خاصة حتى سال الله ان يغفر له
حقه لان الغيبة فيها حقان حق الله تعالى بارتكاب النهي وحق للعبد باذيته فجازاه على
قوله بالعفو واغاظ الشيطان بان سال الله المغفرة للتخلص من كل ضرر تعلق به ويغيظ
عدوه الذي امره بذلك قال الامام رضي الله عنه انا علي بن احمد الاهوازي رحمه الله قال انا احمد
ابن عبيد البصري قال ثنا احمد بن عمرو القطراني قال ثنا سهل بن عثمان العسكري قال ثنا الربيع
ابن بدر عن ابان عن انس ابن مالك قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من القى جلباب الحيا
فلا غيبة له قال الشارح رضي الله عنه وهذا انما يكون فيما يجاهر به خاصة ومتى كانت
فيه عيوب يخفيها ويسترها وان كان متجاهرا بغيرها فغيبته فيما يستره حرام وله في ذلك
على المغتاب حق ولذلك اختلفت الروايات كما ذكر لا غيبة له اي لا حق له في الغيبة فيما
يجاهر به ولا غيبة فيه اي لا اثم على من اغتابه فانه لم يكشف له سترا بل هو كشف ستر نفسه
واظهر زلاته وانه ايضا لا يتالم بما يقال فيه فانه الذي يستحسنه واظهره وذلك كالمبتدع
الذي يظهر بدعته ويدعو الناس اليها فيحذر الناس عنها او كالمخنث الذي يظهر زي الفسوق وغيره
من الظلمة الذين ياكلون اموال الناس بالباطل جهرا وما يجري مجراه فان هؤلاء لا غيبة لهم
فيما اظهروه خاصة قال الامام رضي الله عنه سمعت حمزة بن يوسف السهمي يقول سمعت
ابا طاهر محمد بن اسيد يقول سمعت جعفر بن محمد بن نصير يقول قال الجنيد رحمه الله كنت
جالسا في مسجد الشونيزية انتظر جنازة اصلي عليها واهل بغداد على طبقاتهم جلوس ينتظرون
الجنازة فرايت فقيرا عليه اثر النسك يسال الناس فقلت في نفسي لو عمل هذا عملا يصون به
نفسه كان اجمل به فلما انصرفت الى منزلي وكان لي شيء من الورد بالليل من البكاء والصلاة
وغير ذلك فثقل علي جميع اورادي فسهرت وانا قاعد فغلبتني عيناي فرايت ذلك
الفقير جاؤوا به على خوان ممدود وقالوا لي كل لحمه فقد اغتبته وكشف لي عن الحال

فقلت

فقلت ما اغتبته وانما قلت في نفسي شيئا فقيل لي ما انت ممن يرضى منك بمثله اذهب فاستحله
فاصبحت ولم ازل اتردد حتى رايته في موضع يلتقط من الماء عشبا يرد الماء او اوراق البقل
مما تساقط من غسل البقل فسلمت عليه فقال لي يا ابا القاسم تعود فقلت لا اعود فقال غفر الله
لنا ولك قال الشارح رضي الله عنه وهذه الحكاية وفقك الله فيها من الفوائد ما ننبه عليه ان شاء
الله تعالى وذلك انه لما الفقير الذي راه يطلب شيئا وقع في نفسه لو اكتسب لكان خيرا
له ومن ايش يعلم ان له قدرة على الكسب اما لكونه ليس بيده صنعة او لضعفه عن الخدمة او الاحتياج
الى مخالطة من لا يرضى مخالطته فهذه بعض الاسباب التي تمنع من الكسب وحقيقة الغيبة
ان تذكر اخاك بما يكره فان هذا مما اختص بقلب الجنيد فهو سوء ظن ولا يكون غيبة
ولذلك قال لما اوتي به على الخوان ما اغتبته لان حقيقة الغيبة لم توجد لانه لم يذكره
ولا يمكن بلوغه للاخر حتى يتاذى وان كان ذلك الفقير من المكاشفين بما وقع في نفس الجنيد
فقد تاذى به في كونه نسبه الى التفريط فيما هو متمكن منه وسال مع الاستغناء عنه فهذا
قد حصل منه بعض اركان الغيبة وهو اثمها وهو حصول ما يكرهه اذا علمه وقد علمه وكرهه
ولذلك لما اتى ووجده يلتقط ورق البقل في موضع يضرب الماء جرفا يرجع فيلتقط هنالك
الورق لياكله فرفع راسه وقال يا ابا القاسم تعود وهذا يدل على انه كان كوشف بما وقع في نفس
الجنيد وتاذى به فلما قال له لا اعود استغفر له ولنا وما جرى للجنيد من القلق وعدم
النشاط لورده والاتيان بصورة الفقير على خوان وقيل له كل لحمه لانك اغتبته كل ذلك
اكراما للجنيد ليتخلص من ملاقي دنياه قال الامام رضي الله عنه سمعت الشيخ ابا عبد الرحمن
السلمي رحمه الله يقول سمعت ابا طاهر الاسفرايني يقول سمعت ابا جعفر البلخي يقول كان عندنا
شاب من اهل بلخ وكان يجتهد ويتعبد الا انه كان ابدا يغتاب الناس ويقول فلان كذا وفلان كذا
فرايته يوما عند المخنثين الغسالين خرج من عندهم فقلت يا فلان ما حالك فقال تلك
الوقيعة في الناس اوقعتني فابتليت بمخنث منهم ها انا ذا اخدمهم وتلك الاحوال
كلها قد ذهبت قال الشارح رضي الله عنه وهذه الحكاية مما دفع العزم على تطهير هذا
الكتاب منها لو امكن وان كان المقصود منها التخويف من ضرر الغيبة في الدنيا والاخرة
ففيما تقدم من الحكايات والامثلة ما يغني عن هذه قال الامام رضي الله عنه باب
القناعة
قال الله تعالى من عمل صالحا من ذكر او انثى وهو مؤمن فلنحيينه حيوة طيبة
قال كثير من اهل التفسير الحيوة الطيبة في الدنيا القناعة انا الشيخ ابو عبد الرحمن السلمي رحمه
الله قال انا عمر بن محمد بن جعفر بن مطر قال ثنا محمد بن موسى الحلواني ثنا عبد الله بن ابراهيم
الغفاري عن المنكدر بن محمد عن ابيه عن جابر ابن عبد الله قال قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم القناعة كنز لا يفنى قال الشارح رضي الله عنه وحد القناعة الاجتزاء بما تقدر به

Copyright King Saud University

البنيه وتندفع به الضروره والحاجه وذلك يختلف باختلاف الاشخاص في الصحه والمرض
وتقدم العوايد الرديه في الشهوات وتعلم الخيرات والاكتفا بما تيسر والحاجه قد تكون دنيويه
وقد تكون دينيه كاحتياج الانسان لما يستعين به على طلب العلم وحفظه من الاطعمه
الموافقه لحاله مما لو اكل غيره لتشوش عليه حاله فتخصيصه له بهذه المنفعه الدينيه
لا تخرجه عن حد القناعه بخلاف ما لو كان اخذه له لمحض الشهوه والتنعم بالدنيا وكذلك
اذا دعا الشرع للبس الثياب البيض النفيسه للاعياد والجمع ومجامع المسلمين فلبسه
وطلبه لهذه النيه لا تخرجه عن حد القناعه في اللباس لانه لولا دعا الشرع اليه لما
فعله فاذا تقرر ذلك فاعلم ان القناعه هي الاكتفا بما تيسر من الطعام واللباس باختلاف الاحوال
على حسب دفع الضروره والحاجه كما تقدم فنقول القناعه لا تختص بهذا بل تكون القناعه
في المنام والكلام وغير ذلك مما يحتاج اليه الانسان ويدل على ذلك قول النبي صلى الله عليه وسلم
في الخبر الصحيح من حسن اسلام المرء تركه ما لا يعنيه والذي لا يعنيه هو الذي لا حاجه له به
في دينه ولا ضروره له في دنياه وكذلك قوله صلى الله عليه وسلم في الخبر الصحيح قد افلح من اسلم
وكان قوته كفافا وقنعه الله وقوله صلى الله عليه وسلم اللهم اجعل رزق ال محمد كفافا
اقتارا ولا اسرافا وفي روايه رزق ال محمد قوتا واما ثمرات القناعه فمما لا تحصى
وايسرها السلامه من الحقوق التي تلحقه بالمطالبه لما عنده من الفضول فيما يفعل او يقول
وفي الاخره السلامه من طول الحساب ورجوعه سريعا الى ذي المالك قال الامام رضي الله عنه
انا ابو الحسن الاهوازي رحمه الله قال انا احمد بن عبيد البصري قال ثنا عبد الله بن ابي بردة القرشي
قال ثنا ابو الربيع الزهراني قال ثنا اسمعيل بن زكريا عن ابي رجا عن برد بن سنان عن
مكحول عن واثله بن الاسقع عن ابي هريره رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم كن ورعا تكن اعبد الناس وكن قنعا تكن اشكر الناس واحب للناس ما تحب لنفسك
تكن مومنا واحسن مجاوره من جاورك تكن مسلما واقل الضحك فان كثرته تميت القلب
قال الشارح رضي الله عنه وموضع الاستشهاد من هذا الحديث قوله عليه السلام وكن قنعا
تكن اشكر الناس فان القنع اي من قنع عليه به راه نعمة وفيه كفايه فيكثر نعم الله تعالى عليه
ويكثر شكره لها بخلاف الشره لانه ضد القناعه الفقره فانه لا يرى من النعم الا العظيم
فيقل شكره لقله معرفته بالنعم واما كونه ورعا يكن اعبد الناس فان الورع تجنب ما ينهى
شرعا فهو يتجنب الحرام وترك الواجب وارتكاب المكروه وتضييع المندوب وان
ارتفعت درجاته ويتجنب تضييع العمر في البطالات والتلذذ بالافعال المباحات فبهذا
الاعتبار يكون اعبد الناس واما محبته للناس ما يحبه لنفسه فهي من اشرف الاخلاق وكمال
الاخوه في الدين ولقد حكي عن بعضهم انه قال اني لاستغفر الله منذ كذا وكذا سنه من قولي

الحمد

الحمد لله فقيل له وكيف ذلك قال وقع حريق بالبصره فاخبرت ان دكاني سلمت فقلت الحمد لله
فكلما تفكرت في كوني لم اغتم لما اصاب المسلمين وغلب على ظني سلامه دكاني دونهم استغفرت
الله من تلك الحال بل كان يحق ان احب لهم ما احب لنفسي من السلامه واغتم لهم لما اصابهم
واما حسن المجاوره لمن جاوره ويكون مسلما فان المسلم لا يوذي جاره والمسلم من سلم
الناس من لسانه ويده ممن هو بعيد فكيف بالجار القريب وقد قال عليه السلام اوصاني
جبريل بالجار حتى ظننت انه سيورثه واما كثره الضحك فانه يميت القلب صحيح لان القلب
انما يموت بتوالي الغفله عليه عن امر الاخره وعن معرفه الله تعالى وطاعته وما خلق له
كما قال تعالى او من كان ميتا فاحييناه فجعل الكفر والغفله عن الله تعالى موتا وجعل الايمان
والمعرفه بالله تعالى وطاعته حياه ومتى توالت على القلب الغفلات تسرع ذلك به
الى الممات وربما عسر عليه التدارك ان توالى ذلك عليه وخشي عليه الفوات نعوذ بالله
تعالى من خاتمه الاشقيا عند الممات قال الامام رضي الله عنه وقيل الفقرا امواتكم
من احياه الله سبحانه بعز القناعه قال الشارح رضي الله عنه يعني بالفقرا المحبين
للدنيا المتكالبين عليها وهي بعيده عنهم اموات القلوب لحجبها عن ذكر الاخره الا من احياه
الله تعالى بعز القناعه ورضيت نفسه بما يسره الله تعالى من القوت فتفرغ لما
خلق له من العلم والعمل فهذه حياه القلوب من موت الغفله قال الامام رضي الله
عنه وقال بشر الحافي القناعه ملك لا يسكن الا في قلب مومن قال الشارح رضي الله عنه
ووجهه والله اعلم ان المومن يعلم تعراض الدنيا وزوالها وان كثرتها تجر الى حساب وعذاب
فمتى قوي ايمانه اعرض عنها وقنع باليسير من حطامها على حسب ضرورته وحاجته وقد
روي ان اعرابيا اتى النبي صلى الله عليه وهو مشرك فامر ان تحلب له اللبن ليشربه فشرب
حلاب سبع شياه او نحوها ثم اسلم فحلب له بعد ذلك شاه فلم يستتم الثانيه فتعجب
الناس من ذلك فقال النبي صلى الله عليه وسلم المومن يشرب في معا واحد والكافر في سبع امعا
ومحمل ذلك والله اعلم ان الكافر غافل عن الاخره والاستعداد لها مشتغل بشهواته شديد
الرغبه في لذاته بخلاف المومن فانه عارف بما خلق له وان الدنيا انما هي دار تزود والاخره
دار الاستيطان فهو ياخذ من الدنيا ما يستعين به خاصه ويعرض عن فضولها ولما
قضيه هذا الذي اسلم فيكون ذلك ببركه النبي صلى الله عليه وسلم اراه الله بركه الايمان
ليرغب فيه والله اعلم قال الامام رضي الله عنه سمعت محمد بن الحسين رحمه الله يقول
سمعت عبد الله بن محمد الشعراني يقول سمعنا اسحق بن ابراهيم يقول ابي حسان الانماطي
رحمه الله يقول سمعت احمد بن ابي الحواري يقول سمعت ابا سليمان الداراني يقول القناعه
من الرضى بمنزله الورع من الزهد هذا اول الرضى وهذا اول الزهد قال الشارح رضي الله عنه

Copyright © King Saud University

وذلك لأن القناعة لا يكون إلا بما قسم الله ويسّره ومتى تمكن الإنسان في الرضى رضي بكل ما يجريه الله عليه مما يوافق هواه أو يخالفه وأما الورع فهو الإعراض عن المشكل ومن لم يهن عليه الإعراض عن المشكل لم يهن عليه الإعراض عن الحلال الذي لا إشكال فيه ومتى تمكن في الورع خف عليه سلوك مقام الزهد **قال** الإمام رضي الله عنه وقيل القناعة السكون عند عدم المألوفات **قال** الشارح رضي الله عنه وهذا أقرب إلى التوكل من القناعة فإن من جرى له الأسباب وتيسر له الأرزاق وكان ساكنًا فهو يظن أنه متوكل ولا يصح توكله على الله دون الأسباب إلا إذا تغيرت الأسباب والأصحاب فإن رأى نفسه مع تغيرها ساكنة إلى الله تعالى معتمدة عليه فهو متوكل فهذا خارج عن القناعة بعيد عن حدها **قال** الإمام رضي الله عنه وقال أبو بكر المراغي العاقل من دبّر أمر الدنيا بالقناعة والتسويف **قال** الشارح رضي الله عنه وهذا صحيح فإن العاقل من يصرف في كل محل على ما يليق به وأعطى كل ذي حق حقه فمن عرف أن الدنيا دار الارتحال وليست دار إقامة وعمل على حسب ما عقل وعرف ومشى حاله بما تيسر مما هو محتاج إليه وإن تشوفت نفسه لزيادة سوّف لها الآمال تمشية لحالها ومثاله أن يقول إن عشت لوقت آخر كان كيت وكيت وذلك بقنعها بما حصل في الوقت هذا معنى قول العاقل من يدبر أمر نفسه بالقناعة والتسويف **قال** الشارح رضي الله عنه وهذا صحيح فإن العاقل من يصرف في كل محل على ما يليق به وأعطى كل ذي حق حقه فمن عرف أن الدنيا دار ارتحال وليست دار إقامة وعمل على حسب ما عقل وعرف ومشى حاله بما تيسر مما هو محتاج إليه وإن تشوفت نفسه لزيادة سوّف لها الآمال تمشية لحالها ومثاله أن يقول إن عشت لوقت آخر كان كيت وكيت وذلك بقنعها بما حصل في الوقت هذا معنى قول العاقل من يدبر أمر نفسه بالقناعة والتسويف **قال** الإمام رضي الله عنه وقال أبو عبد الله بن خفيف القناعة ترك التشوف إلى المفقود والاستغناء بالموجود **قال** الشارح رضي الله عنه وهذا حد بالغ في القناعة وذلك أن من استغنت نفسه بما تيسر لها من الأرزاق لم يتشوف لزيادة على ما فتح لها به الواحد الخلاق **قال** الإمام رضي الله عنه وقيل في معنى قوله تعالى ليرزقنهم الله رزقًا حسنًا يعني القناعة وقال محمد بن علي الترمذي القناعة رضى النفس بما قسم لها من الرزق وقيل القناعة الاكتفاء بالموجود وزوال الطمع فيما ليس بحاصل **قال** الشارح رضي الله عنه قد تقدم الكلام في هذه الأقوال الثلاثة قال الإمام رضي الله عنه وقال وهب إن العز والغنى خرجا يجولان فلقيا القناعة فاستقرا **قال** الشارح رضي الله عنه دل على أن كل من تمكن من مقام القناعة حصل له العز بالله والاستغناء عن غير الله **قال** الإمام رضي الله عنه وقيل من كانت قناعته سمينة كانت له كل مرقة **قال** الشارح رضي الله عنه في هذا إشارة إلى أن كل من حلت قناعته اجتزأ بأيسر شيء من الدنيا من غير تفصيل

مكرر انتهى

مكرر انتهى

قال

قال الإمام رضي الله عنه وقيل مر أبو حازم بقصاب معه لحم سمين فقال خذ يا أبا حازم فإنه سمين فقال ليس معي درهم فقال أنا أنظرك فقال نفسي أحسن نظرة منك **قال** الشارح رضي الله عنه وفي هذا تنبيه على أن من كل زهد في الأشياء قلت رغبته فيها وقوي صبره عنها ولم يبال بعدم تحصيلها لعدم رغبته فيها ولذلك قال له نفسي أحسن نظرة لي منك معناه أحسن صبرًا لي منك **قال** الإمام رضي الله عنه وقيل من أقنع الناس فقيل أبرّهم للناس معونة وأقلهم عليهم مؤونة **قال** الشارح رضي الله عنه وهذا استدلال بالأثر على المؤثر وذلك أن من رفع أو حمل مؤونته على الناس ولم يزاحمهم فيما بأيديهم دل على اكتفائه بما يسره الله له وإذا كان مستغنيًا بما يسره الله تفرغ من هموم الدنيا وأعان المسلمين على مقاصدهم لقلة شغله بنفسه وشدة رغبته في فعل الخير لغيره فهذا من باب الاستدلال بأحد الشيئين على كمال قناعته باليسير من الدنيا ولذلك تفرغ لتحصيل الخيرات بإعانة الخلق وحمل عنهم كلفته وكلت لهم مزاحمته **قال** الإمام رضي الله عنه وفي الزبور القانع غني وإن كان جائعًا **قال** الشارح رضي الله عنه وهذا صحيح فإن غناه ليس بما يملكه أو يأكله وإنما غناه باختيار الله له فإن أجاعه اختار ما اختار الله له وإن أشبعه شكره على ما يسر له فهو غني بالله وباختياره في سائر أحواله **قال** الإمام رضي الله عنه وقيل وضع الله خمسة أشياء في خمسة مواضع العز في الطاعة والذل في المعصية والهيبة في قيام الليل والحكمة في البطن الخالي والغنى في القناعة **قال** الشارح رضي الله عنه وضع الأشياء في مواضعها والغنى في القناعة وأما العز في الطاعة والذل في المعصية فواضح لأن المطيع عزيز في الدنيا والآخرة والعاصي ذليل فيهما وأما الحكمة في البطن الخالي فإنه أبلغ في تفقد الحكمة وإدراك مقصودها وإصابة الحق فيها فإن البطنة تذهب الفطنة وأما الهيبة في قيام الليل فإن من رزقه الله قيام الليل وحسن المناجاة لمولاه والتلذذ بقرائته والأدب معه في مناجاته فقد أجل الله وعظمه وترك راحته ولذته للتنعم بمناجاته ومن أجل الله أجله الله عند الناس **قال** الإمام رضي الله عنه سمعت الشيخ أبا عبد الرحمن السلمي رحمه الله يقول سمعت نصر بن محمد يقول سمعت سليمان بن أبي سليمان يقول سمعت أبا القاسم بن أبي بكر يقول سمعت إبراهيم المارستاني يقول انتقم من حرصك بالقناعة كما تنتقم من عدوك بالقصاص **قال** الشارح رضي الله عنه وذلك أن من كان شديد الحرص على الدنيا اكتسبها من غير وجهها ومنعها من حقها فحرصه على هذا عدو له فإنه يوقعه في النار فإذا أراد العبد أن ينتقم من حرصه على الدنيا ويكف ضرره عنه قنع من الدنيا باليسير وكلما عرض له أمران من أمور الدنيا اختار أيسرهما لكمال قناعته وقلة حرصه وشدة رغبته وقد يروى أن النبي صلى الله عليه وسلم ما عرض عليه أمران من أمور الدنيا إلا اختار أيسرهما حتى عرض السواك إن أحدهما مستقيم والآخر معوج فأخذ المعوج منهما كل ذلك زهدًا في الدنيا وإعراضًا عن حالها وحبها فإن حبها رأس كل خطيئة

والزهد فيها راس كل خير والقناعه مفتاح الزهد **قال** الامام رضي الله عنه وقال ذو النون
من قنع استراح من اهل زمانه واستطال على اقرانه **قال** الشارح رضي الله عنه فاما قوله استراح
من اهل زمانه يعني من مزاحمتهم في الاسواق ومشاركتهم في تحصيل الارزاق واما قوله استطال
على اقرانه يريد انه ارتفع عنهم وتكبر بل عن نفسه واستغنى بفضل الله عليه وهو امعنى
قول استطال اي ارتفعت منزلته عند الله لان كل مومن بالله اذا قنع باليسير من الدنيا
وتفرغ لعباده المولى ارتفعت درجته في الاخره والاولى **قال** الامام رضي الله عنه وقيل
من قنع استراح من الشغل واستطال على الكل وقال الكتاني من باع الحرص بالقناعه ظفر بالعز
والمروه **قال** الشارح رضي الله عنه وهذا قد ذكر ومرادا جهت قبل القناعه تريح من مزاحمة
الناس في الاسواق على طلب الارزاق واذا استراح من ذلك بالقناعه تفرغ لعباده ربه
وارتفعت درجته عنده وذلك ان من قنع باليسير من الدنيا قل حرصه عليها واذا قل حرصه
عليها عز في نفسه ولم يتذلل في طلبها واستغنى عن ابنا جنسه لما رزقه الحق من قناعة نفسه
قال الامام رضي الله عنه وقيل من تبعت عيناه ما في ايدي الناس طال حزنه وانشدوا
واحسن بالفتى من يوم عار ينال به الغنى كرم وجوع **قال** الشارح رضي الله عنه
وقوله من تبعت عيناه ما في ايدي الناس طال حزنه وهذا ضد القناعه وهو الشره لتعلق
القلب عا في ايدي الناس وطول حزنه لان المقادير تجري على وفق غرضه فلا يزال يهمها
على امتياز الناس عنه وهذا المحسد اقرب منه الى القناعه الا ان الشره من اضداد
القناعه ولذلك قال في القناعه واحسن بالفتى من يوم عار ينال به الغنى كرم وجوع
ومعناه ان يوما يكون العبد فيه جايعا كريم النفس نزها احسن من يوم يكون فيه
ذليلا ينال به الغنى وتقريب هذا الشعران يوما يكون العبد فيه جايعا لدم النفس
عن الحرص والشره احسن من يوم يكون فيه ذا عار ونقص وذل لينال الغنى **قال** الامام
رضي الله عنه وقيل راى رجل حكيما ياكل ما تناقط من البقل على راس ماء فقال لو خدمت
السلطان لم تحتج الى اكل هذا فقال الحكيم وانت لو قنعت بهذا لم تحتج الى خدمة السلطان
قال الشارح رضي الله عنه فهذا القايل يعرف من هذا الاكل انه قادر على التوصل لركابه
ومعرفته الى ان يكون خادما للسلطان فقال لو خدمت لاستغنيت عن ان تاكل ورق
البقل المرمي لان فيه نقصا ومذله في الدنيا عند اربابها فقال له الصالح لو قنعت
انت بهذا لم تحتج الى خدمة السلطان الذي في خدمته مذله في الدنيا والاخره عند
العقلا **قال** الامام رضي الله عنه وقيل العقبان عزيز مطارها لا يسموا اليه طرف صياد
ولا طعمه فاذا طمع في جيفه علقت على حبالة نزل من مطاره فتعلق في حباله **قال**
الشارح رضي الله عنه وذلك ان العقاب فيه من القوه على الطيران وكيف يتعالى في الجو تعاليا

تقص

تقصر عن صيده ونيله مطامع الصيادين فاذا ارادوا ان يخدعوه نصبوا حباله وجعلوا
عليها جيفا من لحم فاذا طمع فيها نزل اليها وحصل في شباكهم وحبايلهم فكذلك العبد
القنيع باليسير من الدنيا الزاهد في الفضول لا يزال عزيز النفس سالما من المذله حتى يلوح
له شي من الدنيا فيطمع في نيلها فيزول عزه وتحل به ذله ولذلك لما دخل الحسن البصري
الى مكه حرسها الله تعالى وراى الحسن رجلا من ولاد فاطمه قد استند ظهره الى
الكعبه وهو يعظ الناس فساله ما ملاك الدين فقال الورع فقال وما فساده فقال
الطمع فقال له مثلك يصلح ان يعظ الناس **قال** الامام رضي الله عنه وقيل لما نطق
موسى عليه السلام بذكر الطمع فقال لو شيت لاتخذت عليه اجرا قال الخضر له
هذا فراق بيني وبينك وقيل لما قال ذلك موسى عليه السلام وقف بين موسى
والخضر عليهما السلام ظبي وكانا جايعين الجانب الذي يلي موسى عليه السلام غير
مشوي والجانب الذي يلي الخضر مشوي **قال** الشارح رضي الله عنه والصحيح
ان الخضر عليه السلام انما فارق الكليم موسى بحكم الشرط وهو قوله ان سالتك عن شي
بعدها فلا تصاحبني وليس فيما ذكره طمع لان اخذ الاجره على العمل ليس من باب الطمع
بسبيل وقد تقدم في الايه انهما استطعما اهلها وما نسب الامر لموسى خاصه بل هما استطعما
اهلها وما نسب الامر لموسى خاصه بل هما استطعما ولو صح ان يكون طمعا فيما عند الناس
لصح ان ينسبا لهذا واما اخذ الاجره على العمل فليس من الطمع بسبيل وعلى الجمله فكل ما جرى
للخضر مع موسى صلوات الله على نبينا وعليه انما كان للتاديب فان موسى صلوات الله
على نبينا وعليه نقل انه سيل وهو على المنبر هل على وجه الارض اعلم منك قيل فقال لا
فاوحى الله تعالى اليه بل عبد من عبادي بمجمع البحرين هو اعلم منك فقال لا ابرح حتى ابلغ مجمع
البحرين او امضي حقبا والذي فعله الخضر لموسى عليهما السلام مصلحته ظاهره وانما خفي سببه
فاختص الخضر بمعرفة السبب فلما ذكره لموسى عليه السلام انقاد اليه وذلك ان ازالة لوح من
السفينه ليكون في ذلك سبب نجاة كلها وقتل من يكون سببا لتكفير والده وحفظ مال يتيم
عاجز حتى يبلغ اشده مصالح ظاهره اعلم الله اسبابها للخضر ليعرف موسى صلوات الله على نبينا
وعليه انه يخص من يشا بما شا من العلم واختلف الناس في الخضر هل هو نبي او ولي فاكثر الناس
على انه ولي وعلى الجمله فذكر الطمع هاهنا بالنسبه للنبي تركه احسن فان الطمع خلق مذموم
لا يليق نسبته لنبي اصلا واما قضية الظبي بين موسى والخضر عليهما السلام ان صحت الروايه
ان نصفه مشوي ونصفه نيء فيكون ذلك للامتحان وزياده الاختبار ونشا لحاجه ليكمل
فضلهما ويتزايد في الصبر والشكر والكل جايز ولله ان يفعل ما يشا ولا بد من هذا على ادب موسى
واكرام الخضر فانا ان ناكل بينا ان قوله لم يصرفه شي **قال** الامام رضي الله عنه وقيل في قوله

Copyright King Saud University

تعالى ان الابرار لفي نعيم هو القناعة في الدنيا وان الفجار لفي جحيم هو الحرص في الدنيا **قال** الشارح رضي الله عنه وهذا من باب الاعتبار لا من باب التفسير للاية فان من قنع باليسير من الدنيا استراح سره وقل تعبه ووجد راحة ذلك في دنياه ومن اشتد حرصه غلب عليه تعبه وكده وقلت راحته في دنياه وكثر عذابه فعبر بالراحة الدنيوية عن الجنة وبالتعب والنصب في الدنيا عن النار **قال** الامام رضي الله عنه وقيل في قوله تعالى فك رقبة اي نكها من ذل الطمع وقيل في قوله تعالى انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس اهل البيت يعني البخل والطمع ويطهركم تطهيرا بالسخا والايثار وقيل في قوله هب لي ملكا لا ينبغي لاحد من بعدي اي مقاما من القناعة انفرد به من بين اشكالي وان اكون راضيا به بقضايك وقيل في قوله تعالى لاعذبنه عذابا شديدا لاسلبنه القناعة ولا ابتلينه بالطمع يعني اسال الله سبحانه ان يفعل به ذلك **قال** الشارح رضي الله عنه فلتعلم من هذه الايات ان القناعة باليسير من الدنيا وصف محمود وان الطمع فيها والحرص عليها والبخل بها وصف مذموم فان صح بالنقل عن النبي صلى الله عليه وسلم وعن اهل التفسير الذين هم اهله ان المراد بالايات ما ذكر فحسن وان كان المراد غير هذا فلا يجوز ان يحمل التفسير عليه الا ان يكون لفظ عام مثل قوله لنحيينه حيوة طيبة فانه يعم كل راحة يكون للعبد فيها في الدنيا والقناعة من جملتها والتطهير من كل سوء يعم كل سوء في قوله تعالى ويطهركم تطهيرا يعني من كل النقايص شرعا فان خص بدليل بدل على ان المراد ما ذكر وا(لا) فلتعلم ان القناعة محمودة والحرص والشره مذموم وقد قيل في غير جنسه وعلى الجملة فالتفسير نوعان منه ما نقل انه مراد الاية فتخصيص اللفظ بعض محتملاته وتعيين انه المراد بالاية يفتقر الى دليل والله المستعان **قال** الامام رضي الله عنه وقيل لابي يزيد بم وصلت الى ما وصلت فقال جمعت اسباب الدنيا فربطتها بحبل القناعة ووضعتها في منجنيق الصدق ورميت بها في بحر الياس فاسترحت **قال** الشارح رضي الله عنه هذا من ابي يزيد رضي الله عنه جيد جدا فان اسباب الوصول الى الدنيا متعددة ومشتتها فان الدنيا التي هي متعلق الشهوات كثيرة والقناعة باليسير من الدنيا تجمع شتاتها وتريح من عذابها فاستعار للقناعة اسم الحبل وجمع به اسباب الدنيا فربطها وقوله ووضعتها في منجنيق الصدق يعني الصدق في البعد منها يعني بعدمها بعدا كثيرا حتى قطع ياسه من الرجوع اليها والسعي لها فحصل الياس فاستراح من عذابها ووصل الى ربه اي دام شغله به لا بغيره **قال** الامام رضي الله عنه سمعت محمد بن عبد الله الصوفي رحمه الله ورضي عنه يقول سمعت محمد بن فرخان بسامرة يقول سمعت خالي عبد الوهاب يقول كنت جالسا عند الجنيد ايام الموسم وحوله جماعة كثيرون من العجم والمولدين فجاء انسان بخمسماية دينار ووضعها بين يديه فقال انفرقها على هؤلاء الفقراء فقال الك غيرها فقال نعم لي دنانير كثيرة فقال اتريد غيرها فقال نعم فقال الجنيد خذها فانت احوج

اليها منا ولم يقبلها **قال** الشارح رضي الله عنه وهذا يدل على ان الجنيد اراد ان ينقله الى اعلى من درجته ويريد ويريد ان يعرفه ان لله عبادا اغنيا بذكره ومناجاته وحسن اختياره لهم من الغنى بالمال ودل ذلك انه لما حسنت نيته هذا الاني بالمال دهان عليه خمسماية دينار لشخص واحد ومعه جماعة من اهل الخير دل ذلك على قوة محبته في الصالحين وان الدنيا ليست محبوبة له جامعة من جملتها في حبه البرهان فاراد ان ينقله الى اكمل من حاله ليشكر الله على ما هو فيه ويسله الزيادة وفيه رده برفق وحسن سياسة اذ لم يعن عليه ان يقبل منه ورعا اعترض من لا علم عنده بان يقول هذا مال اتى به ليفرقه على هؤلاء الجماعة المحتاجين هو بنيه واسطة فكيف رده وهم محتاجون اليه وهذا مردود بان اصحاب الشيخ على التحقيق قد سلموا اقيادهم اليه فجوعهم وشبعهم واخذهم واعطاهم وانهم دخلوا معه دار التنزه وله وهو يعلم حالهم في هذا الوقت وانهم لا ضرورة لهم فيفعل فيه ما راه مصلحة وكم حكي مثل هذا عن الصالحين انهم يبقون الايام الكثيرة جياعا ولا يلتفتون ويأتيهم الله بما يالفون ويؤثر الشيخ به غيرهم لمصلحة هو اعلم بها منهم **قال** الامام رضي الله عنه **باب التوكل** قال الله سبحانه ومن يتوكل على الله فهو حسبه **قال** الشارح رضي الله عنه قال اهل التفسير كافيه ومعناه كانه لا يحتاج الى غيره **قال** الامام رضي الله عنه وقال الله تعالى وعلى الله فتوكلوا ان كنتم مومنين **قال** الشارح رضي الله عنه هذا امر بالتوكل وطلب له **قال** الامام رضي الله عنه انبانا الامام ابو بكر محمد بن الحسن ابن فورك رحمه الله انبانا عبد الله بن جعفر بن احمد الاصبهاني قال حدثنا يونس بن حبيب بن عبد القاهر قال حدثنا ابو داود الطيالسي حدثنا حماد بن سلمة عن عاصم بن بهدلة عن زر بن حبيش عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اريت الامم بالموسم فرايت امتي يملؤا السهل والجبل فاعجبني كثرتهم وهيئتهم فقيل لي ارضيت قلت نعم قال ومع هؤلاء سبعون الفا يدخلون الجنة بغير حساب لا يكتوون ولا يتطيرون ولا يسترقون وعلى ربهم يتوكلون فقام عكاشة بن محصن الاسدي فقال يا رسول الله ادع الله ان يجعلني منهم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اللهم اجعله منهم فقام اخر فقال ادع الله ان يجعلني منهم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم سبقك بها عكاشة **قال** الشارح رضي الله عنه هذا الحديث صحيح وهو انه صلى الله عليه وسلم راى النبي ومعه الرهط والنبي ومعه النفر اليسير والنبي ومعه الرجل والرجلان حتى راى جمعا عظيما فظنهم امته صلى الله عليه وسلم واذا هو موسى وامته فقال انظر وان مثل فقيل انظر الى الافق فاذا هو قد سد بوجوه الرجال ثم قيل له انظر الى الظراب فاذا هو قد سد بوجوه الرجال فقيل له هذه امتك ومع هؤلاء سبعون الفا يدخلون الجنة بغير حساب هم الذين لا يكتوون ولا يسترقون ولا يتطيرون وعلى ربهم يتوكلون

Copyright © King Saud University

الناس ثم فخرج

ثم نهض النبي صلى الله عليه وسلم فدخل بيته فخاض الناس فيهم فخرج النبي صلى الله عليه وسلم فأعلمهم بهذا
فقام عكاشة بن محصن الحديث وموضع الحاجة والاستشهاد لا انهم المتوكلون على ربهم
واما الرقى فان النبي صلى الله عليه وسلم رقى واسترقى وكان يرقي الحسن والحسين
ويعوذهما ورقاه جبريل صلى الله عليه وسلم واما الاكتواء فقد اكتوى بعض الصحابة وربما
يحتاج اليه ان دعت اليه حاجة في الطب وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم ايها الناس تداووا
فان الله لم يخلق داء الا وخلق له دواء الا الهرم وفي رواية الا السام وهو الموت واما الطيرة
فلا خير فيها وقد قال عليه السلام ليس منا من تطير ويحتمل ان يراد بالرقى رقى الجاهلية
فتكون الطيرة ورقى الجاهلية والكي الذي يعتاده اهل الجاهلية هو المذموم هذا وجه
الوجه الثاني الاعراض عن الاسباب بالكلية والتداوي وغيره اعتمادا على اختيار الله تعالى للعبد
وقد قيل لابي بكر الصديق رضي الله عنه في مرضه الا ندعوا لك طبيبا قال انه قد راني فقيل له
ما الذي قال لك قال اني فعال لما اريد وقال عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه لو كان شفاي عند عبد
اذني لما مددت يدي اليه وغير ذلك من الاقوال التي تدل على الاعراض عن الاسباب والاعتماد
على الله تعالى فان حقيقة التوكل هي الاعتماد على الله لا على الاسباب فان سكن العبد الى الاسباب
دون الله لم يكن متوكلا وان اعتمد على الله وتعاطى السبب لامر الله مع اعتماد قلبه على الله لا على
السبب فهو متوكل ولا يضره السبب وان كان الحديث له الله ومما يدل على الاعراض عن الاسباب قول
هود صلوات الله على نبينا وعليه فكيدوني جميعا ثم لا تنظرون اني توكلت على الله ربي وربكم
وقول شعيب عليه السلام وما توفيقي الا بالله عليه توكلت واليه انيب وقول النبي صلى الله عليه
وسلم لو توكلتم على الله حق توكله لرزقكم كما يرزق الطير تغدو خماصا وتروح بطانا اي تخرج من
اوكارها ومحل استقرارها غدوة لتطلب ارزاقها ولا تعرف جهة معينة فيرزقها الله من حيث
لا تحتسب وترجع الى اوكارها ممتلئة بطونها فلو علق العبد قلبه بالله وتصرف على امر الله
وفيما اذن له الله معتمدا بقلبه على الله لا على سببه لدخل فيما وعد بقوله ومن يتوكل
على الله فهو حسبه اي كافيه وزعم قوم ان التوكل ترك الكسب واخلاء اليدين من المال
وليس بصحيح وانما التوكل اعتماد القلب على الله وهو من اعمال القلوب واحوالها وثمرة صحة
اليقين لانه لا فاعل الا الله فاذا استقر هذا المعنى في القلب يقينا وتكلفه الانسان حتى صار
حالة للقلب غالبا عليه كان متوكلا وعلامة صحة حاله عدم تغيره عند تغير الاسباب
واضطراب النيل والسحاب ولذلك قال سفيان الثوري رضي الله عنه لو لم تمطر السماء ولم تنبت
الارض ووقع في نفسي اهتمام للرزق لظننت اني كافر وذلك ان الفقه الذي اليه صالحه لا يجاد
رزقه بغير هذه الاسباب فتقصيره عليها مع صلاحيتها لكل حكم غايته الزلل والخطا ونحن نرى
سنة الله تجري في قول المشايخ فيما ياتي على هذا التقرير ونبين مراد كل قائل منهم وهل اراد حقيقة او ثمرته

او سمو

او سموه ان شاء الله تعالى قال الامام رضي الله عنه سمعت عبد الله بن يوسف الاصبهاني رحمه الله
يقول سمعت ابا نصر السراج يقول سمعت ابا بكر الوجيهي يقول قال ابو علي الروذباري قال عمر
ابن سنان الحلي لي عن سهل بن عبد الله حكاية فقال انه قال علامة التوكل ثلاث لا يسال ولا يرد
ولا يحبس قال الشارح رضي الله عنه وهذا صحيح وعلامة التوكل ان لا يسال عند الحاجة احدا
من المخلوقين ولا يحبس ما حصل بيده خوفا من تاخير الرزق وتغيير المقسوم ولا يرد رزقا
يؤلم صاحبه برده فان النبي صلى الله عليه وسلم قال لعمر بن الخطاب لما كان يرد عليه عطاءه
يقول اعطه من هو افقر اليه مني قال له النبي صلى الله عليه وسلم ما اتاك من غير مسالة فخذه فانما
هو رزق رزقكه الله فكان عمر وابنه لا يردان شيئا اتاهما من غير مسالة قال الامام رضي الله
عنه سمعت الشيخ ابا عبد الرحمن السلمي رحمه الله يقول سمعت منصور بن عبد الله يقول سمعت ابا عبد الله الديلمي
عبد الله الشيرازي يقول سمعت ابا موسى الديلمي يقول قيل لابي يزيد رحمه الله ما التوكل
فقال ما تقول انت قلت ان اصحابنا يقولون لو ان السباع والافاعي عن يمينك ويسارك ما تحرك
لذلك سرك فقال ابو يزيد نعم هذا قريب ولكن لو ان اهل الجنة في الجنة يتنعمون واهل النار
في النار يعذبون ثم وقع لك تمييز عليهم خرجت من جملة المتوكلين قال الشارح رضي الله
عنه وذلك ان حقيقة التوكل هو الاعتماد على الله تعالى مع الاعراض عن الاسباب الا اذا امر الشرع
بها والعقارب والحيات هي اسباب موذية عادة فمتى قوي اليقين بانه لا فعل لغيره لم تلتفت
النفس للعقارب ولا للحيات فقوله هذا قريب صحيح له وانما ارتفع بهمته الى الجنة والنار
التي النار اشد عذابا والجنة افضل نعيم وثواب وكلاهما معمر باهله فقوله لو وقع لك تمييز
عليهم لخرجت عن التوكل ونحن نعلم ان هذا لاني اكبر نعيم وهذا لاني اشد عذاب فليس هذا
مراده وانما مراده بالتمييز اختيارا اختاره لنفسه لانه لا يعلم مصلحته في اي جهة منهما
لا في النعيم ولا في العذاب وهذا لا يصح في عذاب الاخرة الذي هو عقاب على الاجرام ولا في نعيم
الجنة الذي هو ثواب على ملازمة الاحكام وانما يحسن ذلك نظرا الى العذاب والنعيم من حيث
هو عذاب ونعيم مطلقا وانما ذكر عذاب النار من حيث كونه اشد عذاب وكذلك نعيم الجنة
من حيث هو اكبر نعيم والمراد انه لا يقع بهما تمييز من حيث كونهما جزاء على العصيان والطاعات
فان هذا التمييز والترجيح والتفرقة لابد منه شرعا وقد لا يرتاح بعمل ابراهيم الخليل وابي مسلم
الخولاني لان كان دخولهما في النار رحمة وبشرى فلذكرانه به في الدنيا والاخرة قال الامام رضي الله
عنه وقال سهل بن عبد الله اول مقام في التوكل ان يكون العبد بين يدي الله تعالى كالميت بين يدي
الغاسل يقلبه كيف اراد لا يكون له حركة ولا تدبير قال الشارح رضي الله عنه وهذا من علامات
المتوكل وذلك ان من علم كمال علم وكيل ربه المثل الاعلى بما يصلحه ويفسده وكان قادرا على تحصيل
ما يصلحه ودفع ما يفسده وكان كريما متفضلا بما يجريه عليه سكنت نفسه له بالكلية

وكذلك من وثق بمولاه واعتمد بقلبه عليه وكان بين يديه كالميت الذي لا حياة له ولا حركة
بل يرى في نفسه حركته كونه محركا في نفس تقلبه كونه مقلبا فقد استراح قلبه من هم التقدير
والاختيار والاهتمام به اوثقها عنه العالم بمصالحه ومفاسده الواحد القهار **قال**
الامام رضي الله عنه وقال احمد وقال التوكل هو الاعتصام بالله تعالى **قال** الشارح رضي الله عنه
ان اراد بالاعتصام الاعتماد بقلبه على ربه فجيد وان اراد به الثقة واليقين بوقوع المطلوب
فهذا راجع الى باب الرجاء وهو من اسباب التوكل **قال** الامام رضي الله عنه سمعت محمد بن الحسين
رحمه الله يقول سمعت ابا بكر محمد بن احمد البلخي يقول سمعت محمد بن حامد يقول سمعت احمد
ابن خضرويه يقول قال رجل لحاتم الاصم من اين تاكل فقال ولله خزائن السموات والارض ولكن
المنافقين لا يفقهون **قال** الشارح رضي الله عنه والسؤال من اين تاكل لا يخلو اما ان يكون
عن الجهة المعلومة ان العادة تجري الارزاق من الله بسببها او عن شك في مجريها فان كان شكا
في مجريها او غفلة عنه فقوله حاتم في الادب له جيد وان كان سؤاله عن بعض الاسباب المعتادة
ليعرف وجه فيقتدي به فيها فليس ما جرى على لسانه بجواب لسؤاله وقراين الاحوال محكمة
في بيان المراد والله اعلم **قال** الامام رضي الله عنه واعلم ان التوكل محله القلب والحركة بالظاهر
لا تنافي توكل القلب بعد ما تحقق العبد ان التقدير من قبل الله تعالى فان تعسر شيء فبتقديره
وان اتفق شيء فبتيسيره اخبرنا علي بن احمد بن عبدان رحمه الله قال انبانا احمد بن عبيد البصري
قال اخبرنا غيلان بن عبد الصمد قال حدثنا اسمعيل بن مسعود الجحدري قال حدثنا خالد بن
يحيى قال حدثني عمي المغيرة بن ابي قرة عن انس بن مالك قال جاء رجل على ناقة له فقال يا رسول
الله ادعها واتوكل فقال عليه السلام اعقلها وتوكل **قال** الشارح رضي الله عنه وهذا
اتى به رضي الله عنه مستدلا بان السبب لا ينافي التوكل ويمكن الجمع بينهما فان عقله
لها فعل بيده وتوكله على الله فعل قلبه واما قوله ان التوكل عمل القلب فقد بينا صحته واستدللنا
عليه واعمال الجوارح تبع له ولذلك قال بعضهم التوكل اضطراب بلا سكون وسكون بلا اضطراب
اي سكون الى الله تعالى بغير اضطراب الى الاسباب واضطراب الى الاسباب من غير سكون
اليها بل حركته فيها امتثال لامر ربه بها لا اعتمادا عليها **قال** الامام رضي الله عنه
وقال ابراهيم الخواص من صح توكله في نفسه صح توكله في غيره **قال** الشارح رضي الله عنه
هذا صحيح فان اصل التوكل وثمرته هو اليقين بانه لا فعل لغير الله سبحانه وان كل الخلق انما
تجري عليهم افعاله واختياراته وان اكساب العباد مخلوقة لله تعالى وكذلك متعلق كسبهم
مخلوق لله تعالى هذا هو مذهب اهل الحق والسنة قال تعالى خالق كل شيء والله خلقكم وما
تعملون وما تشاءون الا ان يشاء الله فاذا صح هذا المعنى في نفسه اطرد في ساير خلق الله لانهم
مثله في العجز والخلقة ولكنه يجب عليه الطلب والكسب تارة لعياله ولولده الصغير

او والده الفقير والفقيرين وهذا اذا فعله لحكم الشرع لا يخرجه عن توكله على الله وانما يغلط
في هذا الموضع من يعتقد ان التوكل ترك الكسب وينظر الى ثمرته في حق بعض الناس وهو لم
يامره الشرع بطلب ولا كسب ويكون وحده ولا حق عليه لغيره وقد رزق الصبر والقوة
على الجوع والعري والتيسير وقت الحاجة فلا حاجة لهذا الموقف للكسب في نفسه ولا
في غيره فلما راه الجاهل بحقيقة التوكل اعتقد ان التوكل ترك الكسب مطلقا بل الحق ان التوكل
اعتماد القلب على الله لا على غيره بل ولا على توكله ويكون الانسان في الفعل والترك متبعا للدليل
الشرعي كما ذكرناه **قال** الامام رضي الله عنه وقال بشر الحافي يقول احدهم توكلت على الله ويكذب
على الله لو توكل على الله رضي بما يفعل الله به **قال** الشارح رضي الله عنه وذلك ان من ثمرات التوكل
الرضى فمن اعتمد قلبه على الله وتحقق تفضله تعالى عليه واجرايه النعم لديه فرأى جميع
ما هو فيه نعمة مسداة من ربه اليه رضي بجميع ما يجريه الحق عليه فكل من لم يرض بما يجريه الحق
عليه لم يتمكن في توكله ولو تمكن لرضي بما يجريه عليه مما لم ينه عنه فانه لا يصح الرضى به وان
علم انه من الله فانه مامور بالبكا والتضرع والبعد من ذلك جهده وهذا هو سلوك طريق الحقيقة
والورع جميعا كما قال بعض العارفين من لا يطفي نور معرفته نور ورعه فلا تحمله علمه بان كل
شيء من عند الله على ترك الحذر لما حذره الله **قال** الامام رضي الله عنه وسيل يحيى بن معاذ
متى يكون الرجل متوكلا فقال اذا رضي بالله وكيلا **قال** الشارح رضي الله عنه وهذا صحيح
وقد سمى تعالى نفسه وكيلا فقال سبحانه وكفى بربك وكيلا فمن تحقق عنده العلم بتعلق علمه
تعالى بكل معلوم وسعة رحمته حتى عمت كل مرحوم وتحسس لانوار لطفه به في كل حال اعتمد
بقلبه عليه وتوكل في ساير الاحوال عليه **قال** الامام رضي الله عنه سمعت الشيخ ابا عبد الرحمن السلمي
رحمه الله يقول سمعت محمد بن علي بن الحسين يقول سمعت عبد الله بن محمد بن القاسم يقول
سمعت ابراهيم الخواص يقول بينا انا اسير في البادية واذا بهاتف يهتف فالتفتت اليه فاذا
اعرابي يسير فقال يا ابراهيم التوكل عندنا فاقم عندنا حتى يصح توكلك الا تعلم ان رجاءك
لدخول بلد فيه اطعمة يحملك اقطع رجاءك عن البلدان وتوكل **قال** الشارح رضي الله عنه
وهذا رحمك الله ليس اشارة الى ان التوكل لا يكون الا مع الاسباب انما المراد منه ان يمتحن العبد
نفسه في دعوى التوكل على الله والاعراض عن الاسباب وذلك ان الصحاري في الغالب منقطعة
عن الاسباب بخلاف البلدان والقرى فان النفس ساكنة فيها الى المعتاد من المعارف والاصحاب
فيكون هذا الذي راه اما ولي او ملك انباه الله تعالى بكلامه على الامتحان لتتعرف النفس التوكل
فان رات نقصا كمل وان رات صحة شكر **قال** الامام رضي الله عنه وسمعته يقول سمعت
محمد بن احمد الفارسي رحمه الله يقول سمعت ابن عطاء وسئل عن حقيقة التوكل فقال ان لا
يظهر فيك انزعاج الى الاسباب مع شدة فاقتك اليها ولا تزول عن حقيقة السكون الى

Copyright © King Saud University

الحق مع وقوفك عليها قال الشارح رضي الله عنه قد بينا غير مرة انهم يريدون بالحقيقة
غير الحد والحق اقتدا بسوال النبي صلى الله عليه وسلم لحارثة لما قال له كيف اصبحت
فقال حارثة مومنا قال له عليه السلام ان لكل حق حقيقة فما حقيقة ايمانك فاخبره
بقلبه حال الايمان على قلبه وهو الزهد في الدنيا ورؤية الجنة والنار والعرش واهوال
القيمة هذا هو متعلق الايمان نكد لاما نحن فيه لما سيل عن حقيقة التوكل ولم يسال عن حده
فانه حده كما تقدم اعتماد القلب على الله وحقيقته غلبة احوال المتوكلين على القلب وفسر
ذلك بان قال ان لا يظهر فيك انزعاج الى الاسباب مع شدة فاقتك اليها ومعناه
ان لا يظهر عليك تلون عالج الى الاسباب مع تغير الاحوال مع فقرك واحتياجك وكذلك
اذا تعاطيتها لا يعقلك تعاطيها عن اعتماد ذلك على ربك وسكونك اليه وهو معنى قوله ولا تزول
عن حقيقة السكون الى الحق مع وقوفك عليها قال الامام رضي الله عنه سمعت ابا حاتم
السجستاني رحمه الله يقول سمعت ابا نصر السراج يقول شرط التوكل ما قاله ابو تراب
النخشبي وهو طرح البدن في العبودية وتعلق القلب بالربوبية والطمانينة الى الكفاية
فان اعطي شكر وان منع صبر وكما قال ذو النون التوكل ترك تدبير النفس والانخلاع من الحول
والقوة وانما يقوي العبد على التوكل اذا علم ان الحق سبحانه يعلم ويرى ما هو فيه قال
الشارح رضي الله عنه شرط التوكل على التحقيق الذي اذا انتفى هو علم القلب بانفراد
الحق سبحانه بساير الافعال وكمال الرحمة لعباده واسباغ النعم على من يشاء منهم من غير تقدم
عمل منهم ولا اختيار فاذا صح هذا في القلب تعلق القلب بالربوبية وطرح بدنه في احكام العبودية
وهو الذي قاله ابو تراب مع الطمانينة الى الكفاية لانه سبحانه وعد بذلك بقوله
ومن يتوكل على الله فهو حسبه اي كافيه وكذلك اذا صح ما قررناه في قلب العبد ترك تدبير
نفسه واضاف تدبيرها للعالم بما يضرها وما ينفعها وتبرا من حوله وقوته واضاف ذلك
اليه لا اله غيره وكمال ذلك بدوام رويه العبد بقلبه نظر الحق اليه في ساير تقلبه وما هو
فيه بقلبه وجوارحه وانما يتحمل العبد ما يطرقه من الالام والاسقام وما يختلف عليه
مما سبقت به الاحكام بدوام الرويه لمن يجريها ويسببها وهو المختار لها ذو الجلال والاكرام
قال الامام رضي الله عنه سمعت محمد بن الحسين رحمه الله يقول سمعت ابا الفرج الورثاني
يقول سمعت احمد بن محمد الفرميسني يقول سمعت المكتاني يقول سمعت الكتاني يقول سمعت
ابا جعفر بن الفرجي يقول رايت رجلا يعرف بجمل عايشة من الشطار يضرب بالسياط فقلت
له اي وقت يكون الم الضرب عليكم اسهل قال اذا يكون من ضربنا لاجله يرانا قال
الشارح رضي الله عنه وهذه الحكاية فيها اشارة الى ما ذكرناه من ان العبد لا يحتمل الاعمال
الشاقة ويصبر تحت النوازل الصعبة الا اذا راى المبلي والممتحن وغلب على قلبه انه

بلغ عند تغير

لعله البدن

لايفعل

لا يفعل به الا ما هو صلاح له فيقوى نشاطه لحمله ويخف عليه كلفه وهو مراد الحكاية وان
كنا نستثقلها لعمر الاستثقال وانما سمي هذا الشاطر بجمل عايشة لكثرة ثبوته وصبره وما فيه
من الالم والضرب تشبيها بالجمل في الوقعة المعروفة قال الامام رضي الله عنه وسمعته يقول
سمعت عبد الله بن محمد يقول كان الحسين بن منصور لابراهيم الخواص ما ذا صنعت في هذه الاسفار
وقطع هذه المفاوز قال بقيت في التوكل اصحح نفسي عليه فقال الحسين افنيت عمرك في عمران
باطنك فاين الفنا في التوحيد قال الشارح رضي الله عنه هذا يدلك على ان البعد عن الاسباب
ودخول الصحراء بلا زاد والبعد عن الاوطان والاحباب انما يراد لامتحان التوكل لا لانه شرط
فيه ولما سال الحلاج الخواص عن تقطعه في الاسفار والبراري والسياحة فاجابه
بانه كان يعمل في تصحيح توكله وعدم التفات قلبه الى الاسباب وتعلق قلبه بالمسبب الذي
لا يفارقه ولا يتغير فاجابه الحسين افنيت عمرك في عمران باطنك بالاخلاق المحمودة وهو تصحيح
زهدك وتوكلك ورضاك وصبرك فاين فناوك في التوحيد واعراضك عن ذلك واستغراقك
به وعدم احساسك فنقله من حال رفيع الى ما هو ارفع منه وهكذا ينبغي ان يكون اهل
الخير اذا اجتمعوا نبه بعضهم بعضا وارشد بعضهم اما النقص يجبر او لكمال يقصد وينتظر
قال الامام رضي الله عنه سمعت ابا حاتم السجستاني رحمه الله يقول سمعت ابا نصر السراج
يقول التوكل ما قال ابو بكر الزقاق وهو رد العيش الى يوم واحد واسقاط هم غد وقال
وهو كما قال سهل بن عبد الله رحمه الله التوكل الاسترسال مع الله تعالى على ما يريد قال الشارح
رضي الله عنه وقوله التوكل رد العيش الى يوم واحد وهذا راجع الى قصر الامل فمتى قصر
امله فلت حوايجه ورجعت حوايجه الى تمشية وقته الذي هو فيه لا غير وهذا انه
يعني يغني حاصل وان كان تنبيه الاعراض عن هم غد فان قصر الامل يفيده وان فهم منه ان من
زال عنه هم غد ولا يتسبب له في الحق باتيه به لضمانه فهذا لا يفيده قصر الامل بل قصر الامل
بقصر نظر العبد على حاله الذي هو فيه ولا يلتفت لما ياتي من الزمان فان خطر له الحال في الاستقبال
رده بقصر الامل لا بالتوكل على الحق سبحانه واما قول سهل بن عبد الله التوكل الاسترسال مع
الله تعالى على ما يريد ففيه الشارة الى كمال مقام التوكل والدخول في مقام الرضى فان من
توكل على الله سبحانه في تيسير ما يحتاج اليه من مصالحه الدنيوية والدينية وصرف ما
يوذيه من الامور الدنيوية والاخروية ثم راى ذلك جاريا عليه من مولاه ثم توالى عليه
لطفه به في ساير ما يتعاطاه سلم لمولاه فترك ارادته واختياراته وجرى مع الحق رضا
بما يقدره عليه ويجريه في ساير حالاته وهو المعبر عنه بالاسترسال مع الحق بما يريد
قال الامام رضي الله عنه الشيخ ابا عبد الرحمن السلمي رضي الله عنه يقول سمعت محمد بن جعفر بن
محمد يقول سمعت ابا بكر البردعي يقول سمعت ابا يعقوب النهرجوري يقول التوكل على كمال الحقيقة

الحسين ن

Copyright © King Saud University

ما وقع لابراهيم عليه السلام في الوقت الذي قال لجبريل عليه السلام اما اليك فلا لانه غاب بنفسه
بالله تعالى فلم ير مع الله غير الله قال الشارح رضي الله عنه وهذا الكلام عال وهو قوله اعلى حقيقة
التوكل يعني على احوال المتوكلين ما جرى لابراهيم وهو انه مكتوف مربوط في كفة المنجنيق بين السما
والارض يهوي الى نار لم يتمكنوا من ايصاله اليها الا بكفة المنجنيق من شدة حرها ووقودها
فاتاه وهو في هذا الحال اعظم الاسباب وهو الملك المختص بالرسالة من رب الارباب الذي رفع
بلاد قوم لوط على جناحه فقلبها وبهلاك بامر ربه ما يشا ويصرف عنه جميع الالام ويدفعها
قال له الك حاجة فاعرض عن اعظم الاسباب في وقت اعظم المخاوف وتعلق برب الارباب
واجاب اما اليك فلا قال الامام رضي الله عنه وسمعته يقول سمعت سعيد بن احمد بن محمد يقول
يقول سمعت محمد بن احمد بن سهل يقول سمعت سعيد بن عثمان الخياط يقول سمعت ذا النون
المصري وساله رجل فقال ما التوكل فقال خلع الارباب وقطع الاسباب فقال السايل زدني
فقال القا النفس في العبودية واخراجها من الربوبية قال الشارح رضي الله عنه فاما قول
ذي النون خلع الارباب وقطع الاسباب فقوله خلع الارباب اشارة الى كل ما تعلق القلب به من
سوى الله كما قال صلى الله عليه وسلم تعس عبد الدنيا وعبد الدرهم وعبد القطيفة والخميصة
فجعله عبدا وجعلها له اربابا واما قطع الاسباب فهو اشارة الى كل سبب يعتمد العبد عليه في كل
ارب ومتى خلع العبد الارباب وقطع الاسباب ولم يبق له معتمد سوى رب الارباب فهو المتوكل
فقال له السايل زدني فقال القا النفس فقوله له القا النفس في العبودية اي تكون دايما في الاشتغال
بما امرت به وتجتنب عنه واخراجها من الربوبية اي سلبها عن القدرة على شي مما يتعلق بنفعها
او بضرها واضافة ذلك الى مالكها وخالقها فكلمه اولا رضي الله عنه بكلام رفيع عسر عليه
فهمه فلما قال زدني في البيان خاطبه على قدر فهمه فقال له اعمل بما امرك الله به
ونهاك عنه واخرج نفسك عن القدرة عن نفع نفسك او دفع ما يضرها بوجه من الوجوه
وهذا الكلام قريب الى فهم كل احد من الناس وهو ايضا يدل على انهم لا يتعرضون للتجريد
وانما يقصدون التعليم والتفهيم وتختلف الفاظهم باختلاف حال من يخاطبوه قال
الامام رضي الله عنه وسمعته يقول سمعت عبد الله بن محمد المعلم يقول سمعت عبد الله بن
المبارك يقول سمعت حمدون وسيل عن التوكل فقال ان كان لك عشرة الاف درهم
وعليك دانق دين لم تامن ان تموت ويبقى ذلك في عنقك ولو كان عليك عشرة الاف
درهم دين من غير ان تترك لها وفاء لا تايس من الله تعالى ان يقضيها عنك قال الامام الشارح
رضي الله عنه وهذا يرجع الى خوف المعاجلة قبل الخلاص من الحقوق لان قوله لو كان
لك عشرة الاف درهم وعليك دانق دين لم تامن ان تموت وهو في ذمتك فعجل قضاه ولا
تغتر واما قوله لو كان عليك عشرة الاف درهم دينا وليس عندك لها قضا لم تايس ان

يقضي

يقضي الله عنك فهذا يحتمل وجهين احدهما حسن الظن بالله ان يرضى عنه ارباب الديون في
الاخرة والثاني ان يقضي الله عنه ذلك في الدنيا وهذا يجيء من التوكل اللهم الا ان يريد انك اذا
تداينت فيما لا بد لك منه او في وجه من وجوه الطاعات اعتمادا على ان الله يقضي عنك
لانك اخذت في وجه يرضاه الله والحالة التوكل وهو اعتماد على الله في القضا في وقت
الاخذ وان لم يكن للشخص مال وشرطه ان يعرف ذلك من حاله ويكون احد له كما تقدم
قال الامام رضي الله عنه وسيل ابو عبد الله القرشي عن التوكل فقال التعلق بالله تعالى في كل
حال فقال السايل زدني فقال ترك كل سبب يوصل الى سبب حتى يكون الحق هو المتولي لذلك
قال الشارح رضي الله عنه فقوله التعلق بالله في كل حال جيد وهو اعتماد القلب على الله في كل
عمل دينا ودنيويا وهذا فيه كفاية لمن عقل فلما قال له زدني اي في البيان قال الاعراض عن كل
سبب يوصل الى سبب ومعناه ان تعرض بقلبك عن الاسباب بالكلية سوا كان السبب
مباشرا للمطلوب او يودي الى سبب اخر ينال به المطلوب فاجابه اولا بحقيقة التوكل
وعبر عنه بالتعلق بالله فلما لم يفهم قال له اعرض عن الاسباب في تحصيل مقصودك فهذا
عام في كل سبب اي اذا اعرض العبد عن الاسباب لزم عن ذلك تعلقه بالمسبب في تحصيل
مطلوبه قال الامام رضي الله عنه وقال سهل بن عبد الله التوكل حال النبي صلى الله عليه
وسلم والكسب سنته فمن بقي على حاله فلا يتركن سنته قال الشارح رضي الله عنه
وهذا الظاهر منه يدل على ان التوكل يضاد الكسب وان الشخص اذا لم يقدر على التوكل
اكتسب وايضا فان الكسب والتوكل جميعا هما سنة النبي صلى الله عليه وسلم وامره
عن الله تعالى وان كان بعض ذلك افضل من بعض في حال فان التوكل من اعمال القلب وهو
الاعتماد على الله تعالى وهذا عام في كل حال وفي كل عمل دنيوي واخروي وهو حال الانبيا
والاقويا من الاوليا الى ان يكون اشتغالهم بقلوبهم في تحصيل مقاصدهم افتقارهم اليه في
امورهم واعتمادهم عليه هذا هو الذي عبر عنه انه حال النبي صلى الله عليه وسلم وكل من لم
يصل الى هذا الحال الشريف وتعاطى الاسباب الشرعية في تحصيل مقصوده وسكنت
نفسه الى ما اجراه الله به من العادة في ربط المسببات بالاسباب وسبقت نفسه الى
هذه الامور العادية ولم يعتقد انها علة دون الله بل علم انها سنة الله في ان من حرث في
ارض طيبة قد رويت من الما حصل له النبات وكذلك من تجر حصلت له الفوايد الى غير ذلك
من الاسباب العادية فهو ساع فيما شرع له والحمد ما لم تسكن نفسه الى الاسباب وابح
ويعرض عن المسبب وانما تعاطاها لان سنة الله جرت على ما هي عليه في عوايد فهذا
هو المعبر عنه فلا يتركن سنته وروح هذه الوصية ان القوم لم يبلغوا مقام التوكل
على التحقيق ولم يتعاطوا الارزاق بالوجوه المشروعة وتذرعوا بالكسل وركبوا

Copyright © King Saud University

طريق ترك العمل والقناعة لا اخذ الرزق من كل وجه قاله بالسؤال وقاله بالحيل قال الامام رضي الله عنه وقال ابو سعيد الخراز التوكل اضطراب بلا سكون وسكون بلا اضطراب قال الشارح رضي الله عنه وهذا كلام بالغ في التحقيق وذلك ان العبد لا يزال ساكنا الى الله بقلبه معتمدا عليه لا يلتفت الى سبب ولا يضطرب قلبه عند تغيره فهذا معنى قوله سكون فلا اضطراب واما قوله اضطراب بلا سكون فلان الحق سبحانه قد يوجب على العبد الكسب والطلب في بعض الاوقات والسعي لتحصيل الارزاق لنفسه او للاولاد والاباء والامهات فيتحرك في الطلب ولا يسكن الى السبب ويكون ساكنا الى الله تعالى فهذا معنى قوله اضطراب بلا سكون اي يضطرب فيها للامر ولا يسكن اليها بل للحق قال الامام رضي الله عنه وقيل التوكل ان يستوي عندك الاكثار والتقلل قال الشارح رضي الله عنه وهذا من علامات المتوكلين انهم اذا ضيق عليهم وقتر لا يتغيروا ولا ينقلقوا واذا اوسع عليهم لم يبخلوا وانفقوا فهذه امارات المتوكل على الله الذي لا يتغير كما قال النبي صلى الله عليه وسلم لبلال انفق بلال ولا تخش من ذي العرش اقلالا قال الامام رضي الله عنه وقال ابن مسروق التوكل الاستسلام لجريان القضاء والاحكام قال الشارح رضي الله عنه وهذا اعلى مقامات التوكل فان من انتهى في التوكل سلم الامر الى الله وفرضه اليه وترك اختياراته عليه فان المتوكل له ان يختار شيئا من الاشياء وحالا من الاحوال ويعتمد بقلبه على الله في تحصيل ما اختاره ولا يخرجه ذلك عن التوكل لكونه معتمدا على الله في التحصيل ولكنه اذا توالت عليه من الله الالطاف وراى حسن اثار ذلك فيه بعد بالتفضل والاسعاف سلم الامور كلها اليه وترك اختياراته وفوض اليه فهذا مراده وهو اعلى مراتب المتوكلين قال الامام رضي الله عنه سمعت محمد بن الحسين رحمه الله يقول سمعت عبد الله الرازي يقول سمعت ابا عثمان الحيري يقول التوكل الاكتفاء بالله تعالى مع الاعتماد عليه قال الشارح رضي الله عنه وهذا من باب حذف المضاف واقامة المضاف اليه مقامه ومراده الاكتفاء بتدبير الله والاعتماد عليه قال الامام رضي الله عنه وسمعته يقول سمعت محمد بن محمد بن غالب يحكي عن الحسين بن منصور قال المتوكل المحق لا ياكل وفي البلد من هو احق به منه قال الشارح رضي الله عنه وهذا او نحوه الذي من علامات المتوكلين الواثقين بان الله سبحانه لا يضيعهم فيؤثرون على انفسهم المحتاج لا خوانهم الضرورية في جميع ما يرد عليهم اعتمادا على ان الحق لا يضيعهم لما علموه من حسن صنيعه بهم اما بقوة تغنيهم او ببدل عما اخرجوه بايثارهم قال الامام رضي الله عنه وسمعته يقول سمعت عبد الله بن علي يقول سمعت منصور بن احمد الحربي يقول حكى لنا ابن ابي شيخ قال سمعت عمر بن سنان يقول اجتاز بنا ابراهيم الخواص فقلنا له حدثنا باعجب ما رايت في اسفارك قال لقيني الخضر فسالني الصحبة فخشيت ان يفسد علي توكلي لسكوني اليه ففارقته قال الشارح رضي الله عنه وهذا كمال في مراعاة حاله مع الله تعالى وحفظه

المقام

مسروق

لبه

لمقام التوكل عليه وذلك لان الخضر رضي الله عنه اما نبي او ولي على اختلاف فيه ومن صحبه هذه صفته سكنت نفسه اليه لانه اي شيء طلبه من الله حصل والخواص عامل بقلبه مع الله تعالى ان لا يتعلق بغيره فلما لقي الخضر وامتحنه الله به والا فالخضر مستغن عن صحبته لكمال رتبته وانما الله امتحن الخواص في دعوى مقام التوكل عليه لا الى سبب فامتحنه باعظم سبب ثم ثبته على ما قصده وطلب ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء وليس ذلك بعجيب قال الامام رضي الله عنه وسئل سهل بن عبد الله عن التوكل فقال قلب عاش مع الله تعالى بلا علاقة قال الشارح رضي الله عنه فكانه سئل كيف حال قلب المتوكل لان التوكل من اعمال القلوب فاجاب قلب عاش مع الله بلا تعلق بغيره اي اعتمد على الله من غير تعلق بغيره قال الامام رحمه الله عنه سمعت الاستاذ ابا علي الدقاق رحمه الله يقول للتوكل ثلاث درجات التوكل ثم التسليم ثم التفويض فالمتوكل يسكن الى وعده وصاحب التسليم يكتفي بعلمه وصاحب التفويض يرضى بحكمه قال الشارح رضي الله عنه وقد دخل هذا الامام في التوكل ما هو اعلى منه وسماه توكلا وهو التسليم والتفويض وذلك ان التوكل لا يباعده الاختيار مع اعتماد القلب على الله في تيسير ما اختاره المتوكل والمسلم والمفوض خرجا عن اختيارهما وسلما وفوضا الامور الى الله يفعل بهما ما هو صالح لهما وقوله المتوكل يسكن الى وعده اشارة الى قوله تعالى وما من دابة في الارض الا على الله رزقها والمسلم يكتفي بعلم الله بحاله فهو يعلم ما هو فيه والمفوض رضي بكل ما يجريه عليه وافق عرضه او خالف قال الامام رضي الله عنه وسمعته يقول التوكل بداية والتسليم وساطة والتفويض نهاية قال الشارح رضي الله عنه فالتوكل اعتماد والتسليم راحة وزيادة والتفويض جريان مع على وجه السداد قال الامام رضي الله عنه وسئل الدقاق عن التوكل فقال الاكل بلا طمع قال الشارح رضي الله عنه يعني والله اعلم انه لا تتشوف نفسه لغير ما ياكله في الوقت وثوقا بلطفه به في كل حال فقد نفى عن نفسه الطمع في الاستقبال قال الامام رضي الله عنه وقال يحيى بن معاذ لبس الصوف حانوت والكلام في الزهد حرفة وصحبة القوافل تعرض وهذه كلها علاقات قال الشارح رضي الله عنه وهذه من فضل الله تنبيهات منه واشارات الى قطع التعلق بالاسباب فان العبد يكون متعلقا بها وهو لا يشعر ويعتقد انه قد صح اعتماده على الله ونفسه ساكنة الى غيره فاشار رضي الله عنه الى ان العباد البرك الصالحين وهو الصوف فقد تسبب واذا صحب القوافل في الاسفار بغير حمل زاد فقد تسبب وسكن اليهم فانهم لا يتركونه غالبا واذا تكلم في الزهد ورجحه وكثر الكلام فيه دلهم ذلك على انه لا شيء عنده وهو متخلق بما يقول من الزهد وهذا النوع سبيل التفويض لا الكرامة والصلة بخلاف غيره من الفقراء فيهون عليهم دفع الاموال الكثيرة له ولا يخرجون لغيره ممن يعرفون فقره درهما واحدا قال الامام رضي الله عنه وجاء رجل الى الشبلي يشكو اليه

كثرة العيال فقال ارجع الى بيتك فمن ليس رزقه على الله تعالى فاطرده عنك قال الشارح
رضي الله عنه وهذا حسن جميل في تنبيه الغافلين من المؤمنين وذلك ان هذا الشخص
الذي شكى الضايقة مومن بان الله هو الرزاق ولكنه قلق وغفل لما امتحن به من الاملاق حتى
حمله ما هو فيه الى ان اتى الى الشبلي ليجد راحة اما بالدعا او بغيره من الاسباب فاراد
الشبلي ان يرده الى اصل ايمانه ويذكره بما يفرغ قلبه من همّ نفسه وغيره فقال له ارجع الى
بيتك فمن كان رزقه على الله اطرده عنك ومن هذا القبيل ما حكي ان امراه سافر عنها زوجها
ولم يدع لها شيا فجاء جاراتها يتغممن لها لكونه لم يدع لها شيا فقالت لهن كان فلان اكالا
ولم يكن رزاقا فنا ان ينبهوا على لسان غيرهم وتارة ينبهوا من انفسهم لينبهوا غيرهم قال
الامام رضي الله عنه سمعت الشيخ ابا عبد الرحمن السلمي رحمه الله يقول سمعت عبد الله بن علي
يقول سمعت احمد بن عطا يقول قرات على محمد بن الحسين قال سهل بن عبد الله من طعن في الحركه
فقد طعن في السنه ومن طعن في التوكل فقد طعن في الايمان قال الشارح رضي الله عنه وهذا
صحيح فان الله سبحانه شرع التسبب لعباده والكسب وحفر النبي صلى الله عليه وسلم الخندق
ولبس درعين وتحصن المسلمون بالعدد وحملوا الازواد في الاسفار وقال تعالى واعدوا
لهم ما استطعتم من قوة فمن زعم ان التوكل لا يصح مع الكسب خالف سنه الله وسنه
رسوله وهذا معنى قوله فقد طعن في السنه واما من زعم ان الحق سبحانه يفعل ما يشا
بسبب وبغير سبب ويهلك الاعدا وينتصر منهم كما قال تعالى ولو يشا الله لانتصر منهم
ولكن ليبلو بعضكم ببعض فقد طعن في التوحيد وهو انه اشرك معه في الفعل غيره فالحق
ان لا فاعل الا الله والخلق ممتثلون لامر الله ناظرون الى قدرته في نفس تسببهم وهذا هو الجريان
على الصراط المستقيم في الدنيا قبل الاخرى الذي هو احد من السيف وادق من الشعر ان يكون
العبد مكتسبا متبريا من الحول والقوه ومطيعا راى فضل الله عليه في نفس طاعته وخلقها
له في توفيقه وتسديده فيها قال الامام رضي الله عنه وسمعته يقول سمعت احمد بن
علي بن جعفر يقول سمعت جعفر الخلدي يقول قال ابراهيم الخواص كنت في طريق مكه فرايت
شخصا وحشيا فقلت جني ام انسي فقال جني فقلت له اين فقال الى مكه فقلت بلا زاد فقال نعم
فينا ايضا من يسافر على التوكل فقلت اين التوكل فقال الاخذ من الله تعالى قال الشارح رضي الله
عنه المنصوص في كتاب الله تعالى ايمان الجن لقوله تعالى قل اوحي الي انه استمع نفر من الجن الى
قوله فامنا به ولن نشرك بربنا احدا وهذه هي اصل التوكل التي عليها مداره في حق الجن
والانس فكل من قوي ايمانه بعد قوي توكله ولهذا قال تعالى وعلى الله فتوكلوا ان كنتم مومنين
وقوله منا من يسافر على التوكل يعني معتمدا على الله لا على غيره وقوله الخواص ما التوكل فاجابه
هو الاخذ من الله معناه رويه الفضل منه لا سيما وقد علم النبي صلى الله عليه وسلم كما

تنبيه

روي

روي في الخبر الصحيح نعم الجن حين نصيبين سالوني فدعوت الله تعالى لهم ان لا يمروا على عظم الا وجدوا
عليه قوتا فقد يسر لهم ارزاقهم بلا كلفه واستغنوا عن الحمل وقد نقل ان جماعه فيهم ابراهيم
ابن ادهم وغيره من الصالحين مضوا الى مكه فنزلوا في بيت فقالوا نكون نخدم البيت وما يصلحنا
من الما وغيره على واحد منا كل يوم والبقيه يتصرفون في عباداتهم ومنافعهم قال فلندخل
داخل البيت وقال ها هنا ابراهيم بن ادهم فقبل له هذا منزله ولكنه مضى في بعض حوايجه
فلما كان في وقت اخر رجع اليهم والرجل معهم وكان رجلا طويلا اسمر في رجليه خفان فعلق
مزودا كان معه بوتد ولم يزل معنا اياما فاذا جاوزت الطعام اخذ مزوده وانفرد به
في زاويه ولا يعارضه ابراهيم فلما كان بعد ايام قال لا ابراهيم ما انا الا مسافر غدا ثم خرج
فقال بعض اصحابنا والله لا نظرن في هذا المزود الذي ينفرد به هذا ولا ياكل معنا ولا يعارضه
ابراهيم ففتح المزود فاذا فيه عظام فاعاد رباطه وعلقه في موضعه فلما رجع ذلك الشخص
اخذ مزوده فانكر رباطه ونظر في وجوهنا كالمتغيظ ثم اخذه ومضى فلما رجع ابراهيم
قال له بعضنا يا ابا اسحق ما اعجب حال هذا الرجل الذي كان عندنا ولقد فتح فلان مزوده
فاذا فيه العظام فتغيظ ابراهيم على ذلك الرجل الذي فتح المزود وقال له ما اظنك تصحبنا
بعد هذا لم فتحت مزوده ذلك الرجل من مومني الجن واخاني في الله ولا اكون في بلد الا جا
معي يعينني ويونسني قال فمرض ذلك الرجل وتوفي بعد ايام قال الامام رضي الله عنه
وسمعته يقول سمعت ابا العباس البغدادي يقول سمعت الفرغاني يقول كان ابراهيم
الخواص يجرد في التوكل ويدقق فيه وكان لا تفارقه ابره وخيوط وركوه ومقراض
فقيل له يا ابا اسحق لم تحمل هذا وانت تمتنع من كل شي فقال مثل هذا لا ينقض التوكل لان الله
سبحانه علينا فرايض والفقير لا يكون عليه الا ثوب واحد فربما يتخرق فاذا لم يكن معه
ابره وخيوط تبدو عورته فتفسد عليه صلاته واذا لم يكن معه ركوه تفسد عليه
طهارته واذا رايت الفقير بلا ركوه ولا ابره ولا خيوط فاتهمه في صلاته قال
الشارح رضي الله عنه وهذا وقد كان الله هو التحقيق وهو ان العبد يفعل ما امره الله بفعله
وان احتاج ذلك الفعل الى سبب حصل اسبابه لئلا يكون مفرطا فيه وهذا لا يناقض
توكله بوجه فان الذي توكل عليه امره به فاذا كان المتوكل انما يتم فيمن علم اقتدار الوكيل
وكمال علمه وسعه فضله ورحمته فاذا كان هذا هو اصل التوكل وبه يصح الاعتماد فاذا
امر الوكيل من توكل عليه علامته ثبتت وكيف فلو خالف لم يكن متوكلا فان امره
له زياده على ما علمه من بها اوجب توكله عليه قال الامام رضي الله عنه سمعت
الاستاذ ابا علي الدقاق رحمه الله يقول التوكل صفه المومنين والتسليم صفه الاوليا
والتفويض صفه الموحدين فالتوكل صفه العوام والتسليم صفه الخواص والتفويض صفه خاص

الخاص قال الشارح رضي الله عنه فقوله التوكل صفة العوام لم يعن عوام المومنين وانما عني
عوام الخواص السالكين لنيل مقام التوحيد فانهم على ثلاث درجات متوكل يرى السبب ويعتمد
على الله في تيسيره وراى مسلم الى الله تعالى سابر اموره وموحد صارت نفسه محلا لجريان
قدرته فيه لكمال تفويضه فبهذا الاعتبار جعلهم عوام وخواص وخواص الخواص والا
كلهم خواص وما نال رتبه التوكل من المومنين الا خواصهم وقد قال ابو سليمان الداراني مع كمال
فضله للتلميذه يا احمد اما شيخك فقد نال من هذه المقامات اكثرها الا هذا التوكل المبارك
فانما ادركته بمشام الريح وهذا يدل على رفعه المقام وقد تقدم انفا تسميه بعضهم التفويض
والتسليم توكلا وقسم التوكل على ثلاث درجات وانما تجري كلامهم على حسب الوقت ومن يخاطبون
قال الامام رضي الله عنه وسمعته يقول التوكل صفة الانبياء والتسليم صفة ابراهيم عليه
السلام والتفويض صفة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم قال الشارح رضي الله عنه لا خلاف ان نبينا
صلى الله عليه وسلم افضل الانبياء وان الانبياء لجلالتهم فضلا بالغوا في صفات الكمال من التوكل والتسليم
والتفويض والرضا فاذا كان جميعهم كاملين في هذه المعاني فتخصيص بعضهم ببعضها دون
بعض يحتاج الى ادله شرعية وانما ياتي التفضيل مع الاشتراك بتفاوتهم في كل مقام فان اراد
غلبه بعض المقامات على قلب بعض الانبياء وان كان غيره مشاركا له في المقام كما جرى
للخليل صلوات الله على نبينا وعليه في التسليم لما قال له جبريل الك حاجه قال اما اليك
فلا وما جرى مجراه فقد يقوى الله تعالى بعض انبيائه على بعض في حالة دون حاله وكلهم
فضلا وقد قال تعالى تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض منهم من كلم الله ورفع بعضهم درجات
وقال قد صلى الله عليه وسلم انا سيد ولد ادم ولا فخر وقد ثبتت الشفاعه له والمقام المحمود
دون غيره صلى الله عليه وسلم وعلى اله وقال صلى الله عليه وسلم لا تفضلوني على يونس بن متى
وقال لو لبثت في السجن ما لبث يوسف لاجبت الداعي وقال نحن احق بالشك من ابراهيم اي
اذا كنا نحن لا نشك فابراهيم اولى ان لا يشك فالتعرض للكلام في درجات الانبياء فيه شكل
ويكفيني ما جاء في ذلك من الشرع الشريف عن النبي صلى الله عليه وسلم للتمثيل بغيرهم اولى قال
الامام رضي الله عنه سمعت محمد بن الحسين يقول سمعت ابا العباس البغدادي يقول سمعت
محمد بن عبد الله الفرغاني يقول سمعت ابا جعفر الحداد يقول مكثت بضع عشرة سنه
اعتقد التوكل وانا اعمل في السوق اخذ كل يوم اجرتي ولا انتفع منها بشربه ولا بدخله
حمام وكنت اجي باجرتي الى الفقرا في الشونيزيه واكون على حالي قال الشارح رضي
الله عنه وهذا بالغ في تحقيق حال التوكل وذلك انه رضي بالسبب والاستغنا به انقطاعه
عن الناس عن صلته ومساعدته لاعتقادهم استغناه بكسبه فاذا عمل الرجل على
هذا الوجه تصدق بكسبه على الصالحين وبقي ينتظر فتح ربه ولا سيما اذا اعتقد الصالحون

انه

انه مستغرق عما اتى به اليهم فلا بد عونه للاكل معهم وهو نفسه لا يجلس اعتمادا على ما يجريه الله عليه
ويريه من افعاله الذي يعلم سره وعلانيته وما تحققه من توكله عليه فهذا غايه في تحقيق اليقين
والتوكل فانه شغل نفسه باعظم الاسباب وجعل بينه وبين الناس سترا محا به على قلبه من الالتفات
فطوبى له وحسن ماب قال الامام رضي الله عنه وسمعته يقول سمعت ابا بكر محمد بن عبد الله بن شاذان
يقول سمعت الخواص يقول سمعت الحسن اخا سنان يقول حججت اربع عشرة حجة حافيا على
التوكل فكان يدخل في رجلي شوكه فاذكر اني قد اعتقدت على نفسي التوكل فاحكها في الارض وامشي
قال الشارح رضي الله عنه وهذا وفقك الله قد اعتقد ان لا يدفع عن نفسه ضررا بل وكل الامور
فيما يضره وينفعه الى الله تعالى وهذا انما يصح فيما لا يودي الى ضرر شيء من اعضايه ولكن شيء يولمه
وقتا ويهدا المه بعد ذلك والا لو دخلت في رجله شوكه مما يمنعه المشي وتخشى ان شربت
ما تعطلت عليه منفعتها لم يهمل ذلك وله الادخال احكها بالارض وامشي وما يحك بالارض ويمشي
الا الشوك الخفيف الذي ينكسر ولا يضره والا لو كان شوكا قويا لتمكن دخوله في رجله تحكه
في الارض وعسر اخراجه من رجله ويماصر به وهذا كله تربيب وانما هي خواطر تخطر لبعض
الصالحين القاصدين لتحصيل مقام التوكل والاعراض عن الاسباب والله اعلم الله صدقهم
حفظهم عما يضرهم وصانهم ووفا بقوله تعالى ومن يتوكل على الله فهو حسبه قال الامام رضي الله
عنه وسمعته يقول سمعت محمد بن عبد الله الواعظ يقول سمعت خير النساج يقول سمعت ابا حمزه
يقول اني لاستحيي من الله ان ادخل الباديه وانا شبعان وقد اعتقدت التوكل لئلا يكون سعيي
على الشبع فاذا ما تزوده قال الشارح رضي الله عنه وهذا يدل على كمال المعرفه بالله تعالى
ودوام مراقبته والتحسس لدوام رويته للعبد فاذا قال في قلبه يا رب انا معتمد عليك
دون غيرك وهو يعلم ان الله تعالى يعلم ما في قلبه وهل هو معتمد عليه على التحقيق او على ما حصل
في بطنه من الزاد على سلوك الطريق فكان يحصل منه الحياء الخجل اذا دخل الصحرا معتقدا انه
على الله اعتمد خشي ان يكون من الكاذبين لكونه اعتمد على ما حصل في محتده من الزاد ولذلك
كان استحياوه قال الامام رضي الله عنه وسيل حمدون عن التوكل فقال تلك درجه لم ابلغها بعد
وكيف يتكلم في التوكل من لم يصح له حال الايمان قال الشارح رضي الله عنه وهذا من باب الاشفاق
على النفس بان تدعي ما تكلفت فيه من المقامات ويفهم عنها انه حالها فيكون ذلك سببا لمنع
الله اياها المقام الذي تكلمت فيه ان ادعته من غير تحقيق فلذلك لما سيل عن التوكل تكلم
قبل الجواب تلك الدرجه لم ابلغها وكيف يتكلم في التوكل من لم ينل حال الايمان وحال الايمان
كما تقدم في حال حارثه لما ساله النبي صلى الله عليه وسلم عن الايمان فقال له اصبحت مومنا
حقا فقال له لكل حق حقيقه فما حقيقه ايمانك فاخبره بغلبه حال الايمان على قلبه فاد
الايمان مضمنه زوال الدنيا ورويه الاخرى بعين القلب فاخبره انه استوى عنده ذهب الدنيا

Copyright © King Saud University

ومدرها ومشاهده الجنه والنار ورويه اهلها فيهما وبروز العرش ذا الطوق بسموات
محال الايمان عليه مستعلو الايمان على قلبه كانه يشاهده بعين راسه وهذا حال الايمان فاما
اصل التوكل فهو العلم واليقين بانفراد الحق سبحانه بالافعال وخروج غيره عن جلب نفع او دفع
ضر ولو في دره من مثقال فاذا تحقق هذا المعنى في القلب جرت احوال التوكل على المتوكلين
والا فقد تكلم العبد في المقامات بقصد البيان والتعليم ويحاف فيه الله في دعواه في ذلك التسليم
في كل حال سفيح الامام رضي الله عنه وقيل المتوكل كالطفل لا يعرف شيا ياوي اليه الا ثدى
امه كذلك المتوكل لا يهتدي الا الى ربه الشارح رضي الله عنه اي لا يكون له نظر ولا اختيار
ولا قدره له على دفع ما يضره ولا جلب ما ينفعه الا من جهة امه وكذلك رجوعه الى ما يغتذي به
لا يعرفه الا من ثدي امه ووجه هذا المثل ان المتوكل رجوعه في سائر احواله الى الله لا الى غيره
الامام رضي الله عنه وعن بعضهم قال كنت في البادية فتقدمت القافلة فرايت قدامي
شخصا فتسارعت حتى ادركته فاذا هو امراة في يدها عكازة تمشي على التوده فظننت
انها اعيت فادخلت يدي في جيبي فاخرجت عشرين درهما فقلت خذيها وامكثي حتى تلحقك
القافلة فتكتري بها ثم ايتيني الليلة حتى اصلح امرك فقالت بيدها هكذا في الهوى فاذا في كفها
دنانير فقالت لي انت اخذت الدراهم من الجيب وانا اخذت الدنانير من الغيب
الشارح رضي الله عنه ووجه تعلق هذه الحكاية بالتوكل ان هذا الرجل عنده من التوكل على الله
تعالى وحسن الخلف عليه ان دفع لهذه العجوز في مثل هذه البريه المنقطعه عشرين درهما
نقره ووعدها بان يصلح من حالها زياده هذا دليل على كمال يقينه وحسن اعتماده على ربه
في العوض فاراد الله تعالى ان يعوضه على العور بان يرى بيقينه واراه خوارق العادات
ان امراة ضعيفه اخذت الدنانير من الغيب وقالت له انت اخذت الدراهم من الجيب وانا اخذتها
من الغيب فزاده ذلك صحة يقين واعتمادا على الله تعالى واستحقار الاعماله بالاضافه الى
جزائه في نيل الاخر الامام رضي الله عنه وراى ابو سليمان الداراني رحمه الله رجلا
لا ياكل شيا الا شربه من ماء زمزم فمضى عليه ايام فقال له ابو سليمان ارايت لو غارت
زمزم ايش تشرب فقام وقبل راسه وقال جزاك الله خيرا حيث ارشدتني فاني كنت اعبد
زمزم منذ ايام ومضى الامام رضي الله عنه وهذا وفقك الله من كمل الانصاف وكمل
التواضع والانقياد للحق وتوبيخ النفس على السكون لغير الله وذلك ان هذا الرجل الكبير
الذي كان يكتفي بماء زمزم عن الطعام اعتمادا على انه لما شرب له كما جاء في الحديث وخرق عاده
اجراها الله له كرامه فاستغنى بذلك وجاور الحرم الشريف وبيت الله اكتفاء بذلك فلما
اشتهر بعد ذلك وعرفه الناس به وبلغ ابا سليمان فرقبه حتى تحقق امره اراد ابو سليمان رضي الله
عنه ان تخبره او ينقله لما هو اعلى من حاله ان احتاج اليه فاتاه ابو سليمان وتحدث معه

لشارح

في حاله ثم قال له ارايت لو غارت زمزم اي شي كنت تصنع فتنبه ذلك الرجل الى ان نفسه
كانت ساكنه لحاله قانعه به فقام وقبل راس ابي سليمان وقال جزاك الله خيرا حيث
ارشدتني فاني كنت اعبد زمزم منذ ايام ومضى الشارح رضي الله عنه وهذا وفقك الله
من اكمل الانصاف واكمل التواضع والانقياد للحق وتوبيخ النفس على السكون لغير الله وذلك ان هذا
الرجل الكبير الذي كان يكتفي بماء زمزم عن الطعام اعتمادا على انه لما شرب له كما جاء في الحديث وخرق
عاده اجراها الله له كرامة فاستغنى بذلك وجاور الحرم الشريف وبيت الله اكتفاء بذلك فلما
اشتهر بعد ذلك وعرفه الناس به وبلغ ابا سليمان فرقبه حتى تحقق امره اراد ابو سليمان رضي الله
عنه ان تخبره او ينقله لما هو اعلى من حاله ان احتاج اليه فاتاه ابو سليمان وتحدث معه
في حاله ثم قال له ارايت لو غارت زمزم اي شي كنت تصنع فتنبه ذلك الرجل الى ان نفسه
كانت ساكنه لحاله قانعه به فقام وقبل راسه كانت نفسي متعلقه به ساكنه الى غير الله ولذلك
اطلق عليها انها كانت تعبد زمزم تجوزا كما قال صلى الله عليه وسلم تعس عبد الدينار وعبد
الدرهم والخميصه والقطيفه الامام رضي الله عنه وقال ابراهيم الخواص رايت في طريق
الشام شابا حدثا حسن المراعاه فقال لي هل لك في الصحبه فقلت اني اجوع فقال ان جعت
جعت معك فبقينا اربعة ايام وفتح علينا بشي فقلت هلم فقال الشاب اعتقدت ان لا اخذ بواسطه
فقلت يا غلام دققت فقال يا ابراهيم لا تتبهرج فان الناقد بصير بالله والتوكل ثم قال اقل التوكل
ان ترد عليك موارد الفاقات فلا تسمو نفسك الا الى من اليه الكفايات الشارح رضي الله
عنه وهذا من الطراز الاول وهو ان الله سبحانه يؤدب الكبار بالصغار في السن ويودب الرجال
بالعجائز ليتحقق كل صادق ان الطاف الله تعالى ونعمه لا تنحصر ولا تنضبط في جهة من الجهات
وابراهيم الخواص من كبار الاولياء فاراه الله تعالى في سفره هذا الشاب فساله الشاب في الصحبه
فذكر ابراهيم انه ممن يجوع اعتمادا على ما عوده الله عز وجل من اللطف والقوه فقال له الشاب
ان جعت جعت معك ان شا الله فلما اتى ما اربعه ايام بلا اكل ولا شرب فتح عليهما بشي فقال ابراهيم
للشاب هلم اي كل فقال الشاب ويل الله ان لا ادخل بواسطه اي انت واسطه وابي ان ياكل
فاراد الله سبحانه ابراهيم الخواص مع كمال قوته ورفيع حالته من حاله اقوى من حاله
ليتواضع في حاله ويتادب مع ربه وقوله ابراهيم دققت اي دققت في الكلام في التوكل
قال يا ابراهيم لا تتبهرج اي لا تمدحني فان البهرجه ستر ثم قال بالله والتوكل فان اقل
درجات التوكل ان ترد عليك موارد الفاقات فلا تسمو نفسك الا الى الله واذا كان هذا
اول مقامات التوكل ان يسبق القلب شديد الصدمات الى الله لا الى غيره فكيف يكون
العبد متوكلا اذا لم ياخذ بواسطه وهو الرجوع الى الله تعالى لا الى غيره ولهذا قال له لا تتبهرج
اي لا تطريني فانما انا في اول المقام لا في اعلاه الامام رضي الله عنه وقيل التوكل نفي

الشكوك والتفويض إلى مالك الملوك **قال** الشارح قد تقدم غير مرة أن التسليم والتفويض أعلى من
التوكل وربما يجوز إطلاق اسم التوكل عليهما كما تقدم لكونهما من ثمراته وأما نفي الشكوك فلا بد منه
بالكلية فإن التوكل إنما يكون عن قوة اليقين وهو بعيد عن الشكوك بالكلية **قال** الإمام رضي الله عنه
وقيل دخل جماعة على الجنيد رحمه الله فقالوا أين نطلب الرزق فقال إن علمتم أنه ينساكم فذكروه
فقالوا ندخل البيت ونتوكل فقال التجربة شك فقالوا فما الحيلة قال ترك الحيلة **قال** الشارح رضي الله
عنه وهذا كلام بالغ في تعليم التوكل سواء وجدت الأسباب أو لم توجد وذلك أن قوله إن علمتم أين هو
فاطلبوه وذلك أن العجوز رزق عند أهل الحق هو ما ينتفع به المرزوق لا ما يملكه بل إنما يأكله ويبتلعه
فإن العبد قد يبتلع الطعام ويحدث الله في نفسه منه شيئاً فيقذفه في جوفه ويكون من رزق بعض
الحيوانات لا رزقه فإذا تقرر هذا فلا يقدر العبد أن يعرف أين رزقه بالكلية فإنه لا يدري
ما الذي ينتفع به وقوله لهم لما قالوا ندعو الله فقال إن علمتم أنه ينساكم فذكروه فيه إشارة
إلى أنه ما سبق أن يصل إليكم فلا بد أن يصل سواء أعليكم دعوتم أو لم تدعوا فادعوا الله عبادة
وطاعة فهو أولى وقولهم ندخل البيت ونتوكل فقال التجربة شك أي تدخلوا البيت تجربين
هل يرزقكم أم لا فهذا شك في ضمانه وفيه إشارة إلى أن الدخول في البيت والتسبب في الرزق
سواء بالنسبة إلى ما قدر فقالوا له ما الحيلة قال لم تركهم حيلة أنفسكم واعتمادكم بعلمكم على
الله واشتغالكم بما أمرتم به وهكذا يجب أن يكون شغل العبد بما أمر به واعتماده بقلبه على ربه
قال الإمام رضي الله عنه وقال أبو سليمان الداراني لأحمد بن أبي الحواري يا أحمد إن طرق الآخرة
كثيرة وشيخك عارف بكثير منها إلا هذا التوكل المبارك فإني ما شممت منه رائحة **قال** الشارح
رضي الله عنه وهذا وقفة استدل على كمال أبي سليمان وإزرائه على نفسه بأن أعلى مقامات التوكل لم
يتمكن فيه بعد وإن كان أدرك من مقامات السالكين شيئاً كثيراً وكذلك من مقامات التوكل فإن التوكل
منقسم إلى واجب ومندوب والمندوب منقسم إلى درجات وقد تقدم أن أعلى درجات التوكل
التفويض المحض إلى الله تعالى في سائر الأحوال وقد يكون أبو سليمان أورد هذا تبرياً من حوله وقوته
وإضافة نيل المقام لنفسه وإن كان قد تحقق ممكنه فيه ويكون كلامه لأحمد للأدب به ويكون مع الله
تعالى في سائر أحواله متبرياً من حوله وقوته مضيفاً ذلك إلى ربه وهذا أوجه وهو اللائق بحال
أبي سليمان في كمال معرفته وعلو درجته وقد يكون أخبر عن نفسه على التحقيق بأنه لم يكمل مقاماً
مقاماً غالياً في التوكل إذ أدركه علماً لا حالاً ويكون إزراء على نفسه وتأديباً لها لتستصغرها
في نيل أعلى المقامات والله الموفق للصالحات **قال** الإمام رضي الله عنه وقيل التوكل الثقة بما في
يدي الله تعالى واليأس عما في أيدي الناس **قال** الشارح رضي الله عنه وهذا لأن الأصل مترادف
للتوكل حامل عليه فإن من وثق بما عند الله اعتمد عليه ومن قطع إياسه عما في أيدي الناس
أعرض عنه ولم يلتفت إليه فحقيقة التوكل الاعتماد على الله لا على غيره من الأسباب **قال**

الإمام رضي الله عنه وقيل التوكل فراغ السر عن التفكر في التقاضي في طلب الرزق **قال** الشارح رضي الله
عنه وهذا من ثمرات التوكل لا نفسه وكمال الثقة بما في يد الله ووعد الله بثمر التوكل لا عينه وكذلك
راحة القلب من التفكر في جهة تحصيل الرزق من ثمرات التوكل لا عينه فإن من توكل على الله
المالك لكل الأمور ولم يلتفت إلى غيره من الأسباب استراح قلبه من هم الاكتساب وإن أمره ربه بالاكتساب
في بعض الأوقات اكتسب وتسبب مع برودة القلب وراحته من هم الطلب ونظر إلى المسبب لا السبب
قال الإمام رضي الله عنه وسئل الحارث المحاسبي رحمه الله عن التوكل هل يلحقه طمع فقال يلحقه
من طريق الطباع خطرات ولا تضره شيئاً ويقويه على إسقاط الطمع اليأس عما في أيدي الناس **قال**
الشارح رضي الله عنه وهذا صحيح في ابتداء التخلي بمقام التوكل فإن العبد لما تعود في ابتداء أمره الالتفات
إلى الأسباب وحصول المنافع من المعايش والأصحاب واستمر على ذلك مدة إلى أن كشف عنه
هذا الحجاب وتبين أنه لا فاعل ولا محرك ولا مسكن لشيء غير رب الأرباب وأعمل نفسه في الإعراض
عما تقدم له من رؤية الأغيار دفنت في نفسه خواطر تجاذبه إلى المعتاد فسماها الإمام المحاسبي طباع
بقي عادته المتقدمة فيصير طمعه في الخلق تلبلا فكلما قوي يقينه ورأى ألطاف الله تعالى به في
سائر تصرفاته ضعف التفات نفسه إلى ما مضى من عاداته فإذا دام منه هذا التعلق لليقين وقطع
إياسه من حصول خير أو دفع شر بغير الحق بالبرهان المبين فهذا هو قطع الإياس عما في أيدي
الناس فإذا قطع إياسه مما في أيديهم اعتمد بقلبه على من تفضل عليه وعليهم **قال** الإمام رضي
الله عنه وقيل جاع الثوري في البادية فهتف به هاتف أيما أحب إليك سبب أو كفاية فقال
الكفاية ليس فوقها نهاية فبقي سبعة عشر يوماً لم يأكل **قال** الشارح رضي الله عنه وهذا كما
قدمناه من أن الرزق لا يلزم أن يكون طعاماً بل ما ينتفع به ويتصلح به قلبه وتقام به بنيته
لعبادة ربه هو الرزق النافع كما قال تعالى وتزودوا فإن خير الزاد التقوى فلما جاع الثوري
هذه الأيام أحدث الله في قلبه خاطراً أيما أحب إليك أن تخرق لك العادة في سببك وكفايته
ولو اختار السبب أتاه بالطعام من حيث لا يحتسب إما على يد ولي من الجن أو الإنس أو ملك
أو بدعائه أو تركض رجله أو ما يجري مجراه من الأسباب التي تكون بمثلها العادات فلما اختار الكفاية
وهو أن تخرق له العادة في أن يغنيه عن الطعام والشراب زيادة إلى ما قواه وأغناه فصبر بعد ذلك سبعة
عشر يوماً لا يأكل شيئاً وقوله الكفاية ليس فوقها نهاية يعني بالنسبة إلى حاله فإن غيره رزقه الله أكثر من هذا
من الصبر عن الطعام والشراب **قال** الإمام رضي الله عنه وقال أبو علي الروذباري إذا قال الفقير بعد خمسة
أيام أنا جائع فألزموه السوق وأمروه بالعمل والكسب **قال** الشارح رضي الله عنه وهذا قد تكرر مراراً
أن العبد لا يخلي نفسه عن السبب الشرعي ولا يترك حمل الزاد في الأسفار إلا إذا رزقه الله الصبر عن الطعام
والشراب مدة يستغني فيها عن الناس والسؤال منهم فإذا من الله عليه بذلك لا يضره ترك السبب والسفر بلا
زاد بل يعوده الله من الخير والصبر والقوة على ذلك ولا يكون مغرراً بدينه ولا نفسه أما دينه فبأن يضعف

عن الصلاة قايما وتختل عقله ويتعذر عليه ما هو محتاج اليه او يسال او يقبل ممن لا يصلح القبول
منه ولا الالتفات اليه كما حكي عن بعضهم واظنه ابن الجلا قال بقيت في البادية اياما فلما
وقعت على الطريق استقبلني رجل جندي فشربت منه ما فبقيت قسوتها في قلبي زمانا طويلا
قال الامام رضي الله عنه وقيل نظر ابو تراب النخشبي الى صوفي مد يده الى قشر بطيخ لياكله بعد
ثلاثة ايام فقال له لا يصلح لك التصوف الزم السوق قال الشارح رضي الله عنه وهذا وفقك
الله قريب مما تقدم وهو قوله اذا قام بعد خمسة ايام اني جايع فالزموه السوق وذلك انه بعد
مع عوايده لم ينتقل عنها لكمال شغله بالله وقلة صبره عن الطعام وذلك ان هذا بعد ثلاثة ايام واصلها
سمد يده الى قشر بطيخ مرمي في التراب دل ذلك على كمال احتياجه وعدم صبره وشدة ميله الى
الطعام من اي جهة كان ومن هذه صفته بقاؤه مع سببه واتقا لانتسب انتسابا عن عوايده
اولى من تجرد عما بيده جملة فانه ياخذ الاشيا من اي جهة كان لقلة اعتياده بالجوع
ومن تجرد للصبر حتى ياتيه الله تعالى بما يحتاج اليه من وجه طيب قال الامام رضي الله عنه
قال ابو يعقوب الاقطع البصري جعت مرة بالحرم عشرة ايام فوجدت ضعفا فحدثتني نفسي فخرجت
الى الوادي لعلي اجد شيا يسكن ضعفي فرايت سلجمة مطروحة فاخذتها فوجدت في نفسي
منها وحشة وكان قايلا يقول لي جعت عشرة ايام واخره يكون حظك سلجمة متغيرة فرميت
بها ودخلت المسجد فقعدت فاذا انا برجل اعجمي جلس بين يدي ووضع قمطرة وقال هذه
لك فقلت كيف خصصتني بها فقال اعلم انا كنا في البحر منذ عشرة ايام واشرفت السفينة على الغرق
فنذر كل واحد منا ان خلصنا الله ان يتصدق بشي ونذرت انا ان خلصني الله عز وجل ان اتصدق
بهذه على اول من يقع عليه بصري من المجاورين وانت اول من لقيته فقلت افتحها
ففتحها فاذا فيها كعك سميد مصري ولوز مقشر وسكر كعاب فقبضت من ذا ومن ذا قبضة ورددت الباقي
الى صبيانك هو هدية مني لكم وقد قبلتها ثم قلت في نفسي رزقك يسير اليك منذ عشرة ايام وانت
تطلبه من الوادي قال الشارح رضي الله عنه وروح هذه الحكاية انه لما شرفت همته والقى
السلجمة المتغيرة ثم رجع الى الحرم مودبا لنفسه لعدم صبرها وشدة تشوقها الى الطعام
حتى رفعت همته الى السلجمة المتغيرة فلما رد على نفسه شهوتها وكلفها تدخل الحرم معتمدا على
الله تعالى بان ياتيه بما هو اشرف واطيب اتاه هذا العجمي بهذه القمطرة واعلمه بسبب نذره
منذ عشرة ايام فوبخ نفسه وقال لها الله سبحانه يسوق لك رزقك الطيب منذ عشرة ايام
وانت تطلبينه في الوادي ثم امسك نفسه عنها وعن قبولها بشي وقال للعجمي افتحها فلما فتحها
وجد ما فيها من السكر واللوز المقشر والكعك السميد المصري لم يطاوع نفسه في قبولها
واخذه بالكلية بل اخذ منها ما دخ في الوقت وقال انه قد قبلها كلها وكانه رد
ووهبها لصغاره وهذا كمال في استعمال العلم وكسر شره النفس مع شدة الحاجة الى الطعام

ورفع الهمة والاعتماد على الله تعالى في ان ياتي له بمثله او ارفع منه عند الحاجة قال
الامام رضي الله عنه سمعت الشيخ ابا عبد الرحمن السلمي رضي الله عنه يقول سمعت ابا بكر الرازي
يقول كنت عند ممشاد الدينوري فجرى حديث الدين فقال كان علي دين فاشتغل
قلبي فرايت في النوم كان قايلا يقول يا بخيل اخذت علينا هذا المقدار خذ عليك
الاخذ وعلينا العطا فما حاسبت بعد ذلك بقالا ولا قصابا ولا غيرهم قال الشارح
رضي الله عنه وهذا وفقك الله يدل على انه كان ياخذ لنفسه عند الفقر ولمن يراه
محتاجا من الفقرا وهذا كله لله فضل وطاعة فلما شغل قلبه كثرة ما عليه من الدين اراه
الملك في النوم بان الله ان ذلك لا يضره وان من عامله من ارباب الديون قد عرفوا حاله وانه
ليس رب مال وانما عاملوه على انه اذا فتح عليه شي اتاهم به فامل معاملتهم له فعل خير لله
تعالى فنبهه في النوم على انه لا يضره في الدنيا وان الله تعالى ان لم يقضه عنه في الدنيا ارضى عنه
اربابه في الاخرة لانه اخذه لوجهه وعليه وانما سماه بخيلا لكونه خاف ان لا يقضي الله عنه
من غير سبب يقتضيه فكانه بخل بمال غيره وهو اعظم البخل وفايدة الرويا زوال الهم عن قلبه
باعلامه انه لا ضرر عليه في الدنيا ولا في غيرها قال الامام رضي الله عنه ويحكى عن بنان الجمال انه قال كنت
في طريق مكة اجي من مصر ومعي زاد فجاتني امراة وقالت يا بنان انت حمال تحمل على ظهرك الزاد
وتتوهم انه لا يرزقك قال فرميت بزادي ثم اتى علي ثلاث لم اكل فوجدت خلخالا في الطريق
فقلت في نفسي احمله حتى يجي صاحبه فربما يعطيني شيا فارده عليه فاذا انا بتلك المراة
فقالت انت تاجر تقول حتى يجي صاحبه فاخذ منه ثم رمت الي شيا من الدراهم وقالت انفقها
فاكتفيت بها الى قريب من مصر قال الشارح رضي الله عنه وهذا مما سبق التنبيه عليه
من ان الله تعالى يودب من انتحل التوكل وزعم انه تمكن فيه تارة بالنسا وتارة بالصبيان كالمراة
التي اعطاها الدراهم من جيبه واخذت الدنانير من الهوى وكالشاب الذي قال للخواص نويت لا
اكل بواسطة وهو امر ذلك انه لما كان ممن ينتحل التوكل وحمل الزاد لجواز ذلك له قيض الله
له هذه المراة وربما كانت مكاشفة وكلامها معه ثاني مرة يدل على ذلك فقطعته عن سكونه الى
زاده ليعتمد على ربه فلما عمل على نصحها وجاع اياما وصبر امتحن بالخلخال اللقطة وحفظه
ليرده على ربه ان وجده بغير عوض فلما خطر بباله العوض اظهر الله له المراة فقالت له انت تاجر
تدفع شيا لشي ولم لا تدفعه لله ثم اعانته على حاله بما سلمت اليه من الدراهم التي استعان بها الى قريب
مصر فحمد الله تاديبه لمن جلت رتبته وازداد الحق تقويته من منتحلي التوكل والعاملين عليه
قال الامام رضي الله عنه ويحكى عن بنان انه احتاج الى جارية تخدمه فانبسط الى اخوانه
فجمعوا له ثمنها وقالوا هو ذا يجي النفر فنشتري ما يوافق فلما ورد النفر اجتمع رايهم على واحدة
وقالوا انها تصلح له فقالوا لصاحبها بكم هذه فقال انها ليست للبيع فالحوا عليه فقال انها لبنان الحمال

اهدتها اليه امراه من سمرقند فحملت الي بنانه ذكرت له القصه **قال** الشارح رضي الله عنه
وهذا مما يدل على ان الحق سبحانه يعتني بمن توكل عليه ويقضي له حوائجه وهو لا يشعر وفاد
بقوله تعالى ومن يتق الله يجعل له مخرجا الي قوله الى قوله ومن يتوكل على الله فهو حسبه فلم علم الحق
سبحانه حاجه بنانه الي من يخدمه لعجزه عن نفسه او مرضه وعلم ذلك من حال اصحابه واشتغلوا
بتدبير امره القى الله تعالى في قلب تلك المراه بسمرقند ارسال هذه الجاريه اليه فمثل هذه
الحكايه تقوي نفس المتوكلين ويعلمون لطف مولاهم بهم واعظم فوايد التوكل سلامه المتوكل
من نزغات الشيطان فان الله سبحانه اخبر عدوه بذلك بعد ان قال تعالى واجلب عليهم بخيلك
ورجلك وشاركهم في الاموال والاولاد وعدهم وما يعدهم الشيطان الا غرورا ثم قال ان عبادي
ليس لك عليهم سلطان وكفى بربك وكيلا معنى خواصه المعتمدين عليه **قال** الامام رضي الله
عنه سمعت محمد بن الحسين يقول سمعت محمد بن الحسن المخزومي يقول سمعت احمد بن صالح سمعت محمد بن عبدون
سمعت الحسن الخياط قال كنت عند بشر الحافي فجاءه نفر فسلموا عليه فقال من انتم فقالوا نحن من الشام
جينا لنسلم عليك ونريد الحج فقال شكر الله تعالى لكم فقالوا تخرج معنا فقال بثلاثه شروط لا
نحمل معنا شيا ولا نسال احدا شيا وان اعطانا احد شيا لا نقبل فقالوا اما ان لا نحمل واما ان لا
نسال فنعم واما ان لا نقبل اذا اعطينا فهذا ما لا نستطيعه فقال خرجتم متوكلين على
زاد الحجيج ثم قال لي يا حسن الفقرا ثلاثه فقير لا يسال وان اعطي لم ياخذ فذلك من جمله الروحانيين
وفقير لا يسال وان اعطي قبل فذلك توضع له موايد في حظاير القدس وفقير يسال وان اعطي
قبل فذلك الكفايه فكفارته صدقته **قال** الشارح رضي الله عنه وهذا نقله الله يدل على
اختلاف مقامات المتوكلين بالحال والمقال فاما الحال فان اوليك النفر الذين ارادوا بشرا ان يسالوه
الخروج معهم الي الحج فقال بشروط ثلاثه احدها ان لا نحمل والثاني ان لا نسال والثالث ان لا
نقبل فقد اخبرهم بحاله رضي الله عنه فقالوا اما ان لا نحمل معهم واما ان لا نسال فنعم واما ان لا
نقبل فلم تنل هذه الدرجه ولا بلغناها واما ان لا نحمل ولا نسال فقد قدرنا الله عليه واما
ما اتى من غير سوال ولا تشوف فهو رزق رزقناه الله فقال لهم خرجتم متوكلين على زاد
الحجاج وهذا لان العطا من بني ادم بعضهم لبعض انما يكون اذا صحبوا القوافل ورام الناس
لا يحملون زادا فعلموا احتياجهم فوصلوهم فلذلك قال لهم خرجتم متوكلين على زاد الحجيج
والا لو بعدوا عن الحجيج وساروا في الطريق توصل الى المقصود من غير صحبه القوافل لكان ما
اتاهم من الخير به خارقا للعاده فلو اتاهم به على يد ادمي اوسلك ادمي لم يكن من القبيل الذي قال لهم
خرجتم متوكلين على زاد الحجيج ولم يكره قبوله فانه من الله ولم يعتمدوا على غير الله والله تعالى يفعل
بسبب وبلا سبب ولهذا كلامه معهم من حيث العلم تقول الفقرا ثلاثه فقير لا يسال الناس وان اعطي
لم يقبل فهذا من الروحانيين يعني ان نفعت همته عن الخلق بالكليه وعلق بدوام ذكر مولاه

والتفويض

ونسعه بنجواه ودعانيه الاشاره بقوله عليه السلام اني ابيت عند ربي يطعمني ويسقيني
اي يغنيه بحسن حاله معه عن الطعام والشراب وفقير لم يسال وان اعطي قبل وعبر
عن حاله بان ممن توضع له الموايد في حضيره القدس والقدس الطهر فعليه مطهر من الدنس
بالاغيار ناظر الي ما يجريه عليه الحق بحسن الاختيار وفقير ثالث يسال وان اعطي قبل
فاخذ منه مقدار الضروره فهذا لا يسال حتى يصدق جوعه واحتياجه وتعين عليه
المساله من الخلق فكان سواله صدقه وهذا يدل على ان السوال من غير الله وبذل ماء الوجه
من غير ضروره ردي جدا ولا يسال العبد الا اذا تعلقت اليه الضروره فكان صادقا في ضرورته
وعلامه صدقه في حاجته وقله رغبته في الفضول ان ياخذ ما يدفع به ضرورته فقط ويعرض عن
الزايد كما بينا ما كان **قال** الامام رضي الله عنه وقيل لحبيب العجمي لم تركت التجاره فقال وجدت
الكفيل ثقه **قال** الشارح رضي الله عنه وهذا لان الله تعالى لما يحتاج اليه من وجه طيب لا شبهه
فيه فمتى سخر للعبد ما يحتاج اليه من وجه حلال ولا اشكال فيه ولا منه لمخلوق عليه
فيه وهذا هو المضمون الذي تكفل الحق به للاوليا وفاء بقوله تعالى وما من دابه في الارض الا
على الله رزقها فما دام العبد حيا فلا بد له من رزق اما قوتا او فوق كفايه كما يحكى
عن بعضهم انه جلع عشره ايام فلما احس بالجوع قيل له ما الذي تريد قوتا او كفايه فقال
يا رب كفايه فاقام بعد ذلك سبعه عشر يوما لم يحتج **قال** الامام رضي الله عنه وقيل
كان في الزمان الاول رجل في سفر ومعه قرص فقال ان اكلت مت فوكل الله تعالى به ملكا وقال
ان اكله فارزقه وان لم ياكله فلا تعطه شيا غيره فلم يزل القرص معه الى ان مات ولم ياكل
وبقي عنده القرص **قال** الشارح رضي الله عنه وهذا وقعله الله تحذير من الحرص على الحاصل
واقبح الحرص واضره الحرص على الشي حتى لا ينتفع به في نفسه فضلا عن غيره من المحتاجين اليه
واذا كان العبد اذا راى محتاجا قد خاف عليه الموت من الجوع ومعه ما يدفع به عنه ضرره
من غير ضرر يلحقه هو وجب عليه دفعه له فكيف باحيا نفسه به حرصا عليه وهذا
قد غلبه الجهل والحرص على ما لا ينتفع به في حرصه حتى مات وفايده هذه الحكايه ان الحق سبحانه
انما ضمن الكفايه للمحتاج وهذا قد اغناه بالقرص الذي عنده فقد تسبب اهلاكه في نفسه
بحبسه له وحرصه وفيه تنبيه على ان المتوكل يكون وثوقه بما في يد الله اوثق مما في يديه
ومنه قوله صلى الله عليه وسلم لبلال انفق بلال ولا تخش من ذي العرش اقلالا لما راه
ادخر او كانت بيته فيه خيرا فبعد ذلك امره بانفاقه لدعا الحاجه اليه **قال** الامام
رضي الله عنه وقيل من وقع في ميدان التفويض يزف اليه المراد كما يزف العروس الى اهلها
والفرق بين التفويض والتضييع في حق الله تعالى وذلك مذموم والتفويض حقك وهو المحمود
قال الشارح رضي الله عنه وهذا صحيح فان التفويض هو ترك الاختيار من العبد والرضى باختيار

الله تعالى بالكلية ومنه التفويض في النكاح بغير مهر معين فادا لم يختر العبد لنفسه شيئا مما
يصلحه ووكل ذلك الى اختيار الله تعالى فان الله سبحانه يجعل له ما فيه صلاحه وبهذا الاعتبار
يعرف انه المراد يعني مراد الله تعالى الذي له فيه صلاح وهو يريد كلما اراده الله تعالى
فما اراده الحق فهو مراده والفرق بين التضييع والتفويض ان التفويض انما يكون فيما يختاره
العبد لمصالح نفسه واما ما امره الله به وجوبا او ندبا او نهى عنه حظرا او كراهة فلا يصح
التفويض فيه ومن زعم انه فوض امره فيه لله فهو مضيع لا مفوض وانما التفويض فيما لم
يامر الله العبد به ولا نهاه عنه مما اباحه له وخيره فيه فهو لا يدري مصلحته فيه فيضيعها
لمن يعلمها فهذا هو التفويض وما تقدم فهو التضييع فقد ظهر الفرق بينهما والله العليم السميع
قال الامام رضي الله عنه وقال ابن المبارك من اخذ فلسا من حرام فليس بمتوكل **قال** الشارح رضي
الله عنه وهذا لانه عدم التوكل الواجب والمندوب جميعا فان التوكل الواجب ان يكف العبد
عن كل حرام اعتمادا على الله ان ياتيه بشيء من حلال او يصل الى حاله بزوال التحريم عنه ويصير انقادا له
حلالا على ما كان ممنوعا منه فمتى اقدم العبد على شيء حرام دل ذلك على قلة صبره الواجب
وعدم توكله الواجب وكذلك زهده فان المقامات كلها فيها واجب ومندوب ويحمل كلام
هذا الشيخ انه لا توكل له عنده مطلقا اي ان من فاته الواجب فاته المندوب اذ هو بعده
واعلى منه **قال** الامام رضي الله عنه سمعت محمد بن عبد الله الصوفي رحمه الله يقول سمعت
ابن ابي نصر العطار يقول سمعت علي بن محمد المصري يقول سمعت ابا سعيد الخراز يقول دخلت
البادية مرة بغير زاد فاصابتني فاقة فرايت المرحلة من بعيد فسررت بان وصلت ثم فكرت
في نفسي اني سكنت واتكلت على غيره فاليت على نفسي الا ادخل المرحلة الا ان احمل اليها فحفرت
لنفسي في الرمل حفرة وواريت جسدي فيها الى صدري فسمعوا صوتا في نصف الليل عاليا
يا اهل المرحلة ان لله تعالى وليا حبس نفسه في هذا الرمل فالحقوه فجاء جماعة فاخرجوني وحملوني
الى القرية **قال** الشارح رضي الله عنه وهذا فعله الدليل على مراعاة الوفا بالعهد
مع الله تعالى فيما عزم عليه من نيل المقامات الرفيعة والتسبب فيها والادب للحق
في فعلها وذلك ان ابا سعيد عقد مع الحق في توكله انه لا يسكن لغيره فلما دخل البادية
على عقد التوكل وان لا يسكن لغير الله تعالى رزقه الله تعالى هذا العقد الشريف
والقوة على الوفا به فلما قرب من مرحلة احس من نفسه الفرح بقربه لها وسكنت
اليها في تحصيل ما هو محتاج اليه فكره من نفسه ذلك وعزم على مخالفتها فانه تعقده
فحفر حفرة ونزل فيها مقابلة لنفسه بضد هواها وهذه الحفرة هو قادر على القيام
منها متى احب لانه عملها الى صدره فلا يتخيل متخيل انه يقعد فيها حتى لا يصلي فريضة
حتى ياتي من يخرجه او يخلصه حاشا لله وكذلك لا يقعد فيها حتى يحس من نفسه جوعا

فتع

يخل من عقله وانما هم قوم يعملون اليقين كما قيل لهم تعلموا اليقين فاني اتعلمه وحقيقة
اليقين ان يغلب على القلب ان الحق سبحانه على كل شيء قدير فلما صح عزمه وادبه لنفسه
غيظا لربه حلي ما حاص قلبه فنادى في الجملة يا اهل الجنة ادركوا وليا من اولياء الله
تعالى يلحس نفسه فقوى لذلك يقينه وتمكن توكله على ربه وتحسن صنعه به عليهام
قال الامام رضي الله عنه سمعت الشيخ ابا عبد الرحمن السلمي رحمه الله يقول سمعت محمد
بن الحسين الحيري يقول سمعت ابن المالكي يقول قال ابو حمزة الخراساني حججت سنة من
السنين فبينا انا اسير في الطريق اذ وقعت في بير فنازعتني نفسي ان استغيث فما استغثت
هذا الخاطر حتى مر براس البير رجلان فقال احدهما للاخر تعالى حتى نسد راس هذا البير لئلا
يقع فيه احد فاتوا بقصب وبارية وطموا راس البير فهممت ان اصيح ثم قلت في نفسي
الى من هو اقرب منهما وسكت فبينما انا بعد ساعة اذا انا بشيء جاء وكشف عن راس البير
وادلى رجله وكانه يقول لي تعلق بي في همهمة منه كنت اعرف ذلك منه فتعلقت
فاخرجني فاذا هو سبع فمر وهتف بي هاتف يا ابا حمزة اليس هذا احسن نجيناك من التلف
بالتلف فمشيت وانا اقول نهاني حيائي منك ان اكتم فاغنيتني بالفهم منك عن الكشف
تلطفت في امري فابديت شاهدي الى غائبي واللطف يدرك باللطف ترانيك بالغيب حتى
كانما تبشرني بالغيب انك في الكف اراك وبي من هيبتي لك وحشة فتؤنسني باللطف منك
وبالعطف وتحيي محبا انت في الحب حتفه وذا عجب كون الحياة مع الحتف **قال**
الشارح رضي الله عنه وهذه الحكاية مناسبة لما تقدم لابي سعيد وذلك انهم يرون الافعال
كلها من الله فانه المحرك لهم والمسكن وكان قادرا على ان يحفظ هذا من الوقوع في البير وانما
قبله لامر اراده منه ليتحقق توكله في سائر الحركات ويعلم ربه منه هل اعتماده على
الاسباب ووجه اقامته في البير محمول على انه تمكنه الصلاة فيه وهو قادر على
الطلوع منه اذا شاء ولكن سكن وصبر ليعلم سر الله في ايقاعه فيه وحكمته مع قدرته
على حفظه منه فلما سكن في البير على هذا الوجه الجاء الله قوما مروا براس البير
وعلموا انه بصدد الوقوع فيه وراوا من المصلحة ان قطعوا قصبا ووضعوه على راس
البير ليسلم من الوقوع فيه فاراد هذا الواقع فيه ان يتكلم فقال لنفسه لا اتكلم انا
متمكن ان نعين على الطلوع اذا طلع وتزيل هذا القصب كله عن راس البير بلا كلفة
فسكن وصبر لينظر حكمة الله فيه فما كان الا يسيرا حتى سمع نبشا وحركة لذلك على
راس البير من القصب والردم وتدلى له شيء فوجد منه ووقع في نفسه لما سمع الهمهمة
ان يتعلق به فتعلق به ورفعه الى راس البير فاذا هو سبع سخره الله له فوقع في نفسه
خاطر مفهومه اليس هذا احسن نجيناك من التلف بالتلف ثم انشد الابيات المذكورة

Copyright © King Saud University

وهذا لو تحسست وفعلك لا فعالك به في حال ضيفك وسعتك ومرضك وصحتك وضرورتك
وكتابتك وساير تصرفاتك وتقلباتك لوجدت من الطافه بك بعض ما وجدوا او فردت
مولاك بساير الافعال على حسب وسعك كما افردوا ولكن ارتباط قلبك بالاوهام دون مولاك
مع سوالا عنها دادام لبثك في مقام العوام وروح الايمان ان الله تعالى يريه من عجايب
قدرته ولطفه ما يغنيه عن نكره وكشفه وقوله ودا عجيب كون الحياه مع الحتف
ان العبد لا يعيش مع مولاه حتى يموت عن اغراض نفسه وهواه فان مات عاش فهو حي
باعتباره حي باعتبار ربنا الله تعالى اومن كان ميتا فاحييناه وجعلنا له نورا يمشي به في الناس
كمن مثله في الظلمات ليس بخارج منها قال الامام رضي الله عنه سمعت محمد بن الحسين رحمه الله
يقول سمعت منصور بن عبد الله يقول سمعت ابا سعد ان الساهرتي يقول سمعت حذيفة
المرعشي يقول وكان قد خدم ابراهيم بن ادهم وصحبه فقيل له ما اعجب ما رايت منه قال بقينا
في طريق مكه اياما لم نجد طعاما ثم دخلنا الكوفه فاوينا الى مسجد خراب فنظر الي ابراهيم بن ادهم
وقال يا حذيفه ارى بك اثر الجوع فقلت هو كما راى الشيخ فقال علي بدواة وقرطاس فجيت به
فكتب بسم الله الرحمن الرحيم انت المقصود اليه في كل حال والمشار اليه بكل معنى
انا حامد انا شاكر انا ذاكر انا جايع انا عارٍ هي سته وانا الضمين لنصفها فكن الضمين لنصفها
يا باري مدحي لغيرك لهب نار خضتها فاجر عبدك من دخول النار ثم دفع الي الرقعه وقال
اخرج ولا تعلق قلبك بغير الله وادفع الرقعه الى اول من يلقاك قال فخرجت فاول من لقيني كان
رجل على بغله فاخذ وبكى وقال ما فعل صاحب هذه الرقعه فقلت في المسجد الفلاني
فدفع الي صره فيها ستمايه دينار ثم لقيت رجلا اخر فقلت من صاحب هذه البغله فقال
نصراني فجيت الى ابراهيم بن ادهم فاخبرته بالقصه فقال لا تمسها فانه يجي الساعه
فلما كان بعد ساعه وافى النصراني واكب على راس ابراهيم بن ادهم واسلم قال
الشارح رضي الله عنه وهذا ونقل الله تحقيق لمقام التوكل مع تعاطي الاسباب
وذلك انه اثنى على الله تعالى وحله في الرقعه واقر انه المقصود بكل حال والمشار
اليه بكل معنى كما قيل وظنوني مدحتهم جميعا وانت بما مدحتهم مرادي ثم قال انا حامد
وشاكر وذاكر فهذا هو مما امر العبد وانا جايع وجايع وعارٍ هو ما العبد مفتقر
اليه بيانيه الله به وقوله هي سته وانا الضمين لنصفها فكن الضمين لنصفها يا باري فيه
قطوة هو امر الله بان يكون الضمين بل قد كان ذلك منه تعالى فهو الذي امر العبيد بالذكر
والشكر وساير عباداته والزمهم ذلك وهو الذي ضمن لهم ما وعدهم به واقسم
عليه بقوله تعالى فورب السما والارض انه لحق مثل ما انكم تنطقون فمعنى البيت اني فعلت
ما امرتني فتفضل بما وعدت ثم كمل ذلك بان اقر بتحقيق المدح له وحاشى نفسه

انا ضايع
بحر نار خضته

ليس

ان يمدح غيره فقال مدحي لغيرك وهج نار خضتها يعني فعلت فاجر عبدك من دخول
النار اي من مدح غيرك وسلم اليه الرقعه وقال له لا تعلق قلبك الا بالله تحقيق لحال
الرسول على حسب حال المرسل ليلا يقع الخلل في حصول العمل وكل ذلك لله بان لا يكون له
اختيار في شخص بل سلمها لاول شخص يلقاه فلما سلمها بهذا القصد الجميل وقف
عليها من كان شقيا بعيدا اثري قلبه تاثير النار في الحديد وذلك وقال ابن صاحب
هذه الرقعه فدله على المكان وعجل البشرى بتسليم الصره فلما وصل الى ابراهيم علمه
بالقضيه على ظنه تفضل رب العالمين بما سبق من حسن القصد والنيه واخبره لمحبته
وهي زياده كشف وفضل فجا واسلم النصراني فكان في هذه الحركه كل بركه لا اخلانا
الله من توفيقه وسلك بنا محجه طريقه بمحمد واله قال الامام رضي الله عنه

باب الشكر

قال الله سبحانه ولئن شكرتم لازيدنكم الايه ثنا ابو الحسن
علي بن احمد بن عبدان قال ثنا ابو الحسن الصفار ثنا الاسفاطي ثنا منجاب ثنا يحيى
ابن يعلى عن ابي جناب عن عطا قال دخلت على عايشه رضي الله عنها فقلت اخبرينا
باعجب ما رايت من رسول الله صلى الله عليه وسلم فبكت وقالت واي شانه لم يكن
عجبا انه اتاني في ليله فدخل معي في فراشي او قالت في لحافي حتى مس جلدي جلده ثم
قال يا بنت ابي بكر ذريني اتعبد لربي قالت قلت اني احب قربك واثرت هواه فقام
الى قربه من ما فتوضا فاكثر صب الما ثم قام يصلي فبكى حتى سالت دموعه على
صدره ثم ركع فبكى ثم سجد فبكى ثم رفع راسه فبكى فلم يزل كذلك حتى جا بلال فاذنه
بالصلاه فقلت يا رسول الله ما يبكيك وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تاخر
قال افلا اكون عبدا شكورا ولم لا افعل وقد انزل الله علي ان في خلق السموات والارض
واختلاف الليل والنهار لايات لاولي الالباب الايه قال الشارح رضي الله عنه
والنظر في حقيقه الشكر وماهيته والفرق بينه وبين الحمد وبيان الاسباب
الموصله اليه والادله المثبته له والثمرات المترتبه عليه ثم نجري اقوال العلما
على ما نقرره ان شا الله تعالى اما حقيقه الشكر فهو الثنا على المنعم بانعامه وهذا يكون بالقلب
على مذهب اهل الحق وهو ان الكلام في الفواد ويكون بالقلب واللسان الذي هو ترجمان عن
القلب ويكون بالافعال الموافقه للمشكور التي يطلبها واجبها فاما شكر القلب واللسان
فقد دخل تحت الحمد وهو الثنا على المنعم بانعامه واما الشكر بالافعال فلا يكون شكرا ويصح
ان يكون دلاله على ما في النفس كما كانت العباره عباره عما في النفس فيكون الشكر حقيقه
بالقلب وما لم يظهره الشاكر بلسانه وقاله بالخدمه والموافقه بافعاله كما قال الله تعالى
اعملوا ال داود شكرا فجعل العمل شكر النعمه عليهم واما الاسباب المحصله للشكر فهو الفكر

البريت

الحمد

في تفاصيل النعم الواردة من الله تعالى على الشاكر وعلى غيره وهذه نعم عامة
كنعمة الاسلام وعافية البدن وتيسير الارزاق وما يجري مجراه من هذه النعم
الكلية التي عرفها اكثر الخلق وهناك نعم لا يعرفها الا العقلا كنعم الشرائع وتفصيل
الاحكام الى حلال وحرام والوعد والوعيد الحاملين على الخيرات والمبعدين عن
الشرور والآفات المثمرين للخوف والرجا المتثبتين لعظمة الله تعالى وجلاله وهناك
نعم اخص من هذه تجدها الاولياء في قلوبهم ويدركونها من فضل ربهم كصرف الغفلات
عن القلوب وخلق الذكر لهم واستعمال دلالة على الذنوب كذلك ان اداسهم عند الزلل
لينكفوا عن الخطا فيما يستقبل ولا يوخرون في ادبهم ليوم الجزا وغير ذلك مما يقع التنبيه
عليه في موضعه ان شا الله تعالى وكل عبد يتفكر فيما ذكرنا انما يتفكر على حسب مقامه
ورفيع شانه مع مولاه وعلى حسب حال النعم والمعرفة بها يكون العجز عن احصايها
والاقرار بانه لا تقدر له على شكرها وكلما اكثر منه الاعتراف بالعجز عن شكر النعم تزايد
عنده الفضل وتعدت عنه النقم واما ادلته فقوله تعالى اعملوا آل داود شكرا وقوله
تعالى ان اشكر لي ولوالديك وثناوه على الشاكر ووعده له بالخير كقوله تعالى لئن شكرتم بك
لازيدنكم وقوله انه كان عبدا شكورا وقوله كلوا من رزق ربكم واشكروا له
وهل الشكر هو الحمد او غيره فمن الناس من جعلهما شيا واحدا ومن الناس من فصل بينهما
فجعل الحمد الثنا عليه سبحانه بصفاته في تنزهه عن خلقه ووحدانيته وقدمه وبقايه
وكمال علمه وارادته وقدرته وغير ذلك من صفاته الكاملة وجعل الشكر له على افعاله من
لطفه وبره واحسانه واكرامه وامتنانه وقد قال الحمد لله رب العالمين ووصف
نفسه بكونه مالك الكل والمختص بالرحمن والرحيم وهي الرحمة العامة وانفراده بالملك
يوم القيمة والحكم فيه وهذا كله راجع الى صفاته وانما الشكر فيما لا يحصى لان الحق القيامة
سبحانه قد وعد عليها بالزيادة وقد يزيد العبد مما هو فيه من الخير وقد يزيده من خزانته
ما هو اصلح له مما خطر بباله وعلق همته به وقد يزيده مما لا يخطر بباله كما جعل في الاخرة
جزا الاعمال ما لا عين رات ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر وكذلك تفعل
في القلوب من المواهب والتقريب والمزلفي والانس به والتلذذ بمناجاته وغير ذلك
من بركاته ما لم يخطر ببال العبد ولا كان قط من همته قال الامام رضي الله عنه حقيقة
الشكر عند اهل التحقيق الاعتراف بنعمة المنعم على وجه الخضوع وعلى هذا القول
يوصف القديم سبحانه بانه شكور توسعا ومعناه انه يجازي العباد على الشكر
فسمي جزا الشكر شكرا كما قال تعالى وجزا سيئة سيئة مثلها وقيل شكره اعطاوه
الكثير من الثواب على العمل اليسير من قولهم دابة شكور اذا اظهرت من السمن فوق ما تعطى

من العلف قال الشارح رضي الله عنه وما ذكره هذا القايل في وجه الشكر قريب وليس
بحقيقة الشكر بل هو راجع الى ثمرته وذلك ان الاعتراف بالنعمة اقرار بها للمنعم وقوله
على وجه الخضوع اي على وجه الاستكانة والتذلل ولا تخلص هذه الزيادة اللفظة
للشكر لان الغفران بالنعم ليست شكرا بل الشكر الثنا على المنعم بانعامه وقوله وعلى
هذا يسمى الحق سبحانه شكورا يعني انه يجازي على النعم اي يثيب عليها ويسمى ثواب الشكر
شكرا كما قيل في السيئة وجزا سيئة سيئة مثلها ولله سبحانه مجازاته حق وليس بسيئة والله
وكذلك قوله شكور يعني انه يجازي على الشكر وعلى العمل اكثر منه كما يقال دابة شكور
ثم الصحيح في حد الشكر ما ذكرناه والله تعالى شكور يعني انه يثني على عباده الصالحين كما في
الكتاب العزيز بقوله المفلحين الفايزين الصالحين القانتين والمخبتين وغير ذلك من صفات الكمال
وان كان اصل الكل منه فمن كمال فضله انه يبتدي بالاحسان ويثني على فاعله
ومن تاريخه قدرته وهو سبحانه الفاعل على التحقيق فالحق سبحانه شاكر وشكور والعبد
شاكر لربه بقلبه ولسانه قال الامام رضي الله عنه ويحتمل ان يقال حقيقة الشكر الثنا
على المحسن بذكر احسانه فشكر العبد لله ثناوه عليه بذكر احسانه اليه وشكر الحق سبحانه
للعبد ثناوه عليه بذكر احسانه له ثم احسان العبد طاعته لله سبحانه واحسان الحق سبحانه
انعامه على العبد وشكر العبد على الحقيقة انما هو نطق اللسان واقرار القلب بانعام الرب الرب
تعالى والشكر ينقسم الى شكر باللسان وهو اعترافه بالنعمة بنعت الاستكانة وشكر
بالبدن والاركان وهو اتصاف بالوفاق والخدمة وشكر بالقلب وهو اعتكاف
على بساط الشهود بادامة الحرمة قال الشارح رضي الله عنه وما ذكره في الحد من ان حفظ
الشكر الثنا على المنعم بانعامه صحيح وهو بالقلب كما ذكرناه وباللسان وهو ترجمان عما في
القلب وبالجوارح وهو ايقاعها طاعة لله تعالى مجازاة على نعمه كما قال النبي صلى الله عليه وسلم
لما قام حتى تورمت قدماه نصيحة هذا وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تاخر
افلا اكون عبدا شكورا ومع عبادة الثنا فله شكر الله تعالى على نعمه واما ما ذكر من التفرقة
بين شكر اللسان وشكر القلب وشكر الجوارح فهي زيادة على حقيقة الشكر فان التذلل
مع النطق باللسان على وجه الثنا على المنعم بنعمه زيادة في الاحوال وكذلك عكوف القلب
على رؤية الفضل وحفظ الحرمة زيادة في الشكر في الاحوال وكذلك الجريان في ساير
الافعال على نعت الموافقة زيادة في الطاعات وحسن للعبادات فالصحيح في الشكر ما ذكرناه
قال الامام رضي الله عنه ويقال شكر هو شكر العالمين يكون من جملة اقوالهم وشكر هو نعت
العابدين يكون نوعا من افعالهم وشكر هو العارفين يكون باستقامتهم له في عموم احوالهم
قال الشارح رضي الله عنه وهذا الشكر انما تنوع بالنسبة لمقامات الصالحين وذلك

Copyright © King Saud University

ان من لا علم عنده بالشكر الا باللسان فشكره انما يكون بالنطق به ويسمى هذا الصنف عالمين
يعني بما علموه وشكر العابدين يكون نوعا من افعالهم يعني بعض طاعاتهم وامام سماهم عارفين
ونسب الشكر اليهم فطايفة انتقلوا عن اعمال الجوارح الى احوال القلوب فشكرهم له
بالاستقامة في عموم احوالهم فحصل من ذلك ان الشكر يكون بالاقوال وبالطاعة من الافعال
وبالاستقامة في عموم الاحوال قال الامام رضي الله عنه وقال ابو بكر الوراق شكر النعمة
مشاهدة المنة وحفظ الحرمة قال الشارح رضي الله عنه وهذا من اسباب الشكر
لان مشاهدة النعمة معرفتها وحفظ الحرمة معرفة قدرها ومنزلتها وعن ذلك يكون
الشكر قال الامام رضي الله عنه وقال حمدون القصار شكر النعمة ان ترى نفسك فيه طفيليا
قال الشارح رضي الله عنه ومراده ان يضيفها لفاعلها ويتبرا من اضافتها الى نفسك
وهذا يرجع الى الاعتراف بالنعمة واضافتها الى المنعم ويلتحق بما ذكرناه ويصح ان يلتحق هذا
الكلام بحقيقة الشكر بوجه وهو ان العبد اذا اعتبر النعمة كيف يشكر ويكون شكره
من جملة النعم فيقيها قر ان بعجزه عن الشكر فانه يرى جميع ما هو فيه نعمة عليه ومن جملتها
الشكر وهو يعجز عن الشكر مطلقا اذ كل شكر يفتقر الى شكر وبهذا الاعتبار قال عليه السلام
لا احصي ثنا عليك انت كما اثنيت على نفسك قال الامام رضي الله عنه وقال الجنيد الشكر
فيه علة لانه طالب لنفسه المزيد فهو واقف مع الله سبحانه على حظ نفسه قال
الشارح رضي الله عنه وهذا لا يطرد في كل الشاكرين وان كان الحق سبحانه قال لئن شكرتم
لازيدنكم ولا يلزم من كل شاكر ان يكون شكره طلبا للزيادة ويكون شكره على ما تفضل عليه
به خاصة ولا يكون فيه علة ولا يكون واقفا مع حظ نفسه بهذا الاعتبار ويحتمل ان يكون
واقفا مع حظ نفسه باعتبار اخر وهو انه شكر الحق سبحانه على ما اجراه عليه مما يوافق نفسه
وهواه ولم يصل الى ان يشكر الحق سبحانه على ما يرد منه مطلقا مما يوافق هواه اذ لو عنه لكان يكون
ذلك منه لكمال معرفته بحسن نظر الحق له فيما يجريه عليه فاذا تقرر عنده انه سبحانه انما
يجري عليه ما فيه صلاحه شكره على السراء والضراء والشدة والرخاء ولا يكون واقفا
مع ما يوافق هواه وهو حظ نفسه بل مع ما اجراه عليه مولاه قال الامام رضي الله عنه
وقال ابو عثمان الشكر معرفة العجز عن الشكر قال الشارح رضي الله عنه اشرنا اليه في احد
وجهي ما تقدم وذلك ان من راى شكره نعمة عليه قيل له اشكر على هذا الشكر فاذا شكر
عرف انه نعمة ويطالب بالشكر عليها وهذا اما ان يتسلسل ولا بد له للعبد عليه
واما ان ينقطع عن الشكر الموت فيكون اخر شكر يعقبه الموت لم يشكر عليه فالعجز لازم له
على كل حال وكذلك قال الصديق رضي الله عنه العجز عن درك الادراك ادراك وهذا فيه
ثقل وهو رجوع الى احد امرين اما ان يكون المحل لا يجي للعقل فيه كمعرفة حقيقة

ذات القديم وصفاته واما ان يكون العجز القدرة عن بعض الممكنات التي لم تقدر عليها قدرة
العبد كما بين المخلوقات قال الامام رضي الله عنه ويقال الشكر على الشكر اتم من الشكر وذلك
بان ترى شكرك بتوفيقه ويكون ذلك التوفيق من اجل النعم عليك فتشكره على الشكر ثم تشكره
على شكر الشكر الى ما لا يتناهى قال الشارح رضي الله عنه وهذا صحيح فان من لا يعرف ان توفيقه
للشكر نعمة لا يشكر عليه فمن راى كونه في عافية نعمة فشكر عليها ولم يعرف ان توفيقه
للشكر نعمة اخرى لا يشكر عليها ومن عرف ذلك فشكر عليه فشكره اتم من شكر من لم يعرفه وبهذا
الاعتبار كان الشكر على الشكر اتم من الشكر وهذا يتسلسل وقد قلنا ان نهايته الموت لانه لو توالى
عليه الشكر وشكر لكان اخر شكر يعقبه الموت لم يشكر عليه قال الامام رضي الله عنه وقيل
الشكر اضافة النعم الى مولها بنعت الاستكانة له قال الشارح رضي الله عنه وهذا من الطراز
الاول الذي قلنا ان حقيقة الشكر لم يحقق فيه فان خلاصته الاعتراف بنعمة المنعم مع
التذلل له وهو الاستكانة والشكر الثنا على المنعم بانعامه فافترق الامران ويحتمل ان يريد
به شكر الاعمال اذا قارنته نية الشكر قال الامام رضي الله عنه وقال الجنيد الشكر ان
لا ترى نفسك اهلا للنعمة قال الشارح رضي الله عنه وهذا بالغ فان من لم ير نفسه اهلا
للنعمة لعدم صلاحيته لها وراها فضلا من المنعم بها استحيا من الله ان يكون شكره جزا
عليها كيف اذا لاحظ شكره نعمة اخرى تحتاج الى الشكر فهو ينبغي ان يكون شاكرا للنعمة
من نعمه ابدا ولذلك قيل اذا كان شكري نعمة الله نعمة علي له في مثلها يجب الشكر فكيف
بلوغ الشكر الا بفضله وان طالت الايام واتسع العمر قال الامام رضي الله عنه وقال رويم
الشكر استفراغ الطاقة قال الشارح رضي الله عنه وفيه نفسه جيدة وهو من باب حذف
المضاف واقامة المضاف اليه مقامه فمعناه كمال الشكر استفراغ الطاقة فيه فاذا استفرغت
وسعك في الشكر وعجزت عما لم يخلق لك قدرة عليه اتيت بالممكن والغاية من الشكر قال
الامام رضي الله عنه وقيل الشاكر الذي يشكر على الموجود والشكور الذي يشكر على المفقود
ويقال الشاكر الذي يشكر على الرفد والشكور الذي يشكر على الرد ويقال الشاكر الذي يشكر
على النفع والشكور الذي يشكر على المنع ويقال الشاكر الذي يشكر عند البذل والشكور
الذي يشكر عند المطل قال الشارح رضي الله عنه وهذه الكلم تدخل تحت سلك واحد
وذلك ان كل من لا يشكر الا على النعم والعطايا لكونه لا يعرف نعمة سواها فهو شاكر وكل من
ارتقت درجته حتى راى البلاء والمنع والرد والمطل نعمة من حيث كان اختيار الحق
العالم بمصلحته فراها نعمة شكر عليها فقد تزايد شكره فكان في اول امره شاكرا فلما اعتبرها
نعمة وشكر عليها صار شكورا فان الشكور مبالغة من شاكر ولذلك قال صلى الله عليه وسلم
افلا اكون عبدا شكورا وروية جميع ما هو فيه من نعم الحق عليه واوقع عبادته شكرا لله

تعالى على ذلك قال الامام رضي الله عنه سمعت الشيخ ابا عبد الرحمن السلمي يقول سمعت الاستاذ
ابا سهل الصعلوكي يقول سمعت المرتعش يقول سمعت الجنيد يقول كنت بين يدي السري
العب وانا ابن سبع سنين وبين يديه جماعة يتكلمون في الشكر فقال لي يا غلام ما الشكر
فقلت ان لا يعصى الله بنعمه فقال يوشك ان يكون حظك من الله لسانك قال الجنيد رحمه
الله فلا ازال ابكي على هذه الكلمة التي قالها السري قال الشارح رضي الله عنه وهذا فعل
ببركة دعاء السري للجنيد ان يسدده الله فلما كان عنده مشايخ وتكلموا في الشكر اراد
السري ان يظهر الله الحق على لسان الجنيد وهذا نوع من انواع الشكر خفي لا يعرفه كل الناس
ومتى يعرف الصبي الصغير شكر الله تعالى واكثر ما يتكرر بين الناس شكر الاقوال فلما قال له ما
الشكر قال ان لا يعصى الله بنعمه هذا شكر الله تعالى فلما قال هذا القول العجيب شيخه والجماعة
فقال له السري يوشك ان يكون حظك من الله لسانك وهذا الذي يدل على ان السري دعا
له حين ساله ان يسدد الله لسانه فلما قال ما قال قال له السري يوشك ان يكون حظك
من الله لسانك فقال الجنيد فانا لا ازال ابكي لقول السري ذلك خيفة ان لا يكون لي من الله
حظ الا في تسديد لسانه خاصة ومقصود الجنيد ان يسدده الله مطلقا في سائر حركاته
وسكناته وانما خشي ان يكون دعا السري له في تسديد لسانه خاصة قال الامام
رضي الله عنه وقال الشبلي الشكر رؤية المنعم لا رؤية النعمة قال الشارح رضي الله عنه
وهذا ابلغ في الشكر وذلك انه لا يبقى رؤية النعم وانما يتناها الى المنعم فحينئذ يشكر عليها فاذا
كان الغالب على القلب رؤية المنعم ويكون ما ورد منه من النعم في ثاني نظر ويكون هو السابق
على القلب كما قال بعضهم ما رايت شيئا حتى رايت الله قبله اي الغالب على قلبه رؤية الله ومراقبته
فاي شيء حدث فيه لا يكون مذكرا له ورؤية الحق فانه ذاكر له غير غافل وهو الكامل من قال ما
رايت شيئا حتى رايت الله معه فتكون رؤية النعمة مذكرة للمنعم معاينة ذكر المنعم مع ذكر
النعم وقد تقدم ذكره ذاكر للمنعم لا يزال والتفاته الى النعم في ثاني حال قال الامام رضي
الله عنه وقيل الشكر قيد الموجود وصيد المفقود قال الشارح رضي الله عنه وهذا التفات
الى ثمرات الشكر فان الحق سبحانه قال لئن شكرتم لازيدنكم قال اهل التفسير من طاعتي
فان من الله على العبد بنعمه واكبر النعم الطاعة فشكرها كان شكره تقييدا لها اي حفظا
لها وسببا لتحصيل غيرها معها مضافا اليها وهو صيدها فبهذا الاعتبار قال الشكر قيد
الموجود يعني الحاصل وصيد المفقود يعني الممكن الموعود به وهي الزيادة قال الامام
رضي الله عنه وقال ابو عثمان شكر العامة على المطعم والملبس وشكر الخواص على ما يرد
على قلوبهم من المعاني قال الشارح رضي الله عنه وهذا الذي قد صنفناه لما فصلنا النعم الى نعم
كليه اي يعرفها كل الناس كنعمة الشمس والنيل والمطر والعافية ودفع البلايا وفوقها نعم

كما قررناه يعرفها العلماء وفوقها نعم من مواهب القلوب الواردة من الغيوب يعرفها الاولياء
وعلى حسب النعم ومعرفته بكثرتها يكون العبد شاكرا او مشكورا قال الامام رضي الله
عنه وقيل قال داود عليه السلام الهي كيف اشكرك وشكري لك نعمة من عندك فاوحى
الله سبحانه اليه الان قد شكرتني وقيل قال موسى عليه السلام في مناجاته الهي خلقت
ادم بيدك وفعلت وفعلت فكيف شكرك فقال علم ان ذلك مني فكانت معرفته بذلك
شكره لي قال الشارح رضي الله عنه وهذان القولان مشتملان على ذكر الشكر وان كل
واحد منهما صلوات الله عليهما معترف بانه لا قدرة له على كمال شكر نعم الله عليه
وانما سال هل يمكن ان يقوم بشكر نعمه احد فاراد ان يعرف ذلك ليقوم به فاعلمها
الحق ان معرفتهما بانه لا يقوم احد بشكر نعمه عليه غاية في شكره قال الامام رضي الله
عنه وقيل كان لبعضهم صديق فحبسه السلطان فارسل اليه فقال له صاحبه اشكر الله
تعالى فضرب الرجل فكتب اليه فقال اشكر الله تعالى فجيء بمجوسي مبطون وقيد
وجعلت حلقة من قيده على رجل هذا وحلقة على رجل المجوسي فكان يقوم المجوسي
بالليل مرات وهذا يحتاج ان يقوم معه ويقف على راسه حتى يفرغ فكتب الى صاحبه
فقال اشكر الله فقال الى متى يقول واي بلاء فوق هذا فقال له صاحبه لو وضع الزنار
الذي في وسطه في وسطك كما وضع القيد الذي في رجله على رجلك ماكنت تصنع قال
الشارح رضي الله عنه وهذا وفقه الله نظر في معرفته النعم وذلك ان ما من بلاء الا وفوقه
ما هو اعظم منه من بلايا الدنيا كالحمى والبطن والبرص والجذام والعمى وغير ذلك من
البلايا الدنيوية فقد يبتلى الانسان ببلاء ويعافى مما هو اعظم منه فينبغي له ان يعرف نعمة
الله عليه فيما صرفه عنه من البلاء العظيم وكذلك بلايا الدين من المعاصي والبدع والكفر
الذي هو اعظم البلاء وكذلك الصغائر والكبائر متفاوتة في الاثم وهي معاصي وكذلك
البدع منها ما يكفر به وهي نوع فصرف الاعظم من البلاء بالنسبة الى الادنى من جملة
النعم على العبد الذي يشكر الله عليه وهذا ان رجلان صالحان فابتلي احدهما اما بكذب
عليه او بامر ما فشكي الى السلطان وضرب فكتب الى اخيه بذلك فكتب اليه اشكر الله
فان هذه نعمة ساقها الله اليك لك فيها اجر ثم سجن هذا الصالح المضروب فكتب
الى اخيه بذلك فكتب اليه اشكر الله فانها ايضا نعمة ثم جيء بمجوسي الى الحبس وكان مبطونا
وقيد وجعلت احدى حلقة القيد في رجل هذا الرجل الصالح والاخرى في رجل المجوسي
فكان المجوسي يقوم بسبب بطنه لموضع التصرف في الليل مرارا ويحتاج هذا الرجل ان يقوم معه
لضرورة القيد ويقف على راسه حتى يقضي حاجته ثم يرجعا الى مكانهما يقوم معه مرة
اخرى فكتب الى اخيه بذلك فكتب اخوه اشكر الله فكتب اليه الى متى تقول اشكر الله فهل بعد

Copyright © King Saud University

هذا البلا بلا لا اعظم منه فكتب له اخوه لو وضع الله علامة المشرك عليك كما وضع الحلقة التي في رجله في رجلك ماذا كنت تصنع فنبهه على ان ذلك كل بقضا الله وبقدره وقد سلمك الله من بلا الشرك والمجوسية فاشكر الله وهذا يداوي الانسان نفسه ويتدرج في معرفة النعم ليعظم شكره ويحقق بكونه شكورا فيعرف نعم الدنيا ونعم الدين ونعم القلوب ثم ينتقل الى البلايا فيعرف ان البلا نعمة باعتبار ما عليه من الجزا او باختيار المولى له على حسب درجته ثم ينتقل في البلايا الى معرفة ما صرف عنه مما هو اعظم مما ابتلي به كما نبهنا عليه والله الموفق وهذا انما استبعده من لم ينبه عليه بالامور المفرسه المعتاده ويقول كيف اثني المولم نعمة وانما النعم ما يوافق فيقول قد يشتد فرح المريض بالدواء المر الكريه لما يرجوا عليه من العافية ويرى تيسير اسبابه وحصوله من جملة النعم عليه وكذلك بعض الصناع الذي يتعاطى الاعمال المولمه يفرح اذا تيسر له العمل وان كان مولما لبدنه لما يرجوه من الاجرة وذلك كالحماريل والبنايين وارباب الاشغال المتعبة المولمة يفرحون بتيسيرها وان كانت مولمة لهم وذلك لما يرجون وقد يرى الرجل الحر يتقرب من السلطان الجاير فيخدمه ويتذلل له وهو يقاسي من هوانه له وتسخيره واذلاله له ما لا يقاسيه بعض عبيده وذلك لما يتوهمه من الشرفية بقربه والنسبة اليه فقد صار المولم له لذيذا لما يعتاضه من محبة الجاه والرفعة له عند غيره **قال** الامام رضي الله عنه وقيل دخل رجل على سهل بن عبد الله فقال ان اللص دخل داري واخذ متاعي فقال اشكر الله تعالى لو دخل اللص قلبك وهو الشيطان وافسد التوحيد ما كنت تصنع **قال** الشارح رضي الله عنه وهذا نوع مما تقدم ذكره وذلك هو لا القوم من السادة الغالب على قلوبهم النظر لافعال الله تعالى في كل ما يرد عليهم وعلى غيرهم فلما اشتكى له صاحب المصيبة التي اصابته في دنياه وان اللص دخل داره واخذ متاعه وراه متالما على ذلك ذكره ما هو اعظم منه من البلا الذي ابتلي به غيره وصرفه عنه وذلك انه ابتلي الكفار بدخول الشيطان بوسوسته في قلوبهم حتى منعهم من الايمان وكذلك غيرهم من المنافقين والمرتدين اللذين افسد عليهم ما كانوا فيه من الايمان فعرفه نعمة الله عليه فيما صرفه عنه من البلا الذي هو اعظم مما ابتلاه به فان بلا الاخرة اشد من بلايا الدنيا واعظم **قال** الامام رضي الله عنه وقيل شكر العينين ان تستر عيبا تراه بصاحبك وشكر الاذنين ان تستر عيبا تسمعه فيه **قال** الشارح رضي الله عنه وهذا بيان شكر الافعال كما تقدم وقد بينا ان الشكر يكون بالقلب واللسان والافعال وشكر الافعال هي الطاعات ان تشكر الله على نعمة البصر فتطيعه به وكذلك نعمة السمع وبقية الاعضا وحتى تفطن العبد لكثرة نعم الله عليه في قلبه وجوارحه وشكر على ذلك انتقل من مرتبة الشاكر الى مرتبة الشكور كما قال تعالى انه كان عبدا شكورا **قال** الامام

وهو الشيطان

رضي الله عنه وقيل الشكر التذاذ بثنايه على ما لم يستوجبه من عطايه **قال** الشارح رضي الله عنه وهذا فيه اشارة الى حقيقة الشكر بالحال وهو زيادة على ما قدمناه من اقسام الشكر فانه يعم شكر القلب واللسان والاعمال فان العبد اذا اعترف بالنعمة للمنعم واثنى عليه بها كان شاكرا وان لم يتلذذ بحال الشكر فتلذذه بالثنا زيادة في محبة الثنا والتعظيم للمثني عليه وهذا شكر المحبين العارفين **قال** الامام رضي الله عنه سمعت محمد بن الحسين يقول سمعت الحسين بن يحيى يقول سمعت جعفرا يقول سمعت الجنيد يقول كان السري اذا اراد ان ينفعني سالني فقال لي يوما يا ابا القاسم ايش الشكر فقلت ان لا تستعان بشي من نعم الله على معاصيه فقال من اين لك هذا فقلت من مجالستك **قال** الشارح رضي الله عنه وهذا بالغ في اثنا الشيخ لاحوال المريدين وهل انتفعوا بصحبته وهل عزمهم قوي وهل تلقفه هذا المريد واخذه بالقبول ام لا فلما ساله عن الشكر فاجابه بشكر الافعال وان نعم الله تعالى على العبد ينبغي ان يصرفها في جهة طاعة ولا يستعين بها على شي من مخالفته فلما اعجب الشيخ جواب الجنيد اراد ان يحقق تعلقه واستفادته ذلك من مجالسته فقال له من اين لك هذا فاجابه من مجالستك فسر بذلك واذا علم الشيخ حال التلميذ وانه شديد الرغبة على نيل الفوايد من جهته وانه يقصده بما خصه بفوايده اختصه به **قال** الامام رضي الله عنه وقيل الترم الحسين بن علي الركن فقال الهي نعمتني فلم تجدني شاكرا وابتليتني فلم تجدني صابرا فلا انت سلبت النعمة بترك الشكر ولا ادمت الشدة بترك الصبر الهي ما يكون من الكريم الا الكرم **قال** الشارح رضي الله عنه وهذه المناجاة ضمنها كمال الثنا على الله تعالى والحمد له بصفاته الكاملة واحسانه العام وذلك ان قوله الهي نعمتني فلم تجدني شاكرا اقرارا بالنعمة واعترافا بالتقصير عن الشكر وكذلك قوله ابتليتني فلم تجدني صابرا اعتراف منه بانه الفاعل للخير والشر وانه غير صابر عند البلا ثم اعترف بفضله عليه وكمال احسانه اليه في حالتي نقصه وعدم قيامه بالشكر والصبر فقال فلم تسلبني النعمة لقلة الشكر ولم تدم علي البلية لقلة الصبر ثم قال الهي ما يكون من الكريم الا الكرم والكرم لا يكون الا من الكريم **قال** الامام رضي الله عنه وقيل اذا قصرت يدك عن المكافاة فليطل لسانك بالشكر **قال** الشارح رضي الله عنه وهذا قد تقدم بيان ما قدمناه من ان الشكر يكون بالقلب واللسان والافعال فمن امكنه ان يشكر بالجميع فهو الكمال كما قال سيد العرب والعجم لما قيل له لما قام حتى تورمت القدم تفعل هذا بنفسك وقد غفر لك ما تاخر وتقدم قال افلا اكون عبدا شكورا دل على انه شاكر بقلبه ولسانه وبالافعال له فاذا عجز العبد عن الشكر بالافعال وهو المعبر عنه بقصور اليد فلا يعجز عن شكر اللسان واما شكر القلب فلا يعجز ولا يعجز

Copyright © King Saud University

النعم الا بتكلف الضد او لكمال الاشتغال عن ذلك بغيره والضد ونعوذ بالله من ذلك **قال** الامام
رضي الله عنه وقيل اربعة لا ثمرة لاعمالهم مسار الاصم وواضع النعمة عند من لا يشكر والباذر
في السبخة والمسرج في الشمس **قال** الشارح رضي الله عنه وهذه الحكاية مقصودها
هو واضع النعمة عند من لا يشكر وفيه ذم من لا يشكر لكونه ممن لا يصلح ان ينعم عليه وضمنها
التحريض على الشكر وبه حسن دخولها في الباب **قال** الامام رضي الله عنه وقيل لما بشر ادريس
عليه السلام بالمغفرة سال الحياة فقيل له فيه فقال لاشكره فاني كنت قبله اعمل للمغفرة
فبسط الملك جناحه وحمله الى السما **قال** الشارح رضي الله عنه وهذه ثمرات الشكر وقد بقوله
تعالى لئن شكرتم لازيدنكم فلما بشر بالمغفرة وامتلا قلبه سرورا بهذه النعمة سال الله تعالى
ان يطيل عمره ليوالي شكرها فلما عزم على هذا الشكر العظيم سخر له الملك يحمله على جناحه
الى المقام الشريف الذي هو به مقيم كما قال تعالى ورفعناه مكانا عليا **قال** الامام رضي الله عنه
وقيل مر بعض الانبيا عليهم السلام بحجر صغير يخرج منه الما الكثير فتعجب منه فانطقه الله
معه فقال لما سمعت الله تعالى يقول نارا وقودها الناس والحجارة انا ابكي من خوفه فاذعا
ذلك النبي ان يجيره الله ذلك الحجر فاوحى الله سبحانه اليه اني اجرته من النار فمر ذلك النبي عليه
السلام فلما دعا وجد الما يتفجر من مثل ذلك فتعجب فانطق الله تعالى ذلك الحجر معه فقال له
لم تبكي وقد غفر الله لك فقال كان ذلك بكا الحزن والخوف وهذا بكا الشكر والسرور **قال**
الشارح رضي الله عنه وهذا ونحوه مما يقوي الله تعالى به قلوب الانبيا عليهم السلام ويكرر
عليهم خوارق العادات وعجايب افعاله في مخلوقاته ليكمل تعظيمهم له واجلاله في قلوبهم
وذلك ان حجرا صغيرا يجري منه ما كثير مخالف للعادة وانما يجري الما الكثير من الجبل
الذي يحمل الما الكثير فينبع منه فكان ذلك متعجبا منه هذا النبي صلوات الله على نبينا وعليه
انطق الله الحجر له بسبب خروج كثرة هذا الما وانه بكى الخوف من عذاب الله تعالى لما سمعه تعالى
يقول نارا وقودها الناس والحجارة خاف ان يكون من تلك الحجارة فلما فهم النبي ذلك سال الله
فيه وان لا يجعله منها واعلمه بذلك ومضى بناميه على انه يسكن ولا يبكي فغاب النبي عليه
السلام عنه مدة ثم رجع اليه فوجد الما يجري منه على عادته فكانه تعجب من بكايه
وربما سال عنه فانطق الله الحجر له بان ذلك كان بكا الحزن والخوف وهذا بكا الفرح
والشكر وروح هذه الحكاية ان كمال العبد في شكره ان يكون متعبدا بشكره خاشعا
منه لا لارادة زيادة فضله عليه بل لتمامه لشكره مع نظره الى نفسه وعدم صلاحيته لما ازيد
عليه فهو معترف شاكر متذلل في نفسه صاغر **قال** الامام رضي الله عنه وقيل الشاكر
مع المزيد لانه في شهود النعمة قال الله عز وجل لئن شكرتم لازيدنكم والصابر مع الله تعالى لانه
في شهود البلوى قال الله سبحانه ان الله مع الصابرين **قال** الشارح رضي الله عنه وهذا فيه

نظر فانه لا يلزم من كل شاكر ان يكون شكره طلبا للمزيد وان كان الحق سبحانه وعد على الشكر
المزيد وقد يكون هم الشاكر شكره لله على من انعم عليه خاصة وثناءه عليه بذلك ولا يخطر
بباله المزيد فلا يكون مع المزيد واقفا وكذلك الصابر لا يلزم ان كل صابر يرى المبلي في نفس بلايه
بل يحبس نفسه عن التسخط بما هو فيه ويكون صابرا فلا يكون مع الله اي ناظرا اليه في حال البلا
فقد تبين بذلك ان الامر منقسم يختلف باختلاف الشاكرين والصابرين فرب صابر ناظر
المبلي في حال بلايه فيخف ما به بذلك ويزول عنه جزعه وتسخطه ورب شاكر يكون
قصده بشكره مع ثنايه على ربه تحصيل ما وعد به من الزيادة فيكون واقفا مع شكره
قال الامام رضي الله عنه وقيل تقدم وفد على عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه وكان فيهم
شاب فاخذ يخطب فقال لعمر الكبر الكبر فقال الشاب يا امير المومنين لو كان الامر بالسن
لكان في المسلمين من هو اسن منك فقال تكلم فقال لسنا وفد الرغبة ولا وفد الرهبة
اما الرغبة فقد اوصلها الينا فضلك واما الرهبة فقد امننا منها عدلك فقال فمن انتم
فقال وفد الشكر جينا لنشكرك وننصرف وانشدوا ومن الرزية ان شكري صامت
عما فعلت وان برك ناطق ٢ ارى الصنيعة ثم اسرها اني اذا ليد الكريم لسارق
قال الشارح رضي الله عنه وفي هذه الحكاية من الادب ما ننبه عليه وذلك ان جماعة
اذا وفدوا فينبغي ان يتقدم الى الكلام الخلفا واهل الفضل اكبرهم سنا واعلمهم بمواقع الخطاب
والجواب فلما اتى هذا الوفد تكلم منهم شاب فامر بذلك الخليفة عمر بن عبد العزيز
رضي الله عنه وقال الكبر الكبر يعني ليتكلم كبيركم فاجابه هذا الشاب بانك صدقت
يا امير المومنين ولكن الكبر قد يكون بالسن وقد يكون بمعنى الفضل ولو كان التقدم
على الجماعة بالسن لكان في المسلمين من هو اسن من امير المومنين فعرف امير المومنين
فضله ورجعه على نفسه بنصحه فقال له تكلم فقال يا امير المومنين لسنا وفد الرغبة
اي ما جينا لنطلب منك شيا ولا خفنا من شي نخلصنا منه ثم شرح ذلك فقال اما
الرغبة فقد اوصلها الينا فضلك اي ونحن ببلادنا واما الرهبة فقد امننا منها
عدلك ونحن بمواضعنا فقال له امير المومنين فمن انتم فقال نحن وفد الشكر جينا
نشكرك ونتصرف على ما نحن فيه من نعمك وفضلك وفايدة هذه الحكاية الجد في الاسعار
من العقلا في تبليغ الشكر لمن يستحقه فاذا كانت النعم حاضرا والنعم متواليه والقلب
واللسان صامتة عن الشكر كان من اقبح القبايح عادة وشرعا ولذلك قال في الشعر
الذي اردف به الحكاية ومن البلية جعله بلاء ان شكري صامت عما فعلت وان
برك ناطق اي نعمك علي متوالية ظاهرة وانا لا اشكرها ثم وبخ نفسه بقوله ارى
الصنيعة منك ثم اسيرها اني اذا لسيد الكريم لسارق يجعل اخفاء النعم سرقة وتحمل

Copyright © King Saud University

اخفاوه عدم شكره للنعم ويكون كتمه اخفاده ويحتمل ان يكون اخفاها سترها عن بعض
المخلوقين فان الحق سبحانه اذا انعم على عبد نعمة احب ان يظهر نعمه عليه وهو يكره
البوس والتباوس وجلا الى النبي صلى الله عليه وسلم رجلا به على بلا بعض الصحابه وعليه
ثياب من خلق فسا له هل له غير هذين الثوبين فقيل له نعم فامره النبي صلى الله عليه وسلم
فلبسهما ثم لبسهما قال له النبي صلى الله عليه وسلم ماله ضرب الله عنقه اليس هذا
احسن فقال الرجل في سبيل الله فقد كره النبي صلى الله حاله مع تمكنه من اظهار النعم عليه
قال الامام رضي الله عنه وقيل اوحى الله سبحانه الى موسى عليه السلام ارحم عبادي المبتلي
والمعافي فقال ما بال المعافي فقال لقلة شكرهم على عافيتي اياهم قال الشارح رضي الله عنه
وهذا يدل على ان التارك للشكر على النعم مبتلا ببلا شديد ينبغي ان يرحم على ما هو صدد ذلك
انه فاته الشكر لهذه النعمة وفاته الزيادة الموعود بها على الشكر ومن تمكن من تحصيل خيرات
بابين بسبب ولم يفعل فهو مغبون محروم مرحوم قال الامام رضي الله عنه وقيل الحمد
على الانفاس والشكر على نعم الحواس وقيل الحمد ابتدا منه والشكر اقتدا اصل قال الشارح
رضي الله عنه وقد تقرر ان الحمد اعم من الشكر فانه قد يطلق على الصفات والافعال
جميعا والشكر قد يكون على النعم خاصه على راي كما تقدم فجعل الحمد على اكبر النعم وهي
الانفاس الصالحه وهي من اعمال القلوب وجعل الشكر على نعم الحواس وهي تبع للقلوب
وقوله الحمد ابتدا منه يحتمل امرين احدهما انك تحمده على ما تفضل عليك به بغير سبب منك
بل هو محض فضله واحسانه عليك وهو اجرا النعم عليك وهذا معنى كونه ابتدا منه والشكر
اقتدا منك اي جعلته جزا النعمه عليك ومقابلة النعم بمثلها فمن احسن اليه قال الامام رضي
الله عنه في الخبر الصحيح اول من يدعى الى الجنه الحمادون لله على كل حال قال الشارح رضي الله
عنه وذلك ان من راى جميع ما هو فيه نعمه عليه فهو من جملة الراضين عن الله في جميع
ما يطرقه ويخلقه له وافق الغرض او خالف ومن هذه صفته هو الذي يحمد الله على كل
حال وافق غرضه او خالف فبذلك كان اول من يدعى الى الجنه لكثرة خيرهم وطاعتهم
قال الامام رضي الله عنه وقيل الحمد لله على ما دفع والشكر على ما صنع قال الشارح رضي الله
عنه وفي هذا اشاره الى ان نعمة دفع البلا افضل من نعمة العطا ولذلك قرن بالاولى
الحمد الذي هو افضل من الشكر فانه على قدر النعمه يجب ان يكون الشكر جزا لها قال الامام
رضي الله عنه وحكي عن بعضهم انه قال رايت في بعض الاسفار شيخا كبيرا قد طعن في السن
فسالته عن حاله فقال اني كنت في ابتدا عمري اهوى ابنة عم لي وهي كذلك كانت تهواني
فاتفق انها زوجت مني فليلة زفت الي قلنا تعالى حتى نحيي هذه الليلة شكرا لله تعالى
على ما جمعنا فصلينا تلك الليلة ولم يتفرغ احدنا الى صاحبه فلما كان الليلة الثانية قلنا مثل ذلك

فقد

فقد سبعين سنه نحن على تلك الحالة كل ليلة اليس كذلك يا فلانه فقالت العجوز كما يقول
الشيخ قال الشارح رضي الله عنه وفي هذه الحكايه وفقك الله اشاره الى ان من كان بعيد
عن مولاه عاملا في تحصيل قربه والتلذذ بمناجاته في دنياه ونيل محبته وولاه فتح عليه
بذلك وفتق من الاوقات فليدم شكره على ما من به عليه مكررا ذلك اي الميثاق فان هذا
الشيخ لما كان متعلق القلب بابنة عمه وهي كذلك ومن الله عليهما بالاجتماع على وجه حلال
احبا ان يشكرا الله تعالى على ما من به عليهما ولم يقنعا بشكر اللسان حتى شكراه بعمل الابدان
فاشتغلا في ليلتهما بعبادته فلم يتفرغ واحد منهما لنيل شهوته فلما كان في الليله الثانيه
ذكرا ما من الله عليهما من الاجتماع وما وفقهما له من الشكر رجا الزيادة والانتفاع ففعلا
ذلك كذلك في الليلة القابله وداما على ذلك سبعين او ثمانين سنه فهكذا يكون حال من عرف
مقدار النعم ورغب في نوالها عليه شكرها بالقلب وباللسان وبالفعل والنعم والله الموفق للخيرات
والمعين على الصالحات بمنه وكرمه قال الامام رضي الله عنه باب اليقين
قال الله سبحانه والذين يومنون بما انزل اليك وما انزل من قبلك وبالاخرة هم يوقنون ثنا
الاستاذ الامام ابو بكر محمد بن الحسين بن فورك رحمه الله انا ابو بكر احمد بن محمود بن
خرزاذ الاهوازي بها قال ثنا احمد بن سهل بن ايوب قال حدثنا خالد بن يحيى بن يزيد
قال ثنا سفيان الثوري وشريك بن عبد الله وسفيان بن عيينة عن سليمان التيمي عن خيثمة
عن عبد الله عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال لا ترضين احدا بسخط الله ولا تحمدن
احدا على فضل الله عز وجل ولا تذمن احدا على ما لم يوتك الله فان رزق الله لا يسوقه
حرص حريص ولا يرده عنك كراهية كاره وان الله تعالى بعدله وقسطه جعل
الروح والفرح في الرضا واليقين وجعل الهم والحزن في الشك والسخط قال الشارح
رضي الله عنه ونحن نسلك في باب اليقين كما سلكناه في غيره من الابواب المتقدمه من
بيان الحقيقه والاسباب والادله والثمرات ثم نجري عليها اقوال اهل فاليقين راجع
الى تمام العلم بالمعلوم حتى يصير الغالب على القلب ويصير مشاهدا له كالعلوم الضروريه
المستغنيه عن الاستدلال وهذا العلم فيما يتعلق بالله تعالى وصفاته وكماله وجلاله واقداره
وانفراده بالافعال وجميع ما تضمنه لفظ الايمان لما سال النبي صلى الله عليه وسلم
جبريل عن الايمان قال ان تومن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الاخر والقدر خيره
وشره فاذا حصل العلم بهذه المعلومات من طرقها سوا كانت عقليه او شرعيه وتوالى
ذلك على قلب العبد حتى تلاشت غفلته عنه وصار مشاهدا به بقلبه سمي يقينا وقد جعلهم
اليقين على مقتضى اللغه بان قال يقال ايقن الما اذا صفي من كدورته وذلك انه اذا كان الما
ينحدر من موضع عال الى منخفضه انجر مع الما ما يلاقيه من التراب والاوساخ فاذا استقر

في مقبضه وثبت قراره وصفى وزال عنه ما خالطه فقال ايقنوا انما فكلمته الا بسمول الع
وان حصل ولم يكن فيه سواك في المعلوم فلا يسمونه يقينا الا اذا قوي وغلب حتى صار غالبا
عليه وبعدت غفلته عنه وقال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم تعلموا اليقين فاني
تعلمته ويستحيل ان يعلم معرفة الله تعالى وصفاته وجميع ما جاء به عن ربه فانه
معلوم له وانما يرجع التعلم والله اعلم الى تعود الاشتغال به وعدم الالتفات القلب الى غيره
فان هذا المعنى الذي يقوى في القلب بقوته التوكل والرضى والتسليم والمحبة والتوحيد
وسائر المقامات العالية لان جميعها مترتب على ثبوت اليقين واما اسبابه فالنظر
في المخلوقات الدالة على وجود الحق سبحانه وكمال صفاته وتنزهه عن مماثلة خلقه وكذلك
ما تضمنه الكتاب العزيز والاخبار الصحيح من جماله وجلاله وكمال مخلوقاته الغايبة عن الحس
مما اخبر به انبياؤه صلوات الله عليهم ودوام الفكر في هذه المعلومات يمكن اليقين
بها في القلب حتى لا يكاد العبد ان يغفل عنها وربما غلب ذكرها حتى انسى ما سواها وربما طرقت
القلب عظمتها حتى غلبت عليه واخل الحس بالخلال له وربما غاب العقل لعزة هذه منها
وسياتي في كلام المشايخ ما يدل على ما ذكرناه على الجملة وكل دليل دل على تحصيل العلم بما
ذكرناه من المعلومات ودوام التبتل له والمسارعة فيه والمسابقة وافراده دون غيره
دليل على تحصيل اليقين واما ثمراته فمما لا تحصى فانه تترتب عليه خيرات الدنيا والاخرة
وجميع المقامات وان تفاوتت في الدرجات فانما تفاوت الناس فيها على حسب تفاوتهم
في اليقين وقد قيل للنبي صلى الله عليه وسلم ان عيسى ابن مريم صلوات الله على نبينا
وعليه مشى على الماء قال لو ازداد يقينا لمشى في الهوى قال بعض العلماء انما كان ذلك اشارة
الى حالته صلى الله عليه وسلم ليلة الاسرى حيث ان فارقه جبريل وقال وما منا الا له
مقام معلوم وكذا قال صلى الله عليه وسلم رايت اخي جبريل كالحلس الملقى وذلك لكمال علمه
بالله تعالى **قال** الامام رضي الله عنه انا الشيخ ابو عبد الرحمن السلمي رحمه الله انا ابو جعفر
محمد بن احمد بن سعيد الرازي ثنا عباس ابن حمزة ثنا احمد بن ابي الحواري قال قال
ابو عبد الله الانطاكي ان اقل اليقين اذا وصل الى القلب ملا القلب نورا ونفى عنه
كل ريب وامتلى القلب به شكرا ومن الله تعالى خوفا **قال** الشارح رضي الله عنه وما ذكره
من علامات اليقين وثمرات في القلب وذلك انه يستحيل ان يبقى مع اليقين شك
في الموقن وهو المعبر عنه بالريب واما امتلا القلب نورا فهو ان يصير من امره على
بصيرة لا خفا فيه ولا اشكال واذا امتلا القلب بهاتين النعمتين وهما نفي الريب ونور
الكشف تاكد على القلب الشكر لما هو فيه من النعم وخوفه من الله تعالى يكون لمعرفته
بعظمته وخوفا من سقوطه عن منزلته **قال** الامام رضي الله عنه ويحكى عن ابي حفص الحداد

٢٢٢

انه قال رآني ابو تراب النخشبي وانا في البادية جالس على بركة ماء ولي ستة عشر يوما لم اكل
ولم اشرب فقال لي ما جلوسك ها هنا فقلت انا بين العلم واليقين انتظر ما يغلب فاكون معه يعني
ان غلب العلم شربت وان غلب اليقين مررت فقال سيكون لك شان **قال** الشارح رضي
الله عنه واي شان اعظم من مواصلة ستة عشر يوما لم ياكل ولم يشرب ومع ذلك لم
ياذن لنفسه في الشرب حتى ينظر ما الذي يفعل الله به ويجريه عليه ليتقوى يقينه بخوارق
العادات وذلك انه لما ساله ابو تراب عن جلوسه قال انا بين العلم واليقين فاليقين ان الله
تعالى قادر على ان يرويه بلا ماء وقادر ان يسر له وليا فيسقيه او ملكا وهو في هذه الحالة
لم تجب عليه الشرب بعد الا بسبب خوفه على عقله من الاختلال او على بدنه من ان يعجز عن الصلاة
فايما متى احس من نفسه الخوف على عقله او على بدنه دل له العلم على الشرب لئلا يعصي ومتى
وجد من نفسه قوة على الصبر وامنا فيما ذكرناه وهو موقن بان الله قادر على ان يرويه مما ذكرناه
او بغيره من الاسباب فهذا معنى كونه بين العلم واليقين ان غلب العلم شرب وان غلب اليقين
صبر واستمر ولقد حكي عن ابي زكريا يحيى المغيلي الذي كان ببلاد تونس اخبرني بذلك
عنه من سمعه منه ممن اثق به قال له خرجت يوما من المدرسة قاصدا نحو العراق سائحا
فاقمت ايام لم اكل ولم اشرب فخطر بنفسي شهوة اكل شواء سخن من رقاق من رقاق
العراق في سنبل فعاتبت نفسي ولمتها على هذا الخاطر في مثل هذا الوقت في الصحراء
وهي تشتهي بعد ثم اشرفت على زاوية في وسطها ماء حلو فجلست عنده اتوضا ونفسي
تكلب على الشرب وانا امنعها حتى يزول شرهها وتشرب بادب وبنية حسنة قال
فبينما انا كذلك واذا بطل رايته في الماء فرفعت راسي فاذا هي جارية بيدها منديل
داخله شيء تفور فعلمت انه امتحان من الله تعالى فصحت عليها فذهبت ثم توضات
وقمت اركع ولم اشرب ثم رايت اشخاصا من بعيد في موضع يقومون فيجلسون
فقصدتهم فاذاهم من الصالحين اعرف بعضهم كعرف فبعد ساعة اتانا الخضر عليه
السلام وقال لي الى م تعذب هذه النفس المسكينة وملا كفيه من الماء وسقاني
كرتين **قال** الامام رضي الله عنه وقال ابو عثمان الحيري المعصية قلة الاهتمام
لغد **قال** الشارح رضي الله عنه وهذا اليقين يحسن الظن مما لا بد منه واليقين
له متعلقات عديدة هذا بعضها **قال** الامام رضي الله عنه وقال سهل بن عبد الله
اليقين من زيادة الايمان ومن تحقيقه وقال سهل ايضا اليقين شعبة من الايمان
وهو دون التصديق **قال** الشارح رضي الله عنه اما الايمان فهو اصل كل يقين وتصديق
وقد يطلق التصديق على اصل الايمان وقد يطلق على الصديقية التي هي اعلى درجات اليقين
فبهذا الاعتبار قال وهو دون التصديق اي الصديقية فان المومنين منهم من لا

Copyright © King Saud University

بلغه ويكون سو منا معتقدا ما يجب اعتقاده في الله ورسوله فاذا علم تحقيق الايمان
بالبرهان وتوالي عليه حتى غلب حكمه على قلبه كان في حقيقة اليقين وقد تكون الصيقلة
توالي انواع الصدق في القلب واللسان وساير الافعال من الحركات والسكنات فيكون على
هذا ثمرة قوة اليقين ولهذا والله اعلم سمي الصديق صديقا لكمال صدقه في حال نفسه
وحاله لله ورسوله **قال** الامام رضي الله عنه وقال بعضهم اليقين هو العلم المستودع
في القلوب يشير هذا القايل الى انه غير مكتسب **قال** الشارح رضي الله عنه قد حققنا
ان العبد يكون عالما ويغفل عن معلومه ويكون علمه بالدليل واذا غفل عن دليله
زال العلم عن قلبه واليقين يشعر بتوالي انواع العلم على القلب حتى تزول الغفلة عن المعلوم
ويصير كالعلم الضروري الذي يتوالى ولا يزول وان كان اصله مكتسبا وكان هذا القايل
قال لا يسمى موقنا الا من ارتفعت درجته على العلوم الكسبية الضرورية العادية
وغيرها ولا يسمى موقنا الا من لم غرايب العلوم واطلع على اسرار الملك والملكوت فمتى
وصل الى هذا الحد وهب الله هذه المواهب من المعارف سمي موقنا فكانه اشار الى
اعلى درجات الموقنين فيكون هذا النوع من العلم هو الذي يتوالى على قلبه وتخرق
له فيه العادة بخلاف غيره من الموقنين المتقدم ذكرهم كما تقدم الاطلاق في ان التوكل
هو التفويض اشارا الى اعلى درجات المتوكلين **قال** الامام رضي الله عنه وقال سهل ابتدا
اليقين مكاشفة ولذلك قال بعض السلف لو كشف الغطا ما ازددت يقينا ثم المعاينة
والمشاهدة **قال** الشارح رضي الله عنه وهذا القول مما سبقت الاشارة اليه
وانهم لا يطلقون اليقين الا على نيل اعلى درجات المعارف ودوامها ولذلك قال اوله
المكاشفة ثم المعاينة والمشاهدة وجعل المشاهدة فوق المعاينة وفيه اختلاف
بين اهل هذا الشان فان بعضهم يجعل المعاينة اعلى من المشاهدة لان المشاهد هو الحاضر
والمعاين هو الناظر **قال** الامام رضي الله عنه وقال ابو عبد الله بن خفيف اليقين
تحقق الاسرار باحكام المغيبات **قال** الشارح رضي الله عنه وهذا جيد في الحد عام
لكل ما يتيقن من المغيبات التي اخبر عنها الانبيا عليهم السلام ووقعت بها الخوارق
للانبيا والاوليا والتحقيق اشارة الى الحقيقة وغلبة حكمها على القلب كما نقل من
في سوال حارثة والفرق بين حق الايمان وحقيقته **قال** الامام رضي الله عنه
وقال ابو بكر بن طاهر العلم بمعارضة الشكوك واليقين لا شك فيه اشار الى العلم
الكسبي وما يجري مجرى البديهي وكذلك علوم القوم في الابتدا كسبي وفي الانتها
بديهي **قال** الشارح رضي الله عنه وقوله العلم بمعارضة الشكوك هذا لا يصح ان يكون
علما وانما يرد الشكوك على الظنون والاعتقادات واما العلم الحق بالمعلوم على ما هو

لد

به فيستحيل ان يرد عليه شك نعم يصح ان يغفل عنه ويقوم بالقلب بدله الظن
بخلاف العلوم الضرورية التي تتوالى امثالها على القلب ومراده بها هنا
ان العلوم اللدنية الموهبة من الحق سبحانه في اوايلها ترد على القلب ثم لا
تثبت ولا تتوالى ما دام العبد وان ثبتت درجته والا الحق تعالى عليه الحقيقة
معلومة كما حكي عن بعضهم انه قال ما رايت شيا حتى رايت الله قبله يعني ان علمه بالله
سبحانه وتعالى يتوالى على قلبه فلا يخطر له ذكر غيره الا بعد ذكره فيكون ذكره متوالي
وذكر غيره يطرى ويزول في ساير الاحيان **قال** الامام رضي الله عنه سمعت محمد
ابن الحسين يقول قال بعضهم اول المقامات المعرفة ثم اليقين ثم التصديق ثم الاخلاص
ثم الشهادة ثم الطاعة والايمان اسم يجمع هذا كله اشار هذا القايل الى ان اول الواجبات
هو المعرفة بالله سبحانه والمعرفة لا تحصل الا باستقرار شرايطها وهو النظر الطالب
ثم اذا توالت الادلة وحصل البيان صار يتوالى الانوار وحصول الاستبصار كالمستغني
عن تامل البرهان وهي حال اليقين ثم تصديق الحق فيما اخبر عنه اصغاه الى اجابة
الداعي فيما يخبر عنه من افعاله سبحانه في المستانف لا التصديق انما يكون في الاخبار
ثم الاخلاص فيما يعتقبه من ادلة الاوامر ثم بعد ذلك الاجابة بجميل الشهادة ثم اداء
الطاعات بالتوحيد فيما امر والتجرد عما زجر عنه والى هذا المعنى اشار الامام ابو بكر محمد
ابن فورك رحمه الله فيما سمعته يقول ذكر اللسان يفيض عليها القلب **قال** الشارح
رضي الله عنه وما ذكره من ترتيب درجات الايمان وان اوله معرفة الله تعالى بالنظر
والاستدلال لابد من الاستغنا عن الفكر بوضوح المطلوب من البرهان ثم الغفلة عن الدليل
مع بقا المذكور حيا للقلب شبيها بالعيان ثم التصديق بما اخبر به الانبيا عن الله سبحانه
من امره من امره ونهيه ووعده ووعيده وما يسلكون اركان ثم العمل على حسب ما علم
بالاخلاص لله المطالب الايمان ثم جريان ذلك على اللسان قولا واقرارا وغير ذلك مما يتعلق
البيان وهذا الاخير هو الذي نقله الامام عن ابن فورك رضي الله عنه وهو انها فضلة
خرجت من القلب على اللسان ولا شك ان القلب متى امتلا يفيض نطقه بعضه اللسان
ولهذا جعله اخر رتبة من درجات الايمان **قال** الامام رضي الله عنه وقال سهل بن عبد
الله حرام على قلب ان يشم رايحة اليقين وفيه سكون لغير الله **قال** الشارح رضي الله
عنه والحرام هو المنع ومنه حرام التي بمعنى فكانه قال منع الله قلبا ان يدرك اليقين
الكامل وهو مشغول بغيره وهذا صحيح فان القلب متى امتلا بشي لم يسع غيره وقد قال تعالى
ما جعل الله لرجل من قلبين في جوفه ومتى شغل القلب بغير الله لم يدرك كمال اليقين بما عند الله
قال الامام رضي الله عنه وقال ذو النون اليقين داع الى قصر الامل وقصر الامل يدعو الى الزهد والزهد

يعتقبه
د
فضله م

Copyright © King Saud University

بالمعرفة الحكمة والحكمة تورث النظر في العواقب **قال** الشارح رضي الله عنه وهذا صحيح
ولكنه متعلق ببعض متعلقات اليقين وهو اليقين لانصرام الدنيا وزوالها وانقضائها على رتبة
بعد فراقها ومتى عمر هذا اليقين في القلب قصر الامل وزهد العبد في الدنيا لقلة ثباتها
وسرعة زوالها واذا زهد فيها تفرغ لاعمال الاخرة واذا اتقن في الاعمال القلبية المتعلقة
بالجوارح واوقعها على حسب العلم كان حكيما لان الحكمة وضع الشيء موضعه ولا تكمل
حكمته في اتقان اعماله في قلبه وجوارحه حتى ينظر في عواقبها وما يخشاه مما يفسدها او يبطلها
قال الامام رضي الله عنه سمعت محمد بن الحسين رحمه الله يقول سمعت ابا العباس البغدادي يقول
سمعت محمد بن احمد بن سهل يقول سمعت سعيد بن عثمان يقول سمعت ذا النون المصري
يقول ثلاثة من اعلام اليقين قلة مخالطة الناس في العشرة وترك المدح لهم في العطية
والتنزه عن ذمهم عند المنع وثلاثة من اعلام يقين اليقين النظر الى الله سبحانه في كل شيء والرجوع
اليه في كل امر والاستعانة به في كل حال **قال** الشارح رضي الله عنه وهذا وفقك الله ظاهر في
الدلالة على اليقين وذلك ان من تيقن ان الله تعالى هو الرازق لهم في سائر احواله فمن علامات
يقينه بعده عن الناس في وقت الضائقة والعسر فان الناس يحطمون على الفقراء في وقت
العسر والضائقة فاذا كان الفقير محتاجا فقيرا الاختيار باكمال يقينه بان رزقه على الله حينئذ
كان من علامة صحة يقينه بعده عن الناس في وقت العسر والضيق فان فتح له شيء فاما يرى
الفاتح والمسبح لمن اتى به له فاذا سبق رؤية قلبه لفتح ربه فحينئذ يشكر من اجراه على يديه
طاعة وجبارا وه ولا يلزم من الشكر المدح فان الشكر جزاك الله واكثر الله واعاننا
على برك والمدح ذكر المحاسن والاطراء الذي هو مغترون بمحل الافات والعجب على
الممدوح فارباب اليقين انما يرون اوله الى الحق المسبح ثم يشكرون من اجرى الحق بشكرهم
لا غير واما تنزهه الموقن عن ذمهم اذا منعوه فلكمال علمه بانهم مسخرون ولا يليق الذم
بمن لا يفعل شيا ولو ذم الفاعل هنا يخشى عليه ذم الفاعل حقيقيا كما ورد عن النبي صلى
الله عليه وسلم في الخبر لا تسبوا الدهر فان الله هو الدهر يعني انكم اذا سببتموه من حيث فعله
وكراهيتكم له فانما ذممتم الفاعل حقيقيا وهو الله تعالى واما الثلاثة التي هي من اعلام
يقين اليقين فهذا يدل على ان اليقين درجات فما تقدم اول درجات من اليقين وهذا ارفع
منها وهو النظر الى الحق في كل شيء اي يكون سابقا ناظرا الى الله عند كل امر يهمه وكذلك
يرجع اليه في كل صرف بلا ان يكشفه ويستعين به في كل امر يرومه وتحصيله فهذا اعلى فان رب
مقام الجمعي درجات اليقين **قال** الامام رضي الله عنه وقال الجنيد رحمه الله اليقين هو استقرار
العلم الذي لا ينقلب ولا يتغير ولا يحول في القلب **قال** الشارح رضي الله عنه وهذا فيه
اشارة الى توالي العلم على القلب بالمعلوم الواحد فيكون المتوالي عليه من العلوم امثالا حتى لا

يشعر الانسان بالتوالي ويصير كالنور الابيض الذي يقطع الاسناف تتوالى الاعراض البياض
عليه حتى يتوهم الانسان انها باقية فيصير قلب العبد باستشعار نظر الحق اليه ومراقبته
له كان حاله لم يتغير كانه شيء ثابت ولهذا قال لا ينقلب ولا يتغير والجنيد من العلماء المحققين
العارفين بان العلوم الحادثة علوم تتوالى على القلب فتشبيهها بالعلم الضروري فيكون
علمه بالله تعالى بجلاله وعظمته الذي اكتسبه **قال** ابن عطا على قدر قربهم من التقوى ادركوا من
اليقين واصل التقوى مباينة النهي ومباينة النهي مباينة للنفس فعلى قدر مفارقتهم للنفس
وصلوا الى اليقين **قال** الشارح رضي الله عنه وهذا صحيح وهو الذي دل عليه الخبر الصحيح ما
تقرب المتقربون الي بمثل اداء ما افترضت عليهم ولا يزال العبد يتقرب الي بالنوافل حتى احبه
فاذا احببته كنت سمعه وبصره الحديث واول التقرب بالواجبات الانكفاف عن الشهوات
المحرمات والقيام بالاعمال الواجبات وان تعسر على النفس لمخالفة العادات ثم يترقى في الانكفاف
عن المكروهات والقيام بالمندوبات وهو في كل درجة يتقوى يقينه وينشرح صدره
بما يريه الحق سبحانه من العلوم ويعينه عليه من الاعمال المقربات فاذا احبه الحق سبحانه
حفظه في سائر جوارحه وملا قلبه بيقين معرفته وكشف عنه غفلته وبلغ الغايات
في حفظ القلب والجوارح في عموم الاوقات **قال** الامام رضي الله عنه وقال بعضهم اليقين هو
المكاشفة والمكاشفة على ثلاثة اوجه مكاشفة بالاخبار ومكاشفة باظهار القدرة
ومكاشفة القلوب بحقائق الايمان **قال** الشارح رضي الله عنه قوله اليقين هو المكاشفة
فاليقين هو الاعلام بالمعلومات وثانيه تعلمها بالخبر عن الصادق المعصوم وهو اشتمل
جميع ما اخبر به الانبياء عليهم السلام عن الله تعالى فيما كان ويكون في الدنيا والاخرة فهو مستند
الى الخبر والمكاشفة الثانية مستندة الى الاستدلال بالنظر وهو الاطلاع على عجائب
صنع الله تعالى وبدايع حكمته واسرار لطيفه والمكاشفة الثالثة التي عبر عنها بحقائق
الايمان في القلوب وهي مكاشفة بكمال الذات والصفات وتعلقها بسائر المتعلقات
وتنزهها عن مشابهة المخلوقات وما يورده الحق في القلوب من عجايب الطافه به وتذكيره
له ودوام شغله به في سائر الاوقات فهذه ثلاث مراتب تشملها اسم المكاشفة فان الحق سبحانه
كاشف عبده بها واطلعه عليها واختلفت باختلاف مراتب الخلق ودرجاتهم فمن الناس من
يكاشفه الحق بجملتها ومنهم من يخصه ببعضها دون بعض واذا حصلت كل مكاشفة وتوالت
على القلب حتى يلتبس الغفلة عنها سميت يقينا **قال** الامام رضي الله عنه واعلم ان المكاشفة
في كلامهم عبارة عن ظهور الشيء للقلب باستيلاء ذكره من غير بقاء للريب وربما ارادوا بالمكاشفة
ما يقرب مما يراه الرائي بين اليقظة والنوم وكثيرا ما يعبرون عن هذه الحالة بالسبات
سمعت الامام ابا بكر بن فورك يقول سمعت ابا عثمان المغربي يقول هذا الذي يقول فان الاشخاص

Copyright King Saud University

كان تراهم معاينة او مكاشفة فقال بل مكاشفة وقال عامر ابن عبد قيس لو كشف الغطا ما ازددت
يقينا **قال** الشارح رضي الله عنه وقوله وقد يعبرون بالمكاشفة عما يظهر للانسان وهو فيما
بين النايم واليقظان ولم يستوعبه النوم وانما طرق عليه سنة خفيفة فيرى فيها اشخاصا
ويسمع منهم كلاما فيعبرون بهذه الحالة عن المكاشفة وقد يسمونها سبا تا وذلك ان الشخص
يزول احساسه بنفسه وتكون كليته مع ما يراه فبهذا الاعتبار سمي سباتا واستدل عليه
بسوال ابن فورك لابي عثمان المغربي عن قوله قال لي اشخاص ورايت اشخاصا قالوا لي كيف
وكيف تراهم معاينة يعني بعيني راسك او مكاشفة فقال له بل مكاشفة تدل على ان ادراك
البصر في هذا الوقت يبطل ويبقى الانسان مشتغلا بالحالة التي هو فيها مع ما يراه وبهذا كان
سباتا ومكاشفة وقول عامر بن عبد قيس لو كشف الغطا ما ازددت يقينا يعني ان
حال الاخرة والحشر والنشر والوقوف بين يدي الله تعالى وجميع احوال القيامة بالاضافة الى
الاشقيا والسعدا قد غلب على قلبه غلبة حتى صار كانه يراه بعين راسه فلو قامت القيامة
ما ازداد يقينا فعبر بحالته التي هو عليها من غلبة احوال الاخرة على قلبه باليقين واخبر انه
لو عاين القضية بعين راسه لما ازداد يقينا لتحققه في ذلك **قال** الامام رضي الله عنه وقيل
اليقين روية العيان بقوة الايمان وقيل اليقين زوال المعارضات **قال** الشارح رضي الله
عنه روية اليقين بقوة الايمان فان الايمان محله القلب ومعناه ان الايمان يتوالى
على القلب حتى يصير الغالب عليه حتى يصير كالمشاهد بالعين اعني جميع ما تضمنه الايمان
من المغيبات كانه قال حارثة وكاني انظر الى عرش ربي بارزا الحديث ومتى تحقق هذا في القلب
صار غالبا عليه لم يقبل القلب ما يعارض ما هو فيه فعبر باليقين عن زوال المعارضات
وهو انتفا ضده **قال** الامام رضي الله عنه وقال الجنيد رحمه الله اليقين ارتفاع الريب في
مشهد الغيب **قال** الشارح رضي الله عنه وهو ان العبد يشاهد سائر المغيبات بنور
اليقين مما اخبر به الانبيا عليهم السلام او مما دلت عليه العقول او مما وهبه الرب لعبده
بلا كسب فيصير جميع ذلك مشاهدا للقلب مشاهدة غالبة عليه مشتغلا له عن غيره ومع هذه
الحالة ينتفي كل ريب وشك وظن **قال** الامام رضي الله عنه سمعت الاستاذ ابا علي الدقاق رحمه الله
يقول في قول النبي صلى الله عليه وسلم في عيسى بن مريم عليه السلام لو ازداد يقينا لمشى في الهوى
قال رحمه الله عليه انه اشار بهذا الى حال نفسه صلى الله عليه وسلم ليلة المعراج لان في لطايف
المعراج انه قال رايت البراق قد بقي ومشيت **قال** الشارح رضي الله عنه معناه ان جبريل
والبراق فارقا النبي صلى الله عليه وسلم وارتفع شيئا اخر على رفرف الى حيث اراد الله تعالى ان يناجيه
فيه وقال له جبريل وما منا الا له مقام معلوم فاشار الشيخ ابو علي رحمه الله على ما ذكر من ان النبي صلى
الله عليه وسلم نال المقام الذي هو اعلى مما ناله عيسى وهو المشي في الهوى ومراد النبي صلى الله

عليه وسلم انه هذا لا يستعظم من فعل الله وتفضله على المومنين من مشيهم على الما والهوا **قال**
الامام رضي الله عنه سمعت محمد بن الحسين رحمه الله يقول سمعت احمد بن علي بن جعفر يقول سمعت
ابراهيم بن فاتك يقول سمعت الجنيد يقول سمعت السري يقول وقد سيل عن اليقين فقال اليقين
سكونك عند جولان الموارد في صدرك لتيقنك ان حركتك فيها لا تنفعك ولا ترد عنك
مقضيا **قال** الشارح رضي الله عنه وهذا من علامات اليقين وهو السكون للقلب عند تغير
الاسباب وزوال الحرص والجزع عند خوف فوات المحبوب او الذهاب والسبب في السكون
توالي العلم على القلب بان حركة العبد وسكونه لم تجلب له منفعة ولا تدفع عنه سوا ما يقدره
الله من الخير والشر جميعا **قال** الامام رضي الله عنه وسمعته يقول سمعت عبد الله بن علي يقول سمعت
ابا جعفر الاصبهاني يقول سمعت علي بن سهل يقول الحضور افضل من اليقين لان الحضور وطنات واليقين
خطرات كانه جعل اليقين ابتدا الحضور والحضور دوام ذلك وكانه جوز حصول اليقين خاليا عن الحضور
واحال جواز الحضور بلا يقين ولهذا قال النوري اليقين المشاهدة يعني ان في ذلك المشاهدة يقينا
لا شك فيه لانه لا يشاهد من لا يثق بما منه **قال** الشارح رضي الله عنه قوله الحضور افضل من اليقين
صحيح وذلك ان كل حال شريف انما هو ثمرة اليقين فاذا كان الحضور ثمرة اليقين وقد ينال اليقين ولا
يتمكن في الحضور لان اليقين عبارة عن توالي العلم بالموقن والحضور توالي المشاهدة للمشاهد فمن هذا
الوجه يكون افضل ولكن ما ذكره من التعليل يبعد عن هذا التاويل وهو قوله لان الحضور وطنات
واليقين خطرات وهذا فيه بعد فان اليقين هو الذي ينبغي ان يكون وطنات لانه الاصل لكل حال شريف
واذا كان اليقين خطرات لم يكن الثمرات وطنات فان كان اللفظ كما نقل ولم يكن فيه غلط في الكتابة
او في السماع فتاويله ما ذكره ويكون الحضور ليس هو اعلى الدرجات وانما يكون الحضور بالنظر
لاصل الايمان والسعي في تحقيق مقام اليقين فيكون العبد قد تمكن ايمانه وانشرح صدره بالبرهان
ولم يتوالى ذلك عليه حتى يصير يقينا فيكون الحضور حال ايمانه ويكون اليقين لم يستقر عنده
ولم يتمكن فيه فبهذا الاعتبار يكون الحضور وطنات واليقين خطرات ولهذا جار في كل مقام
منيف لا بد ان يتمكن العبد في اوله وطنا له ثم تخطر بقلبه ما هو اعلى مما هو فيه من المقام
ولا يثبت فيكون الثاني خطرات بالنسبة الى الاول ولهذا قال الامام القشيري رضي الله عنه
كانه جعل اليقين ابتدا الحضور واحال الحصول حضور بغير يقين ويدل عليه قول النوري انه لا تتم
المشاهدة الا بيقين ومن لا يقين له لا مشاهدة له **قال** الامام رضي الله عنه وقال ابو بكر الوراق اليقين
ملاك القلب وبه كمال الايمان وباليقين عرف الله تعالى وبالعقل عقل عن الله تعالى **قال** الشارح
رضي الله عنه وهذا عبر باليقين عن غلبة حال الايمان على القلب وهو قوله ملاك القلب اي
استولى حكم اليقين على القلب حتى لم يبق فيه متسع لقبول خواطر غير الموقن المعلوم وهو
كمال الايمان وهو المعبر عنه بالحقيقة كما قال عليه السلام ان لكل حق حقيقة فما حقيقة كل شي كماله

Copyright © King Saud University

وهو غلبته على قلب العبد وكمال شغله به وكلما كمل اليقين بالله تعالى وبصفاته ودامت ملاحظة
العبد له ولما يرد من افعاله على قلبه وعلى غيره من المخلوقات كملت معرفته بربه وبجلاله وعظمته
وانفراده في سلطانه وقوله وبالعقل عقل عن الله تعالى يحتمل امرين يعني انه بالعقل استدل
العبد على عظمة الله تعالى وعلى انفراده في افعاله ويحتمل ان يكون عقل عن الله تعالى امره
ونهيه ووعده ووعيده وغير ذلك مما جاءت به الانبياء صلوات الله عليهم اجمعين فعلى
هذا التفسير اليقين كمال الايمان وغلبة احواله على القلب والعقل معنى يدرك الانسان
به عن الله تعالى دلالة مخلوقاته عليه وما ورد على لسان انبيائه عليهم السلام من احكامه
وتفصيل حلاله وحرامه قال الامام رضي الله عنه وقال الجنيد قد مشى رجال باليقين
على الماء ومات بالعطش افضل منهم يقينا قال الشارح رضي الله عنه وهذا يدل على انه لا ملازمة
بين قوة اليقين وخوارق العادات لان تقوي يقين العبد بما يخلقه الله عنده من غير
سبب وقد يكون خوارق العادات يزداد بها بعض الناس يقينا وقد يستوي الرجلان
في اليقين ويجري الله تعالى خوارق العادات لاحدهما لطفا به وعونا على ما يريده لا ليزداد به
يقينا وقد يجريها الحق على يد بعض الموقنين لينتفع بها غيره ممن يشاهدها او تنقل
له وعلى الجملة فمقصود هذا الكلام انه لا ربط بين خوارق العادات وقوة اليقين ولذلك كان
ومات بالعطش من هو اقوى منهم يقينا قال الامام رضي الله عنه سمعت الشيخ ابا عبد
الرحمن السلمي رحمه الله يقول سمعت الحسين بن يحيى يقول سمعت جعفرا يقول قال ابراهيم
الخواص لقيت غلاما في التيه كانه سبيكة فضة فقلت الى اين يا غلام فقال الى مكة بلا زاد ولا
راحلة ولا نفقة فقال لي يا ضعيف اليقين الذي يقدر على حفظ السموات والارضين لا يقدر
على ان يوصلني الى مكة بلا علاقة قال فلما دخلت مكة اذا انا به في الطواف وهو يقول يا عين
سحي ابدا يا نفس موتي كمدا • ولا تحبي احدا • الا الجليل الصمدا • فلما راني قال لي يا شيخ انت
بعد على ذلك الضعف من اليقين قال الشارح رضي الله عنه وهذا يدل على ان من كمل يقينه
بضمان ربه وجرت عليه الطافه اما باستغنائه عن الطعام والشراب او باتيانه به في وقت
حاجته او غير ذلك من الاسباب صح له ان يدخل الصحراء او يسافر الى الاماكن البعيدة بلا زاد
وان كان السنة حمل الزاد في الاسفار ولا يدل ذلك على ضعف اليقين فان الانبياء عليهم السلام
وافضل الامة من الصحابة رضي الله عنهم حملوا الزاد ولكنهم لم يسكنوا اليه وانما اعتمدوا على
ربهم فلما قال ابراهيم لهذا الشاب تسافر بلا زاد فاخبره ان الله تعالى يخص من يشاء في السفر بلا زاد
لقوة يقينه ولطف ربه به باي وجه شاء ولذلك لما لقيه في الطواف قال له يا شيخ انت بعد
ذلك في الضعف يعني الموجب لسؤاله عن السفر بلا زاد قال الامام رضي الله عنه وسمعته يقول سمعت
منصور بن عبد الله يقول سمعت النهرجوري يقول اذا استكمل العبد حقائق اليقين صار البلاء

عنده نعمة والرخاء مصيبة قال الشارح رضي الله عنه وذلك ان النبي صلى الله عليه وسلم روي عنه
انه قال عجبا للمؤمن والله لا يقضي الله للمؤمن قضاء الا كان خيرا له فمتى استكمل العبد الايمان وقوي
يقينه بحسن صنيع الله له عد البلاء نعمة لما وعد عليه من الثواب وعد الرخاء نقمة او بلية
لما يلزمه فيه من الشكر والحقوق وخوف الحساب قال الامام رضي الله عنه وقال ابو بكر
الوراق اليقين على ثلاثة اوجه يقين خبر ويقين دلالة ويقين مشاهدة قال الشارح
رضي الله عنه وقد يقال ان مراده بيقين الخبر العلم الحاصل عن خبر الانبياء بما غاب عن المشاهدة
من الجنة والنار وغير ذلك من احوال يوم القيمة ويقين الدلالة ما يحصل بالفكر والنظر في
المخلوقات الذي دل على حدث العالم وقدم محدثه وكماله وكمال صفاته وتنزهه عن مماثلة
مخلوقاته ويقين المشاهدة يقين العلم الذي يخلقه الله تعالى في قلوب الانبياء والاولياء
الذي يطلعهم به على اسرار ملكوته وبدائع حكمته في مخلوقاته وتصريف قلوبهم في القبض
والبسط من الحضور والغفلة والمراقبة وغير ذلك مما يطلعهم عليه من غرائب افعاله التي
يخصهم بها ويكاشفهم ببدائعها ويحتمل ان يكون مراده باليقين الاول علم اليقين اليقين
الحاصل عن العلم من الخبر ويكون مراده بالثاني عين اليقين لاطلاعهم من انفسهم على المدلول
بوضوح الدليل وسموه بهذا الاعتبار عين اليقين ويحتمل ان يكون الثالث حق اليقين لكون
الحق يثبته في قلوبهم بلا سبب ولغلبته على قلوبهم ويسمون الغلبة العلية الحقيقية
كما تقدم وقد ورد في الكتاب العزيز علم اليقين وعين اليقين وحق اليقين فقال تعالى لو تعلمون
علم اليقين فاضاف العلم لليقين وقال ثم لترونها عين اليقين وقال في موضع اخر ان هذا لهو حق
اليقين قال الامام رضي الله عنه وقال ابو تراب رايت غلاما في البادية يمشي بلا زاد فقلت ان
لم يكن معه يقين فقد هلك فقلت يا غلام في مثل هذا الموضع بلا زاد فقال لي يا شيخ ارفع
راسك هل ترى غير الله فقلت الان اذهب حيث شئت قال الشارح رضي الله عنه وهذا
لما اشار للملك والعظمة بقوله هل ترى في السموات والارض ملكا لغير الله فهم منه انه
قوي اليقين بان مالك الملك هو الذي يدبره ويحفظه والعبد من جملة ملكه فلما فهم
منه هذه القوة قال له اذهب حيث شئت هكذا ينبغي ان يكون العبد متى وجد في نفسه
قوة اجراها الله عليه ولطفا منه به عليه في كثير من اوقاته جرى على عادته مع الله ولا
يكون مغترا ولا مخالفا ولا سيما اذا قوي يقينه بلطف ربه به وجميل عادته معه
بخلاف من دخل على التجربة فيقينه ضعيف فلا ينبغي له ان يغرر بنفسه فانه يخطئ
وان سلم وقد يمن الله تعالى على العبد بالصبر عن الطعام وهو مقيم ببعض البلاد ولا يضعف
وهو متصرف في اشغاله فلا يتعذر عليه شيء من اسباب دينه فهذا اذا سافر الايام التي
عوده الله الصبر لها واكثر منها لا يكون مغترا وذلك ان العادة قد تحرك ثقله وانتقل من عوائد

Copyright © King Saud University

الناس وجرت عليه الطائفة ربه فاذا اراد ذو نوتا بلطف الله تعالى به وتميز عادته معه
لا يضره ذلك وشرطه ملازمة العلم في سائر احواله فكلما خشي نفعا دنيا اصلح ورجع
قال الامام رضي الله عنه سمعت محمد بن الحسين رحمه الله يقول سمعت ابا نصر الاصبهاني يقول سمعت
محمد بن عيسى يقول قال ابو سعيد الخراز العلم ما استعملك واليقين ما حملك قال الشارح رضي
الله عنه فقوله العلم ما استعملك يعني العلم المتعلق بالاحكام والفرق بين الحلال والحرام
والمندوب والمكروه والمباح في افعال القلوب والجوارح فهذا هو العلم الذي استعملك على الصحة
واليقين ما حملك هو العلم بان لا فاعل الا الله ولا معين سواه ولا يجري عليك في دنياك واخرتك
الا ما سبق لك عنده واعتمادك عليه في ان يلطف بك ويجري عليك الخيرات ويعينك على الاعمال
الصالحات هو الذي يحملك بهذا الاعتبار وسمي العلم الثاني يقينا وسمي الاول علما فقال العلم ما
استعملك واليقين ما حملك وان كان لكل علم اذا توالى صار يقينا وانما اختلف باختلاف
المعلوم والموفق قال الامام رضي الله عنه وسمعته يقول سمعت ابا بكر الرازي يقول سمعت
ابا عثمان بن الادم يقول سمعت ابراهيم الخواص يقول طلبت المعاش لاكل الحلال فاصطدت
السمك فيوما وقعت في الشبكة سمكة فاخرجتها وطرحت الشبكة في الماء فوقعت فيها
اخرى فرميت بها فعدت فهتف بي هاتف لم تجد معاشا الا ان تاتي من يذكرنا
فتقتلهم قال فكسرت القصبة وتركت الاصطياد قال الشارح رضي الله عنه وهذا فقد
الله ليس انكارا على الصيد ولا طلب الحلال لان صيد البحر حلال واحسن ما اكل
منه الانسان لكن الله سبحانه يؤدب اولياءه بخواطر ينبههم بها على انهم لا يسكنون
لغيره فمتى علم من بعض عبيده الخواص ركونا الى غيره نبهه ليرجع اليه ويعتمد عليه
دون الاسباب فلا يزالون عاكفين على الباب معرضين عن الاسباب حتى لا يحجبهم
عن رؤيته حجاب قال الامام رضي الله عنه باب الصبر
قال الله سبحانه واصبر وما صبرك الا بالله انا علي بن احمد الاهوازي رحمه انا احمد بن عبيد
البصري قال ثنا احمد بن علي الخراز ثنا اسيد بن زيد ثنا مسعود بن سعد عن الزبير
عن ابي زهرة عن عائشة رضي الله عنها رفعته قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
ان الصبر عند الصدمة الاولى وانا علي بن احمد رحمه الله قال ثنا احمد بن عبيد ثنا
ثنا احمد بن عمر ثنا محمد بن مرداس قال ثنا يوسف بن عطية عن عطاء بن ابي ميمونة عن انس
ابن مالك رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الصبر عند الصدمة
قال الشارح رضي الله عنه ونحن نتكلم على حقيقته واقسامه والاسباب المحملة له
والثمرات المترتبة عليه والادلة المثبتة له لم يجري في اقوال المشايخ على ما تقرر على ما
تقدم فاما حقيقة الصبر فهو حبس النفس وحبسها تارة يكون على كريهة تتحمله وتارة على
لذيذ تفارقه وقد تطلق الصبر على معان ومنه اذا اصبره الحاكم اي الزمه اليمين وقال

قتل فلان صبرا وقال ابو العباس الصيرفي اللغة على ثلاثة احدها الاكراه ومنه اصبره الحاكم
والحبس ومنه صبرته اذا حبسته ومنه الجراة وهو الثالث قوله تعالى فما اصبرهم على
النار اي اعمال اهل النار وقاله الطبري واما متعلق الصبر فثلاثة اقسام صبر على فعل الطاعة
وصبر عن المعصية وصبر عما ينزل به القدر مما يخالف هوى النفس واما اسبابه فعلم
العبد بما يترتب على تحصيله من الخيرات وما يقع العبد فيه اذا فقده من البليات في
نفسه وغيره من الولد والاهل والخادم في دنياه وما يتعرض به الى غضب ربه
وعقوبته له في اخراه فالعلم بفوائد الصبر اذا اتصف العبد به وبما يترتب على فقدانه من
الشرور من اعظم الاسباب في تحصيله واولد الامور ومن اسبابه ايضا ما يحصل للعبد
به من الراحة في دنياه وما يتسبب به في وقوعه في الجزع والتسخط بقضاء الله وما يجريه
عليه ويتعرض بسبب ذلك لمقته في دنياه وشدة عذابه له في اخراه واما ادلة الصبر
فقد قال تعالى واصبروا ان الله مع الصابرين وقال واصبر وما صبرك الا بالله واثنى على المتخلق
به بقوله تعالى ولمن صبر وغفر ان ذلك لمن عزم الامور واصبر على ما اصابك ان ذلك من
عزم الامور وما وعد الله الصابرين لقوله تعالى وتمت كلمة ربك الحسنى على بني اسرائيل بما
صبروا واثنى سبحانه وتعالى في غير موضع من كتابه العزيز انه من يتق ويصبر فان الله لا يضيع
اجر المحسنين وقال تعالى انما يوفى الصابرون اجرهم بغير حساب وذلك مما يكثر وقد
قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه وجدنا خير عيشنا الصبر وذلك انه لا يعاش في الاخرة
المعيشة الطيبة الا بالقيام بطاعة الله تعالى واجبها ومندوبها والانكفاف عن مناهي
الله محرمها ومكروهها والصبر على ما يجريه الله تعالى من الاقدار وعليه يترتب الرضى بها
واذا كان الاخرة وهو النعيم الدائم مترتبا على الصبر فنعيم الدنيا اولى وهذا الذي
تضمنه بعض الايات وقول عمر بن الخطاب رضي الله عنه من جملة الثمرات التي تثمرها
الصبر في الدنيا والاخرة قال الامام رضي الله عنه الصبر على اقسام صبر على ما هو كسب
للعبد وصبر على ما ليس بكسب فالصبر على المكتسب على قسمين صبر على ما امر الله تعالى به
وصبر عما نهى عنه الله عنه واما الصبر على ما ليس بمكتسب للعبد فصبره على مقاساة
ما يتصل به من حكم الله تعالى مما يناله فيه مشقة قال الشارح رضي الله عنه وما ذكره
الامام ينقسم الى الواجب والمندوب فان قوله على ما امر الله به يشمل القيام بالواجبات
من الصوم والصلاة والحج والزكاة وغير ذلك من الواجبات والمندوبات منه يشمل
انواع الطاعات من القربات المندوبات وان تفاوتت في الدرجات فانها محتاجة
الى الصبر في القيام بها وان خف الصبر في تحملها في بعض الحالات وكذلك الصبر عن ما نهى الله
عنه ينقسم الى المحرم والمكروه وان خف ويعد عن الشبه بالمحرمات وكذلك الصبر على النوازل

منها ما تبتلي به السخط بالمقدور وكراهته فعل الرجيم الغفور فهذا النوع من الصبر واجب
للخلاص به من الحرام واما الصبر على ما يطرق العبد في ليله ونهاره من الالام والاسقام
في نفسه وولده وخادمه وكذلك في ماله فتحمل اعباء الصبر فيه وتعلم خفته والخروج
عن مقام التصبر من افضل المندوبات وكذلك الرضى بما يجريه الحق وان كان من المولمات
فهو من اشرف الطاعات ولذلك قيل الرضى باب الله الاعظم لسهولة الدخول في الطاعات
منه وقلة المشقة على المتصف به قال الامام رضي الله عنه سمعت الشيخ ابا عبد الرحمن السلمي
يقول سمعت الحسين بن يحيى يقول سمعت جعفر بن محمد يقول سمعت الجنيد يقول المسير من
الدنيا الى الاخرة سهل هين على المومن وهجران الخلق في جنب الله شديد والمسير من النفس
الى الله تعالى صعب شديد والصبر مع الله تعالى اشد قال الشارح رضي الله عنه
وقد تقرر ان الصبر انما يكون على محرم والمولم اما فراق محبوب او تحمل مكروه وما ذكره
الجنيد رحمه الله عليه كله من المولمات فقوله المسير من الدنيا الى الاخرة سهل وان كان
فيه صعوبة الا انه انما سهل وان كان فراق الدنيا كرهها وانما يخف لتحمل المحاوضة لان الحق
سبحانه وعد اكمل الجزا لمن ترك شهوات الدنيا كما قال تعالى ونهى النفس عن الهوى
فان الجنة هي الماوى فهو سهل هين بالنسبة لما ياتي واما فراق من يجده الانسان من ولد وزوجه مهم
وصاحب لاشتغاله بالله تعالى وبطاعته فشق على النفس فانه فراق محبوب وتحمل
مكروه واما قوله والمسير من النفس الى الله تعالى صعب شديد ويعني به عدم الالتفات
لحظوظ النفس والعمل لراحتها ونيل عوضها في الدنيا والاخرة ويكون العمل لمحض امر الله
ووجوب طاعته اشد واذا وصل العبد الى هذه الحالة فصبره عليها واديمه
فيها حتى لا يرجع الالتفات الى حظ نفسه اشد وهو قوله والصبر مع الله اشد
قال الامام رضي الله عنه وقيل فقال تجرع المرارة من غير تعبيس قال الشارح
رضي الله عنه وهذا الكلام فرق به بين وجد التصبر فان المتصبر يتحمل المشاق ويتكلف
فراق المحبوبات ويظهر ذلك في حركاته وانما يمنعه من التسخط او ترك ما هو فيه خوف
الله تعالى والثاني بخلاف الصابر فانه قد زالت عنه الكلف وتعود حمل المصبور
عليه ولم يبق من تحمل الصبر عليه مشقة كما قيل صابر الصبر فاستغاث به الصبر
فصاح المحب بالصبر صبرا وهذا لكمال خفة تحمله لشدة ما يصبر عليه ولذلك
قال الجنيد تجرع المرارة من غير تعبيس فشبهه بشرب الشي المر ولا يظهر في الوجه تقطيب
ولا كراهة قال الامام رضي الله عنه وقال علي ابن ابي طالب رضي الله عنه الصبر من الايمان
بمنزلة الراس من الجسد قال الشارح رضي الله عنه وذلك ان العبد اذا قطع راسه هلك
فهذا وجه والوجه الثاني ان اكثر منافع العبد في راسه من فمه ولسانه وعينيه
واذنيه ومشامه فكان الصبر اذا فقده العبد من دينه لم ينتفع منه وكذلك اذا حصل

له الصبر الذي هو بمنزلة راسه حصلت له جميع المنافع الدينية والدنيوية قال
الامام رضي الله عنه قال ابو القاسم الحكيم قوله تعالى واصبر امر بالعبادة وقوله وما صبرك
الا بالله عبودية فمن ترقى من درجة لك الى درجة بك فقد انتقل من درجة العبادة
الى درجة العبودية قال صلى الله عليه وسلم بك احيى وبك اموت قال الشارح رضي الله
عنه وهذا الذي اشار اليه هو الذي تضمنته الفاتحة التي اشرف سور القران النافعة
وهو قوله اياك نعبد واياك نستعين فاياك نعبد عبادة واياك نستعين تبرؤ من الحول
والقوة وسوال العون منه وكذلك قوله واصبر امر منه سبحانه وتعالى بالصبر وقوله وما
صبرك الا بالله اعلام له بانه لا يقدر على القيام بالصبر بنفسه فليستعن بربه فيه الاول عبادة
يعني طلب العبادة والثاني عبودية اي تذلل العبد وافتقاره لمواليهم في جميع ما هم
فيه واعلام لهم انهم لا يقدرون على شي من عبادة مولاهم الا به ولذلك ذيله بقوله سيد
العرب والعجم وافضل بني ادم بك احاول وبك اقاتل الحديث قال الامام رضي الله عنه
سمعت الشيخ ابا عبد الرحمن السلمي رحمه الله يقول سمعت ابا جعفر الرازي يقول سمعت عياشا
يقول سمعت احمد قال سالت ابا سليمان عن الصبر فقال والله ما نصبر على ما نحب فكيف نصبر على ما
نكره قال الشارح رضي الله عنه ان العبد لو كلف الدوام على اكل افضل الاطعمة والذها
وقيل له لا تاكل سواها لنفر من ذلك وتالم فكيف اذا قيل له لا بد من القيام بما خالف هواك
والبعد عن شهواتك موافقة لامر مولاك فلا قدرة له على ذلك الا بعون الله لما امره به
فلذلك قال ابو سليمان الداراني لما ساله تلميذه احمد عن الصبر قال له والله ما نصبر على ما
نحب فكيف نصبر على ما نكره قال الامام رضي الله عنه وقال ذو النون الصبر التباعد
عن المخالفات والسكون عند تجرع غصص البلية واظهار الغنى مع حلول الفقر بساحات
المعيشة قال الشارح رضي الله عنه وما ذكره من ادلة الصبر وعلاماته فقوله التباعد
عن المخالفات يشمل المحرمات والواجبات فكل من هرب من ارتكاب المحرمات ومن الاخلال
بالواجبات وان كانت فيها مشقات يدل ذلك على كمال صبره وقوله والسكون عند تجرع
غصص البلية يعني عند نزول الالام والاسقام وذهاب الولد والمال وغير ذلك من انواع
الالام التي يجريها الاقدار في سابق الايام وقد امر النبي صلى الله عليه وسلم في الخبر الصحيح
على امراة تبكي على صبي لها فقال لها اصبري واحتسبي يا امة الله فقالت وما تبالي انت
بمصيبتي اي انا صاحب المصيبة فاعرض النبي صلى الله عليه وسلم عنها وتركها فقيل لها هذا
رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخذها مثل الموت لما تكلمت فاتت بيت النبي صلى الله
عليه وسلم فلم تجد على بابه بوابين فقالت يا رسول الله قد صبرت فقال لها انما الصبر عند
اول صدمة وفي بعض طرقه انما الصبر عند الصدمة الاولى واما من لم يكن صبر فمثل ما

Copyright © King Saud University

حكي ان ام سليم وهي الرميصا الصحابية كان لها ولد فمرض مرضا شديدا فلما كان في بعض الايام توفي ووالده غايب فجعلته في مخدع يعني البيت وسجته بثوب يعني في زاوية وغطته فلما جا والده وسالها عنه فقالت بالف نعمة وصدقت فانه قد استراح من الم المرض وهو صغير لا اثم عليه فخشاه في الاخرة وقدمت الى زوجها افطاره فافطر وسقطته حتى نال منها ما ينال الرجل من امراته فلما كان في اخر الليل قالت له يا ابا فلان ارايت جيرانا لنا استعاروا عارية واشتغلوا بها مدة فلما طلبها اربابها شق عليهم ذلك فيبس ما صنعوا قالت له ان ولدنا كان عندنا عارية وشغلنا الله به مدة ثم قبضه الله قال انا لله وانا اليه راجعون ثم بكى حتى تعالت ما فعلت ثم اخبر بعني فلما اصبح غدا على النبي صلى الله عليه وسلم فلما راه النبي صلى الله عليه وسلم قال له بارك الله لكما في ليلتكما فحملت بعبد الله وكان من اصلح الناس فهذا حال من تمكن في صبره حتى انتفع به غيره ولحقته بركته **قال** الامام رضي الله عنه وقال ابن عطا الصبر الوقوف مع البلا بحسن الادب **قال** الشارح رضي الله عنه اي لا يجزع ولا يتسخط فان كل له يتصبر ويكون صابرا فان بلغ الى اعلى منها مات الصبر نال مقام الرضى **قال** الامام رضي الله عنه وقيل هو الغني في حب البلوى بلا ظهور شكوى **قال** الشارح رضي الله عنه وهذا قريب من كلام الجنيد في قوله تجرع المرارة من غير تعبيس لان هذا افناء عن غير شكوى والشكوى اظهار لما هو فيه باللسان وكتم التعبيس كتم للصبر حتى يغير الاحوال وبينا زهدا عن كلام الجنيد بقوله العنا فانه يدل على شدة البلا **قال** الامام رضي الله عنه وقال ابو عثمان الصابر الذي عوده نفسه الهجوم على المكاره **قال** الشارح رضي الله عنه ودلالة منصبر وصابر وصبار فالمتصبر اذا نزلت به النازلة تكلف الحمل لها وقاسى المشقة العظيمة والصابر اذا نزل به البلا تلقاه بدون تلك المشقة وان وجد الما وان خف عليه الالم اما لاختبار المبتلى له من القضا او لما يرجوه من الجزا واما الصبار فبالغة ولهذا قال ينبغي على تحمل كل مكروه اذا كان محبوبا لمولاه فمن تكلف العادات الشاقة كان كالحج والجهاد وبذل الكثير من المال المحبوب عند اكثر العباد وكذلك ادامة الصلاة والصيام والقيام لله بها دار الناس نيام فيحسن ان يسمى صابرا لانه يتجهم على كل مشقة بلا كلفة ويجد اللذة فيها فضلا عن المرارة والمشقة **قال** الامام رضي الله عنه وقيل الصبر المقام مع البلا بحسن الصحبة كالمقام مع العافية **قال** الشارح رضي الله عنه ومراده ان الحالة التي يكون فيها طيب العيش رخي البال اذا توالت عليه الارزاق والعوافي في بدنه وماله وولده فاذا قام اضداد ما ذكرناه من البلايا كانت حالة سواء تستوي حالته في الشدة والرخا والعافية والبلا وهذا قد يستبعده ارباب العادة حتى يجعلوا وقوعه وذلك استبعاد محض بل غفلة عما يجري للعبد

نفسه في بعض احواله اذ الاح له سرور وحجزه عنه مكروه وفي احد المغشيين على الثاني وبعالم نجد للضعيف منها اثرا ومثاله ان العبد قد يكون ضعيف القوى عاجزا عن المشي لبعض المواضع القريبة من موضعه لبعض حوائجه في الدنيا فاذا اخبر بامر يهمه وقد يحتاج الى لقيانه او يلحقه يحتاج الى تداركه قبل فواته ظهر منه من الحركة والنشاط وزوال ما كان يجده من الالم من الحركة لكمال الجد في تحصيل مطلوبه والانبساط وهذا حال من قوي صبره لكمال معرفته واختبار مولاه له او يكثره افضاله عليه واكرامه بسبب صبره **قال** الامام رضي الله عنه وقال ابو عثمان احسن الجزا على عباده الجزاء على الصبر ولا جزا فوقه قال الله سبحانه ولنجزين الذين صبروا اجرهم باحسن ما كانوا يعملون **قال** الشارح رضي الله عنه والمفهوم من هذه الاية ان الله تعالى يجازي الصابر باحسن من عمله ومن عمل حسنة جوزي بعشر فقد جوزي باحسن من عمله فكيف بسبعمائة وقوله تعالى انما يوفى الصابرون اجرهم بغير حساب اعم فيما تضمنته من الاية التي ذكرها فهذا الجزا احسن بما هو بالحسنات **قال** الامام رضي الله عنه وقال عمرو بن عثمان الصبر هو الثبات مع الله وتلقي بلائه بالرحب والدعة **قال** الشارح رضي الله عنه وهذا مختص بالصبر عن النوازل التي تطرق العبد في ليله ونهاره باختلاف احواله وقد يدخل فيه ما يجده من الوجادات من تغيير المكان والقيام بحقوق الابنا والاهل من القرابات فحقه ان يقوم بذلك ليسهو له وامتثال لمالك الارض والسموات **قال** الامام رضي الله عنه وقال الخواص الصبر الثبات على احكام الكتاب والسنة **قال** الشارح رضي الله عنه وهذا عام في كل مصبور عليه واجبا كان او مندوبا او مصبورا عنه محرما كان او مكروها او ما ينزل به القضا مما يخالف الاهوا فان الكتاب العزيز نص الصبر عليه ومدح فاعله والمتخلق به فكلامه كلام عام شامل لساير ما يتعلق به الصبر **قال** الامام رضي الله عنه وقال يحيى بن معاذ صبر المحبين اشد من صبر الزاهدين واعجبا كيف يصبرون وانشدوا الصبر يحمل في المواطن كلها الا عليك فانه لا يحمل **قال** الشارح رضي الله عنه وهذا صحيح لان الصبر يكون لله وبالله وعلى فعل الله وهذا كله محمود والصبر عن الله مذموم فان الصبر عن الله دليل على قلة الرغبة في قربه وامتثال امره وتجنب نهيه والتذلل له ببدنه وقلبه فاذا صبر عن هذا او عن طلب الحظوة فهو بعيد عن الحق سبحانه وصبر المحبين عن الله محال لانه يناقض المحبة فهو اشق عليهم ان جرى به القدر فانه يهلكهم لما هم فيه من تحمل الضرر **قال** الامام رضي الله عنه وقال رويم الصبر ترك الشكوى **قال** الشارح رضي الله عنه وهذا من علامات الصبر فان من تحمل صبره لا ينطق بحاله لسانه والشكوى منقسم قسمين فان اراد ترك الشكوى لغيره من ابنا جنسه فقريب وان اراد ترك الشكوى لمولاه فانه يجب ان يراه وهو الذي خلق له ما هو فيه من البلا وعليه اجراه فان اراد رويم رحمه الله هذا النوع

Copyright © King Saud University

من ترك الشكوى فهو كامل في درجات اهل البلوى قال الامام رضي الله عنه وقال الدوالترف
المصرى هو الاستعانة بالله تعالى قال الشارح رضي الله عنه وكان مقصوده من اراد ان يتم له
الصبر وينال كماله فليستعن بالله عليه فان اهل الصبر منقسمة احوالهم فصابر متحمل بنفسه
برجا الثواب وصابر متبرى من حوله وقوته مستعين برب الارباب وبينهما تون في حصول
المطلوب والجزل على وجه الصواب قال الامام رحمه الله سمعت الشيخ الاستاذ ابا علي رحمه
الله يقول الصبر كاسمه انشدنا الشيخ ابو عبد الرحمن رحمه الله قال انشدني ابو بكر الرازي السلمي
قال انشدني ابن عطا لنفسه ساصبر كي ترضى واتلف حسرة وحسبي ان ترضى ويتلفني
صبري قال الشارح رضي الله عنه وقول ابي علي رحمه الله الصبر كاسمه يعني في المرارة والمشقة
وشدة المعاناة في التداوي وكذلك الصبر فيه مشقة وبه كمال العافية وبهذا الاعتبار
طابقه الشعر الذي سمعه من السلمي وهو قوله ساصبر كي ترضى واتلف حسرة وحسبي ان ترضى
ويتلفني صبري فمعناه ان مقصودي رضاك وان كان فيه تلفي مما اقاسيه ويكفيني
حصول رضاك وان كان صبري عند يتلفني وذلك ان العبد قد يورد به مولاه ويزيله
عن مقامه الذي قربه اليه ووالاه فيتنعم بانسه فيه ونجواه وانعله عنه لما اختاره
له وارتضاه فاذا كان العبد منا دهانى صبره مع مولاه جرى على قلبه ما تضمنه الشعر من اختيار
تلفه اذا كان فيه رضاه قال الامام رضي الله عنه وقال ابو عبد الله بن خفيف الصبر على
ثلاثة اقسام متصبر وصابر وصبار قال الشارح رضي الله عنه وقد تقدم الكلام عليه وان
صبار مبالغة في درجات الصبر وبالاضافة الى المصبور عليه قال الامام رضي الله عنه
وقال علي بن ابي طالب رضي الله عنه الصبر مطية لا تكبو قال الشارح رضي الله عنه وهو صحيح
ويعضده قوله عليه السلام من تأنى اصاب او كاد ولا يمكنه التأني وترك العجلة الا بالصبر
فمن جعل الصبر مطيته استقام في سيره وبعد خطاه في علمه وعمله قال الامام سمعت محمد
بن الحسين ابن فورك يقول سمعت علي بن عبد الله البصري يقول وقف رجل على الشبلي
فقال اي الصبر اشد على العابدين فقال الصبر في الله تعالى فقال لا فقال الصبر لله فقال لا فقال
الصبر مع الله فقال لا فقال فاين الصبر قال الصبر عن الله تعالى فصرخ الشبلي صرخة كادت
روحه ان تتلف قال الشارح رضي الله عنه وذلك ان الصبر له اول درجة وهو القيام
بالواجبات والانكفاف عن المحرمات وفوقه الصبر في الله وهو الصبر في تغيير الاخلاق
المذمومة والاتصاف بالاخلاق المحمودة والاشتغال بانواع الطاعات المتقربات
سلوكا الى الله تعالى وارفع منه الصبر بالله وهو الاتيان بما ذكرناه من الانتقال عن الاخلاق
المذمومة والتخلق بالاخلاق المحمودة والاشتغال بانواع القربات يفعل ذلك
بالله متبريا من حوله وقوته مضيفا ذلك الى القادر عليه وفاعله وفوقه الصبر مع الله

وهو الصبر على ما يرد على قلبه من اختلاف الاحوال والموارد والاحكام وهو مناسب
مع الله باختلاف الاحوال والموارد والاحكام وهو مناسب مع الذي تحمل ما يرد عليه راضيا
بذلك فرحا به قلما كان له وما بعد ذلك من الصبر اشد من الصبر عن الله وهو ان يبعد الله العبد
عنه بعد تقريبه اليه ويلازم الباب ويتمرغ في التراب فلما سمع الصبر عن الله لم يحمل قلبه الشبلي
البعد ولا سماع ذكره فصاح صيحة كادت ان تعرف قال الامام رضي الله عنه وسمعته يقول
سمعت محمد بن عبد الله بن شاذان يقول سمعت ابا محمد الجريري يقول الصبر ان لا تفرق بين النعمة
حال النعمة والمحنة مع سكون الخاطر فيهما والتصبر هو السكون مع البلاء مع وجدان
اثقال المحنة وانشد بعضهم صبرت ولم اطلع هواك على صبري واخفيت ما بي منك
عن موضع الصبر مخافة ان تشكو ضميري صبابتي الى دمعتي سرا فتجري ولا ادري
قال الشارح رضي الله عنه فقوله الصبر ان لا تفرق بين حال النعمة والمحنة وهو اشق
اوجها عنده لا اختيار الله له لانك لا تدري اي الحالين اصلح لك في دينك والذي اجراه
عليك اعلم بما يصلح لك كما جاء في الخبر ان من المومنين من لا يصلح ايمانه الا الفقر ولو دخل عليه الغنى
لافسد ايمانه وكذلك الصحة والمرض الحديث فاذا انتقر هذا المعنى في نفس المومن
الصابر لم يتغير حاله في ذلك نظرا الى ما يختاره الله له وان كان يجد الم البلاء وراحة
مع العافية فهو لا يفرق من وجه ويفرق من وجه واما الفرق بين التصبر والصبر
فالمتصبر متكلف متعوب في تحمل اعبا الصبر واما الصابر فقد زال عنه شديد التكليف
وان كان يجد الالم الا انه بسهولة تحمله والبينان من التشديد لان على زيادة التحمل
في احوال الصبر وهو كتم كونه صابرا حتى لو امكن كتمه عن ضميره لفعل فقوله صبرت
ولم اطلع هواك على صبري معناه وان كان بي القلب ونحوله واخفيت ما بي منك يعني
من الهوى عن موضع الصبر مخافة ان تشكو ضميري صبابتي الى دمعتي سرا فتجري
ولا ادري معناه مخافة ان يشكو ضميري ما اجده من محبتك وما اقاسيه من صبري
في ذلك الى دمعتي فتجري وانا مغلوب اي تسبقني ابكا قهرا قال الامام رضي الله عنه
سمعت الاستاذ ابا علي الدقاق رحمه الله يقول فاز الصابرون بعز الدارين لانهم نالوا
من الله معيته قال الله سبحانه ان الله مع الصابرين قال الشارح رضي الله عنه والمعية
من الله تعالى تختلف لانه منزه عن التقرب بالمكان والزمان فمعيته مع الكل بالعلم
والاحاطة ومع الاولياء بالحفظ والكلاية ومع الانبياء بالنصر والمعونة ولهذا
قال الصابرون نالوا معيته يعني حسن جزائه وحفظه واكرامه كما قال تعالى
انما يوفى الصابرون اجرهم بغير حساب قال الامام رضي الله عنه وقيل في معنى
قوله تعالى اصبروا وصابروا ورابطوا الصبر دون المرابطة وقيل اصبروا بنفوسكم على

Copyright © King Saud University

طاعة الله تعالى وصابروا ابتلوتكم على البلوى في الله ورابطوا باسراركم على الشوق الى الله
وقيل اصبروا في الله وصابروا بالله ورابطوا مع الله **قال** الشارح رضي الله عنه قال اهل
التفسير واعلى دينكم وصابروا مع نبيكم في جهاد عدوكم ورابطوا الخيل واحبسوها
للجهاد ذاله الطبري وقال الحسن امروا ان يصبروا على دينهم لايدعوه لشدة ولا رخا
ولا سرا ولا ضرا وان يرابطوا العدو ويصابروا المنشركين واما ما ذكره من قوله
اصبروا بنفوسكم على طاعة الله وصابروا بقلوبكم على البلوى في الله ورابطوا
باسراركم على الشوق الى الله واختلفت هذه الاقوال بالنظر الى ما يصبر به او يصابر
او يرابط وهو مبني بين النفس والقلب والسر والا فالمصابر عليه والمصبور والمرابط
طاعة الله تعالى واما قوله اصبروا في الله يعني في طاعته وصابروا بالله يعني بعونه
ومعونته ورابطوا مع الله اي بالادب معه ودوام تعظيمه وحرمته **قال**
الامام رضي الله عنه وقيل اوحى الله تعالى الى داود عليه السلام تخلق باخلاقي
وان من اخلاقي اني انا الصبور **قال** رضي الله عنه ورد هذا الاسم في الترمذي في الخبر
المفصل لاسمائه الحسنى وصبور مبالغة مثل شكور وحمول وزمول فامره الله تعالى
ان يبالغ في تحمل انواع الصبر كلها وافقت الغرض وخالفت **قال** الامام رضي الله عنه
وقيل تجرع الصبر فان قتلك قتلك شهيدا وان احياك احياك عزيزا وقيل الصبر لله
عناء والصبر بالله بقاء والصبر في الله بلاء والصبر مع الله وفاء والصبر عن الله جفاء
وانشدوا والصبر عنك فمذموم عواقبه والصبر في سائر الاشيا محمود وانشدوا
وكيف الصبر عمن حل مني بمنزلة اليمين من الشمال اذا لعب الرجال بكل شي رايت الحب
يلعب بالرجال **قال** الشارح رضي الله عنه وقوله تجرع الصبر فيه ملح الصبر على
الطاعة وعلى ما نزل به القضا فان مات العبد كان شهيدا لكونه مجاهدا في طاعة
الله تعالى وسبيله وان عاش عاش سعيدا وقد صح ان الشهادة انواع غير القتل
في سبيل الله وهي كلها صبر على قضا الله منها الغرق والحريق والردم والمراة تموت
بجمع فجعل النبي صلى الله عليه وسلم الموت بهذه الاسباب الشاقة شهادة وقيل
الصبر لله عنا اي مشقة وكلفة والصبر بالله بقا اي عونا منه ومساعدة وفي الله بلا
يعني اختبارا وامتحانا بما ينزل من القضا ومع الله وفا بما امتحن به وعن الله جفا
اي بعد واعراض عنه ونعوذ بالله من ذلك ولذلك قيل الصبر عنك فمذموم
عواقبه والصبر في سائر الاشيا محمود **قال** الامام رضي الله عنه وقيل الصبر على
الطلب عنوان الظفر والصبر في المحن عنوان الفرج **قال** الشارح رضي الله عنه يعني علامة
الظفر وامارته والصبر على المحن عنوان الفرج وذلك لان لكل بلاء امد واذا انزل الله

241

على العبد بالصبر في تحمله خف عليه امره وخفته دليل انقطاعه والفرج منه
قال الامام رضي الله عنه سمعت منصور بن خلف المغربي رحمه الله يقول جرد — خلف
واحد للسياط فلما رد الى السجن دعا ببعض اصحابه فتفل على يده والقى في فمه دقاق
الفضة على يده فسيل فقال كان في فمي درهمان وكان على حاشية الحلقة من يعين
لم ارد ان اصيح لرويته اياي فكنت اعض على الدرهمين فتكسرا في فمي **قال** الشارح
رضي الله عنه وهذا يدل على ان من استشعر نظر الحق له في صبره على ما كلفه به وتحمله لما
انزله به من قدره اشد الصبر واقواه من الصبر على كثرة الجزا فان هذا المضروب الذي
مثل به لم يقل صبرت وتقطعت الدراهم تحت اسناني لاشكر ويثني علي وانما قال له كان
لي عين تراني كيف الضرب فيها ولاجلها فدل ذلك على ان فضل الصبر الصبر لرويته المبتلي
وان الصبر لكثرة الجزا دونه **قال** الامام رضي الله عنه وقيل حالك التي انت فيها رباطك
وما دون الله تعالى اعداوك فاحسن المرابطة في رباطك حالك **قال** الشارح رضي الله عنه
وهو يرجع الى محافظة الانسان على حاله الذي صح له شرعا بينه وبين الله تعالى
فمرابطته الصحيحة حفظه لها والادب فيه والمرابطة تجري في كل ملازمة تكون
حراسة في الله سواء حرس العدو من الانزال ومن الحزن او من نفسه وهواه فهو مرابط
في جميع ذلك **قال** الامام رضي الله عنه وقيل المصابرة هي الصبر حتى يستغرق الصبر في
الصبر فيعجز الصبر عن الصبر كما قيل صابر الصبر فاستغاث به الصبر فصاح المحب
بالصبر صبرا **قال** الشارح رضي الله عنه وهذا الكلام في الصبر غايته ان يستغرق
جهده في الصبر ثم يرى صبره قليلا في جنب ما يليق بمولاه في مقام الصبر ومثله
ما نقدم الحكاية فيه في الحزن وذلك ان الحسن البصري رضي الله عنه كان
من الحزن ونير حتى ان كل من راه ظن انه تجدد له مصيبة فقال لاصحابه يوما
تو موا بنا نزور العلا بن زياد وكان العلا بن زياد من الحزن ونير حتى سلله — الحزن
الحزن حتى كان تشتد اخته تسدف تحته القطن ليمكنه الاضطجاع عليه فلما
دخل عليه الحسن قال له كيف انت يا علا فقال واحزناه على الحزن فلما بلغ من
الحزن هذا المبلغ العظيم كان يرى حزنه قليلا بالاضافة لما يحزن عليه من بعده
او فوات قربه او ما يجري مجراه على حسب مقامه من ربه وعلى هذا ينزل القول على
الصبر انه صابر الصبر فلما احس من صبره بالجزع بادي بصبره اصبر وهو
معنى البيت صابر الصبر فاستغاث به الصبر اي نادى صبر حتى هم بترك
الصبر لعجزه عن مقاواته فصاح بصبره اصبر المحبوب لانه على ما يحب **قال**
الامام رضي الله عنه وقيل حبس الشبلي وقتا في المارستان فدخل عليه

Copyright © King Saud University

جماعه فقال من انتم فقالوا احبابك جاوك زايرين فاخذ يرميهم بالحجاره واخذوا
يهربون فقال لو كنتم احبابي لصبرتم على بلاي قال الشارح رضي الله عنه وهذا
وفقك الله يدل على انه في نفس ابتلايه ودخوله المارستان كان دايم النظر الى الله
تعالى مستحسنا لما يجري عليه ممتحنا له في دعوى المحبه فان اشد الناس بلا به
الانبيا ثم الاوليا ثم الامثل فالامثل فلما دخل عليه اخوانه زايرين في المارستان
وسالهم من انتم فقالوا احبابك جاوك زايرين فاجابهم من حاله الذي هو فيه
ورماهم بالحجاره ليبلو صدق دعواهم في محبته كما فعل به فلما هربوا قال لهم لو كنتم
احبابي يعني صادقين لصبرتم على بلواي اعتبارا بنفسه بما هو فيه من بلا السجن
في المارستان ونسبته الى الجنون وليس به جنون قال الامام رضي الله عنه
وفي بعض الاخبار يعني بما يتحمل المتحملون من اجلي وقال تعالى واصبر لحكم
ربك فانك باعيننا ما يتحمل المتحملون من اجلي وقال بعضهم كنت بمكه فرايت
فقيرا طاف بالبيت واخرج من جيبه رقعه ونظر فيها ومر فلما كان
بالغد فعل مثل ذلك فترقبته اياما وهو يفعل مثل ذلك فيوما من الايام
طاف ونظر في الرقعه وتباعد قليلا وسقط ميتا فاخرجت الرقعه
من جيبه فاذا فيها واصبر لحكم ربك فانك باعيننا قال الشارح ولا
تظن ان هذا الفقير الذي كان يخرج الرقعه وينظر فيها ثم الايام يعيدها
الى جيبه ويصبر على الجوع ولا يسال حتى مات فيكون منسيا في فعل نفسه
لكثرة الوجوه والمحامل الحسنه لاهل الدين والفضل وذلك ان هذا يكون بينه
وبين الله حال وحسن معامله فقد ذلك من قلبه فكان يطوف حول البيت وهو
يتضرع ويسال في عود حاله اليه والقدر يمنعه وهو يتسلى بالرقعه فجاه
حال شديد بل مات منه وجه ثان انه كان يرجو من ربه شيا من احوال الصالحين
ومقاماتهم التي نالوها من ربهم وكان يسال ويتضرع في الفتح عليه فلما فتح عليه
بشي لم يحتمله عقله ولا قدر على صبره فمات وجه ثالث انه كان جايعا والمحسن
من نفسه جوعا يفسد عليه عقله ولا يمنعه من صلاته كما عابد لبل كونه يمشي
طايفا فسبقه اجله فمات ومتى احتمل هذه الاوجه كلها قالوا اوجب حمل فعل
الصالحين على ما يحسن من التاويل وشاسعت امر الدين قال الامام رضي الله عنه
وقيل في حدث بلط واخرج شيخ بنعله فقيل له الا تستحي تضرب حر وجه شيخ مثل
هذا فقال جرمه عظيم فقيل وما ذاك فقال الشيخ يدعي انه يهواني ومنذ ثلاث
ما راني قال الشارح رضي الله عنه وهذه الحكايه من اقبح ما يمثل به ويستعمل في

كتب

كتب الصالحين والمقصود من المثل منها ان من ينتحل المحبه لا يليق به البعد عن محبوبه
فيستغني بهذا القول وامثاله عن ايراد ضرب شاب حر وجه شيخ بنعله مع ما فيه
من قله الاحترام لذي الشيبه والدين وختم الحكايه بكونه تهواه والعياذ بالله
من تحسين احوال الصالحين وتزيين كثيرها امثال هذه الحكايات ولو امكن اسقاطها
لكان احسن وقد نبهنا على فسادها باقبح كفايه قال الامام رضي الله عنه وقال
بعضهم دخلت بلاد الهند فرايت رجلا بفرد عين يسمى بلال الصبور فسالت عن حاله
فقيل هذا في عنفوان شبابه سافر صديق له فخرج في وداعه فدمعت احدى عينيه
ولم تبك الاخرى فقال لعينه التي لم تدمع لم تدمعي على فراق صاحبي لاحرمنك النظر
الى الدنيا وغمض عينه فمنذ ستين سنه لم يفتح عينه قال الشارح رضي الله عنه وهذه
الحكايه روحها ان العبد اذا احس من نفسه الفتور وقله الاسف والندم على ما فاته
من الخيرات وانواع القربات فليودب نفسه بالاداب الجايزه فيمنعها بعض مشتهياتها
النافعه ما لم يخل ذلك بشي من امر دينه وغايه هذا الشخص ان كان مسلما ولم تبك
عينه في موضع يصلح منها البكا وغايته انه غلقها ومنعها شهوتها الناظره فاذا كان
اوقات الصلوات والاحتياج الى الطاعات ازال ما سترها به حتى يتطهر ثم اعاده
واكتفى بنظر عينه الواحده في سائر حوايجه وان لم يكن مسلما وكان من الكفار فالبعد
الذين يجهدون النار فليس بفعلهم اعتبار قال الامام رضي الله عنه وقيل في قوله تعالى
فاصبر صبرا جميلا الصبر الجميل ان يكون صاحب المصيبه في القوم لا يدرى من هو
قال الشارح رضي الله عنه وهذا يدل على قوته وكمال صبره حتى لم يظهر عليه شي من اثار
جزعه وهلعه وهو كما حكي عن بعضهم انه قال كنا اذا حضرنا الجنازه لا ندري من نعزي
للغم الذي يشمل الجميع بامر الموت والقبر ومنكر ونكير وكان هولا استولى حزنهم
في الهم بامر الاخره فما نحن فيه من المثل في الصبر مثل ذلك اذا نزلت مصيبه بشخص
وكان من القوم لا يعرف بينهم لكمال صبره وتحمله حتى لا يبدو على ظاهره من الم
شي قال الامام وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه لو كان الصبر والشكر بعيرين لم ابال
ايهما ركبت قال الشارح رضي الله عنه وهذا قدر فني عن رويه الالم فيما يصبر عليه
وصار جميع ما يرد عليه من الله تعالى نعمه فان كان فيه الم حسن صبره فيه وان كان
فيه راحه حسن شكره فيه فان عليه في كل واحد منهما لله تعالى ادبا هو قايم به بسهوله
قال الامام رضي الله عنه وكان ابن شبرمه رحمه الله اذا نزل به بلا يقول سحابه ثم تنقشع
قال الشارح رضي الله عنه وهذا يدل على كمال معرفته بقله دوام البلا والنعم
وان كل واحد منهما لا يدوم في الدنيا وانما دوام النعيم في الاخره وكذلك العذاب والعياذ بالله

Copyright © King Saud University

عز وجل فكل من تعود الصبر وعلم ما يترتب عليه من الخيرات سهل عليه تحمله عندا واصدمته
ثم لا يزال امره يخف حتى ينقضي ويذهب ولذلك قال سيد العرب والعجم انما الصبر عند
اول صدمه **قال** الامام رضي الله عنه وفي الخبر ان النبي صلى الله عليه وسلم سيل عن الايمان
فقال الصبر والسماحه **قال** الشارح رضي الله عنه يعني والله اعلم الصبر عن الشهوات
والسماحات بالقربات وكذلك قيل الايمان نصفان نصف صبر ونصف شكر فالشكر
على النعم والصبر على البلايا والنقم فان الذي يرد من الله تعالى على العبد اما ان يوافق هواه
او يخالفه فان وافق فالشكر وان خالف فالصبر. الامام رضي الله عنه انا الشيخ
ابو عبد الرحمن السلمي رحمه الله قال انا ابو محمد بن احمد بن طاهر الصرفي قال ثنا محمد بن علي
المسبحاني قال ثنا محمد بن اسماعيل البخاري قال ثنا موسى بن اسماعيل قال ثنا سويد
ابو حاتم قال ثنا عبد الله بن عبيد بن عمير عن ابيه عن جده قال سيل رسول الله صلى
الله عليه وسلم عن الايمان فقال الصبر والسماحه الشارح رضي الله عنه وقد
تقدم ان الصبر على شرط رفته الشهوات المحبات والمكروهات والسماحه هي القيام
بسائر الطاعات الواجبات والمندوبات وان تفاوتت في الدرجات وفيه دليل على
ان الايمان يطلق على اعمال الجوارح وهو ان الايمان عقد بالقلب ونطق باللسان وعمل
بالاركان **قال** الامام رضي الله عنه وسيل السري عن الصبر فجعل يتكلم فيه فدبت على رجله
عقرب وهي تضربه بابرتها ضربات كثيره وهو ساكن فقيل له لم لم تنحها فقال استحييت
من الله ان اتكلم في الصبر ولم اصبر **قال** الشارح رضي الله عنه وهذا يدل على ان العبد
لا يتكلم في شي من علم المقامات والاحوال الصالحات حتى يكون متخلقا ببعضها وسالكا
في تحصيل كماله لئلا يدخل تحت ذم الله لمن يقول ما لا يفعل فيسلم من مقته كما قال
تعالى كبر مقتا عند الله ان تقولوا ما لا تفعلون لكن هذا المقت انما يكون للمرائي
في كلامه الذي يوهم الناس انه متخلق بما يقول ليعظم قدره عندهم والكذاب المتشبع
بما لم ينل وهو المدعي بما لم يبلغه **قال** الامام رضي الله عنه وفي بعض الاخبار الفقراء الصبر
هم جلساء الله تعالى يوم القيامه **قال** الشارح رضي الله عنه معناه ان لهم عند الله زلفى وتقريبا
وتمكينا كما قال تعالى وجزاهم بما صبروا الايه ويفهم من الجلوس هاهنا ما يفهم من النزول الى
سماء الدنيا ومن قوله وجاء ربك فان هذا كله محال بالاضافه الى القرب والبعد
الحسي لان ذلك من توابع الاجسام المتعرضة بالحركه والانتقال تعالى الله عن ذلك
علوا كبيرا **قال** الامام رضي الله عنه واوحى الله سبحانه الى بعض انبيايه اذا انزلت بعبدي
بلاء فدعاني فماطلته بالاجابه فشكا في تلك عبدي كيف ارحمك من شي به ارحمك
قال الشارح وهذا يدل على انه سبق في علم الله تعالى ان العبد انما ترتفع درجته عند ربه
وهذا يدل

بحسن صبره على ما ابتلاه به فصار البلاء شرطا للصبر والصبر مترتب عليه الجزاء العظيم
فاذا ابتلى الله العبد ببلاء فدعاه ان يعافيه منه او يرحمه فكانه يقول يا رب ازل عني ما به
ترحمني ولهذا قال يقول الله تعالى عبدي كيف ارحمك من شي به ارحمك معناه ان رحمه
الله سبحانه سبق في علمه انها تكون على هذا البلاء وصبر العبد عليه فلا بد من البلاء والصبر
والرحمه جميعا **قال** الامام رضي الله عنه وقال ابن عيينه في معنى قوله تعالى وجعلناهم
ايمه يهدون بامرنا لما صبروا قال لما اخذوا براس الامر جعلناهم رؤسا **قال** الشارح
رضي الله عنه وذلك ان الايمان نصفان كما تقدم نصف صبر ونصف شكر وان الصبر
من الدين بمنزله الراس من الجسد فلما عزموا على الصبر على كل ما ينزل بهم من الحلو والمر والامر
والنهي اخذوا براس الامر كله وهو الصبر فجعلهم الله روسا اي ساده يقتدى بهم وتقتص
اثارهم **قال** الامام رضي الله عنه سمعت الاستاذ ابا علي رحمه الله يقول ان الصبر حده
ان لا تعترض على التقدير فاما اظهار البلاء على غير وجه الشكوى فلا ينافي الصبر قال الله سبحانه
في قصه ايوب انا وجدناه صابرا مع ما اخبر عنه تعالى انه قال مسني الضر قال الشارح
رضي الله عنه ومراده هاهنا ان ضد الصبر الاعتراض بالقلب للتسخط به وكراهه وقوعه واما
الشكوى على غير ذلك مثل ان تخبر بحاله لمن يساله من قريب او طبيب او من تجد راحه بسواله
واجابته لمعرفته حاله لمن يحب ذلك منه فلا باس به **قال** الامام رضي الله عنه وسمعته
يقول استخرج منه هذه المقاله يعني قوله مسني الضر ليكون متنفسا لضعفا هذه الامه
قال الشارح رضي الله عنه وقوله استخرج منه هذه المقاله ليكون متنفسا يعني استخرجها
من ايوب صلوات الله على نبينا وعليه مع كمال قوته في صبره فلما اجراها على لسانه رحمه فذكرها
الله تعالى في كتابه ليقتدي به من مسه الضر فيدعو ربه فيستغيث كونه ويرحم **قال** الامام رضي الله
عنه وقال بعضهم انا وجدناه صابرا ولم يقل صبورا لانه لم يكن جميع احواله الصبر بل كان
في بعض احواله يستلذ البلاء يستعذبه فلم يكن في حال الاستلذاذ صابرا فلذلك لم يقل
صبورا **قال** الشارح رضي الله عنه وقوله انا وجدناه صابرا ولم يقل صبورا وصبارا لان الصابر
والصبور هو الذي يتوالى عليه من في عموم احواله دايما يصبر على البلاء ومن عد البلاء نعمه
اتصف بالشكر والفرح بالنعم فاشار رضي الله عنه الى ان قوله صابرا لكونه لم يعم سائر احواله
برويه البلاء والصبر عليه بل كان في بعض احواله متنعما متلذذا لكونه عد بلاءه نعمه
ومن عد البلاء نعمه فادبه الشكر وحاله الفرح بالنعم وهذا اثنا على ايوب صلوات الله على نبينا
وعليه لكونه لم يكن في ساير احواله صابرا بل كان متنعما شاكرا وحال الشكر اتم من حال الصبر
وربما نقل ان الدوده تقع من جسده فيردها الى موضعها ما دام قلبه سالما وهو محل معرفته
وذكره وانما قال مسني الضر لما قرب الالم الى قلبه والله اعلم **قال** الامام رضي الله عنه سمعت الاستاذ
عن

Copyright © King Saud University

اباعلي رحمه الله يقول لحقيقة الصبر الخروج من البلا على حسب الدخول فيه مثل ايوب عليه
السلام قال في اخر بلايه مسني الضر وانت ارحم الراحمين فحفظا دب الخطاب حيث عرض بقوله
وانت ارحم الراحمين ولم يصرح بقوله ارحمني قال الشارح رضي الله عنه فقوله وحقيقة
الصبر الخروج من البلا مثل الدخول فيه وذلك ان الغالب على الناس انزعاجهم وقلقهم عند اول
صدمة البلا ولذلك كان الصبر عند الصدمة الاولى اعظم والحقيقة عند القوم غلبة حال
الصبر والمصبور له في حال الصبر على القلب فاذا كان العبد ناظرا الى الحق المتصرف له المبلي كان
حاله في اول دخوله كحاله في اخره واستوت به احواله لعدم غفلته عن ربه ومعرفته بحسن
اختياره له في ساير احواله فيستوي صبره في اول البلا واخره ولذلك لما تفاقم البلا على ايوب
عليه السلام لم تحمله البلا عليه السلام لم تحمله تفاقم البلا عليه وشدته ان قال ارحمني علي ايوب
بل تادب مع الله تعالى في سواله بقوله مسني الضر وانت ارحم الراحمين اي رحمتك للناس
عامة وانا من جملتهم **قال** الامام رضي الله عنه واعلم ان الصبر على ضربين صبر العابدين وصبر
المحبين فصبر العابدين احسنه ان يكون محفوظا وصبر المحبين احسنه ان يكون مرفوضا وفي معناه
انشدوا تبين يوم البين ان اعتزامه على الصبر من احدى الظنون الكواذب وفي هذا
المعنى سمعت الاستاذ ابا علي رحمه الله يقول اصبح يعقوب عليه السلام وقد وطن الصبر
من نفسه فقال فصبر جميل اي فشاني صبر جميل ثم لم يمس حتى قال يا اسفا على يوسف
قال الشارح رضي الله عنه وقول الامام الصبر على ضربين يعني بالنسبة الى الصابرين
صبر العابدين وصبر المحبين فصبر العابدين ينبغي ان يكون محفوظا لشدة احتياجهم
له في الاعمال والاحوال وصبر المحبين لمولاهم ينبغي ان يكون مرفوضا اي مطروحا لاشتداد تلهفهم
في الوصول الى مطلوبهم ويزول عنهم صبرهم لسرعة وصولهم لمحبوبهم والشعر يدل على نفي
صبر المحبين وهو قوله تبين يوم البين ان اعتزامه على الصبر من احدى الظنون الكواذب
معناه انهم ساعة فراقهم من محبوبهم وتعبهم باليأس من غوبهم اذا عزموا على انه ان ابعد
صبروا احتملوا ورد وقت الامتحان تبين ان عزمهم كان ظنا من غير ايقان وما ذكره عن يعقوب
صلوات الله على نبينا وعليه يشير الى هذا المعنى الذي تضمنه الشعر وذلك انه لما كان
ممتليا قلبه بيوسف عليه السلام لم يقدر على الصبر عنه فلما قال في اول النهار لبنيه
فصبر جميل فيه اشارة الى عزمه على الصبر فلم يلبث قليلا حتى قال يا اسفا على يوسف
على يوسف ونسي امر ولده القريب لما امتلا قلبه من امر يوسف الحبيب فاتاه الله بهما
قال الامام رضي الله عنه **باب المراقبة** قال الله عز وجل وكان الله على كل شيء رقيبا
انا ابو نعيم عبد الملك بن الحسن بن محمد بن اسحق ثنا ابو عوانة ابن يعقوب بن اسحق قال ثنا
يوسف بن سعيد بن مسلم قال ثنا خالد بن يزيد قال اسمعيل بن ابي خالد عن قيس بن ابي حازم

عن جرير بن عبد الله البجلي رضي الله عنه قال جاء جبريل عليه السلام للنبي صلى الله عليه وسلم
في صورة رجل فقال يا محمد ما الايمان فقال ان تؤمن بالله وملايكته وكتبه ورسله والقدر
خيره وشره حلوه ومره قال صدقت قال فتعجبنا من تصديقه للنبي صلى الله عليه وسلم
قال فاخبرني ما الاسلام قال الاسلام ان تقيم الصلاة وتوتي الزكاة وتحج البيت وتصوم
رمضان قال صدقت قال فاخبرني ما الاحسان فقال الاحسان ان تعبد الله كانك
تراه فان لم تكن تراه فانه يراك قال صدقت الحديث هذا الذي قاله صلى الله عليه وسلم
فان لم تكن تراه فانه يراك اشارة الى حال المراقبة لان المراقبة علم العبد باطلاع الرب
سبحانه عليه فاستدامته لهذا العلم مراقبة لربه وهذا اصل كل خير له ولا يكاد يصل الى
هذه الرتبة الا بعد فراغه من المحاسبة فاذا حاسب نفسه على ما سلف واصلح حاله
في الوقت ولازم طريق الحق واحسن بينه وبين الله تعالى بمراعاة القلب وحفظ
مع الله تعالى الانفاس راقب الله سبحانه في عموم احواله فيعلم انه سبحانه عليم رقيب ومن
قلبه قريب يعلم احواله ويرى افعاله ويسمع اقواله ومن تغافل عن هذه الجملة فهو معزل
عن بداية الوصلة فكيف في حقايق القربة **قال** الشارح رضي الله عنه والنظر في
حقيقة المراقبة لغة وفي اصطلاح هذه الطايفة ثم في اسباب حصولها ثم في الادلة اهل
عليها ثم في الثمرات المترتبة على حصولها فاما حقيقة المراقبة لغة فهي دوام ملاحظة
المقصود قاله الجوهري في الصحاح قال الرقيب هو الموكل بالضريب والضريب هو الذي
يضرب بالقداح التي كانت يضرب بها في الجاهلية يستدلون بها على الخير والشر والرقيب
هو الموكل بما يطلع عند الضرب فهو على هذا دائم الملاحظة للمقصود ويقال رقبت الشي
ارقبه اذا انتظرته وتوقعته او تحينته والمرقبة هي الموضع المرتفع الذي يرقب منه الشي
البعيد فعلى هذا حقيقة المراقبة فيما نحن فيه شرعا دوام النظر الى الله تعالى وانتظار
ما يبدو من افعاله واحكامه ومراقبة افعال العبد بالنسبة الى الاحكام الشرعية حتى
يوقعها على حسب الاوامر ويجتنب المناهي فمن راقب افعاله وما يطرقه من احكام
ربه في ليله ونهاره من مجاري اقداره ودام نظره لربه بقلبه حتى زالت غفلته عنه
وتولى ذلك منه في عموم اوقاته فهو كامل المراقبة والدليل على المراقبة واثباتها
شرعا الخبر الصحيح رواه مسلم مرفوعا الى عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال بينا نحن عند
النبي صلى الله عليه وسلم اذ دخل علينا رجل شديد بياض ثيابه شديد سواد شعره
لا يرى عليه اثر سفر ولا احد منا يعرفه حتى دخل الى النبي صلى الله عليه وسلم واسند ركبته
الى ركبته ووضع يديه على فخذيه قال يا محمد اخبرني عن الاسلام فقال صلى الله عليه
وسلم الاسلام ان تشهد ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله وتقيم الصلاة وتوتي الزكاة وتصوم

Copyright © King Saud University

رمضان وتحج البيت ان استطعت اليه سبيلا قال صدقت قال فتعجبنا منه كيف يسأله
ثم يصدقه ثم قال اخبرني عن الايمان قال ان تؤمن بالله وملايكته وكتبه ورسله واليوم الاخر
والقدر خيره وشره قال صدقته قال فاخبرني عن الاحسان فقال ان تعبد الله كانك تراه
فان لم تكن تراه فانه يراك قال فاخبرني عن الساعة قال ليس المسول عنها باعلم من السايل قال
فاخبرني عن اماراتها قال عليه السلام ان تلد الامه ربتها او ربها في بعض الروايات وان ترى
الحفاه العراة العالة رعا الشاه يتطاولون في البنيان ثم ذهب وفي بعض الطرق
اذ ركبوا الرجل فلم يدركوه وفي بعض الطرق اخركم جبريل اتاكم ليعلمكم دينكم وموضع الاستشهاد
من الخبر ان تعبد الله كانك تراه وهذه مراقبة العبد لله فان لم تكن تراه فانه يراك وهذه
مراقبة الحق للخلق في ساير حركاتهم وسكناتهم وقد قال تعالى وكان الله على كل شي رقيبا وقال في
موضع اخر ان الله كان عليكم رقيبا وقال تعالى وما تكون في شان وما تتلوا منه من قران
الى قوله اذ تفيضون فيه وقال مجاهد اذ تبتذرون فيه فهذه دليل المراقبة
اية وخبرا واما اسباب تحصيل هذا المقام المنيف فمن علوم معرفة الله تعالى بصفاته وكماله
وعظمته وتنزهه الثاني معرفة وعده ووعيده وما تضمنه الكتاب العزيز من اكرام الله المطيعين
واهانته للعاصين في الدنيا والاخرة وتفصيل ما في الجنة والنار ليقوي الخوف والرجا ومعرفة
الحلال والحرام ليمكنه التثبت عند الافعال ومراقبة الحلال من الحرام وتحصيل هذه العلوم
الثلاثة وهي معرفة الله ورسوله واجلالهما ومعرفة الامر والنهي والاباحة ومعرفة الوعد
والوعيد اما بنفسه او بتقليد غيره ويدوم استعمال ذلك ويكرره وكلما غلبته نفسه وفترت
ردها الى استعمال ذلك وادمانها لا يزال كذلك حتى تكمل معرفته ويتاكد مراقبته وتشتغل
محاسبته لنفسه واحسن ما استعان على تحصيل المراقبة مخالطة ابنا جنسه السالكين
مسلكه العاملين بما ذكرناه فانه يستعين بهم برويه الاحوال وحسن الاقوال الى ان يانيه
العون من الكبير المتعال فتسهل عليه مراقبته لجميع ما ذكرناه في عموم الاحوال واما ثمرات
المراقبة فتحسين الاداب والسلامة من شدة الحساب والتحلي بحلية الاوليا ذوي
الالباب وسيرد من اقوال المشايخ ما ينبه على تفصيل هذه الثمرات وحصول البركات
ان شا الله تعالى **قال** الامام رضي الله عنه سمعت الشيخ ابا عبد الرحمن السلمي رحمه الله يقول
سمعت ابا بكر الرازي يقول سمعت الجريري يقول من لم يحكم بينه وبين الله التقوى
والمراقبة لم يصل الى الكشف والمشاهدة **قال** الشارح رضي الله عنه وهذه مراقبة
الافعال بالنسبة الى الاحكام وهي اول درجات المراقبة فاذا احكم هذا في افعال قلبه
وجوارحه وتكرر ذلك عليه قلت غفلاته وسمت حالاته وهو المعبر عنه بالكشف
والمشاهدة ومن اهمل الاول من المراقبة وهو الواجب فبعيد ان يصل الى المشاهدة

قال الامام رضي الله عنه سمعت الاستاذ ابا علي الدقاق رحمه الله يقول كان لبعض الامرا
وزير فكان بين يديه يوما فالتفت الى بعض الغلمان الذين كانوا وقوفا لريبة ولكن لحركة
او صوت احس منهم فاتفق ان ذلك الامير نظر الى هذا الوزير في تلك الحالة فخاف
الوزير ان يتوهم الامير انه نظر اليهم لريبة فجعل ينظر اليه كذلك فبعد ذلك اليوم
كان هذا الوزير يدخل على الامير ابدا وهو ينظر الى جانب حتى توهم الامير ان ذلك
خلقة وحول فيه فهذا مراقبة مخلوق لمخلوق فكيف مراقبة العبد لسيده **قال**
الشارح رضي الله عنه فما تقدم في القول مراقبة الاحكام بالنسبة الى الافعال وهو احد
اقسام المراقبة التي ذكرناها وهذه الحكاية تشير الى مراقبة الله سبحانه عند كل حركة
وسكنة وذلك ان هذا السلطان عادته ان تقوم مماليكه قريبا منه فيما يجلس
ينتظرون اشارة الملك وما يامر به فاتفق ان بعض المماليك تحرك حركة فالتفت الوزير
اليها لينظر ما هي فراه السلطان في حال التفاته الى المماليك ناظرا اليهم فوقع في نفس الوزير
خوف من ان يظن الملك انه نظر اليهم لريبة فجعل كلما دخل وخرج ينظر بعينه الى تلك
الجهة التي راه عليها ودام على ذلك حتى اعتقد الملك ان ذلك حول في عين الوزير وخلقة
وزوال التهمة عن قلب الوزير بسبب اطلاعه بالامير فوجه هذه الحكاية ان من علت رتبته وارتفعت
درجته مع مولاه ينبغي ان يكون ادبه اشد ادب ويراعي فيما حرمه الملك ادنى سبب
خوفا من البعد والعطب وذلك انه استقر شرعا ان عذاب العالم اشد من عذاب الجاهل
فكيف بعذاب القريب الحبيب فمعرفته اعظم فينبغي ان يكون ادبه اتم واقوم والله المعين
وهو المسلم **قال** الامام رضي الله عنه سمعت بعض الفقرا يقول كان لامير غلام يقبل
عليه اكثر من اقباله على غيره من غلمانه ولم يكن اكثرهم قيمة ولا احسنهم صورة فقالوا
له في ذلك فاراد الامير ان يبين لهم فضل الغلام في الخدمة على غيره فيوما من الايام
كان راكبا ومعه الحشم وبالبعد منهم جبل عليه ثلج فنظر الامير الى ذلك الثلج واطرق
فركض الغلام فرسه ولم يعلم القوم لماذا ركض فلم يلبث الا يسيرا حتى جا ومعه
شي من الثلج فقال له الامير ما ادراك اني اردت الثلج فقال الغلام لانك نظرت اليه ونظر السلطان
الى شي لا يكون عن غير قصد فقال الامير انما اخصه باكرامي واقبالي لان لكل احد اشغلا
وشغله مراعاة لحظاتي ومراقبة احوالي **قال** الشارح رضي الله عنه وهذه الحكاية
روحها وخلاصتها ان المراقبة اصل كل خير وهي تنقسم الى مراقبة الافعال ومراقبة النوازل
ومراقبة الله سبحانه وفي هذه الحكاية اشارة الى ان المراقبين هم المبادرون
للرضى لما يرد عليهم من مولاهم والقايمون بما امر به وينهاهم عنه وان من دامت مراقبته
لمولاه قربه واختصه واصطفاه وميزه على غيره واجتباه ووالاه وذلك ان هذا الغلام

Copyright © King Saud University

كان مولاه يقربه ويكرمه عن بقية عبيده ولم يكن اجملهم صورة ولا اقواهم واعظمهم
حيلة فكان في نفوس بقية عبيده شي من تقديمه عليهم ذلك الغلام واراد ان يعرفهم السبب
الذي مازه عنهم ولاجله قدمه عليهم فخرج ومر في موكبه في جملة عبيده فالتفت
السلطان يوما الى جهة من الجهات فنظر اليها ثم اطرق فركض ذلك الغلام الى تلك الجهة
ولم يعرف احد من الناس لاي معنى ركض واذا على الجبل ثلج فاخذ منه قطعة واتى بها
الى السلطان فساله بحضرتهم من اين عرفت اني اردته فقال لاني نظرتك نظرت اليه ونظر
السلطان لا يكون الا لمقصود صحيح وحاجة ولم ار ما يصلح ان الحاجة سوى هذا
فقال لهم السلطان لهذا اقدمه عليكم كل منكم مشغول وليس لهذا شغل الا مراقبتي وتحسس
اشاراتي وكذلك من اشتغل بمراقبة مولاه في ساير افعاله وما يطرقه وينزل به من احكامه
واستشعار نظره اليه في ساير اعماله واحواله **قال** الامام رضي الله عنه وقال بعضهم من راقب
الله سبحانه في خواطره عصمه الله تعالى في جوارحه **قال** الشارح رضي الله عنه وهذا
صحيح فان اول عامل من الانسان قلبه والخواطر هي الدواعي الواردة على القلب الداعية
الى اعمال القلوب والجوارح فتارة تكون من الشيطان وتارة تكون من النفس وتارة تكون بواسطة
الملك وتارة تخلقها الله في قلب العبد بغير واسطة فكل من تثبت عند خواطره وعلم حكم
ما دعت اليه وردها بالشريعة وقبل ما ينبغي قبوله ونفى عن قلبه ما ينبغي نفيه سلم عقود
قلبه وفي افعال جوارحه **قال** الامام رضي الله عنه وسيل ابو الحسين بن هند متى يهش
الراعي غنمه بعصى الرعاية عن مراتع الهلكة فقال اذا علم ان عليه رقيبا **قال** الشارح
رضي الله عنه والراعي للاغنام المحقق الصادق في رعايته هو العالم الحكيم بالنفس التي تضر وتنفع
والذي يجوز له ان يرعاها غنمه والذي لا يجوز وقد قال صلى الله عليه وسلم كلكم راع وكلكم
مسول عن رعيته فالعبد مامور لعقله ان يراعي جميع افعاله بقلبه كانت او بجوارحه
ولا يفعل شيا منها الا اذا كانت مامورا به او ماذونا فيه وكذلك لا يترك الا ما يخشى
ضرره في اخرته من المحرم او من المكروه وينقص درجته ولا يقوى على هذا الرعاية
الا باستشعاره نظر الحق اليه ورويته لما يفعله في ظاهره وباطنه **قال** الامام رضي الله عنه
وقيل كان ابن عمر رضي الله عنه في سفر فراى غلاما يرعى غنما فقال تبيع من هذا الغنم واحدا
فقال انها ليست لي فقال قل لصاحبها ان الذيب اخذ منها واحدا فقال العبد فاين الله
فكان ابن عمر يقول بعد ذلك الى مدة قال ذلك العبد فاين الله **قال** الشارح رضي الله عنه
وهذا يدل على ان ابن عمر رضي الله عنه اعجبته حركات هذا الراعي من حسن رعايته
في الظاهر لهذه الاغنام فاراد ان يختبر باطنه هل هو عن دين او عادة والا فيجانبني
ابن عمر ان يامره بالكذب ويقول له قل له اكلها الذيب فلما اعجبه كلامه قال له تبيع من هذا

الغنم

الغنم راسا فلما قال له ليست لي فعلم دينه فاراد ان يزداد تثبتا في حاله فعدل الى
المعاريض فقال فقل لربها ان الذيب اكلها فلما قال الغلام فاين الله علم دينه
ومراقبته لله فاعجبه حاله وصار عبرة له يتذكره زمانا وفي بعض الروايات انه سال
عن رب الغنم فاشتراه والغنم واعتقه ووهبها له **قال** الامام رضي الله عنه وقال الجنيد
من تحقق في المراقبة خاف على فوت حظه من ربه لا غيره **قال** الشارح رضي الله
عنه وهذا صحيح فانا قد بينا ان المراقبة على درجات فقد يراقب الانسان احكام
ربه ليسلم من العذاب وقد يراقبها لزيادة الثواب وقد يراقبها ليرتفع عنه الحجاب
وقد يراقبها ليكون من الاحباب فاذا وصل الى هذا الحال الشريف راقب ربه ليسلم من
الغفلات الذي يفوت بسببها حظه من مولاه فيكون مراقبا لقلبه دايم النظر لما
يتفضل به عليه شاكرا لما يسديه اليه خايفا من التفاته لنفسه او لحظوظها خوفا
من فوات حظه من مولاه وما يلقيه ويديمه تفضله عليه من زيادة التعريف
به وتوالي نعمه عليه من ربه فكانت مراقبته على هذا التقرير خوفا من فوات حظه
منه افضل المراتب **قال** الامام رضي الله عنه وكان لبعض المشايخ تلامذة فكان يخص
واحدا منهم باقباله عليه اكثر مما يقبل على غيره فقالوا له في ذلك فقال ابين لكم فدفع الى
كل واحد من تلامذته طايرا وقال له اذبحه بحيث لا يراه احد ودفع الى هذا ايضا
فمضوا ورجع كل واحد منهم وقد ذبح طيره وجا هذا بالطير حيا فقال هلا ذبحته فقال
فقال امرتني ان اذبحه بحيث لا يراه احد ولم اجد موضعا لا يراه احد فقال لهذا اخصه
باقبالي عليه **قال** الشارح رضي الله عنه وهذا يدل على ان مقام المراقبة لله تعالى افضل
المقامات وان ارتفعت مقامات العارفين وترقت احوالهم وكثرت اعمالهم وارتفعوا
احوالهم المحمودة وبعدوا عن اخلاقهم المذمومة فهم مشتغلون باصلاح قلوبهم
واحوالهم والمراقب لله تعالى قد غلب على قلبه نظره اليه في ساير تقرباته فكان الشيخ
يعرف فضيلة هذا التلميذ ورفعة مقامه عن بقية تلامذته فكان يقربه لذلك
ويخصه باسراره دونهم فلما بلغهم تغيروا وحسدوه لذلك فاراد ان يعرفهم رفعة مقامه
عليهم فدفع لكل واحد طيرا وله ايضا طيرا وامرهم بان يذبح كل واحد طيره بحيث لا يراه
فذهب كل واحد منهم الى زاوية والى جهة ليس فيها احد من الادميين وذبح طيره واتى به
مذبوحا واتى هذا التلميذ بطيره حيا فساله لم لم تذبح طيره فقال انا امرتني بحيث لا يراني
احد ولم اجد مكانا الا والله يراني فيه فقال لهم لهذا اقدمه عليكم لانه مع الحق وانتم
مع الخلق ويحتمل رواحه بالطير ويحييه به حيا احد معنيين احدهما ان يكون خطر له
وقت امر لهم الشيخ بالذبح بحيث لا يراه احد ان ذلك لا يمكن ثم مضى مع علمه بانه لا يمكن

Copyright © King Saud University

موافقه مع الجماعه ثم اني به واخبر الشيخ بما وقع له ولكنه اتبع من سوخه لا نامه الحجه
على نفسه التلامذه ويحتمل ان يكون انما خطر له بعد مضيه وتفتيشه فنبه فرجع ولم يلح
ولهذا قال بعضهم ما رايت شيا حتى رايت الله معه وقال بعضهم ما رايت شيا حتى رايت الله
قبله ومن الناس من يكون الغالب على قلبه ذكر ربه ودوام نظره اليه في ساير احواله وحتى تجدد
فتجدد ولم يرده شيا العلمه بانه حيثه ومن الناس من لا يتدارك الامر التجدد فاذا وقع واقع
او حدث حادث علم انه من الله قال الامام رضي الله عنه وقال ذو النون علامة المراقبه
ايثار ما اثر الله تعالى وتعظيم ما عظم الله تعالى وتصغير ما صغر الله تعالى قال الشارح رضي الله
عنه وهذا لمراقبة الله تعالى عند الحركات والسكنات في عموم الاوقات وكل من عظمه
الله تعالى من الانبيا والملايكه والصالحين عظمه وكل من اهانه الله تعالى وابعده من الكفره
والمبتدعه والعصاه والمخالطين ابعده وانزله منزلته فمن علامه مراقبة الله لاوامره
ونواهيه تعظيم ما عظم وتحقير ما حقر ولا يتم له ذلك ويكمل الا باستشعار نظره اليه في
ساير حركاته وهو المشار اليه بالخبر الصحيح ان تعبد الله كانك تراه فان لم تكن تراه فانه
يراك والعباده كانك تراه اتم من كانه يراك قال الامام رضي الله عنه وقال النصراباذي
الرجا يحرك الى الطاعات والخوف يبعد عن المعاصي والمراقبه تودي بك الى طرق الحقايق
قال الشارح رضي الله عنه وذلك ان العبد اذا رجا شيا ينفعه تحركت نفسه الى
تحصيله فكلما يرجى في الاخره انما يتوسل اليه بالطاعات فمن هذا الوجه كان الرجا محركا الى فعل
الطاعات اي يحمل عليها وكذلك من خاف من شي هرب منه فمتى خاف الانسان المعاصي
التي هي اسباب دخول النار هرب منها واما من شغل قلبه بمراقبه الله تعالى عند حركاته
وسكناته اوصله ذلك الى درجات الحقايق والحقايق عندهم غلبه ما هو فيه على
قلبه حتى لا يشتغل بغير ربه وربما شغله ذلك عن نفسه وجرت طاعاته عليه وهو بعيد
من دعواها مضيف لها الى ربه شاكر الله على نعمه وهذه هي الحقايق عند القوم قال
الامام رضي الله عنه سمعت محمد بن الحسين يقول سمعت ابا العباس البغدادي يقول سالت
جعفر بن نصير عن المراقبه فقال مراعاة السر لملاحظة الحق مع كل خطره قال
الشارح رضي الله عنه والسر هاهنا ما يقع في القلب من الاوامر والنواهي والحق هاهنا
قد يراد به الشرع فيكون المراد انه يراعي خواطره ويعرف احكامها بالشريعه بها
فيقبل او يرد فاذا كان كذلك سلم من عقود قلبه وفعل جوارحه وقد يكون مراده
بالحق الله سبحانه فيكون يستشعر نظر الحق اليه مع حسه لما يقع في قلبه من الخواطر
ويكون حاله امكن فيراقب خواطره ويراعي نظر ربه تعالى اليه في كل خاطر يخطر له
قال الامام رضي الله عنه يقول سمعت ابا الحسين الفارسي يقول سمعت الجريري

يقول

يقول امرنا هذا مبني على فصلين وهو ان تلزم نفسك المراقبه لله تعالى ويكون العلم
على ظاهرك قايما قال الشارح رضي الله عنه وهذا الذي ذكره هو الذي فسرنا به ما
قبله وذلك ان مراقبه الله تعالى هي استشعار نظره اليك ودوام العلم على ظاهرك وهو
ان يكون حركاته وسكناته موزونه بالشريعه ولا ينبغي له ذلك الا بمراعاة خواطره اولا لان
عنها تكون اعمال جوارحه بل عقود قلبه فاذا راعى خواطره قبل الفعل صار العلم دليلا
على عقود قلبه وافعال جوارحه ولهذا كان العلم على ظاهره قايما قال الامام رضي الله
عنه وسمعته يقول سمعت ابا القاسم البغدادي يقول سمعت المرتعش يقول المراقبه
مراعاه النفس بملاحظه الغيب مع كل لحظه ولفظه قال الشارح رضي الله عنه وهذه
مراقبه ما يحدثه الله تعالى في قلب العبد وما يجريه على ظاهره وعلى غيره من الحكم
المغيب الذي يظهر عند وجوده قال الامام رضي الله عنه وسيل ابن عطا ما افضل الطاعات
فقال مراقبه الحق على دوام الاوقات قال الشارح رضي الله عنه وهذا الذي اشار اليه
الخبر الصحيح لما سال جبريل عليه السلام رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الاحسان
فاجابه بان تعبد الله كانك تراه فافضل العبادات واجلها رويه المعبود في وقت العباده
فانه ابعد عن الزلل وابلغ في اجاده العمل قال الامام رضي الله عنه وقال ابراهيم الخواص
المراعاة تورث المراقبه والمراقبه تورث خلوص السر والعلانيه لله تعالى قال
الشارح رضي الله عنه والمراعاه هي رعايه الاحكام بالنسبه الى الافعال في القلب
والجوارح فاذا تكرر منه هذا الفعل فراعى احكام الله عند كل حركه وسكنه بقلبه وجوارحه
بكثرة نظره الى الله تعالى وقصده اليه فانه عند كل فعل لا بد ان يقصد به الله فتكسبه
هذه المراعاه المراقبه ويستشعر نظر الحق اليه عند كل حركه وسكنه واذا استقر ذلك
في قلبه افرده بالقصد والفعل دون غيره فيكسبه ذلك صفا السر وكمال الاخلاص فيما
بينه وبين مولاه واذا دام على ذلك استغرق فيه ربه عمن سواه قال الامام رضي الله
عنه سمعت الشيخ ابا عبد الرحمن السلمي رحمه الله يقول سمعت ابا عثمان المغربي يقول
افضل ما يلزم الانسان نفسه في هذه الطريقه المحاسبه والمراقبه وسياسة عمله
بالعلم قال الشارح رضي الله عنه وهذا صحيح فان حقيقته المحاسبه التثبت قبل
الفعل ومحاسبه النفس عليه بالعلم فان صح دخل وان لم يصح اعرض والمراقبه
استشعار نظر الحق اليك في كل حركه وسكنه واساس ما انت فيه بالعلم فهو يجري
في الاعمال والاحوال والحقايق فان كل رتبه علم شرعي به توزن وتعرف صحتها
فوزن الاعمال ان تقع على مقتضى الطلب ووزن الاحوال ان تلازمها شروط الادب
ووزن الحقايق ان تغلب على القلب حتى لا يلتفت لسبب قال الامام رضي الله

Copyright King Saud University

عنه وسمعته يقول سمعت عبد الرحمن الرازي يقول سمعت ابا عثمان يقول قال لي
ابو حفص اذا جلست للناس فكن واعظا لقلبك ولنفسك ولا يغرنك اجتماعهم
عليك فانهم يراقبون ظاهرك والله تعالى رقيب باطنك **قال** الشارح رضي الله
عنه وهذا ينبغي ان يكون وهذا الذي ينتفع بوعظه وتذكيره فانه يصلح نيته
في وعظ نفسه خرج الكلام من قلبه له ووقع في نفس السامع فاذا انتفع السامع
به عادت بركته على قلب القايل فصار الحال نورا على نور يهدي الله لنوره من يشا
واذا لم يكن مقصوده الصدق ومراعاة حال نفسه فيما يقوله ويعظ به
او يذكر به كان مراده طلب الجاه عند الناس بما يظهر من حاله وهو لا يدري فيما بينه
وبين ربه ولا يكون لكلامه اثر بالغ في قلب السامع وربما اطلع الله السامع
على بعض تكلف القايل فيسقط به فيرجع الحال ظلمات بعضها فوق بعض
من حيث القايل والسامع والعياذ بالله من هذه الاحوال فانها بعيدة
من الانتفاع في الحال وفي المال **قال** الامام رضي الله عنه وسمعته
يقول سمعت محمد بن عبد الله يقول سمعت ابا جعفر الصيدلاني يقول سمعت
ابا سعيد الخراز يقول قال لي بعض مشايخي عليك بمراعاة سرك والمراقبة قال
فبينا انا يوما اسير في البادية اذا انا بخشخشة خلفي فهالني ذلك واردت
ان التفت فلم التفت فرايت شيا واقفا على كتفي فصرخ وانا مراع لسري ثم
التفت فاذا انا بسبع عظيم **قال** الشارح رضي الله عنه ومقصود هذه الحكاية
ان الذي وصاه شيخه بمراعاة سره انما دله به على الطريق التي يقوى يقينه بانه
لا ضار ولا نافع ولا معطي ولا مانع الا الله عز وجل فلما عمل على ذلك والزم نفسه انه لا
يخاف من غير الله فلما كان يا فتى وهو ساير في طريقه التي قصدها سمع خشخشة خلفه
لا يدري ما هي والانسان اذا كان وحده وسمع مثل هذه الحركة خشي ان يكون شيا يفضي
عليه وقع ذلك في قلبه فعمل على ما علمه شيخه وهو ان يحفظ سره مع الله وهو ان لا يخاف
غيره فاراد نفسه ان تلتفت فمنعها من ذلك حتى قربت الحركة منه ودنت ولم تنقص
ثم زالت عنه ثم هدا قلبه فالتفت اليه فاذا هو سبع ومثل هذا ما حكي ان عامر بن عبد قيس
نزل بواد يعرف بوادي السباع فوجد فيه عابدا يصلي في جانب وبقي عامر في جهة
اخرى يصلي لا يكلم احدهما صاحبه شهرا او نحوه الا انهما يجتمعان وقت الفريضة
ويذهب كل واحد منهما الى الجهة التي يتعبد فيها فلما كان بعد ذلك سال عامر بن عبد
قيس صاحبه ما اسمك فقال له حممة فقال ان تكن حممة الذي تذكر فما على وجه
الارض اعبد منك فما انا ذلك هذه العبادة التي بينك وبين الله فقال الحمد لله لولا الفرايض

ما رفعت جنبي عن الارض الا بالسجود بين يدي الله تعالى ثم قال له حممة ما اسمك
فقال انا عامر بن عبد قيس فقال له ان كنت عامر بن عبد قيس الذي اسمع فما على وجه الارض
اعبد منك فما الذي انا ذلك هذه العبادة من الاحوال بينك وبين الله فقال لقد هبته
مهابة حتى لا اهاب غيره فما استتم عامر حديثه معه الا وسبع قد اقبل من الصحرا فلم يزل
حتى وضع يديه على كتفي عامر من خلفه وهو ينفخ في قفاه وهو يتلو اية من كتاب الله تعالى
فما تردد ولا تلعثم فسكت ساعة ثم ترك السبع عن كتفيه وذهب فاراد الله سبحانه ان
ان يعرف حممة صدق عامر بالحال والمقال جميعا وهذا هو الذي رغب هذا التلميذ
في تعليمه واوصاه به شيخه فالله تعالى يمن علينا بما من به عليهم بمنه وكرمه **قال** الامام
رضي الله عنه وقال الواسطي افضل الطاعات حفظ الاوقات وهو ان لا يطالع العبد غير حده ولا
يراقب غير ربه ولا يقارن غير وقته **قال** الشارح رضي الله عنه وهذا صحيح وقد تقدم ان الوقت
عندهم قد يطلق على حال الانسان الذي هو فيه فيراعيه ولا يتعداه الى غيره قبل ان يحكمه
ويقف حيث اوقفه الله عز وجل الى ان ينقله ويتادب مع الله تعالى في حاله الذي
هو فيه فلا يغفل عنه وهكذا يكون حاله في كل مقام رفعه اليه ان يتقنه ويتادب فيه مع
ربه ولا يغفل فيه عن مراقبته فهذه الاحوال هي اشرف الاحوال في السلوك الى ملك الملوك
والبعد عن الحيد عن الحق او الدلوك **قال** الامام رضي الله عنه **باب الرضى** قال الله سبحانه
رضي الله عنهم ورضوا عنه الاية انا علي بن احمد الاهوازي رحمه الله قال انا احمد بن عبيد البصري
قال نا الكديمي قال نا يعقوب بن اسمعيل السلال قال نا ابو عاصم العبداني عن الفضل
ابن عيسى الرقاشي عن محمد بن المنكدر عن جابر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم بينا اهل
الجنة في مجلس لهم اذ سطع لهم نور على باب الجنة فرفعوا رووسهم فاذا الرب قد اشرف
عليهم فقال يا اهل الجنة سلوني قالوا نسالك الرضى عنا قال رضاي عنكم احلكم داري واناكم
كرامتي هذا اوانها فسلوني قالوا نسالك الزيادة قال فيوتون بنجايب من ياقوت احمر
ازمتها زمرد اخضر وياقوت احمر فجاوا عليها تضع حوافرها عند منتهى طرفها فيامر
الله سبحانه باشجار عليها الثمار فتجي جوار من الحور العين وهن يقلن نحن الناعمات
فلا نبوس ونحن الخالدات فلا نموت ازواج قوم مومنين كرام ثم يامر الله سبحانه بكثبان
من مسك ابيض اذفر فينثر عليهم ريحا يقال له المثيرة حتى تنتهي بهم الى جنة عدن وهي قصبة
الجنة فتقول الملايكة يا ربنا قد جا القوم فيقول تعالى مرحبا بالصادقين مرحبا بالطايعين
قال فيكشف لهم الحجاب فينظرون الى ربهم تعالى فيتمتعون بنور الرحمن حتى لا يبصر بعضهم بعضا
ثم يقول ارجعوهم الى القصور بالتحف قال فيرجعون وقد ابصر بعضهم بعضا فقال رسول
الله صلى الله عليه وسلم فذلك قوله تعالى نزلا من غفور رحيم **قال** الشارح رضي الله عنه والجز

Copyright © King Saud University

صحيح ونحن بعون الله تعالى نتكلم على حقيقة الرضى لغة وشرعا ونبين اسباب حصوله والثمرة
التي تترتب عليه واحوال الراضين على ما تقدم العهد في مثله فاما حقيقة الرضى لغة فقد قال
الجوهري في كتابه الملقب الرضى مصدر رضيت يقال رضيت عنه رضى ورضيته ورضيت عليه
بمعنى فهو مرضي وقد قيل فهو مرضو به على الاصل وارضيته عني وترضيته بالتشديد
عملت في ارضائه بجهد واسترضيته وارضاني اذا طلبت منه الرضى فوافقني وعلى هذه
الاوجه كلها يكون الرضى الموافقة والقبول للامر بسهوله من غير تكلف وقد قال المحاسبي الرضى
سرور القلب بمر القضا وقال شيخ الاسلام الهروي رضي الله عنه الرضى اسم للوقوف الصادق
حيث ما وقف العبد لا يلتمس متقدما ولا متاخرا ولا يستزيد مزيدا ولا يستبدل حالا
وهذا الكلام يدل على ان الرضى انما يكون بعد وقوع القضا لا قبله اذ نعدم على الرضى
باي شي وقع رضي العبد به لا يتمنى كونه لم يقع ولا يتمنى زواله بعد ان وقع ولا
خلافه وهذا معنى كونه يقف الوقوف التام الى اخر كلامه وهذا لا يمنع الدعا بما لم يقع
من الخيرات والصالحات فان الدعا بالممكن لا يمنع الرضى بالحاصل وان لزم زواله ان كان
مما يضاده وان كان مما لا يضاده فهو سوال الخير الى خير واما ان كان يضاده فلم يتمنه
الداعي وانما قصد شيا اخر وان زال ضمنا ولم يزل العلماء الصالحون الراضون عن الله تعالى
يسالونه من فضله المنازل العالية امتثالا لامره بذلك وقد قال تعالى لنبيه صلى الله عليه
وسلم وقل رب زدني علما وقل رب ادخلني مدخل صدق واخرجني مخرج صدق وقل رب
انزلني منزلا مباركا فامرهم بالدعا بهذه الخيرات وندبهم الى الرضى بما يجريه عليهم سوا
وافق ما دعوا به ام لم يوافق فرضاهم بما اجراه مستند حسن نظره لهم واختياره
ودعاوهم له بالمقامات العالية مستنده جواز ذلك لهم واذنه وتسويغه وندبه
واما اسبابه فالتفكر في تفاصيل منته عنده وانا فضله وما خصه به في ازله من غير
عمل سبق منه ولا طاعة خصه بالايمان ونقله في المقامات الى ان مكنه في مقام العرفان
وخصه بالتوكل عليه والاعتماد على فضله في جميع الاحوال ورأى لطفه به وتقريبه
اياه في كل عمل من الاعمال فاذا انعم الله العبد الى كريم هذا الافضال وجزيل هذا
الاحسان رضي بجميع ما يوقعه به في كل وقت وزمان فهذه بعض الاسباب ولو ذكرت
لطال الكتاب واما ثمرات الرضى ففوائده لا تحصى وكفى بمن كنه ان يسمى باب الله الاعظم
وذلك لتيسير الطاعات على من اتصف به في قلبه ولسانه وعدم اعتراضه على شي من
المقدور ولو بالمحظور في جنانه فضلا عن نطقه بلسانه والسلامة من كراهة المقدور
والتعلق باختيار الملك الغفور وكفى بهذه الاخلاق ذما ان اتصف بها العبد في الشرور
واما سرور الفواد بما يرد في الحال فضلا عن الميعاد والرضى بما يجريه الحق من الفضائع

حسن

حسن الاعتماد لعلمه باختياره التوفيق له والسداد لمن خصه بهذا المقام من العباد واذا كان
الخبر الصحيح نص الاله الصادق في خبره على لسان نبيه صلى الله عليه وسلم قوله تعالى
للمومن والله لا يقضي الله للمومن قضا الا كان خيرا له فاذا كان هذا في اول الدرجات وهو الايمان
فكيف بالوصول الى اعلى مراتبه من التوكل والرضى والتسليم والتفويض ونيل مقامات الاحسان
قال الامام رضي الله عنه وقد اختلف العراقيون والخراسانيون في الرضى هل هو من الاحوال
او من المقامات فاهل خراسان قالوا الرضى من جملة المقامات وهو نهاية التوكل ومعناه
انه يوول الى انه مما يتوصل اليه العبد باكتسابه واما العراقيون فانهم قالوا الرضى
من جملة الاحوال وليس ذلك كسبا للعبد بل هو نازلة تحل بالقلب كسائر الاحوال ويمكن الجمع
بين اللسانين فيقال بداية الرضى مكتسبة للعبد وهي من المقامات ونهايته من جملة
الاحوال وليست بمكتسبة قد تقدم اختلاف الناس في الرضى هل هو مكتسب
تقارنه القدرة الحادثة او غير مكتسب كالنوازل الضرورية كالرعشة والرعدة والحمى
وغير ذلك من الامور الضرورية ومن زعم انه مكتسب فالاولى ان يسمى حالا لانه يطري
ويزول ولذلك الزوال لو لم يحل ما سميت حالا واذا تمكن العبد فيه وتوالى عليه سمي مقاما
وبهذا الاعتبار يصح الجمع بين كونه حالا والنوازل التي تطرق القلب من غير كسبه قد
تتوالى عليه حتى تصير شيئا له فتسمى مقاما وبهذا الاعتبار يسمى الضروري من النوازل
والمكتسب الذي يمكن فيه مقامات الشارح رضي الله عنه وتكلم الناس في الرضى فكل
عبر عن حاله وشربه فهم في العبارة عنه مختلفون كما هم في الشرب والنصيب من ذلك متفاوتون
فاما شرط العلم والذي هو لا بد منه فالراضي بالله تعالى هو الذي لا يعترض على تقديره
قال الشارح رضي الله عنه وهذا الكلام الاخير هو الحد الجامع لوصف الراضي وهو الذي لا
يعترض على تقديره لانه لو كان ضد الرضى عنده الاعتراض على الجاري من المقدور
وكراهيته وهذا انما يكون محرما اذا كان مع غلبة الحكم على القلب ونسيان القدر والامن
ذكر انه مقدر وان الله تعالى واعتراض عليه ورده كان الى الكفر به اقرب منه الى
المعاصي قال الامام رضي الله عنه وسمعت الاستاذ ابا علي الدقاق رحمه الله يقول ليس الرضى
ان لا تحس بالبلا انما الرضى ان لا تعترض على الحكم والقضا قال الشارح رضي الله عنه وهذا
صحيح فان الجاري من القدر على العبد قسمان موافق له ومخالف فاما الموافق فلا اشكال
في الرضى به لكل احد من الناس لكونه موافقا لهواه واما المخالف فليس الرضى ان لا يحس
بالبلا ولا بالالم بل يحس بذلك ويتالم به ويرضى بما اجراه الله عليه لعلمه بجهله بعاقبته
وحسن ظنه باختيار الله له فيه اما في الدنيا واما في الاخرة وتقريبه بان الطبيب اذا سقى
العليل شيا مرا من الادوية فهو يجد مرارته ويتالم لشربه الا انه راض بشربه لمحبة

Copyright © King Saud University

له لما يرجو من العافية في الحال والمآل وان كان لا يعرف المنفعة ولكنه وثق بعلم الطبيب
ورجا حصولها له بفعله بين كذلك الرضى بقدر ربه بحمد الامام يرضيه ولا منافسة
فيه قال الامام رضي الله عنه واعلم انه لا واجب على العبد ان يرضى بالقضا الذي امر بالرضى
به اذ ليس كلما هو بقضائه يجوز للعبد او يجب عليه الرضى كالمعاصي وفنون محن
المسلمين قال الشارح رضي الله عنه وهذا صحيح فان الله سبحانه قال ولا يرضى لعباده
الكفر وكلما لا يرضاه منهم لا يجوز لهم الرضى به وهذا كله مبني على قواعد اهل السنة من الامر
مخالف الاراده وان الله سبحانه يامر بما لا يريد ويريد من العبد وينهى عما يريد وقرعه
فالامر والنهي راجعان الى الكلام والاراده معنى تخصص به الافعال الحادثه بقدره الكبير
المتعال فاذا كان الله سبحانه اجرى على العبد الكفر والبدع والمعاصي فلا يجوز له الرضى بذلك
والسرور به بل يبكي ويتالم ويتضرع ويسال النقله والسلامه لانه بذلك امر وان كان يعلم
ان ما وقع به جميعه مما قدر وقد تكلم العلماء في قوله تعالى ولا يرضى لعباده الكفر فان الرضى من
الله تعالى يرجع الى ارادته الخير من رضي عنه ولذلك محبته له ترجع الى ارادته الخير ونعمه
له وتاول الامام قوله ولا يرضى لعباده الكفر مع ان الكفر مراد لله تعالى وكل حادث ووجه
اشكاله انه نفى الرضى بالكفر وهو ارادته له والكفر اذا وقع فهو مراد فكان الكفر اراده وما
اراده وتاوله الامام فانه يرضاه معاقبا عليه وهذا التاويل لا يتجه من كونه اراده مع
قوله ولا يرضى والتاويل الصحيح والله الموفق ان عباده في الاية مخصوصون كما قال
ان عبادي ليس لك عليهم سلطان والكل عباد الله والذي لم يجعل للشيطان عليه
عليهم سبيلا بعضهم من المخصوصين بالحفظ من الشيطان كذلك هاهنا قوله تعالى ولا يرضى
لعباده الكفر هو الذين سبق لهم الايمان فلا يرضى الكفر لهم ولا يريده ولا يخلقه قال
الامام رضي الله عنه وقال بعض المشايخ الرضى باب الله الاعظم يعني من اكرم بالرضى فقد لقي
بالترحيب الاوفى واكرم بالتقريب الاعلى قال الشارح رضي الله عنه وهذا
صحيح فان من اكرم بمقام الرضى صارت جميع افعال الله تعالى عنده مرضيه محبوبه
نعم فتشكر عليها ويحب من تكرم عليه بها فقد فتح له باب عظيم في تيسير الطاعات والقربات
والولوج الى ملكوت الارض والسموات قال الامام رضي الله عنه سمعت محمد بن الحسين رحمه الله
يقول انا ابو جعفر الرازي قال ثنا العباس بن حمزة ثنا ابن ابي الحواري قال ثنا عبد
الواحد بن زيد الرضى باب الله الاعظم وجنة الدنيا قال الشارح رضي الله عنه وهذا
صحيح اما باب الله الاعظم فمن حيث كان ميسرا لسائر الطاعات داعيا جميع ما يتزين
به نعمه وان كان من المولى ان تشكر في جميع احواله واما كونه جنة الدنيا فمن حيث
راحة قلبه من هموم التقديرات وعذاب الحرص على الحاصل والالم على الغائب

المحبوبات وهذا هو غاية النعم في الدنيا من جميع الملذوذات قال الامام رضي الله عنه
واعلم ان العبد لا يكاد يرضى عن الحق تعالى الا بعد ان يرضى عنه الحق تعالى لان الله عز
وجل قال رضي الله عنهم ورضوا عنه قال الشارح رضي الله عنه اما قوله ان العبد لا يرضى
عن الله تعالى حتى يرضى عنه الحق صحيح ولكن بالنسبه لما رضي به خاصه فان الله تعالى
لو لم يرحمه ويرضى به لم يخلق له الرضى بقضائه وخلق له السخط وهو ضد الرضى فمن هذا
الوجه كان العبد لا يرضى الا اذا رضي الله عنه اي خلق له الرضى واما قوله على وجه
الاستدلال رضي الله عنهم ورضوا عنه وانه قدم رضاه نفسه على رضاهم فلا دلالة فيه
من حيث اللفظ فان الواو لا تقتضي ترتيبا بل دل على انه رضي عن العبد والعبد راض عن ربه
وانما قدمنا رضى الحق على رضاه من حيث كون الحق هو المريد له وهو الخالق له قال
الامام رضي الله عنه سمعت الاستاذ ابا علي الدقاق رحمه الله يقول قال التلميذ لاستاذه
هل يعرف العبد ان الله سبحانه راض عنه فقال لا كيف يعلم ذلك ورضاه غيب فقال
التلميذ يعلم ذلك فقال كيف قال وجدت قلبي راضيا عن الله تعالى علمت انه راض
عني فقال الاستاذ احسنت يا غلام قال الشارح رضي الله عنه وهذه الحكاية تقرر
ما قلناه من وجه الاستدلال بما عند العبد على ما عند الله تعالى وان الحق سبحانه انما يخلق
للعبد الرضى بامر الدهر راض عنه يرضاه بدليل التي لان الرضى من الحق سبحانه يرجع
الى ارادته الخير بالعبد وخلقه له ولذلك قال الشاب لشيخه اذا وجدت قلبي عن الله راضيا
علمت انه راض عني فانه لو لم يكن راضيا به لم يخلق له الرضى بالامر المرضي به ويستدل بالتوابع
على السابق قال الامام رضي الله عنه وقيل قال موسى عليه السلام الهي دلني على عمل اذا عملته
رضيت عني فقال انك لا تطيق ذلك فخر موسى عليه السلام ساجدا متضرعا فاوحى الله
تعالى اليه يا ابن عمران ان رضاي في رضاك بقضائي قال الشارح رضي الله عنه وهذا صحيح
لان الحق سبحانه لا يفعل ما يرضيه الا بالخير عنه فاذا اخبر تعالى بما يرضيه ورضا العبد
بما اخبر انه يرضيه فقد ارضى الله تعالى وهذا التقرير يخصص ما قدمناه من ان الله تعالى
اذا خلق للعبد الرضى دل على انه راض عنه وانما اردنا انه اذا خلق له ما يجوز الرضى به شرعا
ورضي العبد بذلك فان الله تعالى قال ولا يرضى لعباده الكفر كذلك لا يرضى لهم المعاصي ولا
البدع ولا يامرهم بالرضى بفعلها ولا اجر بانها عليهم ويعفو لهم ما وقع منها وهذا تاولنا
قوله تعالى ولا يرضى لعباده الكفر انه مخصوص بعباده الصالحين المؤمنين فانه لا يخلقه
لهم ولا يريده كما تقدم التاويل في قوله تعالى ان عبادي ليس لك عليهم سلطان وان كان للشيطان
سلطان على بعض العبيد وانما سلم الله تعالى خواصه من شر الشيطان وكيده وسلطنته
بحفظه لهم ورعايته قال الامام رضي الله عنه انا الشيخ ابو عبد الرحمن السلمي رحمه الله قال انا ابو

Copyright © King Saud University

جعفر الرازي قال ثنا العباس بن حمزه قال ثنا ابن ابي الحواري قال سمعت اباسليمان يقول
اذا سلا عن الشهوات فهو راض قال الشارح رضي الله عنه وهذا الحسن ان يكون من اسباب
الرضي فان العبد انما يختلف عليه الحال فيما ينزل به من الاقدار بشهواته فما اشتهاه
فبقلبه ويلم بشتهيه فترف نفسه منه فاذا صرف الله عن قلب العبد الشهوات
قوي من الرضي بجميع مايجريه الحق من القضا سوا وافق هواه اوخالفه وهذا ينفع في
المشتهيات واما صدور الالام والبليات ومايطرق العبد في نفسه وولده وماله وغيره
من الامور المولمات فانما يحمل رضي العبد به اذا احسن ظنه بربه وانه انما يجري عليه ما
فيه صلاحه وجرب ذلك من نفسه في عموم الاوقات فاذا انضاف هذا المعني الي الاعراض
عن الشهوات تمكن العبد في مقام الرضي بساير انواع القضا وسلم في جميع الافات قال
الامام رضي الله عنه وسمعته يقول سمعت النصراباذي يقول من اراد ان يبلغ محل الرضي
فيلزم ما جعل الله سبحانه رضاه فيه قال الشارح رضي الله عنه وهذا صحيح فان العبد
لا يتوصل الي رضي مولاه الا بتعاطيه ما امر به ورضيه من واجباته ومندوباته فاذا
داوم العبد على فعل مايرضاه مولاه رضي عنه ربه وقربه وادناه قال الامام رضي الله
عنه وقال محمد بن خفيف الرضي علي ضربين رضي به ورضي عنه فالرضي به مدبرا والرضي
عنه فيما يقضي قال الشارح رضي الله عنه وهذا التقسيم بالنسبه الي متعلق رضي العبد
فتاره بفعل ما امر به مولاه واختاره له فيكون راضيا بفعل ما امره به مولاه واختاره
لما دلت الادله الشرعيه علي منفعته به في دنياه واخراه وتاره يرضي بما طرقه من
النوازل في نفسه او ولده او ماله وان كان مخالفا لهواه وان كان جاهلا بعواقب امره
له في دنياه واخراه ولكنه يعلم ان رضي مولاه في رضاه بما انزله به من نفاذ حكمه
وقضاياه قال الامام رضي الله عنه سمعت الاستاذ اباعلي رحمه الله يقول طريق السالكين
اطول وهو طريق الرياضه وطريق الخواص اقرب لكنه اشق وهو ان يكون عملك بالرضي
ورضاك بالقضا قال الشارح رضي الله عنه وهذا صحيح فان عمل العبد المحمود مترتب
علي ما وضحت ادلته وعلمت فضيلته شرعا من الاخلاق المحموده والبعد عن الاخلاق
المذمومه فالعبد يتكلف ذلك ويتخلق به حتى تحسن اخلاقه ويبعد عن قلبه افاته
ومفسداته وبهذا كان طريقه طويله بدوام المجاهده والرياضه والاعراض عن العوايد
السابقه واما طريق الخواص وهو اعتمادهم وتوكلهم علي الله ورضاهم بما يجريه الله فهو اقرب
وايسر لمن يسر عليه لكنه اشق علي النفوس لسرعه مفارقة الهوى دفعه والرضي بالمر
من القضا جمله ومثاله مثال من بحث علي مطلب فان صادفه استغني به وان لم يصادفه
تعرض بهلاك نفسه فان الرضي بما يجريه الحق من القضا مع مخالفته للهوى عظيم القدر عند

الله وهو يخوف يعرض العبد للكراهة قد رالله والسخط بما يفعله مولاه فان سلم من هذه
الافات ورضي بما يجريه له رضاه نال الغايات من الطاعات قال الامام رضي الله عنه
وقال رويم الرضي ان لو جعل جهنم علي يمينه ما سال ان يحولها الي يساره قال الشارح
رضي الله عنه ومقصود هذا المثال انما هو التعريف بان الراضي اذا انزل اشد البلا
وهو حرق النار مثلا لا يكره ذلك ولا يتمني زواله عنه لكون العاقبه مغيبه عنه
ولم يرد نار الاخره التي هي عقوبه علي التحقيق وانما اراد البلا الشديد اذا انزل بالراضي
لا يكرهه ولا يتمني زواله رضي بما يجريه الحق عليه من بلايه واما دخول النار الكبري
وجميع اسباب دخولها من الكفر والمعاصي فان العبد لا يرضي بذلك ويسال ربه ويتضرع
اليه ان لا يبتليه به ويبعده منه جهده هذا مراده والله اعلم قال الامام رضي الله عنه
وقال ابو بكر بن طاهر الرضي اخراج الكراهيه من القلب حتي لا يكون فيه الا فرح وسرور
قال الشارح رضي الله عنه وقوله اخراج الكراهيه من القلب مطلقا لا يصح ان يكون
من الرضي لان الله تعالي امرنا بكراهيه ما كرهه والرضي بما رضي وانما الذي ينبغي ان يزول
كراهته من قلب العبد ان يكره افعال ربه به مما لم ينه عنه وينقص رتبه البلا في جسمه
او في ولده او ماله واقاربه وما يتعلق به مما فيه منفعته فاذا انزل بلا من الله تعالي
واتلف ما كان يحب العبد بقاه او احدث به ما يكره نزوله رضي بجميع ذلك ولا
يكره شيا من ذلك لعلمه بانه اختيار مولاه وجهله بحسن عاقبته ودنياه واخراه
قال الامام رضي الله عنه وقال الواسطي استعمل الرضي جهدك ولا تدع الرضي
يستعملك فتكون محجوبا بلذته ورويته عن حقيقته ما تطالع واعلم ان هذا الكلام
الذي قاله الواسطي شي عظيم وفيه تنبيه مقطعه للقوم خفيه فان السكون
عندهم الي الاحوال حجاب عن محول الاحوال فاذا استلذ رضاه ووجد بقلبه راحه
الرضي حجب بحاله عن شهود حقه ولقد قال الواسطي ايضا اياكم واستحلا الطاعات
فانها سموم قاتله قال الشارح رضي الله عنه قوله استعمل الرضي جهدك ولا تدع
الرضي يستعملك فتكون محجوبا معناه لتكن همتك بعد الرضي بما يجريه الحق من القضا
متعلقه بالرضي بما يجريه الحق بعد ذلك من اصناف البلا والابتلا فاذا اكنت كذلك
ارتفعت درجتك الي اعلى المقامات والاحوال وتحققت في حقيقه كل مقام ودام نظرك
الي محول الاحوال والممكن في المقامات علي مرور الساعات واللحظات واذا وهدعت
الرضي يستعملك بحسن لذته وعلو شرف منزلته وسكنت نفسك الي حالته من شريف
الحال والمقال معه واشتغلت به عن التطلع لما بعده من مقامات الرجال وهذا كان
حجابا عما وراه مما يسد به او ينقضي به محول الاحوال وقد نبهنا عليه اشار الامام

Copyright © King Saud University

القشيري الى ما ذكره الواسطي وهو انها مقطعة عظيمة للسالكين اي تقطعهم
عن بلوغ مرادهم من الحق سبحانه ومطلوبهم وهو الوقوف مع ما تفضل الحق به من
الاحوال والمقامات السنية وتسكن النفس اليه بل حقها ان تعرفه نعمة وتشكر عليه
وترتقب المزيد من الحق ناظرة اليه قال الامام رضي الله عنه وقال ابن خفيف الرضى
سكون القلب الى احكامه وموافقة القلب بما رضي واختار قال الشارح رضي الله
عنه قوله سكون القلب اشارة الى نفي القلق والجزع وموافقته اشارة الى ما
اختاره الحق ورضيه لكونه للمومن اولى وانفع دليله قوله عليه السلام والله لا
يقضي الله لعبد مومن قضا الا كان خيرا له وهذا لمن سبقت له منه الحسنى فانه ان
قضي عليه بالمعصية فهو يقضي له بالتوبة لتكفر ما تقدم من الاثم وان قضي له بالطاعة
كان ذلك اوضح منفعة في الدنيا والاخرة واكثر وربما كانت المعصية انفع لبعض
العبيد اذا اعتقبها بالندم والجد والالم الاكيد كما جا ان العبد ليذنب الذنب
فيدخله الجنة الحديث قال الامام رضي الله عنه وسيلت رابعة متى يكون العبد
راضيا قالت اذا سرته المصيبة كما سرته النعمة قال الشارح رضي الله عنه
وهذا بالغ فان العبد ان راى المصيبة بلا قبل له اصبر وان راها نعمة قيل له اشكر
والغالب على الخلق السرور بالنعم واذا كانت عاقبة البلا مسنونة على العبد وكان الظاهر
منها الالم الناجز فالسرور يبعد في حقه لان الغالب على قلبه الالم الناجز واذا احسن ظنه
بربه وانه لا يجري عليه الا ما فيه صلاحه سر بجميع ما يجري عليه ورضي به لكونه
واردا عليه فما غلب على ظنه لطفه به ومتى وجد السرور بكل ما يرد عليه كان راضيا
به قال الامام رضي الله عنه وقيل قال الشبلي بين يدي الجنيد لا حول ولا قوة الا
بالله فقال الجنيد قولك ذا ضيق صدر وضيق الصدر لترك الرضى بالقضا قال
الشارح رضي الله عنه فهم الجنيد رحمه الله من الشبلي لما قال لا حول ولا قوة الا بالله
ثقل ما حمل مما ورد عليه فاستعان على ذلك بلا حول ولا قوة الا بالله فكانه لم يره بعين
الرفق به وحسن النظر له فقال له هذا ترك الرضى اي دليل على عدم رضاك به فسكت
الشبلي ويحتمل سكوته وجهين احدهما ما ذكره الجنيد والثاني انه كان راضيا ولكنه
تبرا من دعوى هذا المقام وراه بحول ربه وعونه وتيسيره فان كل مقام منيف رضى
كان او غيره لا قوة للعبد على القيام به والادب فيه الا بعون ربه وتيسيره
قال الامام رضي الله عنه وقال ابو سليمان الرضى ان لا تسال الله تعالى الجنة ولا تستعيذ
به من النار قال الشارح رضي الله عنه وهذا الكلام في ظاهره تشغيب واذا بسط
كان الامر فيه قريب وذلك انه لا يرضى عن الله الا من علم سنة الله معه ولطفه به في ساير

لكونه

تصرفاته وذلك ان الرضى انما يكون بعد التوكل والمتوكل له اختيار في الاسباب ولكن يعتمد
على الله تعالى في ان ياتيه بما يصلحه فيما اختاره فاذا اختار سببا واجراه الحق له ووجد
فيه صلاح نفسه وتوالي ذلك عليه فيما اختاره هو في نفسه وفيما يجريه عليه ربه من اختياره
ووجد لطف والرحمة في جميع ذلك سلمت نفسه وفترت عن سوال المصلحة
وطلبها من الله لكونها لم تر منه الا ما يصلحها فاذا وصل العبد الى هذه الحالة غلب على قلبه
ترك السوال لعلم ربه بالحال ولطفه به في ساير الاحوال وان سال الجنة عبادة لامر مولاه
وكذلك اذا استعاذ من النار فلما امره بالاستعاذة منه فلم يصف الراضي بالاستعاذة من
النار وطلب الجنة من حيث كونها عبادة وانما وصفه بذلك من حيث رضي بحسن ما
اجراه عليه مولاه في ساير تقلبه ومثواه وهل يليق بالغريق في النعم الجارية عليه
من مولاه مع تصاريفها الا قد اراد ان يبقى معه في نفسه اختيار قال الامام رضي الله عنه
سمعت محمد بن الحسين رحمه الله يقول سمعت ابا العباس البغدادي يقول سمعت محمد بن
احمد بن سهل يقول سمعت سعيد بن عثمان يقول سمعت ذا النون المصري رحمه الله
يقول ثلاثة من اعلام الرضى ترك الاختيار قبل القضا وفقدان المرارة بعد القضا وهيجان
الحب في حشو البلا قال الشارح رضي الله عنه وهو صحيح من علامات الرضى وذلك ان
الراضي لا اختيار له وانما هو محب مدعن لما يختاره الله تعالى له لعلمه بفضل ربه عليه
وحسن اختياره له فيما يجريه لديه وكذلك اذا اجرى عليه شيا مما يخالف هواه تحمله
بسهوله ولا يجد من الالم ما يجده الصابر والمنضبط امتلا به قلبه من عادة الله تعالى
معه وانه لا يفعل به الا ما فيه صلاحه عرف ذلك من عواقب ما ينزل به من البلا
واذا اسلم في اول حاله من الاختيار ردني احى من الكراهة لما يجريه الاقدار عليه كان في
اثناء ذلك متنعما بما وجده من فضل الواهب الغفار قال الامام رضي الله عنه وسمعته
يقول سمعت جعفر البغدادي يقول سمعت اسمعيل بن محمد الصفار يقول سمعت محمد بن يزيد
المبرد يقول قيل للحسين بن علي بن ابي طالب رضي الله عنهما ان ابا ذر يقول الفقر احب
الي من الغنا والسقم احب الي من الصحة فقال رحم الله ابا ذر اما انا فاقول من اتكل
على حسن اختيار الله تعالى له لم يتمن غير ما اختار الله تعالى له قال الشارح رضي الله عنه
وكلام ابي ذر رضي الله عنه يدل على الزهد في الدنيا وقلة قدرها وعدم وزنها عنده
الدنيا وقلة قدرها وعدم وزنها عنده فالذي يهرب الناس منه وهو الفقر احب اليه
من السعة فيها وذلك لفضيلته عنده والسقم الذي يتالم الناس منه ولده احب اليه من الصحة
لما يرجوا من كثرة الاجر على الصبر على البلا وهذا من حالة شريفة ثمرتها الزهد في الدنيا
وكمال الصبر على ما ينزل بالعبد واما الحسين بن علي كرم الله وجهه فانه لم يختر لنفسه

غلب

Copyright © King Saud University

شيا ورضي عما اختاره الله له تكلامه في الرضي وكلام ابي در في الصبر والزهد وله اختيار
قبل الوقوع وكلام الحسين لا اختيار له بالكليه ولكن اذا انزل به الحق سبحانه من الفقر
والغنا او المرض والصحه رضي به وهذا اسلم وابعد من طروف الافات المقرونه بالاختيارات
قال الامام رضي الله عنه وقال الفضيل بن عياض لبشر الحافي الرضي افضل من الزهد في الدنيا
لان الراضي لا يتمني فوق منزلته اراد انه لا يتمني خلاف ما وقع به القدر صحيح وان اراد
انه لا يسال الله تعالي ولا يتسبب في الترقي الي اعلي من الرضي فليس بصحيح فانه لا منافقه
بين الرضي بما وقع وسوال ما لم يقع وكذلك تمنيه له ولكنه وان سال وتمني شيا رفيعا
من الحالات والمقامات وارتقي الي جوده دون ما سال لحقه الرضي به وانه لم يرض به وكرهه
ناقض ذلك رضاه قال الامام رضي الله عنه وسيل ابو عثمان عن قول النبي صلي الله عليه وسلم
اسلك الرضي بعد القضا فقال لان الرضي قبل القضا عزم علي الرضي والرضي بعد القضا
هو الرضي قال الشارح رضي الله عنه وهذا الذي قررناه من تحقيق مقام الرضي انما يكون
بعد نزول القضا سوا وافق الهوي وخالف والا فهو قبل ذلك عزم علي ان يرضي بما نزل
به القضا وقد يصح منها ذلك وقد لا يصح وهذا جار في ساير المقامات من الزهد والتوكل
وغيره فكم من شخص يزعم انه زاهد والذي عنده معرفة الزهد واستحسانه فاذا لاح
له شي من الدنيا ولا سيما اذا كان كثيره ظهر له في نفسه من الرغبه في ذلك خلاف ما كان
يظنه وكذلك قد يجري الله تعالي علي العبد الارزاق ويقل رغبته في طلب الزايد
الذي لا حاجه اليه ويزعم ان نفسه معتمدة علي الله متوكله عليه وانما هي
ساكنه الي ما اجراه عليه من الرزق بسبب تحصيل الرزق فاذا تغيرت الاسباب
وتكدرت الاصحاب ظهر له من نفسه انه كان في دعوي التوكل كذابا وربما سب الاصحاب
وتعاطي اقبح الاسباب فالعزم علي كل مقام ليس هو نيله وبلوغه ولذلك قال الجنيد
رضي الله عنه علم التوحيد مباين لوجوده ووجوده مباين لعلمه يعني ان علم التوحيد
هو غير حال التوحيد والتخلق به فعلمه ان يعرفه بالدليل ان الله واحد وغلبته علي
قلبه وتحققه فيه ان يشاهد كل فعل من الواحد قال الامام رضي الله عنه سمعت الشيخ ابا
عبد الرحمن السلمي رحمه الله يقول سمعت عبد الله الرازي يقول سمعت ابن ابي حسان
الانماطي يقول سمعت احمد بن ابي الحواري يقول سمعت ابا سليمان يقول ارجو ان اكون
عرفت طرفا من الرضي لو انه ادخلني النار لكنت بذلك راضيا قال الشارح رضي الله عنه
قد تقدم ذكر هذا غير مره وليس مقصوده بالنار النار الكبري علي وجه العداوة
وانما مقصوده انه لو اوقع بي اشد مشقه واعظم بليه وهي النار لكنت راضيا لعلمي بانه
تعالي يفعل بي ما هو انفع لي واصلح لما جربته من افعاله وتكرر علي من احسانه والقلانسه

مقام

٢٥٢

مفقود

قال الامام رضي الله عنه وقال ابو عمرو الدمشقي الرضي ارتفاع الجزع في اي حكم
كان قال الشارح رضي الله عنه مقصوده باي نوع كان القضا جاريا عليه نعمه او بلاء موافقا له او مخالفا
ويعني بالجزع القلق عند نزول المصايب بل يتلقاها بالقبول لما يرجوه من العاقبه قال
الامام رضي الله عنه وقال الجنيد رحمه الله الرضي رفع الاختيار قال الشارح رضي الله
عنه وكلام الجنيد برفع الاختيار عبر عن الرضي بزوال المانع فيه وذلك ان الراضي لا اختيار
له ولا يكون الرضي الا بعد نزول القضا واذا انزل القضا باي امر كان لم يبق للعبد اختيار في
زوال ما وقع ولا تمني ولا كراهه قال الامام رضي الله عنه وقال ابن عطا الرضي نظر القلب
الي قديم اختيار الله للعبد وهو ترك السخط قال الشارح رضي الله عنه ونظر العبد الي
قديم اختيار الله تعالي من اعظم اسباب الرضي وذلك انه اذا غلب علي قلبه ان ما سبق به
القضا لابد من وقوعه لم يبق لاختياره فايده واذا تحقق عنده ذلك اختشي ان يقع
باختياره في التسخط لقضا الله فمجموع هذه العلوم يرسخ الرضي في القلب ويتوالي
عليه ويصير حالا له قال الامام رضي الله عنه وقال رويم الرضي استقبال الاحكام بالفرح
قال الشارح رضي الله عنه ويعني بالاحكام ساير ما يطرقه في قلبه وبدنه وولده وماله
وهذا فيما يجوز الرضي به من قدر الله تعالي وقد حكي ان بعضهم كان له اولاد عده كالدنانير
فدخل عنده جماعه فاستحسنوا اولاده فتفهم ذلك منهم فرفع راسه الي سقف بيته
فوجد فيها خطاطيف فاقسم لهم والله لا امنه يكسر بعض هذا الخطاف اشد من احب موتهم
او ما هذا معناه وذلك ان الخطاف يحصل لها الم بكسر بيضها وهو يحصل سرور ابما يجريه
الله عليه من قدره وله فيه الاجر التام قال الامام رضي الله عنه وقال المحاسبي الرضي
سكون القلب تحت مجاري الاحكام قال الشارح رضي الله عنه وهذا اقرب
الي حقيقه الرضي وما ذكر من السرور والفرح زيادات احوال علي الرضي فان من وردت
عليه المولمات ولم يتغير قلبه لها ولا كره نزولها ولا احب زوالها فهو الراضي
والقلب الذي فوق منه هذه الاختيارات هو الساكن تحت مجاري الاقدار
قال الامام رضي الله عنه وقال النوري الرضي سرور القلب بمر القضا قال الشارح
وهذا فيه تخصيص بالمر من القضا الذي جرت العاده من اكثر الناس بالكراهه له
والسخط وهو سريه تخالفه للعاده بالكليه فاخذ احد الموافق فاكثر الناس يرضي به
لموافقته للهوي قال الامام رضي الله عنه سمعت محمد بن الحسين رحمه الله يقول سمعت ابا
الحسين الفارسي يقول سمعت الحريري يقول من رضي بدون قدره رفعه الله فوق غايته
قال الشارح رضي الله عنه وهذا فيه اشاره الي قوله عليه السلام من تواضع لله رفعه الله
وذلك ان العبد العارف بالله المشتغل بذكره المراقب له منه قد يتمني درجه رفيعه

Copyright © King Saud University

ومقاما عاليا والقدر تنزل سبق بانه لم يبلغ رتبته ويجري له بحيرة مما هو دونه من درجاته
فحقه ان يرضى به فانه اذا رضي بدون ما كانت همته متعلقه به سكونا لما اختار الله
له رفع الله تعالى درجته ومن هذا الوجه قلنا ان الراضي يصعد بارفع من مقامه ويتمناه
ويسال الله واي شي وقع له وفتح له به ورضي به فان متعلق الرضي ما وقع ومتعلق الدعا
الممكن الوقوع **قال** الامام رضي الله عنه وسمعته يقول سمعت احمد بن علي يقول سمعت
الحسن بن علويه يقول قال ابو تراب النخشبي ليس ينال الرضي من الدنيا في قلبه مقدار **قال**
الشارح رضي الله عنه وهذا صحيح فان من حل حب الدنيا حبا شديدا بل تالم لفقدها وسر السرور
الكامل بوجودها سوا كانت الدنيا مالا او جاها او عافيه فهو يكره زوال هذه المعاني عنه
ويفرح باضداد هذا والراضي لابد ان تزول اختياراته من قلبه ويرضى بكل ما يجريه الله تعالى وافق
هواه او خالف فمن هذا الوجه استبعد ابو تراب ان ينال مقام الرضي من قلبه للدنيا محبه
قال الامام رضي الله عنه انا الشيخ ابو عبد الرحمن السلمي رحمه الله قال اخبرنا ابو عمرو بن حمدان
ثنا عبد الله بن سيرين ويه قال ثنا بشر بن الحكم قال ثنا عبد العزيز بن محمد عن يزيد بن الهاد
عن محمد بن ابراهيم عن عامر بن سعد عن العباس بن عبد المطلب رضي الله عنه قال قال رسول الله
صلي الله عليه وسلم ذاق طعم الايمان من رضي بالله ربا **قال** الشارح والخبر الذي اورده
فيه اشاره الي انه لا ينال المقامات العاليه من الايمان من المحبه والرضى والتسليم الا من لم يبق
علي قلبه ربوبيه لغير الله ولذلك قال صلي الله عليه وسلم تعس عبد الدينار وعبد الدرهم والقطيفه
والخميصه فكل من احب شيا من الدنيا حبا شديدا حتى تعلق قلبه به واشتغل بحفظه
وخشي فواته جاز ان يسمى ربا له وهو له عبد لخدمته وحفظه ولذلك قيل لسيد هذه
الطايفه الجنيد ما تقول فيمن لم يبق عليه من الدنيا الا مص نتلذذ بها فقال المكاتب
عبد ما بقي عليه درهم فسماه عبد الشهوته وان قلت فان حقيقه الايمان انه لا ضار ولا نافع
ولا معطي ولا مانع ولا مبلي ولا رازق الا رب الارباب فمتي نظر في افعال الله تعالى به وجريان
نعمه عليه من صغيره الي كبيره وراي فضله عليه في ساير تقلبه ورضي باختياره له ذاق
طعم الايمان ووجد لذته وحلاوته بخلاف من لم يصل الي هذا المقام وتعاطي الامور الشاقه
وتحملها بالتصبر او الصبر وان كان اجره عظيما ولذلك قال اعبد الله في الرضي فان لم تستطع
ففي الصبر علي ما تكره خير كثير وانما اجر الحق الثواب للصابرين ليتحملوا المشاق
ولا ينفروا عن الاعمال الشاقه واما من رزقه القيام بها بلذه وسهوله وادى قربها على
احسن وجوهها بقلب فارغ من غيرها ولا مشتغل عن احمه فيها فبينهما بون ويصلح
ان يكون هذا المراد وذلك المريد في اصطلاح **قال** الامام رضي الله عنه وقيل كتب عمر
ابن الخطاب الي ابي موسى الاشعري رضي الله عنهما اما بعد فان الخير كله في الرضي فان

استطعت ان ترضى والا فاصبر وقيل ان عتبه الغلام بات ليله يقول الي الصباح ان تعذبني
فانا لك محب وان ترحمني فانا لك محب **قال** الشارح وفي هذا الكلام اني محب
لكل ما يرد منك سوا كان مولما او غير مولم وهو معنى الرضي فان المحب ابدا راضي بكل ما يرد من
محبوبه **قال** الامام رضي الله عنه سمعت الاستاذ ابا علي رحمه الله يقول الانسان خزف
وليس للخزف من الخطر ما يعارض فيه حكم الحق تعالى **قال** الشارح وهذا يدل على ان من لم يبلغ
مقام الرضي كره ما يجريه الله عليه من الاقدار وربما سخط ذلك وصار في صوره المعارض
لقضا الله تعالى وقدره لان الله يريد امرا ويريد ان لا يقع فنبه هذا القايل على ان ابن ادم
خزف يعني فخار خلق من طين ولا يليق بمن خلق من الطين وكان قدره خسيسا ان يعارض
مالكه لما يشا ومن هذا الوجه غلط ابليس لعنه الله من حيث امتنع من السجود لادم نظرا الى كونه
خلق من طين وهو من نار فامتنع من السجود له وغفل عن امر من له الامر وكذلك من نظر الى
نفسه ولم يعرف قدرها وخستها وغلط من لا يصلح تعظيمه وقع في مخالفه امر الله وعدم
الرضى بقضايه وقدره **قال** الامام رضي الله عنه وقال ابو عثمان الحيري منذ اربعين
سنه ما اقامني الله تعالى في حال فكرهته وما نقلني الى غيره فسخطته **قال** الشارح وهذا
يدل على ان المقامات الدنيه فيها ما هو اعلى وادنى فاي مقام اقامه الحق فيه من
المقامات العاليه ولم ينقله الى ما هو اعلى منه رضي به ولم يكرهه وان انزله عن هذا المقام
العالي الى ما هو دونه من المقامات الدنيه لم يسخطه وهو قوله نقلني الى غيره يعني مما
هو دونه والا فلو كان النقل الى ما هو اعلى منه لم يحسن ان يقول فيه فسخطته تدل على
انه مع الله تعالى راض بكل ما يجريه عليه ما لم يكن مما لا يرضاه الحق ولا يجوز الرضى به
وقوله منذ اربعين يعني في ولد نيله لهذا المقام الشريف وان الحق سبحانه يوالبه
عليه هذه المده الطويله كما قال عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه ما اصبح لي هوى الا في مواقع
قدر الله فعبر بالهوى عن المحبه والرضى **قال** الامام رضي الله عنه سمعت الاستاذ ابا
علي الدقاق رحمه الله يقول غضب رجل على عبد له فاستشفع الي سيده انسانا
فعفا عنه فاخذ العبد يبكي فقال الشفيع لم تبكي وقد عفا عنك فقال السيد
انه يطلب الرضى ولا سبيل له اليه فانما يبكي لاجله **قال** الشارح رضي الله عنه والعبد
اذا زل زله واستحق عليها العقوبه وغفر له مولاه وعفا عن عقوبته بقي حال رضاه
عنه وهو اسباغه عليه النعم والطافه اياه بما يعوده منه من الكرم زياده اخرى على
العفو عن الزلل والمواخذه ولذلك قال بعضهم فتح علي باب من البسط فزللت زله
فحجبت عن مقامي كذا كذا سنه فلم يواخذ ولم يعاقب وانما سلب ما كان فيه من الاكرام
والانعام **قال** الامام رضي الله عنه **باب العبودية** قال الله عز وجل واعبد ربك حتى

Copyright © King Saud University

باب يتلك اليقين انا ابو الحسن الاهوازي رحمه الله قال انا احمد بن عبيد الصفار قال عبيد
ابن شريك قال نا يحيى قال نا مالك عن حبيب بن عبد الرحمن عن حفص بن عاصم بن عمر بن
الخطاب عن ابي سعيد الخدري وابي هريرة رضي الله عن جميعهم ان رسول الله صلى الله عليه
وسلم قال سبعة يظلهم الله في ظله يوم لا ظل الا ظله امام عادل وشاب نشا بعبادة
الله عز وجل ورجل قلبه معلق بالمسجد اذا خرج منه حتى يعود الله ورجلين تحابا
في الله اجتمعا على ذلك وتفرقا عليه ورجل ذكر الله خاليا ففاضت عيناه ورجل دعته
امراة ذات حسب وجمال فقال اني اخاف الله ورجل تصدق بصدقة فاخفاها حتى
لا تعلم شماله ما تنفق يمينه **قال** الشارح رضي الله عنه العبادة اسم لما طلبه الشرع اذا
اوقعه العبد بشروطه على حسب الطلب ويحسن ان تكون العبودية فيها زيادة
تذلل وتمسكن وتبري من الحول والقوة ويحسن ان يكون العبودة رويه العبد نفسه
محلا لجريان افعال ربه فيه من ساير ما يتقرب به ويحكم عليه ويجريه فيكون العبادة
محض ايقاع الافعال على حسب الطلب ويضاف الى ذلك كمال الحال المتقرب من تذلله
وخضوعه في عبادته واستعانته بربه على ذلك وتبريه من حوله وقوته ويضاف
الى هذين القسمين ما غلب على العبد من كونه محلا لجريان الطاعات وما جرت به
الاقدار من الاسباب الموصلات والموافقات فيكون بهذا الاعتبار محمولا على العبادة
فبهذا الاعتبار سماه عبودة وهذه اصطلاحات والاصل هي العبادة وانما تنوعت
باختلاف علم العابد وحاله وقربه من مقام الجمع والخبر مشهور في الموطا في السبعة
الذين يظلهم الله في ظله وكلهم خالفوا هويتهم ولازموا طاعة ربهم واوقعوا ذلك
لوجهه وجانبوا اهواهم ولازموا طاعة ربهم واوقعوا السلك لوجهه وجانبوا اهواهم
قال الامام سمعت الاستاذ ابا علي الدقاق رحمه الله يقول العبودية اتم من العبادة
فاولا عبادة ثم عبودية والعبادة للعوام من المومنين والعبودية للخواص والعبودة
لخاص الخواص **قال** الشارح وما ذكره يشير الى ما قلناه وذلك ان غاية العوام ان عملوا
من التوبة ما امروا به ونهوا عنه ويقوموا بما امروا به من الواجبات ويكفوا عما نهوا
عنه من المحرمات ويرجوا على ذلك الاجر التام من خالق الارض والسموات وهذه صفة
العابدين واما المريد الذي تحسس لنفسه واشتغل بتغيير اخلاقه وقويت معرفته
بربه وبكونه لم يقدر على تغيير شي من اخلاقه المذمومة بالمحمودة ولا بالقيام بشي من
طاعته والانكفاف عن شي من محرماته الا بعون ربه وتيسيره فحاله في عبوديته وتذلله
اتم وابلغ وتبريه من حوله وقوته وافتقاره الى امر ربه في نيل مقصوده اتم واسوع وهذا
هو المنعوت بالعبودية اي التذلل والافتقار وهذا عنده بعض الاختيار الا انه مفتقر

الى امر ربه في نيل مقصوده اتم واسوع وهذا هو المنعوت بالعبودية اي التذلل
والافتقار وهذا عنده بعض الاختيار الا انه مفتقر الى امر ربه في ساير ما يتعاطاه
ويختاره متبريا من الاقتدار والثالث رجل كملت معرفته بربه وراى نفسه محلا
لجريان قضايه فيه في ساير سكونه وتقلبه فما اجراه عليه من الخيرات انشرح صدره
وانطلق لسانه بالثنا وما اجراه عليه مما يخالف تقلبه بكمال الرضى وهو في نفس عبودته
يري نفسه محلا لتوفيق الله تعالى له في ذلك واحسانه اليه فتقلب هذا اقرب الى مقام
الجمع وهو افراد الحق بالفعل من الذي قبله وهو الذي يشاهد لنفسه كسبا واختيارا
وهو مفتقر لعون ربه فيما يختاره ويتنويه والذي قبلهما اقرب الى مقام التفرقة من حيث
ركونه يري نفسه عابد الحسنا مطيعا ويطلب الجزا على عمله من الطاعات ويكفافه
عن المحرمات وبهذا الاعتبار كان من مقام العوام والذي بعده من مقام الخواص والذي
بعدهما من مقام خاص الخاص **قال** الامام وسمعته يقول العبادة لمن له علم اليقين والعبودية
لمن له عين اليقين والعبودة لمن له حق اليقين وسمعته يقول العبادة لاصحاب
المجاهدات والعبودية لارباب المكابدات والعبودة صفة اهل المشاهدات **قال**
الشارح وتنزيل هذا على ما تقدم ان ارباب المجاهدات اصحاب اعمال وارباب المكابدات
اصحاب احوال وارباب المشاهدات اصحاب مراقبة واقبال **قال** الامام فمن لم
يدخر عنه نفسه فهو صاحب عبادة ومن لم يضن عليه بقلبه فهو صاحب
عبودية ومن لم يبخل بروحه فهو صاحب عبودة **قال** الشارح ومعناه ان من
اتعب نفسه في اعمال الابدان من الصبر والصلوة وغير ذلك من انواع القربات فهو
صاحب عبادة ومن اتعب قلبه في الفكر في الملك والملكوت واصناف المخلوقات
وكمال الصفات فهو صاحب عبودية ومن لم يبخل على روحه ويذلها له في طلب
القرب منه والاستغراق في جماله وكماله فهو صاحب عبادة **قال** الامام ويقال
العبودية القيام بحق الطاعات بشرط التوفير والنظر الى ما منك بعين التقصير
وشهود ما حصل قبلك من التقدير **قال** الشارح رضي الله عنه وهو صحيح فان من كملت
عبوديته لمولاه اوقع طاعاته على شروطها الواجبة والفاضلة وهذا قوله بشرط
التوفير اي موفرة كاملة وان راها مع كمالها لا تصلح لجلال الله تعالى وعظمته
وجبروته نفسه فيها بعين التقصير واذا كان كذلك راي جميع ما هو فيه من
الخيرات فضلا من ربه جاريا عليه بسابق التقدير **قال** الامام رضي الله عنه ويقال
العبودية ترك الاختيار فيما يبدو من الاقدار **قال** الشارح رضي الله عنه وهذا
يشير الى كمال الصبر ونيل درجة الرضى وهم ارباب الاحوال وكانه يقول العبودية الارتفاع

Copyright King Saud University

عن الاعمال الي درجات الاحوال قال الامام رضي الله عنه وقيل العبودية التبري من الحول
والمنه والاقرار بما يعطيك ويبليك من الطول والمنه قال الشارح رضي الله عنه
وهذا ايضا من مراتب ارباب الاحوال وهو التبري من اضافة شي من المستحسنات
الي نفسه بجميل الطاعات ويري نفسه محلا لها ويضيفها الي مجريها ويلهج بقلبه ولسانه
بالشكر عليها قال الامام رضي الله عنه وقيل العبودية معانقة ما امرت به ومفارقة
ما زجرت عنه قال الشارح رضي الله عنه وهذا راجع الي العباده لا الي العبودية فانه مع
الاعمال ولم يرتق الي الاحوال قال الامام رضي الله عنه وسيل محمد بن خفيف متى تصح العبودية
فقال اذا طرح كله علي مولاه وصبر معه علي بلواه قال الشارح رضي الله عنه وهذا يشمل التوكل
والصبر والرضى وهو من ارباب الاحوال فصلح ان سمي عبودية قال الامام رضي الله عنه
سمعت الشيخ ابا عبد الرحمن السلمي رحمه الله يقول سمعت العباس البغدادي يقول سمعت جعفر
بن محمد بن نصير يقول سمعت ابن مسروق سمعت سهل بن عبد الله يقول لا يصح التعبد لاحد
حتى لا يجزع من اربعة اشيا من الجوع والعري والفقر والذل قال الشارح رضي الله
عنه وهذا جيد فان احوال العباده ومقامات المقربين لا تنال الا بكمال الجد من التفرغ
والعبد انما يمنعه من التفرغ المطلوب ما ذكر من الشغلات وهي الجوع والبرد
والفقر والذل فكل واحد منها لا مولم تكره النفس منه لانه مولم وبعد عن الشهوات
فاذا لم يخف العبد منه وهان عليه تحمله بكمال زهده وصبره علي المشاق نال العبودية
قال الامام رضي الله عنه وقيل العبودية ان تسلم اليه كلك وتحمل عليه كلك قال
الشارح رضي الله عنه وهذا صحيح فان فيه التوكل والتسليم وهو من اشرف المقامات
قال الامام رضي الله عنه وقيل من علامات العبودية ترك التدبير وشهود التقدير
قال الشارح رضي الله عنه وهذا ايضا من باب الاحوال والمقامات فان ترك التدبير
من علامات التوكل والتفويض وشهود التقدير من علامات المراقبه فبهذا الاعتبار
جعلها من علامات العبودية قال الامام رضي الله عنه وقال ذو النون العبودية ان
تكون عبده في كل حال كما انه ربك في كل حال قال الشارح رضي الله عنه وليس هذا ان
تعلم انك عبده في كل حال كما انك تعلم انه ربك في كل حال وانما المقصود من العبودية
ان تكون مع الحق بالنسبة الي جريان الاحكام وتصريف التقدير راضيا مستسلما متواضعا
لما يجريه عليك وهذا معنى العبودية بالحال دون العلم قال الامام رضي الله عنه وقال
الجريري عبيد النعم كثير عددهم وعبيد المنعم عزيز وجودهم قال الشارح رضي الله
عنه وهذا اشارة الي ان العبودية حالة يثمرها النظر الي الله تعالي ودوام مراقبته
وكمال المعرفة بجلاله وعظمته فيذل العبد في نفسه ويجعل انقياده لاوامره ويرضى

بكل ما يجريه عليه من بلده وافق رضاه او خالفه بخلاف عبيد النعم اذا تغيرت النعم
تغير حالهم فان طيب احوالهم مع العوافي وتوالي النعم عليهم واذا نزل البلا وخلاف
الهوي تغيرت احوالهم وهذا في الخلق كثير والاول نادر قليل ولهذا المعنى ما اشار
اليه الشبلي من انه كان عنده ديك كثير الذكر في الليل فربط رجليه ذات ليلة ولم
فلم يتكلم تلك الليلة فجعله عبرة وقال له انت تذكر الله مع العافيه واذا جاك البلا سكت
قال الامام رضي الله عنه سمعت الاستاذ ابا علي رحمه الله يقول انت عبد من انت في رقه
واسره فان كنت في اسر نفسك فانت عبد نفسك وان كنت في اسر دنياك فانت عبد
دنياك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم تعس عبد الدرهم تعس عبد الدينار تعس عبد
الخميصه قال الشارح رضي الله عنه والعبد علي الحقيقه من يملك فمن ملكه شي من المشتهيات
حتى شغل قلبه حبه عما هو اولي به في دينه صح ان يكون مملوكا له لانه صار مشغولا
بحفظه وحراسته والحرص عليه وخوف فواته في صورة العبد الخادم وهذا يجري في كل
مشتهي محبوب سوا كان عينا او عرضا حيوانا او جمادا ولذلك ذكر صلى الله عليه وسلم
الدينار والدرهم والخميصه والقطيفه والخبر صحيح وقال في اخره ان اعطي رضي وان لم
يعط لم يرض وفي بعض الطرق تعس وانتكس واذا شيك فلا انتقش قال الامام رضي
الله عنه وراي ابو يزيد رجلا فقال له ما حرفتك فقال خربنده فقال اماتك الله
حمارك لتكون عبد الله لا عبد الحمار قال الشارح وهذا الذي فسرنا به ما تقدم وذلك
انه لما علم ان الخربنده رجل مشغول بدابته ومع هذه الدابه حاجته اليها وانها
صارت شغله حتى شغلته عن امر اخرته فلما راي علامة الغفلة عليه وعلم الشغل
بامر الاخره ساله عن حرفته فلما قال له خربنده دعا له بان يزيل الله عنه الشغل حتى
يرجع الي الله تعالى ويصير عبدا له وعابدا مشتغلا بما امره قال الامام رضي الله عنه
سمعت الشيخ ابا عبد الرحمن السلمي رحمه يقول سمعت جدي ابا عمرو بن نجيب يقول لا
تصفو لاحد قدم في العبودية حتى يشاهد اعماله عنده ريا واحواله دعاوي
قال الشارح وهذا الذي فسرنا به العبودية وفرقنا به بين العباده والعبوده
وجعلنا العبودية وسطا وذلك ان اصحاب العباده موقوفون مع الاعمال واصحاب
العبوده مستغرقون في الجلال والجمال واصحاب العبودية في شرف الاحوال يتبرون
مما هم فيه نظرا للعرف الكبير المتعال قال ولا يصح هذا المقام الا اذا تبرا من اضافة
الافعال اليه والاحوال فان اضاف الاعمال اليه كان مرائيا من حيث كونه نظر في عمله
لغير الله وهي نفسه ويتبرا من الاحوال فاذا اضافها الي نفسه كان مدعيا فيما لا علم له
فكمال العبودية ان يرى نفسه محلا لجريان فعل ربه وفضله عليه في عمله وحاله والله اعلم

Copyright King Saud University

سمي اعماله رياء من حيث العنت الى نفسه وهو النفاق الى غير الله في عمل الله وان كان لم يطلب
حمدها وانما هلا من ادق اخر ال الرياء ولهذا قال بعضهم رياء العارفين افضل من اخلاص
المريدين فسمي النفاق العارف رياء لما احال عمل نفسه رياء بل حقه ان يراه فضلا من ربه ويغفل
عن كسبه قال الامام رضي الله عنه وسمعته يقول سمعت عبد الله المعلم يقول سمعت عبد
الله بن مبارك يقول العبد عبد ما لم يطلب لنفسه خادما فاذا طلب لنفسه خادما
فقد سقط عن حد العبودية وترك ادابها قال الشارح رضي الله عنه وهذا انما يكون اذا
عظمت نفسه عنده وراى نفسه اهلا لان يخدم وحقه ان يكون خادما فمتى غلب على
قلبه كونه ممن يخدم خشي عليه فوات مقام العبودية وهذا اما لم تدعه ضرورته الى ان
يخدم لضعف وعجز او ما يجري مجراه فان هذا لا يخرجه عن حد عبوديته ويرى ذلك فضل المولا
عليه في كونه لطف به في حال عجزه حتى سخر له من يخدمه ويعينه على طاعته وكذلك فالعالم
يطلب بنفسه وهذا فيه اشارة الى رؤية استحقاقه لمن يخدمه وفيه نوع تعظيم وشرفه
وهذا تضاد العبودية والتذلل وكل ما يحتاج اليه من زوجه وصاحب ولا يخرجه عن
كونه عبدا ذليلا في نفسه راى فضل ربه عليه فيما هو محتاج اليه قال الامام وسمعته يقول سمعت
محمد بن الحسين يقول سمعت جعفر بن نصير يقول سمعت ابن مسروق يقول سمعت سهل بن عبد
الله يقول لا يصلح للعبد التعبد حتى يكون بحيث لا يرى عليه اثر المسكنة في العدم ولا في
الغنا اثر الوجود قال الشارح رضي الله عنه وهذا صحيح فان حقيقة العبودية عدم
تعلق القلب بالمحبوبات ورؤية الفضل لخالق الارض والسموات فاذا ابتلاه مولاه بفقر
وعجز فلا يرى عليه اثر الذلة والانكسار لفوات ما عدمه من نعيم هذه الدار واذا اجرى
عليه مولاه النعم والعوافي فلا يظهر عنده اهتزاز لذلك ولا افتخار لعدم قدر واخطار
نعم الدنيا في قلبه للزهد فيها والاستصغار ورؤيته جميع ما هو فيه من الغنا والفقر
والعز والذل جاريا عليه من ربه بحسب الاختيار وجميل الاقدار قال الامام رضي
الله عنه وقيل العبودية شهود الربوبية قال الشارح رضي الله عنه وهذا من الاسباب
العظيمة في دوام العبودية فان العبد اذا تولت مراقبته لجلال مولاه وعظمته
ذل من نفسه وتمكن عنده ما هو عليه من حقارته وقلة نفسه بالنسبة لما هي عليه
من جهة طبعها بالنظر لما خصها به ربها من كرامته قال الامام رضي الله عنه
سمعت الاستاذ ابا علي الدقاق رحمه الله يقول سمعت النصراباذي يقول شرف
العابد بمعبوده كما ان شرف العارف بمعروفه قال الشارح رضي الله عنه قد تقدم
ان العبد اذا اطلق عليه النبي صلى الله عليه وسلم عبدا بالنسبة لمحبوباته وارتباط قلبه
بها واشتغاله بها عن عبادة ربه كما قال تعس عبد الدينار والدرهم والخميصة والقطيفة

وكما تقدم في قضية الخربندة مع حماره فكل من عبد شيئا فرفعته وضيعته على حسب معبوده
فمن عبد الشيطان كما قال تعالى الم اعهد اليكم يا بني ادم ان لا تعبدوا الشيطان ان تطيعوه
فيما يامركم به وينهاكم وكذلك من عبد زوجته وولده وقماشه واثاثه وكل شي اشتغل قلبه
به حتى انساه ما خلق له فهو عبده وضيعته على قدر ما عبده ومن عبد الله خالصا فرفعته
في الدنيا والاخرة على حسب جلال من عبده كما ان الجاري في الدنيا ان رفعة العبد تكون من
سيده وبعظمة الخلق على عظم سيده في نفوسهم وكذلك العارف درجته ورفعته على
حسب معروفه فليس من عرف السر كمن عرف الخير وليس من عرف الله تعالى كمن عرف
غيره من مخلوقاته وانما فضلت المعارف لتفضيل الله تعالى المعروف فمتى كان المعروف
فاضلا عند الله تعالى وطلب معرفته كانت معرفته فاضلة على حسب المعروف الفاضل
عند الله تعالى وهذا هو الحق وهو ان التفضيل انما يكون بشرع فكل من كان عند الله فاضلا
وفضله فهو الفاضل لا غير قال الامام رضي الله عنه وقال ابو جعفر العبودية زينة
العبد فمن تركها تعطل من الزينة قال الشارح رضي الله عنه وهذا صحيح كما قال بعضهم
قالوا غدا العيد ماذا انت لابسه فقلت خلعة ساق حبه جرعا فقر وصبر هما
ثوبان تحتهما قلب يرى الفه الاعياد والجمعا • احرى الملابس ان تلقى الحبيب به يوم
التزاور في الثوب الذي خلعا العيد لي ماتم ان غبت يا املي • والعيد ما كنت لي مرأى
ومستمعا فما زين الحليه بالعبيد العبادة فيما يرد مع التذلل والافتقار والتبري
من الحول والاقتدار قال الامام رضي الله عنه سمعت محمد بن الحسين رحمه الله يقول
سمعت ابا جعفر الرازي يقول سمعت عباس بن حمزة يقول ثنا احمد بن ابي الحواري
قال سمعت النباجي يقول اصل العبادة في ثلاثة اشيا لا ترد من احكامه شيا ولا تدخر
عنه شيا ولا يسمعك تسال غيره حاجة قال الشارح رضي الله عنه وهذا صحيح
فان اصل العبادة الاخلاص في العمل ولا يتم الاخلاص الا بكمال المعرفة بانفراد الحق سبحانه
بوجوب الطاعة وانه لا تفعل لغيره واذا استقر هذا الحق في نفس العبد استقامت
في عباداته فلا يقصد غيره قولا ولا يعبد الا اياه ولا يسال احدا سواه وقد حكي ان
موسى صلوات الله على نبينا وعليه قال يا رب تعرض لي الحاجة القليلة فاستحيي
ان اسالكها وذلك لعظمة الله تعالى في قلبه واجلاله له فاوحى الله تعالى اليه سلني
حتى ملح عجينك وعلف دابتك معناه انه لا تذل لاحد على شي سواي فلا تسال
غيري قال الامام رضي الله عنه وسمعته يقول سمعت ابا الحسين الفارسي يقول سمعت
ابن عطا يقول العبودية اربع خصال الوفا بالعهود والحفظ للحدود والرضى بالموجود
والصبر على المفقود قال الشارح رضي الله عنه وهذه الاربعة تشمل اسباب الدنيا

Copyright © King Saud University

واسباب الاخره والاحوال والكرامات وذلك ان قوله الوفا بالعهود يشمل ساير الشريعه
واجباتها ومحرماتها وما توى العبد ان يفعله لله من المندوبات او يتركه من الشهوات
المشغلات فهو كله داخل تحت قوله الوفا بالعهود وقال تعالى واوفوا بعهد الله اذا عاهدتم
واما حفظ الحدود فيشمل ساير ما منع الله منه من المحرمات وتضييع الواجبات وكذلك جب
ساير المكروهات فلا يزيد في الواجبات ولا ينقص فان الزياده والنقص منه تعدي
الحدود وكذلك ساير ما امر الله تعالى به ان يوقع من المندوبات على وجه فلا يجوز
ان يتعدى لئلا يخرج العبد الى البدعه في تحديه وكذلك ملازمه الادب في وقت غلبه
الاحوال على القلوب فلا ينطق العبد بما لا يليق بجلال مولاه ويكون حافظا لما يلزمه من
الادب في رعايته وتجاه واما بالموجود فيشمل ما يفتح الله تعالى به من امور الدنيا والاخره وقد
تقرر ان الرضى انما يكون بعد نزول القضا فاي شي فتح الحق به للعبد مما يصح الرضى به رضي
وان كان غيره افضل منه وقد تقدم ان النبي صلى الله عليه وسلم ما خير بين امرين الا اختار
ايسرهما ما لم يكن اثما وكذلك الصبر عن المفقود يشمل ما تلف وما لم يفتح به من اعمال الدنيا واعمال
الاخره فما فقده العبد فليصبر على فقده خوفا ان يعارضه ربه في مراده وكذلك
ما طلبه ورغب فيه ولم ينزل به فهو في معنى المفقود فليصبر على عدمه ويتفرغ
لمولاه في تيسيره من ساير مقامات الدين ومراتب المقربين من الله علينا بها وعليهم
اجمعين **قال** الامام رضي الله عنه وسمعته يقول سمعت محمد بن عبد الله بن شاذان
سمعت الكتاني يقول سمعت عمرو بن عثمان المكي يقول ما رايت احدا من المتعبدين
في كثره من لقيت بمكه وغيرها وممن قدم علينا في الموسم اشد اجتهادا ولا ادوم
على العباده من المزني رحمه الله ولا رايت احدا اشد تعظيما لاوامر الله تعالى منه
وما رايت احدا اشد تضييقا على نفسه وتوسعه على الناس منه **قال** الشارح
رضي الله عنه قوله اشد اجتهادا ولا ادوم على العباده يدل ذلك على كمال معرفته
بشده وعده ووعيده وما اعده الله تعالى للمطيعين وحذر منه المخالفين ولا
يكون ذلك الا لمن لله تعالى في قلبه وكمال معرفته به واجلال اوامره ونواهيه
تعظيم على حسب ذلك يكون الوعد والوعيد فانه على حسب عظم الامر والناهي الواعد
والمتوعد يكون النشاط في الطاعات والهروب من المخالفات واما توسعته على
الناس فانه يامرهم بما يجب عليهم وينهاهم عما حرم عليهم خاصه فان هذا هو المنوط
في نجاتهم عند ربهم واما في حق نفسه فانه يسلك طريق الورع في الشبهات والمشكلات
ويتخلق بالزهد والتوكل والرضى والمحبه وغير ذلك من المقامات فيجد الفتوح على
نفسه وهكذا ينبغي للعالم ان ييسر على الناس ولا يعسر فان راى من له رغبه في اعلى الدرجا

نبهه على الطاعات والمندوبات **قال** الامام سمعت الاستاذ ابا علي الدقاق رحمه الله
يقول ليس شي اشرف من العبوديه ولا اسم اتم للمومن من الاسم له بالعبوديه ولذلك
قال سبحانه في وصف النبي صلى الله عليه وسلم ليله المعراج وكان اشرف اوقاته في الدنيا
سبحان الذي اسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام وقال فاوحى الى عبده ما اوحى فلو كان فلو
اسم اجل من العبوديه لسماه به وفي معناه انشدوا يا عمرو ثاري عند زهراء يعرفه
السامع والرائي لا تدعني الا بيا عبدها فانه اشرف اسمائي **قال** الشارح رضي
الله عنه ولقد جاد الشيخ الاجل ابو علي الدقاق فيما اشار اليه من المعنى فان الله سبحانه
دعا الانبيا في كتابه باسمائهم بقوله يا موسى ويا عيسى ويا ابراهيم ويا نوح ويا هود
ولم يدع نبينا صلى الله عليه وسلم في اكثر الكتاب الا بيا ايها النبي ويا ايها الرسول تشريفا
له وسماه ليله المعراج بعبده واضافه الى نفسه اضافه التشريف وان كان الكل عبيده
لاختصاصه بالمعراج وقوله فاوحى الى عبده ما اوحى فنبه ابو علي انه لو كان اسم من
اسما النبي صلى الله عليه وسلم اشرف من العبوديه لسماه به في هذه الليله والحاله لكونها
حاله تشريفه خصه بها صلى الله عليه وسلم واما البيتان فموضع الاستشهاد قوله
لا تدعني الا بيا عبدها فانه اشرف اسمائي فدل على ان ذلك عاده العرب وعاده
الناس في اكرامهم بعضهم بعضا ان يدعو غيره باشرف الاسما عنده واحبها اليه
قال الامام رضي الله عنه وقال بعضهم انما هما شيئان سكونك الى اللذه واعتمادك على الحركه فاذا
اسقطت عنك هذين فقد اديت العبوديه حقها كما قال الواسطي احذروا لذه العطا
فانها غطا لاهل الصفا **قال** الشارح وقوله انما هما شيئان سكونك الى اللذه واعتمادك
على الحركه فسكونه الى اللذه وقوفه مع المقام واستحسانه له والتذاذه به واعتماده على حركتك
وغفلتك عن المحرك وفقدان التوكل والسكون لغير الفاعل فاذا ازال الحق عن قلبك هذين المعنيين ولم تعتمد على غيره
ولم تفرح بسواه فقد كنت متحققا بالعبوديه لتبريك من الحول والقوه وارتقابك لما تفتح به رب البريه **قال**
الامام رضي الله عنه وقال ابو علي الجوزجاني الرضى دار العبوديه والصبر بابه والتفويض بيته
فالصوت على الباب والفراغ في الدار والراحه في البيت **قال** الشارح رضي الله عنه وهذا صحيح فان
اول العبوديه العباده وهو القيام بالواجبات واجتناب المحرمات ولا يقوم العبد بذلك الا بالصبر
فهو باب الخيرات والوصول الى اعلا الدرجات ثم يترافى في درجات الصبر على فعل المندوبات وتجنب
المكروهات فاذا وصل العبد الى هذه الخيرات والدرجات الرفيعات وراى توالي نعم ربه عليه في الحركات
والسكنات رضي بما يرد منه عليه وان فرضه اركان من المشقات واذا تمكن في هذا فوض امره
الى الله واستراح من هذه التدبيرات وكان هذا القايل قال العبوديه تنبني على ثلاثه اركان الصبر
والرضى والتفويض فالصبر في اولها يقسماه بابا وعلى الباب يكون الصوت والدعا فان اذن له دخل

Copyright © King Saud University

الدار وهو مقام الرضى الواسع ولذلك شبهه بالدار فاذا تمكن في الرضى دخل البيت وهو التفويض وهو محل الراحة
والدار موضع الفراغ يعني من الاعمال الشاقة التي كانت على الباب من كلف الاعمال ولذلك قيل الرضى باب الله
الاعظم اي يسهل منه الدخول الى الطاعات ويجري بغير كلفة والتفويض تسليم الامور الى الحق يفعل فيها ما يشا
لاما امر الله العبد بالنظر فيه والتدبير له من طاعاته فهو من جملة التفويض فان العمل بادلة الامر تقويم (?)
لامره وخروج عن اختيارات العبد ورايه قال الامام سمعت الاستاذ ابا علي رحمه الله يقول كان الربوبية
نعت للحق لا تزول فالعبودية صفة للعبد لا تفارقه ما دام وانشد بعضهم • فان سالوني قلت ها انا عبده
وان سالوه قال هذاك مولاي قال الشارح وهذا صحيح وهو ان الرب سبحانه هو الملك الخالق المقتدر على
كل شي وهذا وصف لله ثابت قديم والعبد هو المخلوق المربوب فمتى وجد تحقق له هذا الوصف ولا يفارقه ما
دام في الدنيا والاخرة ومقصوده بان العبد اذا علم ان هذا وصفه اللازم له ينبغي له ان يعطي هذا الوصف حقه
وهو القيام باوصاف العبودية وهو ان يكون متحققا بحقوق الربوبية عارفا بجلال مولاه فقيرا في ساير احواله اليه بما
اولاه مسرورا باسباغ هذا النعت له في ساير تقلبه ومثواه كما قال الشاعر • فان سالوني قلت ها انا عبده
اي ان سالوني عنه قلت ها انا عبده معناه دليل عليه وقوله وان سالوه يحتمل امرين احدهما سالوه عني والثاني
سالوني عنه فان كان المسؤول هو الحق اخبر بان العبد مولاه اي العبد ملكه ورقه وعلى هذا يصح قال هذاك مولاي
وان كان العبد هو المسؤول عن ربه قلت هذاك مولاي اي ناصري وعاضدي ومعيني فيصير المعنى ان سالوني عن
نفسي قلت انا عبده وان سالوني عنه قلت معيني وناصري ومعبودي ويصدق فيه قلت هذاك مولاي قال
الامام سمعت الشيخ ابا عبد الرحمن السلمي رحمه الله يقول سمعت النصراباذي يقول العبادات الى طلب الصفح والعفو
والتقصير (?) عن تقصيرها اقرب منها الى طلب الاعواض والجزا عليها وسمعته يقول سمعت النصراباذي يقول العبودية
اسقاط روية التعبد في مشاهدة المعبود قال الشارح فاما قول النصراباذي العبادة احوج الى الصفح والعفو
منها الى طلب الجزا عليها فصحيح فان العابد هو المعتني باتقان اعماله وايقاعها على وجهها الشرعية وافراد الحق
بها دون غيره واجبة كانت او مندوبة ترك محرم كان او مكروه فجميع ذلك يحتاج الى الاخلاص والى العبد
بذلك وايسر الاحوال في النقص سكونه الى عمله واعتماده عليه في نجاته من ربه وهذه غفلة شديدة وصاحبها
احوج الى الصفح والعفو منه الى ان يتوهم بقلبه الجزا على عمله او طلب الاثابة عليه واما مقام العبودية فهو
بعيد من هذه الافات فانه اعماله وساير احواله يجريها الحق عليه خالصة مبراة من العلل وهو يراها فضلا
من ربه عليه فيستحي من دعواها لنفسه فضلا عن طلب الجزا عليها من ربه قال الامام رضي الله
عنه وسمعته يقول سمعت ابا بكر محمد بن عبد الله بن شاذان سمعت الجريري يقول سمعت الجنيد
يقول العبودية ترك الاشغال والاشتغال بالشغل الذي هو اصل الفراغة قال الشارح رضي الله عنه
ومراده ترك اشغال الدنيا لا تعنيه على الاخرة والاشتغال بالطاعات وافضل القربات في اعالي الدرجات
وروية الفضل المجري بها عليه عموم الاوقات فاذا وصل الى هذه الحالة استراح قلبه من هم التدبيرات وهي
وفوض امره الى خالق الارض والسموات وهذه هي الفراغة من كل ما يضر والاستراحة فيما ينفع ويسر
والله الموفق بمنه وكرمه قال الامام رضي الله عنه
باب الارادة

٢٥٩

قال الله عز وجل ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه انا علي بن احمد الاهوازي انا
احمد بن عبيد البصري انا علي بن احمد بن عبدان رحمه الله قال انا احمد بن عبيد ثنا هشام بن علي قال انا الحكم
ابن اسلم قال ثنا اسماعيل بن جعفر عن حميد عن انس رضي الله عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم قال اذا اراد الله بعبد
خيرا استعمله فقيل له كيف يستعمله يا رسول الله قال يوفقه لعمل صالح قبل الموت قال الشارح مقصود الاية وروحها
ارادة وجه الله بالعمل والسعي والتجرد له ولم يرد ثوابا كما في موضع اخر من كان يريد حرث الاخرة نزد له في حرثه واذا
كان المقصود بالارادة انما هو التجرد في السلوك الى كمال التوحيد فلذلك اصطلحوا على تسليم تسمية حال السالك لهذا المقصود
ارادة قال الامام رضي الله عنه وانما استعاروا ذلك من ان كل عامل لا بد ان يتقدمه ارادة فسموا اول سلوك طريق
الخواص الى نيل مطلوبهم ارادة ولذلك قالوا المريد من لا ارادة له اي لا اختيار له في نفسه ولا تمييز لمراده وانما
تجرد لمراد الحق به ومنه ولذلك قال الامام في حدها نهوض القلب في طلب الحق والحق هاهنا هو الله تعالى وقول
بعضهم الارادة ترك ما عليه العادة امر لازم للمريد قال من اجتهد في طلب الحق اعرض عن عاداته ويحسن من
الادلة على الارادة قوله تعالى ففروا الى الله اني لكم منه نذير مبين ولا تجعلوا مع الله الها اخر الاية قال الامام
رضي الله عنه الارادة بدو طريق السالكين وهي اسم لاول منزلة القاصدين الى الله تعالى وانما سميت هذه
الصفة ارادة لان الارادة مقدمة كل امر فما لم يرد العبد شيا لم يفعله فلما كان هذا اول الامر لمن سلك طريق
الله تعالى سمي ارادة تشبيها بالقصد في الامور الذي هو مقدمتها والمريد على موجب الاشتقاق من له ارادة
كما ان العالم من له علم لانه من الاسما المشتقة ولكن المريد في هذه الطايفة من لا ارادة له فما لم يتجرد عن ارادته
لا يكون مريدا كما ان من لا ارادة له على موجب الاشتقاق لا يكون مريدا وتكلم الناس في معنى الارادة فكل عبر عما
لاح لقلبه فاكثر المشايخ قالوا الارادة ترك ما عليه العادة وعادة الناس في الغالب التعريج في اوطان الغفلة
والركون الى اتباع الشهوة والاخلاد الى ما دعت اليه المنية والمريد منسلخ عن هذه الجملة فصار خروجه
امارة ودلالة على صحة الارادة فسميت تلك الحالة ارادة وهي خروج عن العادة فاذا ترك العادة فهي
امارة الارادة فاما حقيقتها فهي نهوض القلب في طلب الحق سبحانه ولهذا يقال انها لوعة تهون كل لوعة
سمعت الاستاذ ابا علي الدقاق يقول حاكيا عن ممشاد الدينوري انه قال منذ علمت ان احوال الفقرا جد كلها
لم امازح فقيرا وذلك ان فقيرا قدم علي فقال ايها الشيخ اريد ان تتخذ لي عصيدة فجرى على لساني ارادة وعصيدة
فتاخر الفقير ولم اشعر فامرت باتخاذ عصيدة وطلبت الفقير فلم اجده فتعرفت خبره فقيل انه انصرف من فوره
وكان يقول في نفسه ارادة وعصيدة ارادة وعصيدة وهام على وجهه حتى دخل البادية ولم يزل يقول
هذه الكلمة حتى مات قال الشارح رضي الله عنه وهذه الحكاية ينبغي ان يعرف مقصودها وذلك
ان الفقرا قلوبهم صافية مستحسنة لما يرد عليها من الله سبحانه ولذلك قيل اذا لقيت الفقير فالقه بالرفق
ولا تلقه بالعلم وذلك ان غالب عليهم الاحوال فاذا رفق العبد به حتى ينجلي عنه ما هو فيه نفعه وانتفع به
واذا طالبه بالعلم وهو في غلبة الحال اهلكه وذلك ان هذا الفقير والله اعلم جا بفاقة طويلة واحتاج
الى الطعام وعرف من نفسه انه لا يمكنه ابتلاع الشي الخشن فقصد هذا الشيخ معتمدا على معرفته
بعوايد المريدين وطلب منه ما يوافق جوعه وهو عصيدة فاجرا الله على لسان الشيخ ارادة وعصيدة

Copyright © King Saud University

اي المريد بنبتهاي فسمع هذا المريد من الشيخ هذا الكلام فاخذه عبرة دقوي حاله به وهام علي وجهه مضافا
لما كان فيه من تقدم الجوع فكان ذلك سبب موته وقوله ان لا يمازح فقيرا دل علي ان الشيخ قالله له ذلك علي وجه
البسط لا علي وجه الانكار والذي يدل علي ذلك كونه امر بعا ان تصنع لما طلبه لم يجده **قال** الامام رضي
الله عنه وعن بعض المشايخ قال كنت بالباديه وحدي فضاق صدري فقلت يا انس كلموني يا جن كلموني فهتف
بي هاتف يا هذا ايش تريد فقلت اريد الله تعالي فقال الهاتف حتي تريد الله تعالي يعني ان من قال للانس والجن
كلموني متي يكون مريد الله تعالي **قال** الشارح في الحكاية الاولي ان صحة الارادة تنافي الاستمرار علي
حكم العادة وهذه الحكاية ان الجد في القصد يزيد ذكر غير الحق من القلب فمن كان قلبه مجموعا مع الحق لم
يلتفت للجن والانس وطلب كلامهم فدل ذلك علي ان الارادة افراد الحق بالقصد والطلب جميعا والاعراض عن
كل شغل **قال** الامام والمريد لا يفتر انا الليل والنهار فهو في الظاهر بنعت المجاهدات وفي الباطن بوصف
المكابدات فارق الفراش ولازم الانكماش وتحمل المصاعب وركب المتاعب وعالج الاخلاق ومارس
المشاق وعانق الاهوال وفارق الاشكال كما قيل ثم قطعت الليل في مهمه لا اسدا اخشي ولا ذيبا
يغلبني شوقي فاطوي السري ولم يزل ذو الشوق مغلوبا **قال** الشارح وهذا الاعتبار
عبر بالارادة انها لوعة تهون كل روعة فهو لشدة اربه محمول وتعلق قلبه بمحبوبه عن غيره
مشغول جد دايم وقلب هايم لا يؤثر فيه لوم ولا يم **قال** الامام سمعت الاستاد ابا علي
رحمه الله يقول الارادة لوعة في الفواد لدغة في القلب غرام في الضمير انزعاج في الباطن
نار تتاجج في القلوب **قال** الشارح وهذا يدل علي ان كل لفظة من هذه الكلمات تصلح
ان يعبر بها عن الارادة لانها تدل علي كمال الاحتراق في الطلب وكمال الشوق في تحصيل
الارب والاعراض عن كل قاطع ومانع من حظ وسبب **قال** الامام سمعت محمد بن الحسين
رحمه الله يقول سمعت محمد بن عبد الله يقول سمعت ابا بكر السباك يقول سمعت يوسف بن الحسين يقول
كان بين ابي سليمان واحمد بن ابي الحواري لا يخالفه في شي يامر به فجاه يوما وهو يتكلم في مجلسه
فقال ان التنور قد سجر فما تامر فلم يجبه فقال مرتين او ثلاثة فقال ابو سليمان اذهب فاقعد فيه
كانه ضاق به قلبه وتغافل ابو سليمان ساعة ثم ذكر فقال اطلبوا احمد فانه في التنور لانه الي علي نفسه
ان لا يخالفني فنظروا فاذا هو في التنور لم يحترق منه شعرة **قال** الشارح وهذا يدل والله اعلم
علي ان ابا سليمان كان يعلم من حال احمد ان العادة انخرقت له في ان النار لا توثر فيه ولذلك امره بما امره بل ...
احمد وتكون فايدة هذه الحكاية تعريف الناس منزلة احمد ورفعة مقامه ليقتدي به بعده كما كان
وقد خرج الصحابة رضي الله عنهم في سفر وامر عليهم اميرهم بعدان اوقد لهم نارا واراد ان يختبرهم هل يمتثلوا
امره في جميع ما يامرهم به من الحروب وارتكاب المهلكات فلما اوقد النار امرهم ان يدخلوها
فقام بعضهم يحوم للدخول وامتنع بعضهم فلما راي منهم ذلك نهاهم عن الدخول وقال انما اردت ان

اخبركم

اخبركم فلما وصلوا الي النبي صلي الله عليه وسلم واخبروه بما جري قال لو دخلوها ما خرجوا منها يعني انهم كانوا
بذلك عصاة اذ لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق فاذا تقرر ذلك فوجه الحكاية ان سبقت لكمال الجد والامتثال
لاوامر المشايخ في السلوك فحملها علي ما ذكرناه والله اعلم **قال** الامام رضي الله عنه وسمعت الاستاد ابا علي رحمه
الله يقول كنت في ابتدا صباي محترقا في الارادة وكنت اقول في نفسي ليت شعري ما معني الارادة وقيل من
صفات المريدين التحبب اليه بالنوافل والخلوص في نصيحة الامة والانس بالخلوة والصبر علي مقاسات الاحكام
والايثار لامره والحيا من نظره وبذل المجهود في محبوبه والتعرض لكل سبب يوصل اليه والقناعة بالخمول
وعدم القرار بالقلب الي ان يصل الي الرب سبحانه **قال** الشارح قول الاستاد كنت محترقا في ابتدا
امري وكنت لا اعرف ما الارادة فخلاصة هذا الكلام ودلالته انه كان شديدا لطلب للحق في ابتدا
امره حتي نال منه من الخير ما هو فيه واما الصفات في الحكاية الثانية فجملتها تفصيل حال المريد
وذلك التحبب الي الله بالنوافل فانها الموعود عليها بالمحبة منه كما قال في الحديث ولا يزال العبد يتقرب
الي بالنوافل حتي احبه والخلوص في نصيحة الامة ان كان اهلا لذلك ولا يبالي بنيل درجة ولا
الارتفاع عليه فانه شريكا معهم فيما انتفعوا به بسببه واما الانس بالخلوة فللخلوص الذكر من
الشوائب والتفات القلب الي ما يطرق الاذن من الاخبار وفي دوام المناجاة للواحد القهار واما
الصبر علي مقاسات الاحكام فان المريد في ابتدا امره تجاذبه عن الحق عوايده ويخالفه في مراده
اهله ومن يضاده وينزل عليه من الحق سبحانه من الاحكام ما يمتحنه ليتحقق في ارادته وسعيه
وذلك ان الحق سبحانه يقول ولقد فتنا الذين من قبلهم فليعلمن الله الذين صدقوا وليعلمن الكاذبين
واذا كان كذلك فلابد له من الايثار لامره علي ما يميل اليه هواه واذا فعل ذلك دام تثبته
ومعرفته بما يرضي الله واستشعر نظره اليه في ساير احواله واذا كان كذلك دام استحياوه
منه وسلم من ان يراه مولاه حيث لا يرضاه واما قوله وبذل المجهود في محبوبه فهو اجتهاد
اخر خلاف الاجتهاد الاول الذي كان في المندوبات لان هذا الاجتهاد في قطع التفات القلب
الي غير الرب فهو يعمل ويكابد في ان لا يخطر لقلبه في ساير تصرفاته غير محبوبه واذا كان يقطع الاسباب
خوفا من ان يقطعه عن محبوبه فيه حاجة الي ملازمة كل سبب يعينه علي مطلوبه من الادب
فيما هو فيه والدعا والرغبة ممن يستشعر قلبه من محبوبه وينوي الانتفاع برعايته فاذا وصل
الي هذا المقام الرفيع خشي عليه من افات الشهرة وان يدخل عليه تشويش الخلق وتعلقهم به اذا
عرفوا مقامه ورفعة منزلته عند ربه فاحسن احواله خموله وبعده عن الناس لامرين احدهما
ان العبد متي تواضع ازداد رفعة وسلم من كل فتنة والثاني ان لا يحله خموله وتواضعه وضعفه
عن قلة الجد في الطلب بل يكون ذلك شعاره ودثاره والله الموفق لما يرغب واليه يداب
قال الامام وقال ابو بكر الدقاق افة المريد ثلاثة اشيا التزويج وكتب الحديث والاسفار

Copyright © King Saud University

وقيل له لم تركت كتبة الحديث فقال يشغلني عنها الارادة قال الشارح رضي الله عنه وهذا
صحيح لان الارادة اذا معناها التجرد بالقلب في طلب الرب وقطع كل ما يشغل عنه من الاسباب
ودوام مراقبته في كل حركة وسكنة وفي كل مقام شريف واصغا القلب الى الخطاب
ومراعاة القلب في اول الخواطر قبل حدوث النفس والعزم فضلا عن اعمال الجوارح
خوفا من الوقوع في الخطا وفوات الصواب وكفى بهذا شغلا عن غيره من اشغال اولي
الالباب ومن كان همه هذا فالاوقات التي يقطعها عنه ويشغل القلب عن الاتيان
به اصلا او كمالا فالتزويج من جملة الافات القاطعة عما اشرنا اليه من الاشتغال ولا سيما
اذا تعلق قلبه بالزوجة وحدث بينهما اولاد فما اسرع الى قلبه الفساد وكذلك
الشغل بالاسفار وملاقاة الاشرار والاخيار فيحصل من رؤية الاشرار التعجب وفساد
القلوب برؤية ضد المطلوب ومن الاخيار خوف التزين لهم والمراياة باظهار اعمال
الابرار واما كتب الحديث ومراده به التفرغ للعلم وفوايده ودرسه وان كان فيه
فضل الا انه مشغل عن القيام بما يخص العبد نفسه من اصلاح قلبه وجوارحه واشتغا
مع ربه في اخلاصه مهما اذا سلم في طلبه من المحاسدة والمفاخرة والمكاثرة والاستصغار
لمن يكلمه ويخاصمه او يعلمه او يتعلم منه او رؤية المنكران من اذية الناس والغمز عليهم
والهمز وبيان فساد المقام بالغيبة وغيرها من سيئ الاحوال وبعد السلامة مما قلته
ونقوله مما يكثره الكلام ويطول فهو فرض كفاية اذا صحت فيه النية والسلامة
وعلى الانسان في نفسه فرض عين ولا بد له من القيام به واني له بذلك في زماننا ولقد
صدق القايل في غير هذا الزمان فكيف بما مع ضعف القلوب وفساد الاديان يكون
الانام واخبارهم وما اتاني الناس بالمشتري فلم ار الاسلام وحده ولم ار انسا من دنيا
ولا واعظا مثل قبر تجد بقولي هذا ولا تغتر قال الامام وقال حاتم الاصم اذا رايت
المريد يريد غير مراده فاعلم انه قد اظهر نذالته قال الشارح رضي الله عنه وذلك
ان الشخص اذا نسب نفسه للشي وزعم انه من اهله ثم تبين من باطنه خلاف ما اظهر
وسلك طريقا غير موصله الى مقصوده الذي اظهره فقد اظهر نذالته اي
خبث باطنه وسوء سريرته التي اخفاها واظهر غيرها فالمريد كما وصفه في الاجتهاد
ناذا ادعى الارادة وسلك ضد طريقه من التواني والكسل ومحبة الدنيا وطول
الامل فقد اظهر من اخلاقه ما لا يحسن ظهوره واطلع الناس على سوء سريرته
وهو خمن ان يفعل الله به ذلك لان الخبر الصحيح اذا احب عبدا نادى يا جبريل
اني احب فلانا فاحبه فيحبه جبريل ويحبه اهل السما ثم يوضع له القبول في الارض
قال مالك رضي الله عنه ولا احسبه قال في البغض الا كذلك وقد ذكر مسلم والبخاري في

البغض

في البغض مثل ذلك قال الامام سمعت محمد بن الحسين رحمه الله يقول سمعت ابا بكر الرازي
يقول سمعت الكتاني يقول من حكم المريد ان يكون فيه ثلاثة اشيا نومه غلبة واكله
فاقة وكلامه ضرورة قال الشارح رضي الله وهذا صحيح فان المريد المجتهد يتجرد
عنه كل فضول لا حاجة له به والفضول هو الذي يستغني عنه في سلوكه ويعضد هذا
الخبر الصحيح من حسن اسلام المرء تركه ما لا يعنيه والذي لا يعنيه هو الذي لا حاجة له اليه
في تحصيل مراده الذي يعنيه قال الامام وسمعته يقول سمعت الحسين ابن احمد بن جعفر
يقول سمعت جعفر بن نصير يقول سمعت الجنيد يقول اذا اراد الله تعالى بالمريد خيرا اوقعه
الى الصوفية ومنعه صحبة القراء قال الشارح ومراده هاهنا بالقرا المتعبدين خاصة
من غير اعتنا بتغيير اخلاقهم المذمومة من الريا والكبر والعجب وسو الظن وما يجري
مجراه وكذلك التخلق بالاخلاق المحمودة من الصبر والقناعة والورع والزهد والتوكل
وغير ذلك من الاخلاق المحمودة ومن اشتغل بهذه الاخلاق وتحصيلها وبعد بما تقدم
من الاخلاق المذمومة وتخلص عنها فهو المعبر عنه بالصوفي فان الصوفي مستقل من
الصفا من الاخلاق الذميمة والاتصاف بالاخلاق الحميدة فاذا اراد الله بالعبد صلاحا
القاه اليهم ولازم فتغيرت اخلاقه الذميمة بالحميدة فاحياه الله تعالى في الدنيا حياة
طيبة فانتفع في نفسه وانتفع به من خالطه وان كان ممن ليس عنده من العبادة
سوى كثرة الركوع والسجود وقراة القران والاعمال الظاهرة وتكثيرها المحسنات
خاصة وان ابتلي بمصيبة او خولف في حاجة او اوذي بادنى ظهر من اخلاقه الذميمة
ما يوارى به ما حصل له من الاجر في اعماله ان كانت صحيحة سالمة من الافات
المفسدات قال الامام وسمعته يقول سمعت عبد الله بن علي يقول سمعت الرقي يقول
سمعت الزقاق يقول نهاية الارادة ان تشير الى الله تعالى فتجده مع الاشارة فقلت
فاي شي يستوعب الارادة فقال ان تجد الله تعالى بلا اشارة قال الشارح ومراده
بهذا والله اعلم ما تضمنه الخبر الصحيح في حق من استقام على السلوك في التقرب اليه
وتمام بالواجبات على شروطها واتى بالمندوبات فاضلها ومفضولها على احسن وجوهها
واكملها حتى احبه مولاه وصار ممن يستجيب له دعاه فمعنى قوله نهاية الارادة ان
تشير الى الحق فتجده معناه ان يجري عليه الحق تعالى ما اراده وما اشار اليه فيه
وقوله وما يستوعب الارادة فقال ان تجد الحق بلا اشارة يحتمل هذا وجهين احدهما
ان يجري الحق عليه جميع ما هو محتاج اليه من غير طلب والثاني ان يكون دايم النظر اليه
والمراقبة له في ساير احواله لا يحتاج في ذكره الى سبب قال الامام سمعت محمد بن عبد
الله الصوفي رحمه الله يقول سمعت عباس بن ابي الصحري يقول سمعت ابا بكر الزقاق

Copyright © King Saud University

يقول لا يكون المريد مريدا حتى لا يكتب عليه صاحب الشمال عشرين سنة
الشارح وهذا يحتمل وجهين احدهما انه يحفظ من الزلل والثاني انه يعقب الزلل بالتوبة
وقد جا في بعض الاخبار ان كاتب اليمين امير على كاتب الشمال فاذا زل العبد زلة امره ان يمهل
عليه فان تاب لم يكتب والا كتبها فلعل هذا العبد المريد تارة يحفظه الله من الزلل
لكمال شغله به والثاني اذا جرى القدر عليه بالزلل عقب ذلك بالتوبة قبل ان يكتب
وكان ذلك سببا للجد في العمل كما جا في الخبر ان العبد ليذنب الذنب فيدخله ذنبه
الجنة قيل كيف يدخله ذنبه الجنة يا رسول الله قال لا يزال ذنبه نصب عينيه
تائبا منه هاربا حتى يدخله ذنبه الجنة يعني يتكرر منه الاسف والندم والجبر لما
تقدم وقوله عشرين سنة ليس على وجه التحديد بل على طول الاستقامة في الحالة
وصحة السلوك في المعاملة وربما كان ذلك الى الموت فضلا عن عشرين قال الامام
وقال ابو عثمان الحيري من لم تصح ارادته ابتدا لا يزيده مرور الايام عليه الا ادبارا
قال الشارح وذلك ان البنا انما يكون على اساس صحيح فمن لم يكن اساس طاعته
على الخوف والرجا والصدق والاخلاص وكمال المعرفة بالله وحقوقه وما هو عليه من صفاته
لم تزده طول الايام الا خروجا عن الطريق وحيدا عن الاستقامة ومن على غير اساس
قال الامام وقال ابو عثمان ان المريد اذا سمع شيئا من علوم القوم فعمل به صار حكمة
في قلبه الى اخر عمره فينتفع به ولو تكلم به انتفع به من سمعه ومن سمع شيئا من علومهم
ولم يعمل به كان حكاية يحفظها ايام ثم ينساها قال الشارح وهذا صحيح فان العمل
بالعلم يطلع العبد على ما فيه من الافات وما يطرق العامل به من النقص والشغل عن
الادب فيه في كثير من الاوقات فاذا كان العبد متحسسا لما يعلمه من الافات في
الاعمال وما يدخل عليه بسبب غفلته وسهوه من نقص يفوت الكمال صار بصيرا
بافات الاعمال حكيما بوضعها على افضل الوجوه من درجات الاحسان وهذا هو
الحكيم الناطق بالحكمة لمن ينتفع بها منه باوضح بيان لان الحكمة وضع الشي موضعه
من غير زيادة ولا نقصان قال الامام وقال ابو الواسطي اول مقام المريد ارادة
الحق سبحانه باسقاط ارادته قال الشارح وهذا هو الذي تقدم ذكره في
قولهم المريد من لا ارادة له اي يسقط اختيارات نفسه ومحابه ويعمل باوامر ربه
في درجات قربه قال الامام وقال يحيى بن معاذ اشد شي على المريد معاشرة
الاضداد قال الشارح وهذا صحيح فان الضد من لا يجامعك على مقصودك ويريد
خلاف ما تريد فهو اما ان يفسدك ويردك الى ما هو فيه واما ان يشغلك ويحول كن
عن جدك بروئيته وكسله عما تطلبه وتعانيه وقد مثل النبي صلى الله عليه وسلم الرفيق

الصالح كالعطار ان لم يجدك من طيبه علقك ريحه الطيب والصاحب السوء كنافخ الكير ان لم يحرقك
بشرره علقك دخانه وكذلك من مطلوبه ضد مطلوبك اما ان يفسدك او يكسلك
قال الامام سمعت الشيخ ابا عبد الرحمن السلمي يقول سمعت ابا القاسم الرازي يقول قال
يوسف بن الحسين اذا رايت المريد يشتغل بالرخص والكسل فليس يجي منه شي قال
الشارح رضي الله عنه ويعني بالرخص تعاطي ما ليس بحرام فكانه لا يترك من الاشغال التي
تمنعه من مقصوده الا الحرام خاصة وعلى هذا يتعاطى المشكلات والمشتبهات فضلا
عن تفرغه للطاعات فان المريد كما تقدم وصفه شرط سلوكه الجد في الاعمال ولا
يرجع الى الدنيا الا عند الضرورة لما في الاكل والنوم والمقام كما تقدم من وصف الابدال
ان اكلهم فاقة ونومهم غلبة وكلامهم ضرورة فاذا كان كذلك فاكثر شغله بالطاعات
والقربات واذا خطر له ترك مندوب وقالت له نفسه هذا جور ولا اثم عليك فيه
فتركه او فعل مكروه كراهة تنزيه فنبه عليه فقالت له نفسه ليس عليك فيه اثم
فارتكبه فهذه الرخص التي ذكروا انه اذا اتبعها لم يجي منه شي في طريق الجد ونيل المراد
واما الرخص التي هي فضيلة كالقصر والفطر في السفر واكل الميتة عند الضرورة وما
يجري مجراه فهذا من جملة ما ندب الشرع اليه في بعض الاوقات وقد يوجب في بعض
الاحوال فهو من جملة الطاعات فلا يكون مانعا من الارادة لتحصيل الخيرات فانه من جملتها
والله الموفق للصالحات قال الامام وسمعته يقول سمعت محمد بن الحسين يقول سمعت
جعفر الخلدي يقول سئل الجنيد ما للمريدين في مجاراة الحكايات فقال الحكايات
جند من جنود الله تعالى يقوى بها قلوب المريدين فقيل له فهل في ذلك شاهد الرسل
فقال نعم قوله جل وعز وكلا نقص عليك من انباء الرسل ما نثبت به فوادك قال
الشارح وتقوية قلوب المريدين بحكايات خوارق العادات وما جرى للصالحين
ممن علموا صدقه فاذا اخبر عن نفسه او عمن شاهده او عمن يثق به لا يخفى تاثيرها في
القلوب وتقويته اليقين بها وعزوف النفس عن الدنيا والملازمة لوظايف التقوى فهذا
كله من فوايد ذكر الاحوال والكرامات ولهذا المعنى تداولها العلما في كتبهم واظهرها
من اجراها الله عليه لمن يقتدي به ليكمل انتفاعه ويشتد حرصه على متابعته في
الحق وقوله وما مصداق ذلك يعني ما الذي يصدقه ويدل عليه من الشريعة فقال قوله
تعالى وكلا نقص عليك من انبا الرسل ما نثبت به فوادك وقد قص الله تعالى في الكتاب
على نبيه صلى الله عليه وسلم ما جرى لادم وابراهيم ونوح وعاد وثمود وغيرهم وان العاقبة
كانت للانبيا عليهم السلام وكان الدمار على اممهم المخالفين فاذا كانت الحكايات تقوي قلوب
الاقويا فتقويتها الضعفا من باب اولى واولى قال الامام وسمعته يقول سمعت محمد بن خالد

Copyright © King Saud University

يقول سمعت جعفر يقول سمعت الجنيد يقول المريد الصادق غني عن علم العلماء **قال** الشارح رضي الله عنه وهذا صحيح وهو مخصص ببعض العلوم التي لم تدعه في طريقه حاجة اليها لا العلم بما يجب اعتقاده في دينه ولا علم اصلاح صلاته وصومه ولا علم معرفته الشيطان ومداخله وما يفسد عمله وكذلك ما لا بد له منه من طعامه وشرابه وما تدعوه اليه حاجة فهذا كله لا يستغني عنه مريد ولا غيره لانه من فرض عينه ولما علوم الشريعة بجملتها التي القيام بها من فروض الكفايات سواء كانت في الاصول وفي الفروع وكان في الخلق من يقوم بهذا الواجب وسقط ذلك عن المريد فالجنيد يستغني عنه بالنظر لعلمه في نفسه والا بالنظر لفضيلة في اخرته والقيام بشريعة ربه اذا كان اهلا لذلك فهو محتاج اليه لكمال دينه ورفعة درجته عند ربه فحمل كلام الجنيد رضي الله عنه على ان المريد انما يلزمه من العلم ما تدعوه اليه حاجة في اصلاح دينه ويشتغل بسلوك طريقه التي هو بصددها فانه اذا لم يكن له مال سقطت عنه العلوم المتعلقة باصناف من المعاملات والمبايعات كالقراض والمساقاة وغير ذلك وكذلك اذا لم تدعه حاجة الى النكاح استغنى عن علوم كثيرة متعلقة بالطلاق والنكاح وعلى الجملة فهذا مراده والا لو خلا الزمان عن العلماء القائمين بالشريعة لكان المريد من جملة المكلفين بتحصيل علوم الشريعة بتفريطه مع الناس بترك قيامهم بالعلم الذي هو فرض الكفاية وهذا الاطلاق يخشى منه فساد اخر وقع لبعض المريدين وهو ان العبد اذا قبل على الله تعالى ودام ذكره له واشتغاله به ادرك من نفسه من العلم ما استغنى به عن علم العلماء وهذا ان قال به قايل على التعميم حتى يدخل فيه علم الشريعة فهو فتح باب دعوى اكتساب النبوة ونعوذ بالله من ذلك والقايل بهذا ان لم يقل انه نبي فما قوله ذلك يؤدي اليه وذلك ان النبي عبارة عمن يتلقى الاحكام عن الله تعالى اما بواسطة الملك او بالالهام وقد قال الله تعالى في رسوله خاتم النبيين وقال صلى الله عليه وسلم لا نبي بعدي فقايل هذا في هذا الغرر العظيم **قال** الامام رضي الله عنه فاما الفرق بين المريد والمراد فكل مريد على الحقيقة مراد اذ لو لم يكن مراد الله تعالى بان يريد لم يكن مريدا اذ لا يكون الا ما اراد الله عز وجل وكل مراد فهو مريد لانه اذا اراده الحق بالخصوصية وفقه للارادة ولكن القوم فرقوا بين المريد والمراد فالمريد عندهم هو المبتدي والمراد هو المنتهي والمريد الذي نصب بعين التعب والقي في مقاساة المشاق والمراد الذي كفي بالامر من غير مشقة فالمريد متعب والمراد مرفق مرفه وسنة الله تعالى مع القاصدين مختلفة فاكثرهم

يوفقون بتلك المجاهدات ثم يصلون بعد مقاساة التيار الى سني المعالي وكثير منهم يكاشفون في الابتداء بجليل المعاني ويصلون الى ما لم يصل كثير من اصحاب الرياضات الا ان اكثرهم من اصحاب الرياضات الا ان اكثرهم يردون الى المجاهدات بعد هذه الارفاق ليستوفي منهم ما فاتهم من احكام اهل الرياضة **قال** الشارح قوله كل مريد مراد لانه لا يكون الا ما اراد فليس مراده بالتفرقة بين المريد والمراد وانما المريد من اراد سلوك الحق وسعى في تحصيله بجهده والمراد من اعانه الحق وقواه على سلوكه ويسره له والقاه في قلبه ويحتمل ان يكون الشخص الواحد في اول امره مريدا وفي اخره مرادا لما يلقاه في اول سلوكه من المكابدة والمجاهدة وما يخف عليه في اخر امره من الاعمال وكمال معرفته وحصول لذته بمشاهدته ولهذا يشير كلام القوم في الجنيد ان المراد ان المريد عندهم هو المبتغي في السلوك والمراد هو المطلوب به للعناية وسنة الله مع القاصدين مختلفة فمنهم من تتقدم مجاهدته في سلوكه ومنهم من تقوى قلبه مما تخلقه فيه من المعرفة والشوق الحامل على الاعمال وقول الامام الا ان اكثرهم يردون الى المجاهدات ليستوفي حظه من الرياضة ليس مراده انه يرد الى ما خرج منه وارتقى عنه من الاخلاق والاعمال الشاقة بل مراده انه يلقى في مقاماته العالية من المجاهدات وملازمة الاداب والامتحانات في ذلك ما لقيه ارباب البدايات في بدايتهم فانه كل مقام عال لا بد له من موانع ومشغلات ومقترنات من اثار النفس والشيطان فلذلك لا يستغني عن المجاهدة لا مريد ولا مراد وان كان احدهما مطلوبا به في سلوكه ومجاهدته بالنسبة الى غيره **قال** الامام رضي الله عنه سمعت الاستاذ ابا علي رحمه الله يقول المريد متحمل والمراد محمول وسمعته يقول كان موسى عليه السلام مريدا فقال رب اشرح لي صدري وكان نبينا صلى الله عليه وسلم مرادا فقال الله تعالى الم نشرح لك صدرك وكذلك قال موسى عليه السلام ارني انظر اليك قال لن تراني وقال لنبينا صلى الله عليه وسلم الم تر الى ربك كيف مد الظل ولو شاء لجعله ساكنا يقول رحمه الله ان المقصود قوله تعالى الم تر الى ربك كيف مد الظل ستر للقصة وتحصين لحاله **قال** الشارح لا خلاف ان نبينا صلى الله عليه وسلم افضل البشر وسيد ولد ادم كما قال صلى الله عليه وسلم انا سيد ولد ادم ولا فخر ولكن وردت منه صلى الله عليه وسلم اقوال فيها كف عن التفضيل بين الانبياء عليهم السلام كما قال لا تفضلوني على يونس بن متى وكما قال لو لبثت في السجن ما لبث يوسف لاجبت الداعي وكما قال نحن احق بالشك من ابراهيم ومراده صلى الله عليه وسلم انا اذا كنا لا نشك عندنا فلا شك عند ابراهيم وكذلك ثناؤه على يوسف بعد اقامته في السجن تلك المدة ثم قال الملك ايتوني به فقال للرسول ارجع الى ربك فاسأله وكذلك قوله في يونس وكل هذا خوف من ان يسبق الى احد من الامة استنقاص لبعض الانبياء فان درجتهم ارفع الدرجات وقول موسى عليه السلام رب اشرح لي صدري سأل ما يلقاه عند اجتماعه بفرعون

Copyright © King Saud University

وما يعرفونه من غلظته كما قال في موضع آخر إننا نخاف أن يفرط علينا أو أن يطغى فسأل بشرح الصدر والإعانة
بأخيه ليقوم بتكليف ربه وتبليغ أمره وأما قوله أرني أنظر إليك فلما تعلم من سماع الكلام الأزلي
ونيل هذه الحالة العظيمة فسأل الرؤية لكمال النعمة فأعلمه الحق أنه لا قدرة له عليها في هذه
الحالة وقد اختلف الناس في رؤية نبينا صلى الله عليه وسلم ربه ليلة المعراج هل رآه أم لا
فإن كان رآه فهي فضيلة زائدة خص الله نبينا صلى الله عليه وسلم بها مضافة لشرح الصدر
وعلى الجملة فالتمثيل بالمريد والمراد يصلح ويوجد كثيرا في غير الأنبياء ولا سيما كل مريد يراد
على ما تقدم وقوله ألم تر إلى ربك كيف مد الظل ولو شاء لجعله ساكنا فيه إشارة
إلى المخلوقات وكمال اقتداره وأنه يفعل ما يشاء وليس صريحا في كونه رآه بعيني رأسه **قال**
الإمام وسئل الجنيد عن المريد والمراد فقال المريد تتولاه سياسة العلم والمراد تتولاه رعاية
الحق لأن المريد يسير والمراد يطير فمتى يلحق السائر الطائر **قال** الشارح رضي الله عنه قوله تتولاه
سياسة العلم يعني أنه يجاهد نفسه ويروضها في أعمال القلب وجوارحه بعلم الشريعة وبذلك
يكون محفوظا محروسا عن الزيغ وأما المراد فهو تتولاه رعايته يعني كونه ملطوفا به معانا محفوظا
من الكسل والفتور والأمن بالشريعة فقد حفظ برعاية الحق وإنما مراده ها هنا أن تولي الله له
أبلغ وإعانته له وعونه له على نفسه وشيطانه أعم وأسبغ ولذلك قال الأول سائر والثاني طائر
لأن الأول سائر في مجاهدته والثاني طائر في حسن كلاءته وإعانته **قال** الإمام أرسل
ذو النون المصري رحمه الله إلى أبي يزيد رجلا وقال له قل له إلى متى النوم والراحة وقد
جازت القافلة فقال أبو يزيد قل لأخي ذي النون الرجل من ينام الليل كله حتى يصبح في المنزل
قبل القافلة فقال ذو النون هنيئا له هذا كلام لا تبلغه أحوالنا **قال** الشارح فقول ذي النون
رضي الله عنه إلى متى ذا النوم والراحة جازتك القافلة تحريض على كمال المجاهدة والجد في الأعمال البدار
السابقين وكلام أبي يزيد إشارة إلى التوحيد وجمع الهمة إلى الله تعالى في السلوك والتبري من الحول
والقوة في الاستقامة والسلامة من الدلوك فلما رد عليه هذا الجواب علم ما بين المقامين
وأن أحدهما موقوف مع نفسه ومجاهدته والثاني متبري من حوله وقوته ولذلك قال ذو النون
رضي الله عنه هذا كلام لم تبلغه أحوالنا ولم يصل علومنا فإن ما علم علو درجته ورفعة حالته
وهو أن الرجل الكامل من تولى الله حفظه ورعايته فهو السابق في كل مقام فكلام ذي النون إشارة
إلى المريد وكلام أبي يزيد إشارة إلى المراد والله أعلم تم الجزء الأول يتلوه إن شاء الله
تعالى في الثاني قال الإمام رضي الله عنه **باب الاستقامة**

[illegible] والحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيدنا محمد
وعلى آله وصحبه وسلم [illegible] محمد
ابن علي [illegible] الحنفي بتاريخ سادس عشري شهر شوال سنة ثلاث [illegible]

Copyright © King Saud University